تأليف وتصميم
سامي بن عبد الله المغلوث



أطلس تاريخ الدولة العثمانية



مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

الكتاب والسنة
الإمام الذهبي

أطلس

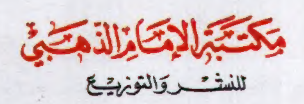
تاريخ الدولة العثمانية

الدولة العثمانية في أقصى أتساع لها

تأليف وتصميم

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث





الطبعة الأولى
١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م



شركة مكتبة الإمام الذهبي
للنشر والتوزيع

الكويت - حولي - شارع المثنى - ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦
فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤، ص.ب: ١٠٧٥ - الرمز البريدي: ٣٢٠١١

١ - فرع حولي: شارع الحسن البصري - ت: ٢٢٦١٥٠٤٦
٢ - فرع المباركية: سوق المباركية - ت: ٩٤٤٠٥٥٥٩
٣ - فرع الفحيحيل: البرج الأخضر - شارع الدبوس - ت: ٢٥٤٥٦٠٦٩
٤ - فرع المصاحف: حولي - ت: ٢٢٦٢٩٠٧٨

الخط الساخن: ٩٤٤٠٥٥٥٩

نماذج مختارة لمنهجية أطلس تاريخ الدولة العثمانية



صفحة الأبواب

صفحة السلاطين

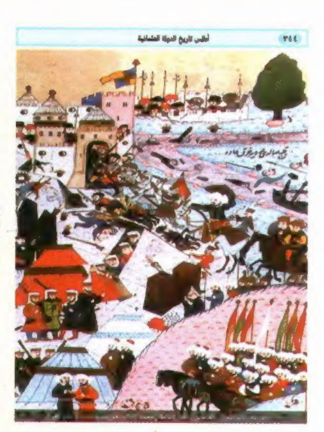
صفحة نصية



صفحات متنوعة من بعض الخرائط التاريخية







خريطة تاريخية بجدول زمني

خريطة عثمانية

منمنمة تاريخية





بعض المخططات للمعارك التاريخية







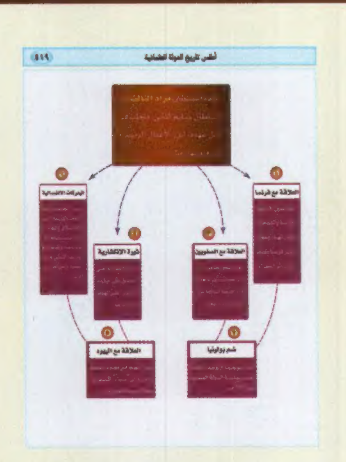
خريطة طبيعية

خريطة سياسية

مرئية فضائية







صفحة الصور

جدول نصي

خريطة ذهنية

المقدمة

منذ أن اعتنق الأتراك الإسلام، وهم يسدون إليه والمسلمين كل الخدمات الجليلة التي أسهمت جنبًا إلى جنب مع بقية المسلمين في نشر الإسلام وتشييد حضارته، ومن أبرز الشخصيات التركية القيادية في هذا المجال: السلطان سلجوق، ونظام الملك، وملكشاه، وألب أرسلان الذي انتصر على البيزنطيين في معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣ هـ/١٠٧١م، وشكَّل انتصاره تدفق المهاجرين الأتراك من الشرق إلى آسيا الصغرى، فكان عامل دعم لسلاجقة الروم، والقائمة تطول عن جهادهم ودعوتهم وحبهم للعلم والعدل، ومن ضمن الأتراك الذين هاجروا إلى آسيا الصغرى، واستقروا فيها العثمانيون، وبعد زوال الدولة السلجوقية الرومية قام العثمانيون ببناء دولتهم بوصفه امتدادًا حضاريًّا للدولة السلجوقية فتصدت للخطر البيزنطي المسيحي المستمر.

لقد عاشت **الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون**؛ تجدد فيها رجاء المسلمين -بعد الله- بانبعاث الأمل في إحياء الوحدة الإسلامية والتصدي للتيارات الصليبية والمذاهب الهدامة، حيث كان العثمانيون موضعًا للثقة والتقدير في قيادة الأمة الإسلامية واسترداد قوتها في العالم، وكان لهم ما أرادوا؛ فالدولة العثمانية منذ قيامها في القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي، تحمل على عاتقها لواء نشر الإسلام في الأناضول، ويرجع إليها الفضل في نشر الإسلام في كثير من مناطق أوروبا، خاصة الأجزاء الشرقية منها، بل حافظتْ على تراث الإسلام الدِّيني والثقافي، وتسمّى حكامها **بلقب الغازي** تيمنًا بالحديث النبوي، عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ)، رواه مسلم. وكان لهم ما أرادوا، حينما اجتمعت فيهم القوة والإيمان، والعزيمة والتضحية، حتى استطاعوا توحيد القبائل التركية في آسيا الصغرى تحت لوائهم، ومن ثم العبور بجيوشهم المؤمنة نحو البر الأوروبي (الروملّي) لفتح القسطنطينية والفوز بالبشارة النبوية بفتحها سنة ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣م، على يد السلطان محمد الفاتح وإسقاط الإمبراطورية البيزنطية - أطول دولة عُمِّرت في التاريخ - من خريطة الوجود. وبلغت فتوحات العثمانيين ثلاث قارات: أوروبا، وآسيا، وإفريقيا، ملكوا من خلالها المشرق الإسلامي من فارس حتى مرّاكش، باستثناء بعض الجيوب.

في هذا الوقت المحموم كان العثمانيون يتصدون للهجمات الصليبية البغيضة ووقف تقدمها نحو البلاد الإسلامية؛ في حين كان الباطنيون يهيئون أنفسهم ليخرجوا من جحورهم بمعتقداتهم القديمة التي لم يغيروا فيها إلا الأسماء: الصفويون، البهائيون، القاديانيون، الدروز، النصيريون، الحشاشون، العبيديون، حتى استطاعوا إنهاك قوة الدولة العثمانية تمهيدًا لانقضاض العدو الخارجي عليها، ومن ثم استعمار بعض أراضيها.

لقد طاشت سهام الحقد في قلب الحقائق وتضخيم الأمور وتهويل الحوادث؛ لإثارة البلبلة وإضعاف الصف، حتى سُمِّيت الدولة العثمانية في أواخر عهودها الرجل المريض نتيجة تكالب الأعداء عليها من الداخل والخارج حتى آلت إلى السقوط المدوي سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م.

لقد حاولتُ جاهدًا أن أقدم **أطلس تاريخ الدولة العثمانية** من خلال جولات ميدانية في آسيا الصغرى وشرقي أوروبا ووسطها؛ لإعطاء صورة شاملة لمسرح الحدث؛ ليليق برصد أهم أحداث هذه الدولة الإسلامية العزيزة، كلفتني سنوات من العناء والوقت للوقوف عليها؛ من أجل عمل مخططات تقريبية لمواقع بعض المعارك التاريخية الكبرى، كما هو موضّح داخل الأطلس، والتقاط أفضل اللقطات الفوتوغرافية للمكان للربط بينهما، بحيث يجمع بين الإبداع والإمتاع، حتى جاء بفضل الله -تعالى- هذا الأطلس في ٨٠٣ صفحات من القطع الكبير، وفي ستة أبواب على النحو الآتي:

الباب الأول: أصل الأتراك ودخولهم في الإسلام.

الباب الثاني: السلاجقة الأتراك.

الباب الثالث: قيام الدولة العثمانية.

الباب الرابع: سلاطين الدولة العثمانية. وهذا الباب في واقع الأمر هو (روح الكتاب)، حيث امتدت صفحاته من ص ٨١ - ٧٥٢، وتناول؛ نبذة يسيرة عن كل سلطان من سلاطين الدولة، مع إبراز أهم الملامح العامة في عهده من خلال الخريطة التاريخية أوالجغرافية علمًا؛ **إن خرائط الأطلس السياسية ليست مرجعًا للحدود الدولية**، وأضفنا الصورة المعبرة عن الحدث مع النص المشوق والمختصر.

الباب الخامس: خدمات الدولة العثمانية للإسلام والعروبة.

الباب السادس: أبرز الجوانب الحضارية في العهد العثماني.

ثم ألحقنا هذه الأبواب الستة بملاحق لثبت المصادر والمراجع، وفهرس للعناوين والأبواب لهذا الأطلس.

وأخيرًا، وليس آخرًا، أسأل الله – تعالى – أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة: ٢٨٦.

مؤلف ومصمم الأطلس

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

الأحساء / المبرز

٢٢ / ٢ / ١٤٣٥ هـ

جوال ٠٥٠٤٩٣٤٦٩٣





الباب الأول



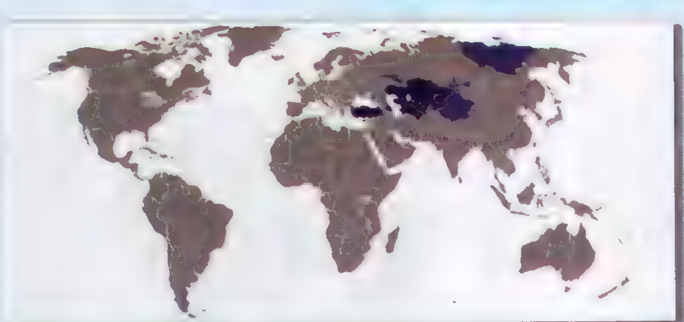
أصل الأتراك ودخولهم في الإسلام

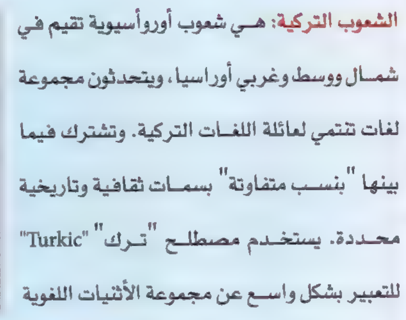
من هم الأتـــــراك؟

أصـل الأتــراك: تشـير الدراسات التي أجريـت في السنوات الأخـيرة: أن الأتراك ينسبون إلى الجنـس الأبيض، وتبين كذلك أنهم يصنفون من بين ثلاثة أجناس بشرية موجودة على سطح الأرض، وهي: (الأيوروبيد) و(التورانيد) و(المغوليد)، وهذا الأخير هو الجنس الذي ينسب إليه الأتراك، وهم قـوم المغول، ويأتي الأتراك في مقدمة هذا الجنس ومن صفات هذا الشعب: البشرة البيضاء واعتدال الأنف واستدارة الفك والشعر الخفيف المجعد والذقن والشاربين متوسطي الكثافة.

ويمثل هذا الجنس (التوران) أي (الأتراك) والصفات الموجودة لدى أتراك آسيا الوسطى، وشعوب مـا وراء النهر، وأتراك الشرق الأدنــى (الذكور والإناث)، وهـي: بياض البشــرة ولمعان العين ووسعها، والوجـه الدائـري ورشاقة الجسـم، وقد ضرب به كمثـل للجمال في القرون الوسطـى، حتى إن كلمة (**ترك**) تعني **الإنسان الجميل** في الأدب الفارسي[١].

الشعـــــوب التركيـــــة





الشعوب التركية: هـي شعوب أوروأسيوية تقيم في شمـال ووسط وغربي أوراسيا، ويتحدثون مجموعة لغات تنتمي لعائلة اللغـات التركية. وتشترك فيما بينها "بنسـب متفاوتة" بسمـات ثقافية وتاريخية محـددة. يستخـدم مصطلـح "تـرك" "Turkic" للتعبير بشكل واسـع عن مجموعة الأثنيات اللغوية لهـذه الشعـوب، مثـال على ذلـك: **الآذر والكازاخ والتتـار والقرقيز وأتـراك الجمهوريـة التركية والتركمـان والأويغور والأوزبـك**، بما في ذلك مجموعـات الحضارات القديمة مثل: **الهون والبلغار والكومان (القبجاق) والآفار والسلاجقة والخزر والعثمانيون والمماليك والتيموريون** ويعتقد أن الكسنجنو من ضمن هذه الشعوب.

تعد **أواسـط آسـيا** هي الموطن الأصلي للشعوب التركية، ولكل شعب من هذه الشعوب أقليمه ومنطقته المميزة، ومع ظهور الهجرات القديمة انتشرت اللغات التركية لمناطق أخرى، مثال ذلك: آسيا الصغرى (الأناضول) أو ما تعرف حاليًا بالجمهورية التركية. في حين أن مصطلح "ترك Turkic" يطلـق علـى كل هــذه الشعوب، فإن مصطلح "أتراك Turkish" تعني وبشكل خاص مواطنــي الجمهورية التركية و لغتهم الرسمية "اللغة التركية Turkish language" (أواللغة الأناضولية التركية)[٢].

---

١ – مقدمة كتاب (تاريخ الجمهوريات التركية الحديثة) للبروفسورالتركي الدكتور: محمد صراي.

٢– الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية.

موطن الأتراك: يشير مؤرخو الدراسات الجيولوجية أن موطن الأتراك الأصلي يقع في منطقة شعب الطاي ومنطقة شمال غربي آسيا، ويشير المؤرخون المتخصصون في الثقافة أن موطن الأتراك الأصلي هو منطقة الطاي ومراعي قرغز جنوب غربي **بحيرة بايكال**. (انظر الخريطة في الصفحة المقابلة)، ولتنوع أوصاف مناطق الأتراك ولكونهم شعبًا كثير التنقل والترحال، فقد استطاعوا نقل ثقافتهم إلى مختلف الشعوب.

ومن ناحية أخرى، فتشير الدراسات الحديثة التي قام بها علماء اللغة: أن موطن الأتراك الأصلي هو المناطق الواقعة بين جبال الطاي وأورال وشمال وجنوب شرقي بحر قزوين[١].

وفي منطقة ما وراء النهر التي نسميها اليوم **(تركستان)** والتي تمتد من هضبة منغوليا وشمالي الصين شرقًا إلى بحر الخزر (بحر قزوين) غربًا، ومن السهول السيبرية شمالاً إلى شبه القارة الهندية وفارس جنوبًا، استوطنت عشائر الغز التركية، الذين يعرفون باسم «الأوغور» و«الأغوز» و«الغز» و«التغزغز» (العشائر التسع)، وقد ورد أول ذكر لاسم «الغز» في كتب الجغرافيين العرب ابتداءً من النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وشاع استعمال هذا الاسم حتى في الوثائق الحكومية في القرن السادس الهجري.



موقع قارة آسيا

١ - د. راغب السرجاني، موقع قصة الإسلام على الشبكة العنكبوتية.



موطن الأتـــراك الأصـــلي في قارة آســـيا

يبـدأ التأريـخ المسجل لتركستان الغربية حينما دخلت هذه المنطقة ضمن نطاق الإمبراطورية الأخمينية، ويشير نقش داريوس (٤٨٦ ق.م-٥٤٢ق.م) إلى وجود ثلاث ولايات تابعة للأخمينيين وهي الصغد، وخوراسيما (خُوارزم) Chorasmia، وساكا (ساخة) Saka، وقد قاوم سكان المنطقة الإسكندر المقدوني مقاومة عنيفة بعد قضائه على الإمبراطوية الأخمينية، ولكنه تغلب عليهم، ثم حاول تألفهم بزواجه من الأميرة الصغدية روكسانا Roxana.

ابتـداء مـن النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد، تعرَّضت الإمبراطورية الفرثيـة، ومملكة ديودوتس Diodotus اليونانية في باكترية (بلخ) إلى ضغـط متزايـد من قبائل الساكا (الساخة) وهي منطقة السهول الواقعة ما وراء سيحون، ونجحت هذه القبائل في التغلغل في منطقة الصغد، ثم اجتازت جيحون في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد، وأسست لنفسها قاعدة في باكترية، ولم يأت القرن الأول ق.م حتى كانت قبائل الساكا قد اتجهت نحو ما يعرف اليوم بأفغانستان كما عَبرت نهر السند نحو البنجاب.

هذا التحرك نحو الجنوب كان نتيجة لضغط قبائل يوه- شيه Yueh -chih التي تطلق عليها الوثائق الغربية اسم طُخاري Tochari والتي كان من أهم فروعها الكوشان الذين سيطروا على المنطقة مدة قرنين، ثم انتقلت السيطرة إلى الفرس الساسانيين في عهد أزدشير الأول سنة ٢٢٧م.

واضطرت تلك القبائل المهاجرة أن تتجه غربًا، ونزلت بالقرب من شواطئ نهر جيحون، ثم استقرت بعض الوقت في طبرستان، وجرجان، فأصبحوا بالقرب من الأراضي الإسلامية التي فتحها المسلمون بعد معركة نهاوند وسقوط الدولة الساسانية في بلاد فارس سنة ١٩ – ٢١هـ.

تأثـرت حضـارة المنطقة قبل الفتح الإسلامي بالمذهب الزرادشتي والمسيحية النسطوريـة واليهودية والبوذية، وأضاف الأتراك إلى هذه المجموعة من المعتقدات شامانية Shamanism سهول آسيا الوسطى. نجدة خماش، الموسوعة العربية، مج ٦، ص ٢٣٨.

هجرة القبائل التركية القديمة

الهون
انتقلوا من منطقة أورخون إلى منطقة جنوبي كازاخستان بعد القرن الأول الميلادي، ثم انتقلوا أيضًا إلى تركستان في منتصف القرن الثاني الميلادي، ومن ثم إلى أوروبا بعد سنة ٣٧٥م.

الأويار-هون
انتقلوا إلى أفغانستان وإلى منطقة شمالي الهند بعد سنة ٣٥٠م.

الأوغور
انتقلوا من منطقة جنوب غربي سيبيريا إلى روسيا وذلك ما بين عامي: ٤٦١-٤٦٥م.

الأوغوز
انتقلوا من منطقة أورخون إلى روسيا جوار نهر (سيحون) خلال القرن العاشر الميلادي، وانتقلوا أيضًا إلى إيران والأناضول عبر منطقة ما وراء النهر في القرن الحادي عشر الميلادي.

الآفار
انتقلوا من منطقة غربي تركستان إلى أوروبا الوسطى منتصف القرن السادس الميلادي.

البلغار
من منطقة شمالي البحر الأبيض المتوسط إلى البلقان بعد سنة ٦٦٨م، ثم انتقل بعض الأتراك مع المجريين إلى حافة نهر ڤولجا بعد سنة ٨٣٠ م.

السابار
من شمالي منطقة أرال إلى القوقاز خلال النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي.

البشناق والكومان
انتقلوا من شمالي بحر قزوين إلى منطقة أوروبا الشرقية، وإلى البلقان خلال الحقبة ما بين القرن التاسع والحادي عشر الميلادي.

الأويغور
هاجروا من منطقة أورخون إلى منطقة آسيا الوسطى بعد سنة ٨٤٠ م.

من ضمن تلك التنقلات للشعوب التركية، هجرة **الهون والأوغوز**، الذين قطعوا مسافات شاسعة، وسجلوا انتصارات تاريخية مهمة أيضًا. ويمكن وصف تلك الهجرة لكلا الشعبين، بأنها كانت قوية من خلال الفتوحات في سبيل تأسيس وطن جديد. ومن الممكن تسمية الانتشار التركي السريع بالطريق إلى التوسع. ويأتي هذا التوسع السريع بسبب ازدياد طلبات الدول الغربية على الشباب ذوي البنية الجسدية القوية والجيدة، وكان هذا الطلب من بعض أقوام المجموعات المنشقة عن المجتمعات ذات الكثافة السكانية، ومن بعض المناطق المجاورة لها. ولذلك فقد لاقى الأتراك استحسانًا كبيرًا من خلال مشاركتهم في المجتمعات المختلفة، من نواحي: القوة العسكرية، والسيطرة على الحياة السياسية، والقدرة على تأسيس البلدان (كما في مصر والهند).

ما هو سبب هجرة الأتراك؟ وما هي العوامل التي دعت الأتراك لذلك؟

تشير الدراسات أنهم لم يقوموا بذلك لرغبة الشعب نفسه أوللاستيلاء على المناطق بهدف الاستمتاع، بل يأتي السبب الحقيقي من وراء ذلك للضرورة الملحة. وتشير مصادر تاريخية أن السبب هو مشكلة اقتصادية أيضًا، أي بمعنى أن التحرك من الأراضي التركية حدث بسبب عدم القدرة على البقاء بها. فمثلاً، ماحدث عند انتقال الهون من قحط كبير جدًا، وكذلك هجرة الأوغوز حيث كان صغر مساحة المرعى، وكثافة السكان سببًا في صعوبة تنقل الترك. ووصل الحال بهم إلى عدم القدرة على إطعام الشعب المتزايد في أرض الوطن في أراض زراعية صغيرة المساحة، لكن ومن أجل استمرار الحياة في المراعي التركية كانت هناك حاجة لاستخدام وسائل اقتصادية، وأنواع مختلفة من المواد الغذائية، والملابس وغيرها من الأشياء وعوامل أخرى مختلفة، مثل: المناخ الجيد، والثروة الطبيعية، فكان يتوفر بعض من تلك الأشياء في المناطق المجاورة قليلة السكان. وإلى جانب المشكلة الاقتصادية، فإن ماحدث من أمور كغزو المغول- كيتان- في القرن الحادي عشر الميلادي، وتعرض الأتراك للخطر والقبول بتلك الحالة آنذاك، والحرمان من الاستقلال، كل ذلك كان يدفع الكثيرين للرحيل إلى خارج الوطن. وكانوا سيضلون في صحراء قاحلة في حالة عدم تحقيق ذلك[١].

التركمان: اسم أطلق في بادىء الأمر على الأتراك الذين اعتنقوا الإسلام، ذكر ابن كثير: أنه في سنة ٣٤٩هـ أسلم من الأتراك مئتا ألف خركاه (خيمة) فسموا «ترك إيمان»، ثم خفف اللفظ فقيل «تركمان»، كما يذكر أنه في سنة ٤٣٢هـ بعد مقتل زعيمهم ميكائيل في قتال الكفّار من الأتراك، عظم شأن ولديه طغرل بك محمد وجغري بك داود في بني عمهما، واجتمع عليهما الأتراك من المؤمنين وهم «ترك الإيمان» الذين يقول لهم الناس تركمان. ولم يشع اسم التركمان إلا في القرن السابع الهجري /الثالث عشر ميلادي بعد تأسيس إمبراطورية المغول، واستمر اسم التركمان حيًا حتى وقتنا الحاضر، في حين اندثر اسم «الغز/الأوغوز» الذي يدل على هؤلاء.

١ - مقدمة كتاب (تاريخ الجمهوريات التركية الحديثة) للبروفسور التركي د. محمد صراي.

الدولة الأويغورية التركـية[١]

فـي سنـة ١٢٦هـ /٧٤٤م استطـاع **الأويغـور الأتراك** بمساعـدة قبائل تركية أخـرى بالإطاحة بالإمبراطوريـة الجـوك تركية، وأسسـوا مملكتهم الخاصة بهـم، التي امتدت من بحـر قزوين غربًا حتى منشوريـا (شمـال شرقي الصـين والكوريتين) شرقًـا. حيث استمـرت المملكة حتى سنـة ٢٢٥هـ/٨٤٠م، واختاروا مدينة **أوردو بالق** عاصمة لهم.

بعـد العديد من الحروب الأهلية والمجاعـات في المملكة الأويغورية، سيطر القيرغيز على أراضي الدولة. نتيجة للغزو القيرغيزي هاجر أغلب الأويغوريين من أراضي مملكتهم متجهين إلى ما يعرف الآن بسينكيانغ (تركستان الشرقية)، وهناك أسسوا مملكة مع قبائل تركية أخرى (زنجاريا وتاريم باسن)، استمرت حتى غـزو جنكيـز خان سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٩م. بقية شعب الأويغـور، الذين لم يهاجـروا إلى تركستان الشرقية، وهاجروا نحو **كازاخسـتان**، وجاوروا بعض القبائل الطاجيكية، **اعتنقوا الإسـلام ودخلوا فيه**، وكان ذلك في القرن الحادي عشر الميلادي.

أسـس الأويغـور الذين أسلموا دولـة سميت (القارا خانات)، الذي يُسمـى حاكمها قارا خان. وبعد ظهور السلاجقـة واشتداد عودهم، وازدياد قوتهـم صارت المنافس الأقوى لدولة القـارا خانات في تلك المناطق التي تعرف حاليًا باسم (تركستان وكازاخستان)[١].



أطلال قصر ملك أويغوري في أستانا قرة خوجة، حوض توربان، شينجيان، الصين (القرون ٩-١٣م)



مرتسم لخاقان (ملك) أويغوري من القرن ٨م

١ – موسوعة المعرفة على الشبكة العنكبوتية.



مراحل توسع الدولة الأويغورية التركية

الوجه: كتابة إيغورية: قول، بيله- أعلى (القوي، الحكيم) تتري خان- يسار.
يمين (حاكم السماء)؛ إيغور بُقوق- أسفل (إيغور بُقوق).

عملة نحاسية إيغورية

الخلف: أل تُتَمِش- أعلى، يارليغين، وفي الأسفل (بأمر حاكم الدولة).

اتصال الأتراك بالعالم الإسلامي [١]

بعد **انتصار المسلمين في معركة نهاوند سنة ١٩ هـ**، على الفرس، انساح المسلمون في بلاد فارس والبلاد القريبة منها؛ (انظر الصفحة المقابلة للنتائج المترتبة على معركة نهاوند)، ففي سنة ٢٢هـ/٦٤٢م تحركت الجيوش الإسلامية إلى بلاد (الباب) لفتحها وكانت تلك الأراضي **يسكنها الأتراك**، وهناك التقى قائد الجيش الإسلامي **عبدالرحمن بن ربيعة بخاقان الأتراك** شهربراز، فطلب من عبدالرحمن الصلح وأظهر استعداده للمشاركة في الجيش الإسلامي لمحاربة الأرمن، فأرسله عبدالرحمن إلى القائد العام سراقة بن عمرو، وقد قام شهربراز بمقابلة سراقة فقبل منه ذلك، وكتب للخليفة **عمر ابن الخطاب** -رضي الله عنه- يُعلمه بالأمر، فوافق على ما فعل، وعلى إثر ذلك عقد الصلح، **ولم يقع بين الأتراك والمسلمين أي قتال**، بل سار الجميع إلى بلاد الأرمن لفتحها ونشر الإسلام فيها.

وحينما تقدمت الجيوش الإسلامية لفتح البلدان في شمال شرقي بلاد فارس لنشر دعوة التوحيد فيها، بعد سقوط دولة الفرس التي كانت تقف حاجزًا منيعًا أمام الجيوش الإسلامية في تلك البلدان، حيث زالت -بفضل الله- تلك العوائق، ونتيجة للفتوحات الإسلامية، أصبح الباب مفتوحًا أمام تحركات شعوب تلك البلدان والأقاليم، **ومنهم الأتراك** فتم الاتصال بالشعوب الإسلامية، واعتنق الأتراك الإسلام، وانضموا إلى صفوف المجاهدين لنشر الإسلام وإعلاء كلمة الله.

قال الطبري: قالوا: لما بلغ عمر موت سراقة واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعة أقرّ عبد الرحمن على فرج الباب، وأمره بغزو التّرك، فخرج عبد الرحمن بالناس حتى قطع الباب، فقال له شهربراز: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد بلنجر؛ قال: إنّا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب. قال: لكنّا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم في ديارهم؛ وتالله إنّ معنا لأقوامًا لو يأذن لنا أميرنا في الإمعان لبلغت بهم لاردم. قال: وما هم؟ قال: أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم ودخلوا في هذا الأمر بنيّة، كانوا أصحاب حياء وتكرّم في الجاهلية، فازداد حياؤهم وتكرّمهم، فلا يزال هذا الأمر دائمًا لهم، ولا يزال النصر معهم حتى يغيّرهم من يغلبهم، وحتى يلفتوا عن حالهم بمن غيّرهم. فغزا بلنجر غزاة في زمن عمر لم تئم فيها امرأة، ولم ييتم فيها صبيّ، وبلغ خيله في غزاتها البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر، ثم غزا فسلم؛ ثمّ غزا غزوات في زمان عثمان، وأصيب عبد الرحمن حين تبدّل أهل الكوفة في إمارة عثمان لاستعماله من كان ارتدّ استصلاحًا لهم، فلم يصلحهم ذلك، وزادهم فسادًا أن سادهم من طلب الدنيا، وعضّلوا بعثمان [٢].

---

١ – د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط، ص ٢٢.

٢ – الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٩١، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.



نتائج معركة نهاوند (فتح الفتوح) سنة ١٩ هـ
المجال السياسي
بعد معركة نهاوند، تغيرت خريطة العالم القديم الذي كانت تتنازعه دولتا فارس والروم، وذلك بزوال دولة الفرس المجوسية. وسطوع نجم الدولة الإسلامية الفتية.
المجال الاستراتيجي
أصبحت جميع بلاد فارسٍ مفتوحة أمام المجاهدين المسلمين؛ إذ أصبح ممكناً اتخاذ الأراضي الواقعة شرق دجلة قاعدة لانطلاق الجيوش الإسلامية ولاسيما بعد أن فتح المسلمون العراق والأقاليم الواقعة على شمال الخليج العربي؛ خصوصاً إذا عرفنا أن إقليم خوزستان (الأهواز) قد فتح بالكامل واعتنق حاكمه الهرمزان الإسلام .
المجال العسكري
اكتسب الجندي المسلم صلابة وقوة مكنته من انتزاع النصر في أحلك الظروف . واستمراراً لتحقيق النصر قرر الخليفة عمر تقسيم الجيش إلى عدة ألوية وعيّن على كل لواء قائداً ووجه كل لواء بقائده إلى أقليم من أقاليم الدولة الفارسية على النحو التالي :
الجبهة الشمالية
وتشمل الأقاليم الواقعة غربي بحر الخزر (قزوين) حتى نهاية جبل القفقاس وأرمينية، حيث فُتِحت قزوين والديلم، وإقليم أذربيجان، وأرمينية والقفقاس والقوقاز، وجرجان وطبرستان.
الجبهة الوسطى والشرقية
الجبهة الجنوبية
وكانت في إقليم مكران وهو أقصى البلاد الفارسية من الجنوب وتقع سواحله على خليج عمانٍ وجزءٍ من الخليج العربي، انتصر المسلمون فيها انتصاراً مؤزراً على المجوس ودخل المسلمون على إثرها مكران .
الإقليم الجبلي
في غربي بلاد فارس: بعد معركة نهاوند الحاسمة، سيّر الخليفة عمر جيوشه إلى مدن هذا الإقليم ومن بينها :
أصفهان
إعادة فتح همذان
واج روذ بين همذان وقزوين
إقليم فارس
يقع هذا الإقليم في وسط إيران، حيث توجهت إليه الجيوش الإسلامية على النحو التالي :
اصطخر عاصمة فارس
فسا ودارابجراد
كرمان
إقليم خُراسان
يؤلف هذا الإقليم الجزء الشرقي للدولة الفارسية، وكان الأحنف بن قيس أبرز قادة فتح هذا الإقليم، وبعد أن أبلى بلاءً طيباً في معركة نهاوند؛ ولاه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لواء فتح خُراسان ففتح هراة عنوة، وسار نحو مرو فكتب يزدجرد مستنجداً بخاقان الأتراك وملك الصُغد وملك الصين، وحينما دخل المسلمون مرو فرّ يزدجرد إلى بلخ . وبعد أن فتحت بلخ فر يزدجرد إلى سمرقند، إلى أن قتله الفرس أنفسهم، وقضى على آخر أمل للدولة المجوسية.
إقليم سجستان
يشغل هذا الإقليم أجزاء كبيرة من إيران ومن أفغانستان ويُطلق عليه سجستان أو سيستان (ساستان) .



قال الطبري : وفي هذه السنة أمر عمر جيوش العراق بطلب جيوش فارس حيث كانت؛ وأمر بعض من كان بالبصرة من جنود المسلمين وحواليها بالمسير إلى أرض فارس وكرمان وإصبهان، وبعض مَنْ كان منهم بناحية الكوفة وماهاتها إلى أصبهان وأذر بيجان والريّ ... ولما أتى عمر انبعاث الجنود وانسياحهم أمّر عمّاراً بعدُ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ) . القصص: ٥ . تاريخ الأمم والملوك ، مج ٢ ، ص ٥٣٠ - ٥٣١ .


فتح دربند (باب الأبواب) وموقان ٢٢ هـ
مُوقـانُ: بالضم ثم السكون، والقاف، وآخره نون؛ قـال ابن الكلبـي: موقان وجيـلان وهما أهل طبرستان ابنـا كماشح بن يافث بن نوح، عليه السلام، وأهله يسمّونه موغان، بالغين المعجمة، وهي عجمية، ويجوز أن يجعل جمعاً للمُوق وهو الحمْق: ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها الأتراكمان للرّعي فأكثر أهلها منهم، وهي بأذربيجـان يمـرّ القاصـد مـن أردبيل إلى تبريـز فـي الجبـال ... الحمـوي، معجم البلدان، مادة موقان .
بعد فتح دربند توفي سراقة ، وقد استخلف عبد الرحمن بن ربيعة على الجيش ،حيث مضى القادة بقواتهم على ما كلفـوا به،ولم يفتح أحدٌ منهم ما وُجّه إليه فيما عدا بُكير بن عبد الله فقد فتح موقان،ثم اتفقوا على الجزية ، وكتب كتاباً لشعب موقان بذلك.
جيش عبد الرحمن بن ربيعة
جيش بكير بن عبد الله ينضم إلى جيش سراقة بن عمرو .
الجيش الإسلامي إلى دربند بقيادة سراقة ابن عمرو الأنصاري رضي الله عنه .
داغستان
جروزني
تيرك
أوردجونيكيدزة
مخاتشكالا
دربند (باب الأبواب)
جوري
تبليسي (تفليس)
كرجستان
شكّي
الكر
لينتكان
سمور
كنجة
كيروف
بردا
شروان
شماخه
باكو
اليات
ساجات
بحر الخزر (قزوين)
كورا
بريفان
أذربيجـــان
موقان
أقرى
أرمينية
أراكس
ناخيتشيفان
خوى
أردبيل
تبريز
أرومية
مراغة
خونج
رشت
الموصل
أربيل
سقز
قزل أوزن
بيجار
كردستان
كركوك
سنندج
حلوان
همدان
نهاوند
٢٥٠ كم ٢٠٠ ١٥٠ ١٠٠ ٥٠ ٠
الخزر
بلنجر
داربند (باب الأبواب)
أذربيجـــان
موقع بلنجر بالنسبة لباب الأبواب

قال الطبري: وخرج **ابن عامر** منها - خراسان - في سنة اثنتين وثلاثين، قال: فجمع قارن - خاقان الأتراك- جمعًا كثيرًا من ناحية الطبسين وأهل باذغيس وهراة وقهستان فأقبل في أربعين ألفًا فقال لعبدالله بن خازم: ما ترى؟ قال: أرى أن تخلي البلاد فإني أميرها، ومعي عهد من ابن عامر، إذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرها وأخرج كتابًا قد افتعله عمدًا، فكره قيس مشاغبته وخلاه والبلاد وأقبل إلى ابن عامر فلامه ابن عامر وقال: تركت البلاد حربًا وأقبلت قال: جاءني بعهد منك، فقالت له أمه: قد نهيتك أن تدعهما في بلد فإنه يشغب عليه، قال: فسار ابن خازم إلى قارن في أربعة آلاف وأمر الناس فحملوا الودك، فلما قرب من عسكره أمر الناس فقال: ليدرج كل رجل منكم على زج رمحه ما كان معه من خرقة، أو قطن، أو صوف، ثم أوسعوه من الودك من سمن أو دهن أو زيت أو إهالة. ثم صار حتى إذا أمسى قدم مقدمته ست مائة، ثم اتبعهم وأمر الناس فأشعلوا النيران في أطراف الرماح، وجعل يقتبس بعضهم من بعض قال: وانتهت مقدمته إلى عسكر قارن، فأتوهم نصف الليل، ولهم حرس فناوشوهم وهاج الناس على دهش، وكانوا آمنين في أنفسهم من البيات، ودنا ابن خازم منهم فرأوا النيران يمنة ويسرة وتتقدم وتتأخر وتتخفض وترتفع فلا يرون أحدًا فهالهم ذلك ومقدمة ابن خازم يقاتلونهم ثم غشيهم ابن خازم بالمسلمين فقتل قارن وانهزم العدو؛ فأتبعوهم يقتلونهم كيف شاؤوا، وأصابوا سبيًا كثيرًا فزعم شيخ من بني تميم، قال: كانت أم الصلت بن حريث من سبي قارن وأم زياد بن الربيع منهم وأم عون أبي عبدالله بن عون الفقيه منهم، قال علي: حدثنا مسلمة، قال: أخذ ابن خازم عسكر قارن بما كان فيه، وكتب بالفتح إلى ابن عامر فرضي وأقره على خراسان؛ فلبث عليها حتى انقضى أمر الجمل، فأقبل إلى البصرة فشهد وقعة ابن الحضرمي وكان معه في دار سبيل، قال علي: وأخبرنا الحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير العمي الخزاعي، قال جمع قارن للمسلمين جمعًا كثيرًا فضاق المسلمون بأمرهم، فقال: قيس بن الهيثم لعبدالله بن خازم، ما ترى ؟ قال: أرى أنك لا تطيق كثرة من قد أتانا، فأخرج بنفسك إلى ابن عامر، فتخبره بكثرة ! من قد جمعوا لنا ونقيم نحن في هذه الحصون ونطاولهم، حتى تقدم ويأتينا مددكم، قال: فخرج قيس بن الهيثم، فلما أمعن أظهر ابن خازم عهدًا وقال: قد ولاني ابن عامر خراسان فسار إلى قارن فظفر به، وكتب بالفتح إلى ابن عامر، فأقره ابن عامر على خراسان فلم يزل أهل البصرة يغزون من لم يكن صالح من أهل خراسان فإذا رجعوا خلفوا أربعة آلاف للعقبة، فكانوا على ذلك حتى كانت الفتنة[1].

وفيها أقبل قارن في أربعين ألفًا، فالتقاه عبد الله بن حازم في أربعة آلاف، وجعل لهم مقدمة ست مائة رجل، وأمر كلا منهم أن يحمل على رأس رمحه نارًا، وأقبلوا إليهم في وسط الليل فبيتوهم فثاروا إليهم فناوشتهم المقدمة فاشتغلوا بهم، وأقبل عبد الله بن حازم بمن معه من المسلمين فاتفقوا هم وإياهم، فولى المشركون مدبرين، واتبعهم المسلمون يقتلون من شاؤوا وكيف شاؤوا، وغنموا سبيًا كثيرًا وأموالاً جزيلة، ثم بعث عبد الله بن حازم بالفتح إلى ابن عامر، فرضي عنه وأقره على خراسان ـ وكان قد عزله عنها ـ فاستمر بها عبد الله بن حازم إلى ما بعد ذلك[2].

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٣١٩.

٢ - ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٧، ص ١٦٧.



خروج الأتراك في خراسـان مع ملكهم (الخاقان قارن) سنة ٣٢ هـ، وهزيمتهم على أيدي المسلمين.

الملك الأتراكي (قارن) يتحرك بقوات يبلغ عددها (٤٠،٠٠٠) مقاتل (انظر انطلاق أماكن الأسهم الحمراء على الخريطة في الأعلى).

القوات الإسلامية بقيادة : عبد الله بن خازم، تخرج بـ (٤٠٠٠) مقاتل، وتبتكر طريقة إشعال النيران على أسنة الرماح ليلًا !، مما أربك الخصم، حيث اعتقدوا بأن إمدادات إضافية جاءت للقوات الإسلامية، إلى أن تمكن المسلمون من قتل قائد الأتراك (قارن)، في وسط المعركة. اقرأ الصفحة السابقة للأهمية ! .

فتح بلاد ما وراء النهر (بلاد الأتراك)[١]

ما وراء النهر، لفظ استخدمه المؤرخون، والجغرافيون المسلمون، للتعبير عن المنطقة المحصورة بين نهري جيحون في الجنوب وسيحون في الشمال. وتقع هذه المنطقة في الشمال الشرقي من حدود الدولة القديمة، وسكانها من **العنصر التركي**.

قامت في هذه المنطقة المشار إليها، ممالك عدة مستقلة بعضها عن بعض أهمها:

- مملكة **طخارستان**، وتقع على ضفتي نهر جيحون وعاصمتها مدينة **بلخ**.
- مملكة **الختل** وقصبتها **هُلْبُك**، وهي أول إمارة وراء نهر جيحون.
- مملكة **صغانيان** وقصبتها **صغنيان**.
- مملكة **الصغد** وقصبتها **سمرقند**.
- مملكة **خوارزم** وقصبتها **الجرجانية**.

كان الوضع السياسي لهذه الممالك مزعزعًا بفعل النزاعات الدائمة التي كانت تنشب بينها، مما شكل خطرًا على المسلمين، الذين تاخمت حدودبلادهم في خراسان حدود هذه المماليك، مما يجعلهم يفكرون في وضع حد لهذه الفوضى في هذه البلاد بضمها إلى الدولة الإسلامية ونشر الإسلام فيها، وإخضاعها للنظام قبل أن يستفحل خطرها. وبالرغم من النزاعات الداخلية فيها إلا أن شعوبها يمكن أن تتحالف إذا شعرت بوجود خطر خارجي عليها.

كانت العمليات العسكرية في وسط آسيا على جانب كبير من الأهمية، وتتم بنجاح في بلاد ما وراء النهر، حيث حقق القائد المسلم **قتيبة بن مسلم الباهلي** حاكم **خراسان**، السيطرة الأموية على البلاد، وتمكن من إثبات جدارته بالإمارة والقيادة، بحيث اعتبر من أشهر وأنجح القادة العسكريين، وسانده حاكم قوي هو **الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراقين والشرق (٧٥-٩٥هـ)**، وكانت أوضاع دولة الخلافة الأموية قد استقرت، فاجتمعت له شجاعة القائد، وعزم الوالي وتصميمه، وقوة الدولة واستقرارها[١].

عندما قام المسلمون الأوائل بحركة الفتح الإسلامي في المشرق، كان هناك نوعان من الأجناس البشرية تسكن هذه المنطقة، القبائل الساسانية أو الفارسية والقبائل التركية، وكان نهر المرغاب هو الحد الفاصل بين هؤلاء وهؤلاء، وقد تم إدخال القبائل الفارسية في الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، أما القبائل التركية فقد كانت أكبر عددًا وأوسع انتشارًا منهم الأتراك الغزية والأتراك القراخطاي والأتراك القوقازيين والأتراك الأيجور والأتراك البلغار والأتراك المغول، وكان لفتح قتيبة أثر كبير في إدخال الأتراك شرقي نهر المرغاب وفى بلاد ما وراء النهر في الإسلام. خيرالدين الزركلي:الأعلام، قتيبة بن مسلم.

---

١ - د. محمد سهيل طقّوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

فتوحات قتيبة بن مسلم : المرحلة الأولى

بدأ **قتيبة** عملياته العسكرية اعتبارًا من سنة (٨٦ هـ/٧٠٥م) فعبر نهر جيحون على رأس جيش كبير، وتمكن بعد سلسلة من الحملات العسكرية الناجحة من إنزال العقاب بجميع الذين انتفضوا على الحكم الإسلامي في عهد الحروب الأهلية، وأعاد فتح إقليم طخارستان « السفلى والعليا ». وتعد هذه الخطوة ضرورية لتمهيد طريق التقدم إلى أقاليم أخرى، ثم عاد إلى مرو، واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم.



تقدم **قتيبة** بعد طخارستان إلى إقليم **بخارى** فغزا **بيكند** في سنة (٨٧ هـ/٧٠٦م) وفتحها صلحًا بعد حصار. ويبدو أن أهلها لم يكونوا صادقين في صلحهم، فاغتنموا فرصة انهماك المسلمين بالفتوحات، وثاروا على الحكم الإسلامي وقتلوا الوالي، فاضطر قتيبة للعودة إلى المدينة **وفتحها عنوة**، ثم عاد إلى **مرو**، استمرت حملات قتيبة على **إقليم بخارى ثلاث سنوات**، فكان يغزوه في الصيف ويعود في الشتاء إلى مرو، حتى تمكن أخيرًا من فتحه، ويثبت أقدام المسلمين في مدنه.

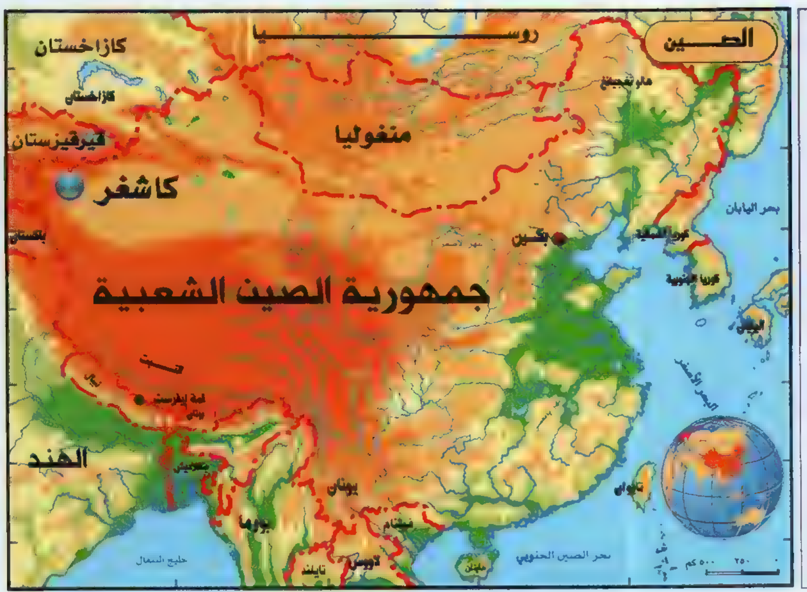


استأنف **قتيبة** فتوحاته في حوض نهر جيحون، ففتح **سمرقند** صلحًا سنة ٩١هـ/٧٠٩م، وهي من أعظم المدائن في بلاد **الصغد**، كما فتح **مدن خوارزم** صلحًا أيضًا سنة ٩٣هـ/٧١٢م. وتوج فتوحاته **بإعادة فتح سمرقند**، بعد أن نقض أهلها الصلح مع المسلمين، وتثبيت أقدام المسلمين فيها.



انتقـل **قتيبـة**، بـدءًا من سنــة ٩٤هـ/٧١٣م، إلى فتـح مدن **الشاش وفرغانة وكاشغر**، وكانـت تحت سيطرة **الأتراك**، فصادف مقاومة شرسة، واصطدم بهم أكثر من مرة حتى تمكن أخيرًا من فتحها سنة ٩٥هـ/٧١٤م. وفي أثناء جهاده في **بلاد الأتراك** جاءه نعي الحجاج، فاغتم لموته. أدرك الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك تأثير ذلك عليه، فبعث إليه برسالة مواساة وتشجيع وثناء، فأحدثت في نفسه أثرًا طيبًا.

امتـدت **المرحلـة الرابعـة** مـن فتوحـات القائد الأموي قتيبة بن مسلم الباهلي من سنة ٩٤-٩٦ هجرية، حيث أتم فيهـا فتح حوض نهـر سيحون بما فيـه من مدن، ثم دخـل **أرض الصين** وأوغـل فيهـا ووصـل مدينـة **كاشغـر** وجعلهـا قاعدة إسلامية وكان هذا آخر ما وصلت إليه جيوش الإسلام في آسيا شرقًـا ولم يصل أحد من المسلمين أبعد من ذلك خلال الفتوحات.



كان الاحتفـاظ بإقليـم **فرغانة** بيد المسلمين، يستوجب **فتح منطقـة كاشغر** التي تقع شرقي إقليم فرغانة، ويقطنها **الأتـراك** كمـا يقطنون إقليـم فرغانة. وفي سنة ٩٦ هـ - ٧١٤م، غزا **قتيبة** مدينة كاشغر، وهـي أدنى مدائن الصين وأقربها إلى فرغانة « انظر الخارطة في الأعلى ».

وسـار قتيبـة مـن **مرو** عاصمة خراسان على رأس جيشـه، وحمل النـاس أبناءهم لتستقر فـي **سمرقند**. وعبر الجيش الإسلامي نهر جيحون، فاستعمل قتيبة رجلًا على معبر النهر، ليمنع من يرجع من جنده إلا بجواز منه وبموافقته الخطية. ومضـى جيش المسلمين إلى فرغانة، مرورًا بسمرقند، حيث أبقى الناس أبناءهم فيها بحماية المسلمين من أهل سمرقند، وكان الإسلام قد انتشر فيها انتشارًا سريعًا موفقًا. وفي فرغانة أكمل قتيبة استعدادات جيشه للقتال، وأرسل إلى (شعب عصـام) الفَعَلَـة لتمهيده، حتـى يجتاز الجيش بسهولة ويسر وسرعـة، فأكمل الفعلـة مهمتهم وأخبروا قتيبـة بإكمالها. **والفعلـة هم سلاح الهندسـة**، كما نطلق عليه اليوم في المصطلحات العسكريـة الحديثة: وهم الذين يمهدون الطرق، ويبنون القناطر والجسور، ويزيلون العقبات الطبيعية، ويؤمّنون وسائط عبور الأنهار، ويشرفون على العبور والمعابر. ويبدو أن (شِعـب عصـام) أو وادي عصام، عارض من العوارض الطبيعية الوعرة، يعرقل مسيرة الجيش بقوات كبيرة، ويقع بين فرغانـة والحدود الصينية القديمة. وتقدم قتيبة على رأس جيشه من فرغانة، سالكًا الطريق التجارية التي تربط مدينة فرغانة بمدينة كاشغر، مارًا بجنوب بحيرة (جاتيركول) السوفييتية قبل سقوط الشيوعية فيها، على الحدود مع الصين، مقتحمًـا ممـر (تيترك) في تركستـان الشرقية. وبعث قتيبة مقدمة أمـام جيشه إلى **كاشغـر**، فتقدمت حتى وصلت إلى هدفها، بعد أن أزاحت المقاومات الطفيفة التي صادفتها في طريقها وغنمت.

وأوغل قتيبة حتى قارب حدود الصين القديمة، ففتح كاشغر، وجنغاريا الواقعة على حدود منغوليا، وترفان على مقربة مـن الحـدود المنغولية، وخوتن الواقعة شمـالي التبت وكشمير، وقانو التـي تقع تمامًا في منتصـف الصين الحالية. **لكن المصادر العربية المعتمدة تقتصر على فتح كاشغر في هذه السنة ولا تقدم التفاصيل الإضافية الأخرى عن فتوح المدن الصينية الأخرى.** بتصرف عن إسماعيل حقي شن كولر – قضية تركستان الشرقية، ص ٦٤-٦٥.

فتح كاشغر: بات الاصطدام **بين المسلمين** من جهة **وبين ملك الصين** من جهة ثانية وشيكًا، فطلب ملك الصين التفاوض بين الجانبين، وعرض التفاوض على قتيبة، فقد أوغل قتيبة حتى قارب الصين واخترق حدودها الغربية، فكتب إليه ملك الصين: «ابعث إليَّ رجلًا شريفًا يخبرني عنكم وعن دينكم»، فوافق قتيبة على طلب ملك الصين.

واختار قتيبة من بين رجال جيشه اثني عشر رجلًا، لهم جَمال وألسن وبأس وتجمّل وصلاح، وأمر لهم بعُدّة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشي وغير ذلك وخيول حسنة، وكان منهم هُبيرة بن المشمرج الكلابي مفوّهًا سليط اللسان، وقال لهم: «إذا دخلتم على ملك الصين، فأعلموه أني حلفتُ أني لا أنصرف حتى أطأ بلادهم، وأختم ملوكهم، وأجبي خراجهم»..

وسار وفدُ قتيبة إلى ملك الصين، عليهم هبيرة بن المشمرج الكلابي، فلما قدموا الصين، دعاهم ملكها، فلبسوا ثيابًا بياضًا تحتها الغلائل، وتطيبوا ولبسوا الأردية، ودخلوا على الملك، وكان عنده عظماء قومه، فأخذوا أماكنهم في مجلسه، فلم يكلم الملك الوفد ولا أحد ممن عنده.

ولما انصرف الوفد من مجلس الملك، قال الملك لمن حضره: «كيف رأيتم هؤلاء؟» قالوا: «رأينا قومًا ما هم إلا نساء». وبالطبع قال من حول الملك ما يحب الملك أن يسمع، لا ما يجب على الملك أن يسمع، أسوة من حول أصحاب السلطان في كل زمان وكل مكان، وفي غد دعاهم الملك إلى مجلسه، ولبسوا الوشي وعمائم الخز والمطارف –ألبسة من خزّ مربعة لها أعلام– وغدوا عليه، فلما دخلوا عليه قيل لهم: ارجعوا. وقال الملك لأصحابه بعد انصراف وفد المسلمين: كيف رأيتم؟ فقالوا: هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك، وفي اليوم الثالث دعاهم الملك إلى مجلسه أيضًا، فشدوا سلاحهم، ولبسوا البيض – الخوذ والمغافر - (جمع مِغفر)، وهو زرد ينسج على قدر الرأس، يلبس تحت القلنسوة.. وأخذوا السيوف والرماح والقسي، وركبوا خيولهم العربية المطهمة الأصيلة. ونظر إليهم ملك الصين، فرأى أمثال الجبال المقبلة، فلما دنوا من مجلس الملك، ركزوا رماحهم ثم أقبلوا مشمِّرين وقيل لهم قبل أن يدخلوا على الملك: «ارجعوا..» لِما دخل في قلوب الملك ومن معه من رجال الصين وقادتها من خوف ورهبة. وانصرف الوفد عائدًا إلى مستقره، بعد أن أخذوا رماحهم واستعادوا سلاحهم وامتطوا خيولهم، ثم دفعوا الخيل حضرًا – عدْو ذو وثب، وهو ركض الخيل بأقصى سرعتها، كالذي يجري في سباق الخيل - كأنهم يتطاردون، فقال الملك لأصحابه: كيف ترونهم؟ فقالوا: ما رأينا مثل هؤلاء! وفي مساء ذلك اليوم، بعث ملك الصين إليهم، أن ابعثوا إليّ زعيمكم فبعثوا إليه هبيرة، فقال له الملك: قد رأيتم عظم ملكي، وأنه ليس أحد يمنعكم مني، وأنت في يدي بمنزلة البيضة في كفي، وإني سائلكم عن أمر، فإن لم تصدقوني قتلتكم. وما كان هبيرة بحاجة إلى التهديد والوعيد، وليس هو من الرجال الذين يخيفهم التهديد والوعيد، فهو لا يكذب أبدًا حتى ولو قتل على أن يكذب لا على ألا يكذب، فلا مجال لتهديده بالقتل إذا لم يصدق وسأل الملك هبيرة: لماذا صنعوا في الزي الأول ما صنعوا، ثم الزي الثاني، والزي الثالث؟ وكان جواب هبيرة: أما زيّنا الأول، فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم، وأما يومنا الثاني فإذا أتينا أمراءنا، وأما الثالث

فزيّنا لعدوّنا. وقال الملك: ما أحسن ما دبرتم دهركم، فانصرفوا إلى صاحبكم، فقولوا له: ينصرف، فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه، وإلا بعثتُ عليكم من يهلككم ويهلكه وإذا كانت الجبال الراسيات تهتز قيد أنملة من خطرات النسيم العليل، فإن هبيرة قد اهتز يومئذ من وعيد الملك وتهديده، فلا بد له من أن يبلغ هذا الملك رسالة قتيبة بقوة وأمانة وصدق، فقال للملك في ثقة كاملة وهدوء تام: كيف يكون قليل الأصحاب مَن أول خيوله في بلادك، وآخرها في منابت الزيتون! وكيف يكون حريصًا من خلّف الدنيا وغزاك؟ وأما تخويفك بالقتل، فإن لنا آجالًا إذا حضرت فأكرمها القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه، واستخذى الملك في مجابهة قولة الحق، فنسي تهديده ووعيده، ثم تساءل في قول ليّن رقيق: فما الذي يُرضي صاحبك؟ فأجابه هبيرة بقول فصل لا مساومة فيه: إنه حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم، ويختم ملوككم، ويُعطَى الجزية.

واستخذى الملك إلى درجة الانهيار بعد أن سمع كلمة الحق تزهق الباطل، فقال: فإنا نخرجه من يمينه: نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطأه، ونبعث أبناءنا فيختمهم، ونبعث له مالًا يرضاه.. ودعا الملك بصحاف من ذهب فيها تراب من أرض الصين، وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم، ثم أجاز الوفد فأحسن جوائزهم، فقدموا على قتيبة الذي قبل الجزية، وختم الغلمان، وردّهم إلى الملك، **ووطئ تراب الصين**. وقد لجأ الوفد الإسلامي إلى تبديل أزيائهم للتأثير في معنويات ملك الصين ومن معه، مما أدّى إلى انهيار معنويات الصينيين واستجابتهم لمطالب المسلمين.

حقيقة الفتح: المؤرخون العرب يذكرون أن مدينة كاشغر هي أدنى مدائن الصين، ولكن البلدانيين العرب يذكرون أنها من **مدن تركستان**. وما أخطأ المؤرخون العرب، لأن حدود الصين كانت تمتد غربًا فتضمّ حدودُها **تركستان الشرقية** بكاملها، أو جزءًا منها في حالة اشتداد قوة ملوك الصين، وتنحسر تلك الحدود نحو الشرق، فتستقل تركستان الشرقية بحدودها الطبيعية، أو تمتد حدود تركستان الشرقية فتضم إليها أجزاء من الصين، في حالة قوة ملوك تركستان وضعف ملوك الصين. وما أخطأ البلدانيون العرب القدامى في ذكرهم أن مدينة كاشغر من مدن تركستان الشرقية، فهي في الواقع كذلك أصلًا، ولكنها تدخل في حدود الصين تارة، وتكون خارج حدودها تارة أخرى، وقد ظلت تركستان الشرقية خاصة عرضة لهجمات الصينيين حتى أصبحت اليوم من أجزاء الصين كما هو معلوم. ومن مراجعة تاريخ تركستان الشرقية القديم يتضح لنا أن منطقة كاشغر والمناطق التي حولها التي امتدت الفتوحات الإسلامية إليها، كانت ضمن دولة (كول تورك) التي كانت من سنة ٥٥٢م إلى سنة ٧٤٥م، ومعنى هذا أن الفتح الإسلامي في تركستان سنة ست وتسعين للهجرة (٧١٤م) كان على عهد تلك **الدولة التركية** التي كانت في عداء مستمر مع جارتها الشرقية الصين، وكانت على ولاء كامل مع بلاد ما وراء النهر، وخاصة مع إقليم فرغانة، لأن **العنصر التركي** كان يسيطر على هذا الإقليم، فكان تعاونه مع تركستان الشرقية تعاونًا وثيقًا.

ويذكر لنا تاريخ تركستان الشرقية القديم، أن الاضطرابات شملت تركستان الشرقية سنة ١٢١هـ/٧٣٨م، فاستغل الصينيون هذه الاضطرابات، واعتدوا على تركستان الشرقية وضمّوها إلى بلادهم.

بيد أن **الأتراك** من سكان تركستان الشرقية تمكنوا من الحصول على المعونات العربية الإسلامية سنة ١٣٤ هـ/ ٧٥١م على عهد **الدولة العباسية** في بغداد، وتمكنوا بهذا العون من إنقاذ بلادهم من حكم الصين، وهزموا الصينيين في معركة **(تالاس)** المشهورة. يتضح من ذلك أن الفتح الإسلامي في كاشغر والمدن الأخرى جرى في تركستان الشرقية لا في الصين، ولكن ملك الصين الذي وجد سرعة تقدم الفتوح الإسلامية ووصولها إلى حدوده الغربية مباشرة في حينه، سعى لإرضاء الفاتحين خوفًا من اختراق بلاده وفتحها، فقدم ما قدم لقتيبة إرضاء له ولمن معه من المجاهدين، وصدًّا لتيارهم الجارف بالتي هي أحسن.

أما السبب الحقيقي لعودة قتيبة وجيشه عن حدود الصين الغربية، كما تذكر المصادر التاريخية المعتمدة، هو وصول خبر وفاة الوليد بن عبد الملك، وتولّي سليمان بن عبد الملك الخلافة بعده، وكان ذلك سنة ست وتسعين للهجرة، وكان الوليد مؤيدًا لقتيبة وسندًا له أسوة بقادة الحجاج بن يوسف الثقفي كافة، وكان سليمان يكرههم ولا يميل إليهم!، لأن الوليد بن عبد الملك أراد أن ينزع أخاه سليمان بن عبد الملك عن ولاية العهد ويجعل بدله عبد العزيز ابن الوليد بن عبد الملك (ابنه)، فبايعه على خلع سليمان الحجاجُ وقتيبة وقادة الحجاج الآخرون[1].

وعاد **قتيبة** بمن معه من جيش المسلمين، فقُتل في **فرغانة** سنة ست وتسعين الهجرية، وهو في طريق عودته إلى خراسان، فقال رجل من العجم: يا معشر العرب، **قتلتم قتيبة !** والله لو كان قتيبة منا فمات لجعلناه في تابوت فكنا نستسقي به ونستفتح إذا غزونا ! وقال أحد رجالات العجم بعد مقتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة: يا معشر العرب، قتلتم قتيبة ويزيد وهما سيدا العرب !

كاشغر: مدينة من أشهر مدن تركستان الشرقية وأهمها، وكانت عاصمة تركستان الشرقية، ولها مركز عظيم في التجارة مع روسيا وقد اجتاحت تركستان الشرقية القوات الصينية الشيوعية سنة ١٩٤٩م واحتلتها، فأطلق عليها الصينيون اسم (سينكيانج) وهي كلمة صينية تعني: المستعمرة الجديدة، وتبعهم بهذه التسمية الأوروبيون وبعض المصادر العربية الحديثة، إلا أن أهل تركستان الشرقية المسلمون يحبون أن تسمى بلادهم باسمها القديم: تركستان الشرقية، ولا يحبون تسميتها بالاسم الصيني الجديد.

وقد لعبت تركستان الشرقية دورًا تاريخيًا مهمًا في التجارة العالمية، وكان **طريق الحرير** المشهور يمر بها، وهو الطريق الذي كان يربط بين الصين أبعد بلاد العالم القديم والدولة البيزنطية.

١- إسماعيل حقي شن كولر – قضية تركستان الشرقية، ص ٦٤-٦٥.

أحد الجوامع القديمة في كاشغر (تركستان الشرقية بالصين)

يقع **وادي فرغانة** بين ثلاث دول في أواسط آسيا، وتقتسمه كل من أوزبكستان، وقيرغيزستان، و طاجيكستان و يرتفع حوالي ١٢٠٠ إلى ١٥٠٠ قدم "٤٦٠ م" عن سطح البحر. وتحيط بالوادي الجبال من ثلاث جهات، حيث تحده من الشمال الغربي جبال كُرماين، و جبال شاتقال من جهة الشمال، وجبال فرغانة من الشرق، وجبال آلاي وتركستان من الجنوب. يبلغ طوله نحو مئة وخمسين كم ونحو٣٠٠كم في العرض و مفتوح من جهة الجنوب الغربي بما يعرف ببوابة چودشاند والتي يبلغ عرضها ٩ كم.

يعد الوادي من أخصب المناطق في تركستان، و يستمد خصوبته من نهري نارين، وقارا داريا، و اللذان يلتقيان قرب مدينة نمنان ليشكلا نهر "سير داريا" أوما يعرف تاريخيًا **بنهر سيحون**. يُعد الوادي مصدرًا غنيًا للمحصولات الزراعية المتنوعة، وأرضًا مثالية للرعي.



وادي فرغانة

الأتراك في العصر العباسي

عُرِف العصر العباسي الثاني بعصر "**نفوذ الأتراك**" منذ خلافة المتوكل سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م، حتى خلافة المستكفي بالله سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م، حيث تمت الاستعانة بالعنصر التركي المسلم من إقليم "تركستان" و"بلاد ما وراء النهر"، منذ عهد المأمون والمعتصم في العصر "العباسي الأول"، وقد فتح الخليفة المعتصم الأبواب مشرعة أمام النفوذ التركي وأسند إليهم مناصب الدولة القيادية، وأصبحوا بذلك يشاركون في تصريف شؤون الدولة، وكانت سياسة المعتصم تهدف إلى تقليص النفوذ الفارسي، الذي كان له اليد المطلقة في إدارة الدولة العباسية منذ عهد الخليفة المأمون.

وقد تسبب اهتمام المعتصم بالعساكر الأتراك إلى حالة سخط شديدة بين الناس والجند، فخشي المعتصم من نقمة الناس عليه، فأسس مدينة جديدة هي **(سامراء)**، تبعد عن بغداد حوالي ١٢٥كم وسكنها هو وجنده وأنصاره. ثم أخذ عدد الأتراك يتزايد شيئًا فشيئًا في بلاط الخلفاء والأمراء العباسيين وشرعوا في تولي المناصب القيادية والإدارية في الدولة؛ فكان منهم الجند والقادة والكتاب. وقد التزموا بخدمة الدولة والحفاظ على مكتسباتها حتى نالوا أعلى المراتب.

بيد أن الأمور قد تغيرت فيما بعد حينما ظهرت بوادر غير إيجابية تمثلت بقيام القادة الأتراك على **قتل الخليفة المتوكل على الله** في الخامس عشر من شهر شوال سنة ٢٤٧هـ، ومن ثم أصبح الخليفة طوع إرادتهم وأسير هواهم، وقد عبر عن ذلك شاعر فقال:

خليفة في قفص ... بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له ... كما تقول الببغا

وقد أصبح مصير الخلافة في أيديهم، فمن شاءوا خلعوه ثم قتلوه، ومن شاءوا ألزموه خلع نفسه وسملوه وصادروا أمواله. وحين خلع الخليفة أحمد المستعين بالله، وهو أول خليفة خلع، لم يلبث أن قتل بعد خلعه. وحصرت وظيفة السلطان بعائلة بغا التركي، مما مهد لظهور الفتن بين الأتراك أنفسهم، فحاصر المتمردون قصر الخليفة في سامراء فهرب إلى بغداد، عندها بايع الجند الثوّار المعتز بالله خليفة، فأرسل جيشًا بخمسين ألف مقاتل إلى بغداد، التي قام أهلها بخلع المستعين ومبايعة المعتز، حقنًا للدماء، بل إن المستعين نفسه بايع المعتز، إلا أن الخليفة الجديد قتل سلفه.

وهكذا **بدأ الأتراك** منذ ذلك التاريخ في الظهور في أدوار مهمة على مسرح التاريخ الإسلامي حتى أسسوا لهم دولة إسلامية كبيرة كانت على صلة قوية بخلفاء الدولة العباسية عرفت **بالدولة السلجوقية** سنتحدث عنها في هذا الأطلس-إن شاء الله-.



لقد تفوقت سر من رأى على سائر المدن العباسية بقصورها ومساجدها وحدائقها، وبكل مظهر من مظاهر الترف والنعيم. وشاء الله أن تكون سامراء عاصمة الدولة العظمى ؛ لثامن الخلفاء العباسيين المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد ، فمنها تُنظم حياة الأمة - السياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية....إلخ - من سواحل المحيط الأطلسي غرباً حتى تخوم الصين شرقاً ، على الرغم من اختلاف أجناس الناس ، واختلاف مشاربهم ولغاتهم . والجدير بالذكر فإن هذه العاصمة كان لها الجهد الكبير في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وتطورها العلمي والديني فضلا عن العمران الذي تمثل في قصورها ، مما جعلها من أمهات العواصم آنذاك . إلا أنها في نهاية القرن الثالث خربت وهُجرت ولم تعد كما كانت ، وذلك بسبب عودة الخلافة إلى بغداد، حيث استعادت مكانتها لتكون حاضرة الدنيا . د . رفيق السامرائي، سر من رأى التأريخ والحضارة، جزء مستل من كتاب الدكتور عن مدرسة الحديث في سامراء .

اللغات التركية اليوم

اللغات التركية : هي عائلة لغوية لـ ٣٠ لغة، يتحدث بها في مناطق شاسعة من العالم، تمتد من أوروبا الشرقية مرورًا بحوض البحر الأبيض المتوسط إلى سيبيريا وغربي الصين، والأطراف الشمالية من جنوبي أسيا والشرق الأوسط.

ويتحدث نحو ١٦٥ مليون شخصًا إحدى اللغات التركية كلغة أم، بالإضافة لـ ٢٠ مليون شخص يتحدثونها كلغة ثانية. بينما يشكل المتحدثون بالتركية الأناضولية (أو اللغة التركية للجمهورية التركية) ٤٠٪ من إجمالي متحدثي اللغات التركية اليوم.

وفي الوقت الحالي، هناك ست دول تركية مستقلة في قارة آسيا: أذربيجان وكازاخستان وقرغيزستان وتركمانستان وتركيا وأوزبكستان. بالإضافة إلى مقاطعات تركية ذات حكم ذاتي: روسيا الاتحادية تتضمن باشكورتوستان وتتارستان وجواشيا وخقاسيا وتوفا وجمهورية ألطاي وقبردينو - بلقاريا وقراتشاي - تشيركيسيا. وجميع هذه المناطق ذات الحكم الذاتي؛ لديها علم وبرلمان وقوانين ولغة رسمية خاصة بها بالإضافة للغة الروسية. وفي غربي الصين منطقة سينكيانغ (تركستان الشرقية) الذاتية الحكم ومنطقة كاكاوزيا الذاتية الحكم في شرقي مولدافيا وتجاورها أوكرانيا من الحدود الشمالية. وجمهورية القرم ذات الاستقلال الذاتي في أوكرانيا، وهو موطن شعب تتار القرم. بالإضافة لذلك، هناك العديد من المناطق التي يسكنها الأتراك في العراق وإيران وجورجيا وبلغاريا وجمهورية مقدونيا وطاجيكستان وأفغانستان وغربي منغوليا.

إلا من الأهمية بمكان تبيين أن من أكبر المجموعات العرقية التركية في العالم هم الأتراك، حيث تعدادهم ٥٧،٧١١،٠٠٠ تقريبًا منهم ٥١،٧٢٤،٠٠٠ يعيشون في تركيا (أي ما يعادل ٧٠٪ من إجمالي سكان تركيا تقريبًا)، ويأتي الأذريون في المرتبة الثانية، حيث تعدادهم ٢٩،٧٨٦،٠٠٠ تقريبًا، معظمهم يسكنون في أذربيجان الإيرانية (أذربيجان الشرقية) شمال غربي إيران وجمهورية أذربيجان. د. محمد صراي، المرجع السابق.

تعد **لغة التركمان الأوغوز** إحدى فروع اللغة التركية، وكانت لغة من يقطن غربي آسيا وأوروبا الشرقية منذ القرن الخامس الهجري، وهي تتبع الفرع اليائي من القسم الثاني الكبير من أقسام اللغة التركية.

والقسم اليائي: هو أكبر الأقسام في الوقت الحالي؛ لأنه ينتشر في بقاع شاسعة في آسيا وأوروبا، وقد استخرج محمود الكاشغري مقياسًا تفرّع بمقتضاه القسم اليائي إلى فرعين: «قلفان» و«قالان» ويضم القالان أوغوز القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي وأعقابهم، سواءًا كانوا خلصًا أو مولدين وهم التركمان والأذريون وغيرهم.

الشمال

أوروبا

آسيا

إفريقيا

أُستراليا

الخريطة

لغة أولى

لغة ثانية

لغة ثالثة

لغة رابعة

الـدول ومناطق الحكـم الذاتي التـي تتحدث إحدى اللغات التركية كلغة رسمية في العالم.



تمركز الشعوب التركية في القارة الآسيوية



الباب الثاني



الســـلاجقة الأتــــراك



الدولة السلجوقية التركية

يطلق **مصطلح السلاجقة** على مؤسسي الدولة السلجوقية، وهي من أهم الدول الإسلامية التي ظهرت على مسرح التاريخ في العصر العباسي الثاني، حيث اشتبكت في قتال مع الغرب النصراني الذي أدى إلى قيام الحروب الصليبية آنذاك.

والسلاجقة: مجموعة من القبائل التركية التي تنتمي في الأصل إلى طائفة (الأوغوز)- التي تحدثنا عنها في الباب الأول من هذا الأطلس- حيث استقرت في إقليم بلاد ما وراء النهر في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين بعد أن أسلمت وحسن إسلامها، ثم انتقلت بعد سنوات قليلة إلى **خراسان** وكونت جيشًا قويًا تمكنت به من دخول مدينة **نيسابور** سنة ٤٢٩هـ ١٠٢٧م، فأعلن زعيمها **طغرل بك** قيام دولة السلاجقة ونادى بنفسه سلطانًا على هذه الدولة، وكان قيام دولة السلاجقة حدثًا بارزًا في تاريخ إيران والعراق بخاصة، وفي تاريخ العالم الإسلامي بعامة، وكانت موقعة **(داندا نقان)** (٤٣١هـ ١٠٢٩م) من المواقع الحاسمة الفاصلة في تاريخ كل من الغزنويين والسلاجقة؛ لأنها كانت موجهة لتاريخ كل من الدولتين، ولقد أدى انتصار السلاجقة إلى ظفرهم بمغانم كثيرة مادية ومعنوية، فأحكموا بعدها سيطرتهم على خراسان وبلاد ما وراء النهر، وظفروا باعتراف الخليفة العباسي وقيام دولتهم وأخذوا يستعدون لبسط سلطانهم على إيران والعراق وآسيا الصغرى والشام[١].

وفي غمرة الصراع بين السلاجقة والغزنويين في خراسان استطاع **طغرل بك** أن يؤسس لنفسه سلطنة في العراق إلى جانب الخليفة العباسي «القائم» (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١-١٠٧٥م). وظلت خراسان تتبع الدولة السلجوقية في العراق، وكان السلاجقة أيضًا يغيرون من خراسان إلى ما وراء النهر لقتال الإيلخانية حلفائهم القدامى بحجة أن السلاجقة يمثلون الخليفة العباسي، فاحتلوا سمرقند، وأوصلوا سلطتهم إلى شرق ما وراء النهر (٤٨٢هـ/١٠٨٩م). وكان طغرل بك قد قدم بالسلاجقة إلى بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٠٥م لإنقاذ الخليفة من قائد يدعى **«البساسيري»** كان يعمل على الدعوة في بغداد **للدولة العبيدية** في مصر، واضطره إلى الفرار، وعاد طغرل بك إلى حاضرته **الري**.

وقدم **طغرل بك ثانية** بعد عامين إلى بغداد بعد أن استأذن الخليفة بالقدوم، ولما قدمها بموكب فخم استقبله الخليفة ولقبه **«سلطان المشرق والمغرب»**، وكان ذلك إيذانًا بقيام سلطنة السلاجقة في العراق، ودخول الخلافة العباسية في عهد جديد دعي بعصر النفوذ السلجوقي[٢]. كما استردوا **مكة والمدينة** من سلطة العبيديين الشيعة. ونتيجة للأوضاع السيئة التي كانت تسيِّر الأوضاع من قبل العبيديين والحركات الباطنية الأخرى إضافة إلى ضعف مركز الخلافة في بغداد أدى إلى مواجهة **سلاجقة الروم** في بادئ الأمر للخطر الفرنجي في آسيا الصغرى (الحروب الصليبية).

---

١ - أ. د. عزت الصاوي، الدولة السلجوقية التركية، وزارة الأوقاف المصرية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٢ - مظهر شهاب، الموسوعة العربية، مج ١١، ص ٤٠.

يُطلق على عهود سلاطين **السلاجقة في العراق** - السبعة الأوائل - عصر السلاجقة العظام (بين ٤٤٧-٥٥٢هـ/١٠٥٧-١١٥٧م) لأن سلطتهم كانت تمتد من بلاد الشام إلى حدود الصين. أما من جاء بعدهم من السلاطين فقد أشغلتهم الحروب فيما بينهم، وانفصلت عن سلطتهم بعض المناطق. وكان عصر ثالث السلاطين العظام **ملكشاه** (٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٣-١٠٩٢م) **العصر الذهبي** لسلطنة سلاجقة العراق، وقد اهتم السلطان بالإصلاح ونشر العدل والأمن، وشق عددًا من الطرق، كما خفف بعض الضرائب. وبنى وزيره المصلح «**نظام الملك**» عددًا من المدارس في أنحاء مختلفة، وقد دعيت هذه المدارس بالمدارس النظامية نسبة إليه، مما أدى إلى انتشار العلم ولاسيما علمي الفلك والرياضيات[١].

استطاع شقيق ملكشاه **تتش** دخول دمشق سنة ٤٦٨ هـ/١٠٧٥م، وكان قد سبقه إليها قائده **آتسز** في العام نفسه **وأنهى حكم العبيديين فيها**، وحاول تتش أن يتوسع في بلاد الشام فدخل حلب (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ولما حاول أن ينازع ابن أخيه **بركيارق** بن ملكشاه (٤٨٧-٤٩٨هـ/١٠٩٤-١١٠٤م) على السلطنة. قُتل في إيران سنة ٤٨٨ هـ/١٠٩٥م قرب الري، وخلف تتش على حكم حلب ابنه **رضوان** كما حكم ابنه الآخر **دقاق** دمشق، وخلف دقاق عند وفاته سنة ٤٩٧هـ/١١٠٥م قائد جيشه **طغتكين** وبه يبدأ **حكم الأتابكة** بدمشق. كما انتقل حكم حلب عند وفاة رضوان (٥٠٧هـ/١١١٣م) إلى واحدٍ من أتابكته، وكان سلاجقة الشام قد أسهموا في قتال الفرنجة في الحملة الصليبية الأولى.

أما **سلاجقة كرمان** في جنوب غربي إيران فيعود تأسيسها إلى أحد أمراء السلاجقة ويدعى قاورت ابن داوُد بن ميكائيل في حاضرته التي تحمل الاسم نفسه (كرمان) من أيام ثاني السلاجقة العظام ألب أرسلان ٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م، وانفصل قاورت عن السلطة السلجوقية سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م، وأسس سلالة حاكمة فيها، وتوالى على الحكم فيها أحد عشر أميرًا إلى أن انتقل الحكم إلى أحد أتابكتهم سنة ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م، وقد اهتم سلاجقة كرمان بإعمار المنطقة وبالزراعة، ولاسيما زراعة النخيل وتربية المواشي.

وكان النصر الذي أحرزه **ألب أرسلان** سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م على البيزنطيين وأسره الإمبراطور البيزنطي في معركة ملا ذكرت (ملاذكرد)، بين بحيرة **وان** ومدينة **أرض روم**، سببًا في قيام دولة سلجوقية جديدة في آسيا الصغرى (الأناضول)، كان حاكمها الأول سليمان بن قتلمش ابن عم ألب أرسلان (٤٧٠-٤٧٩هـ/١٠٧٧-١٠٨٦م). وتعززت الدولة الجديدة بما كان يصل إلى الأناضول من قبائل تركية. **وبدأت منذ ذلك الحين آسيا الصغرى تتحول من رومية بيزنطية إلى تركية**[٢].

---

١ - ٢، مظهر شهاب: الموسوعة العربية، مج ١١، ص ٤٠.

زحف **مسعود الغزنوي** بجيوشه نحو خراسان واشتبك مع **السلاجقة** في معركة حاسمة في مكان يعرف باسم **دَنْدانقان**، انتهت بهزيمة الغزنويين وكان ذلك سنة ٤٣١هـ، لم يلبث السلطان مسعود أن لقي مصرعه سنة ٤٣٢هـ، فخلفه ابنه مودود، وقد أصبح السلاجقة بعد معركة دَنْدانقان أكبر قوة في خراسان في حين كان الغزنويون **قد ضعفوا** بعد أن فقدوا غالبية جيوشهم وخسروا العديد من ممتلكاتهم، واستطاع الغوريون في أفغانستان من الاستيلاء على **أملاكهم في الهند سنة ٥٨٢هـ**.



دينار سلجوقي ضرب نيسابور ٤٣٣هـ ركن الدين (طغرل بك).

أقصى مدى لدولة السلاجقة الأتراك في القرن الخامس الهجري

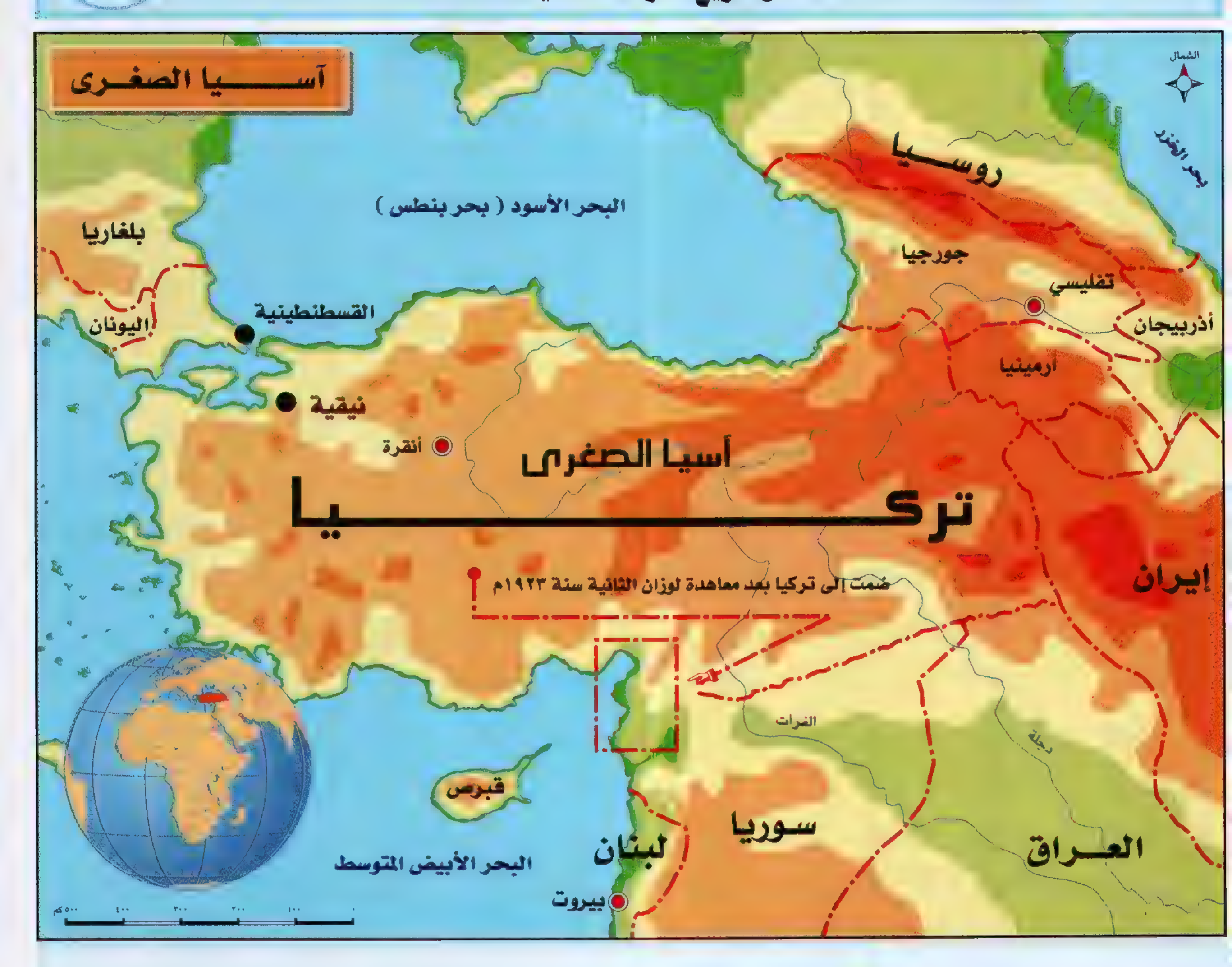
موجز تاريخ آســـيا الصغــرى

تُعد **الإمبراطوريـة الحثية** التي نشأت في آسيا الصغـرى ووصلت حدودها الجنوبية إلى وسط سوريــة، وعاشـت نحو ألف عام (٢٢٠٠-١٢٠٠ق.م) من أبـرز الإمبراطوريات التي ظهرت في المنطقة قوة ونفوذًا وحضارة، وكانت عاصمتها حاتوشا (بوغازكوي) قرب أنقرة. ظهرت بعدها ممالك صغيرة مثـل: أورارتو وفريجية وليدية وغيرهـا من ممالك قامت على أنقاض الإمبراطورية الحثية، وعاشت حتـى داهمهـا الغـزو الفارسـي- الأخمينـي، وظلـت محتلـة مـن الأخمينيين مـدة تزيد علـى القرنين (٥٤٦-٣٣٤ق.م). وفـي عام ٣٣٤ ق.م غزاها **اليونان المقدونيـون** من جهة الغرب بقيادة الإسكندر المقـدوني، ودخلت في إمبراطوريته المترامية الأطراف. أعقب ذلك، وبعـد وفاة الإسكندر صراع نشب بـين ورثته مـن السلوقيين والبرغاميين، كُتب للأخيرين النصر فيه علـى السلوقيين في نهاية المطاف، **بمساعـدة الرومـان** الذين ظهـروا على مسرح أحـداث المنطقة قوة عظمى، وهزمـوا السلوقيين في معركة مغنيسية سنة ١٩٠ق.م، ثم احتلوا المنطقة كلها سنة ١٢٦ق.م وسموها «مقاطعة آسيا الصغرى» واحدة من مقاطعات الإمبراطورية الرومانية. تلى ذلك انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسم غربي وقسـم شرقي، وقيام **الإمبراطوريـة البيزنطيـة** في القسم الأخير وعاصمتها القسطنطينية، التي صـارت مركـز أكبر قوة في المنطقة في مواجهة الإمبراطوريـة الساسانية في الهضبة الإيرانية. وظل البيزنطيـون يحكمـون آسيا الصغرى حتى القرن السابع الميلادي ووصـول الجيوش العربية الإسلامية إلى البقاع الجنوبية الشرقية من الأناضول، بعد انتزاعها بلاد الشام من أيدي البيزنطيين[١].

بقيـت **آسيـا الصغـرى بيزنطية ومسيحية** حتـى أواخر القرن الحادي عشـر الميلادي وانتصار **السلاجقـة الأتـراك** بقيادة ألـب أرسـلان (١٠٦٣-١٠٧٢م) على الروم البيزنطيـين في **معركة ملاذكـرت قرب فان سنة ٤٦٣ هـ/ ١٠٧١م**. وتعـد هذه المعركة من المعارك التاريخية المهمة جدًا فـي تاريخ العالم الإسلامـي والأتراك، لأنها مهدت الطريـق أمام الزحف السلجوقـي، وتدفق القبائل التركيـة والتركمانيـة القادمة من آسيا الوسطى باتجاه الغرب الأناضـولي، وثبّتت أركان الإمبراطورية السلجوقيـة في آسيا الصغرى من جهة، **وساعدت على انتشـار الإسلام في شبه الجزيرة** كلها مـن جهة ثانية. ظهر منها تحالف قبلي مؤلف من قبائـل الأوغوز التركية في غربي الأناضول، استطاع تكوين قوة وصلت إلى السلطة والحكم تحت اسم العثمانيين[٢].

---

١ -٢، عادل عبد السلام، الموسوعة العربية، تركيا، مج ٦، ص ٣٥٥.



آسيـا الصغـرى: مصطلح تاريخـي وجغرافي يطلق على جزء من قارة آسيـا محصور بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود. ويعد ماثلًا لمصطلح الأناضول وهي اليوم الجمهورية التركية.

حدودهـا: يحدهـا البحـر الأسود شمالًا متصـلًا ببحر إيجه غربًـا الذي يربطه ببحر مرمـره، الذي يقع عليهمـا مضيقا البوسفـور والدردنيل والبحر المتوسـط، وسوريا جنوبًا، ويمتد علـى الساحل الجنوبي جبال طوروس، بينمـا تحدها سهول منخفضة من جهـة الشرق وعدة جمهوريات منها، جورجيـا وأرمينيا وإيران والجمهورية العراقية في وقتنا الحاضر.

أطلق الحثيون لفظة (أشوا) على هذه المنطقة، فتحولت إلى (آسيا) في اللغة اليونانية، ومنها انحدر اسم قارة آسيا. ويعود استعمال مصطلح (آسيا الصغرى) إلى القرن الرابع الميلادي من قبل أحد الحكام البيزنطيين آنذاك.

المصدر: الموسوعة العربية الميسرة - دار نهضة لبنان.

معركة ملاذكرت[١] (ملاذكرد) ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م

أغضبت فتوحات القائد السلجوقي ألب أرسلان- رحمه الله - الإمبراطور البيزنطي رومانوس (أرمانوس)، فصمم على القيام بمعركة مضادة للدفاع عن إمبراطوريته، ودخلت قواته في مناوشات ومعارك كان أهمها، **ملاذكرت (ملاذكرد) عام ٤٦٣ هـ**، وحيث تعد معركة "ملاذكرت" من أيام المسلمين الخالدة، مثلها مثل: بدر، واليرموك، والقادسية، وحطين، وعين جالوت، والزلاقة، وغيرها من المعارك الكبرى التي غيّرت وجه التاريخ، وأثّرت في مسيرته، وكان انتصار المسلمين في ملاذكرت نقطة فاصلة؛ حيث قضت على سيطرة دولة الروم البيزنطية على أكثر مناطق آسيا الصغرى وأضعفت قوتها، ولم تعد كما كانت من قبل شوكة في حلق المسلمين، حتى سقطت في النهاية على يد السلطان العثماني المسلم محمد الفاتح.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربع مائة وفيها أقبل ملك الروم أرمانوس في جحافل أمثال الجبال من الروم والكرج والفرنج، وعدد عظيم وعُدد، ومعه خمسة وثلاثون ألفًا من البطارقة، مع كل بطريق مائتا ألف فارس، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفًا، ومن الغزاة الذين يسكنون **القسطنطينية**، خمسة عشر ألفًا، ومعه مائة ألف نقاب وحفار، وألف روزجاري، ومعه أربع مائة عجلة تحمل النعال والمسامير، وألف عجلة تحمل السلاح والسروج والغرادات والمناجيق، منها منجنيق عدة ألف ومائتا رحل، ومن عزمه - قبحه الله - أن يبيد الإسلام وأهله، وقد أقطع بطارقته البلاد حتى بغداد، واستوصى نائبها بالخليفة خيرًا، فقال له: أرفق بذلك الشيخ فإنه صاحبنا، ثم إذا استوثقت ممالك العراق وخراسان لهم مالوا على الشام وأهله ميلة واحدة، فاستعادوه من أيدي المسلمين، قال تعالى: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ الحجر: ٧٢ فالتقاه السلطان **ألب أرسلان** في جيشه وهم قريب من عشرين ألفًا، بمكان يقال له الزهوة، في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة، وخاف السلطان من كثرة جند ملك الروم، فأشار عليه الفقيه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري بأن يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال حين يكون الخطباء يدعون للمجاهدين، فلما كان ذلك الوقت وتواقف الفريقان وتواجه الفتيان، نزل السلطان عن فرسه وسجد لله عزوجل، ومرغ وجهه في التراب ودعا الله واستنصره، فأنزل نصره على المسلمين، ومنحهم أكتافهم فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا، وأسر ملكهم أرمانوس، أسره غلام رومي، فلما أوقف بين يدي الملك ألب أرسلان ضربه بيده ثلاث مقارع وقال: لو كنت أنا الأسير بين يديك ما كنت تفعل؟ قال: كل قبيح، قال: فما ظنك بي؟ فقال: إما أن تقتل وتشهرني في بلادك، وإما أن تعفو وتأخذ الفداء وتعيدني. قال: ما عزمت على غير العفو والفداء. فافتدى نفسه منه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار. فقام بين يدي

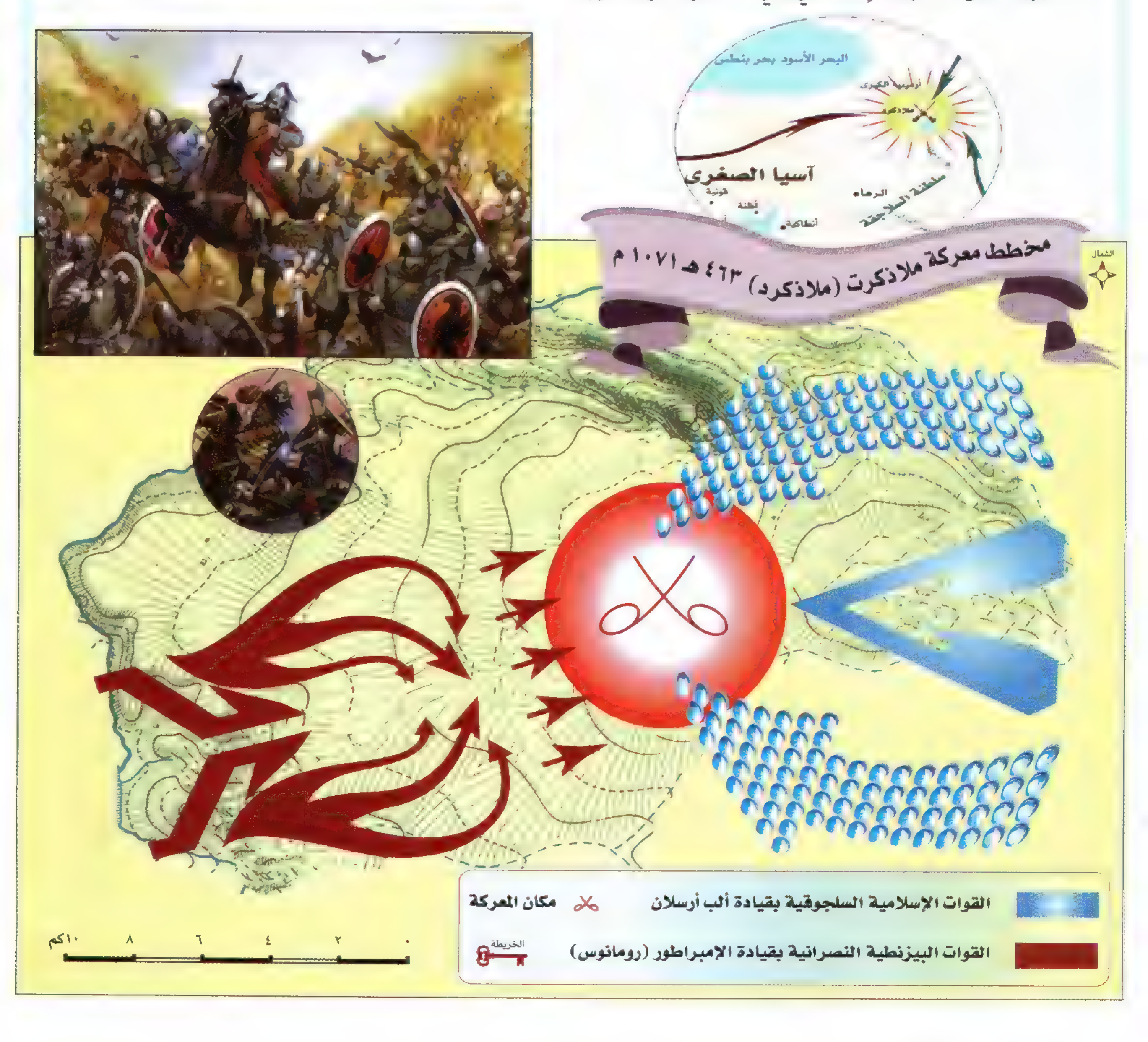
١ - سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ص ١٦ - ١٧ . مكتبة العبيكان .



معركة ملاذكرت (ملاذكرد) سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م
الجيش السلجوقي التركي المسلم
الجيش البيزنطي
الخريطة
بحر بنطس (البحر الأسود)
أرمينية الكبرى
ملاذكرد
القسطنطينية
الإمبراطورية البيزنطية
الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع
نيقية
دورليوم
أفسوس
آسيا الصغرى
قونية
أظنة
أرمينية الصغرى
نهر دجلة
القائد ألب أرسلان
سلطنة السلاجقة
الرها
نهر الفرات
أنطاكية
حمص
طرابلس
بيروت
قبرص
ليماسول
العراق
سوريا
دمشق
صور
عكا
بحر الروم (البحر الشامي البحر الأبيض المتوسط)
الخلافة العباسية
القدس
غزة
الكرك
الدولة العبيدية
إيلة
جزيرة العرب
مصر
صفر
٢٠٠
٤٠٠

الملك وسقاه شربة من ماء وقبَّل الأرض بين يديه، وقبَّل الأرض إلى جهة الخليفة إجلالًا وإكرامًا، وأطلق له الملك عشـرة آلاف دينـار ليتجهز بها، وأطلق معه جماعة من البطارقة وشيعه فرسخًا، وأرسل معه جيشًا يحفظونه إلى بلاده، ومعهم راية مكتوب عليها **لا إله إلا الله محمد رسول الله**، فلما انتهى إلى بلاده وجد الروم قد ملكوا عليهم غيره، فأرسل إلى السلطان يعتذر إليه، وبعث من الذهب والجواهر ما يقارب ثلاث مائة ألف دينار وتزهد ولبس الصوف ثم استغاث بملك الأرمن فأخذه وكحله وأرسله إلى السلطان يتقرب إليه بذلك.

وهذه المعركة هي التي **مهدت للحروب الصليبية** بعد ازدياد قوة السلاجقة المسلمين وعجز دولة الروم عن الوقوف في وجه الدولة الفتية، وترتب على ذلك الحملة الصليبية الأولى. (انظر كتابنا الموسوم أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى).



أتاحت **معركة ملاذكرد ٤٦٣هـ** للسلاجقة الانسياب إلى جوف آسيا الصغرى، وشجعتهم النزاعات والحروب الداخلية التي نشبت بين البيزنطيين على الاستقرار في ربوعها، وتأسيس سلطنة عُرفت في التاريخ باسم "**سلطنة سلاجقة الروم ٤٧٠هـ - ٤٧٩هـ**" أسَّسها **سليمان بن قتلمش الذي يعد بحق جد سلاطين آسيا الصغرى**، أخذ سليمان على عاتقه إدارة شؤون المنطقة الشمالية الغربية **بعد رحيل ألب أرسلان** عن آسيا الصغرى، وعزم على أن يقيم لنفسه **سلطنة في قونية وآقسرا** وغيرها من المدن التي كانت تحت حكم قُتلمش، ويتولى حكمها مع الاعتراف بسيادة ملكشاه سلطان السلاجقة العظام الذي خلف أباه ألب أرسلان وكان الأول قد عهد إليه بإدارة المنطقة لصالح الأتراك، وقد ساعد سليمان على تحقيق غايته عاملان[١]:

أ- التغير الديمغرافي الناتج عن الفتوح، إذ أضحت المناطق الشمالية والشرقية شبه خالية بعد أن هجرها سكانها، ذلك أن القبائل التركية التي ساندت سليمان في فتوحه، كانت تطوق أرجاء الأناضول تلتمس الماء والكلأ، فاضطر السكان إلى مغادرة قراهم ومزارعهم إلى مناطق أكثر أمنًا فدخل إليها **السلاجقة** واستقروا فيها وغيَّروا معالمها.

ب- الأوضاع البيزنطية المضطربة، استفاد السلاجقة خلال الأعوام التي انقضت بعد ملاذكرد من الأوضاع المضطربة داخل الأجهزة البيزنطية، وراحوا يتدخلون في الشؤون الداخلية لأطراف النزاع وظهروا، كحلفاء ومساعدين لبعضهم، مما يسَّر لهم التوغل بعيدًا حتى وصلوا، إلى المقاطعات الغربية في آسيا الصغرى.

وقد ازدادت الفوضى في بلاد الأناضول نتيجة استمرار الانتفاضات على الحكومة المركزية، بالإضافة إلى **التوسع السلجوقي، وفقدت الدولة البيزنطية سيطرتها على المنطقة**، وتعطلت طرق المواصلات بفعل تدمير البدو لها، ولم يكن ثمة سياسة بيزنطية مدروسة، ويبدو أن ما جرى من استخدام القوات التركية هيَّأ **للسلاجقة** الاستقرار والإقامة في غربي آسيا الصغرى، **واعترف الأتراك بسليمان زعيمًا**، ولم تكد تنتهي سنة ٤٧١هـ إلا وكانت حامية **نيقية السلجوقية** قد **أعلنت العصيان على نقفور الثالث** الذي أقامها في هذه المدينة، وبذلك فقدت الإمبراطورية البيزنطية أهم مدنها بعد أن سيطر عليها السلاجقة.

وكان السلطان ملكشاه يراقب تحركات سليمان ونشاطه في آسيا الصغرى عن بعد، ورأى أن يُعَيِّنه حاكمًا على سلاجقة الروم بعد أن ضمَّ إليه قونية وآقسرا وقيصرية وتوابعها، وفي الحقيقة استطاع سليمان أن يضع أساس سلطنة سلاجقة الروم، وأن يجعل من مدينة **نيقية عاصمة** لها[٢].

١، ٢ - د. علي بن محمد الصلابي، دولة السلاجقة، وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، ص ٨٩.

سلاجقة الروم (سلاجقة الأناضول) ٤٧٠ - ٧٠٤ هـ / ١٠٧٧ - ١٣٠٤م

تفرعت **أسرة سلاجقة الروم** عن السلاجقة الكبار على إثر هزيمة الروم البيزنطيين في معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣ هـ/ ١٠٧١ م، حيث ترتب على هذه المعركة صلح وضعه ألب أرسلان، تتوقف بموجبه الحرب خمسين عامًا، وأن يُطلق جميع أسرى المسلمين في بلاد الروم، **ويَمد البيزنطيون جيوش السلاجقة بالجنود متى احتاجوا إلى ذلك**. وبعد هذه المعركة الحاسمة انساح السلاجقة الأتراك في آسيا الصغرى حتى قاربوا حدود القسطنطينية، وأسسوا سلطنتهم الجديدة باسم (سلاجقة الروم). فارتعدت فرائص الإمبراطور البيزنطي، الذي طلب العون من البابا لنجدته.

وحينما أسند **السلطان السلجوقي ملكشاه** المناطق التي سيطر عليها في بلاد الشام، لأخيه تاج الدولة تتمش سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م، من أجل متابعة الفتح. أسس هذا الأخير دولة سلاجقة الشام، كما عين ملكشاه أحد أقاربه ويدعى سليمان بن قتلمش بن إسرائيل واليًا على آسيا الصغرى التي كانت تتبع بلاد الروم، لمتابعة الفتح سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م، فأسس دولة **سلاجقة الروم**، وقد استمرت أكثر من قرنين ونيف ليتعاقب على حكمها أربعة عشر حاكمًا من سليلة أبي الفوارس قتلمش بن إسرائيل، وكان أولهم سليمان بن قتلمش الذي يعد مؤسس الدولة، وقد تمكن من فتح أنطاكية سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م، كما تمكن ابنه داود من السيطرة على **قونية** سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م ليتخذها عاصمة له. وكانت قونية من أغنى وأجمل المدن البيزنطية في آسيا الصغرى؛ وقد حولها السلاجقة من مدينة بيزنطية مسيحية إلى مدينة سلجوقية إسلامية. وقد سقطت هذه الدولة على يد المغول سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، وأصبحت فيما بعد من أملاك الدولة العثمانية[(١)].

بيد أن سلاجقة الروم حريصون على تتريك آسيا الصغرى، ونشر الإسلام فيها على المذهب السُّنِّي، وكانوا سببًا في نقل الحضارة الاسلامية إلى تلك الأقاليم، وأسقطوا الخط الدفاعي الذي كان يحمي المسيحية من أوروبا ضد الإسلام في الشرق.

بلغت دولة سلاجقة الروم أوجها في عهد **قلج أرسلان الثاني** (١١٥٦-١١٩٢ م) الذي استطاع القضاء على **دولة الدانشمانيين** سنة ١١٧٨م. ثم قسمت الدولة بين أبنائه الاثنا عشر سنة ١١٩٢م، وقد أعاد غياث الدين كخسرو (١٢٠٤-١٢١١م) توحيد المملكة بعدها. ثم عادت الدولة لتحيا مجدًا جديدًا في عهد كل من عز الدين كيكاووس (١٢١١-١٢١٩م) ثم علاء الدين كيقباذ (١٢١٩-١٢٣٧م).

وبرغم احتفاظ الإدارة المركزية للدولة السلجوقية بقوتها، رغم مشكلاتها المتعددة، حتى كانت **غارات المغول** التي مزقتها على إثر **معركة كوسى داغ** في سنة ٦٤١ هـ/١٢٤٣م، واستقر المغول في مناطق الأطراف الشرقية للأناضول ممهدين السبيل، فيما بعد، لحدوث تطورات جديدة مستقلة، أو شبه مستقلة، تعيش على المراعي الواقعة في وسط الأناضول وتتمتع بخصائص مشتركة[(٢)].

١ - د. على الصلاّبي، الدول العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط، ص ٢٩ - ٣٠.

١ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص ٢١.

الدولة العباسية في العصر السلجوقي

الدولة البيزنطية

مناطق نزاع بين البيزنطيين والمسلمين

سلاجقة الروم

مملكة أرمينيا الصغرى

بحر بنطس (البحر الأسود)

البحر الشامي (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)

أوروبا
القسطنطينية
ب . مرمره
بورصة
أزمير
بحر إيجه
رودس
فتحية
أنطاليا
خليج أنطاليا
سينوب
إمارة طرابزون
طرابزون
باطوم
أرضروم
إمارة دانشمند
آسيا الصغرى
أنقرة
عموريه
قيصرية
سلاجقة الروم
قونية
هرقلية
بوزيازي
طرسوس
أضنة
المصيصة
خليج إسكندرون
ملطية
زبطرة
الحدث
مرعش
نهر الفرات
سميساط
ديار بكر
ماردين
القامشلي
الرها
منبج
مرج دابق
أنطاكيا
حلب
الحسكة
الموصل
أربيل
الرقة
كركوك
دير الزور
الجزيرة الفراتية
اللاذقية
نهر العاصي
حماة
حمص
بلاد الشام
طرابلس
بيروت
صيدا
دمشق
الدولة العباسية
العراق
أرض الأكراد
نهر دجلة
قبرص

السلاجقة الأتراك في آسيا الصغرى (سلاجقة الروم)

انتشرت في **الأناضول** خلال العهد السلجوقي مدن صغيرة تُسمَّى "**الهان**"، التي كانت تحاول تقديم جميع الخدمات للمسافرين المارين بها. حيث كان التجار يأكلون ويَستحمون ويُنظمون سلعهم ويُصلحون عرباتهم ويَعتنون بحيواناتهم (وربما كان عدد الحيوانات في الهان يُقارب ضعف عدد البشر). الباحثون ليسوا متأكدين بعد من الطريقة التي كانت تنظم بها بلدات الهان لكي تلائم كلا الحيوانات والبشر، لكن يَعتقد البعض بأنهم كانوا يُفصلون عن بعضهم حيث تمكث الحيوانات في الفناء بينما يَجلس المسافرون في حجيرات مجاورة. الدولة السلجوقية، موقع الشبكة العنكبوتية.





بني هذا الخان سنة ١٢٢٩م بأمر السلطان على الطريق بين مدينتي **قونية** وأكساري.



لمَّا وصلت الحملة الشعبية الصليبية القسطنطينية، رأى الإمبراطور إلكسس كومين، أن يتقي شرهم فساعدهم على السير إلى آسيا الصغرى، وحققوا بعض انتصارات محلية على السلاجقة، مما جعلهم يغترون بقوتهم ويتمادون في الإغارة على أراضي السلاجقة، وانتهز الصليبيون – وكانت عدتهم ٢٥٠٠٠ (فارس) عدا الأعداد الضخمة من المشاة المعدمين – فرصة ذهاب بطرس الناسك إلى القسطنطينية لمقابلة الإمبراطور، وقرروا الزحف على نيقية، حيث قابلهم المسلمون السلاجقة سنة (٤٨٩هـ / ١٠٩٦م) وأفنوهم عن بكرة أبيهم؛ باستثناء أعداد قليلة بلغ تعدادها ٣٠٠٠ رجل. وهكذا أخفقت حملة العامة التي قادها بطرس الناسك ووالتر المفلس. كما أخفقت حملات مماثلة أخرى. وكانت هذه الحملات بمثابة الطلائع للحملات الصليبية المنظمة التي قادها الملوك والأمراء الأوروبيون فيما بعد.

الجيش السلجوقي التركي المسلم الذي أحبط آمال قادة الحملة الشعبية عند نيقية

بحر بنطس (البحر الأسود)

سينوب

طربزون

إمارة طرابزون

جورجيا

أرمينيا

الإمبراطورية البيزنطية

القسطنطينية

نيقية

دورليوم

أنقرة

أماسيا

سيواس

ملاذكرت

الدانشمند

ملطية

سلاجقة الروم

قونية

أرمينيا الصغرى

سيس

طرسوس

الرها

أرض الأكراد

الموصل

حلب

أنطاكية

البحر الشامي (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)

الخريطة

- إمارة دانشمند التركية في سيواس
- إمارة دانشمند التركية في ملطية
- إمارة أرمينيا الصغرى في سيس

أبرز المعارك الأولى التي خاضها سلاجقة الروم على أرض الأناضول



الرقعة الجغرافية لسلاجقة الروم على أرض الأناضول (آسيا الصغرى)

بـرزت **سلطنـة سلاجقة الـروم** في آسيا الصغرى كسلطنة قاومت الحمـلات الصليبية، واستطاعت أن تحصرها في الركن الشمالي الغربي من آسيا الصغرى؛ لكن وقعت فيما بعد تحت تدمير الغارات المغولية المتلاحقة.



تحت أسوار القسطنطينية، اجتمع بطرس الناسك مع والتر المفلس وعصابات شعبية أخرى انضمت إليهما بعد ذلك، وكان اجتماع تلك العصابات المختلفة مشجعة لأفرادها، على القيام بالأعمال التي اعتادوها، فأرخوا العنان لغرائزهم الضعيفة، وأخذوا ينهبون ضواحي المدينة الكبيرة، والقرى المجاورة، والكنائس نفسها، مما دعا بالإمبراطور البيزنطي تشجيعهم للانتقال إلى آسيا الصغرى، حيث استطاع رئيس إحدى عصابات الصليبيين (رينالد اللومباردي)، من تمكن قسم من رجاله الألمان والطليان، من احتلال أحد الحصون، في ضواحي نيقية، وهو حصن: كزاريغوردون حيث وضع يده على كثير من الماشية والمؤن. وقد آثرت هذه العصابة البقاء في الحصن، فأرسل رئيسها، يستحث الباقين في قلعة سيفيتوت، للحاق بهم. إلا أن الأتراك لم يمهلوهم، فأقبلوا يحاصرون رينالد ورجاله قبل وصول رفاقهم إليهم، وقد لقي المحاصرون، عنتًا كبيرًا، من جراء نفاذ الماء والمؤن لديهم في أثناء الحصار، وقد مات منهم عددًا كبيرًا، وفي تلك الأثناء، كان **بطرس الناسك** قد عاد إلى القسطنطينية لمقابلة الإمبراطور إلكسس كومنين، فانتهز رجاله الفرصة، بغيابه لمهاجمة مدينة نيقية نفسها، فغادروا سيفيتوت، بعد أن تركوا فيها النساء والأولاد واتجهوا نحو عاصمة قلج أرسلان، فعلم بذلك، القائد التركي، بواسطة عيونه، ونصب لهم كمينًا في وادي دراكون، وقد اغتنم هذا القائد الفرصة، فزحف على قلعة سيفيتوت، ودخلها وقتل من كان فيها، وعندما علم بطرس الناسك من أحد الناجين بذلك، أسرع يخبر الإمبراطور، لكن سلاجقة الروم أخلوا القلعة عائدين إلى نيقية ووراءهم أسراهم في سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م.



خريطة أوروبا في العصر الحديث ليسهل من خلالها توضيح بعض المسميات التاريخية عن انطلاق الحملات الصليبية في العصور الوسطى

الحملة الصليبية الأولى

ســــنة ٤٨٩ هـ - ١٠٩٦ م - ١٠٩٩ م.

قادة الحملة: ريموند دي صنجيل، روبارت كورت هوز، وغود فري بويون، و بوهيوموند.

وصلت هذه الحملة الصليبية إلى أبواب **القسطنطينية** وخاف إمبراطورها منهم، فاتفق مع بعض القادة على أن يمدهم بالمؤن والذخيرة على أن لا يدخلوا المدينة، وأن يردّوا عليه ما يستولون عليه من أملاكه، فاجتازوا البوسفور، ووصلوا إلى **نيقية السلجوقية** فحاصروها، ونقل أميرها **قليج أرسلان** مقره إلى **قونية**، واتفق مع الإمبراطور أن يدخل جنده **نيقية** دون القادمين من أوروبا، وبهذا غضب الصليبيون لأن الإمبراطور بهذا التصرف لم يسمح لهم بنهب المدينة، وبهذا يكون الإمبراطور البيزنطي قد دعم الصليبيين بكل قوته وسار معهم نحو **نيقية**، وحصل خلاف بين الصليبيين القادمين من أوروبا والبيزنطيين، إذ وجد الإمبراطور أنه لا يستطيع التفاهم مع هؤلاء القادمين، فانصرف لاسترداد **آسيا الصغرى من سلاجقة الروم** فاتجه نحو الغرب ودخل **إزمير وأفسوس** وأخذهما من أمراء السلاجقة فيهما لانقطاعهم عن دولة السلاجقة، ولم يعد يدعم الصليبيين، بل حرص أن يضم له ما أخذوه، فكان دعمه بقتال المسلمين بجهات ثانية، ثم بعد مدة عادة لتقديم الدعم [١].

اختلف القادة الصليبيون بعضهم مع بعض، فاتجه بعضهم إلى **الرُها** تلبية لدعوة أميرها فدخلها وأسس بها **إمارة نصرانية لاتينية**، وكان يطمع بتأسيس دولة صليبية في أرمينيا وقد دعمه في الأمر الأرمن. وسار باقي القادة إلى **أنطاكية** فألقوا الحصار عليها ودخلوها عنوة عام ٤٩١ هـ بعد حصار دام سبعة أشهر وقتلوا من أهلها أكثر من عشرة آلاف، ومثلوا بالقتلى وبالناس، وفعلوا أبشع الجرائم، وولوا عليها أحدهم وقد استقبل **النصارى من أهلها والأرمن الصليبيين** بكل ترحاب، ثم اتجهوا بعدها نحو **بيت المقدس**، فسار لقتالهم "**كربوقا**" صاحب الموصل، وصاحب دمشق "**دقاق**"، وصاحب حمص "**جناح الدولة**"، غير أن الصليبيين قد انتصروا عليهم ودخلوا **معرّة النعمان**، ووصلوا إلى **بيت المقدس** ودخلوها عام ٤٩٢ هـ فقتلوا من أهلها أكثر من **سبعين ألفًا**، وخاضت خيولهم ببحر من الدماء، وانتخب **غودفري ملكًا على بيت المقدس**، وأخذ لقب حامي قبر المسيح. وكان العبيديون قد استغلوا تقدم الصليبيين من الشمال، فتقدموا هم من الجنوب ودخلوا بيت المقدس، **وطردوا السلاجقة** منها (قبل وصول الصليبيين إليها)، وجرت مفاوضات بين الأفضل ابن بدر الجمالي الوزير العبيدي وبين الصليبيين، على أن يكون شمالي بلاد الشام للصليبيين، وجنوبيها للعبيديين، ثم نقض الصليبيون العهد عندما شعروا بالنصر [٢].

---

١ -٢، الشيخ، محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، جزء ٦، ص ٢٥٢-٢٥٤.

الحملة الصليبية الأولى

معركة دوريليوم التي حسمت الصراع السلجوقي- الصليبي في الأناضول وتساقطت بعدها المدن السلجوقية في أيدي الصليبيين

سلاجقة الروم (سلاجقة الأناضول) ٤٧٠ - ٧٠٤ هـ

قتلمش (٤٧٠هـ / ١٠٦٠م)
سليمان بن قتلمش ١٠٧٧-١٠٨٦م
داود قليج أرسلان الأول ١٠٩٢-١١٠٧م
ملك شاه الثاني ١١٠٧-١١١٦م
ركن الدين مسعود ١١١٦-١١٥٦م
عز الدين قلج أرسلان الثاني ١١٥٦-١١٩٢م
غياث الدين كيخسرو الأول ١١٩٢-١١٩٦م
ركن الدين سليمان الثاني ١١٩٦-١٢٠٤م
عز الدين قلج أرسلان الثالث ١٢٠٤-١٢٠٥م
غياث الدين كيخسرو الأول (المرة الثانية) ١٢٠٥-١٢١١م
عز الدين كيكاوس الأول ١٢١١-١٢٢٠م
علاء الدين كيقباد الأول ١٢٢٠-١٢٣٧م
غياث الدين كيخسرو الثاني ١٢٣٧-١٢٤٦م
عز الدين كيكاوس الثاني ١٢٤٦-١٢٦٠م
ركن الدين قليج أرسلان الرابع ١٢٤٨-١٢٦٥م
علاء الدين كيقباد الثاني ١٢٤٩-١٢٥٧م
عز الدين كيكاوس الثاني (المرة الثانية) ١٢٥٧-١٢٥٩م
ركن الدين قليج أرسلان الرابع (المرة الثانية) ١٢٥٧-١٢٦٤م
غياث الدين كيخسرو الثالث ١٢٦٥-١٢٨٢م
غياث الدين مسعود الثاني ١٢٨٢-١٢٨٤م
علاء الدين كيقباد الثالث ١٢٨٤-١٣٠١م
غياث الدين مسعود الثاني (المرة الثانية) ١٣٠٣-١٣٠٨م
ثم تولى المغول الأمر، ثم ملوك الطوائف، ثم العثمانيون.

من أبرز حكام **السلاجقة الأتراك** الذين حكموا إيران والعراق وسورية وأجزاء من آسيا الصغرى في أواخر القرن العاشر الميلادي:

أولاً: السلاجقة الكبار وحكموا في الحقبة من ٤٢٩ -٥٥٢ هـ / ١٠٣٧ - ١١٧٥م. ومؤسسها **طغرل بك**، وجغري بك، حفيدا **سلجوق**، واشتهر منهم **ألب أرسلان وملكشاه** وبركياروق.

ثانياً: سلاجقة كرمان، وحكموا من ٤٣٢ - ٥٧٦ هـ/ ١٠٤١ - ١١١٨م. مؤسسها قرة أرسلان.

ثالثاً: سلاجقة الشام، وحكموا من ٤٨٦ - ٥١١ هـ. مؤسسها تتش بن أرسلان.

رابعاً: سلاجقة العراق وكردستان، وحكموا من ٥١١ - ٥٩٠ هـ. مؤسسها مغيث الدين محمود.

خامساً: سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، وحكموا من ٤٧٠ - ٧٠٤ هـ / ١٠٧٧ - ١٣٠٣ م.

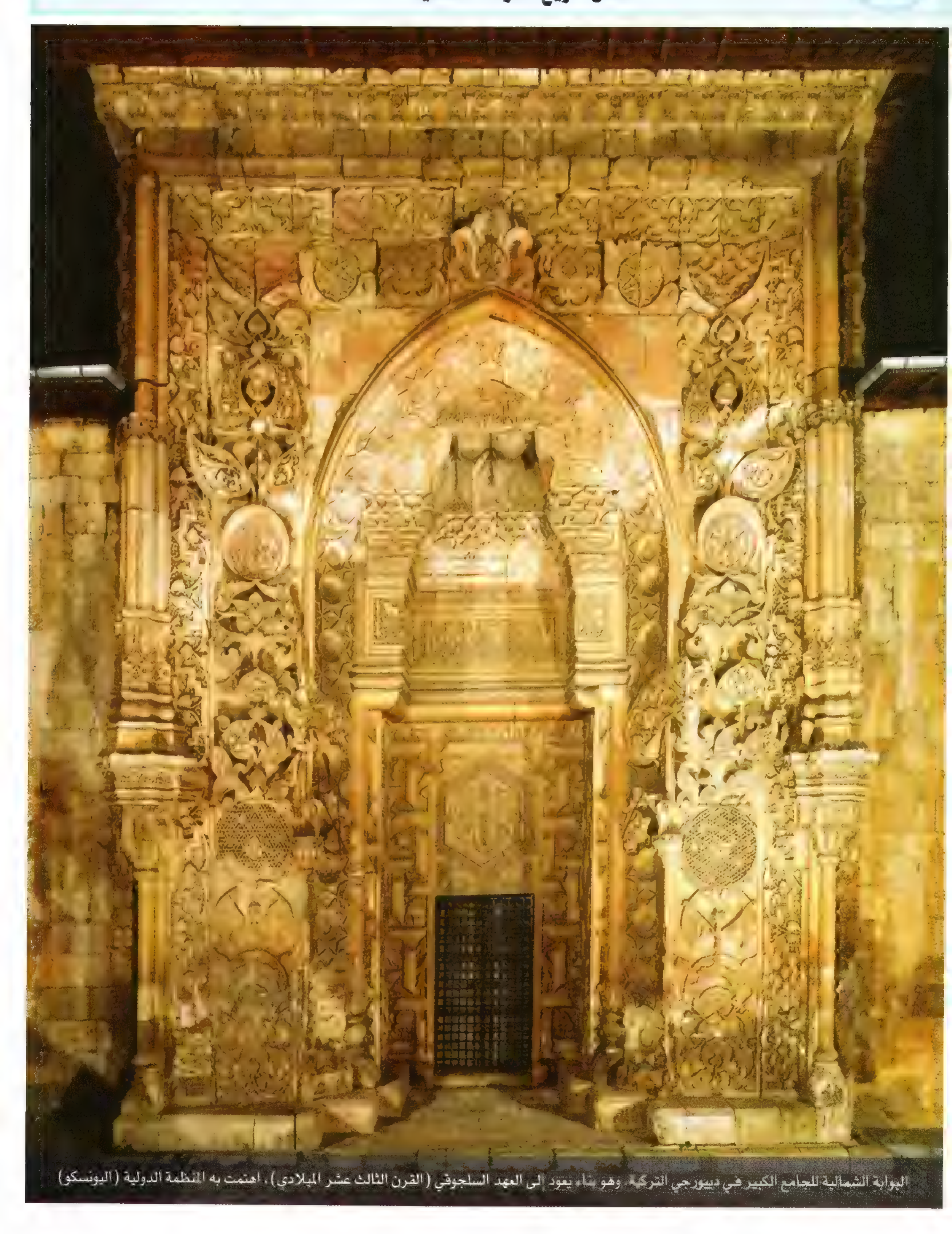
قام أحفاد **سلجوق**، **طغرل بك** (٤٢٩-٤٥٥ هـ) وجغري (٤٣٠-٤٥١ هـ) بتقسيم المملكة السلجوقية إلى قسمين. **القسم الغربي** وقاعدته **أصفهان**، **والقسم الشرقي** وقاعدته **مرو**. وبعد الانتصار على الغزنويين سنة ٤٣١ هـ بالقرب من **دَندانقان**، توسعت مملكة طغرل بك إلى الغرب أكثرحيث ضمت فارس إليها سنة ٤٣٣ هـ، ثم بعض الأجزاء من الأناضول (آسيا الصغرى)، وأخيرًا العراق بعد القضاء على دولة البويهيين فيها حيث دخل طغرل بك بغداد في ٢٥ رمضان ٤٤٧هـ/٢٣ ديسمبر ١٠٥٥م.



فلس سلجوقي من البرونز (عصر سلاجقة الروم) يحمل كتابات عربية، ورسومات للسلطان على فرسه



درهم سلجوقي (عصر سلاجقة الروم) ضرب في سيواس سنة [illegible] م يحمل كتابات عربية، ورسومات لوجه مع الأسد



البوابة الشمالية للجامع الكبير في ديبورجي التركية. وهو بناء يعود إلى العهد السلجوقي (القرن الثالث عشر الميلادي)، اهتمت به المنظمة الدولية (اليونسكو)



فـي آسيـا الصغـرى تعـد **قونيـة** مركـزًا حضاريًـا مهمًـا تضـم رفـات الصوفي جـلال الديـن الرومـي ١٢٠٧-١٢٧٣م، وبمبانيهـا التاريخيـة ولاسيمـا مسجـد عـلاء الديـن، والأسـواق القديمـة، والأبـراج المنيعـة، وهنـاك قصـر السلطـان في قونيـة، والآثـار الفنيـة فـي متاحف قونية وغيرها.

التركمان

بعد دخولهم الأناضول فاتحين؛ انقسموا إلى سكانٍ استقـروا فـي المدن وعملـوا بالتجـارة والصناعـة والحرف المختلفـة وأطلق عليهم اسـم التركمان، وسـكانٍ عملوا علـى تربية الحيوانات وسكنوا الخيـام وأطلق عليهم اسـم **اليـورك**. وقـد استفـاد التركمـان فـي حقبـة الإمبراطوريـة السلجوقيـة ومـا أعقب تفككهـا من ظهـور الإمـارات التركمانية في الأناضول.

فن البناء السلجوقي واضحًا على منارة مسجد علاء الدين في مدينة (قونية) العاصمة السلجوقية

اهتم السلاجقة بجمالية الحرف العربي لذلك أولوه جل عنايتهم كما هو واضح في واجهة الجامع الكبير في ديار بكر





استخدمت **المقرنصات** للمرة الأولى في العهود السلجوقية عنصرًا معماريًا وزخرفيًا وذلك في زوايا القباب لنقل أعلى داخل المبنى من الشكل المربع إلى الشكل المستدير، عوضًا عن المثلثات والحنيات الركنية. وتتجلى تقنيات العمارة في كل من فارس والعراق في استخدام الآجر والقبة مخروطية الشكل والمقرنصات الجميلة والغنية بتعقيداتها التي تثير الإعجاب بجمالياتها، إضافة إلى ذلك الأقواس المدببة.



تأثـــــر **الأتـراك السلاجقـة** خلال هذه الحقبـة بالفن والعمارة الإسـلاميـة، وقاموا أيضًا بأخذ بعضـ الأفكار من الفنانـين الصينيين ومزجوها مع فنهم الإسلامي السائد، فتطورت فنونهم أكثر.

زَخـرَف **السلاجقة** قصورهم برسوم منحوتة وبخطوط زخرفية متنوعـة، وقد طـور حرفيّوهم فـي الفنـون الخزفية والأشغـال المعدنية تقنيـات صنع جديـدة وزخرفـوا أوانيهـم الخزفية بنقوشـ متنوعة (من الملاحم العسكريـة إلى دائرة البروج والتقاويم الفلكيـة)، وكانوا يَصنعون مـن الخـزف أواني الأزهـار والشـرب والأباريـق والسلطانيـات وبألـوان متنوعـة. كانت صناعة القرميد منتشـرة أيضًا في تلك الأوقات، بل إنه كان أكـثر شيوعًـا بكثير من الخـزف، وعلاوة على ذلـك فقد شهد عصـر السلاجقة أول تقدم كبير فـي الفن الإسلامي لصناعة القرميـد، وكان يُستخـدم القرميد عندهـم في زخرفة المساجد والمصليات ومآذنها صانعين به نقوشًا جميلة عليها.

صورة مسجد (المدينة الأثرية العاني) التي تقع بالقرب من الحدود الأرمينية التركية و يعود بناؤه إلى القرن الحادي عشر الميلادي على يد السلاجقة

المماليك ومواجهة التحالف الإيلخاني (مغول فارس) وسلاجقة الروم

كان للهزيمة القاصمة التي نالت المغول في عين جالوت؛ أشد الأثر في نفوس قادة المغول خاصة هولاكو، الذي أصر على معاودة الكرة مرة بعد أخرى على بلاد الشام، لذا سعى بيبرس إلى توسيع شقة الخلاف بين خانات المغول لإضعافهم وصرفهم عن بلاده، وهنا برز ذكاء بيبرس الفذ عندما استطاع استمالة أحد كبار قادة المغول (التتار)، وهو بركة خان وهو ابن عم هولاكو زعيم القبيلة الذهبية في شرقي آسيا الصغرى والقفقاس على دخول الإسلام، ووطد صداقته معه، وأغراه بقتال هولاكو وأبناء عمومته من خانات إيران. وقد أصبح بركة خان مسلمًا صادقًا مخلصًا، فأخذ بيبرس في مراسلته واستمالته لجهاد وقتال هولاكو، وأفهمه ذلك في رسائل متبادلة حتى اقتنع بركة خان بذلك، وأصبح من أكبر أنصار الإسلام والمسلمين، وأخذ في التنسيق مع المسلمين وبيبرس ضد هولاكو الأرعن، واستطاع أن يستميل كثيرًا من المغول بالشام لدخول الإسلام، وأغدق عليهم الهدايا والعطايا فدخلوا في دين الله أفواجًا.

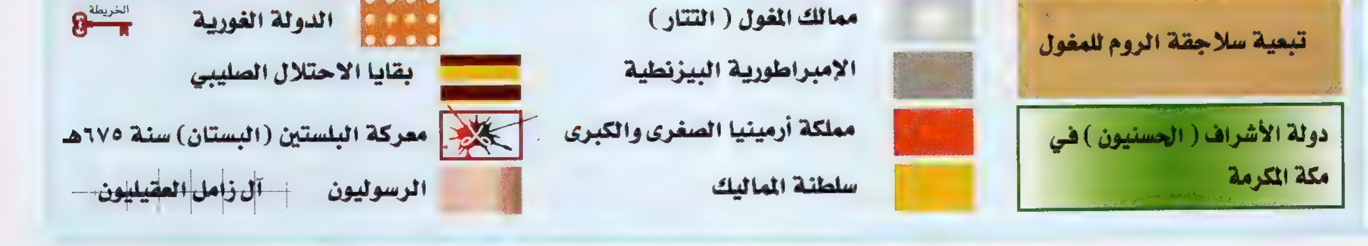
ولما هلك الطاغية هولاكو وتولى من بعده ابنه **أبغا**، وكان أشد من أبيه عداوة للإسلام والمسلمين سعى لتجديد التوسع المغولي بالشام، الذي أصبح من أملاك الدولة المملوكية، وكتب إلى بيبرس يتهدده قائلًا: «**أنت صعلوك حقير، فكيف يصلح لك أن تخالف ملوك الأرض؟ واعلم أنك لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلصت مني، فاعمل لنفسك على مصالحتي**».

فجاء رد **الملك بيبرس** في منتهى العزة: وأعلموه أني من ورائه المطالبة، ولا أزال حتى أنتزع منه جميع البلاد التي استحوذ عليها من بلاد الخليفة وسائر أقطار الأرض، وبالفعل كان الظاهر بيبرس من أشجع أمراء المسلمين في حرب المغول وأنشطهم، وكان لا يسمح لهم بالتجمع، بل يسارع بالانقضاض كالأسد الضاري كما حدث سنة ٦٧١هـ، عندما وصلت لمسامع بيبرس أن طائفة كبيرة من جنود المغول تجمعت عند نهر الفرات، والكرج **وسلاجقة الروم**، أسرع بجيشه وخاض بنفسه وجيشه نهر الفرات، وانقض على المغول فمزقهم تمزيقًا. ثم كانت معركته الشهيرة مع المغول سنة ٦٧٥هـ والمشهورة بموقعة **'البلستين'** (وقد سميت البستان بعد ذلك)، وتقع في **شرقي قيصرية** في آسيا الصغرى بين جبال طوروس والقسم الأعلى من نهر جيحان، وهي من مدن الثغور. وكان مع جيش المغول فرقة كبيرة من الكرج والأرمن وسلاجقة الروم، وكانت معركة رهيبة استشهد فيها الكثير من أبطال المسلمين وقادتهم، وصبر المسلمون صبرًا بليغًا حتى أنزل الله -عز وجل- عليهم نصره، وكسروا المغول كسرة قريبة من يوم عين جالوت، **ومع ضعف المغول زالت دولة سلاجقة الروم سنة ٧٠٤ هـ**، وقامت إمارات عدة في بلاد الأناضول.

قوات المماليك بقيادة الظاهر بيبرس

القوات المغولية - السلجوقية المشتركة بقيادة القائدين تودان نوين، وتوغو آغا.

معركة البلستين (البستان) سنة ٦٥٧هـ/١٢٧٥م بين المماليك والقوات المغولية - السلجوقية المشتركة



سقوط دولة سلاجقة الروم وقيام الإمارات التركية في بلاد الأناضول[1]

أخذت **الإمارات التركمانية** الناشئة في بلاد الأناضول تتنافس فيما بينها، على امتداد الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، حتى أضحى القطاع الجبلي من البحر الأسود شمالًا والمناطق الجبلية الممتدة من قسطموني إلى أنطاليا في الجنوب، تعج بهم. والتحق بهذا الوسط الإماراتي أعداد كبيرة من الفقهاء والدراويش والمتصوفة، وقد قاموا بدور روحي مهم في تحويل تقاليد الفتوة، التي عرفها المجتمع السلجوقي المسلم، إلى فكرة الجهاد الديني، كما تدفقت على المجتمع الجديد مجموعات مختلفة من علماء وصناع وتجار ومزارعين وقد تركوا مناطق سكنهم في وسط الأناضول ونزحوا إلى الأماكن الجديدة، أملًا في الاستفادة من إمكاناتها، فاستقروا في المدن الواقعة هناك وشكلوا البنية التحتية في اقتصاد الإمارات التركمانية التي استقلت حديثًا، وظهرت نتيجة ذلك تنظيمات اجتماعية جديدة نفذت إلى قلب المجتمع الإماراتي وأثرت في الأمراء والعائلات، وعملت على الحد من تأثير العناصر غير السُّنِّية وضبط التوازن، منها فرق دراويش الطريقة المولوية الذين أقاموا التكايا المولوية في عواصم الإمارات.

وكانت الدولة السلجوقية قد انحصرت في وسط الأناضول وقبلت السيادة المغولية الإيلخانية، في حين كانت الإمارات التركمانية التابعة اسميًا للسلاجقة تحاول استغلال الأزمة السياسية التي تعيشها الدولة البيزنطية بعد أن ضعفت قوتها المركزية، فبدأت نشاطًا مكثفًا في غربي الأناضول، وأخذت تتشكل كدويلات صغيرة.

وعندما زالت **الدولة السلجوقية الرومية** في سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م، توزعت أملاكها في الأناضول على هذه الإمارات الصغيرة التي تتفق حدودها مع حدود المقاطعات اليونانية القديمة في آسيا الصغرى، وهذه الإمارات هي:

١. **إمارة القرمان:** كان أمراء القرمان، الذين ادعوا الحق في ميراث الدولة السلجوقية الرومية، قد سيطروا على مناطق واسعة في الأناضول، ونجحوا في اكتساب موقع متفوق، وأسسوا الإمارة القرمانية. واستنادًا إلى المعلومات المتاحة، فقد توغل القرمانيون بعيدًا في الأناضول، ووصلوا إلى ما وراء أنقرة، واستغلوا زوال الدولة السلجوقية الرومية لرفع تبيعتهم عنها، كما استغلوا حدوث الاضطرابات في بلاد الإيلخانيين في إيران ليبسطوا سيطرتهم على قونية. ودلالة على السطوة التي بلغوها، أن جميع أمراء

١ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص ٢١ - ٢٤.

الأناضـول الغربي كانوا يدفعون لهم الجـزية، ولعل أهم الخصائص المميزة لهم، بالإضـافة إلى القـوة السياسية، أنهم استخدموا **اللغة التركية** كلغة رسمية لأول مرة، واحتذت حذوهم الإمارات الأخرى.

٢. إمارة كرميان: ظهرت هذه الإمارة في مدينة **كوتاهية** وأطرافها على الحدود البيزنطية، وسعى الكرميانيـون إلى التمدد باتجاه الغرب، فنافسـوا الإمارة القرمانية، غير أن مفهوم الوراثة عند الأتراك أدى إلى تقسيـم أراضـي هذه الإمارة، ما أضعـف الكرميانيين وساعد على قيـام تجمعات تركمانية في مناطق نفوذهم على شكل إمارات مستقلة على ساحل بحر إيجة، أشهرها:

- **إمارة قرة سـي، في مدينة برغمة.**
- **إمارة آيديـن، في مدينة إزمير.**
- **إمارة صاروخان، في مدينة مغنيسيا.**

كانـت هـذه الإمـارات **تقـوم بالجهاد فـي سبيل الله لنشـر الإسلام**، وذلك مـن خلال القيام بعمليات دعوية على الجزر والممتلكات البيزنطية.

٣. إمارة منتشا: تقع على ساحل بحر إيجة، أشهر مدنها: مغلة وميلاس. وقد تقوت بما كانت تشنه من غارات بحرية على أملاك الدولة البيزنطية.

٤. إمـارة تكـة: تقع على ساحل البحـر الأبيض المتوسط في المنطقة الجنوبيـة الغربية، وهيمنت على مدينة أنطاليا.

٥. إمارة الحميد: تقع داخل الهضبة الأناضولية.

٦. إمارة قزل أحمدلي: تقع على ساحل البحر الأسود في منطقة سينوب وقسطموني.

٧. الإمارة العثمانية: ظهرت أولًا كإمارة صغيرة في مقاطعة فريجيا وما جاورها من أراضي بيثينيا، وانحصرت بين إمارتي كرميان وقزل وأحمدلي، وتوسعت بعد ذلك حتى بحر مرمرة، وسيطرت على مدن إزنيـق – نيقية – وملاجنة وبورصة، ودوريليوم، وتميزت عن باقي الإمارات في الدور الذي سوف تؤديه على المسرح السياسي داخل آسيا الصغرى وخارجها.

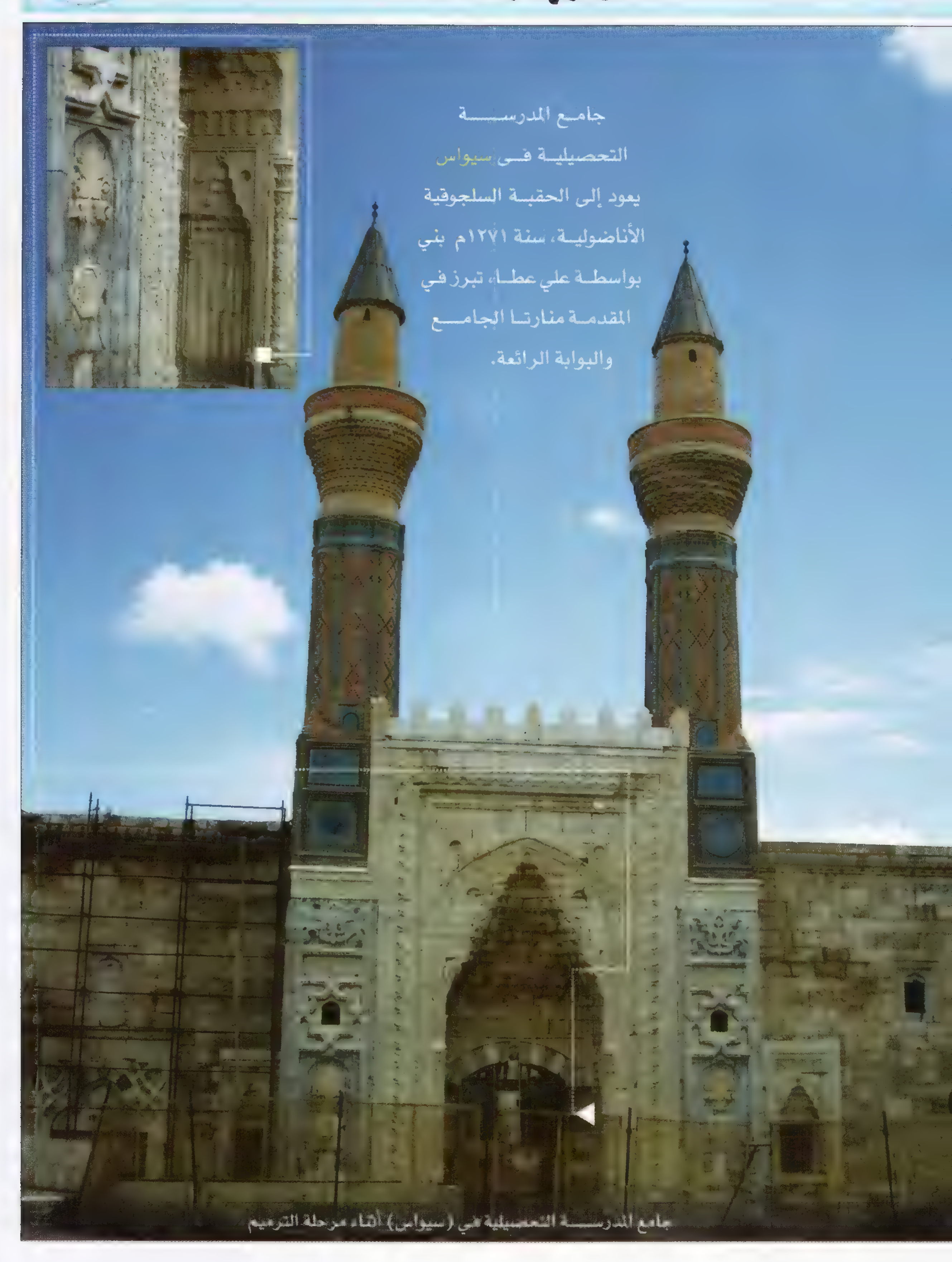


الإمبراطورية البيزنطية
(بحر بنطس) البحر الأسود
بلاد الكرج
الشمال
سينوب
أماسرا
قسطموني
إريغلي
القسطنطينية
بحر مرمرة
نيقوميديا
بولو
تشانكيري
سمسون
غيرسون
طربزون
إمارة طربزون البيزنطية
أماسيا
توقات
صبنجه
كوس
نيقية
بورصة
بوزويوك
إسكي شهر
أنقرة
باليكيسير
برغاما
كوتاهية
الصغرى
سيواس
أرزنجان
كماخ
أرض روم
أرمينيا
مغنيسة
أزمير
قرة حصار (أفيون)
كيرشهر
آسيا
حربوت
خلاط
بيتلس
الأشهير
أكشهير
قيصرية
آيدين
أسبارطة
أكسراي
ملطية
ديار بكر
ميلاس
بوردور
قونية
بيشهر
مرعش
منتشا
بودريوم
لارندة
كرامان
طرسوس
مرسين
أضنة
عنتاب
الرها
ماردين
نصيبين
الأكراد
حران
فتحية
أنطاليا
ألانيا
رودوس
سيليفكه
الأسكندرون
أنطاكية
حلب
جعبر
دولة الايلخانات
نهر الفرات
نهر دجلة
اللاذقية
حماة
حمص
السلطنة المملوكية
البحر الشامي (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
قبرص

الإمارات التركية في آسـيا الصغرى (الأناضول) بعد سقوط دولة سـلاجقة الروم

١ الإمارة العثمانيـة
٢ الإمارة الكرميانيـة
٣ الإمارة القرمانيـة
٤ الإمارة القاراسـية
٥ الإمارة الحميديـة
٦ إمارة آل منتشـي
٧ إمارة آل جانـدار (إسفنديار)
٨ إمارة آيديـن
٩ إمارة آل سـاروخان
١٠ إمارة آل أرطـنا
١١ إمارة دلغادر (ذي القدر - ذو القادر)
١٢ إمارة أبناء رمضـان

سلطنة المماليـك
الإمبراطورية البيزنطية
الخريطة

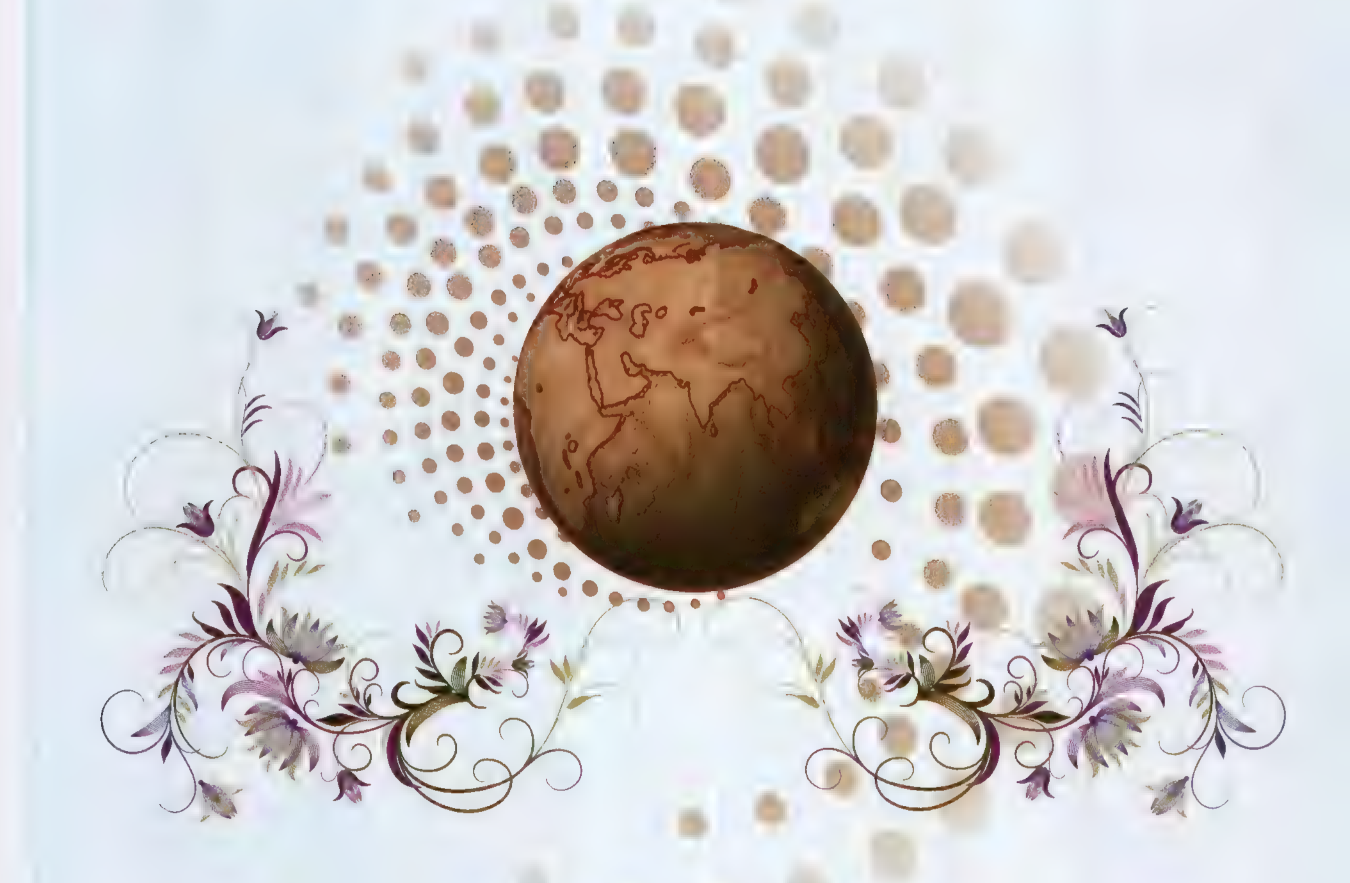


جامع المدرسة التحصيلية في سيواس يعود إلى الحقبة السلجوقية الأناضولية، سنة ١٢٧١م بني بواسطة علي عطا، تبرز في المقدمة منارتا الجامع والبوابة الرائعة.

جامع المدرسة التحصيلية في (سيواس) أثناء مرحلة الترميم



الباب الثالث



قيام الدولة العثمانية

أصــــــل العثمانيين

ينتسب **العثمانيون الأتراك** – كما أسلفنا في الباب الأول من هذا الأطلس– إلى العرق الأصفر أو العرق المغولي، وهو العرق الذي ينتسب إليه المغول والصينيون وغيرهم من شعوب آسيا الشرقية. وكان موطن الأتراك الأوّل في آسيا الوسطى، في البوادي الواقعة بين جبال آلطاي شرقًا وبحر قزوين في الغرب، وقد انقسموا إلى عشائر وقبائل عديدة منها عشيرة **"قايي"** وهي من الأتراك الأوغوز، التي نزحت في عهد زعيمها "كندز ألب" إلى المراعي الواقعة شماليّ غربي أرمينيا قرب مدينة **خلاط**، عندما استولى المغول بقيادة جنكيز خان على خراسان. شفيق جحا وآخرون، المصور في التاريخ، ص ١١٤ - ١١٥.

بينما يرى الكثير من المؤرخين: أن الحياة السياسية المبكرة لهذه العشيرة يكتنفها الكثير من الغموض، وهي أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقائق، وإنما كل ما يُعرف عنها هو استقرارها في تلك المنطقة لمدة من الزمن، ويُستدل على صحة هذا القول عن طريق عدد من الأحجار والقبور تعود لأجداد بني عثمان. ويُستفاد من المعلومات المتوافرة أن هذه العشيرة تركت منطقة خلاط نحو سنة ١٢٢٩م تحت ضغط الأحداث العسكرية التي شهدتها المنطقة، بفعل الحروب التي أثارها السلطان جلال الدين الخوارزمي وهبطت إلى حوض نهر دجلة. د. محمد سهيل طقّوش: تاريخ العثمانيين، ص ٢٥.

توفي "كندز ألب" في العام اللاحق لنزوح عشيرته إلى حوض دجلة، فترأس العشيرة ابنه **سليمان**، ثم حفيده **"أرطغرل"** الذي ارتحل مع عشيرته إلى مدينة **إرزينجان**، وكانت مسرحًا للقتال بين السلاجقة والخوارزميين، فالتحق بخدمة السلطان علاء الدين السلجوقي **سلطان قونية**، إحدى الإمارات السلجوقية التي تأسست عقب انحلال دولة السلاجقة العظام، وسانده في حروبه ضد الخوارزميين، فكافأه بأن أقطع عشيرته بعض الأراضي الخصبة قرب مدينة **أنقرة**. وظل أرطغرل حليفًا للسلاجقة حتى أقطعه السلطان السلجوقي منطقة في أقصى الشمال الغربي من الأناضول على الحدود البيزنطية، في المنطقة المعروفة باسم "سكود" حول مدينة **إسكي شهر**، وظفر أرطغرل بلقب "أوج بكي" ، أي محافظ الحدود، وكان منح هذا اللقب يتماشى مع التقاليد التي درجت عليها الحكومة السلجوقية، وهو منح أي رئيس عشيرة، يعظم أمره ويلحق به عدد من العشائر الصغيرة، لقب محافظ الحدود. حيث بدأت العشيرة هناك حياة جديدة إلى جانب إمارات تركمانية سبقتها إلى المنطقة. الدولة العثمانية، موقع الموسوعة الحرة على الشبكة. و(انظر الخريطة ص ٦٨ من هذا الأطلس).

وبذلك حقق السلاجقة حليفًا قويًا ومشاركًا في الجهاد ضد الروم، وقد استمرت هذه العلاقة طيلة حياة **أرطغرل**، حتى إذا توفي سنة ٦٩٩هـ-١٢٩٩م، خلفه من بعده في الحكم ابنه **عثمان** الذي سار على سياسة أبيه السابقة في التوسع في أراضي الروم البيزنطيين.



هجرة الأتراك العثمانيين إلى بلاد الأناضول

مستند تاريخي

تاريخ سلاطين بني عثمان

ومن المحقق أن نسل آل عثمان الأثيل يتصل بيافث بن نوح وهاك سلسلتهم الطاهرة:

السلطان عثمان بن أرطغرل، بن سليمان شاه، بن قيالب قزل بوغا، بن تيمور، بن قونلوغ، بن تفاد، بن قينون، بن سافور، بن بولغاي بن بايسنقور، بن توقتمور، بن باسوق، بن جندور، بن باقي، بن كوك الب، بن أرغو، بن قره خان، بن قونلق، بن توترق، بن قره خان، بن بايسوق، بن بولواج، بن تغار، بن سونج، بن جاربوغا، بن قورتلمش، بن قره خان، بن عمود، بن سليمان شاه، بن قره خول، بن قولفاي، بن باتيمور، بن طوسي، بن بابلق، بن طورغا، بن طوغمش، بن كوجك بك، بن أونوق، بن قوتاق، بن جك جكتمور، بن طورج، بن قزل، بن يماق، بن باشبوغا، بن قورتلمش، بن فورجه، بن بالجق، بن قوماي، بن قره أوغلال، بن سليمان شاه، بن قولو، بن بولغار، بن باتيمور، بن طورمش، بن كوكب الب، بن أوغوز، بن قره خان، بن قاني خان، بن بولجاي، بن ماجيه، بن أبي الحارث، بن يافث، بن نوح.

المصدر: عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان، ص ٣٢.

قيام الإمارة العثمانية في غربي الأناضول

قامت **الإمارة العثمانية** كأي إمارة أخرى من الإمارات التركمانية التي ورثت الدولة السلجوقية الرومية، ونشأت من خلال الخدمات التي قدمها زعيمها أرطغرل إلى السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد الأول (٦١٦ - ٦٣٤هـ/١٢١٩ - ١٢٣٧م).

تميزت هذه الإمارة، على صغر حجمها، بصفات عدة، منها[1]:

- وقوعها بالقرب من الطريق التجاري، الذي يربط المناطق البيزنطية في الغرب بالمناطق التي يسيطر عليها المغول في الشرق.
- كانت الإمارة الوحيدة التي شكلت رباطًا يواجه المناطق البيزنطية التي لم تفتح بعد، وجلب إليها هذا الوضع الخاص أعدادًا كثيرة من التركمان الطامعين في الغزو والجهاد، والدراويش الباحثين عن المريدين، والمزارعين الفارين من وجه المغول، وقد وجدوا في أراضيها الخُصبة مكانًا ملائمًا لممارسة نشاطهم الزراعي.
- المحافظة على وحدة الإمارة، وبخاصة عند انتقال السلطة تحت زعامة وريث واحد، وشكلت هذه السياسة ميزة واضحة بالمقارنة مع الإمارات الأخرى التي سمحت بالتجزئة.
- تنفيذ العثمانيين السياسة المركزية في الحكم، بالإضافة إلى أسلوب التحالفات المرن مع القوى السياسية والاجتماعية الأخرى في المنطقة.
- إعادة تشكيل الثقافة السياسة لسلاجقة الروم بما يتوافق مع حاجاتهم، فكانوا أكثر إبداعاً في عمليات الدمج بين التقاليد التركية والإسلامية والبيزنطية.

بيد أن **أرطغرل** كان ذا همة كبيرة، فلم يقنع بهذه المنطقة التي أقطعه إياها السلطان السلجوقي، ولا باللقب الذي ظفر به، ولا بمهمة حراسة الحدود والمحافظة عليها؛ بل شرع يهاجم باسم السلطان ممتلكات البيزنطيين في الأناضول، فاستولى على مدينة إسكي شهر وضمها إلى أملاكه، واستطاع أن يوسع أراضيه، خلال مدة نصف قرن قضاها كأمير على مقاطعة حدودية، وتوفي في سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، عن عمر يناهز التسعين عامًا.

١- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص ٢٤ -٢٦.

الإمارة التركية العثمانية
الإمبراطورية البيزنطية
الأتراك غير العثمانيين

المنطقة التي قامت عليها الإمارة العثمانية على أرض الأناضول

واجهة أحد الجبال المنحوتة في الحضارات القديمة بالقرب من مدينة إسكي شهر

أهمية موقع الإمارة العثمانية[١]

خلف **عثمان** أباه **أرطغرل، وإليه تنسب الدولة** الذي يعد بحق مؤسسها الأول، وتحدد خلال عهده الوضع العسكري والسياسي للأتراك العثمانيين، وكان وضعهم الديني قد تحدد قبل ذلك بفعل تأثرهم بالدين الإسلامي الذي كان منتشرًا في البيئات التركية في وسط آسيا وغربها.

فمن الناحية العسكرية، كان لموقع مركز عثمان أثر كبير في نجاحه. فمدينة سوغوت **(سكود)** تقع على مرتفع يسهل الدفاع عنه من جهة، وعلى الطريق الرئيس الممتد من القسطنطينية إلى قونية من جهة أخرى، وتكمن أهمية هذا المركز بفعل التجزئة السياسية للمنطقة التي أعطت الوحدات الصغيرة أهمية أكثر من ذي قبل.

وأتاحت مجاورته لأراضي الدولة البيزنطية توجيه نشاطه **نحو الحرب والجهاد لاستكمال رسالة الدولة السلجوقية الرومية بفتح الأراضي البيزنطية كافة**، وإدخالها ضمن الأراضي الإسلامية، وشجعه على ذلك حال الضعف الذي دب في جسم الدولة البيزنطية وأجهزتها، حيث أتاح له ذلك سهولة التوسع باتجاه غربي الأناضول، وفي عبور الدردنيل إلى أوروبا الشرقية الجنوبية، أكثر مما أتاح له الالتفات نحو جيرانه المسلمين، بالإضافة إلى انهماك البيزنطيين بالحروب في أوروبا، ومع ذلك لا يجب أن نبالغ في تراجع قوة الدولة البيزنطية في هذه المنطقة، لأن من شأن ذلك أن يؤثر سلبًا على أهمية الوضع الإستراتيجي للإمارة العثمانية.

والواقع أن البيزنطيين قاموا خلال عهد كل من ميخائيل الثامن وأندرونيقوس الثاني (٦٨١ - ٧٢٨ هـ/١٢٨٢ - ١٣٢٨م)، بتحصين حدود مقاطعة بيثينيا لصد الغزوات التركية، التي كان عليها أن تقطع نهر سقاريا إلى مدن هذه المقاطعة، لكن هذه التحصينات كانت عديمة الفائدة أمام التحرك العثماني على طول مجرى النهر، من الجنوب إلى الشمال والغرب. يضاف إلى ذلك، فقد وصلت كل من **الدولتين السلجوقية والبيزنطية إلى حال إعياء** شديد **نتيجة الصراع الطويل بينهما**، وتعرض الدولة الأولى للغزو المغولي، والدولة الثانية للغزو اللاتيني ما أحدث فراغاً سياسياً وعسكرياً في الأناضول هيأ لظهور دولة تملأ هذا الفراغ على أنقاض الدولتين المتداعيتين.

ومن الناحية السياسية، فقد أظهر عثمان مقدرة فائقة في وضع النظم الإدارية لإمارته، بحيث قطع العثمانيون في عهده شوطًا بعيدًا على طريق التحول من نظام القبيلة المتنقلة إلى نظام الإدارة

١- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص ٢٦ -٢٧.

المستقرة، ما ساعدها على توطيد مركزها وتطورها سريعًا إلى دولة كبرى، ثم إن مركز الإمارة في الشمال الغربي للأناضول، بجوار العالم النصراني، قد فرض على العثمانيين سياسة عسكرية معينة بوصفها إمارة حدودية، والمعروف في تاريخ الأناضول أن الإمارات التي نشأت على الحدود كانت أوفر حظًا في عوامل النمو والتطور من إمارات الداخل. **وقد أبدى السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد الثالث (٦٩٦ - ٧٠١هـ/١٢٩٦ - ١٣٠١م) تقديره العميق لخدمات عثمان، فمنحه لقب عثمان غازي حارس الحدود العالي الجاه، عثمان باشا**.



موقع الإمارة العثمانية في بلاد الأناضول (آسيا الصغرى)

إســـــكي شـــــــهر (عاصمة العثمانيين الأولى)

مدينة تركية تقع على نهر بورسك تشاي شمال غربي الأناضول، وتبعد نحو ٢٠٦كم جنوب غربي أنقرة، وهي عاصمة ولاية بالاسم نفسه. تعني إسكي شهر «المدينة العتيقة»، وقد قامت مكان مدينة دوريليوم Dorylaeum القديمة التي عرفها العرب باسم دورليه Dorylee التي استولى عليها **القائد الأموي العباس بن الوليد** سنة ٨٩هـ/ ٧٠٨م. ووصل إليها حسن بن قحطبة سنة ١٦١ هـ/ ٧٧٨م.

وفي القرن الحادي عشر الميلادي كانت **إسكي شهر** ميدانًا لمعركة فاصلة بين **السلاجقة والصليبيين**. وفي سنة ١١٧٥م حصنها الإمبراطور مانويل كومنين بعد طرده قبائل اليوروك (البدو) التي كانت تقيم في جوار المدينة، غير أنه اضطر إلى تدمير هذه التحصينات في السنة اللاحقة تحت ضغط السلطان السلجوقي قلج أرسلان. وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر أقام أرطغرل بك جد العثمانيين مضاربه في جوارها. **وفي القرن الرابع عشر غدت المدينة العاصمة الأولى للدولة العثمانية**. هاجر إليها عدد من المسلمين من بلاد البلقان بعد حرب ١٨٧٧م فأثّر ذلك إيجابيًا في ازدياد نشاطها الاقتصادي وعدد سكانها. وفي الحرب العالمية الأولى هجر إليها العثمانيون عددًا من اللبنانيين الذين كان يشك في إخلاصهم للدولة ويخشى قيامهم بحركات مناهضة[1].

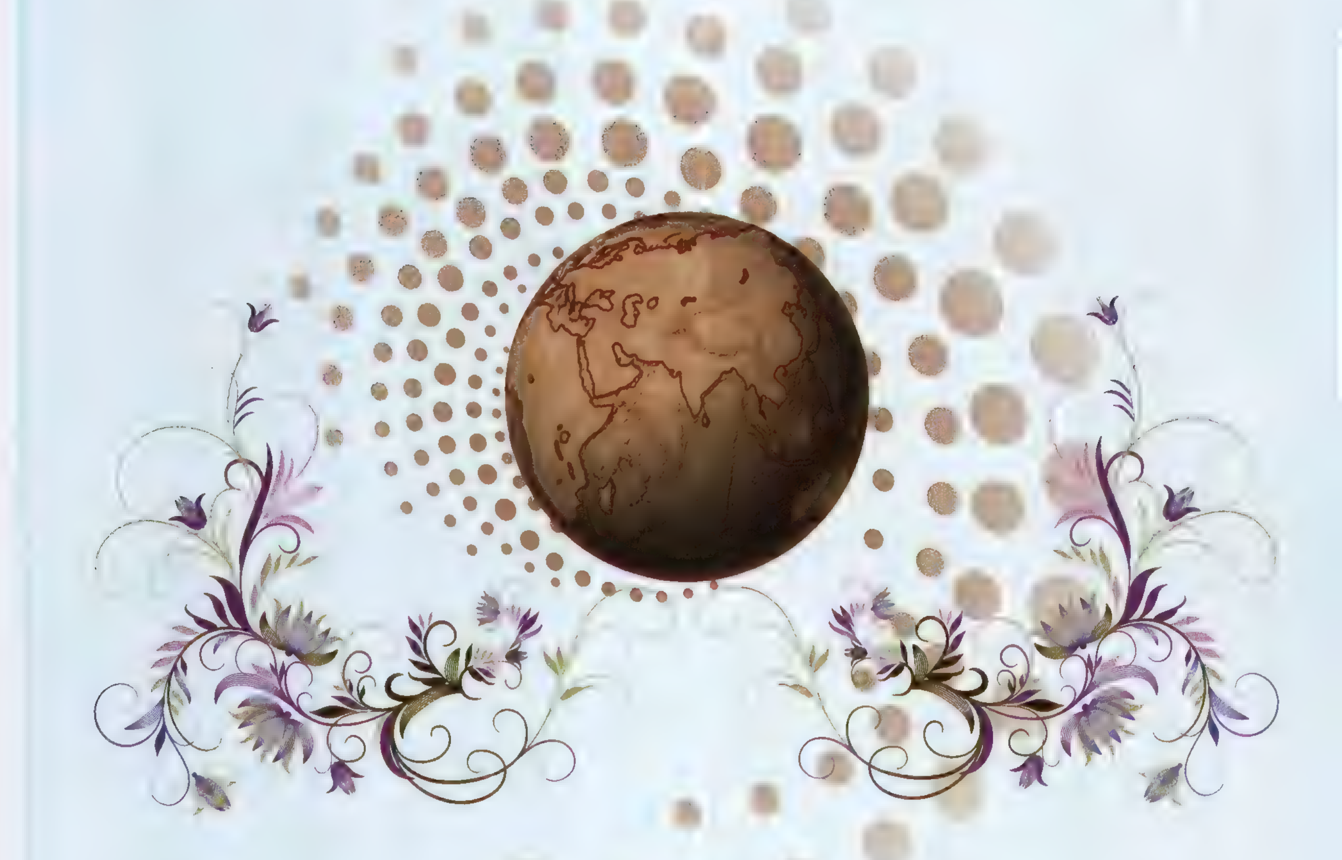
نشأت مدينة **إسكي شهر** الحديثة سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، وأقيمت فيها أحياء جديدة كالاستقلال والعارفية والخوشنودية. ترجع شهرتها في العصر الحديث إلى أنها نقطة التقاء الخطوط الحديدية بين أستنبول وقونية، وأستنبول وأنقرة، وهذا ما ساعد في نهضتها. أقيم فيها مطار ومحطة قطار ورحبات صيانة وإصلاح لتجهيزات السكك الحديدية، ورحبة لإصلاح الطائرات ومعامل ومصانع عدة منها معمل للسكر وآخر للإسمنت، إضافة إلى غناها بالمياه المعدنية. ومن معالمها المهمة جامع كورشونولو ومدرسته اللذان أنشأهما الوزير مصطفى باشا سنة ٩٢٠هـ/١٥١٥م. ونمت إسكي شهر وتطورت إلى مركز تجاري وصناعي مهم، وامتد العمران فيها نحو الشمال الشرقي بعد السيل الجارف الذي طغى على المدينة سنة ١٩٥٠م. وأنشئت فيها جامعة منذ سنة ١٩٧٣م ومعهد للاقتصاد[2].

---

١ - ٢ ، الموسوعة العربية، مج ٢، ص ٣٤٢.

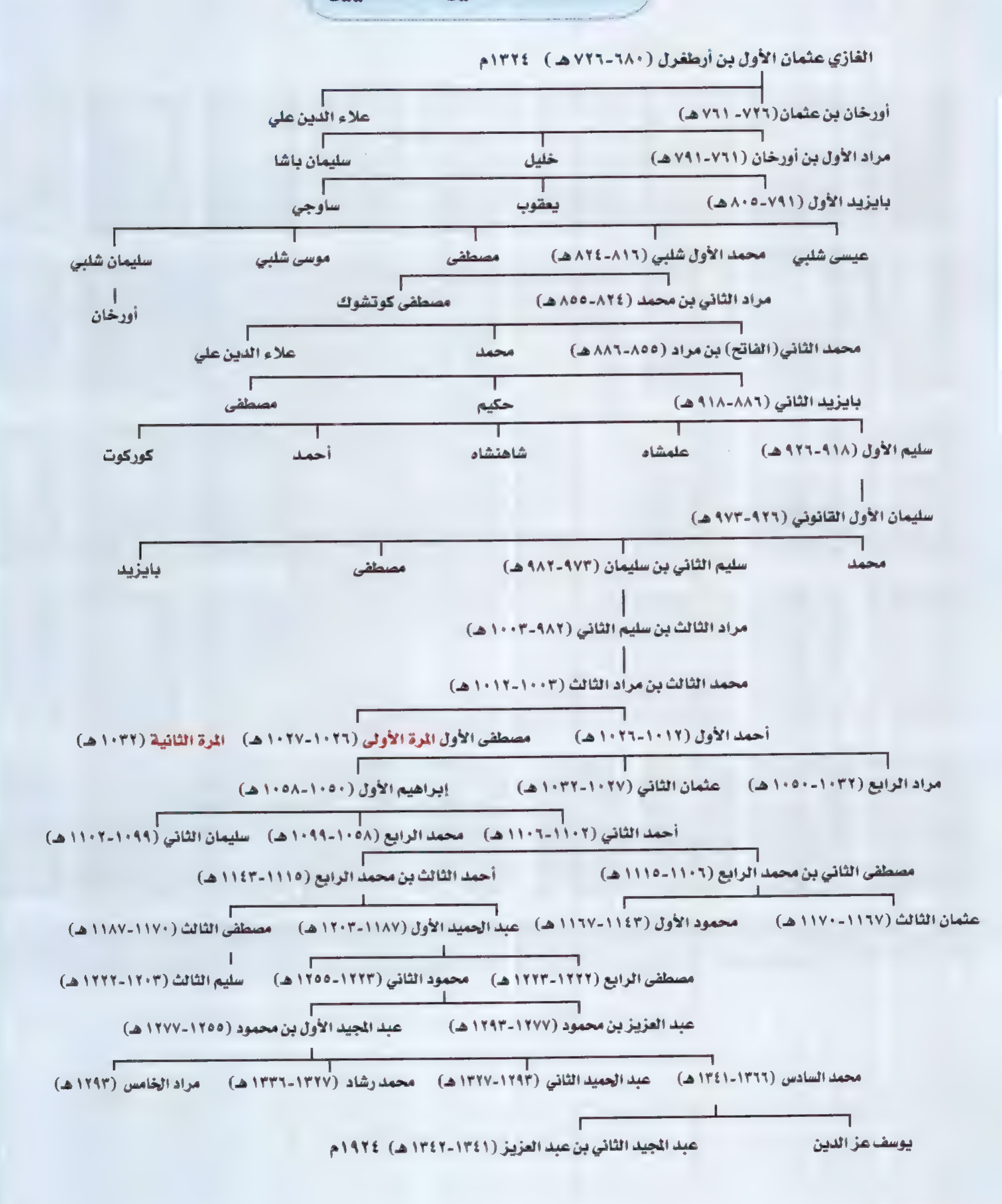


الباب الرابع



سلاطين الدولة العثمانية

سلسلة السلاطين العثمانيين



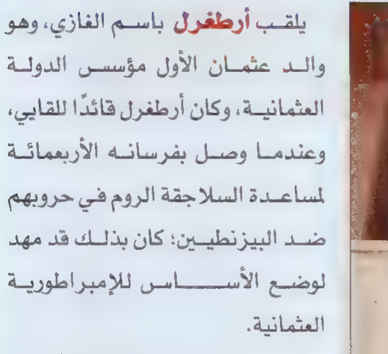
صور سلاطين الدولة العثمانية



لوحة جدارية عليها صور سلاطين آل عثمان يتوسطها شعار الدولة العثمانية

في سنة ٦٩٩هـ أغار **المغول** على إمارة القرمان ففر من وجههم '**علاء الدين السلجوقي**' ودخل بلاد الروم وما لبث أن مات بها في نفس العام وتولى من بعده ولده '**غياث الدين**' الذي حارب المغول ولكنه قتل في حربه ضدهم فأفسح المجال **لعثمان** أن يستقل بما تحت يديه من أراضي خاصة بعدما انفرط العقد بتلك البلاد المهمة التي تعد ثغر المسلمين قبالة عدوهم العتيد؛ الدولة البيزنطية، وأعلن '**عثمان**' قيام الدولة الإسلامية الجديدة في هذه البقعة الملتهبة من العالم، ولم يكن هذا التأسيس من باب حب السلطة والتملك، إنما كان حبًا في نشر الإسلام.

لوحة جدارية قديمة عليها صور سلاطين آل عثمان يتوسطهم السلطان محمد رشاد، ونظرًا لقدم اللوحة فقد انطمست بعض صور السلاطين





الصورتان الأوليتان لضريح الغازي أرطغرل في مدينة بيلجك التركية، والصورة الثالثة مجسم تخيلي للغازي أرطغرل.

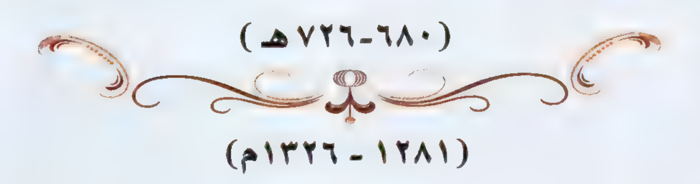
يلقب **أرطغرل** باسم الغازي، وهو والد عثمان الأول مؤسس الدولة العثمانية، وكان أرطغرل قائدًا للقايي، وعندما وصل بفرسانه الأربعمائة لمساعدة السلاجقة الروم في حروبهم ضد البيزنطيين؛ كان بذلك قد مهد لوضع الأساس للإمبراطورية العثمانية.

وفي سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م أصبح أرطغرل قائدًا لجماعة القايي الأتراك الأغوز نتيجة مساعدته للسلاجقة الروم في حروبهم ضد البيزنطيين.

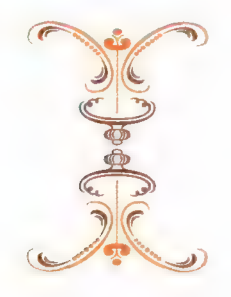


شعار الدولة العثمانية


الغازي عثمان


(٦٨٠-٧٢٦هـ)
(١٢٨١ - ١٣٢٦م)





والده: أرطغرل غازي

والدته: خايمة خاتون

ولادته: في سوغوت (سكود) سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م.

وفاته: سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م.

مدة حكمه: سنة ١٢٩٩م. إلى ١٣٢٦م. أي ٢٧ عامًا.

طلب الغازي عثمان إلى شيخه الشهير (أده بالي) أن يزوجه ابنته فرفض الشيخ مصاهرته. وذات ليلة وبينما كان عثمان ضيفًا على الشيخ رأى في منامه وكأن قمرًا يخرج من صدر مضيفه ويقع في صدره هو، ثم تخرج من سرّته شجرة يغطي ظلها الأرض كلها. فلما قص عثمان ذلك الحلم على (أده بالي) أوّله على أنه سيكون له ولأبنائه شأن كبير، فزوجه من ابنته ودعا له بالخير.

الأعلام الذين عاصروه:

عارف الرفكيري، ومحمود أنجير الفغنوي؛ شيخا النقشبندية، كما عاصره الشيخ سعد الدين جيباوي وبهاء الدين ولد، والمؤلف بهلوان محمود بويراز.

أبناؤه:

باظارلي، جوبان، حامد أورخان، علاء الدين علي، ملك، صوجي.

بناته:

فاطمة خاتون.

تروي معظم المراجع التركية التي أرّخت للعثمانيين أن أرطغرل عهد لابنه عثمان مؤسس الدولة العثمانية بولاية القضاء في مدينة (قرة جه حصار) بعد الاستيلاء عليها من البيزنطيين في سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م، وأن عثمان حكم لبيزنطي نصراني ضد مسلم تركي، فاستغرب البيزنطي وسأل عثمان: كيف تحكم لصالحي وأنا على غير دينك؟ فأجابه عثمان: بل كيف لا أحكم لصالحك، والله الذي نعبده، يقول لنا: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ (سورة النساء:٥٨) وكان هذا العدل الكريم سببًا في اهتداء الرجل وقومه إلى الإسلام. زياد أبو غنيمة: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، ص٣٢.



الدولة العثمانية في عهد مؤسسها السلطان عثمان

١ الغازي عثمان يشنّ حربًا ضد البيزنطيين في (قرة جه حصار) ويقوم بفتحها سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٧م، ويواصل انتصاراته ضد البيزنطيين في (دومانيج) سنة ٦٨٧ هـ/ ١٢٨٩م. ويفتح مدينة بيلجك الحصينة.

٢ السلطان السلجوقي يمنح الغازي عثمان لقب **(الباي)** ويقطعه كافة الأراضي والقلاع التي فتحها وأعطاه سلطات واسعة.

٣ في سنة ٦٩٨ هـ/١٢٩٩م. فتح الغازي عثمان (أينه كول) مما مهد إلى سقوط الدولة السلجوقية الرومية سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م، ولقب نفسه (باديشاه آل عثمان) أي عاهل آل عثمان، وحصن عاصمته يني شهر فسقطت الدولة السلجوقية، وأعلن عثمان بك إمارته المستقلة.

غطت الإمارة العثمانية عند وفاة السلطان عثمان مساحة ستة عشر ألف كم٢ تقريبًا بعد ما كانت لا تتجاوز عند توليه الحكم ٤٨٠٠ كم فقط، وبذلك استحق **لقب الدولة** التي حملت اسمه وعمَّرت أكثر من ستة قرون.



أثبتت الوثائق البيزنطية أن معركة بافيوس كانت ضد القوات العثمانية التي كان يقودها الغازي عثمان، وقد انتهت المعركة إلى هزيمة البيزنطيين. وهذه المعركة على أهميتها ليس لها ذكر في المصادر التاريخية العثمانية أو التركية.

وأضافت الوثائق أيضًا أن اسم الغازي عثمان أصبح معروفًا بعد هذه المعركة، وبدأ الأتراك من كل مكان التوافد لإعلان المبايعة له.

وهذا يعني أن الغازي عثمان كان يمتلك جيشًا كبيرًا وفقًا للتقاليد التركية المعروفة آنذاك، ولم يعترض أحد على تولية ابنه أورخان خلافة أبيه بعد وفاته، وقد حققت الدولة بعدًا إستراتيجيًا بعد معركة بافيوس مباشرة.

في سنة ٦٩١هـ/١٣٠١م حقق العثمانيون نصرًا مؤزرًا على القوات البيزنطية بقيادة موزايون في معركة بافيوس، وأتاح لهم هذا النصر أن يسيطر العثمانيون عسكريًا على نواح إستراتيجية مهمة (انظر الخريطة في الأعلى) مما مهد لهم طرق أبواب بورصة، التي سيتم فتحها على يد أورخان بن عثمان.

مرتسم تخيلي للجنود الأتراك العثمانيين في معركة بافيوس ضد البيزنطيين

من أبرز الصفات القيادية في الغازي عثمان[1]:

الشجاعة: عندما تنادى أمراء النصارى في بورصة ومادانوس وأدره نوس وكته وكستله البيزنطيون في سنة ٧٠٠هـ/١٣٠١م **لتشكيل حلف صليبي لمحاربة عثمان بن أرطغـــرل** مؤســس الدولة العثمانية، واستجابت النصارى لهذا النداء، وتحالفوا للقضاء على الدولة الناشئة، تقدم عثمان بجنوده وخاض الحروب بنفسه، وشتت الجيوش الصليبية، وظهرت منه بسالة وشجاعة أصبحت مضرب المثل عند العثمانيين.

الوفاء: كان شديد الاهتمام بالوفاء بالعهود، فعندما اشترط أمير قلعة أولوباد البيزنطية حين استسلم للجيش العثماني، أن لايمر من فوق الجسر أي عثماني مسلم إلى داخل القلعة، التزم بذلك وكذلك من جاء بعده. قال تعالى ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولًا﴾ (سورة الإسراء:آية ٣٤)

التجرد لله في فتوحاته: فلم تكن أعماله وفتوحاته من أجل مصالح اقتصادية أوعسكرية أوغير ذلك، بل كان فرصة تبليغ دعوة الله ونشر دينه، ولذلك وصفه المؤرخ أحمد رفيق في موسوعته (التاريخ العام الكبير) بأنه (كان عثمان متدينًا للغاية، وكان يعلم أن نشر الإسلام وتعميمه واجب مقدس، وكان مالكًا لفكر سياسي واسع متين، ولم يؤسس عثمان دولته حبًا في السلطة، وإنما حبًا في نشر الإسلام).

١- د . علي الصلابي؛ الدولة العثمانية (المرجع السابق)نقلاً عن كتاب (جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك).

مســتند تاريخــي — **وصية عثمان لابنه أورخان وهو على فراش الموت**

(يابني: إياك أن تشتغل بشيء لم يأمر به الله رب العالمين، وإذا واجهتك في الحكم معضلة فاتخذ من مشورة علماء الدين موئلاً.

يابني: أحط من أطاعك بالإعزاز. وأنعم على الجنود، ولا يغرنك الشيطان بجندك وبمالك، وإياك أن تبتعد عن أهل الشريعة.

يابني: إنك تعلم أن غايتنا هي إرضاء الله رب العالمين، وأنَّ بالجهاد يعم نور ديننا كل الآفاق، فتحدث مرضات الله جل جلاله.

يابني: لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة حكم أو سيطرة أفراد، فنحن بالإسلام نحيا وللإسلام نموت، وهذا ياولدي ما أنت له أهل).

المصدر: العثمانيون في التاريخ والحضارة، د.محمد حرب، ص١٦.

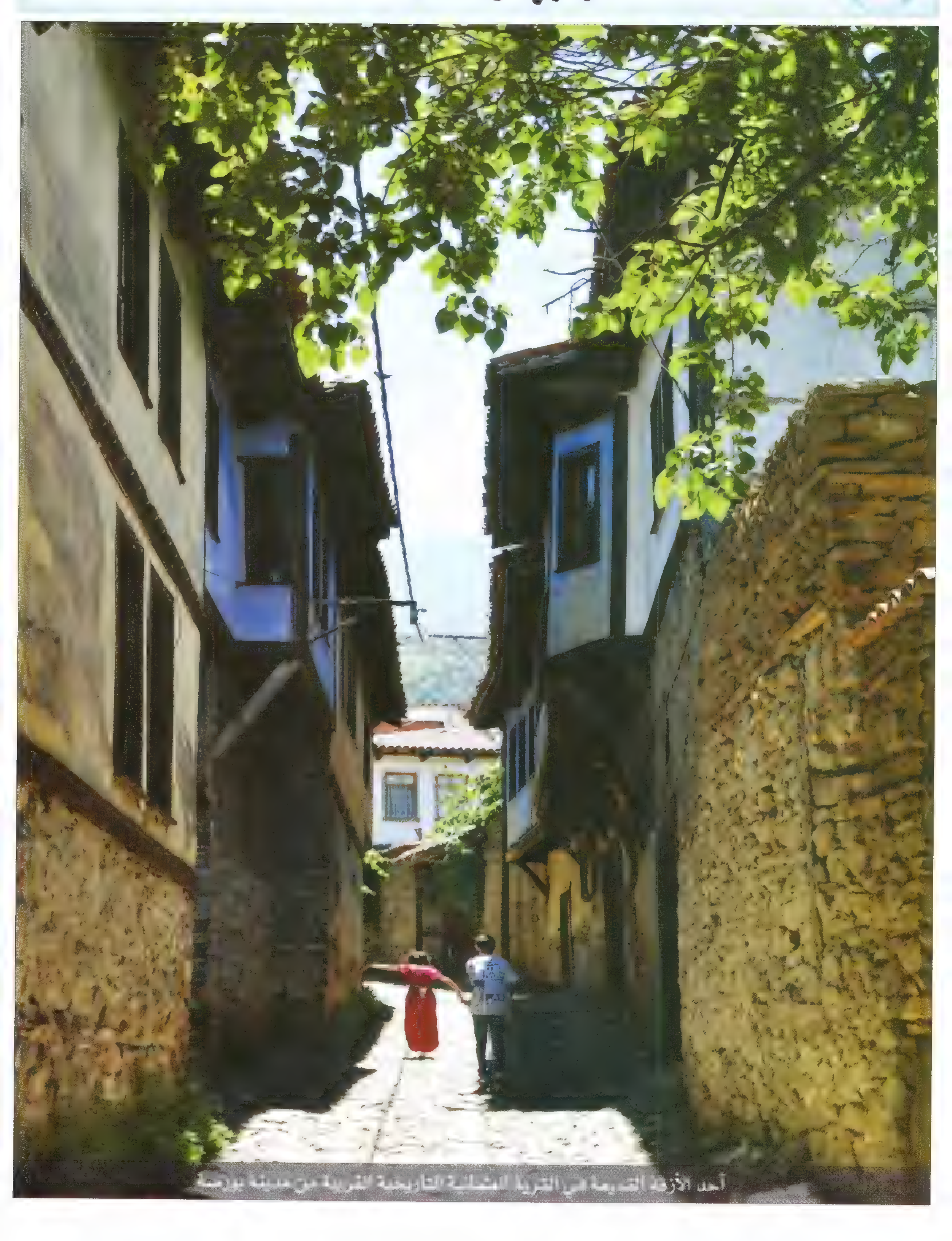
توفي عثمان غازي سنة ٧٢٦ هـ عن عمر يناهز ثمانية وستين عامًا ودفن إلى جانب والده في (سوغوت) بعدما أوصى بأن تُنقل رفاته إلى بورصة إن فتحت. وبالفعل نفذت وصيته سنة وفاته، إذ فتحت بورصة ودفن بقلعتها في القبة المطلية بالفضة المعروفة باسم (سائينت عالي).

مدخل ضريح الغازي عثمان مؤسس الدولة العثمانية في بورصة

اسم السلطان غازي في الحديقة الملاصقة للضريح



مؤلف ومصمم الأطلس بجوار قبر مؤسس الدولة العثمانية الغازي عثمان بن أرطغرل في مدينة بورصة (بروسا) التركية



أحد الأزقة القديمة في القرية العثمانية التاريخية القريبة من مدينة بورصة



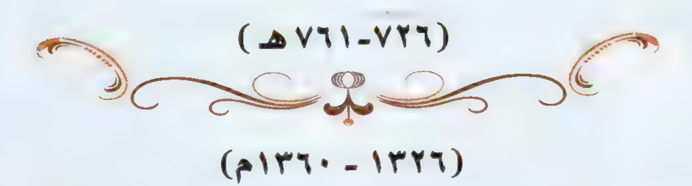
لقطات منوعة من داخل المدينة العثمانية التاريخية

سهل (بيلجك) الذي على أثره حرر العثمانيون المدينة من قبضة البيزنطيين سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م

بالدرم (دومانيچ) فتحها الغازي عثمان سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٩م



(٧٢٦-٧٦١هـ)



(١٣٢٦ - ١٣٦٠م)



والده: عثمان غازي

والدته: مال خاتون

ولادته: ٦٨٠هـ / ١٢٨١م.

وفاته: سنة ٧٦١هـ / ١٣٦٠م.

مدة حكمه: من سنة ١٣٢٦ ـ إلى ١٣٦٠ م.

لعل من بين أهم الإنجازات التي حققها العثمانيون في أواخر عهد عثمان هو تخطي الإمارة العثمانية لاستحقاق وفاته من دون أن تتكبَّد أي خسارة لوحدتها، ذلك أن العثمانيين لم يتبعوا التركي والمغولي، كما فعلت الإمارات التركمانية المحيطة بهم، القائم على اقتسام السلطة وتوزيعها بين الأخوة. ربما ظهرت بعض الأصوات المعارضة لاعتلاء أورخان السلطة، وبخاصة أخيه الأكبر علاء الدين، بينما تنفي بعض الروايات مثل هذه المعارضة بدليل مشاركته مع أخيه بعض المهام السياسية في عهده؛ إلا أن ما نعرفه هو أن أورخان خلف والده، وبعهد منه، من دون مساس بوحدة الإمارة، بالرغم من أنه لم يكن الولد الأكبر لعثمان. السلاطين العثمانيون، عبد القادر أوغلو، ص ٣٤، تعريب محمد جان.

الأعلام الذين عاصروه:

محمد بابا السماسي من شيوخ النقشبندية

الشيخ أده بالي.

أبناؤه:

سليمان، مراد الأول، إبراهيم، خليل، قاسم.

بناته:

فاطمة خاتون .

أرسله والده (عثمان) لحصار مدينة "بورصة"، سنة (٧١٧هـ، ١٣١٧م) فحاصر أورخان القلاع المحيطة بها، وظل محاصرًا لها قرابة عشر سنوات، ولما تأكد حاكمها أنها أصبحت في قبضة أورخان سلّمها إليه، فدخلها دون قتال سنة (٧٢٦هـ، ١٣٢٥م)، ولم يتعرض أورخان لأهلها بسوء مما جعل حاكمها يعلن إسلامه، فمنحه أورخان لقب "بك". فاستدعاه والده الذي كان على فراش الموت ولم يلبث أن فارق الحياة بعد أن أوصى له بالحكم من بعده في ٢ رمضان ٧٢٦هـ، ٢ أغسطس ١٣٢٥م، وأوصاه وصية جامعة -ذكرناها في الصفحة ٩١-.



نفذ السلطان **أورخان** وصية والده أحسن تنفيذ؛ فأقام أول جامعة إسلامية في الدولة، وأول جيش نظامي. وعندما تولى السلطة **نقل مقر الحكومة إلى مدينة "بورصة"** الشهيرة لحسن موقعها، وجعلها عاصمة لدولته، وبنى بها جامعًا ومدرسة وتكية يقدم فيها الطعام للفقراء والغرباء، كما ولَّى أخاه "علاء الدين" الصدارة العظمى (رئاسة الوزراء). فاختص "علاء الدين" بتدبير الأمور الداخلية، وتفرغ أورخان للفتوحات الخارجية، وبهذا يُعد "علاء الدين" أول وزير في تاريخ الدولة العثمانية. فأمر بضرب النقود الفضية باسم أورخان، وكان أحد وجهي العملة يحمل عبارة "خلّد الله ملكه"، والوجه الآخر يحمل اسم الأمير(١).

١- د. الصفصافي القطوري، رجل من صناع التاريخ، أورخان بن غازي، مجلة حراء، العدد ١٢ سنة ٢٠٠٨م.

بوابة القلعة البيزنطية القديمة في مدينة بورصة التاريخية حيث سيطر العثمانيون عليه بعد فتح المدينة



بعض المدافع العثمانية الأثرية والمعروضة في ساحة ضريح الغازي عثمان وابنه أورخان في بورصة



حارس القلعة بلباس عثماني قديم



البرج العثماني القديم داخل أسوار ضريح السلطان العثماني عثمان وابنه أورخان

الجيش في عهد السلطان أورخان

إن من أهم الأعمال التي ترتبط بحياة السلطان أورخان، **تأسيسه للجيش الإسلامي** وحرصه على إدخال نظامًا خاصًا للجيش، فقسمه إلى وحدات تتكون كل وحدة من عشرة أشخاص، أو مئة شخص، أو ألف شخص، وخصص خمس الغنائم للإنفاق منها على الجيش، وجعله جيشًا دائمًا بعد أن كان لايجتمع إلا وقت الحرب، وأنشأله مراكز خاصة يتم تدريبه فيها.

كما أنه أضاف جيشًا آخر عرف **بالإنكشارية "يني جري" وتلفظ "يني تشري"**، شكَّله من المسلمين الجدد الذين ازداد عددهم بعد اتساع رقعة الدولة وانتصاراتها الكبيرة في حروبها مع أعدائها من غير المسلمين، ودخول أعداد كبيرة من أبناء تلك البلاد المفتوحة في الإسلام، ثم انضمامهم إلى صفوف المجاهدين في سبيل نشر الإسلام، فبعد أن يعتنقوا الإسلام ويتم تربيتهم تربية إسلامية فكريًا وحربيًا يعينون في مراكز الجيش المختلفة، وقد قام العلماء والفقهاء مع سلطانهم أورخان بغرس حب الجهاد والذود عن الدين والشوق إلى نصرته أو الشهادة في سبيله، وأصبح شعارهم (غازيًا أو شهيدًا) عندما يذهبون إلى ساحة الوغى.

ولقد زعم **معظم المؤرخين الأجانب** أن جيش الانكشارية تكون من انتزاع أطفال النصارى من بين أهاليهم ويجبرونهم على اعتناق الإسلام، بموجب نظام أو قانون زعموا أنه كان يدعى بنظام **(الدفشرية)**، وزعموا أن هذا النظام كان يستند إلى ضريبة إسلامية شرعية، أطلقوا عليها اسم "ضريبة الغلمان"، وأسموها أحيانًا "ضريبة الأبناء"، وهي ضريبة زعموا أنها تبيح للمسلمين العثمانيين أن ينتزعوا خمس عدد أطفال كل مدينة أو قرية نصرانية، بوصفهم خمس الغنائم التي هي حصة بيت مال المسلمين، ومن هؤلاء المؤرخين الأجانب الذين افتروا على الحقيقة، كارل بروكلمان، وجيبونز، وجب[١]، إن الحقيقة تقول: إن نظام الدثرمة المزعوم ليس سوى كذبة دُسَّت على تاريخ أورخان بن عثمان ومراد بن أورخان، وانسحبت من بعده على العثمانيين قاطبة، **فلم يكن نظام الدثرمة هذا إلا اهتمامًا من الدولة العثمانية بالمشردين من الأطفال النصارى، الذين تركتهم الحروب المستمرة أيتامًا أو مشردين**، فالإسلام الذي تدين الدولة العثمانية به يرفض رفضًا قاطعًا ما يسمى بضريبة الغلمان، التي نسبها المغرضون من المؤرخين الأجانب إليها[٢].

لقد كانت أعداد هائلة من الأطفال فقدوا آباءهم وأمهاتهم بسبب الحروب والمعارك، فاندفع المسلمون العثمانيون إلى احتضان أولئك الأطفال الذين هاموا في طرقات المدن المفتوحة بعد فقدانهم لآبائهم وأمهاتهم وحرصوا على تأمين مستقبل كريم لهم، وهل من مستقبل كريم وأمين إلا في الإسلام، فهل إذا حرص المسلمون على اعتناق الأطفال المشردين التائهين الإسلام!؟ انبرى المفترون .. يزعمون أن المسلمين كانوا ينتزعونهم من أحضان آبائهم وأمهاتهم ؟؟ ويكرهونهم على الإسلام[٣].

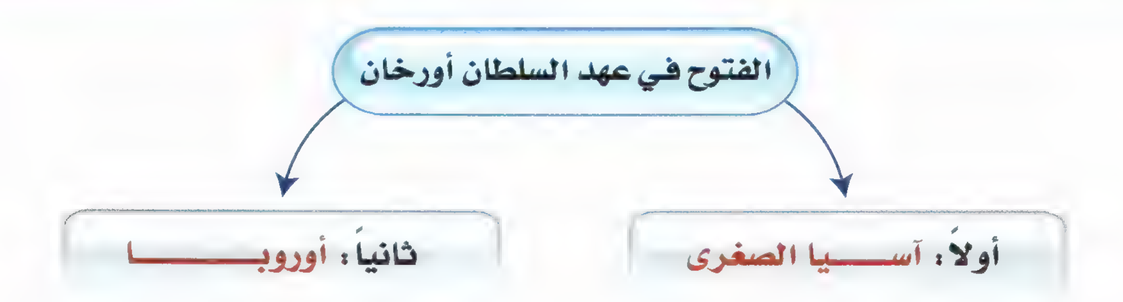
---

١ - محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية، ص٢٠٢.

٢-٣، د. علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل السقوط وأسباب النهضة، ٦٨.



عمل أورخان على زيادة عدد جيشه الجديد بعد أن ازدادت تبعات الجهاد ومناجزة البيزنطيين، فاختار عددًا من شباب الأتراك، وعددًا من شباب البيزنطيين الذين أسلموا وحسن إسلامهم، فضمهم إلى الجيش واهتم اهتمامًا كبيرًا بتربيتهم تربية إسلامية جهادية.



أولاً.. الفتوح في آسيا الصغرى[1]:

ظهر **أورخان** بمظهر الفاتح في حياة أبيه، وكان قد استولى على **بورصة** من غير سفك للدماء وجعلها عاصمة لدولته، وأضحت كل من نيقوميديا ونيقية هدفًا في سياسته التوسعية، ثم استولى على شبه جزيرة بيثينيا الواقعة في أقصى الشمال، وعلى قلعتي **سمندرة وأبيدوس المحصنتين**، وكانتا تحرسان الطريق العسكري بين القسطنطينية ونيقوميدية، ونزل في تراقيا، ثم راح يعدّ العدة لمهاجمة مدينة نيقية.

وحدث في غضون ذلك أن اعتلى الإمبراطور أندرونيقوس الثالث باليوغوس (٧٢٨-٧٤٢هـ/١٣٢٨-١٣٤٢م) العرش البيزنطي، فسعى لإنقاذ نيقية وإيقاف التقدم العثماني المندفع تجاه القسطنطينية، لذلك قاد بنفسه حملة عسكرية عبر بها **البسفور** في ٢ شعبان ٧٢٩هـ/أول حزيران ١٣٢٩م فتصدى له الجيش العثماني في **بيليكانون** على سواحل **خليج نيقوميدية (إزميت)**، وجرت بين الطرفين في ١١ شعبان/١٠ حزيران، إحدى المعارك القوية في التاريخ دارت الدائرة فيها على الجيش البيزنطي، وطاردت القوات العثمانية فلول المنهزمين الهاربة إلى فيلوكرين، وهي مدينة ساحلية صغيرة، وأعملت فيها القتل، وأصيب الإمبراطور البيزنطي في المعركة وولّى هاربًا إلى القسطنطينية عن طريق البحر، **وكان هروبه هذا إيذانًا بتخلي الأباطرة البيزنطيين عن آسيا الصغرى إلى الأبد.**

والواقع أن انهزام البيزنطيين في معركة **بيليكانون** كان قاضيًا على الأمل في المحافظة على نيقية، وما دفع الإمبراطور البيزنطي للتوقف عن المقاومة في الأناضول، أو تعزيز الحاميات البيزنطية المتبقية هناك، كما لم يحاول السكان مقاومة الجنود العثمانيين، الأمر الذي أدى إلى سقوط **نيقية** في ٢١ جمادى الأول ٧٣١هـ/٢ آذار ١٣٣١م، وأظهر أورخان تساهلًا وتسامحًا كبيرين مع سكان المدينة المفتوحة، فسمح لهم بالبقاء فيها أو مغادرتها أنّى شاؤوا، الأمر الذي دفع الكثير من سكانها إلى اعتناق الدين الإسلامي.

١- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص ٣٨ - ٤٠.



مدينة (بورصة) التي فتحها السلطان أورخان بن عثمان سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦م، وأصبحت عاصمة لسلطنته



كنيسة **نيقية** التي حولها المسلمون السلاجقة الأتراك إلى مسجد



مدينة أزميت هي عاصمة محافظة كوكالي تقع في تركيا وتبعد عن العاصمة أستنبول ١٠٠ كم غربًا ويبلغ تعداد سكانها حوالي ١٩٥،٦٩٩ نسمة، وتشهد المدينة تطورًا كبيرًا على المستوى الصناعي. وهي مبنية قرب موقع مدينة نيقوميديا الأثرية.

نيقوميديا: مدينة قديمة شمال غربي آسيا الصغرى، على موقعها اليوم مدينة أزميت التركية، تأسست المدينة سنة ٢٦٤ م، على يد الملك نيقوميدس الأول وسميت عليه. دمرها القوط ٢٥٨م، واختارها دقلديانوس عاصمة شرقية، واحتلت القسطنطينية مكانتها فيما بعد.

لقطات متنوعة من مدينة أزميت التركية

وأصلح **أورخان** ماتهدَم من مبانيها وأسوارها، وأسرف في الإنفاق على تحسينها، وحوَّل بعض كنائسها إلى مساجد ومدارس، وسرعان ما استعادت مركزها المهم وبخاصة في صناعة القاشاني ونسج الحرير، وأضحت أزهى مدن الدولة العثمانية وأكثرها رخاء، ومركزًا للحياة العقلية الإسلامية.

ولا شك أنه بسقوط نيقية في يد العثمانيين، انتهت سلطة الإمبراطورية البيزنطية عمليًا في آسيا الصغرى.

واصل أورخان فتوحه داخل الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى، فأرسل قوة عسكرية في سنة ٧٣٣ هـ/١٣٣٣م، بقيادة ابنه سليمان، لفتح المناطق الواقعة شمالي نهر سقاريا، ففتح قلاع **كوينيك ومودرينه وتركجي**، وبسقوط تلك القلاع تقلّصت الممتلكات البيزنطية في آسيا الصغرى، ولم يعد لها سوى بعض المدن المتفرقة أشهرها **نيقوميدية وآلاشهر وهرقلة**.

وتعرّض الإمبراطور البيزنطي آنذاك لضغط مزدوج، فقد كثّف التركمان، المنطلقون من إمارتهم الساحلية على بحر إيجة، غاراتهم على الأراضي البيزنطية في أوروبا، كما تعرّضت الممتلكات في البلقان لغارات من قِبل الصربيين، فحرص على ضمان حياد أورخان ليتفرغ لهذين الخطرين، وشرع في إجراء مفاوضات معه أسفرت عن **توقيع معاهدة صلح** في ذي الحجة ٧٣٣هـ/آب ١٣٣٣م، تعهّد فيها الإمبراطور بدفع مبلغ من المال لأورخان مقابل تعهد هذا الأخير بالتوقف عن مهاجمة الأملاك البيزنطية في آسيا الصغرى.

ويبدو أن معاهدة الصلح لم تدم طويلاً بفعل طموح أورخان، ما أدى إلى مهاجمة **نيقوميدية وفتحها** في سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م، وانسحب الإمبراطور البيزنطي منها.

أدّى اندفاع العثمانيين باتجاه الغرب إلى رغبتهم في تأمين واجهة لهم على الساحل الجنوبي لبحر مرمرة، وكان موقع إمارة **قره سي** يُحقق لهم هذه الرغبة، لذلك تطلع أورخان إلى ضمِّها، وجاءته الفرصة عندما نشب النزاع الأسري بين الأخوين طورسون وتيمورتاش، فهاجمها وضمَّها إلى أملاكه، بما فيها عاصمتها **برغمة**، وذلك في سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤-١٣٣٥م، وهي أول إمارة إسلامية في الأناضول يضمها العثمانيون إلى أملاكهم، **وبذلك أضحى الساحل الجنوبي لبحر مرمرة عثمانيًا**، وغدا **العثمانيون** يتحكمون في **مضيق الدردنيل**، كما أصبحوا أقوى الإمارات التركمانية في المنطقة.

في سنة ٧٥٨هـ اجتاز سليمان بن أورخان - ولي العهد - وبأمر من والده **مضيق الدردنيل** ليلًا مع أربعين رجلًا من فرسان الدولة العثمانية، ولما أدركوا الضفة الغربية استولوا على الزوارق الرومية هناك وعادوا بها إلى الضفة الشرقية إذ لم يكن للعثمانين أسطولًا حينذاك؛ حيث لا تزال دولتهم في بداية تأسيسها، وفي الضفة الشرقية أمر سليمان جنوده أن يركبوا الزوارق حيث تنقلهم إلى الشاطئ الأوروبي حيث فتحوا قلعة ترنب وغاليبولي التي فيها قلعة جنا قلعة، وأبسالا، ورودستو، وكلها تقع على مضيق الدردنيل من الجنوب إلى الشمال وبهذا خطى السلطان خطوة كبيرة استفاد بها من جاء بعده في فتح القسطنطينية.



مضيق الدردنيل (بالتركية: «شنق قلعة بوغاز»، باليونانية: «دَرْدَنليا») هو ممر مائي دولي يربط بحر إيجة ببحر مرمرة. ويفصل المضيق ما بين شاطئ آسيا الصغرى وشبه جزيرة غاليبولي في الجانب الأوروبي، وهما من الأراضي التركية، يبلغ طول مضيق الدردنيل حوالي ٦١ كم، وعرضه يتراوح بين ١,٢ إلى ٦ كم، ويصل عمقه من ٥٠ إلى ٦٠ م. وقد اعتنت الدولة العثمانية بتحصينه فبنت القلاع على جانبيه حتى أصبح منيعًا.



موقع مضيق الدردنيل في الجمهورية التركية، الذي يربط بين بحر إيجة وبحر مرمرة

ثانيًا.. الفتوح في أوروبا[1]:

عندما اعتلى **أورخان** عرش الإمارة العثمانية، **كانت القبائل التركية قد عبرت المضيق إلى الجانب الأوروبي مرات عدة**، من دون أن تُحقِّق نجاحًا أو تترك أثرًا، ولذلك لم يعرها الإمبراطور البيزنطي أي أهمية، لكن نشأت من هذه الغزوات، مع مرور الزمن، حملات منظَّمة نمت شيئًا فشيئًا على أيدي إمارات الأناضول التركمانية، والراجح أن أمرور بك، حاكم آيدين، قام بغارات متكررة على الأراضي البيزنطية في أوروبا.

وحاول الإمبراطور البيزنطي التحالف مع الغرب الأوروبي لوقف الزحف التركماني بعامة والعثماني بخاصة، على الرغم من المعاهدة المبرمة مع أورخان، فتقرَّب من البابا يوحنا الثاني والعشرين (٧١٣ – ٧٣٤هـ /١٣١٣ – ١٣٣٤م)، وأقنعه بضرورة شن حملة صليبية ضد العثمانيين، ويبدو أن انهماك حكام الغرب الأوروبي بمشكلاتهم الداخلية والخارجية، وعدم موافقة رجال الدين البيزنطيين الأرثوذكس على التعاون مع البابا، أفسد هذا المشروع، ما أعطى أورخان فرصة طيبة للتوسع في أوروبا استغلَّها بنجاح.

ففي سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م، حاول أورخان مهاجمة القسطنطينية وتثبيت أقدام العثمانيين في تراقيا، بواسطة أسطول صغير يتكوَّن من ست وثلاثين سفينة، لكنه هُزم أمام البيزنطيين.

وسرعان ما تدهورت أوضاع الإمبراطورية البيزنطية، بعد وفاة أندرونيقوس الثالث، حيث عانت من الحروب الأهلية والصراع الداخلي على السلطة بين زعماء اعتراهم الوهن والضعف، لم يُقدِّروا الخطر الذي يواجه دولتهم، ومن جهة أخرى فَقَدَ الشعب ثقته بنفسه وبزعمائه الذين راحوا يتسابقون للاستعانة بالعثمانيين بعضهم ضد بعض، في الوقت الذي ازدادت فيه قوة الإمارة العثمانية، ما قضى نهائيًا على تلك المعاهدة المبرمة مع أندرونيقوس الثالث.

وكان من حسن حظ العثمانيين أن البيزنطيين هم الذين دعوهم للعبور إلى أوروبا للاستعانة بهم في صراعهم الداخلي، ذلك أنه تنازع على عرش الإمبراطورية، بعد وفاة أندرونيقوس الثالث، كل من الإمبراطور الشرعي يوحنا الخامس باليوبوغوس، والإمبراطور يوحنا السادس كانتاكوزين. ويبدو أن أورخان وقف موقف المتيقظ مما كان يحدث في البلاط البيزنطي، وبخاصة حين أوعزت إليه الإمبراطورة انّا دي سافوا، والدة يوحنا الخامس والوصية عليه، أن يُرسل جيشًا لمساعدتها ضد يوحنا السادس، ما دفع هذا الأخير إلى استقطاب **أورخان** بأن زوَّجه ابنته تيودورا مقابل ستة آلاف جندي يقدمها له أورخان، وتمكَّن بهذه القوة العسكرية من الاستيلاء على المدن الواقعة على شواطئ البحر الأسود باستثناء سوزوبوليس، واعتلاء العرش في سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م.

١- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص ٤٠ - ٤٣ .

ودخل **الصربيون** آنذاك على خط الصراع السياسي، فاستغلوا النزاعات البيزنطية الداخلية، وغزوا الأراضي البيزنطية في سنة ٧٥٠هـ /١٣٤٩م، بقيادة أسطفان دوشان، فاستولوا على سالونيك وبعض المدن الأخرى، وشجَّعه هذا النجاح إلى التطلع نحو القسطنطينية نفسها ما دفع الإمبراطور يوحنا السادس إلى الاستعانة، مرة أخرى، بأورخان لوقف الزحف الصربي، فأمده بعشرين ألف جندي بقيادة ابنه سليمان.

لكن حدث أن تراجع **أسطفان دوشان** قبل وصوله إلى العاصمة البيزنطية، في حين نجحت القوات العثمانية في إبعاد الصربيين عن إقليم تساليا، بعد **معركة إيميثيون** على نهر ماريتزا وأعادت سالونيك إلى حظيرة الإمبراطورية ثم عادت إلى آسيا الصغرى.

ويبدو أن الإمبراطور يوحنا السادس قد تعرَّض مجددًا لمشكلات من قِبل منافسه يوحنا الخامس في سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م، ما دفعه إلى طلب المساعدة من صهره الذي أرسل إليه قوة عسكرية قوامها عشرين ألف جندي بقيادة ابنه سليمان، ومنحه يوحنا السادس قلعة جنك –تزمب- لاتخاذها قاعدة له. تقدمت هذه القوة باتجاه العاصمة وعسكرت تحت أسوارها، وانتزع سليمان في أثناء تقدُّمه، مدينة أنقرة من القرمانيين، لكن هذه القوة استُدعيت فجأة إلى الأناضول بسبب خطر غير مُحدَّد، ويبدو أن العثمانيين، الذين لم يكونوا على وفاق مع جيرانهم من الإمارات التركمانية، هو السبب في ذلك، بالإضافة إلى أنهم كانوا يخشون الإيريتنيين، أتباع الأمير أرتنا (أرطنا)، الذين كانوا يعدُّون أنفسهم مسؤولين عن إدارة الأناضول بعد رحيل الحاكم المغولي تيمورتاش في سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م، وقد نتج عن ذلك أن خرجت **أنقرة** عن سيطرة العثمانيين، لكن هؤلاء احتفظوا بقلعة جنك المهمة وراحوا يشنون الغارات منها على مدينة **غاليبولي** الواقعة على **شاطئ الدردنيل**، وهي ذات أهمية اقتصادية كبيرة، وعلى تراقيا، واستطاعوا خلال مدة وجيزة من **فتح غاليبولي**، وذلك إثر زلزال شديد تعرَّضت له في ٦ صفر ٧٥٥/ ٢ آذار ١٣٥٤م) تصدَّعت خلاله أسوارها. وكان سليمان في قره بيجا القريبة منها، فاستغل هذه الفرصة وحاصر المدينة ثم فتحها، كما فتح قلاعًا عدة في المنطقة منها أبسالا ورودستو، فاشتدَّ بذلك الضغط العثماني على القسطنطينية، وأضحى قطاع تراقيا هدف العثمانيين اللاحق، وفعلاً خضع هذا الإقليم لهم.

وحتى يُثبِّت أقدام العثمانيين في المناطق المفتوحة ومنع البيزنطيين من استعادتها، عمد أورخان إلى نقل أعداد كبيرة من الرعاة التركمان إليها بهدف تتريكها.

والواقع أن دخول الأتراك بعامة إلى منطقة **الروملِي** وترسيخ أقدامهم فيها، جرى بشكل منظم، فكانت كلما تقدمت مناطق الحدود التي استوطنها المجاهدون القادمون من الأناضول، نحو الغرب، ازدادت فرص العمل والرزق في الأراضي المفتوحة، فتجتذب الناس الذين كانوا يعيشون، في ضيق، في الأناضول.

وما حدث في القسطنطينية آنذاك من حسم الصراع على السلطة، **حيث حمّل الشعب البيزنطي يوحنا السادس مسؤولية استقرار العثمانيين في البلقان**، الأمر الذي دفعه إلى التنازل عن الحكم في الأول من ذي الحجة ٧٥٦ هـ/ ٤ كانون الأول ١٣٥٥م، لصالح يوحنا الخامس؛ أتاح للعثمانيين التدخل في صميم الحياة البيزنطية، لأن سليمان تدخل في هذا النزاع لمصلحة الثاني، وتأكد هذا التعاون بالتقارب الأسري حيث خطب الأمير خليل بن أورخان إحدى بنات الإمبراطور، وجرى الاحتفال بمراسم الخطبة في القسطنطينية.

لم يهنأ سليمان بفتوحه الأوروبية، فقد توفي في أوائل سنة ٧٦٠ هـ / أواخر ١٣٥٨م، إثر اصطدامه ببعض الأشجار وهو على جواده، **ما كان سبباً في وقف التقدم العثماني في أوروبا إلى حين**، لأن سليمان كان الأكثر قدرة، من بين أبناء أورخان من جهة، ولأن الأخير توفي من شدّة حزنه على وفاة ابنه، وذلك في جمادى الأولى ٧٦١هـ/ آذار ١٣٦٠م.

تكمن قيمة **أورخان** في أنه شهد أول استقرار إسلامي في أوروبا من جهة البلقان، كما شهد ظهور نظام عسكري جديد سيلقي الرعب في قلوب الشعوب الأوروبية لمدة أربعة قرون متلاحقة، بالإضافة إلى ظهور الإمارة العثمانية التي أصبحت تمتد من أنقرة إلى تراقيا، بعد أن ضاعف الأراضي التي ورثها عن والده ست مرات، وأرسى أول تنظيم للدولة.

ملامح من سياسة الغازي أورخان بن عثمان الداخلية:

كانت غزوات أورخان منصبة على الروم ولكن حدث في سنة ٧٣٦هـ-١٣٣٦م، أن توفي أمير قره سي - وهي إحدى الإمارات التي قامت على أنقاض دولة سلاجقة الروم واختلف ولده من بعده وتنازعا الإمارة. واستفاد أورخان من هذه الفرصة فتدخل في النزاع وانتهى بالاستيلاء على الإمارة، وقد كان مما تهدف إليه الدولة العثمانية الناشئة أن ترث دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى وترث ما كانت تملكه واستمر الصراع لذلك بينها وبين الإمارات الأخرى حتى أيام الفاتح حيث تم إخضاع آسيا الصغرى برمتها لسلطانه. د. علي الصلابي، ص ٧٠.



شبه جزيرة جاليبولي (غاليبولي) وهي تطل على بحر إيجة من جهتها الغربية وعلى مضيق الدردنيل من جهتها الشرقية

بعد أن تمّ **أورخان** البناء الداخلي حتى حدث صراع على الحكم داخل الدولة البيزنطية وطلب الإمبراطور (كونتاكوزينوس) مساعدة السلطان أورخان ضد خصمه، فأرسل قوات من العثمانيين لتوطيد النفوذ العثماني في أوروبا. وفي عام ١٣٥٨م أصاب زلزال **مدن تراقيا** فانهارت **أسوار غاليبولي،** وهجرها أهلها مما سهل على العثمانيين دخولها. وقد احتج الإمبراطور البيزنطي على ذلك دون جدوى؛ كان رد أورخان أن العناية الإلهية قد فتحت أبواب المدينة أمام قواته. وما لبث غاليبولي أن أصبحت أول قاعدة عثمانية في أوروبا، ومنها انطلقت الحملات الأولى التي توجت في النهاية بالاستيلاء على كل شبه جزيرة البلقان. وحين انفرد يوحنا الخامس باليولوجس بحكم بيزنطة أقر كل فتوح أورخان في أوروبا في مقابل تعهد السلطان بتسهيل وصول الطعام والمؤن إلى القسطنطينية. وأرسل أورخان أعدادًا كبيرة من **القبائل المسلمة بغية الدعوة إلى الإسلام** ومنع تمكن النصارى من طرد العثمانيين من أوروبا.

د. علي الصلابي، الدولة العثمانية، ص ٧٦، نقلاً عن (في أصول التاريخ العثماني)، ص ٤٧

العوامل التي ساعدت السلطان أورخان في تحقيق أهدافه [١] :

١- المرحلة التي سار عليها أورخان واستفادته من جهود والده عثمان ووجود الإمكانيات المادية والمعنوية، التي ساعدتهم على فتح الأراضي البيزنطية في الأناضول وتدعيم سلطتهم فيها، ولقد تميزت جهود أورخان بالخطى الوئيدة والحاسمة في توسيع دولته ومد حدودها، ولم ينتبه العالم المسيحي إلى خطورة الدولة العثمانية إلا بعد أن عبروا البحر واستولوا على غاليبولي.

٢- كان العثمانيون - يتميزون - في المواجهة الحربية التي تمت بينهم وبين الشعوب البلقانية - بوحدة الصف ووحدة الهدف ووحدة المذهب الديني وهو المذهب السني.

٣- وصول الدولة البيزنطية إلى حالة من الإعياء الشديد، وكان المجتمع البيزنطي قد أصابه تفكك سياسي وانحلال ديني واجتماعي، فسهل على العثمانيين ضم أقاليم هذه الدولة.

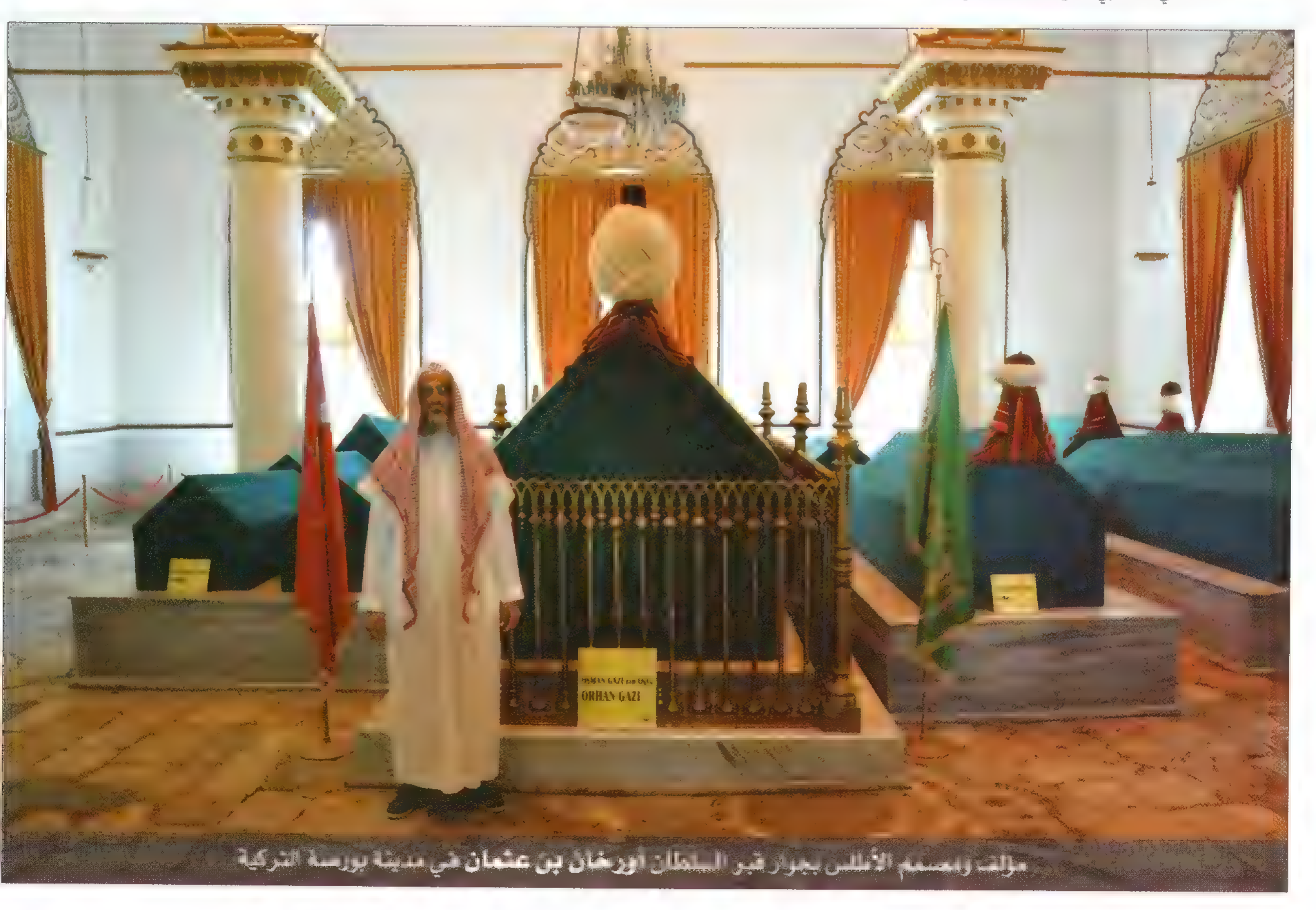
٤- ضعف الجبهة المسيحية نتيجة لعدم الثقة بين السلطات الحاكمة في الدولة البيزنطية وبلغاريا وبلاد الصرب والمجر، ولذلك تعذر في معظم الأحيان تنسيق الخطط السياسية والعسكرية للوقوف في جبهة واحدة ضد العثمانيين.

٥- الخلاف الديني بين روما والقسطنطينية أي بين الكاثوليكية والأرثوذكس الذي استحكمت حلقاته وترك آثارًا عميقة الجذور في نفوس الفريقين.

٦- ظهور النظام العسكري الجديد على أسس عقدية، ومنهجية تربوية وأهداف ربانية وأشرف عليه خيرة قادة العثمانيين.

---

١ - د. علي الصلابي، الدولة العثمانية، ص ٧١.

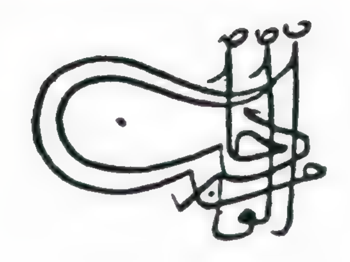


مؤلف ومصمم الأطلس بجوار قبر السلطان أورخان بن عثمان في مدينة بورصة التركية



(٧٦١-٧٩١ هـ)

(١٣٦٠ - ١٣٨٩م)



والده: أورخان غازي

والدته: نيلوفر خاتون

ولادته: ٧٦١هـ / ١٣٦٠م.

وفاته: سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٩م.

مدة حكمه: من سنة ١٣٦٠ م إلى ١٣٨٩م.

كان مراد الأول طويل القامة، جسيمًا، مستدير الوجه، كبير الأنف، وكان يضع على رأسه قبعة مولوية ويلف عليها عمامة كروية الشكل، وكانت ملابسه بسيطة جدًا، كما كان رقيقًا وحليمًا، يحترم العلماء وأصحاب الحرف، ويشفق كثيرًا على الفقراء وفاقدي السند، حتى أصبح محبوبًا من قبل العامة الذين يدعونه غازي خنكار أي الحاكم أو السلطان. السلاطين العثمانيون، عبد القادر أوغلو، ص ٣٨، تعريب محمد جان.

الأعلام المتوفون في عهده:

سيد أمير كلال، من شيوخ النقشبندية، جمال الدين عبد الله أفندي ابن هشام مؤلف كتاب (مُغْني اللبيب)، والمعروف بموجد المدفع، شمس الدين الكرماني شارح صحيح البخاري.

أبناؤه:

يعقوب جلبي، يلدرم بايزيد، صوجي، إبراهيم.

بناته:

نفيسة، سلطان خاتون.

وصيته: (لقد دعوت الله أن يذيقني من كأس الشهادة إن كان انتصار الإسلام في شهادتي، وقد استجاب الله – جل جلاله – لدعائي، فالحمد لله والشكر له، إذ أموت بعد رؤيتي انتصار جيش الإسلام. بايعوا بايزيد ابني، حذار أن تؤذوا الأسرى، أو تعتدوا على أرواحهم وأموالهم. أستودعكم الله دولتنا من جميع الشرور) هذا وقد نقل جثمانه إلى بورصة ودفن في ضريحه في (جكركه).



حاول أمير دولة القرمان في أنقرة أن يعد جيشًا مكونًا من جيوش الأمـراء المستقلين في آســيا الصغـرى لقتـال العثمانيـين لكنه فوجئ بجيش مـراد الأول يحيـط بمدينـة أنقرة ويفتحها فاضطر لعقد صلـح معـه يتنـازل فيـه عن أنقرة.

[illegible] إلى عمورية قال أبو تمام:

يايوم وقعة عموريه انصرَفتْ ... عنك المنَى حُفلاً معسولةَ الحلب

جرى لها الفالُ بَرحاً يوم أنقرة ... إذْ غُودرَت وحشة الساحات والرحب

لما رأت أختها بالأمس قد خرَبت ... كان الخرابُ لها أعدَى من الجرَب



الإمارة العثمانية بعد ضم أنقرة في عهد مراد الأول



الدولة العثمانية قبل التوجه للفتوح في أوروبا

تحالف السلطان **مراد الأول** مع بعض أمراء الأناضول، أمثال أمير كرميان الذي زوَّج ابنته للأمير بايزيد الأول، وكانت مدينة كوتاهية مقرًا لهم، كما تنازل له عن بعض المدن منها إزمير، وأجبر مراد الأول أمير الحميد على التنازل له عن بلاده في منطقة بسيديا لقاء ثمن، وضمها إلى الأملاك العثمانية، وهاجم السلطان العثماني إمارة تكَّة وضم قسمًا من أراضيها، وبذلك يكون مراد الأول قد ضم بعض ممتلكات الإمارات التركمانية في آسيا الصغرى.

السلطان مراد الأول وحركة الجهاد على الساحة الأوروبية

كان **مراد الأول** شجاعًا مجاهدًا كريمًا متدينًا، وكان محبًا للنظام متمسكًا به، عادلًا مع رعاياه وجنوده، شغوفًا بالغزوات في سبيل نشر لواء الإسلام، وبناء المساجد والمدارس والملاجئ وكان بجانبه مجموعة من خيرة القادة والخبراء والعسكريين، شكل منهم مجلسًا لشورته، وتوسع في آسيا الصغرى وأوروبا في وقت واحد[1].

ففي أوروبا هاجم الجيش العثماني أملاك الدولة البيزنطية ثم استولى على **مدينة أدرنة** في سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م، وكانت لتلك المدينة أهمية إستراتيجية في البلقان، وكانت ثاني مدينة في الإمبراطورية البيزنطية بعد القسطنطينية. **واتخذ مراد** من هذه المدينة عاصمة للدولة العثمانية منذ سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م، وبذلك انتقلت العاصمة إلى أوروبا، وأصبحت **أدرنة** عاصمة إسلامية، وكان هدف مراد من هذه النقلة[2]:

١- استغلال مناعة استحكامات أدرنة الحربية وقربها من مسرح العمليات الجهادية.

٢- رغبة مراد في ضم الأقاليم الأوربية التي وصلوا إليها في جهادهم وثبتوا أقدامهم فيها.

٣- جمع مراد في هذه العاصمة كل مقومات النهوض بالدولة وأصول الحكم، فتكونت فيها فئات الموظفين وفرق الجيش وطوائف رجال القانون وعلماء الدين، وأقيمت دور المحاكم وشيدت المدارس المدنية والمعاهد العسكرية لتدريب الانكشارية.

واستمرت أدرنة على هذا الوضع السياسي والعسكري والإداري والثقافي والديني، حتى فتح العثمانيون القسطنطينية في سنة ٨٥٧ هـ- ١٤٥٣م، فأصبحت عاصمة لدولتهم.

بعد أن فتح السلطان العثماني **مراد الأول مدينة أدرنة** واستغل موقعها الفريد بوقوعها على ثلاثة أنهر، وتحصيناتها العسكرية، وقربها من مجريات العمليات العسكرية الجهادية جعلها **عاصمة لسلطنته**، فبنى فيها دور العلم والمساجد لتنشئة الجيل القادم من العسكريين والقضاة ورجال الدولة المهرة، وكانت أدرنة ثاني أهم مدينة بيزنطية بعد القسطنطينية.

---

١ - ٢، د. إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص ٣٨ .



فتح أدرنة على يد السلطان العثماني مراد الأول

العام الهجري: ٧٦٢ هـ

العام الميلادي: ١٣٦٢م

تفاصيل الحدث: فتح العثمانيون في هذه السنة مدينة أدرنة بعد أن حاصروها، فسلمها القائد الرومي بعد أن يئس من المقاومة، فنقل مراد الأول عاصمته إليها لتكون على مقربة من أوروبا وليكون الهجوم على القسطنطينية من جهة الغرب وكانت العاصمة قبل ذلك هي مدينة بورصة، وبقيت هذه المدينة أدرنة عاصمة للعثمانيين حتى تم فتح القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ كما تم الاستيلاء على مدن أوروبية أخرى مثل فيلبه قاعدة بلاد الروملّي الشرقي جنوبي بلغاريا اليوم.

الروملّي أو روملِيا (بالتركية: Rumeli) اسم أطلقه الأتراك على جنوبي البلقان خلال القرن الخامس عشر الميلادي، وكلمة **روملّي** مؤلفة من شقين الأول "روم" أي الرومان (البيزنطيين) و"لي" تعني أرض باللغة التركية، والكلمة ككل تعني "أرض الروم".



برج العدالة العثماني في مدينة أدرنة التركية



إحدى المنارات الأثرية في مدينة أدرنة التركية

التحالف الصليبي ضد مراد الأول [١]

مضى **السلطان مراد** في حركة الجهاد والدعوة وفتح الأقاليم في أوروبا، وانطلق جيشه يفتح **مقدونيا**، وكانت لانتصاراته أصداء بعيدة، **فتكون تحالف أوروبي بلقاني صليبي باركه البابا أوربان الخامس، وضم الصربيين والبلغاريين والمجريين، وسكان إقليم والاشيا**. وقد استطاعت الدول الأعضاء في التحالف الصليبي أن تحشد جيشًا بلغ عدده ستين ألف جندي تصدى لهم القائد العثماني " **لالا شاهين** " بقوة تقل عددًا عن القوات المتحالفة، وقابلهم على مقربة من "تشيرمن" على **نهر مارتيزا**، حيث وقعت معركة مروعة وانهزم الجيش المتحالف، وهرب الأميران الصربيان، ولكنهما غرقا في نهر مارتيزا، ونجا ملك المجر بأعجوبة من الموت، أما السلطان مراد فكان في هذه الأثناء مشتغلًا في توحيد القبائل التركمانية في **آسيا الصغرى** حيث فتح مدنًا عدة فيها، ثم عاد إلى مقر سلطنته لتنظيم ما فتحه من الأقاليم والبلدان كما هو شأن القائد الحكيم.

من نتائج انتصار العثمانيين على نهر مارتيزا أمور مهمة منها:

١- تم لهم فتح إقليم تراقيا ومقدونيا ووصلوا إلى جنوبي بلغاريا وإلى شرقي صربيا.

٢- أصبحت مدن وأملاك الدولة البيزنطية وبلغاريا وصربيا تتساقط في أيديهم كأوراق الخريف.

أول معاهدة بين الدولة العثمانية والمسيحية:

لما اشتد ساعد الدولة العثمانية خاف مجاوروها، خصوصًا الضعفاء منهم، فبادرت جمهورية (راجوزه) وأرسلت إلى السلطان مراد رسلًا ليعقدوا مع السلطان مراد معاهدة ودية وتجارية تعاهدوا فيها بدفع جزية سنوية قدرها ٥٠٠ دوكا ذهب، وهذه أول معاهدة عقدت بين الدولة العثمانية والدول المسيحية.

خاف **أمراء أوروبا** الذين يجاورون العثمانيين من **المد العثماني** فكتبوا إلى **البابا** يستنجدونه وذهب إمبراطور القسطنطينية إلى البابا، وركع أمامه! وقبل يديه ورجليه!؟ وطلب منه الدعم ضد المسلمين على الرغم من مذهبه الأرثوذكسي ومذهب البابا الكاثوليكي وما بينهما من عداوة شديدة واختلافات وبغضاء، ولكنهما اتحدا ضد الإسلام. وافق البابا على نصرة الإمبراطور بغضًا في الإسلام وليس حبًا للإمبراطور، وأرسل البابا لملوك أوروبا طالبًا منهم الاستعداد لشن حرب صليبية جديدة لوقف المد الإسلامي في قلب أوروبا. موقع قصة الإسلام.

١ - د. علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص ٧٣ - ٧٥.



حـاول **الأمـراء الأوروبيون الاستنجاد بالبابا وبملوك أوروبا الغربيـة** ضد المسلمين؛ فلبَّى البابا النـداء وبعث لملـوك أوروبا عامة يطالبهم بشن حملـة صليبية جديدة؛ ولكن ملك الصـرب لم يتوقع الدعم السريـع فاستنهض الأمـراء المجاورين له، وهم أمراء البوسنة والأفلاق (جنوبي رومانيا) وعدد من فرسان المجـر، واتجهوا نحو **أدرنة** في أثناء انشغال السلطان مراد الأول ببعض حروبه في آسيا الصغرى، غير أن جيـش العثمانيين أسـرع للقائهم في هجوم ليلي مفاجئ، وهزمهم هزيمة منكـرة قرب نهر ماريتزا، وغرق أمـيرا **الصـرب** في ميـاه النهر خلال فرارهما، ونجا ملـك **المجر** من الموت بأعجوبـة، وكانت هذه المعركة حاسمة حيث ضمنت للإنكشارية فتح مقدونيا. ثم قام السلطان مراد بتزويج ابنه بايزيد الأول من ابنة أمير كرميان لعقد نوع من الحلف بين الدولتين يستقوي به على أعدائه. موقع إسلام أون لاين.

معركة قُوصُووَه (كوسوفو)

١٥ يونيو ١٣٨٩ م/٧٩١ هـ

هاجم **ملك الصرب أدرنة** حينما كان السلطان مراد غائبًا عنها في آسيا الصغرى (الأناضول)، فلما علم بأمر الهجوم عاد وحارب الصرب وهزمهم، فقام ملك الصرب الجديد بالتحالف مع أمير بلغاريا لمحاربة العثمانيين، فلما قامت الحرب، هرب أمير بلغاريا ثم اصطلح الصرب والبلغار مع الدولة العثمانية نظير حماية سنوية يدفعونها لهم، ولكن الصرب نقضوا عهدهم وتحالفوا مع ألبانيا ضد العثمانيين والتقى الفريقان في قوصووَه.

دارت رحى المعركة بعنف وحمى الوطيس وتطايرت الرؤوس، وظلت الحرب سجالاً بين الطرفين حتى فر صهر ملك الصرب "**لازار**" ويدعى "فوك برانكوفتش" ومعه عشرة آلاف فارس والتحق بجيش المسلمين، فدارت الدائرة على الصرب وجرح لازار وأسر فقتله العثمانيون وانتصر المسلمون.

بعد انتصار العثمانيين الأتراك في قُوصُووَه، قام السلطان مراد يتفقد ساحة المعركة، ويدور بنفسه بين صفوف القتلى من المسلمين ويدعوا لهم، كما كان يتفقد الجرحى، وفي أثناء ذلك قام جندي من الصرب كان قد تظاهر بالموت وأسرع نحو السلطان فتمكن الحراس من القبض عليه، ولكنه تظاهر بأنه جاء يريد محادثة السلطان، ويريد أن يعلن إسلامه على يديه، وعند ذلك أشار السلطان للحرس بأن يطلقوه، فتظاهر بأنه يريد تقبيل يد السلطان، وقام في حركة سريعة بإخراج خنجر مسموم طعن به السلطان فاستشهد -رحمه الله- في ١٥ شعبان سنة ٧٩١هـ. موقع المعرفة

لعنة كوســـوفو .. ؟!

"من كان صربيًا أو صربي المولد،
أو صربي الدم والمحتد،
ولا يأتي إلى معركة كوسوفو،
عسى ألا يرى خلفًا يشتاق قلبه إليه،
لا من البنين ولا من البنات!
وعسى ألا ينمو ما تذروه يداه،
لا نبيذ داكن ولا خبز أبيض!
ملعون هو من كل الأزمان إلى كل الأزمان!"

- القيصر **لازار يلعن** من لم يخرج لقتال الأتراك العثمانيين المسلمين في معركة كوسوفو (قوصووه).


نقش اللعنة على نصب كازيميستان

معركة قوصووه (كوسوفا)

١٥ يونيو ١٣٨٩م/٧٩١هـ

الصرب

البلغاريون

البوسنيون

القوات العثمانية

الصرب

نيش

قوصووة

صفر ١ ٢ ٣ كم

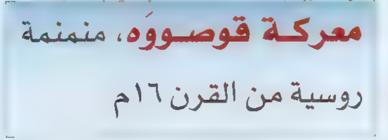
أبرز نتائج المعركة :

١ – انتشار الإسلام في منطقة البلقان، وتحول عدد كبير من الأشراف القدامى والشيوخ إلى الإسلام بمحض إرادتهم بعدما شاهدوا صدق تعامل العثمانيين المسلمين معهم، وعدم اقترافهم للمحرمات.

٢ – اضطرت العديد من الدول الأوروبية إلى أن تخطب ود الدولة العثمانية الفتية، فبادرت بعضها بدفع الجزية لهم، وقام البعض الآخر بإعلان ولائه للعثمانيين خشية قوتهم واتقاء غضبهم.

٣ – امتدت سلطة العثمانيين على أمراء المجر (هنغاريا) ورومانيا والمناطق المجاورة للإدرياتيك حتى وصل نفوذهم إلى ألبانيا.





معركة قوصووه، منمنمة روسية من القرن ١٦م



معركة قوصووه، بريشة Adam Stefanović، زيت، ١٨٧٠م

لم يكـن **مـراد الأول** يحارب لسفك الدماء أو شهوة في الملـك، ومما دلل على ذلك أنه عندما أسر أمير البلغار لم يقم السلطان مراد بإذلاله؛ بل صرف له راتبًا وجعله حاكمًا شبه مستقل على النصف الآخر من بلغاريـا، كما عفا عن أمير القرمان الذي كان قد هـادن السلطان من قبل، حيث اقتاده ديمور طاش باشا أسيرًا بعد أن أعد العدة ليثور على العثمانيين، فأعاد له كل بلاده شريطة أن يدفع الجزية محترمًا مركز علاء الدين كوالد زوجته.

كان **يتضرع إلى الله بالدعاء** ويؤمن بأن النصر من عنده، وكان مما دعا به قبل **معركة قوصووه**:

(يـا الله يـا رحيـم، يـا رب السـموات، يا من تتقبـل الدعاء، لا تخزني يا رحمن يا رحيم، اسـتجب دعاء عبـدك الفقير هذه المرة، أرسل السـماء علينا مدرارًا، وبدد سحب الظلام فنرى عدونا، وما نحن سوى عبيدك المذنبين إنك الوهاب ونحن فقراؤك، ما أنا سوى عبدك الفقير المتضـرع، وأنت العليم يا علام الغيوب والأسـرار وما تخفـي الصـدور ليس لي من غاية لنفسي ولا مصلحة ولا يحملني طلـب المغنم، فأنا لا أطمع إلا فـي رضـاك يـا الله يا عليم، يا موجود فـي كل الوجود، أفديك بروحي فتقبل رجائي ولا تجعل المسلمين يبـوء بهم الخذلان أمام العدو، يا الله يـا أرحم الراحمين، لا تجعلني سببًا فـي موتهم، بل اجعلهم المنتصرين، إن روحي أبذلها فداءً لك يا رب إنّي وددت ولازلت دومًا أبغي الاستشهاد...).



فتح الصرب وقهر تمرد ابن السلطان: تمرد على السلطان مراد ابنه **(ساوجي)** بالاتفاق مع ابن إمبراطور القسطنطينية؛ فأرسل إلى ابنه جيشًا فقتله وقتل ابن الإمبراطور البيزنطي أيضًا.

كان السلطان مراد يتوغل في بلاد البلقان بنفسه فحاول **لازار ملك الصرب** الانضمام للألبانيين ومحاربة العثمانيين؛ فأدركه الجيش قبل وصوله إلى مبتغاه في سهل **قوصووه (كوسوفو)**، فدارت معركة عظيمة الأهوال بين الطرفين وانحاز صهر لازار إلى جانب المسلمين بفرقته المؤلفة من عشرة آلاف مقاتل **فانهزم الصرب** ووقع ملكهم أسيرًا بأيدي المسلمين، فقتلوه انتقامًا لأفعاله الدنيئة بأسراه من المسلمين، وظل صدى هذه المعركة يتردد في أوروبا لحقبة طويلة وفقدت الصرب استقلالها، **واستمر الحكم العثمانيّ لصربيا أربعة قرون**، وبالرغم من قيام حركات مناهضة لسيطرتهم، فإن صربيا لم تنل الاستقلال إلا عندما هُزِم العثمانيون أمام الروس سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٨م.

وخلال سنوات الحرب العالمية الأولى، انحسر النفوذ العثماني في البلقان، فاستقلت دول البلقان. وفي سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م، تأسست **مملكة الصرب والكروات وسلوفينيا حيث أطلق عليها سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م من جديد اسم المملكة اليوغوسلافية**. إسلام أون لاين.

عن جابر

والحاكم

باحة مزار السلطان مراد الأول الذي استشهد في معركة كوسوفو (قوصووة) ويقع المزار بين بريشتينا وميتروفيتشا



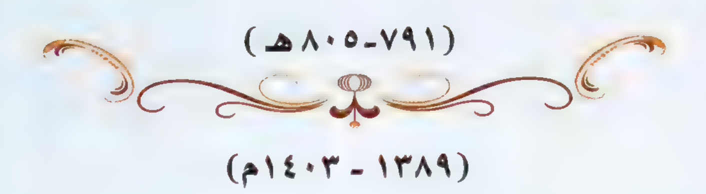
الترميم الذي قامت به الحكومة التركية مؤخرا لقبر السلطان مراد في كوسوفا

من كلمات السلطان مراد الأخيرة قبل وفاته:

(لا يسعني حين رحيلي إلا أن أشكر الله، إنه علام الغيوب المتقبل دعاء الفقير، أشهد أن لا إله إلا الله، وليس يستحق الشكر والثناء إلا هو، لقد أوشكت حياتي على النهاية ورأيت نصر جند الإسلام. أطيعوا ابني يزيد، ولا تعذبوا الأسرى ولا تؤذوهم ولا تسلبوهم، وأودعكم منذ هذه اللحظة، وأودع جيشنا الظافر العظيم إلى رحمة الله، فهو الذي يحفظ دولتنا من كل سوء).



(٧٩١-٨٠٥هـ)



(١٣٨٩ - ١٤٠٣م)

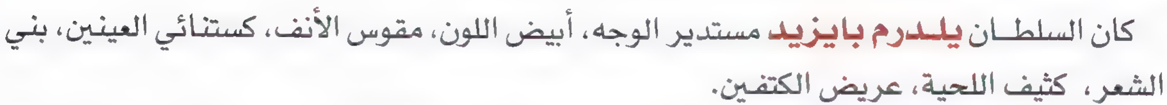
والده: مراد خداوند كار

والدته: كول جيجك خاتون

ولادته: سنة ٧٦١هـ / ١٣٦٠م

وفاته: سنة ٨٠٥ هـ / ١٤٠٣م

مدة حكمه: من ٧٩١ - ٨٠٥ هـ / ١٣٨٩ - ١٤٠٣م



كان السلطان **يلدرم بايزيد** مستدير الوجه، أبيض اللون، مقوس الأنف، كستنائي العينين، بني الشعر، كثيف اللحية، عريض الكتفين.

نشأ بايزيد الأول في كنف والده، وعندما بلغ بايزيد الأول الرابعة عشرة من عمره عينّه والده لينوبه على العرش، فاكتسب الإحساس بالهيبة، فهو أكثر من مجرد قائد للجيوش، واتسم تصرفه باستعلاء في علاقاته مع القوى النصرانية. أطلق عليه لقب يلدرم أي البرق أوالصاعقة؛ لظهور شجاعته وبسالته حينما عينه والده سنة ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م، حاكمًا على إمارة كرميان، إذ كان مقدامًا إلى حد العناد، كما تتفق كل المصادر على أنه كان شفوقًا على الرعية رحيمًا بها. وبعد استشهاد والده السلطان مراد تولى الحكم ابنه بايزيد، الذي كان متحمسًا لمواصلة مسار الفتح الإسلامي على الجبهة البلقانية، ولذلك اهتم اهتمامًا كبيرًا بالشؤون العسكرية فاستهدف الإمارات التركمانية التي أرادت الانفصال في الأناضول، وخلال عام أصبحت تابعة للدولة العثمانية، وأثبت خلال حكمه أنه الحاكم القوي والصلب، بذكائه الفطري، وجسارته الطبيعية، لكن يؤخذ عليه بأنه لم يتصف بما اتصف به والده في فن القيادة الحاكمة. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون،تعريب محمد جان، ص ٤٠.

الأعلام الذين عاصروه:

بهاء الدين شاه نقشبند من شيوخ النقشبندية، علاء الدين العطار، سعد الدين التفتازاني وهو صاحب كتاب تلخيص المفتاح في البلاغة، كمال الدين خوجندي مؤلف كتاب شرح المقاصد، كمال الدين محمد الدميري مؤلف كتاب حياة الحيوان، حافظ الشيرازي، الشيخ محمد بن علي بن يوسف الجزري، الشيخ قطب الدين الإزنيقي، الشيخ شهاب الدين السيواسي، الشيخ شمس الدين محمد بن الزازي.

أبناؤه:

موسى جلبي، سليمان جلبي، مصطفى جلبي، عيسى جلبي، محمد جلبي، أرطغول جلبي، قاسم جلبي. وكان معه في معركة (أنقرة) خمسة منهم.

بناته:

فاطمة سلطان.



خريطة (عثمانية قديمة) تبين أقاليم الدولة العثمانية في البلقان والأناضول

١ التوسع في الأناضول

كانت منطقة الأناضول (آسيا الصغرى) على الدوام منطقة الانطلاق لأي سلطان عثماني جديد، ذلك لأن هذه المنطقة منقسمة على نفسها لعدة إمارات صغيرة يحكمها أمراء متغلبون على رقاب الناس (انظر خارطة الإمارات التركية في آسيا الصغرى بعد سقوط دولة سلاجقة الروم ص ٦٨ من هذا الأطلس للأهمية)، وقد سعى **السلطان مراد الأول** لتوحيد الأناضول بوسائل عدة، ولم يكد ينجح في ذلك حتى انفرط العقد مرة أخرى، ثار هؤلاء الأمراء على العثمانيين، وسببوا لهم الكثير من المتاعب، وكانت ثوراتهم المتكررة سببًا لصرف جهود العثمانيين عن مواصلة الفتح الإسلامي على جبهة البلقان الأوروبية، مما جعل الأوروبيين يلتقطون أنفاسهم ويشكلوا تحالفات صليبية متكررة لمحاربة العثمانيين، وفي سنة ٧٩٣هـ استطاع **بايزيد الأول** أن يضم **إمارات منتشا، آيدين وصاروخان** دون قتال؛ بناءً على رغبة سكان هذه الإمارات، وقد لجأ حكام هذه الإمارات إلى إمارة إسفنديار (آل جندار)، كما تنازل له **أمير القرمان** علاء الدين عن جزء من أملاكه بدلًا من ضياعها كلها، وقد اشتهر علاء الدين هذا بالغدر والخيانة، وأخبار جرائمه أيام السلطان مراد الأول مشهورة، لذلك فلم يكن مستغربًا على هذا الرجل أن يثور مرة أخرى أيام بايزيد مستغلًا انشغاله بالجهاد في سبيل الله على الساحة الشرقية الأوروبية (البلقان)، حيث قام علاء الدين بالهجوم على الحاميات العثمانية وأسر كبار قادة العثمانيين واسترد بعض الأراضي، فعاد بايزيد بسرعته المعهودة وانقض كالصاعقة على علاء الدين وفرق شمله **وضم إمارة القرمان** كلها للدولة العثمانية وتبعتها إمارة **سيواس وتوقات**، ثم شق بايزيد طريقه إلى إمارة إسفنديار التي تحولت كملجأ للأمراء الفارين، وطلب بايزيد من أمير **إسفنديار (آل جندار)** تسليم هؤلاء الثوار فأبى؛ فانقض عليه بايزيد وضم بلاده إليه، والتجأ الأمير ومن معه إلى تيمورلنك.

وهاجم **بايزيد الأول** إمارات البحر الأسود في الشرق والوسط، فضم إمارة قسطموني في رجب سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م، وقتل أميرها سليمان الجندرلي وهاجم **سينوب** بحرًا في العام اللاحق، واستولى على مدن **سامسون وجانيت وعثمان جق**، وشرع بعد ذلك في إخضاع القاضي برهان الدين أحمد، أمير سيواس، فهاجم **أماسيا**، ثم ضم **سيواس وتوقات** إلى أملاكه[١].

---

١ – د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٥٧.

التوسع العثماني في الأناضول (آسيا الصغرى) في عهد السلطان بايزيد الأول (يلدرم)

ميناء سينوب على البحر الأسود، ويرى في مقدمة الصورة قلعة سينوب التاريخية

٢ العلاقة مع الصرب

بعدما فرغ السلطان **بايزيد الأول** من ترتيب الشأن الداخلي والقضاء على ثورات الأناضول، اتجه إلى ناحية أوروبا وبدأ أولى خطواته هناك **بإقامة حلف ودي مع الصرب**، حيث أصبحت صربيا بمنزلة الحاجز القوي بين **الدولة العثمانية وإمبراطورية المجر** التي كانت وقتها أقوى الممالك الأوروبية **وتلقب بحامية الصليب**، وكانت علاقة المجر والصرب متوترة.

عين السلطان بايزيد "أصطفان بن لازار" ملكًا على الصرب سنة ٧٩٢ هـ مقابل دفع جزية سنوية وتقديم عدد من المقاتلين ينضمون للجيوش العثمانية وقت الحرب، كما أن بايزيد تزوج "أوليفير" أخت أصطفان.

كان بايزيد يهدف من محالفته للصرب إلى التفرغ **للوسط الأوروبي والقسطنطينية**، لذلك فقد قام بتوجيه **ضربة خاطفة إلى بلغاريا وفتحها سنة ٧٩٧ هـ**، وأصبحت بلغاريا من وقتها إمارة تابعة للدولة العثمانية، وفرض بايزيد على إمبراطور بيزنطة مانويل شروطًا، سيأتي تفصيلها في حينه.

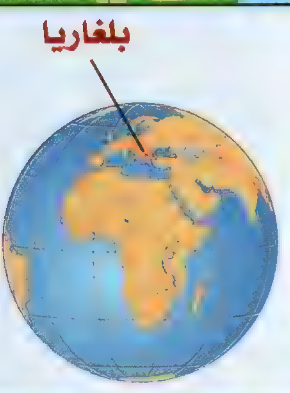


أحد المساجد العثمانية في مدينة (نيش) الصربية

فتح بلغاريا

٣ إخضاع المملكة البلغارية

بخارست
رومانيا
نهر الدانوب
١٣٩٦م
نيقوبوليس
دوبريتش
صربيا
صوفيا
بلغاريا
بورغاس
البحر الأسود
أدرنة
تركيا
مقدونيا
اليونان
بحر إيجة
١٢٥ كم ١٠٠ ٧٥ ٥٠ ٢٥





مسجد **بنيا باشي**، في صوفيا – بني سنة ٥٧٦م، على يد المعماري العثماني " سنان" وهو المسجد الوحيد المتبقي في صوفيا شاهدًا على سيطرة العثمانيين على العاصمة البلغارية لما يزيد عن ٥٠٠ سنة.

٤ معركة نيقوبوليس سنة ٧٩٨ هـ/١٣٩٦م

كان **سقوط بلغاريا** وقبول مانويل للشروط السابقة بمثابة جرس الإنذار القوي لكل الأوروبيين خاصة **ملك المجر سيجسموند والبابا بونيفاس التاسع**، فاتفق عزم الرجلين على تكوين حلف صليبي جديد لمواجهة العثمانيين، واجتهد سيجسموند في تضخيم حجم هذا الحلف وتدويله، باشتراك أكبر قدر ممكن من الجنسيات المختلفة، وبالفعل جاء الحلف ضخمًا يضم مئة وعشرين ألف مقاتل من مختلف الجنسيات مثل: ألمانيا، فرنسا، إنجلترا، إسكتلندا، سويسرا، إيطاليا، ويقود الحلف سيجسموند ملك المجر. تحركت الحملة الصليبية أواسط سنة ٧٩٨ هـ/١٣٩٥م، ولكن بوادر الوهن والفشل قد ظهرت على الحملة مبكرًا، ذلك لأن سيجسموند قائد الحملة كان مغرورًا لايستمع لنصيحة أحد من باقي قواد الحملة، وحدث خلاف شديد على إستراتيجية القتال، فسيجسموند يؤثر الانتظار حتى تأتي القوات العثمانية، وباقي القادة يرون المبادرة بالهجوم، وبالفعل لم يستمعوا لرأي سيجسموند وانحدروا مع نهر الدانوب حتى وصلوا إلى مدينة نيقوبوليس في شمالي البلقان.

لم يكد الصليبيون يدخلون المدينة حتى ظهر بايزيد ومعه مائة ألف مقاتل، فأنزل فيهم القتل إلى أن أسفرت معركة **نيقوبوليس** عن نصر عظيم للعثمانيين كان له الأثر العميق في العالم الإسلامي، ووقعت بشارة الفتح في كل مكان مسلم، وأرسل بايزيد إلى كبار حكام العالم الإسلامي يبشرهم بالفتح وبالعديد من أسرى النصارى كهدايا وسبايا لهؤلاء الحكام باعتبارهم دليلًا ماديًا على روعة النصر، وأرسل بايزيد إلى **الخليفة العباسي بالقاهرة** يطلب منه الإقرار على **لقب سلطان الروم** الذي اتخذه بايزيد دليلًا على مواصلة الجهاد ضد أوروبا حتى يفتحها كلها، ووافق الخليفة على ذلك، وانساح كثير من المسلمين إلى بلاد الأناضول حيث الدولة العثمانية القوية المظفرة[1].

أقسم السلطان العثماني بايزيد: على أنه لن يتراجع عن غزو أوروبا قبل أن يطعم فرسه الشعير في مذبح القديس بطرس في الفاتيكان ... كاد أن يفعل ذلك لولا هجوم تيمور لنك على مملكته من الشرق.

١ - موقع معارك الدولة العثمانية على الشبكة العنكبوتية.



كنيسة قديمة في نيقوبوليس

ساحة معركة **نيقوبوليس** بين العثمانيين المسلمين والتحالف الصليبي على أرض البلغار

٥ حصار العاصمة البيزنطية[(١)]

منذ أن اعتلى **بايزيد الأول** العرش العثماني في أعقاب وفاة والده مراد الأول. واصل سياسة التدخل في الصراعات العائلية بين أفراد أسرة باليولوغوس البيزنطية. ولقد ظهر ذلك واضحًا في مساعدته ليوحنا السابع ابن أندرونيقوس الرابع على دخول القسطنطينية سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م، لكن الإمبراطور يوحنا الخامس تمكن من طرده منها.

ووصلت الأوامر من قبل السلطان بايزيد إلى الإمبراطور يوحنا الخامس، بأن يرسل إلى الأول مئة جندي بقيادة ابنه مانويل، ولم يكن أمام الإمبراطور سوى السمع والطاعة. وفي آسيا الصغرى ساعد مانويل السلطان بايزيد في الاستيلاء على مدينة فيلادلفيا، آخر معاقل البيزنطيين في آسيا الصغرى. وقد استغل الإمبراطور يوحنا فرصة غياب بايزيد في آسيا وأجـــرى بعض الإصلاحات في أسوار القسطنطينية، ولكنه ما لبث أن هدمها بأوامر من بايزيد، الذي هدد بسمل عيني ابنه مانويل وإرساله إليه أعمى. ولم يستطع الإمبراطور تحمل كل هذه الإذلالات فمات كمدًا سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م. **وعندما وصلت أخبار وفاته إلى ابنه مانويل هرب من معسكر السلطان بايزيد في آسيا واعتلى العرش البيزنطي (١٣٩١ - ١٤٢٥م).** تتابعت عليه الأوامر من قبل بايزيد بالعديد من المطالب، ويومها قال له السلطان : "**إذا لم تكن راغبًا في تنفيذ أوامري، فأغلق عليك أبواب مدينتك، واحكم داخلها، لأن كل ما هو موجود خلف الأبواب ملك لي**" .

ويبدو أن مانويل قد أخذته العزة فرفض تنفيذ أوامر بايزيد، فدفع الأخير بقواته إلى **تراقيا وحاصر القسطنطينية**، ولم يُرفع الحصار إلا بعد استجابة مانويل لمطالب بايزيد، التي كان من ضمنها إقامة مسجد في القسطنطينية وفي ٨ يونيو سنة ١٣٩١م، قدم مانويل إلى آسيا الصغرى على رأس قواته لمساعدة بايزيد في بعض حروبه هناك، ولم يُغادرها إلا في يناير سنة ١٣٩٢م. ولكن بعد اجتماع مدينة سريس شتاء سنة ١٣٩٣ - ١٣٩٤م، الذي جمع السلطان بايزيد بكل قواد الدول التابعين له قرر الإمبراطور مانويل التخلص من علاقة التبعية لبايزيد. ففرض بايزيد الحصار على القسطنطينية سنة ١٣٩٤م، واستولت قواته على كل أملاك مانويل خارجها، وراح الجميع يترقبون سقوط المدينة في يد العثمانيين. وضاعت نداءات الإمبراطور إلى الغرب الأوروبي بالمساعدة أدراج الرياح، فلم تصله إلا مساعدة قليلة من فرنسا، لم تستطع أن تبعد الخطر العثماني عن القسطنطينية. فســـــافر مانويل بنفسه إلى دول أوروبا

١- صلاح ضبيع، العلاقات العثمانية البيزنطية، ص ١٨٦ -١٨٧.



متسولًا منها المُساعدة لإنقاذ عاصمته، ولكن لم يُقدم أحد على مساعدته، فمكث في باريس منتظرًا وصول خبر فتح السلطان بايزيد للقسطنطينية. وعلى أي حال، فقد جاء إنقاذ القسطنطينية -خلال هذه المرحلة- من الشرق وليس الغرب. فقد حدث آنذاك أن عاثت جحافل المغول بقيادة تيمورلنك فسادًا في الأملاك العثمانية الآسيوية، مما دفع بايزيد إلى رفع الحصار عن القسطنطينية والعبور إلى آسيا، ولكنه لقي حتفه في موقعة أنقرة سنة ١٤٠٢م. فالتقطت القسطنطينية أخر نفس في حياتها، الذي أطال في عمرها نصف قرن.

قلبت موقعه أنقرة -سيأتي تفصيلها- ميزان القوى لصالح البيزنطيين، بدليل المُعاهدة المذلة التي وقعها "الأمير سليمان" ابن السلطان بايزيد مع الإمبراطور الشريك يوحنا السابع سنة ١٤٠٣م. كما أن هذه الموقعة مكنت الإمبراطور **مانويل الثاني من العودة إلى القسطنطينية**. وقد واكبت عودته نشوب الحرب الأهلية على العرش العثماني بين أبناء السلطان بايزيد، فأدلى الإمبراطور بدلوه فيها، مُساعدًا أطرافها كل ضد الآخر، حتى انفرد السلطان "محمد الأول" (١٤١٣ - ١٤٢١م) بالعرش العثماني سنة ١٤١٢م.

٦ معركة أنقرة سنة ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢م

تمهيد: الدولة التيمورية سنة ٧٧١ هـ - ١٣٧٠ م / ٩١١ هـ - ١٥٠٦ م

"**تيمورلنك**" قائد مغولي شيعي المعتقد، ينتمي إلى الأسر النبيلة في بلاد ما وراء النهر. ويُعد "تيمورلنك" أحد أعظم القادة في التاريخ وأشدهم قسوة. ولد "تيمورلنك" (أي الأعرج)، في مدينة "كش Kesh" في بلاد ما وراء النهر، لأمير إحدى هذه القبائل. اشتهر ببطشه وتعطشه إلى القتل. وفي سنة ٧٧٠ هـ/١٣٦٩م جلس على عرش (خراسان) وقاعدته (سمرقند)، وقد اجتاح على رأس جحافله المنطقة الممتدة من (منغوليا) إلى البحر الأبيض المتوسط، واستطاع أن يتوسع بجيوشه الرهيبة أن يهيمن على القسم الأكبر من العالم الإسلامي. فقد انتشرت قواته الضخمة في آسيا من (دهلي) إلى دمشق، ومن بحر (آرال) إلى الخليج العربي، واحتل (فارس) و(أرمينيا) وأعالي (الفرات) و(دجلة) والمناطق الواقعة بين بحر (قزوين) إلى البحر الأسود، وفي (روسيا) سيطر على المناطق الممتدة بين أنهار (الفولجا) و(الدون) و(الدنيبر)، وأعلن بأنه سيسيطر على الأرض المسكونة ويجعلها ملكًا له، وكان يردد: "أنه يجب ألا يوجد سوى سيد واحد على الأرض طالما أنه لا يوجد إلا إله واحد في السماء" وقد اتصف "تيمورلنك" بالشجاعة والعبقرية الحربية، والمهارة السياسية، وكان قبل أن يقرر أمر يقوم بجمع المعلومات ويرسل الجواسيس ثم يصدر أوامره بعد صبر وتأنٍ بعيدًا عن العجلة، وكان من الهيبة بحيث إن جنوده كانوا يطيعون أوامره أيًا كانت[١].

استولى تيمور لنك على حلب، ودمشق و شرقي الأناضول، ودمر بغداد سنة ١٤٠١ م، ثم انتصر على العثمانيين **في معركة أنقرة -محور عنوان الصفحة- وكيف تم أسر السلطان العثماني بايزيد سنة ١٤٠٢ هـ ؟!**

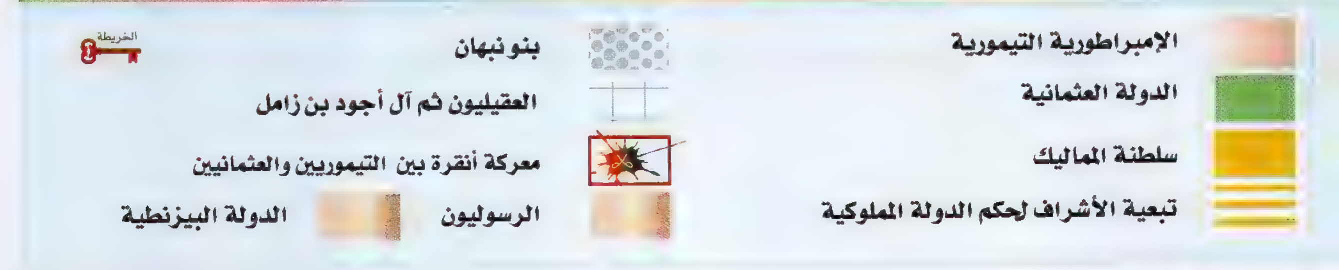
لقد أكدت **معركة أنقرة** على طبيعة الأصابع الخفية التي تعبث في الظلام من أجل هدم محاولات إحياء الخلافة السُّنّية، وهذا الكيد ما هو إلا حلقة من سلسلة طويلة من الكيد الشيعي بأهل السنة، وإن تستر بأسماء مختلفة، وتقنع بأقنعة متعددة، ولتبدأ الأحداث في **الخط الأول:** وهو خط الدولة العثمانية التي نشأت سنة ٦٨٠هـ، وتعاقب عليها سلاطين أقوياء استطاعوا أن يوسعوا أملاك الدولة العثمانية داخل أوروبا، وآسيا، مع محاولات متعددة من أجل فتح القسطنطينية حتى آل أمر الدولة العثمانية إلى السلطان **بايزيد الأول الملقب بالصاعقة** لانقضاضه السريع في حروبه وفتوحاته، وكان عمره ثلاثين سنة، واشتغل بالجهاد، وفي أوروبا وسَّع الدولة العثمانية في الأناضول وسار بجيوشه وحاصر القسطنطينية وفتح بلاد الأفلاق[٢].

١- الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية.

٢- موقع مفكرة الإسلام على الشبكة العنكبوتية.

الأسرة الذهبية (مغول الشمال)
سراي بركة
قبائل القراخطاي التركية
الأتراك القرخانية
ويغور
أستراخان
بحر آرال
أطرار (أترار)
سيحون
ماوراء النهر
الشاش
طشقند
خوقند
خيوه
بخارى
سمرقند
جيحون
بلخ
مرو
نيسابور
هراة
كابول
غزنة
خراسان
الإمبراطورية التيمورية
سجستان
هندوستان
بحر الخزر (قزوين)
باكو
شماخة
تفليس
جورجيا
أرمينيا
تبريز
الري
أصفهان
همذان
الموصل
بغداد
العراق
الجلايرية
الأحواز
الكوفة
البصرة
شيراز
فارس
كرمان
بندر عباس
مكــران
خليج عمان
مسقط
بنونبهان
عمان
الأئمة الإباضية
بحر العرب
المحيط الهندي
سلطنة دهلي
ديو
دامان
بحر بنطس (الأسود)
القسطنطينية
العثمانيون
طرابزون
أنقرة
قونية
حلب
الرقة
الشام
دمشق
المماليك
بيت المقدس
البحر الشامي (بحر الروم - البحر المتوسط)
الإسكندرية
القاهرة
مصر
المماليك
النوبة
بحر القلزم (الأحمر)
سواكن
المدينة النبوية
مكة المكرمة
الأشراف
الحجاز
نجد
جزيرة العرب
العقيليون
البحرين
خ. البحرين (العربي)
الرسوليون
صنعاء
زبيد
حضرموت
١٣٩٣ م
١٣٩١ م
١٣٩٥ م
١٤٠٢ م
١٣٧٥ م
١٣٩٩ م
١٣٩٩ م
١٤٠١ م
١٤٠٠ م
١٣٩٦ م
الشمال
٠ ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ كم
قوات المغول بقيادة تيمور لنك

غزوات تيمورلنك ما بين سنة ٧٧١ - ٨٠٧ هـ/ ١٣٧٠ - ١٤٠٥م



وجعل **بلاد البلغار ولاية عثمانية**، وتوجه لبلاد المجر، فاستغاثت أوروبا بالبابا فأعلن البابا حربًا صليبية على الدولة العثمانية المسلمة، ودعا أمراء أوروبا للجهاد ضد المسلمين والتقى الجيشان في شمالي بلغاريا وانتصر المسلمون انتصارًا هائلاً طارت أخباره في العالم بأسره.

أما الخط الثاني: هم **دولة المغول** التي سحقت الخلافة في بغداد واجتاحت ديار الإسلام بوحشية شديدة، وأهلكوا الزرع والنسل ودمروا كل شيء في طريقهم، ولكن ما لبثوا أن دخلوا في الإسلام وبدأوا يعملون على نشره وخاصة في بلاد الشمال، وجاهدوا الروس وكسروهم سنوات طويلة، ولكن هذا لم يغير الصورة القاتمة لاسم التتار، وأصبح اسم التتار أو المغول مرادف للوحشية والهمجية وسفك الدماء، ولم يكد ينسى الناس ما أصابهم على أيدي المغول وقد اعتقدوا أن المغول قد ذابوا في المجتمعات المسلمة حتى جاءهم سيل جارف من التتار لم يختلف عن الأول في شيء جاء يحرق الأخضر واليابس ويبيد كل شيء في طريقه، وذلك على يد تيمورلنك (الأعرج) وكانت هذه المرة اشد إيلامًا ومرارة من السابقة؛ لأن السابقة كانت بيد همج بربريين، **وهذه المرة بأيدي من ينتسبون للإسلام، ولو اسمًا**، وكان تيمورلنك هذا شيعيًا متعصبًا يكره جدًا المسلمين عمومًا، وأهل السنة خصوصًا، وكان يصحب معه في حروبه مسجدًا من الخشب يصلي فيه مع من معه كي لا تفوته صلاة الجماعة في المسجد، وفي نفس الوقت يسر جدًا عندما تُبنى أهرامات أمامه من جماجم صرعى حروبه، وكان يحطم معنويات أسراه خاصة الملوك والأمراء، عندما يجعل نساءهم يخدمن البلاط الملكي له وهن عرايا بحضرة هؤلاء الأسرى، وبالجملة فإن تيمورلنك كان عذابًا على المسلمين خاصة أهل السنة، ولقد ولى تيمورلنك أمر المغول سنة ٧٧١هـ، بعد أن وحّد أمر المغول بعد صراعات داخلية كثيرة، ولما ولى الأمر على توسيع حدد مملكته فحارب الروس وأعادها للطاعة واستولى على خراسان وجرجان وسجستان، وأفغانستان، وأذربيجان ثم توجه تيمورلنك بحروبه ناحية بغداد، وأرسل للسلطان في مصر يهدده، ودخل بلاد الهند واستولى على حلب ودمشق وبغداد ففر منها حاكمها أحمد بن أويس إلى السلطان بايزيد وعندها قرر تيمورلنك أن يستولي على الأناضول ويزيل الدولة العثمانية[١].

توجه **تيمور لنك** في انسياحه الوحشي نحو بلاد المسلمين والأناضول، واتجه لآسيا الصغرى وقبض على الأمير **أرطغول بن السلطان بايزيد وقتله** وتابع سيره إلى **أنقرة** عاصمةلملاقاة العثمانيين، وذلك الوقت كان **بايزيد يحاصر القسطنطينية وعلى وشك فتحها**، ففك السلطان حصاره وتوجه مسرعًا للقاء تيمورلنك لذلك لا نستبعد وجود علاقة بين تيمورلنك وسلطان القسطنطينية وأصابع خفية تعمل في الظلام حتى تدفع تيمورلنك أن يهجم على الأناضول في هذا الوقت بالذات[٢].

١ - ٢، موقع مفكرة الإسلام على الشبكة العنكبوتية.

الطريق إلى معركة أنقرة

تقدم تيمورلنك بجيوشه واحتل **سيواس**، وأباد حاميتها العثمانية التي كان يقودها الأمير أرطغرل بن بايزيد.

مفتاح الخريطة:

- الدولة المملوكية
- **الدولة العثمانية**
- الأرتقيون
- الجلائريون
- ممالك وإمارات بيزنطية
- أرمينيا وجورجيا
- إمارة دلغادر (القادر)
- إمارة قرمان (كرمان)
- إمارة أبناء رمضان
- **جيش تيمورلنك**
- **جيش بايزيد الأول**
- معركة

٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ كم

مملكة المجر — هنغارية — إمارة البغدان — القرم — بلاد الشركس — بلاد الكرج — بلجراد — سمندرية — الأفلاق — البشناق — مملكة البوسنة — مملكة الصرب — ويدين — نيبولي — روسجق — فارنا — موستار — الهرسك — نيش — قوصوه — صوفيا — طيرنوفا — زغرا — فيلبة — أدرنة — ألبانيا — أسكوب — أوخري — مناستر — سيرز — ديماطوقة — قولة — قرم فريه — سلانيك — يانيا — بحر الأدرياتيك — القسطنطينية — بحر مرمرة — أزميت — أزنيق — بولو — بورصة — سيوات — باليكسر — إسكي شهر — كوتاهية — بحر إيجة — عشاق — قرة حصار — آق شهر — قونية — إمارة قرمان — أزمير — دنيزلي — أيدين — بوردور — أسبرطة — أنطاليا — موغلا — دوقية أثينا اليونانية — إمارة المورة البيزنطية — رودس — كريت — مملكة قبرص — البحر الشامي (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط) — بحر بنطس (البحر الأسود) — سينوب — أماسرة — إمارة جاندار — سامسون — أماسيا — توقات — سيواس — طربزون — الإمارة البيزنطية — أرمينيا — قيصرية — قير شهر — آق سراي — نيدة — إمارة دلغادر — ملاطية — البستان — مرعش — حصن المنصور — ميافارقين — حصن كيفا — إمارة أبناء رمضان — أضنة — طرسوس — سيدي شهر — أسكندرون — أنطاكية





على اليمين لوحات الطـــريق المؤدية إلى العاصمة التركية (أنقرة)، ويرى في الصورة الثانية المؤلف في طريقه لأخذ لقطات ميدانية من **أرض المعركـــة**، التي أصبحـــت عامرة الآن بالسكان والمساكن.

علمًا أن التاريخ الطويل لهؤلاء في التحالف مع أعداء الإسلام من أجل القضاء على أهل السنة.

حشد **السلطان بايزيد جيوشه للصدام مع تيمورلنك**، وكان جيشه مكون من مئة وخمسة وعشرين ألفًا، في حين كان جيش تيمورلنك مكونًا من ثماني مئة ألف مقاتل، والتقى الجيشان في سهل أنقرة يوم ١٩ ذي الحجة سنة ٨٠٤ هـ. واستمرت المعركة طوال اليوم من الشروق حتى الغروب، ثم كانت الخيانة الشيعية حينما انسحبت فرق من جيش بايزيد من الشيعة وانضمت لجيش تيمورلنك وكانت الهزيمة، ووقع السلطان بايزيد وابنه موسى في الأسر في حين فر باقي أبناء بايزيد من أرض المعركة، وإمعانًا في إذلال السلطان بايزيد جعل تيمورلنك حارس سجن بايزيد ألد أعدائه وهو أمير مقاطعة كرميان، وحاول بايزيد الفرار ثلاث مرات، فلم يفلح ورأى نساءه يخدمن عرايا في بلاط تيمورلنك فأصيب بحالة من الغم والهم الشديد قتلته رحمه الله في ١٥ شعبان ٨٠٤ هـ، وكان عمره وقتها أربعًا وأربعين سنة فقط.

وتابع تيمورلنك سيره حتى **فرَّق الدولة العثمانية لإمارات مستقلة كما كان الأناضول من قبل**، ولما رأت أوروبا ذلك أعلنت البلاد الخاضعة للعثمانيين استقلالًا فاستقلت بلغاريا والصرب ورومانيا، وعادت الدولة العثمانية صغيرة جدًا كما بدأت، ومما زاد من ضعفها تنازع أبناء بايزيد بعد ذلك على السلطة، وإنما حدث كل ذلك بسبب كيد تيمورلنك الشيعي بالإسلام وأهله.

من جرائم تيمور لنك !؟

تتوافق أقوال **المصادر التيمورية مع أقوال مؤرخي المماليك** في وصف أعمال المغيرين في دمشق، وتعلل المصادر الأولى تلك الأعمال بعدالة تيمورلنك التي رأت محاسبة **سكان دمشق لوقوف أسلافهم إلى جانب معاوية بن أبي سفيان** -رضي الله عنه- وابنه يزيد ضد **علي بن أبي طالب**-رضي الله عنه- وولده **الحسين**-رضي الله عنه-. **والجدير بالذكر أن تيمور لنــك كان متشيعاً** وقيل: (**نصيريًا**). ويبدو أنه كانت هناك دوافع عدة حملت تيمورلنك على الانسحاب من دمشق من أهمها:

كان **السلطان العثماني بايزيد الأول يجري آنذاك مباحثات مع السلطات المملوكية**، لإقامة حلف دفاعي بين الطرفين لمواجهة **الخطر التيموري**، وقد علم تيمورلنك بأنباء هذه المباحثات، فأراد ضرب العثمانيين منعًا لقيام مثل هذا التحالف، وضم الأناضول إلى إمبراطوريته.

١- د. محمد سهيل طقوش. تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٤٣١ - ٤٣٤.

معركة أنقرة سنة ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢م

الجيش العثماني يتألف من مئة وخمسة وعشرين ألفًا، في حين أن **الجيش التيموري** يتألف من قوة تبلغ ثماني مئة ألف مقاتل.

قوات بايزيد

قوات محمد جلبي

الإنكشارية

قوات تيمورلنك

نهر أنقرة

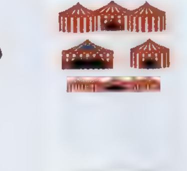
نهر حبوق

أنقرة

قوات تيمورلنك

٠ ٠,٥ ١كم

للشمال



معسكر الجيش العثماني

القيادة العامة للجيش العثماني: بقيادة بايزيد مع ابنيه موسى ومصطفى

الميمنة: وفيها سليمان بن بايزيد مع الصدر الأعظم علي باشا

الميسرة: وفيها لازار الصربي (شقيق زوجة بايزيد)

القوة الاحتياطية: بقيادة محمد جلبي بن بايزيد.

يمتلك الجيش العثماني ١٠ أفيال

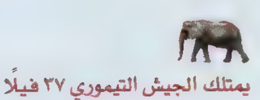
معسكر الجيش التيموري

القيادة العامة للجيش التيموري : تيمورلنك

القلب: بقيادة محمد حفيد تيمورلنك

الميمنة: ميرانشاه ومعه ابنه أبوبكر وطهارتن

الميسرة: شاه راخ بن تيمور يعاونه خليل سلطان.



يمتلك الجيش التيموري ٣٧ فيلًا

الخريطة

مدينة (أنقرة) العاصمة التركية من الفضاء الخارجي، مصدر الصورة وكالة ناسا للفضاء

الغابات الخضراء في شمالي العاصمة التركية (أنقرة)

أحد شوارع العاصمة التركية (أنقرة)



المباني والأبراج الحديثة وهي تزين العاصمة التركية

٧ تفتت الدولة العثمانية في عهده

أتاح انتصار تيمورلنك على بايـــــــزيد الأول فرصة للإمبراطورية البيزنطية للبقاء خمســـين عامًا

بالرغم من قسوة الهزيمة على العثمانيين إلا أنها لم تكن القاضية، حيث لا تزال الدولة في دور التكوين

جرَّد تيمورلنك الدولة العثمانية من معظم أراضيها في الأناضول، وأعاد إبراز الإمـــارات التركمانية

نتائـج معركة أنقـرة

تدفق اللاجئين الأتراك على منطقة الروملّي التي بقيت بمنجاة عن الخطر التيموري، هربًا من نار الحـرب

ترك بايزيد من الأبناء خمسة هم (سليمان وعيسى ومحمد وموسى ومصطفى) وكان سليمان الأوفر حظًا في خلافة والده

تعرضت الدولة العثمانية في نشوب حـــرب أهلية بين أبناء بايزيد على العرش واستمرت هذه الحرب أحـد عشـر عامًا

كان **لبايزيد** خمسة أبناء اشتركوا معه في القتال، أما مصطفى فقد ظن أنه قتل في المعركة، أما موسى فقد أسر مع والده، ونجح الثلاثة الآخرون في الفرار. أما أكبرهم **سليمان** فقد ذهب الى **أدرنة** وأعلن نفسه سلطانًا هناك، وذهب **عيسى** إلى **بورصة** وأعلن للناس أنه خليفة والده، ونشبت الحرب بين هؤلاء الأخوة الثلاثة يتنازعون بينهم أشلاء الدولة الممزقة، والأعداء يتربصون بهم من كل جانب. ثم أطلق تيمورلنك الأمير **موسى** ليؤجج به نار الفتنة ويزيدها ضرامًا وشدة وأخذ يحرضهم على القتال ويغري بعضهم ببعض.

السلطان العثماني بايزيد الأول كالأسد الهصور رابضًا في قفصه بعدما غدر به العدو، ولسان حاله يقول:

لا تركنن لغـــدر الزمـــان لطـــالما ... رقصت على جثث الأســـود كـــلاب

لا تحسبن برقصها تعلو على أسيادها ... تبقى الأسودُ أسودًا والكـلابُ كلاب

لوحة بريشة ستانيسلاف خليوفسكي سنة ١٨٧٨م



عملة نقدية تعود إلى عهد السلطان العثماني بايزيد الأول بن مراد



ضريح السلطان العثماني بايزيد الأول في (بورصة)

قال الإمام الحافظ المحدث العلامة **ابن حجر العسقلاني** - رحمه الله - عن **السلطان بايزيد الأول**:

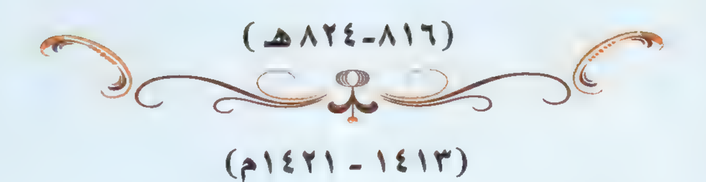
- كان من أكبر ملوك الإسلام وأتمهم يقينًا وأيمنهم نقيبة وأكثرهم غزوًا في بلاد الكفار، وكان ينكر ملوك عصره تقاعدهم عن الجهاد وأخذهم المكوس ... .

- وكان أبو يزيد بن عثمان - بايزيد الأول - من خيار ملوك الأرض، ولم يكن يلقب بلقب ولا أحد من آبائه وذريته، ولا دعى بسلطان ولا ملك، وإنما يُقال " الأمير" تارة و "خوند خان" تارة، وكان مهابًا يحب العلم والعلماء ويكرم أهل القرآن ... .

- وكان يجلس بكرة النهار في براح متسع، وتقف الناس بالبعد عنه بحيث يراهم، فمن كانت له ظلامة رفعها إليه فأزالها في الحال ... .



(٨١٦-٨٢٤هـ)



(١٤١٣ - ١٤٢١م)

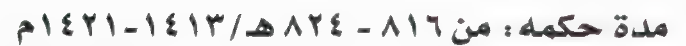
والده: السلطان يلدرم بايزيد

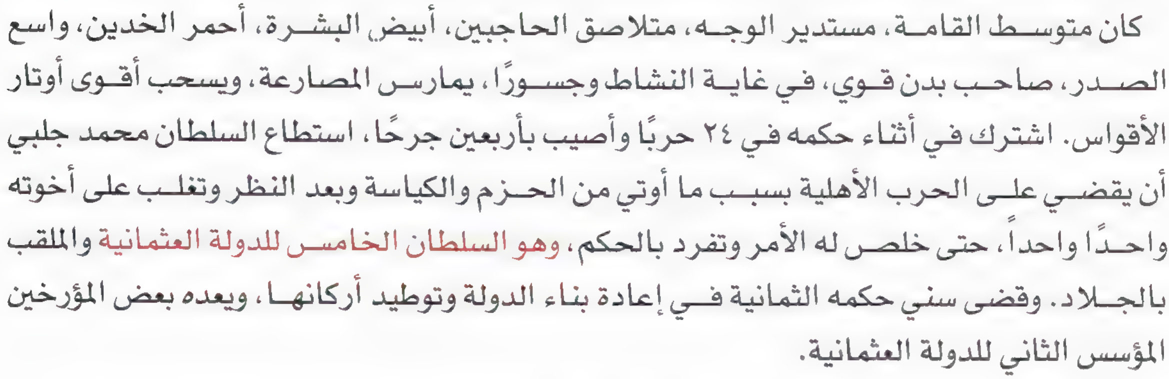
والدته: دولة خاتون

ولادته: سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٩م

وفاته: سنة ٨٢٤ هـ / ١٤٢١م

مدة حكمه: من ٨١٦ - ٨٢٤ هـ/١٤١٣-١٤٢١م





كان متوسط القامة، مستدير الوجه، متلاصق الحاجبين، أبيض البشرة، أحمر الخدين، واسع الصدر، صاحب بدن قوي، في غاية النشاط وجسورًا، يمارس المصارعة، ويسحب أقوى أوتار الأقواس. اشترك في أثناء حكمه في ٢٤ حربًا وأصيب بأربعين جرحًا، استطاع السلطان محمد جلبي أن يقضي على الحرب الأهلية بسبب ما أوتي من الحزم والكياسة وبعد النظر وتغلب على أخوته واحدًا واحداً، حتى خلص له الأمر وتفرد بالحكم، وهو السلطان الخامس للدولة العثمانية والملقب بالجلاد. وقضى سني حكمه الثمانية في إعادة بناء الدولة وتوطيد أركانها، ويعده بعض المؤرخين المؤسس الثاني للدولة العثمانية.

ومما يؤثر عن هذا السلطان أنه استعمل الحزم مع الحلم في معاملة من قهرهم ممن شق عصا طاعة الدولة؛ فإنه لما قهر أمير بلاد القرمان، وكان قد استقل عفا عنه بعد أن أقسم له على القرآن الشريف بأن لا يخون الدولة فيما بعد، وعفا عنه ثانية بعد أن حنث في يمينه.

الأعلام الذين عاصروه:

شريف على الجر جاني مؤلف كتاب (التعريفات). مجد الدين الفيروز آبادي مؤلف كتاب (القاموس المحيط).

أبناؤه:

مصطفى جلبي ،مراد الثاني،أحمد ،يوسف،محمود.

بناته:

فاطمة، وسلجوق خاتون. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون، تعريب محمد جان، ص ٤٢.

اتسمت **سياسة السلطان محمد جلبي** بإعادة بناء الدولة وتقويتها من الداخل، ولذلك سالم إمبراطور القسطنطينية وحالفه، وأعاد إليه بعض المدن على شاطئ البحر الأسود، وفي تساليا، وصالح البندقية بعد هزيمة أسطوله أمام غاليبولي، وقمع الفتن والثورات في آسيا وأوروبا، وأخضع بعض الإمارات الآسيوية التي أحياها تيمورلنك، ودانت له بالطاعة والولاء. أ. محمد فريد بك. تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٢٤٩.

العثمانيون بعد معركة أنقرة

①	محمد جلبي
②	عيسى جلبي
③	سليمان جلبي

الدولة المملوكية
الدولة العثمانية قبل تشتتها
الأرتقيون
الجلائريون
ممالك وإمارات بيزنطية
أرمينيا وجورجيا
إمارة دلغادر (القادر)
إمارة قرمان (كرمان)
إمارة أبناء رمضان

مملكة المجر – هنغارية – إمارة البغدان – القرم – البشناق – الأفلاق – مملكة الصرب – مملكة البوسنة – بلجراد – سمندرية – ويدين – نيبولي – روسجق – فارنا – بوسنة سراي – موستار – الهرسك – نيش – قوصوه – طيرنوفا – زغرا – صوفيا – فيلبة – أدرنة – سليمان جلبي – ألبانيا – أسكوب – أوخري – مناستر – سيرز – قولة – ديماطوقة – سلانيك – قره فريه – يانيا – بحر الأدرياتيك – دوقية أثينا اليونانية – إمارة المورة البيزنطية – بحر إيجة – القسطنطينية – بحر مرمرة – بورصة – عيسى جلبي – باليكسر – كوتاهية – سيوات – إسكي شهر – أزنيق – آزميت – بولو – أنقرة – أماسرة – تابعة لجنوة – إمارة جاندار (إسفنديار) – سينوب – بحر بنطس (البحر الأسود) – سامسون – طربزون – الإمارة البيزنطية – أماسيا – توقات – سيواس – محمد جلبي – أرمينيا – ميافارقين – حصن كيفا – ملاطية – البستان – حصن المنصور – إمارة دلغادر – مرعش – قيصرية – قير شهر – آق سراي – نيدة – إمارة قرمان – قونية – إمارة أبناء رمضان – أضنة – طرسوس – الأسكندرون – أنطاكية – بلاد الشام – سيدي شهر – أسبرطة – آق شهر – قره حصار – عشاق – أزمير – دنيزلي – أيدين – منتشا – موغلا – بوردور – أنطاليا – تكة – رودس – كريت – مملكة قبرص – البحر الشامي (بحر الروم – البحر الأبيض المتوسط)

٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ كم


مسجد قونية العثماني

قال ابن بطوطة: « ثم انصرفنا بعد ما أحسن إلينا كما قدمناه إلى **مدينة قونية** " وضبط اسمها بضم القاف وواو مد ونون مسكن مكسور ويار آخر الحروف "، مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة المياه والأنهار والبساتين والفواكة، وبها **المشمش المسمى بقمر الدين** ... ويحمل منه أيضًا إلى ديار مصر والشام. وشوارعها متسعة جدًا، وأسواقها بديعة الترتيب. وأهل كل صناعة على حدة، ويقال: إن هذه المدينة من بناء الإسكندر، وهي من بلاد السلطان بدر الدين بن قرمان ... ». رحلة ابن بطوطة

فتنة الضال الشيخ بدر الدين ابن قاضي سماونة

واجه السلطان محمد الأول في أثناء حكمه، ثورة كبيرة تمثَّلت في قيام حركة عقائدية ذات أبعاد سياسية واقتصادية، وتنطوي على محاولات التقريب بين الإسلام والنصرانية واليهودية، تلك كانت **حركة الشيخ بدر الدين، المشهور بابن قاضي سماونة**، وهي إحدى قرى بلاد الروم القريبة من أدرنة. ومما لاشك فيه أن هذه الحركة التي تتصدر أهم الحركات الدينية والاجتماعية على مدار التاريخ العثماني، وما أسفرت عنه من نتائج في المجال الفكري، كانت ثمرة لأزمة سياسية واقتصادية اجتاحت الأناضول والروملِّي بعد هزيمة **معركة أنقرة**، وظهرت عندما كانت الدولة تحارب الإمارات التركمانية، التي استردَّت استقلالها بفضل سياسة تيمورلنك.

ينحدر الشيخ **بدر الدين من سلاجقة الروم**، على الأغلب، فوالده ابن أخت السلطان علاء الدين كيقباد. تلقى علومه الأولى على والده، ثم ذهب إلى **أدرنة**، حيث تتلمذ على يد العالم ملا يوسف، ودرس على يد القاضي في بورصة (محمد أفندي)، والعلامة فيض الله في قونية، انتقل بعد ذلك إلى مصر حيث قرأ على يد الشريف الجرجاني والعالم مبارك شاه مطبقي، وحج مع هذا الأخير سنة ٧٨٥ هـ، وقرأ بمكة على يد الشيخ الزيلعي، ثم تابع دروسًا في التصوف على يد حسين الأخلاطي في مصر، وبتأثير من هذا الرجل مال بدر الدين إلى التصوف وأولع بالإلهيات والفلسفة والمنطق، وأصبح معلمًا للناصر فرج، ابن السلطان برقوق، فكان عالمًا محترمًا بمعايير التراث السُّنِّي الواسع[١].

لكن تصوف الشيخ بدر الدين قاده بعيدًا إلى تبريز، حيث دخل في نقاشات علمية واسعة مع العلماء الإيرانيين، وعاش مدة في قزوين، المعروفة بشيوع الأفكار الباطنية فيها. وبعد موت أستاذه حسين الأخلاطي في مصر، عاد إليها وخلفه في رئاسة زاويته لمدة ستة أشهر، ما لبث بعدها أن غادر مصر إلى القدس فدمشق فحلب، ثم عاد إلى الأناضول مع جيوش تيمورلنك[٢].

هنا، تبدأ مرحلة جديدة من حياة الشيخ بدر الدين، حيث عاش وطاف في مناطق غالبيتها من النصيريين في آسيا الصغرى والبلقان، مثل: قرمان، كرميان، مغيسيا، آيدين، أزمير، دلي أورمان وغيرها، ومن ثم عاد إلى أدرنة ليشكل جماعة من المريدين، ولما تسلطن موسى بن بايزيد الأول، عيَّنه

١-٢، د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٨٠ - ٨٢.

قاضيًـا لعسكـره، ولما هوى بعد هزيمته أمام أخيه محمد، لم يشأ هذا الأخير أن ينتقم منه، ربما لقوة من ألتف حوله من الأتباع، فأرسله إلى **أزنيق** ووضعه في الإقامة الجبرية، وخصص له راتبًا شهريًا، لكنـه فـرَّ من مـكان إقامته الجـبري **ولجـأ إلى إسفنديـار جنـدرلي، وراح يدعـو إلى مذهبه التلفيقي القائم على المساواة بين الأديان السماوية الثلاثة.**

وتضمـن كتابـه، الذي ألَّفه خلال حياته، وهو واردات – الإلهـام-، أهم أفكاره القائمة على: وحدة الوجـود، إنكار الجنة والنار، ويوم القيامة والملائكة والشياطـين، وقصَّر الشهادة على نصفها الأول، وحذف نصفها الثاني، ودعا إلى الزهد المطلق والمهدي المنتظر.

والواقـع أنـه كوَّن فلسفة خاصة به، **باطنية صوفية اجتماعية**، وكانت نظرته إلى القضايا وما يجري من أحداث ممتلئة بالشك، لذا مال فكره إلى الواقعية. ونظر إلى الله والعالم. على أنهما واحد، وهـو مـن القائلين بتطور الشريعة كلمـا تغيَّر الزمن، وسعى إلى تحقيق المساواة مـن واقع إلغاء الملكية الفرديـة، وقـال: إن الثروات ملـك للشعب، واتهم الطبقة الغنيـة بأنها تتـوارى وراء الأديان من أجل مصالحها، ورفض تفوق الرجل على المرأة ودعا إلى المساواة بينهما، وساق من الأمور العجيبة الشيء الكثير[١].

بـدأ حملتـه ضد الإقطاع على مرتكز سياسي حيث **جاءت ثورتـه** مستغلة الأوضاع السياسية في الدولـة العثمانية وفراغ السلطة، بعـد نكسة أنقرة. ثم أتبع حملته من الناحيـة الاقتصادية بأن توالي الحـروب الأهلية أدى إلى خراب الكثير من القرى، وإتلاف المزروعات، فانتشرت البطالة وعمّ الفقر والظلـم الطبقات الشعبية، وتعطلت الحياة الاقتصادية. **فاستغل الشيخ بدر الدين هذه الأوضاع** فلعب دور المصلح الاجتماعي فكسب شرائح متعددة من المجتمع بمختلف طوائفه وهنا بدأ يلعب لعبته الفكرية في تمزيق وشائج وصلات المجتمع آنذاك. بل خصه أتباعه بالنبوة، حيث لم يكن هناك طريق مختصر لجمع المسلمين تحت رايته إلا التضحية بدرجة النبوة في الشهادة.

واستمر الشيخ بدرالدين في غيه، وظن أنه سيتمكن من البلاد بسبب ماتمر به من حالة تمزق كامل وفوضـى ضربت بأطنابها فـي كل أرجاء البلاد، وكان بدر الدين يقـول: (إني سأثور من أجل امتلاك العـالم، وباعتقاداتـي ذات الإشـارات الغيبيـة سأقسم العالم بين مريـدي بقوة العلم وسـر التوحيد، وسأبطل قوانين أهل التقليد ومذهبهم، وسأحلل -باتساع مشاربي- بعض المحرمات)[٢].

١- د. طقوش، المرجع السابق، ص ٨٣.

٢- العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص١٤٠.

تزعّم **الشيخ بدر الدين ثورته على الدولة العثمانية** بهدف امتلاك العالم، وتقسيمه بين مريده بقوة العلم وسر التوحيد، وإبطال قوانين أهل التقليد ومذهبهم وتحليل بعض المحرمات، وساعده في نشر أفكاره (مريدان) كانا على درجة عالية من الحيوية والنشاط، **أحدهما يُدعى طورلاق هو كمال، اليهودي الذي اعتنق الإسلام**، وكان يدعو في جهات **أماسيا**، و**الآخر** هو **بيركلوجة مصطفى المعروف بـ(ده ده سلطان)، وهو نصراني اهتدى إلى الإسلام**، وكان على علاقة وطيدة مع **رهبان جزيرة ساقز-خيوس-**، وينادي بالمزج بين الإسلام والنصرانية، ويدافع عن فكرة المساواة في المجتمع. اتصف الشيخ بدر الدين بالتأني والحنكة السياسية، فلم يعط أتباعه إشارة البدء بالثورة إلا عندما كانت الدولة منهمكة في لمّ شعثها، وهي غارقة في بحر من الفوضى والدماء، فأوعز إلى مريده طورلاق هو كمال، بالبدء بالثورة في **مغنيسيا وآيدين**، وفي الوقت نفسه، راح بيركلوجة مصطفى يجمع الأتباع حوله في **جبل أستيلاريوس عند الطرف الجنوبي من خليج إزمير**، في قره بورون، وأغار على المناطق المجاورة. وإذ تمادى الثائرون في غاراتهم حتى أضحت تهدّد أمن الدولة، ما دفع محمد الأول إلى إعطاء الأوامر لقادته للتصدي للثائرين في منطقة إزمير، وكان بيركلوجة مصطفى متحصنًا في شعاب جبل أستيلاريوس، وما إن تلاقى الجيشان حتى انهزم جيش السلطان، ولما علم هذا الأخير بما أصاب جيشه، حشد جيشا آخر وولّى على قيادته الوزير الأول بايزيد باشا وكلفه بمحاربة الثائرين. والتقى القائد العثماني بجيش الثائرين في ضواحي إزمير وتغلّب عليه، وأسر بيركلوجة مصطفى مع كثير من أتباعه وقتلهم جميعًا، ثم تحول نحو مغنيسيا بصحبة ولي العهد الأمير مراد، حيث تصدّى لطورلاق هو كمال، فهزمه وقبض عليه وصلبه[1].

وهكذا أخمدت الثورة بعد انتشارها بشكل خطر، مادفع الشيخ بدر الدين إلى الفرار من **إزنيق** وانتقل إلى **دوبروجة** عن طريق البحر الأسود، واستقر في دلي أورمان البلغارية، ليدير الثورة منها، والمعروف **أن هذه المنطقة كانت مأوى للباطنية**، وتعج بأتباع **بابا إسحاق**، الذي قاد ثورة باطنية مسلحة ضد الدولة السلجوقية في سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م، **فتصدى له محمد الأول بنفسه وهزمه**، وفر الشيخ بعد هزيمته، إلا أن اثنين من قادته خاناه وسلّماه للسلطان الذي أعدمه، وانتهت الثورة بمقتله.

١- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص٨٢.



الواقع أن حركة الشيخ بدر الدين والأفكار التي تضمنتها، وإن لم تكف لتلبية حاجات وتطلعات الجماعات الإسلامية المختلفة التي انضوت تحت لوائه، ولا سيما الذين فقدوا أراضيهم نتيجة النزاعات الداخلية، فإنها مهّدت السبيل لظهور مجتمع ظل يحافظ على بقائه في **دوبروجيه وأطرافها. وهذا المجتمع الذي يرد ذكره في المصادر العثمانية في القرن السابع عشر الميلادي تحت اسم أتباع بدر الدين، هو نفسه، العلويون- القزلباش- المنتسبون إلى أوجاق بدر الدين.** أما واردات الشيخ، فقد تركت أثرًا كبيرًا في أوساط العلماء والمتصوفة في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، واستمرت موضعًا للجدل والنقاش حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي[١].

١- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص٨٣.

مسجد [illegible] "المسجد الأخضر" [illegible] "مسجد محمد الأول" [illegible] من مجموعة كبيرة من الأبنية [illegible] من مدينة بورصة التركية، عاصمة العثمانيين قبل فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م، وتتكون مجموعة الأبنية هذه من مسجد ومدرسة ومطبخ عام وحمام عام.



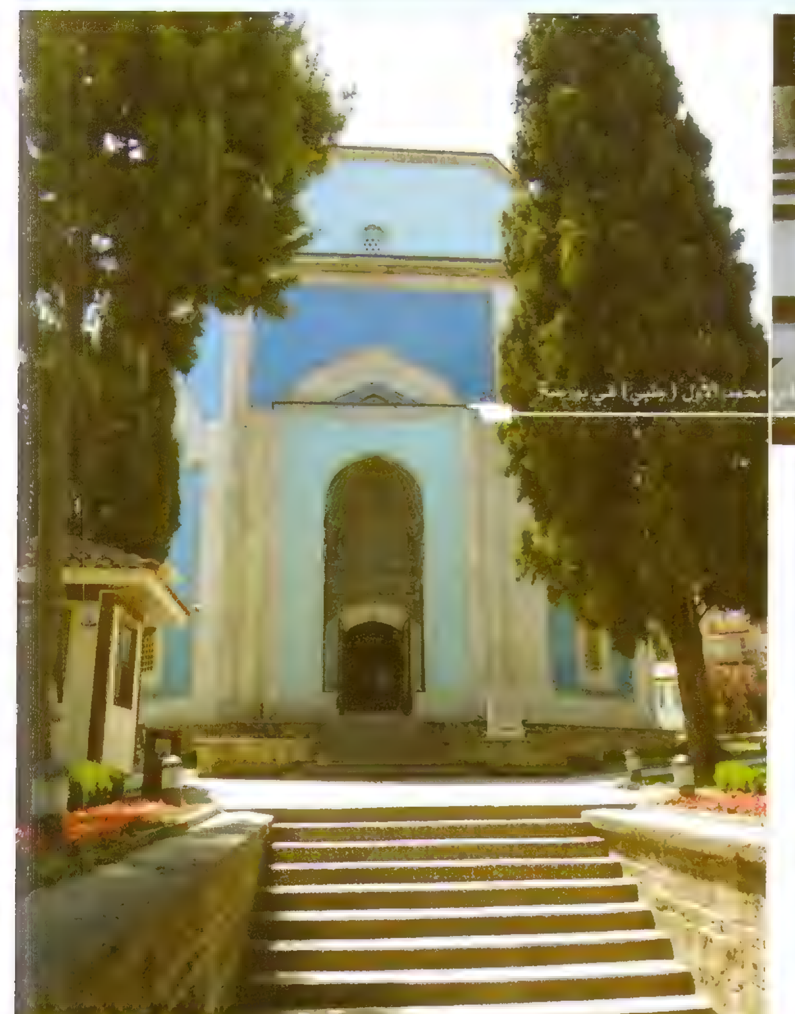
إيوان المسجد الغني بالزخرفة

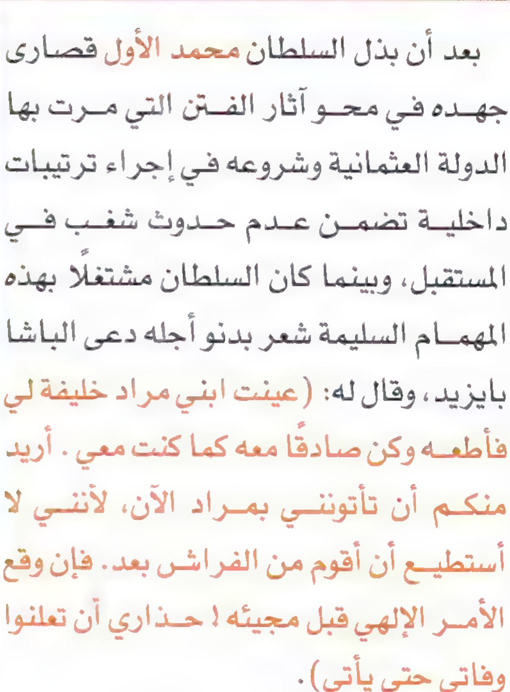


يشكّل مسجد يشه مزيجًا رائعًا من فن العمارة وفن الزخرفة العثمانية. وقد بني هذا المسجد في وقت كانت فيه الحروب الأهلية في آخر وقتها وكان السلام قد بدأ بالعودة إلى المنطقة. وقد أمر ببناء هذا المسجد السلطان محمد الأول العثماني، واكتمل بناؤه في شهر كانون الأول ١٤١٩م أو كانون الثاني ١٤٢٠م. وقد كان المعماري الذي بنى هذا المسجد هو الوزير (حقي إفاز باشا). أما [illegible] عام ١٨٥٥م، قام العثمانيون بتجديد المسجد تجديدًا كاملا، أشرف عليه المعماري (Léon Parvillée). وقد نجح هذا المعماري بالمحافظة على المسجد، [illegible] الخبرة بأساليب العمارة العثمانية الحديثة، كما أثرت على هذا المعماري قلة المال والعمال المهرة.



مدخل المسجد الذي تعلوه نصف قبة مزدانة بالمقرنصات البيضاء وعلى الجوانب الزخارف النباتية الجميلة





بعد أن بذل السلطان **محمد الأول** قصارى جهده في محو آثار الفتن التي مرت بها الدولة العثمانية وشروعه في إجراء ترتيبات داخلية تضمن عدم حدوث شغب في المستقبل، وبينما كان السلطان مشتغلاً بهذه المهمام السليمة شعر بدنو أجله دعى الباشا بايزيد، وقال له: (عينت ابني مراد خليفة لي فأطعه وكن صادقًا معه كما كنت معي. أريد منكم أن تأتونني بمراد الآن، لأنني لا أستطيع أن أقوم من الفراش بعد. فإن وقع الأمر الإلهي قبل مجيئه ! حذاري أن تعلنوا وفاتي حتى يأتي).

وفاجأه الموت في سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م في مدينة **أدرنة** وأسلم روحه لخالقه وعمره ٤٣ سنة.

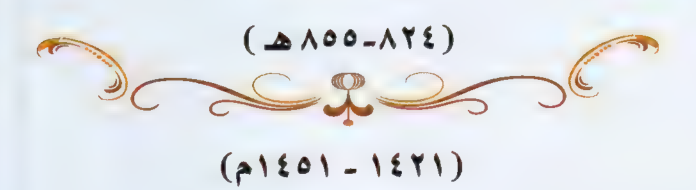
وخوفًا من حصول ما لاتحمد عقباه لو عُلم موت السلطان محمد الأول اتفق وزيراه إبراهيم وبايزيد على إخفاء موته على الجند حتى يصل ابنه **مراد الثاني**، فأشاعا أن السلطان مريض وأرسلا لابنه فحضر بعد واحد وأربعين يومًا واستلم مقاليد الحكم.

كان السلطان محمد الأول محبًّا للشعر والأدب والفنون وقيل: هو أول سلطان عثماني أرسل الهدية السنوية إلى أمير مكة التي يطلق عليها اسم **الصرّة**، وهي عبارة على قدر معين من النقود يرسل إلى الأمير لتوزيعه على **فقراء مكة والمدينة**.

وقد أحب الشعب العثماني السلطان محمد الأول، وأطلقوا عليه لقب بهلوان (ومعناها البطل)، وذلك بسبب نشاطه الجمّ وشجاعته كما أن أعماله العظيمة، وعبقريته الفذَّة التي قاد من خلالها الدولة العثمانية إلى بر الأمان، كما أن جميل سجاياه وسلوكه وشهامته وحبه للعدل والحق جعل شعبه يحبه ويطلق عليه لقب جلبي أيضًا وهو لقب تشريف وتكريم فيه معنى الشهامة والرجولة. د.الصلابي، الدولة العثمانية، ص ٩٢.



(٨٢٤-٨٥٥هـ)



(١٤٢١ - ١٤٥١م)




والده: السلطان جلبي محمد

والدته: أمنية خاتون

ولادته: سنة ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢م

وفاته: سنة ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م

مدة حكمه: من ٨٢٤ - ٨٥٥ هـ/١٤٢١- ١٤٥١م

وصف الرحالة (البرغوني بركراندون) السلطان مراد الثاني بقوله: (إنه رجل ضخم الجثة، قصير القامة، كان يتميز بأنف ضخم جدًا ومقوس، وبعينين ضيقتين، وكان وجهه شديد السمرة ووجنتاه بارزتين ولحيته مستديرة، وكان شخصًا حلو المعاشرة وسخيًّا في منح الأراضي والأموال). كما كان نشيطًا، ولا يحبذ الحروب كثيرًا. وكان حكيمًا يواجه المصاعب بلباقة، ولا يشنّ هجومًا وإلاّ وهو واثق من النصر الرباني بإذن الله تعالى. وقد عرف بين رعيته بالتقوى والعدالة والشفقة. وإضافة إلى ذلك كان مراد الثاني يكتب الشعر بإمضاء (مرادي). عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون، تعريب محمد جان، ص ٤٤.

أنشأ السلطان **مراد الثاني** في مختلف أنحاء الدولة مدارس وجوامع وقصورًا وقناطر، ومن تلك المنشآت مركب بأدرنة يضم جامعًا ومدرسة وتكية يطعم فيها الفقراء والمساكين. كما بنى بها أيضا (جامع مرادية) الذي زخرفت جدرانه ومحرابه بالخزف الصيني الجميل. وبنى في بورصة جامعًا يحمل الأسم نفسه. وأقام على نهر (أركنه) القنطرة التي يبلغ طولها ١٧٠ قدمًا.

الأعلام الذين عاصروه:

المولى يوسف بالي، المولى شرف الدين بن كمال، علاء الدين السمرقندي، المولى تاج الدين الشهير بابن الخطيب، يعقوب الجرخي من شيوخ النقشبندية، الشيخ أمير سلطان، الحاج بيرم الولي، ابن حجر العسقلاني صاحب شرح صحيح البخاري، ياربجي زاده، محمد أفندي مؤلف كتاب (محمدية).

أبناؤه:

محمد الفاتح، أحمد، علاء الدين أورخان، حسن، أحمد الثاني.

بناته:

شيخ زاده، فاطمة خاتون.

سئم **السلطان مراد الثاني** مسؤولية الحكم و أراد أن يتفرغ للعبادة، فتنازل عن الملك لابنه محمد الثاني (محمد الفاتح)، و لم يكن ابنه قد تجاوز الرابعة عشرة من العمر. لم يلبث السلطان مراد أن عاد إثر نقض ملك المجر الصلح المبرم مع العثمانيين بتحريض من مندوب البابا الذي أفتى أن عدم رعاية الميثاق مع المسلمين لا يعد خيانة، مما دفع السلطان مراد بالسير على رأس جيشه إلى **البلقان** مجددًا.



استطاع **السلطان مراد** أن يقضي على حركات التمرد الداخلية التي قام بها **عمه مصطفى**، والتي كانت تدعم من قبل **أعداء** الدولة العثمانية، وكان **الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني** خلف الدسائس والمؤامرات والمتاعب التي تعرض لها السلطان مراد، فهو الذي دعم (مصطفى) عمّ السلطان مراد بالمساعدات حتى استطاع أن يحاصر **مدينة غاليبولي** ابتغاء انتزاعها من السلطان واتخاذها قاعدة له، إلا أن السلطان مراد قبض على عمه وقدمه للمشنقة، ومع ذلك فقد مضى الإمبراطور مانويل الثاني يكيد للسلطان واحتضن شقيقًا لمراد الثاني، ووضعه على رأس قوة استولت على **مدينة نيقية** في الأناضول، وسار إليه مراد واستطاع أن يقبض على قواته واضطر خصمه للاستسلام ثم قتل. ومن ثم صمم السلطان مراد أن يلقن الإمبراطور درسًا عمليًا، فأسرع **بفتح سالونيك**، فهاجمها ودخلها عنوة في سنة ٨٣٣ هـ ١٤٣١م، وأصبحت جزءًا لايتجزأ من أراضي الدولة العثمانية.



كان **التوسع العثماني في الروملّي** قد وضع **جمهورية البندقية** في موقف حرج، فالغارات العثمانية المتكررة في المورة وعملية الاستيطان النشيطة في ألبانيا قد بدت مهددة لممتلكاتها، ونظرًا لعدم قدرة الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثامن من الصمود أمام ضغط العثمانيين وافق على دفع الجزية، كما تنازل للعثمانيين عن جميع القلاع الباقية تحت السيطرة البيزنطية على شواطئ البحر الأسود وسواحل الروملّي، ما أتاح للعثمانيين أن يفتحوا مدينة **مودون** الواقعة في شبه **جزيرة المورة**، في الوقت الذي سلَّم فيه البيزنطيون مدينة **سالونيك** للبنادقة فقام مراد الثاني بحصارها وتدمير أسطولها البحري في الأرخبيل الإيجي؛ فأضعف الأسطول البندقي قبالة غاليبولي، ولم يخفف الخناق على البنادقة سوى نشوب النزاع بين العثمانيين والمجريين حول صربيا والأفلاق.



خريطة شرقي أوروبا السياسية ليسهل على القارئ مطابقتها مع الأسماء التاريخية



واصل **مراد الثاني** فتوحه في **البلقان**، فاكتسح **ألبانيا** في سنة ٨٣٣ هـ/ ١٤٣٠م، ودخل العاصمة يانيا، وأخضع أمير الأفلاق فلاد الأول دراكول، في سنة ٨٣٨ هـ/ ١٤٣٥م.

والواقع أنه، حتى ذلك الحين، كان يسعى إلى تدعيم سلطته بقمع الثورات الداخلية، وتقوية مناطق الحدود أكثر مما كان يسعى إلى التوسع، بشكل ملحوظ، وذلك بفعل الظروف الدولية السائدة آنذاك. فهو محاط بالأعداء من كل جانب، **البندقية والمجر والإمارة القرمانية وشاه روخ التيموري**، كما وجد اتجاه عثماني، من جانب بعض القادة والسياسيين، وعلى رأسهم الوزير الثاني صاروجا باشا، معاد لسياسة التوسع بعد فشل سياسة بايزيد الأول التي أثرت سلبًا على الدولة والمجتمع العثماني.

غير أن الظروف تبدلت في سنة ٨٤١ هـ ١٤٣٧م، فقد ركنت **البندقية** إلى الهدوء بعد أن أرهقها صراع دام سبع سنوات، وهي حريصة الآن على المحافظة على مصالحها التجارية وتتمسك بالسلم. وبدا موت سيجسموند في ١٠ جمادى الآخرة/ ٩ كانون الأول قد أضعف المجر في لحظة حرجة، وكان مراد الثاني قد أخضع الإمارة القرمانية. أما شاه روخ فقد رحل باتجاه الشرق تاركًا آسيا الصغرى وتعزز الاتجاه التوسعي بين القادة والسياسيين بعد إزالة صاروجا باشا في سنة ٨٤٠ هـ/ ١٤٣٦م[١].

استغل **مراد الثاني** الظروف السياسية، المشار إليها، وقرر التوسع باتجاه الشمال، فقاد حملة في سنة ٨٤١ –٨٤٢ هـ/ ١٤٣٨م، ضد **ترانسلفانيا والمجر**، وسانده جورج برانكوفيتش الصربي، وفلاد الأول دراكول أمير الأفلاق، فتصدت له القوات المجرية بقيادة قائد صلب العود هو يوحنا هونيادي أمير ترانسلفانيا، لكن مراد الثاني استطاع التغلب عليه وفتح كوتشيفو، الواقعة إلى الجنوب الشرقي من مدينة بلغراد، وأجبره على توقيع معاهدة تقضي بالتخلي عن الأراضي الواقعة على الشاطئ الأيمن **لنهر الدانوب**، بحيث يكون هذا النهر فاصلًا طبيعيًا بين أملاك الدولة العثمانية والمجر، وتؤدي هشاشة المقاومة المجرية إلى تشجيعه على التوغل في بلاد المجر[٢].

---

١ - ٢، د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٩٠ - ٩١.



ويبدو أن جورج برانكوفيتش لم يكن صادقًا في تعاونه مع السلطان، فقد رفض دعوته للاجتماع به للتنسيق فيما بينهما، ما دفع العاهل العثماني إلى مهاجمته في (رمضان ٨٤١ هـ / آذار ١٤٣٩م) وأخضعه، **ووافق الأمير الصربي على التالي:**

- **دفع جزية سنوية للدولة العثمانية قدرها خمسين ألف دوكًا ذهبًا.**
- **يقطع علاقاته مع المجر.**
- **يتنازل للعثمانيين عن مدينة آلاجا حصار، والمعروف أن مراد الثاني كان قد ضم المدينة إلى أملاكه.**
- **يقدم للسلطان فرقة عسكرية للمساعدة وقت الحرب.**
- **يزوجه ابنته مارا.**

ومع ذلك، ظل الأمير الصربي يتحين الفرص للانعتاق من الطوق العثماني، وفعلًا نقض الهدنة في سنة ٨٤١ هـ/١٤٣٩م، وثار في وجه الدولة مستغلًا انهماك مراد الثاني بإخضاع **ثورة القرمانيين** في الأناضول، مادفع السلطان إلى التوجه إلى بلاد الصرب والمجر، ففتح مدينة سمندرية الواقعة بالقرب من مدينة بلغراد، وفر برانكوفيتش إلى بلاد المجر.

وهكذا **سيطر العثمانيون على بلاد الصرب** باستثناء إقليم نوفو برده الغني بالفحم. وبشكل مواز، خضع تفوتكو **ملك البوسنة للعثمانيين**، ووافق على دفع الجزية لهم.

ثم حدث أن توفي ألبرت، ملك المجر، في جمادى الأولى ٨٤٣ هـ/ تشرين الأول ١٤٣٩م، ما أضعف المجر في لحظة حرجة، فاستغل مراد الثاني هذه الفرصة **وهاجم مدينة بلغراد**، الموقع الأمامي للمجريين، وضرب عليها حصارًا مركزًا، لكنه فشل في اقتحامها، فرفع الحصار عنها، وأغار على بلاد **ترانسلفانيا** وحاصر مدينة هرمنشتاد التابعة للمجر، وتمكن أحد قادته، وهو شهاب الدين باشا حاكم الروملّي، من فتح إقليم نوفو برده ذات الأهمية الاقتصادية الفائقة[١].

معركة نيش:

الواقع أن فشل العثمانيين أمام بلغراد يرمز إلى بداية تراجع الاندفاع العثماني، إذ شجع ذلك **الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثامن** على طلب المساعدة من الغرب الأوروبي لمواجهة المد العثماني. لقد عظم عليه سقوط سالونيك في أيدي العثمانيين، وأفزعه تقدم مراد الثاني وانتصاراته في البلقان، وهاله تخاصم الجنويين والبنادقة في هذا الظرف الحرج، لذلك توجه نحو **البابا والغرب الأوروبي** للتباحث في كيفية التعاون بين النصارى للصمود في وجه العثمانيين، فسافر إلى إيطاليا من أجل ذلك، واجتمع بالبابا، وأبدى استعداده لقبول توحيد الكنيستين وفقًا لرغبته.

والواقع أن الدعوة كانت قوية، آنذاك، في الدوائر الدينية والسياسية في أوروبا نحو اتحاد الكنائس الشرقية والغربية، ولهذا اتجهت الأنظار نحو عقد مجمع أساقفة في مدينة فراري في سنة ٨٤٢ هـ/١٤٣٨م، ثم انتقل المجمع إلى مدينة فلورنسا في العام التالي، حيث وعد البابا يوجينوس الرابع (٨٣٤-٨٥١ هـ/١٤٣١-١٤٤١م) بدعوة ملوك أوروبا لإنقاذ القسطنطينية بعد أن عجزت الإمبراطورية البيزنطية عن مقاومة العثمانيين[٢].

---

١ - ٢، د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٩١ - ٩٢.



وافق الجميع، في هذا المؤتمر، على مبدأ **إرسال حملة صليبية** أخرى لإخراج العثمانيين من الأراضي الأوروبية وتخليص القسطنطينية من أخطارهم، وشاع في أوروبا أن الحملة؛ حملة صليبية جديدة، تساهم فيها الدول الأوروبية، يمكن أن تحقق هذا الهدف، لذلك اتسمت الحروب بين الدولة العثمانية ودول أوروبا في هذه المرحلة بالصليبية.

وفعلًا، **دعا البابا ملوك وأمراء أوروبا للمساهمة في هذه الحملة**، فاستجاب لدعوته ألفانسو الخامس، ملك أراغون ونابولي، وهو أقوى شخصية أوروبية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ولاديسلاس الثاني. ملك المجر وبولندا، ويوحنا هونيادي ، حاكم ترانسلفانيا، وانضمت إلى الحملة قوات سكسونية وألمانية وتشيكية ولاتينية وفرنسية وبشناقية وأفلاقية وقرمانية. وسارت هذه القوات لقتال العثمانيين، فيما سمي **بـ"الحملة الطويلة"**، وأرسل البابا الكردينال جوليانو سيزاريني إلى المجر لإعطاء دفعة معنوية للحملة[١].

والواقع أن حملة صليبية، بقيادة يوحنا هونيادي، غادرت بوادبست في ربيع الأول ٨٤٦ هـ/تموز ١٤٤٢م **واستطاعت إحراز نصر على الجيش العثماني المتقدم**. بجوار مدينة هرمنشتاد، وكان يزيد بك، قائد هذا الجيش، من بين القتلى، واضطرت فلول العثمانيين إلى الارتداد لما وراء نهر الدانوب.

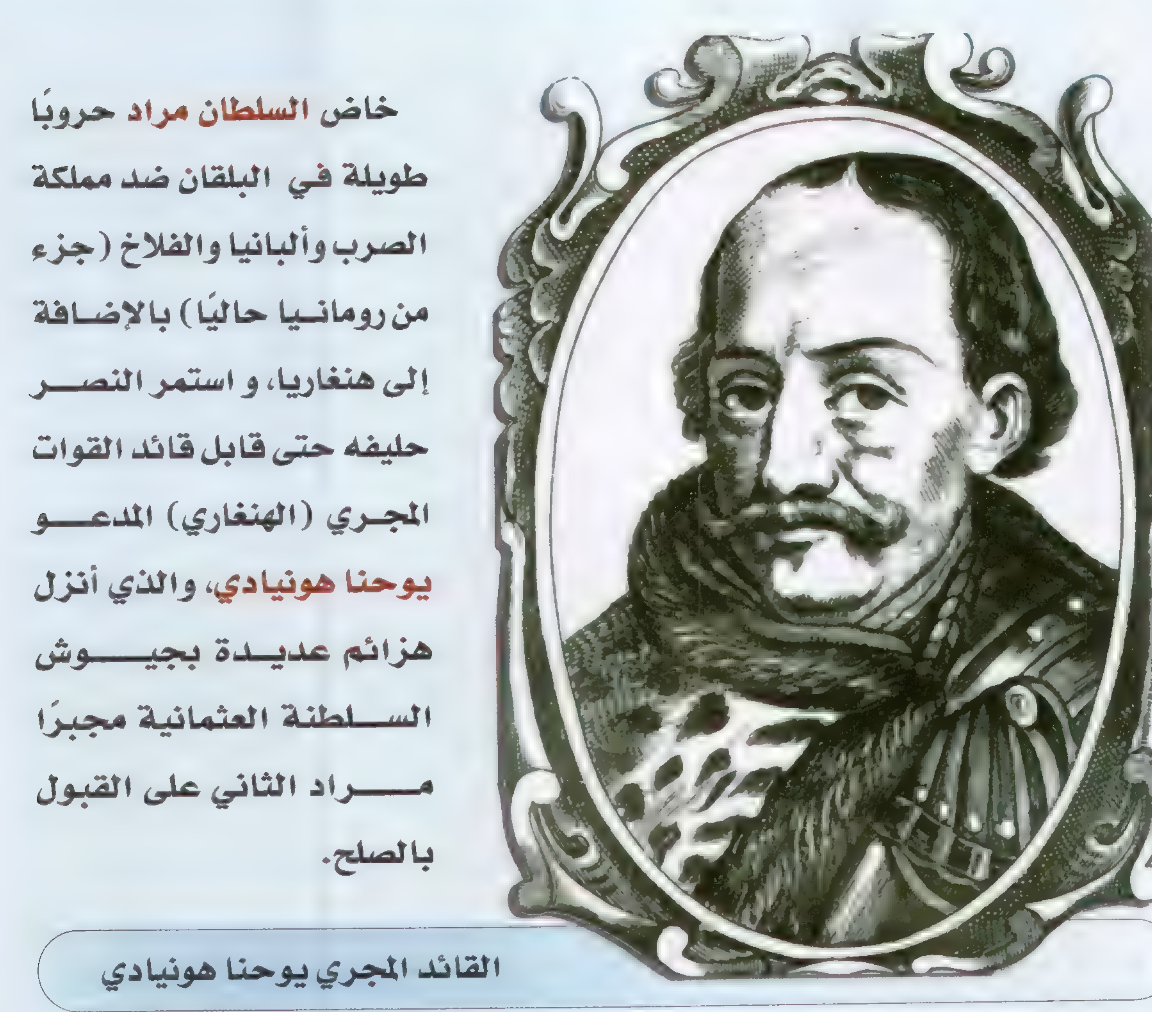
ولما علم مراد الثاني بما أصاب جيشه، أرســـل جيشًا آخر تعداده ثمانين ألف جندي، بقيادة شهاب الدين باشا، اصطدام بالجيش الصـــليبي عند بلدة وازاج، لكن أصابه ما أصاب الجيش الأول، ووقع شهاب الدين باشا في الأسر.

كانت النتيجة النفسية لهذا الانتصار واضحة، فقد بدا أن الأمل في تجديد الحروب الصليبية وطرد الأتراك من الأراضي الأوروبية، أقل حماقة، لذلك، حشد الحلفاء جيشًا كثيفًا قاده **يوحنا هونيادي** ورافقه الملك **لاديسلاس الثاني**، وانضم إليه كل من **جورج برانكوفيتش**، الذي جرده مراد الثاني من إمارته، وفلاد الأول دراكول أمير الأفلاق،

تحركت هذه الجحافل الصليبية في شوال ٨٣٦ هـ/شباط١٤٤٣م، ثم احتلت مدينة **صوفيا**. وحدث أن واصل يوحنا هونيادي تقدمه، فعبر جبال البلقان **وهزم العثمانيين عند بالوفاز**، ما بين صوفيا وفيليبوليس. وبدا أن أملاك العثمانيين في أوروبا أضحت غنيمة سهلة في يد هذا القائد المنتصر، وكان من المتوقع أن يتابع زحفه إلى **أدرنة** حيث بات الطريق إليها مفتوحًا بعد هذه الانتصارات، ولكنه لم يفعل وتوقف عن الزحف، ربما بسبب صعوبة اجتياز المسالك في فصل الشتاء، أو لعله كان يخشى من أن يكمن له العثمانيون ويتربصوا به بعد اقترابه من مراكزهم الحيوية، والراجح أن تعدد القيادات في الجيش الصليبي كان يوحي بالتروي في اتخاذ قرارات خطيرة ضد العثمانيين[٢].

---

١ - ٢. د. محمد سهيل طقوش. تاريخ العثمانيين، ص ٩٣ - ٩٤.



خاض السلطان مراد حروبًا طويلة في البلقان ضد مملكة الصرب وألبانيا والفلاخ (جزء من رومانيا حاليًا) بالإضافة إلى هنغاريا، و استمر النصر حليفه حتى قابل قائد القوات المجري (الهنغاري) المدعو يوحنا هونيادي، والذي أنزل هزائم عديدة بجيوش السلطنة العثمانية مجبرًا مراد الثاني على القبول بالصلح.

القائد المجري يوحنا هونيادي

تكمن أهمية **معركة نيش** في أنها **نفخت روح الحماس الديني في جميع أنحاء أوروبا، وأجبرت مراد الثاني على الجنوح إلى السلم.** والواقع أن هذه الهزيمة والأخطار، التي تجددت في اليونان والأناضول، دفعا السلطان إلى تبريد الجبهة الشمالية.

كانت **بلاد اليونان** ترزح تحت وطأة التقسيم الذي نفذه الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني على أولاده، والمعروف أن شبه جزيرة المورة وقسمًا من إقليم تساليا كانا من نصيب الأمير البيزنطي قسطنطين، فاستغل انهماك مراد الثاني بمحاربة المجر وسيطر على مجمل البيلوبونيز، وأصلح أسوار مدينة هيكسا ميليون، وأجبر حاكم أتيكا، الذي كان يدفع الجزية للعثمانيين، على الاعتراف بسيادته، كما نسّق مع اللاتين أعداء العثمانيين.

وكان إسكندر بك، أحد أمراء ألبانيا، على هذا النمط من التفكير، فاستغل فرصة انهماك مراد الثاني في الحرب على الجبهة الشمالية، وحاول القيام بحركة انفصالية تستهدف فصل **ألبانيا** عن الدولة العثمانية، وتمكّن من طرد الحاميات العثمانية من معظم أنحاء البلاد، وانتصر على جيش عثماني بقيادة علي باشا حول قلعة كروفا، في سنة ٨٤٧ هـ/١٤٤٣م، واستولى عليها، وبسط نفوذه على شمالي البلاد[(١)].

نسّق القرمانيون مع المجريين، وانتقلوا إلى الهجوم، فاستعادوا بيشهر وآق شهر، وزحفوا نحو أنقرة في أوائل سنة ٨٤٨ هـ/ ربيع سنة ١٤٤٤م.

عرض **مراد الثاني الصلح على القوى الأوروبية بشـــــروط مغرية**، بعد توسط جورج برانكوفييتش الصربي الذي أمل في استرداد إمارته. ولا شك بأن الاتفاق، المعقود في أدرنة في ٢٤ صفر ٨٤٨ هـ/١٢ حزيران ١٤٤٤م، قد صدّق عليه لاديسلاس الثاني في أواخر الشهر اللاحق، وتضمّن مايلي[(٢)]:

١- تستعيد صربيا والبوسنة استقلالها الذاتي على أن تستمرا في دفع الخراج المترتب عليهما للدولة العثمانية.

٢- يتنازل مراد الثاني على سيادته على بلاد الأفلاق التي تصبح مستقلة.

٣- يعيد السلطان قلعتي سمندرية وآلاجا حصار إلى الصرب.

٤- يوقف العثمانيون حملاتهم العسكرية شمالي نهر الدانوب.

٥- إخلاء سبيل الأسرى من الجانبين.

٦- تستمر الهدنة مدة عشر سنوات.

تكمن أهمية هذه المعاهدة في أنها وضعت حدًا للتمدد العثماني شمالي نهر الدانوب، وأبقـت على سيادة الدولة العثمانية على بلاد الصرب والبوسنة مزعزعة، وخسر العثمانيون بعض ما كسبوه خلال أكثر من نصف قرن.

لكن هل قدّر لهذه المعاهدة أن تنفذ على الأرض؟ الإجابة لم يكن هذا، ذلك أن بعض **القيادات** الصليبية، وبخاصة **البابا**، رأت في تنفيذها ضربة قاصمة لآمالها في **طـــــرد الأتراك من القارة الأوروبية**، لذلك أخذت تعمل على تعطيلها. أما الدولة العثمانية، فكانت تمر في مرحلة إعادة النظر بسياستها العامة، لذلك ركنت إلى الهدوء قانعة بتنفيذ بنود الاتفاقية.

---

١ - ٢، د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٩٤.

معركة فارنا:

شعر **مراد الثاني بالتعب**، وربما كانت المشكلات الداخلية والخارجية وموت ابنه علاء الدين. الذي كان يعده لخلافته، قد تركت لدية شعـورًا حادًا بالسأم، فرأى أن يعتزل السياسة، وتنازل عن العرش **لابنه الفتى محمد، البالغ أربعة عشر عامًا من العمر.** كان الأثر المباشر لهذا القرار يتمثل في تجديد الحرب، ذلك أن الوضع السياسي في **أدرنة** كان مضطربًا، فقد واجه الصدر الأعظم خليل باشا الجندرلي، الذي كان السلطان يثق به، معارضة وزراء آخـرين أكثر ميلاً إلى محمد، كما أن القيادات النصرانية المسؤولة عن شـن الحرب الصليبية عادت ونظرت إلى الموقف بعين المصلحة الخاصة، بغض النظر عن تلك المعاهدة التي عقدت بين **مراد الثاني** و**لاديسلاس الثاني**، وتزعّم هذه الحركة الكاردينال **جوليانو سيزاريني**، بإيعاز من البابا الذي عطّلت هذه المعاهدة طموحه.

كان الاعتقاد السائد في الدوائر الأوروبية المعادية للعثمانيين، أن موقف هؤلاء أضحى حـرجًا للغاية بعد اعتزال مراد الثاني وتسلّم ابنه الفتى محمد زمام الأمور، ولا خبرة له في الشؤون السياسية، وأن دولتهم أضحت منهكة، وباتت أطرافها معرضة للاقتطاع من جانب أمـراء الحدود الذين أجروا مفاوضات مع أعداء الدولة، بالإضافة إلى ذلك، فقد كانت توجـد آنذاك قوات أوروبية معسكرة في البلقان يمكن الاستفادة منها، فضلًا عن أن استمـرار العمليات العسكرية يمكن أن يعد حافـزًا لملوك أوروبا لتقديم مساعدات جديدة وجدّية.

استغل البابا هذه الفرصة وأخذ يحرِّض المجر (هنغاريا) على نقض المعاهدة، وشاركة البيزنطيون الذين أطلقوا سراح أورخان، حفيد بايزيد الأول، وقد أملوا في طرد العثمانيين من أوروبا واستعارة أملاكهم السابقة؛ ما أدّى إلى تنكـر بعض زعماء وملوك أوروبا لتلك المعاهدة التي وقعها لاديسلاس الثاني، **بحجة أن المعاهدة مع الكفـار لا قيمة لها**، وأن المصلحة النصرانية العليا هي التي يجب أن توضع فوق أية اعتبارات أخرى.

اقتنعت **القيادات النصرانية المعسكرة في البلقان** بهذا التفسير، وتحركت مشاعر ملك إنجلترا وملك فرنسا وحكومات البندقية وجنوة وفلورنسا، على الرغم مما بينها من نزاعات؛ للمساهمة في هذه الحرب الصليبية.

ويبدو أن بعض الزعامات في البلقان رفضت المشاركة في هذا التحالف، كما فعل جورج برانكوفيتش الذي أبى الحنث باليمين المعقود بين المتحاربين، وشاركه بعض الزعماء المحليين، بل إن الأمير الصربي منع إسكندر بك من اللحاق بحلفائه المجريين[٢].

---

١ - ٢، د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٩٦.

وقضت الخطة العسكرية أن يبحر الأسطول البندقي باتجاه المضائق ويستولي على مدينة غاليبولي، في الوقت الذي يزحف فيه الجيش البري جنوبًا، ويؤمّن اتصالًا مع هذا الأسطول في المدينة المذكورة التي تصبح قاعدة الانطلاق باتجاه القسطنطينية، وبذلك تكون هذه القوات الصليبية قد حققت هدفين في الوقت نفسه، وهما عزل السلطان عن قواعد في آسيا الصغرى وفتح طريق القسطنطينية. وهكذا تقدمت القوات المتحالفة التي يقودها ظاهريًا لاديسلاس الثاني ويحركها فعليًا يوحنا هونيادي، باتجاه الأراضي العثمانية متجنبة مضائق طريق أدرنة الخطرة، وتوجهت صوب البحر الأسود عن طريق فيدين ونيقوبوليس، وبعد أن انضم إليها فلاد الثاني دراكول أمير الأفلاق وصلت إلى مدينة فارنا الواقعة على شاطئ البحر الأسود، في ٢٦رجب ٨٤٨ هـ/٩تشرين الثاني ١٤٤٤م، وتحرك الأسطول البندقي في الوقت نفسه باتجاه المضائق[١].

كانت العمليات العسكرية الأولى تشير إلى نجاح متوقع لقوات التحالف، وبخاصة أن السفن البندقية تمكنت من السيطرة على المضائق **مانعة القوات العثمانية**، في آسيا الصغرى، من العبور إلى الجانب الأوروبي للمشاركة في الحرب.

كان الخطر الأكبر من قدرات محمد الفتى، وأدرك وزراؤه وقادته أن المعركة هي معركة مصير، فذهب وفد منهم إلى مراد الثاني، في عزلته في مغنيسيا، وطلبوا منه أن يعود إلى الحكم ويقودهم، إنقاذا للدولة من خطر كبير محدق بها. لبّى مراد الثاني الدعوة، وتولى زمام الأمور، فكان هذا التصرف الإيجابي من الأسباب التي أعطت الجيش العثماني الثقة بالنصر.

جهّز مراد الثاني جيشًا ضخمًا وزحف به باتجاه العدو. واعتقد الأوروبيون، وهم يزحفون باتجاه الجنوب، أنهم سيجدون أنفسهم في أرض مسالمة بين شعب مسالم، لكن هذا الجيش الائتلافي قضى على هذه الميزه عندما أنزل العقاب بالقرى النصرانية التي قاومته، واعتقد الكاردينال سيزاريني بأن نصارى البلقان الأرثوذكس هراطقة، بالإضافة إلى ذلك كانت الخلافات بين قيادات الجيوش تزداد عمقًا يومًا بعد يوم، بسبب الخطّة التي يجب أن تنفذ ضد العثمانيين.

وأخيرًا حصلت المعركة في فارنا، في رجب ٨٤٨ هـ/تشرين الثاني ١٤٤٤م، فتهور لاديسلاس الثاني في هجومه فسقط صريعًا، وأدّى مصرعه إلى اضطراب الجيش الذي فتك به العثمانيون، وشاعت الفوضى في صفوفه، وكان نجاح الحلفاء قاصرًا على قيام يوحنا هونيادي بجمع شتات بعض الجند ليفر بهم عبر الدانوب، وقتل الكاردينال سيزاريني، المحرّض الأول على قيام هذه الحرب، وتمّ النصر للعثمانيين، وكان من نتيجة المعركة أن عادت بلاد البلقان مرّة أخرى إلى الحكم العثماني[٢].

---

١ - ٢، د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٩٤.



معركة فارنا، بريشة "يان ماتيكو".

شخصية مراد الثاني[١] :

اشتهر السلطان مراد الثاني بأنه حاكم مسالم، يلجأ إلى السياسة كما كان بوسعه ذلك، ولا يشن حربًا إلا وهو واثق من النصر، وهو وإن لم يضارع أسلافه في الفتوح إلا أنه جدير بأن يشترك مع والده بحمل لقب الباني الثاني للدولة العثمانية، وذلك لأن السلطانين توصلا بجهودهما الكبيرة إلى إعادة الشأن للدولة العثمانية كما كان لها قبل نكسة أنقرة. وكان جليلًا صالحًا، اهتم بالعلم واعتنى بالعلماء، مقدامًا شجاعًا جوادًا واسع العطاء، خصّص **الحرمين الشريفين** بمبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة ونظام الدولة المركزية، كما فعل بايزيد الأول، وذلك بسبب الوضع في الأناضول. ويسجل عهده نهاية الثقافة العثمانية المتأثرة بالثقافتين العربية والفارسية، من واقع ظهور أولى المؤلفات المسهبة باللغة التركية التي أخذت تحل محل لغتي الأدب العربية والفارسية، **بل إنه أحيا التقليد الغزي القديم في مواجهة ادعاءات شاه روخ الذي شــــاء مواصلة سياسة والده تيمورلنك في الأناضول**، فحاول الضرب على وتر تفوق عشيرة قايي حتى يحطم النفوذ التيموري في الأناضول، ولا شك بأن هذا التمسك **بالتقاليد الغزية التركمانية** الذي انعكس حتى على تواريخ العثمانية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، والسعي إلى تحويل اللغة التركية إلى لغة أدبية متقدمة، إنما كان من ثمرات تلك الجهود وحدها.




عملة معدنية تعود إلى عهد السلطان العثماني مراد الثاني

١ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ١٠٠.



بعد سيطرة السلطان مراد الثاني على معظم شبه جزيرة البلقان تقريبًا، وبعد أن فتح مدينة آرتا في سنة ٨٥٣ هـ/ ١٤٤٩م لم يبق عليه سوى القضاء على **إسكندر بك** المتحصن في الجبال الغربية مع ثواره، فحاصر مدينة كرويا في ربيع الآخر سنة ٨٥٤ هـ/١٤٥٠م، غير أنه عجز عن فتحها، ربما بسبب ضعف قواته التي أنهكتها الحروب المتواصلة، وقرب حلول فصل الشتاء، **فعرض الصلح على إسكندر بك مقابل:**

- الاعتراف به حاكمًا على ألبانيا.
- دفع جزية سنوية للدولة العثمانية.

لكن إسكندر بك رفض عرض الصلح على الرغم من أنه كان يعاني من انفضاض زعماء القبائل من حوله بسبب سياسته المركزية، كما لم ينجح في كسب تأييد البنادقة، فاضطر مراد الثاني إلى رفع الحصار وعاد إلى أدرنة، ليجهز جيشًا آخر يقضي به على هذا الثائر، لكن المنية وافته قبل أن يتم مشروعه.

وفاته ووصيته الإيمانية

توفي السلطان مراد الثاني في قصر **أدرنة** عن عمر يناهز ٤٧ عامًا، وبناءً على وصيته -رحمه الله- دفن في جانب جامع مرادية في بورصة.

ووصى **بأن لا يبنى على قبره شيء**، وأن يعمل أماكن في جوانب القبر يجلس فيها الحفاظ لقراءة القرآن الكريم، وأن يدفن في يوم الجمعة، فنفذت وصيته. وترك في وصيته شعرًا، **بعد أن كان قلقًا يخشى أن يدفن في قبر ضخم**، وكان يريد ألاّ يبنى شيء على مكان دفنه، فكتبها شعرًا ليقول: فليأتِ يوم يرى الناس فيه ترابي.

لقد قام السلطان مراد ببناء جوامع ومدارس، وقصورًا وقناطر فمنها جامع أدرنة ذو ثلاث شرفات، وبنى بجانب هذا الجامع مدرسة وتكية يطعم فيها الفقراء والمساكين.

١ - ٢ ، مظهر شهاب ، الموسوعة العربية ،مج ٧، ص ٢٥٩ .


السلطان محمد الثاني
الفاتح
(٨٥٥-٨٨٦هـ)
(١٤٥١ - ١٤٨١م)

والده: السلطان مراد الثاني

والدته: هوما خاتون

ولادته: سنة ٨٣٥ هـ/١٤٣٢م

وفاته: سنة ٨٨٦ هـ/١٤٨١م



مدة حكمه: من ٨٥٥ - ٨٨٦ هـ/١٤٥١- ١٤٨١م

محمد الفاتح هو السلطان العثماني السابع في سلسلة آل عثمان **يلقب بالفاتح وأبي الخيرات**. حكم مايقرب من ثلاثين عامًا كانت خيرًا وعزة للمسلمين، تولى حكم الدولة العثمانية بعد وفاة والده في ١٦ محرم سنة ٨٥٥ هـ وكان عمره آنذاك ٢٢ سنة ولقد امتاز السلطان محمد الفاتح بشخصية فذة جمعت بين القوة والعدل كما أنه فاق أقرانه منذ حداثته في كثير من العلوم التي كان يتلقاها في مدرسة الأمراء وخاصة معرفته لسبع لغات، وميله الشديد لدراسة كتب التاريخ، مما ساعده فيما بعد على إبراز شخصيته في الإدارة وميادين القتال حتى إنه اشتهر أخيرًا في التاريخ بلقب محمد الفاتح، لفتحه القسطنطينية. وقد انتهج المنهج الذي سار عليه والده وأجداده في الفتوحات.

ومن صفاته الخَلَقية: أنه كان طويل القامة، مفتول العضلات، وردي البشرة، مكتنز الخدين، معقوف الأنف. وكان قوي الشخصية، ميالًا إلى السلطة إذ كان قائدًا عسكريًا وإداريًا لا مثيل له. ومن صفاته الكتمان إذ كان يخفي الأسرار حتى عن أقرب المقربين إليه. كما كان رصينًا ووقورًا وجسورًا. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون،تعريب محمد جان، ص ٤٠.

الأعلام الذين عاصروه:

المولى خير الدين بن خليل بن قاسم، المولى خوجه زادة، المولى يعقوب باشا، الشيخ سنان الدين يوسف، الشيخ سليمان الجزولي مؤلف كتاب (دلائل الخيرات).

أبناؤه:

مصطفى، بايزيد الثاني، جم، قورقود.

بناته:

كوهرخان.

يعرف **السلطان محمد الثاني** (الفاتح) بأنه هو من قضى نهائيًا على الإمبراطورية البيزنطية بعد أن استمرّت أحد عشر قرنًا ونيفًا، ويعد الكثير من المؤرخين هذا الحدث خاتمة العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة، وعند الأتراك فهذا الحدث هو "فاتحة عصر الملوك".


البشارة النبوية
بفتح
القسطنطينية
حدّثنا عبدالله حدَّثني أبي حدثنا عبدالله ابن محمد بن أبي شيبة وسمعته أنا من عبدالله بن محمد بن أبي شيبة . قال: حدثنا زيد بن الحباب قال: حدَّثني الوليد بن المغيرة المعافري قال: حدَّثني عبدالله بن بشر الغنوي عن أبيه انه سمع النبيّ صلى الله عليه وسلّم يقول: « لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش، قال: فدعاني مسلمة بن عبدالملك فسألني؟ فحدَّثته، فغزا القسطنطينية ». مسند الإمام أحمد
أخبرني عبد الله بن محمد الدورقي، ثنا محمد بن إسحاق الإمام ، ثنا عبدة بن عبد الله الخزاعي ، حدّثني الوليد بن المغيرة ، حدّثني عبد الله بن بشر الغنوي ، حدّثني أبي قال: سمعت رسول الله يقول: « لَتُفْتَحُنَّ القسْطَنْطِينِيَّة وَلَنِعْمَ الأَمِيرُ أَمِيرُها ، وَلَنِعْمَ الجيْشُ ذلِكَ الْجَيْشُ »، قال عبدالله: فدعاني مسلمة بن عبد الملك، فسألني عن هذا الحديث فحدثته فغزا القسطنطينية. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك على الصحيحين.

القسطنطينية

تأسست **القسطنطينية** سنة ٦٥٨ ق.م. وكانت من قبل قرية للصيادين. وتعرف باسم **بيزنطة** وفي سنة ٣٣٥ م جعلها الإمبراطور قسطنطين عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) وأصبح يطلق عليها القسطنطينية على اسم الإمبراطور قسطنطين مؤسس الإمبراطورية، وكان بها مقر بطريركية الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية كنيسة آيا صوفيا. خلال العصر الذهبي للإمبراطورية البيزنطية خاصة تحت حكم الأسرة المقدونية، حيث دعي عصرهم بعصر النهضة المقدونية والكومنينيون، ففي عهدهم مرت الإمبراطورية البيزنطية نهضة ثقافية وعلمية، وكانت القسطنطينية في عهدهم المدينة الرائدة في العالم المسيحي من حيث الحجم والثراء والثقافة[١].

ويصف د. حسنين محمد ربيع القسطنطينية: (الحقيقه إن الإمبراطور قسطنطين الكبير شيد مدينة أصبحت أعظم مدينة في أوروبا العصور الوسطى لقرون طويلة. وكان موفقًا في اختيار موقع العاصمة الجديدة عند نقطة التقاء قارتي آسيا وأوروبا، تحتل مثلثًا من الأرض، يحتضنها البوسفور من الشرق، ويطل عليها القرن الذهبي من الشمال، وبحر مرمرة من الجنوب، ولا يمكن الوصول إليها برًا إلا من جهة واحدة، وهذا جعلها مدينة حصينة آمنة من أي غزو بري أو بحري. وتحكمت العاصمة الجديدة في الطريق الموصل بين أوروبا وآسيا، وبين البحر الأسود والبحر الأيجي والبحر المتوسط، وسرعان ما أصبحت القسطنطينيه أهم مركز للتجارة الدولية فقد تمتعت المدينة الجديدة بأحسن ميناء طبيعي في عالم العصور الوسطى ...)[٢].

لقد تراجعت أحوالها إثر وفاة الإمبراطور جوستنيان. وفقدت الكثير من مناعتها جراء الحملة الصليبية الرابعة سنة ١٤٠٢م التي أنهكت دفاعاتها. فالمدينة لم تستطع في مئتي عام أن تتعافى من سبي اللاتين أهلها وحرقهم بيوتها ومبانيها وساحاتها. وإذا كان الانشقاق الكبير ما بين الكنيستين قد حصل عام ١٠٥٤م نتيجة التنافس على الأولوية بين أباطرة الشرق والغرب وأحبارهم، فإن الانشقاق قد اتسع كثيرًا في العام ١٢٠٤م، **أي عند دخول الجيوش الصليبية المدينة وحرقها مبانيها العامة والخاصة وانتهاكها حرمة كنائسها.**

وفي عهد السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح (١٤٥١-١٤٨١م) فتح العثمانيون مدينة القسطنطينية، فقوضوا الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وفتحوا أراضيها في منطقة البلقان أساسًا وفي غيرها، وما زالت منطقة القسطنطينية، أي مدينة الآستانة كما أطلقوا عليها وما حولها، هي الجزء الأوروبي من السلطنة التي انحصرت في تركيا الحديثة حتى الآن[٣].

١-٣، الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية.

٢- دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية.



خريطة القسطنطينية (إستنبول) رسمت في سنة ١٤٢٢م من قبل رسام الخرائط Cristoforo Buondelmonti فلورنسا ... وهي أقدم خريطة عن المدينة، والخريطة الوحيدة الناجية التي سبقت الفتح العثماني للقسطنطينية في ١٤٥٣م.

مرتسم تقريبي لمدينة القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) في العصور الوسطى



مصطلح البيزنطية : من اختراع المؤرخين ولم يستعمل قط خلال مدى عمر الإمبراطورية. وتعود أصل اللفظة اليونانية إلى اسم بلدة قديمة بناها الإغريق على ساحل البسفور الأوروبي، قبل أن تصبح عاصمة بيزنطة. بينما كان المسلمون يطلقون عليها اسم بلاد الروم وكانت على الحدود الشمالية لبلاد الشام.

عمود قســــطنطين

(جمبر لي تاش)، بـدأ الإمبراطور قسطنطين بناء مدينته من جديد ووضع في منتصف ميدان قسطنطين نصبًا عموديًا يحمل اسمه، مصنوع من الرخام السماقي المصقول والأسطواني والأحجار الكريمة التي جلبها من روما وزخرفت نهاية العمود على شكل باقات الزهور، ارتفاع المبنى ٥٠ م وأبعاده ٣٥×٣٧م وفيها أربعة مدرجات وقاعدة واحدة . جلب هذا العامود من قبل الرومان من إفريقيا إلى معبد أبولو الموجود في روما وفوقه إله الشمس، وتمثال أبولو؛ لكن الإمبراطور قسطنطين أمر بوضع ذكرى آلهة الشمس هيلوس على هيكله وحول رأسه سبعة كلاليب رمزية.

يحمل الهيكل في يده اليسرى صليبًا مربعًا مصنوعًا من الذهب ويحمل في يده اليمنى حربة. حدثت بالعمود أضرار في العهد العثماني حتى تم ترميم محيطه الحديدي بسبب الحرائق والزلازل التي حدثت؛ وقاعدة العمود كما هو واضح من الصورة مبنية من صخور أرتفاعها ١١ م .



عمود قسطنطين في إحدى ساحات أستنبول التركية، ويرى خلفه أحد المساجد العثمانية القديمة.

محاولات فتح القسطنطينية عبر مراحل التاريخ الإسلامي

تسلسل المحاولة	اسم الحاكم	تاريخ المحاولة	النتيجة
الأولى	معاوية بن أبي سفيان [illegible]	٤٦هـ/٦٦٩م	[illegible]
الثانية	معاوية بن أبي سفيان [illegible]	٥٤ - ٦٠ هـ ٦٧٤ - ٦٨٠م	[illegible]
الثالثة	سليمان بن عبد الملك [illegible]	٩٨ هـ/٧١٨م	[illegible]
الرابعة	محمد المهدي العباسي وبقيادة ابنه هارون الرشيد	١٦٥هـ/ ٧٨١م	قام ولي العهد هارون الرشيد في خلافة ابيه المهدي بمحاصرة القسطنطينية وانتهت بهدنة.
الخامسة	بايزيد الأول	٧٩٦ هـ - ١٣٩٣م	فاوض بايزيد الإمبراطور البيزنطي لتسليم المدينة سلمًا إلى المسلمين، ولكنه اخذ يراوغ ويماطل ويحاول طلب المساعدات الاوربية لصد الهجوم الإسلامي عن القسطنطينية، وفي الوقت نفسه وصلت جيوش المغول يقودها تيمورلنك إلى داخل الأراضي العثمانية وأخذت تعيث فسادًا، فاضطر لسحب قواته وفك الحصار لمواجهة المغول.
السادسة	مراد الثاني	٨٢٤ - ٨٦٣ هـ ١٤٢١-١٤٥١م	حاصرها العثمانيون مرات عدة، وكان الإمبراطور ينجح في إيقاع الفتنة في صفوف العثمانيين بدعم خارجي.
السابعة	محمد الثاني (الفاتح)	٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م	فاز بالبشارة النبوية

قال صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّة فَلَنِعْمَ الأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ قَالَ: فَدَعَانِي مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَسَأَلَنِي فحدثته فَغَزَا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ ﴾ . رواه أحمد في مسنده

الدولة الأموية
الثغور الإسلامية
الدولة البيزنطية
خروج الخليفة إلى مرج دابق
الجيش بقيادة مسلمة بن عبد الملك نحو القسطنطينية
إمدادات بحرية إسلامية من مصر وإفريقية والشام .
إمدادات بلغارية صليبية .

بحر بنطس (البحر الأسود)
الدولة البيزنطية
آسيا الصغرى
بلاد الشام
ديار بكر
العراق
بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)
بحر إيجة
القسطنطينية
ب . مرمره
بورصة
أزمير
كوس
رودس
فتحية
أنطاليا
خليج أنطاليا
عمورية
هضبة الأناضول
قونية
قيصرية
سينوب
طرابزون
باطوم
أرضروم
ملطية
زبطرة
الحدث
عين زربة
مرعش
أضنة
طرسوس
المصيصة
مرسين
خليج إسكندرونة
منبج
مرج دابق
حلب
قبرص
اللاذقية
حماة
حمص
طرطوس
طرابلس
بيروت
صيدا
دمشق
الرها
ماردين
ديار بكر
القامشلي
الحسكة
الموصل
أربيل
كركوك
الرقة
دير الزور
نهر الفرات
نهر دجلة
الرمادي

محاولة المسمين الثالثة لفتح القسطنطينية سنة ٩٩ هـ/٧١٨م بقيادة مسـلمة ابن عبد الملك في عهد أخيه الخليفة الأمـوي سليمان بن عبد الملك بن مـروان



الإعداد لفتح القسطنطينية[١] .

أخذ السلطان **محمد الثاني**، بعد وفاة والده، يستعد لتتميم فتح ما بقي من بلاد البلقان ومدينة القسطنطينية حتى تكون جميع أملاكه متصلة لا يتخللها عدو مهاجم أو صديق منافق، فبذل بداية الأمر جهودًا عظيمة في تقوية الجيش العثماني بالقوى البشرية حتى وصل تعداده إلى قرابة ربع مليون جندي، وهذا عدد كبير مقارنة بجيوش الدول في تلك الحقبة، كما عني عناية خاصة بتدريب تلك الجموع على فنون القتال المختلفة وبمختلف أنواع الأسلحة التي تؤهلهم للغزو الكبير المنتظر، كما اعتنى الفاتح بإعدادهم إعدادًا معنويًا قويًا، وغرس روح الجهاد فيهم، وتذكيرهم بثناء النبي محمد على الجيش الذي يفتح القسطنطينية وعسى أن يكونوا هم الجيش المقصود بذلك، مما أعطاهم قوة معنوية وشجاعة منقطعة النظير، كما كان لانتشار العلماء بين الجنود أثر كبير في تقوية عزائمهم.

أراد السلطان، قبل أن يتعرض لفتح القسطنطينية أن يُحصّن **مضيق البوسفور** حتى لا يأتي لها مدد من **مملكة طرابزون**، وذلك بأن يُقيم **قلعة على شاطئ المضيق** في أضيق نقطة من الجانب الأوروبي منه مقابل القلعة التي أسست في عهد السلطان بايزيد في البر الآسيوي.

ولمّا بلغ إمبراطور الروم هذا الخبر أرسل إلى السلطان سفيرًا يعرض عليه **دفع الجزية** التي يُقررها، فرفض الفاتح طلبه وأصر على البناء لما يعلمه من أهمية عسكرية لهذا الموقع، حتى اكتملت قلعة عالية ومحصنة، وصل ارتفاعها إلى ٨٢ مترًا، وأطلق عليها اسم **"قلعة روملّي حصار"** (بالتركية: Rumeli Hisarı)، وأصبحت القلعتان متقابلتين، ولا يفصل بينهما سوى ٦٦٠ مترًا، تتحكمان في عبور السفن من شرقي البوسفور إلى غربه وتستطيع نيران مدافعهما منع أي سفينة من الوصول إلى القسطنطينية من المناطق التي تقع شرقها مثل مملكة طرابزون وغيرها من الأماكن التي تستطيع دعم المدينة عند الحاجة. كما فرض السلطان رسومًا على كل سفينة تمر في مجال المدافع العثمانية المنصوبة في القلعة، وكان أن رفضت إحدى سفن البندقية أن تتوقف بعد أن أعطى العثمانيون لها عدداً من الإشارات، فتمّ إغراقها بطلقة مدفعية واحدة فقط.

قلعة الروملّي سميت في المصادر العثمانية باسمها القديم بوغاز كسن أي قاطع القناة وعند الأوربيين لايموكوبيا أي قاطعة الرقبة ولقد استعد الفاتح بقوات لحماية القائمين على بناء القلعة وسرعة الإنجاز ووصل بنفسه إلى المكان وقام بتخطيطها في أضيق مكان على الجانب الغربي، ووصل على رأس قوة قوامها خمسون ألف شخص، إلى الموقع الذي يوجد به (روملّي حصار) في يوم الأحد ٥ من ربيع الأول ٨٥٦ هـ / ٢٦ مارس عام ١٤٥٢م، وذلك لقطع قناة البحر الأسود على بيزنطة، ومن ثم قطع إعاشتها من هناك من جهة، والسيطرة على قناة القسطنطينية البوسفور الآمن بين « الأناضول » و« الروملّي ».

---

١ - د. علي بن محمد الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

تشكلت **قلعة روملي** من ثلاث زوايا بثلاثة أبراج، ويتحكم برجان منها في البحر، وأحدها في البر.

والبرج المشيد الواقع بجانب البحر، بناه الوزير الأعظم خليل باشا جاندارلي، والبرج المطل على قرية حصار بناه صاروجه باشا، والبرج المطل على (حصار بشا) بناه (زاغانوس محمد باشا)، ويروى أن هؤلاء الوزراء كانوا يعملون بأيديهم في البناء حتى يصبحوا قدوة





لقطات متعددة لقلعة حصار روملّي



اعتنى **السلطان** عناية خاصة **بجمع الأسلحة اللازمة لفتح القسطنطينية، ومن أهمها المدافع**، التي أخذت اهتمامًا خاصًا منه، حيث أحضر مهندسًا مجريًا يدعى "أوربان" كان بارعًا في صناعة المدافع، فأحسن استقباله ووفر له جميع الإمكانات المالية والمادية والبشرية. تمكن هذا المهندس من تصميم وتصنيع العديد من المدافع الضخمة كان على رأسها "المدفع السلطاني" المشهور، الذي ذكر أن وزنه كان يصل إلى مئات الأطنان، وأنه يحتاج إلى مئات الثيران القوية لتحريكه، وقد أشرف السلطان بنفسه على صناعة هذه المدافع وتجريبها. ويُضاف إلى هذا الاستعداد ما بذله الفاتح من عناية خاصة بالأسطول العثماني؛ حيث عمل على تقويته وتزويده بالسفن المختلفة ليكون مؤهلاً للقيام بدوره في الهجوم على القسطنطينية، تلك المدينة البحرية التي لا يكمل حصارها دون وجود قوة بحرية تقوم بهذه المهمة وقد ذُكر أن السفن التي أعدت لهذا الأمر بلغت مئة وثمانين سفينة في الواقع.

عقد معاهدات: عمل الفاتح قبل هجومه على القسطنطينية على عقد معاهدات مع أعدائه المختلفين ليتفرغ لعدو واحد، فعقد معاهدة مع **إمارة غلطة** المجاورة للقسطنطينية من الشرق ويفصل بينهما مضيق القرن الذهبي، كما عقد معاهدات مع **جنوة والبندقية** وهما من الإمارات الأوروبية المجاورة، ولكن هذه المعاهدات لم تصمد حينما بدأ الهجوم الفعلي على القسطنطينية، حيث وصلت قوات من تلك المدن وغيرها للمشاركة في الدفاع عن المدينة.

في هذه الأثناء التي كان السلطان يعد العدة فيها للفتح، استمات الإمبراطور البيزنطي في محاولاته لثنيه عن هدفه، بتقديم الأموال والهدايا المختلفة إليه، وبمحاولة رشوة بعض مستشاريه ليؤثروا على قراره، ولكن السلطان كان عازمًا على تنفيذ مخططه، ولم تثنه هذه الأمور عن هدفه، ولما رأى الإمبراطور البيزنطي شدة عزيمة السلطان على تنفيذ هدفه عمد إلى طلب المساعدات من مختلف الدول والمدن الأوروبية وعلى رأسها البابا زعيم المذهب الكاثوليكي، في الوقت الذي كانت فيه كنائس الدولة البيزنطية وعلى رأسها القسطنطينية تابعة للكنيسة الأرثوذكسية وكان بينهما عداء شديد، وقد اضطر الإمبراطور لمجاملة البابا بأن يتقرب إليه ويظهر له استعداده للعمل على توحيد الكنيستين الشرقية والغربية، في الوقت الذي لم يكن الأرثوذكس يرغبون في ذلك. **قام البابا بناءً على ذلك بإرسال مندوب منه إلى القسطنطينية، خطب في كنيسة آيا صوفيا** ودعا للبابا وأعلن توحيد الكنيستين، مما أغضب جمهور الأرثوذكس في المدينة، وجعلهم يقومون بحركة مضادة لهذا العمل الإمبراطوري الكاثوليكي المشترك، حتى قال بعض زعماء الأرثوذكس: "إنني أفضل أن أشاهد في ديار البيزنط عمائم الترك على أن أشاهد القبعة اللاتينية".

واجهة صالة العرض البانورامية لتاريخ فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م في أستنبول

أحد المدافع العثمانية التي استخدمها السلطان العثماني محمد الثاني



استغرقتْ استعداداتُ السلطـان عامين كاملين، واستعان بمهندس مجرى صمّـمَ لـه نوعًا من المدافـعِ الضَّخمـةِ عُرفت "بالمدافـع السلطانيـة" تستطيعُ دكّ الأسوارِ المنيعة للقسطنطينية.

لقطات متنوعة لبعض المدافع العثمانية من داخل صالة العرض

نماذج متنوعة لبعض الأسلحة (مدفع قصير - حجر للرمي - سيوف - خوذ) داخل صالة العرض

صورة مقربة لمدفع قصير تم استخدامه خلال عملية الفتح

خطة البدء: سعى السلطان، بعد كل هذه الاستعدادات، في إيجاد سبب لفتح باب الحرب، ولم يلبث أن وجد هذا السبب بتعدي الجنود العثمانيين على بعض قرى الروم ودفاع هؤلاء عن أنفسهم، حيث قُتل البعض من الفريقين. عمل السلطان على تمهيد الطريق بين **أدرنة والقسطنطينية** لكي تكون صالحة لجر **المدافع العملاقة** خلالها إلى القسطنطينية، وقد تحركت المدافع من أدرنة إلى قرب القسطنطينية، في مدة شهرين حيث تمت حمايتها بقسم الجيش حتى وصلت الأجناد العثمانية يقودها الفاتح بنفسه إلى مشارف القسطنطينية في يوم الخميس ٦ أبريل، ١٤٥٣م، الموافق ٢٦ ربيع الأول، ٨٥٧ هـ، فجمع الجند وكانوا قرابة مئتين وخمسين ألف جندي أي ربع مليون، فخطب فيهم خطبة قوية حثهم فيها على الجهاد وطلب النصر أو الشهادة، وذكّرهم فيها بالتضحية وصدق القتال عند اللقاء، وقرأ عليهم الآيات القرآنية التي تحث على ذلك، كما ذكر لهم الأحاديث النبوية التي تبشر بفتح القسطنطينية وفضل الجيش الفاتح لها وأميره، وما في فتحها من عز للإسلام والمسلمين، **وقد بادر الجيش بالتهليل والتكبير والدعاء.**

وبهذا ضرب السلطان الحصار على المدينة بجنوده من ناحية البر **(انظر الخريطة في الصفحة المقابلة)**، وبأسطوله من ناحية البحر، وأقام حول المدينة أربع عشرة بطارية مدفعية وضع بها المدافع الجسيمة التي صنعها "أوربان" والتي قيل: بإنها كانت تقذف كرات من الحجارة زنة كل واحدة منها اثنا عشر قنطارًا إلى مسافة ميل، إلا أن المؤرخين المعاصرين يقولون: إن هذا الرقم مبالغ فيه بوضوح، فإنه ولو وُجد في ذلك الزمان آلة تستطيع أن تقذف هذا الوزن الكبير، فإنه لا يوجد أناس قادرين على رفع هذا الوزن ليضعوه في المدفع، فالقنطار يساوي ٢٥٠ كيلوغراما، فوزن القذيفة على هذا الاعتبار يكون ٣٠٠٠ كغم، ومن ثم فلعلّ المقصود كان ١٢ رطلًا وليس قنطارًا. وفي أثناء الحصار اكتُشف قبر **"أبي أيوب الأنصاري"** الذي استشهد حين حاصر القسطنطينية في خلافة معاوية بن أبي سفيان.

وفي هذا الوقت كان البيزنطيون قد قاموا بسد مداخل ميناء القسطنطينية بسلاسل حديدية غليظة حالت بين السفن العثمانية والوصول إلى القرن الذهبي، بل دمرت كل سفينة حاولت الدنو والاقتراب. إلا أن الأسطول العثماني نجح على الرغم من ذلك في الاستيلاء على **جزر الأمراء** في بحر مرمرة. استنجد الإمبراطور قسطنطين، آخر ملوك الروم، بأوروبا، فلبّى طلبه أهالي جنوة وأرسلوا له إمدادات مكونة من خمس سفن وكان يقودها القائد الجنوي "جوستنياني" يُرافقه سبع مائة مقاتل متطوع من دول أوروبية متعددة، فأتى هذا القائد بمراكبه وأراد الدخول إلى ميناء القسطنطينية، فاعترضته السفن العثمانية ونشبت بينهما معركة هائلة في يوم ٢١ أبريل، ١٤٥٣م، الموافق يوم ١١ ربيع الثاني، ٨٥٧ هـ، انتهت بفوز جوستنياني ودخوله الميناء بعد أن رفع المحاصرون السلاسل



ثم أعادوها بعد مرور السفن الأوروبية كما كانت.

حاولت القوات البحرية العثمانية تخطي السلاسل الضخمة التي تتحكم في مدخل القرن الذهبي والوصول بالسفن الإسلامية إليه، وأطلقوا سهامهم على السفن الأوروبية والبيزنطية ولكنهم فشلوا في تحقيق مرادهم في البداية، فارتفعت بهذا الروح المعنوية للمدافعين عن المدينة. بعد هذا الأمر، أخذ السلطان يُفكر في طريقة لدخول مراكبه إلى الميناء لإتمام الحصار برّاً وبحراً، فخطر بباله فكر غريب، وهو أن ينقل المراكب على البر ليجتازوا السلاسل الموضوعة لمنعها، وتمّ هذا الأمر المستغرب بأن مهدت الأرض وسويت في ساعات قليلة وأتي بألواح من الخشب دهنت بالزيت والشحم، ثم وضعت على الطريق الممهد بطريقة يسهل بها انزلاج السفن وجرها، وبهذه الكيفية أمكن نقل نحو سبعين سفينة وإنزالها في القرن الذهبي على حين غفلة من البيزنطيين.

▲ بداية سور ثيودسيوس الثاني المزدوج لمدينة القسطنطينية من جهة البحر بقلعته الشامخه

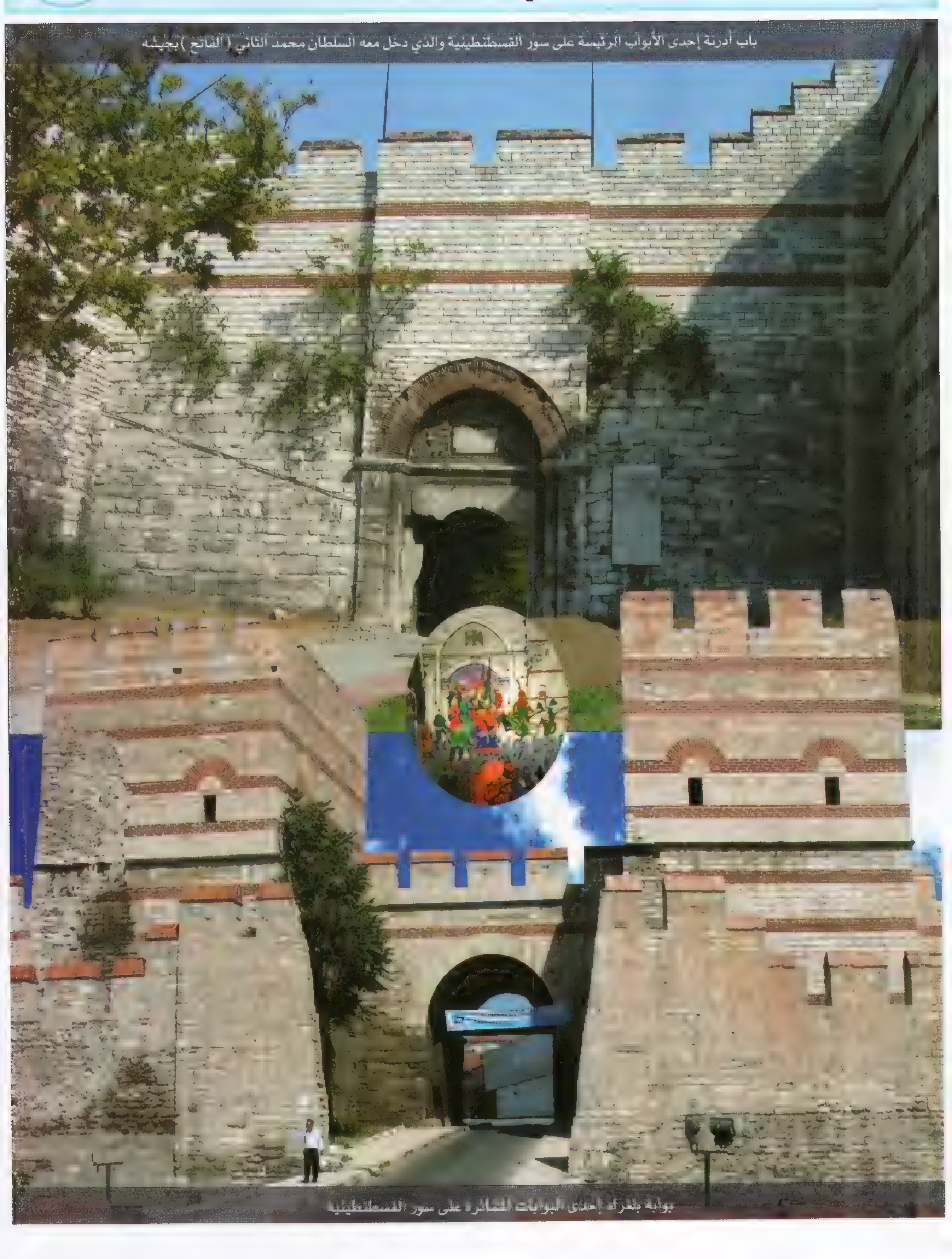
الجزء المكمّل للسور ويمتد عبر مجموعة كبيرة من البوابات المحيطة بالمدينة ▼

يقولُ المؤرِّخ التركي حلمي دانشمند في "موسوعة التاريخ العثماني": "إنَّ محمَّدًا الثاني منذ اعتلائه العرشَ سنة (٨٥٥ هـ/ ١٤١٥م) كان يمضي كلَّ ليلةٍ ساعاتٍ طويلة في دراسة **خريطة القسطنطينية** ودفاعاتِها وتحصيناتها، ويحفظُ عن ظهرِ قلبٍ المحاولاتِ الإسلامية السابقة لفتحها، ويناقشُ تفاصيلَها مع رجالِه ليستقي منها العبرةَ والخبرة".

الفناء الداخلي للقلعة ذات الأبراج السبعة المتصلة ببدايات السور، وفي الأسفل مجموعة من القذائف المتروكة بالأبراج

سور ثيوديوس الخارجي بعد الأبراج السبعة مباشرة

قسم من سور ثيوديوس الخارجي وجدار الخندق مع برج من الجدار الداخلي



باب أدرنة إحدى الأبواب الرئيسة على سور القسطنطينية والذي دخل معه السلطان محمد الثاني (الفاتح) بجيشه

بوابة بلغراد إحدى البوابات المتاثرة على سور القسطنطينية

معرض بانوراما الفتح

الجيش العثماني في مرحلة الاستعداد لشن القتال على البيزنطيين

انطلاق الفرسان نحو سور القسطنطينية المنيع



مراحل استخدام أنواع الأسلحة أثناء الهجوم على القسطنطينية

١

٢

في الصورتين القوات العثمانية تدك حصون القسطنطينية وتقوم بفتح ثغرات كبيرة فيه استعداداً لدخول المدينة

دخول السلطان العثماني محمد الثاني القسطنطينية فاتحاً ومحققاً البشارة النبوية لفتح هذه المدينة التي استعصت على المسلمين قروناً طويلة

من محتويات صالة العرض (بانوراما الفتح) هذه الخريطة التاريخية لمدينة القسطنطينية علوها كتابات بالحرف العربي

استيقظ أهل المدينة صباح يوم ٢٢ أبريل وفوجئوا بالسفن العثمانية وهي تسيطر على ذلك المعبر المائي، ولم يعد هناك حاجز مائي بين المدافعين عن القسطنطينية وبين الجنود العثمانيين، ولقد عبّر أحد المؤرخين البيزنطيين عن عجبهم من هذا العمل فقال: «ما رأينا ولا سمعنا من قبل بمثل هذا الشيء الخارق، محمد الفاتح يحول الأرض إلى بحار وتعبر سفنه فوق قمم الجبال بدلاً من الأمواج، لقد فاق محمد الثاني بهذا العمل الأسكندر الأكبر». أيقن المحاصرون عند هذا أن لا مناص من نصر العثمانيين عليهم، لكن لم تخمد عزائمهم بل ازدادوا إقداماً وصمموا على الدفاع عن مدينتهم حتى الممات. وفي يوم ٢٤ مايو سنة ١٤٥٣م، الموافق ١٥ جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هـ، **أرسل السلطان محمد إلى الإمبراطور قسطنطين رسالة دعاه فيها إلى تسليم المدينة دون إراقة دماء**، وعرض عليه تأمين خروجه وعائلته وأعوانه وكل من يرغب من سكان المدينة إلى حيث يشاؤون بأمان، وأن تحقن دماء الناس في المدينة ولا يتعرضوا لأي أذى وأعطاهم الخيار بالبقاء في المدينة أو الرحيل عنها، ولما وصلت الرسالة إلى الإمبراطور جمع المستشارين وعرض عليهم الأمر، فمال بعضهم إلى التسليم وأصر آخرون على استمرار الدفاع عن المدينة حتى الموت، فمال الامبراطور إلى رأي القائلين بالقتال حتى آخر لحظة، فرد الإمبراطور رسول الفاتح برسالة قال فيها: إنه يشكر الله إذ جنح السلطان إلى السلم وأنه يرضى أن يدفع له الجزية أما القسطنطينية فإنه أقسم أن يدافع عنها إلى آخر نفس في حياته فإما أن يحفظ عرشه أو يُدفن تحت أسوارها، فلما وصلت الرسالة إلى الفاتح قال: «حسناً عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش أو يكون لي فيها قبر».

عند الساعة الواحدة صباحًا من يوم الثلاثاء ٢٩ مايو، ١٤٥٣م/ ٢٠ جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هـ بدأ الهجوم العام على المدينة، فهجم مئة وخمسون ألف جندي وتسلقوا الأسوار حتى دخلوا المدينة من كل فج وأعملوا السيف فيمن عارضهم، واحتلوا المدينة شيئًا فشيئًا إلى أن سقطت بأيديهم، بعد ٥٣ يومًا من الحصار. **أما الإمبراطور قسطنطين فقاتل حتى مات في الدفاع عن وطنه كما وعد**، ولم يهرب أو يتخاذل. ثم دخل السلطان المدينة عند الظهر فوجد الجنود مشتغلة بالسلب والنهب، فأصدر أمره بمنع كل اعتداء، فساد الأمن حالاً. ثم توجه إلى **كنيسة آيا صوفيا** وقد اجتمع فيها خلق كبير من الناس ومعهم القسس والرهبان الذين كانوا يتلون عليهم صلواتهم وأدعيتهم، وعندما اقترب من أبوابها خاف المسيحيون داخلها خوفًا عظيمًا، وقام أحد الرهبان بفتح الأبواب له فطلب من الراهب تهدئة الناس وطمأنتهم والعودة إلى بيوتهم بأمان، فأطمأن الناس وكان بعض الرهبان مختبئين في سراديب الكنيسة فلما رأوا تسامح الفاتح وعفوه خرجوا وأعلنوا إسلامهم، وقد أمر الفاتح بعد ذلك بأن يؤذّن في الكنيسة بالصلاة إعلانًا بجعلها مسجدًا.



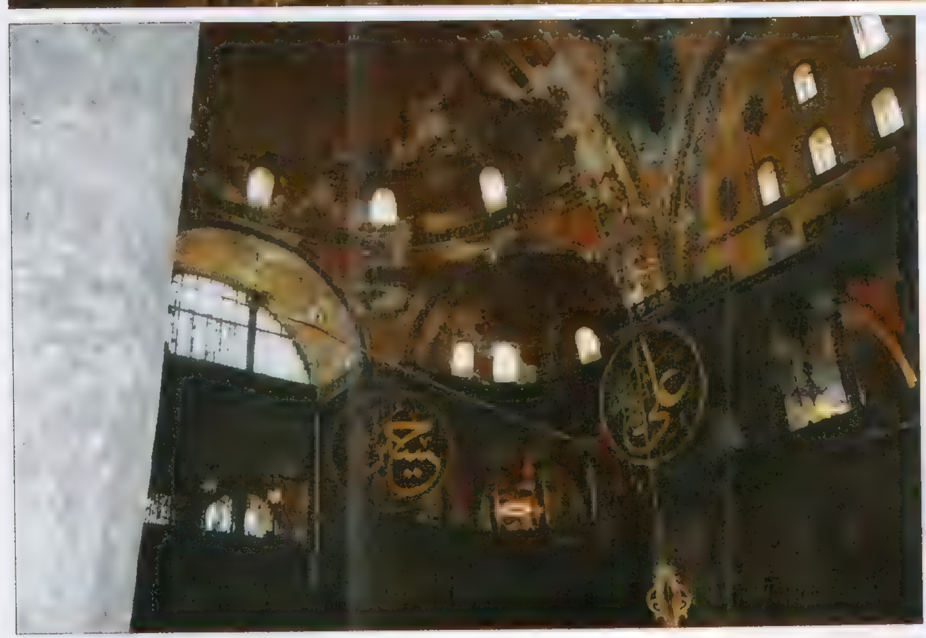
كاتدرائية آيا صوفيا التي حولها السلطان محمد الفاتح إلى مسجد وبنى فيها أربعة مآذن

ظهرتِ الروحُ الإسلامية السمحة في يوم الفتح، فقد دخلَ السلطان محمد الثاني القسطنطينية في سنة ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣م، وهو صائم، فسجد لله شكرًا في تواضعٍ جم، ومعه العلماءُ ورجالاتُ الإسلام، ونهى الجندَ عن الاعتداءِ والنّهب، ومنع القتلَ وسفكَ الدّماء، وأمَّنَ الآهلين وقرَّر حريةَ العباداتِ للنَّصارى الأرثوذكس، ومنح اليونانَ والأرمن من أهلِ القسطنطينية امتيازاتٍ خاصة. وردًّا على ما فعله الإسبانُ بالمسلمين في الأندلسِ، وتحويل مساجدهم إلى كنائس، ومنها المسجد الجامع في قرطبةَ، أمر السلطانُ بتحويلِ كنيسة آيا صوفيا أكبر كنائسِ القسطنطينية إلى مسجد، وأضيفت إليه **أربعُ مآذن**، وعندما ظهرَ أتاتورك حوَّل هذا المسجدَ إلى متحفٍ ومنع الصّلاةَ فيه، وظلَّ كذلك حتى الآن[1].

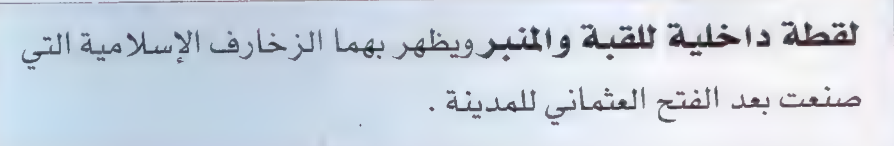
١ – د. محمد عبدالحميد الرفاعي، فتوحات العثمانيين في أوروبا، موقع الألوكة.


IC
XC









لقطة داخلية للقبة والمنبر ويظهر بهما الزخارف الإسلامية التي صنعت بعد الفتح العثماني للمدينة .

معاملة محمد الفاتح للنصارى المغلوبين:

توجـه محمـد الفاتح إلى **كنيسة آيا صوفيا** وقد اجتمع فيها خلق كبير من الناس ومعهم القسس والرهبـان الذين كانوا يتلون عليهـم صلواتهم وأدعيتهم، وعندما اقترب مـن أبوابها خاف النصارى داخلهـا خوفًا عظيمًا، وقام أحد الرهبان بفتح الأبواب له فطلـب من الراهب تهدئة الناس وطمأنتهم والعـودة إلى بيوتهم بأمـان، فاطمأن الناس وكان بعض الرهبان مختبئين فـي سراديب الكنيسة فلما رأوا تسامـح الفـاتح وعفوه خرجوا وأعلنوا إسلامهـم، وقد أمر الفاتح بعد ذلـك بتحويل الكنيسة إلى مسجد وأن يعد لهذا الأمر حتى تقام بها أول جمعة قادمة، وقد أخذ العمال يعدون لهذا الأمر، فأزالوا الصلبـان والتماثيـل وطمسوا الصور بطبقة من الجير وعملوا منـبرًا للخطيب، **وقد يجوز تحويل الكنيسة إلى المسجد لأن البلد فتحت عنوة والعنوة لها حكمها في الشريعة الإسلامية.**

وقـد أعطى السلطان للنصارى حرية إقامة الشعائر الدينية واختيار رؤسائهم الدينين الذين لهم حق الحكـم فـي القضايا المدنية، كما أعطـى هذا الحق لرجـال الكنيسة في الأقاليم الأخـرى ولكنه في الوقت نفسه فرض الجزية على الجميع. د. عبد العزيز العمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص٣٨٣.

لقـد حـاول المؤرخ الأنجليـزي أدوارد شيبردكريسي فـي كتابه "تاريخ العثمانيـين الأتراك أن يشوه صورة الفتـح العثماني للقسطنطينية ووصف السلطان محمد الفاتح بصفات قبيحة حقدًا منه وبغضًا للفتـح الإسلامـي المجيد، وسـارت الموسوعـة الأمريكية المطبوعة فـي سنة ١٩٨٠م فـي حمأة الحقد الصليبـي ضد الاسلام ، فزعمـت أن السلطان محمد قام باسترقاق غالبيـة نصارى القسطنطينية، وساقهم إلى أسواق الرقيق في مدينة أدرنة حيث تم بيعهم هناك. د. زياد أبو غنيمة، جوانب مضيئة، ص٢٦٥- ٢٦٧.

إن الحقيقـة التاريخية الناصعة تقول: إن السلطان **محمد الفاتح** عامل أهل القسطنطينية معاملة رحيمـة، وأمر جنـوده بحسن معاملة الأسرى والرفـق بهم، وافتدى عددًا كبيرًا مـن الأسرى من ماله الخاص وخاصة أمـراء اليونان، ورجال الدين، واجتمع مع الأساقفة وهـدأ من روعهم، وطمأنهم إلى المحافظـة على عقائدهـم وشرائعهم وبيوت عبادتهـم، وأمرهم بتنصيب بطريرك جديـدًا فانتخبوا أجناديوس لذلك، وتوجه هذا بعد انتخابه في موكب حافل من الأساقفة إلى مقر السلطان، فاستقبله السلطـان محمـد الفـاتح بحفاوة بالغـة وأكرمـه أيما تكـريم، وتناول معـه الطعام وتحـدث معه في موضوعـات شتى، دينية وسياسية واجتماعية وخـرج البطريرك من لقاء السلطان، وقد تغيرت فكرته تمامًـا علـى السلاطين العثمانيين وعـن الأتراك، بل والمسلمـين عامة، وشعر أنه أمـام سلطان مثقف صاحب رسالة وعقيدة دينية راسخة وإنسانية رفيعة، ورجولة مكتملة، ولم يكن الروم أنفسهم أقل تأثرًا

ودهشة من (بطريقهم)، فقد كانوا يتصورون أن القتل العام لابد لاحقهم، فلم تمض أيام قليلة حتى كان الناس يستأنفون حياتهم المدنية العادية في اطمئنان وسلام. السلطان محمد الفاتح، ص١٣٥،١٣٤.

كان العثمانيون حريصين على الالتزام بقواعد الإسلام، ولذلك كان العدل بين الناس من أهم الأمور التي حرصوا عليها، وكانت معاملتهم للنصارى خالية من أي شكل من أشكال التعصب والظلم، ولم يخطر ببال العثمانيين أن يضطهدوا النصارى بسبب دينهم. جوانب مضيئة، ص٢٧٤.

إن مِلل النصارى تحت الحكم العثماني تحصلت على كافة حقوقها الدينية، وأصبح لكل مِلَّة رئيس ديني لا يخاطب غير حكومة السلطان ذاتها مباشرة، ولكل مِلَّة من هذه المِلل مدارسها الخاصة وأماكن للعبادة والأديرة، كما أنه كان لايتدخل أحد في ماليتها وكانت تطلق لهم الحرية في تكلم اللغة التي يريدونها (المرجع السابق نفسه، ص٢٨٣).

إن السلطان محمد الفاتح لم يظهر ما أظهره من التسامح مع نصارى القسطنطينية إلا بدافع التزامه الصادق بالإسلام العظيم، وتأسيًا بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ثم بخلفائه الراشدين رضي الله عنهم من بعده، الذين امتلأت صحائف تاريخهم بمواقف التسامح الكريم مع أعدائهم.

(المرجع السابق نفسه، ص٢٨٧).

مستند تاريخي

بعد أن أكرم السلطان **محمد الفاتح** جنود الفتح بالهدايا والعطايا وعمل لهم مأدبة حافلة استمرت ثلاثة أيام أقيمت خلالها الزينات والمهرجانات، وكان السلطان يقوم بخدمة جنوده بنفسه متمثلًا بالقول السائد (سيد القوم خادمهم). ثم نهض ذلك الشيخ العالم الورع **آق شمس الدين** وخطبهم، فقال: ياجنود الاسلام. اعلموا واذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال في شأنكم: **(لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش)**. ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفقنا ويغفر لنا. ألا لاتسرفوا في ما أصبتم من أموال الغنيمة ولاتبذروا، وأنفقوها في البر والخير لأهل هذه المدينة، واسمعوا لسلطانكم وأطيعوه وأحبوه. ثم التفت إلى الفاتح، وقال له : ياسلطاني، لقد أصبحت قرة عين آل عثمان، فكن على الدوام مجاهدًا في سبيل الله. ثم صاح مكبرًا بالله في صوت جهوري .

وقد اهتدى **الشيخ آق شمس الدين** بعد فتح القسطنطينية إلى قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري بموضع قريب من سور القسطنطينية. وكان الشيخ آق شمس الدين أول من ألقى خطبة الجمعة في مسجد آيا صوفيا. (د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص ١٣٠).

نتائج فتح القسطنطينية[١] :

• كان لسقوط القسطنطينية دوي كبير، سواء في الشرق أو في الغرب، كما يُعدُّ أحد أكبر وقائع التاريخ العالمي، وحدًّا فاصلًا بين تاريخ العصور الوسطى وتاريخ العصور الحديثة.

• فقد ازّيّنت القاهرة (المملوكية) وعمَّ الفرح سكانها، وأرسل السلطان المملوكي رسالة إلى السلطان محمد الفاتح يهنئه بالفتح، وكان هذا، في حقيقة الأمر، توطئة للنفوس لتقبُّل الزعامة التركية العثمانية الإسلامية الناشئة، فمنذ سنوات لم تحرز أي دولة إسلامية انتصارًا مدويًا كهذا.

• بعث السلطان الفاتح برسائل الفتح إلى سلطان مصر وشاه إيران وشريف مكة وأمير القرمان، كما بعث برسائل مماثلة إلى الأمراء النصارى، المجاورين له، في المورة و الأفلاق والمجر والبوسنة والصرب وألبانيا، وإلى جميع أطراف مملكته، وتلقّى من بعضهم رسائل تهنئة.

• أما في الغرب، فقد كان تأثيره كبيرًا جدًا على مستقبل أوروبا، بحيث اهتزَّ كل عرش في هذه القارة، وانتاب الملوك والأمراء شعور بالهلع والألم والخزي بعد أن سقط الحصن الذي طالما حمى أوروبا من آسيا أكثر من ألف عام، وتجسَّم لهم خطر المسلمين وتهديدهم، وتوجَّسوا أن يكون انتصار السلطان العثماني بداية لتوغّل العثمانيين في أوروبا، فراحوا يتتبعون خطواته وحركاته بقلق واهتمام بالغين، ونهضوا يستفزون بعضهم بعضًا عن طريق الشعر والأدب والمسرحيات وعقْد الاجتماعات والمؤتمرات، وأدركوا أن القوة والعقيدة الإسلاميتين اللتين أملوا في ردهما إلى داخل آسيا قد شقتا الآن طريقهما على جثة بيزنطية، وعبرتا البلقان إلى أبواب المجر، وإذا ما خضعت هذه البلاد للمسلمين فُتحت أمامهم طريق إيطاليا وألمانيا.

• **رأت البابوية**، التي حلمت بإخضاع جميع النصارى اليونان لحكم روما، بفزع، **سرعة تحول الملايين من سكان جنوبي شرقي أوروبا إلى الإسلام**، وكتب البابا نيقولا الخامس إلى جميع الحكام الأوربيين طالبًا منهم طرح الخلافات وتوحيد الجهود ضد العثمانيين، والعمل على تشكيل حلف صليبي آخر، كما حاول خليفته البابا بيوس الثاني (٨٦٢ – ٨٧٢ هـ/١٤٥٨ – ١٤٦٨ م) تجديد الهمم، لكن النزاعات بين ملوك أوروبا وأمرائها حالت دون تحقيق الهدف.

• شكّل فتح القسطنطينية عامل دعم للممتلكات الجديدة في الدولة العثمانية، وفرض هيبتها على العالمين الإسلامي والأوروبي، إذ إن العمل الإستراتيجي الذي أداه كان بمثابة كسر حاجز تاريخي استعصى على المسلمين كثيرًا، من خلال حصاراتهم المتعددة له منذ العهود الإسلامية الأولى، وبذلك

١- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص ١١١ -١١٤.

تحطّم الجدار الأوروبي الأول جغرافيًا أمام زحف المسلمين باتجاه أوروبا، ما سيكون له انعكاسات إيجابية على الفتوح العثمانية في هذه القارة.

- أضحت طرق التجارة، التي كانت مفتوحة أمام السفن الغربية، في أيدي عثمانية، تفرض عليها الضرائب في وقت السلم وتسدُّها المدافع في وقت الحرب.
- هجر الفن البيزنطي موطنه، وأخذت هجرة العلماء إلى إيطاليا وفرنسا، التي كانت قد بدأت سنة ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٧م، تزداد وتثمر في إيطاليا، ونتج عنها الدعوة إلى إنقاذ اليونان القديمة، وكان ذلك من بواعث النهضة الحديثة في أوروبا.

بشرى فتح القسطنطينية في القاهرة

(... قلت: ولله الحمد والمنة على هذا الفتح العظيم. وجاء القاصد المذكور ومعه أسيران من عظماء أسطنبول، وطلع بهما إلى السلطان (السلطان المملوكي إينال) وهما من أهل قسطنطينية، وهي الكنيسة العظمى بإسطنبول، فسر السلطان والناس قاطبة بهذا الفتح العظيم سرورًا زائدًا، ودقت البشائر لذلك، وزينت القاهرة بسبب ذلك أيامًا.

ثم طلع القاصد المذكور وبين يديه الأسيران المذكوران إلى القلعة في يوم الاثنين خامس عشرين شوال، بعد أن اجتاز القاصد المذكور ورفقته **بشوارع القاهرة**، وقد احتفلت الناس بزينة الحوانيت والأماكن، وأمعنوا في ذلك إلى الغاية، وعمل السلطان الخدمة بالحوش السلطاني من قلعة الجبل. وقد استوعبنا طلوع القاصد المذكور في غير هذا المحل من مصنفاتنا من هذا، وبالجملة **فكان لمجيء هذا القاصد بهذه البشارة الحسنة أمر كبير**، وعين السلطان من يومه الأمير يرشباي الإينالي المؤيدي الأمير آخور الثاني كان بالتوجه إلى ابن عثمان (العثمانيين) صحبة القاصد بالجواب السلطاني؛ وقد كتبنا صورة الكتاب الذي جاء من ابن عثمان على يد القاصد المذكور بفتح مدينة إسطنبول، والجواب الذي أرسله السلطان صحبة يرشباي هذا، كلاهما مثبوت في تاريخنا حوادث الدهور، إذ هو حل ضبط هذه الأمور) أ. هـ.

المصدر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٧١/١٦).

رسالة السلطان محمد الفاتح إلى شريف مكة

وجه السلطان محمد الثاني (الفاتح) رسالة إلى شريف مكة المكرمة بمناسبة **فتح القسطنطينية** بشره فيها بالفتح، وطلب الدعاء، وأرسل له الهدايا من الغنائم، وهذه بعض فقراتها: بعد مقدمة في المدح والثناء على شريف مكة المكرمة

(فقد أرسلنا هذا الكتاب مبشرًا بما رزق الله لنا في هذه السنة من الفتوح التي لا عين رأت ولا أذن سمعت، **وهي تسخير البلدة المشهورة بالقسطنطينية**، فالمأمول من مقر عزكم الشريفة أن يبشر بقدوم هذه المسرة العظمى والموهبة الكبرى، مع سكان الحرمين الشريفين، والعلماء والسادات المهتدين، والزهاد والعباد الصالحين، والمشايخ، والأمجاد الواصلين، والأئمة الخيار المتقين، والصغار والكبار أجمعين، والمتمسكين بأذيال سرادقات بيت الله الحرام، التي كالعروة الوثقى لا انفصام لها والمشرفين بزمزم والمقام، والمعتكفين في قرب جوار رسول الله عليه التحية والسلام، داعين لدوام دولتنا في العرفات، متضرعين من الله نصرتنا، أفاض علينا بركاتهم ورفع درجاتهم، وبعثنا مع المشار اليه هدية لكم خاصة ألفي فلوري من الذهب الخالص التام الوزن والعيار المأخوذ من تلك الغنيمة، وسبعة آلاف فلوري أخرى للفقراء، منها ألفان للسادات والنقباء، وألف للخدام المخصوصين للحرمين، والباقي للمساكين المحتاجين في مكة والمدينة المنورة، زادهما الله شرفاً، فالمرجو منكم التقسيم بينهم بمقتضى احتياجهم وفقرهم، وإشعار كيفية السير إلينا، وتحصيل الدعاء منهم لنا، دائمًا اللطف والإحسان إن شاء الله تعالى، والله يحفظكم ويبقيكم بالسعادة الأبدية والسيادة السرمدية إلى يوم الدين).



الدولة العثمانية، الدكتور جمال عبدالهادي، ص٤٧.

رسالة شريف مكة إلى السلطان محمد الفاتح

وجه شريف مكة رسالته إلى السلطان محمد الثاني (الفاتح) ردًا على رسالته السابقة جاء فيها:

(وفتحناها بكمال الأدب، وقرأناها مقابل **الكعبة المعظمة** بين أهل الحجاز وأبناء العرب، فرأينا فيها من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، وشاهدنا من فحاويها ظهور معجزة رسول الله خاتم النبيين، وماهي إلا فتح " **القسطنطينية** " العظمى وتوابعها التي متانة حصنها مشهورة بين الأنام، وحصانة سورها معروفة عند الخواص والعوام، وحمدنا الله بتيسير ذلك الأمر العسير، وتحصيل ذلك المهم الخطير، وبششنا ذلك غاية البشاشة، وابتهجنا من إحياء مراسم آبائكم العظام، والسلوك مسالك أجدادكم الكرام، روّح الله أرواحهم، وجعل أعلى غرف الجنان مكانهم، في إظهار المحبة لسكان الأراضي المقدسة).



الدولة العثمانية، الدكتور جمال عبدالهادي، ص٤٨.

بعد إتمام الفاتح لترتيباته، قام ببناء ما هُدِّم من أسوار القسطنطينية وتحصينها، وأمر السلطان ببناء مسجد بالقرب من قبر أبي أيوب الأنصاري[1]، جرت العادة فيما بعد أن يتقلد كل سلطان جديد سيف عثمان الغازي الأول في هذا المسجد، ثم سافر بجنوده لفتح بلاد جديدة، فقصد بلاد موره، لكن لم ينتظر أميراها "دمتريوس" و"توماس"، أخوا قسطنطين، قدومه، بل أرسلا إليه يُخبرانه بقبولهما دفع جزية سنوية قدرها اثنا عشر ألف دوكا. فقبل السلطان ذلك، وغيّر وجهته قاصدًا بلاد الصرب، فأتى "هونياد" الشجاع المجري، الملقب "بالفارس الأبيض"، وردّ عن الصرب مقدمة الجيوش العثمانية، إلا أن الصرب لم يرغبوا في مساعدة المجر لهم لاختلاف مذهبهم، حيث كان **المجر كاثوليكيين** تابعين لبابا روما، **والصرب أرثوذكسيين** لا يذعنون لسلطة البابا بل كانوا يفضلون تسلط المسلمين عليهم لما رأوه من عدم تعرضهم للدين مطلقًا. ولذلك أبرم أمير الصرب الصلح مع السلطان محمد الثاني على أن يدفع له سنويًا ثمانين ألف دوكا، وذلك في سنة ١٤٥٤م.

هو **أبو أيوب الأنصاري** (خالد بن زيد بن كليب)، أبو أيوب الأنصاري الخزرجي، شهد بدرًا والعقبة والمشاهد كلها، وشهد مع علي رضيَ الله عنه قتال الخوارج، وفي داره كان نزول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، حين قدم المدينة مهاجرًا من مكة فأقام عنده شهرًا حتى بنى المسجد ومساكنه حوله، ثم تحوّل إليها، وكانت وفاته ببلاد الروم قريبًا من سور القسطنطينية، وكان في جيش يزيد بن معاوية وإليه أوصى وهو الذي صلى عليه. وقد جاء في رواية: أغزى أبو أيوب فمرض، فقال: إذا متُّ فاحملوني، فإذا صافقتم العدوّ، فارموني تحت أقدامكم، أما إني سأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلّم، يقول: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. ودفن أبو أيوب عند سور القسطنطينية، وقالت الروم لمن دفنه: يا معشر العرب قد كان لكم الليلة شأن، قالوا: مات رجل من أكابر أصحاب نبينا، والله لئن نُبش لاضُرِبَ بناقوس في بلاد العرب.

وبعد مجيء الدولة العثمانية وفتح القسطنطينية أصبحت مكانة أبي أيوب الأنصاري عظيمة في الثقافة العثمانية، فقد درج السلاطين العثمانيون يوم يتربعون على الملك أن يقيموا حفلًا دينيًا في مسجد أبي أيوب، حيث يتقلدون سيفًا للرمز إلى السلطة التي أفضت إليهم، وكان لأبي أيوب رضي الله عنه عند الترك خواصهم وعوامهم رتبة ولي الله الذي تهوي إليه القلوب المؤمنة وينظرون إليه كونه مضيف رسول الله، فقد أكرمه وأعانه وقت العسرة كما أنه له مكانة مرموقة بين المجاهدين، واعتبروها ضيافته لرسول الله وجهاده في سبيل الله أعظم مناقبه وأظهر مآثره.

بيت الصلاة في جامع الصحابي أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- على ساحل خليج القرن الذهبي المتفرع عن مضيق البوسفور

جامع أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- في أستنبول ويعرف بالتركية:(Eyüp Sultan Camii) مسجد عثماني قديم موجود في منطقة أيوب في الجانب الأوروبي من المدينة، بالقرب من منطقة القرن الذهبي، خارج أسوار القسطنطينية، بني سنة ١٤٥٨م، **وهو أول مسجد بناه العثمانيون في أستنبول بعد فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م.**



واجهة جامع أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه

يقع جامع أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- بالقرب من قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، الذي دفن هناك عند محاولة المسلمين فتح القسطنطينية في عهد معاوية بن أبي سفيان، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك. حتى منَّ الله -سبحانه- على السلطان العثماني محمد الفاتح بفتحها.



معاودة فتح بلاد الصرب[1]

لم يكن سقوط القسطنطينية، في نظر السلطان محمد الفاتح، **بمثابة النهاية، بل إنه كان البداية**، لما ما بعدها، إذ إنه وجَّه اهتمامه إلى تعزيز سلطته في منطقة الدانوب ليواجه المجر التي أثبتت، خلال العهد السابق، أنها العقبة الرئيسة أمام التوسع العثماني في أوروبا.

فنتيجة لسقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين، **سارع بعض أمراء الصرب، مثل برانكوفيتش، إلى إعلان الخضوع للسلطان العثماني، وتعهَّد بدفع مبلغ ثمانين ألف دوكا سنويًا**، وإن كان مستعدًا لأن ينقض هذه التبعية إذا ما وجد مشجعًا له على ذلك.

وكان **إسكندر بك في البانيا** على المستوى نفسه في التفكير. **أما أمراء الأفلاق والبغدان، فقد قبلوا السيادة العثمانية غير مباشرة نكاية في خصمهم التقليدي، المجر**، نظرًا لاختلاف المذهب الديني، وبسبب ما رأوه من عدم تعرُّض العثمانيين للدين مطلقًا.

وقَبِل **شقيقا الإمبراطور البيزنطي، وهما ديمتريوس وتوماس، اللذان كانا يحكمان المورة**، أن يكونا تابعين للسلطان لقاء دفع الجزية، كما فضّل حُكام خيوس ولسبوس، وكانوا جنويين، دفع جزية سنوية.

وتابع السلطان سياسته السلمية، فعقد **معاهدة مع البندقية** في ربيع الآخر ٨٥٨ هـ/ نيسان ١٤٥٤م، حافظت بموجبها هذه الدولة التجارية على امتيازات، بعد أن اعتذرت للسلطان عن موقف مواطنيها في مساعدة البيزنطيين، **وعرضت دفع جزية سنوية**، بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف دوكا، كما اعترفت باختصاص المحاكم الشرعية للحكم في الخصومات التي تنشأ بين المسلمين والبنادقة في الأراضي العثمانية.

وعقد السلطان الفاتح اتفاقيات سلمية مع جزر الأرخبيل، مثل تاكسوس وأمبروس. وهكذا كانت **سياسة السلطان محمد الفاتح في البلقان، التي وقعت تحت السيطرة العثمانية**، تنم عن بُعد نظر ورغبة في جعل هذه البلاد أرضًا مسالمة لا خاضعة فقط، ومنع أي دولة أجنبية من أن تمد نفوذها جنوبي الدانوب، **وجعلت هذه السياسة شعوب البلقان النصرانية متعلقة بالسلام العثماني**، إلا أن هذا السلام كان مفروضًا أن يمنع قوى البلقان من أن تصبح شوكة في جنب الدولة العثمانية، لذلك كانت سيادة العثمانيين على هذه الشعوب مزعزعة، تقوى حينًا وتضعف أحيانًا، فكان على السلطان أن يوطِّد أقدام العثمانيين في البلاد المذكورة.

---

١ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ١١٤ - ١١٦ .



خريطة شرقي أوروبا السياسية ليسهل على القارئ مطابقتها مع الأسماء التاريخية

فالصرب كانت تقع بين ممتلكات العثمانيين، ودولة المجر القوية تحت زعامة هونيادي، وكانت بعض أجزاء منها تقع تحت السيطرة العثمانية وبعض أجزاء أخرى تحت سيطرة المجر. ونظرًا لموقع هذه البلاد الجغرافي، بوصفها بوابة العبور إلى المجر، أصرَّ السلطان على أن تكون له وحده هذه السيادة على الصرب، يضاف إلى ذلك أن سياسة برانكوفيتش اتسمت بالتذبذب، فكان يظهر صداقة العثمانيين ويبطن عداوتهم، ولم يتوانَ عن التعاون مع هونيادي ضد العثمانيين عندما دعاه هذا الأخير إلى ذلك، كما أن الحاجات المالية للدولة كانت في تزايد مستمر ما دفع الفاتح إلى الرغبة في استعادة إقليم نوفوبرده الغني بالمناجم، والواقع تحت سيطرة برانكوفيتش، فمن أجل ذلك، ولتفادي هذا الخطر، **بادر السلطان إلى غزو بلاد الصرب قبل أن تتخذها القوات المتحالفة مركزًا للهجوم على الأراضي العثمانية.**

والتجأ برانكوفيتش إلى هونيادي، وتعاونا، في مقاومة ناجحة في بادئ الأمر، ضد الجيوش العثمانية، غير أنه وجد نفسه أضعف من أن يقاوم العثمانيين فآثر الاستسلام، **وقَبِل أن يدفع جزية سنوية، قدرها ثلاثون ألف دوكا.**

وتوغَّل السلطان في **بلاد الصرب يفتح المدن والقلاع**، ففتح مدينة نوفوبرده الغنية وقلاعًا عديدة، **ولم يبقَ أمامه سوى بلغراد الحصينة**، فاضطر إلى الانسحاب، وعاد إلى **أدرنة**، والجدير بالذكر، هنا، أن السلطان جُرح في هذه المعركة، كما جُرح هونيادي، من جراء القصف، بجرح بالغ أدى إلى وفاته، فيما بعد.

وساعدت الظروف السلطان العثماني بوفاة كل من هونيادي، في ٩ رمضان ٨٦٠ هـ/١١ آب ١٤٥٦م، وبرانكوفيتش في ٦ محرم ٨٦٢ هـ/٢٤ كانون الأول ١٤٥٧م **حيث دبَّت الفوضى في حكومة بلغراد بسبب تنازع ورثة برانكوفيتش فيما بينهم**، الأمر الذي مكَّن السلطان من **تجهيز حملة أخرى**، بقيادة الصدر الأعظم محمود باشا، وأرسلها إلى بلاد الصرب لاستكمال فتحها.

وفعلاً أنجز الصدر الأعظم العمل في مدة سنتين (٨٦٢ – ٨٦٤ هـ/١٤٥٨ – ١٤٦٠م)، وتمكَّن من وضع يده على بلاد الصرب بإستثناء **مدينة بلغراد**، وأعاد فتح مدينة **سمندرية**، وأسَّس لواء فيها، **وبذلك أضحت الصرب ولاية عثمانية.**



أعطى السلاطين العثمانيون السابقون الاستقلال لإمارة الصرب في مقابل جزية تدفع كل عام، ولكن كثيرًا ما كان الصرب يستغلون أي ظروف سيئة تمر بها الدولة العثمانية، ويمتنعون عن دفع الجزية، **فأراد السلطان محمد الفاتح** أن يعزز سيطرة الدولة العثمانية على بلاد الصرب، فسار إليها ودخلها سنة ٨٥٨ هـ/ ١٤٥٤م، **ولكنه لم يتمكن من فتح عاصمتها بلغراد**، وذلك لأن ملك المجر هونيادي استمات في الدفاع عنها، ولكن بهذا الفتح فقدت الصرب استقلالها وتحولت إلى ولاية عثمانية، ولم يبق خارج سيطرة العثمانيين إلا **بلغراد** التي تركها العثمانيون، ونجحوا في إصابة ملك المجر الذي مات متأثرًا بجراحه بعد مغادرة العثمانيين بعشرين يومًا.

فتح بلاد المورة[1]

كانت **بلاد المورة (جنوبي اليونان)** مقسّمة بين **الأميرين البيزنطيين الأخوين توماس وديمتريوس**، فأقام الأول في بتراس في حين سكن الثاني في أسبرطة. لم يكن الأخوان على وفاق فيما بينهما ما أدى إلى تدخل الألبانيين في شؤونهما الداخلية، بالإضافة إلى أنهما نزعا إلى الظلم والاستبداد وتأخّرا في دفع الجزية المفروضة عليهما سنوات عدة.

لم يكن بوسع السلطان (محمد الفاتح) السكوت عن **التدخُّل الألباني في المورة**، كما لم يرضَ عن تزايد الفوضى وظلم السكان، فكان لا بدَّ من التدخل السريع لوضع حدّ لكل ما يحصل.

وفعلًا، قاد السلطان حملة عسكرية في سنة ٨٦٢ هـ/ ١٤٥٨م، لفتح بلاد المورة، ودخلها من مضيق كورنثوس، وأجبر الألبانيين على الخروج من البلاد، **وفرض على الأخوين البيزنطيين جزية سنوية قدرها خمسة آلاف قطعة ذهبية، كما فتح مدنًا عدة، وضمَّ جميع الجانب الشرقي من المورة إلى الدولة العثمانية.**

ويبدو أن توماس خضع للعثمانيين على كره منه، ولبث يترقب الفرصة لإعلان تمرُّده، وفعلًا استغل هذا الحاكم انهماك السلطان بقمع الاضطرابات التي **حدثت في آسيا الصغرى وانشغاله في صربيا**، فهاجم أخاه ديمتريوس والحاميات العثمانية في المورة، واستولى على مدن عدة، واستنجد هذا الأخير بالسلطان الذي عاد إلى المورة ودخلها، فهرب توماس إلى **إيطاليا**. ومنعًا لتجدد أعمال التمرد على الحكم العثماني، وضع السلطان الإقليم تحت السيطرة المباشرة للحكم العثماني، ونفى ديمتريوس إلى إحدى جزر الأرخبيل وفتح خلال حملته هذه **مدينة أثينا في سنة ٨٦٤ هـ/ ١٤٦٠م** على أثر حصول نزاع عائلي بين حكّامها، كما ضمّ، بعد ذلك في سنة ٨٦٨ هـ/ ١٤٦٤م، جزر الأرخبيل مثل تاسوس وأنبروس، حتى **أضحت بلاد اليونان تحت السيطرة العثمانية** المباشرة باستثناء بعض المواقع والقلاع المتفرقة على الشواطئ، مثل كورون ومودون وأرغوس وليبانت التي كان أغلبها للبنادقة.

بناء على رحلة الرحالة التركي المشهور (أوليا جلبي) لليونان في أواخر القرن السابع عشر الميلادي والسالنامات (التقارير السنوية) العثمانية، فقد كان في اليونان ٣٦١ مسجدًا جامعًا و٤٩٩ مسجدًا صغيرًا و١٠٠ مدرسة للكبار، و ١١٥ مدرسة للصغار (تعليم ابتدائي)، و٤٥ عمارات (دار إطعام الفقراء مجانًا) و٦٩ ضريحًا (للشخصيات الاعتبارية والدينية) و٩٣ حمامًا. م. أحمد أمين - مدرس مساعد في كلية الآثار في الفيوم وطالب دكتوراه في الآثار العثمانية في اليونان. نقلًا عن شادي الأيوبي: مراسل قناة الجزيرة في (أثينا).

١ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ١١٦ - ١١٧.



أصـدرت وزارة الثقافـة اليونانيـة مؤخـرًا دليـلًا عن **الآثار العثمانية التـي تم ترميمها في اليونـان**، ليكون بذلك أول دليل يونـانـي رسمي عن هذا الموضـوع، ومـول الاتحاد الأوروبي هذا المشروع، وتعود الآثار المشمولة فيه بالتوثيق إلى نحو ٥٠٠ عـام، وتتوزع جغرافيًا على جميع أنحاء اليونان. ويقع الدليل في٤٩٥ صفحة من القطع الكبير وشمل ١٩١ أثرًا من الآثار العثمانية التي تم ترميمها في اليونان بتمويل من الاتحاد الأوروبي، ومنها مساجد ومدارس وقصور وقلاع وحمامات ومبان إدارية ومعسكرات وشبكات مياه ري وجسور وأسواق تجارية ومدافن ومؤسسات خيرية وأبراج وغيرها. وتقول المسؤولة الأكاديمية عن الدليـل إيوانـا ماكـري: إن الفكـرة بدأت منـذ سنوات عديـدة، ثم جاء التطبيـق مع التمويـل الأوروبي للبرامـج الثقافية، وتضيـف أنه اشـترك في الدليل اختصاصيـون وخـبراء وأكاديميون من وزارة الثقافة ومن جامعة كريت التي تحوي قسمًا للدراسات عـن الآثار البيزنطية والعثمانية. وأشارت ماكري إلى أن الكتاب هدف إلى إظهار تلك الآثار وإبراز عمليات الصيانة التي جرت، وقد تم استعمال الكثير منها كمتاحف وغيرها، موضحة أنها المرة الأولى التي يستطيع فيها القارئ مشاهدة كل تلك الآثار مجتمعة في دليل واحد، وهو يساعد المختصين وغيرهم على الاطلاع عليها... . شادي الأيوبي: مراسل قناة الجزيرة في (أثينا).

فتح بلاد الأفلاق والبغدان[1]

تقع هاتان **الإمارتان الرومانيتان (الأفلاق والبغدان)** شمالي نهر الدانوب، وتحيط بهما ثلاث دول كبرى تتنازع السيادة عليهما: بولندا والمجر والدولة العثمانية، فكانتا، بحكم موقعهما الجغرافي، تحالفان هذه الدولة تارة، وتلك تارة أخرى، وفقًا لمصلحتهما، لذلك اتسمت سياستهما بالتذبذب.

وكان حاكم الأفلاق **داركول** قد عقد، في سنة ٨٦٤ هـ/١٤٦٧م، معاهدة مع السلطان محمد الفاتح تعهد بموجبها بأن يدفع جزية سنوية قدرها عشرة آلاف دوكا مقابل احتفاظ الإمارة بإدارتها الداخلية، وحماية عثمانية ضد أي عدوان خارجي.

وبموازاة ذلك كان يسعى للتحالف مع ملك المجر ماتياس كورفن ضد العثمانيين، وبالفعل تم له ما أراد، حيث أغار على الأراضي العثمانية في بلغاريا وأحرق المدن والقرى.

وقام السلطان ليضع حدًا لتعدياته، فسار إليه على رأس جيش يقدر بمئة وخمسين ألف جندي، ودخل الإمارة ووضع يده عليها، وهرب داركول والتجأ إلى ملك المجر، فعزله السلطان وولّى مكانه أخاه راؤول، الذي تربّى في البلاط العثماني، وكان ذلك في سنة ٨٦٦ هـ/ ١٤٦٢م. **وبذلك فُتحت بلاد الأفلاق وأضحت تحت السيطرة المباشرة للدولة العثمانية.**

أما البغدان فكان يتولى إدارتها أسفطان الأكبر، الذي استغلّ انهماك الفاتح بالحروب المتواصلة في آسيا الصغرى وبلاد اليونان، فقرر التخلص من التبعية العثمانية، وهاجم إمارة الأفلاق، لذلك قرر السلطان قتاله وإعادة إخضاعه، إلّا أنه كان يتغلب في كل مرة على الجيوش العثمانية، ولم يتمكّن العثمانيون من إخضاع هذه الإمارة إلا في سنة ٩٦١هـ/١٥٥٤م.

الأفلاق (بالتركية: Eflak) أو فالاشيا (بالرومانية: Valachia) هي منطقة جغرافية وتاريخية في رومانيا، تقع في الشمال من نهر الدانوب وفي الجنوب من سلسلة جبال الكارابات، اطلق على المنطقة اسم الأفلاق في العهد العثماني.

البغدان: وهي جمهورية مولدافيا حاليًا وأحيانًا مولدوفا وهي دولة أوروبية ذات نظام جمهوري، تقع شرقي أوروبا بين أوكرانيا ورومانيا. معظم أهالي مولدافيا رومانيون ويطالبون بالانضمام إلى رومانيا، ما عدا شريط ترانسنيستريا الواقع شرقي نهر دنيستر الذي يحكمه عسكر روس ويطالبون بالانضمام إلى روسيا. وهي عضو في منظمة غوام للتطوير الديمقراطي والاقتصادي.

---

١ – د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ١١٧ – ١١٨.



وصل للسلطان **محمد الفاتح** تعدي **أمير الأفلاق** على بعض التجار العثمانيين النازلين ببلاده، فجهز السلطان محمد الفاتح جيشًا لمحاربته، فطلب الأمير الصلح مقابل جزية سنوية قدرها ١٠,٠٠٠ درهم ولكن اتضح أن أمير الأفلاق لم يطلب ذلك **إلا ليتحد مع أمير المجر لمحاربة العثمانيين**، فبعث إليه السلطان برسولين ليستفسرا عن ذلك، فقتل الرسولين.

ولم يكتف بذلك بل **أغار على بلاد البلغار التابعة للدولة العثمانية**، فأعمل فيها القتل والسلب وعاد إلى بلاده ومعه ٢٥,٠٠٠ أسير، فأرسل له السلطان يدعوه إلى إعادة الأسرى والطاعة للدولة العثمانية، فأمر الرسل برفع عمائمهم لتعظيمه، فأبى رسل السلطان فأمر الأمير بتثبيت العمائم على رءوسهم بمسامير من حديد، وعلم السلطان بما حدث فجمع ١٥٠,٠٠٠ مقاتل وسار قاصدًا بلاد الأفلاق، فهزم أميرها الذي فر إلى بلاد المجر بعد أن مثل بالأسرى المسلمين شر تمثيل، وامتلأت ضواحي بُخارست عاصمة الأفلاق بجثثهم، وبذلك **أصبحت الأفلاق ولاية عثمانية**. د. راغب السرجاني، موقع قصة الإسلام.

فتح بلاد البوسنة والهرسك [١]

بعد **فتح العثمانيين لبلاد الصرب**، أضحوا يجاورون البوسنة التي اشتهرت بقلاعها الكثيرة وجبالها المنيعة، وكان أمير هذه البلاد أسفطان توماسيفيتش أشد خطرًا على الدولة العثمانية من أي أمير صربي آخر، لأنه كان حليفًا للبابا والبندقية والمجر، ويسعى إلى تأليب هؤلاء على العثمانيين، **لذلك تطلّع السلطان إلى فتح هذه البلاد منعًا لقيام تحالف أوروبي ضده، فبعث إلى أميرها يطلب منه الخضوع للدولة العثمانية، والاعتراف بسيادتها، ودفع الجزية لها، إلاّ أن أسفطان رفض طلب السلطان ما دفع هذا الأخير إلى الزحف باتجاه هذا البلد.**

واستنجد أسفطان بملك المجر والبابا بيوس الثاني، **وبيّن لهما أنه لو تمّ للعثمانيين السيطرة على البوسنة فإنهم سينقضّون بعد ذلك على إيطاليا وروما، إلاّ أنه لم ينل إلاّ الوعود.**

وفي أواسط ٨٦٧ هـ/أوائل ربيع ١٤٦٣م، بعث السلطان رسولاً آخر إلى أسفطان يُخيّره بين الاستسلام أو القتال، فكان جوابه الرفض أيضًا، عندئذ **زحف الفاتح** باتجاه بلاد البوسنة واستولى على مدنها وقلاعها وأجبر أسفطان على الاستسلام، ولم يكد ينتصف شهر حزيران حتى أضحت البوسنة كلها ولاية من ولايات الدولة العثمانية.

وتوجّه السلطان بعد ذلك إلى **الهرسك**، فقد كان هذا البلد يشكل ضرورة سياسية وعسكرية نظرًا لمناعة حصونه وموقعه الجغرافي المشرف على بحر الأدرياتيكي.

وعهد الفاتح بهذه المهمة إلى وزيره محمود باشا الذي تمكّن من فتحه، وقسّمه السلطان إلى قسمين، فأدمج القسم الأكثر أهمية

جمهورية البوسنة والهرسك (بالبوسنية، الكرواتية والصربية اللاتينية: Bosna i Hercegovina؛ الصربية السريلية: Босна и Херцеговина) هي دولة تقع في البلقان بجنوب شرقي أوروبا، إحدى جمهوريات يوغوسلافيا السابقة. تقع في جنوبي أوروبا. يحدها من الشمال والغرب والجنوب كرواتيا، من الشرق صربيا ومن الجنوب الغربي جمهورية الجبل الأسود، وهي تكاد تكون دولة مقفلة لا ساحل لها على البحر فيما عدا شريط ساحلي طوله ٢٦ كم على البحر الأدرياتيكي تقع في منتصفه مدينة نيوم الساحلية. تقع الجبال في الوسط والجنوب، والتلال في الشمال الغربي، أما شمال غربي البلاد فهي مستوية. وتعد البوسنة إحدى المناطق الجغرافية الضخمة التي لها مناخ قاري معتدل، حيث تكون حارة صيفًا وباردة مع هطول الثلوج شتاءً. تقع مقاطعة الهرسك الصغرى إلى الجنوب من الجمهورية، وهي ذات طبيعة جغرافية ومناخ متوسطي.

تعد البوسنة موطنًا لثلاث "عرقيات أساسية": **البوشناق** وهم أكبر المجموعات العرقية الثلاث، يليها **الصرب** ثم **الكروات**. بغض النظر عن العرقية فإن مواطني تلك الجمهورية يسمون باسم البوسنيين. والفارق ما بين البوسنيين والهرسكيين هو فارق جغرافي وليس فارقًا عرقيًا. ثم إن البلد ليست له مركزية سياسية، فهو يضم كيانين يحكمانه هما: اتحاد البوسنة والهرسك والجمهورية الصربية، بالإضافة إلى مقاطعة بريتشكو بوصفها كيانًا ثالثًا.

١ – د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ١١٨ – ١١٩.



كانت **البوسنة** في الماضي منضوية في اتحاد يضم ست مقاطعات مكونة **جمهورية يوغسلافيا الاشتراكية الاتحادية**، وخلال الحرب اليوغوسلافية في التسعينيات من القرن الماضي **نالت البوسنة والهرسك استقلالها**. ويوصف كيانها بأنه جمهورية اتحادية ديموقراطية حيث انتقل اقتصادها إلى نظام السوق الحر، وهي مرشح محتمل لدخول عضوية الاتحاد الأوروبي والناتو. علاوة على أنها عضو في المجلس الأوروبي منذ ٢٤ أبريل ٢٠٠٢م، وعضو مؤسس للاتحاد المتوسطي بتاريخ التأسيس في ١٣ يوليو ٢٠٠٨م.

البوسنة في العصور الوسطى (٩٥٨هـ-١٤٦٣م)

تتضارب المعلومات الحديثة مع ندرتها عن الحالة السياسية في غربي البلقان خلال بداية العصور الوسطى. فعند وصول السلاف إلى تلك المناطق جالبين معهم نظامهم الاجتماعي القبلي الذي انهار أمام النظام الإقطاعي مع تغلغل الفرنجة في تلك المنطقة أواخر القرن التاسع الميلادي. وخلال تلك الحقبة كان التنصير في مناطق السلاف الجنوبيين يجري على قدم وساق. لذا فالبوسنة، بحكم موقعها الجغرافي والتضاريسي، كانت من أواخر المناطق التي اعتنقت النصرانية، مع أنها نشأت من المراكز الحضرية على طول الساحل الدلماشي. وقد توزعت السيطرة على البوسنة خلال القرنين التاسع والعاشر ما بين **إمارتي صربيا وكرواتيا**، لكن الظروف السياسية في أواسط العصور الوسطى التي أدت إلى المنافسة على استحواذ المنطقة ما بين مملكة المجر والإمبراطورية البيزنطية. فبعد تبدل القوى في القرن الثاني عشر الميلادي وجدت البوسنة نفسها أنها خارج من أي سيطرة فبرزت كدولة مستقلة باسم إمارة محلية أو (بان). أول ملك بوسني هو بان كولين، الذي حكمها لمدة ثلاثة عقود ساد خلالها السلام والاستقرار في البلاد، وعزز اقتصاد البلاد عن طريق المعاهدات مع البندقية وراجوزا. حكمه يمثل بداية لمشكلة الكنيسة البوسنية، فقد تم اتهام الطائفة النصرانية من الأهالي الأصليين بالهرطقة من كل من الكنيسة الرومانية والكنيسة الصربية. وردًا للمحاولات الهنغارية في استخدام السياسة الكنسية في تلك القضية كمحاولة لاستعادة سيطرتها على البوسنة، فقد عقد كولين مجلسًا لقادة الكنائس المحليين ليتخلى عما أسماه بالبدع واعتناق الكاثوليكية سنة ١٢٠٣م. وعلى الرغم من هذا فلا تزال الطموحات الهنغارية (المجرية) على البوسنة قوية حتى بعد وفاة كولين سنة ١٢٠٤م بمدة طويلة، لكنها توقفت بعد محاولة فاشلة لاحتلالها سنة ١٢٥٤م.

وبعد ذلك اتسم تاريخ البوسنة وحتى أوائل القرن الرابع عشر الميلادي بالصراع على السلطة بين عائلتين ملكيتين. وقد انتهى ذلك النزاع عندما أصبح ستيفن الثاني بان (ملك) للبوسنة سنة ١٣٢٢م، وقد استولى على أراض كثيرة ولم يمت حتى كانت البوسنة قد تمددت وأخذت مناطق من دلماشيا شمالي البوسنة وغربها. وقد تبعه بالحكم ابن أخيه تفيرتكو الأول الذي لم يستطع أن يسيطر على كامل البلاد سنة ١٣٦٧م إلا بعد صراع طويل داخل الأسرة المالكة ومع الأمراء والنبلاء، وقد نصب نفسه باسم الملك ستيفن تفرتكو الأول ملك راسكا والبوسنة ودلماشيا وكرواتيا وساحل

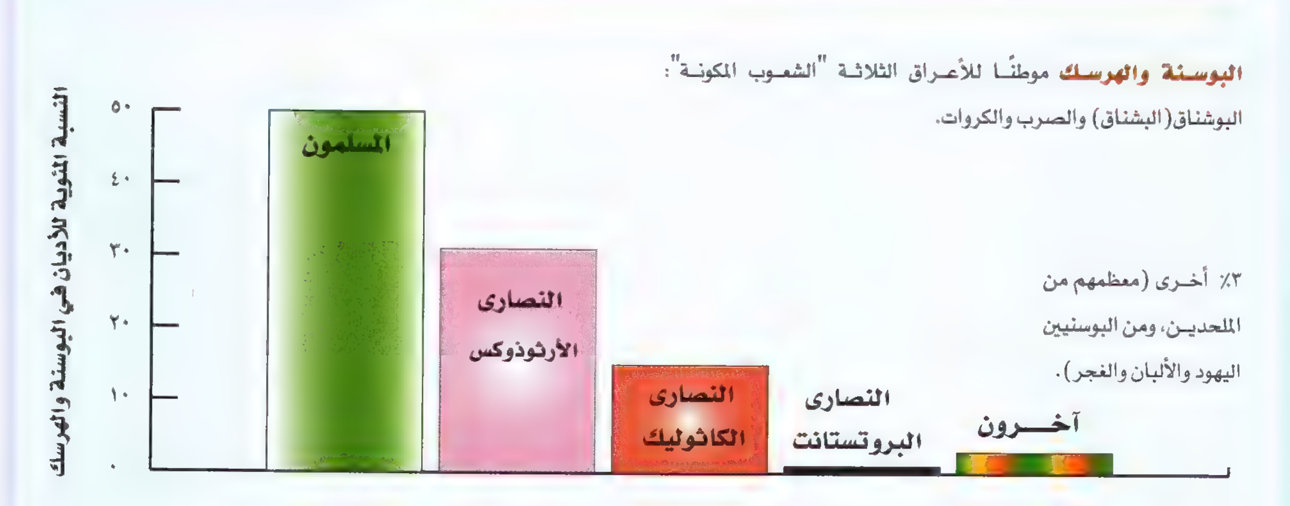
البحر. وبعد وفاة تفيرتكو الأول سنة ١٣٩١م تراجعت البوسنة وبدأ الضعف يدب بها، وفي المقابل بدأت الدولة العثمانية بالصعود واستولت على أراض في أوروبا وإن كانت تمثل تهديدا خطيرا على البلقان بداية من النصف الأول للقرن الخامس عشر. حتى تم الاستيلاء على البوسنة في ١٤٦٣م وتبعتها الهرسك في ١٤٨٢م.

البوسنة في مدة الحكم العثماني

اتسمت **الفتوحات العثمانية للبوسنة والهرسك** بظهور عهد جديد في تاريخ تلك الدولة وحدوث تغييرات جذرية في الوضع السياسي والمشهد الثقافي في المنطقة. مع أن العثمانيين أنهوا تلك المملكة وقضوا على الكثير من الأمراء، إلا أنهم سمحوا للبوسنة بالحفاظ على هويتها عن طريق إدراجها كمقاطعة لا تتجزأ من الإمبراطورية العثمانية مع البقاء على اسمها التاريخي وسلامة أراضيها - وهي حالة فريدة من بين دول البلقان التي خضعت لهم-. تمكن العثمانيون من إدخال عدد من التغييرات في الإدارة الاجتماعية والسياسية في سنجق (لاحقًا سميت ولاية) البوسنة؛ من ضمنها نظام تملك الأراضي الجديدة، وإعادة تنظيم الوحدات الإدارية، وأدخلوا أيضًا نظامًا معقدًا من التمايز الاجتماعي حسب الانتماء الطبقي والديني. وكان تأثير القرون الأربع من حكم العثمانيين بالغ الأثر على تركيبة سكان البوسنة، والتي تغيرت مرات عدة نتيجة للفتوحات الجديدة للدولة العثمانية وحروبها المتكررة مع قوى أوروبية والهجرات والأوبئة. **فالطائفة المسلمة ذات الأصول السلافية** أضحت بالنهاية من أكبر الطوائف العرقية والدينية، وذلك نتيجة للارتفاع التدريجي في عدد الذين أسلموا.

وخلال أواخر القرن الخامس عشر الميلادي أتت أعداد كبيرة من اليهود السفارد بعد طردهم من إسبانيا. كما شهدت الطوائف النصرانية البوسنية تغييرات كبيرة. فالبوسنيون الفرانسيسكان (السكان الكاثوليك بشكل عام) كانوا تحت حماية فرمان رسمي من الباب العالي. وطائفة الأرثوذكس في البوسنة - وكانت متقوقعة في الهرسك ودرينا - فقد انتشروا في جميع أنحاء البلاد خلال تلك الحقبة وشهدوا بعض الازدهار حتى القرن التاسع عشر الميلادي. وفي تلك المدة اختفت الكنيسة البوسنية المنشقة تمامًا. عندما نمت الدولة العثمانية وتوسعت داخل أوروبا الوسطى، خفف ذلك من الضغط على البوسنة كولاية حدودية، وشهدت نموًا وازدهارًا لأوقات طويلة. وظهرت فيها مدن جديدة كسراييفو وموستار التي أضحت من كبريات المراكز التجارية والحضرية في المنطقة. وقد شيد العديد من السلاطين والحكام المحليين الكثير من الأبنية المهمة من العمارة البوسنية داخل تلك المدن (مثل: جسر ستاري موست ومسجد غازي خسرو بي). بالإضافة إلى أن العديد من البوسنيين لعبوا أدوارًا

مؤثرة فـي الثقافة العثمانية وتاريخها السياسي خلال تلك الحقبـة. فالجنود البوسنيون شكلوا جزءًا كبيـرًا فـي التشكيـلات العسكرية العثمانيـة في **معركتي موهـاج وكرباڤا**، وكان لهمـا فيها نصر عسكـري مـؤزر، في حين أن العديد منهم ارتقوا في المراتـب العسكرية ونالوا مناصب عليا في الدولة العثمانيـة كقواد الأساطيل وأمـراء جيوش ووزراء. والكثير منهم كان لهم تأثير على الثقافة العثمانية، كالصوفيـة والعلمـاء والشعـراء بلغـات تركية وعربيـة وفارسية. لكن مـع أواخر القـرن السابع عشر الميـلادي بدأت المشـكلات تحاصر الجيوش العثمانيـة، وظهرت نتائج الحـروب العثمانية الكبرى في **معاهـدة كارلوفيتز سـنة ١٦٩٩م** التي قلصت الحدود العثمانية وصـار سنجق البوسنة مقاطعة على الحدود الغربية للدولة. ثم شهدت المئة سنة التالية المزيد من الهزائم العسكرية، وتفشي الطاعون وانـدلاع الثورات داخل البوسنة. فمحاولات الباب العـالي لتحديث الدولة وتطويرها قوبل بعداء شديد فـي البوسنة، حيـث وقفت الأسر الاستقراطية فـي المنطقة حائلًا دون حـدوث الإصلاحات المقترحة خوفـًا من فقدان امتيازاتهم. وقـد تراكمت هذه مع خيبة الأمل من التنـازلات السياسية التي أعطيت للدويلات النصرانية الناشئة في شرقي البلاد، وتوجت بالتمرد الشهير (وإن فشل في نهاية المطاف) الـذي قـاده حسين كراداسفيتش سنة ١٨٣١م. ولم تمضِ سنة ١٨٥٠م حتى تم إخمـاد باقي الثورات الأخـرى، ولكـن الوضـع استمر فـي التدهـور. فاندلعـت اضطرابـات المزارعـين التي أشعلـت ثورة الهرسكيـين، وهي انتفاضة واسعة النطاق للفلاحين سنة ١٨٧٥م. وسرعان ماتطور هذا النزاع لتدخل بـه العديد من دول البلقان والقوى العظمى، مما أجبر العثمانيين في نهاية المطاف بالتنازل عن إدارة البلد إلى الحكومة النمساوية المجرية عن طريق معاهدة برلين سنة ١٨٧٨م . موسوعة ويكيبديا.



توزيع نسب العقائد الدينية في بلاد البوسنة والهرسك بعد الاستقلال



لمحات عن جغرافية البوسنة والهرسك

تقع **البوسنة** في غربي البلقان، على الحدود مع كرواتيا إلى الشمال والجنوب الغربي، وصربيا إلى الشرق، والجبل الأسود إلى الجنوب الشرقي. يأتي من البوسنة والهرسك المنطقتين، والتي لها حدود غامضة جدًا معرفة بينهما. والبوسنة تحتل المناطق الشمالية التي ما يقرب من أربعة أخماس البلد بأكمله، في حين تحتل الهرسك الباقي في الجزء الجنوبي من البلاد.

والبلاد **جبلية بشكل عام**، وتشمل ديناريك وسط جبال الألب. في الأجزاء الشمالية الشرقية تصل إلى حوض بانونيا، في حين أنها في الجنوب على الحدود مع البحر الأدرياتيكي. ديناريك جبال الألب في اتجاه الشرق والغرب، والحصول على أعلى باتجاه الجنوب. أما أعلى نقطة في البلاد هي قمة Maglić في ٢٣٨٦م، عند حدود الجبل الأسود. وأبرز الجبال الرئيسة هي: كوزارا، Grmeč، فلاسيتش، Čvrsnica. Prenj. Romanija، ياهورينا، بيالاشنيكا وTreskavica. وبشكل عام فإن الغابات تشكل ما يقرب من ٥٠٪ من أراضي البوسنة والهرسك. ومعظم المناطق الحرجية تقع في المناطق الوسطى والشرقية والغربية من البوسنة.

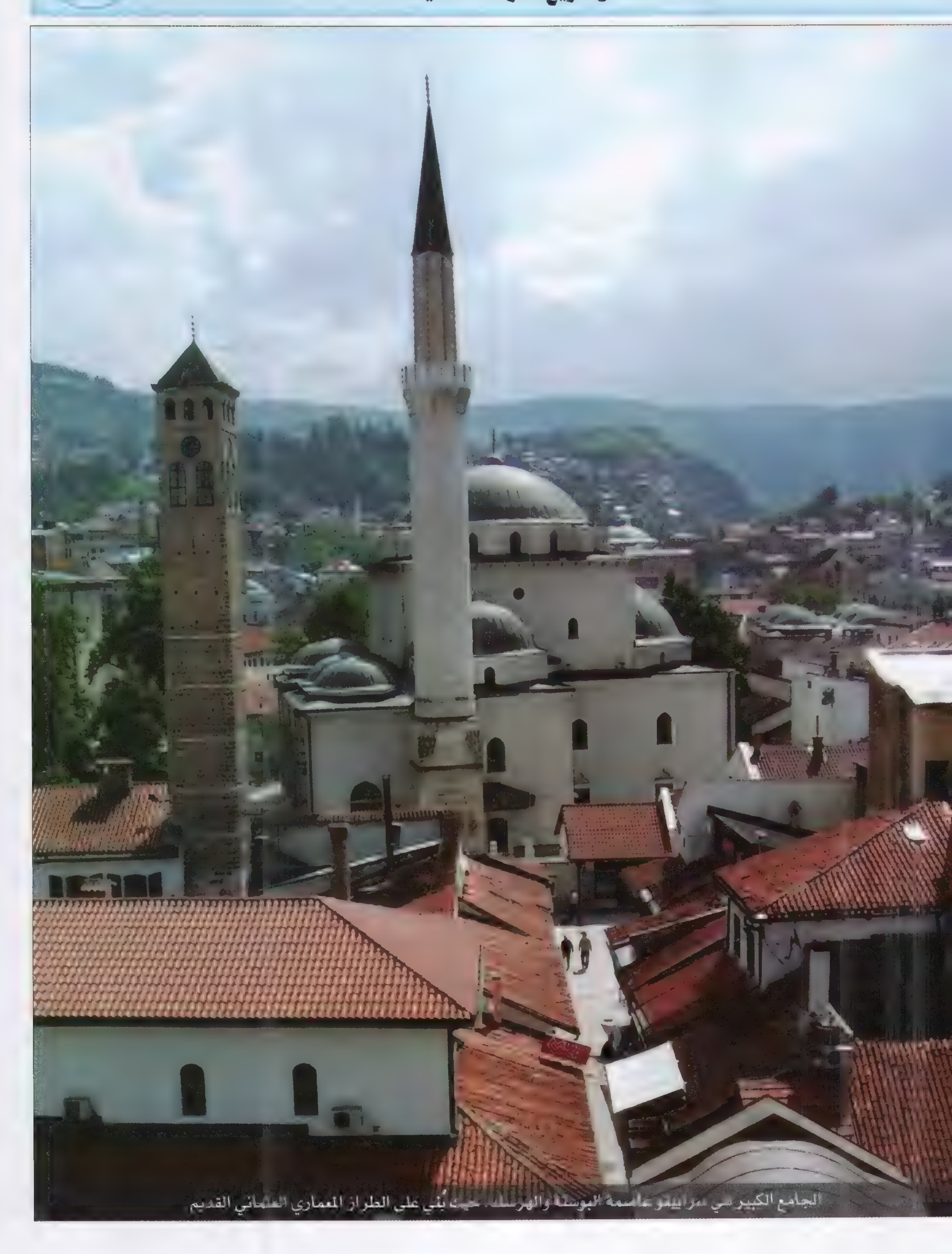
أحد المساجد المنتشرة في موستار وهي تطل على رافد من روافد النهر الكبير فيها

الهرسك: هي المنطقة الجنوبية من البوسنة ويعني اسمها "ديوك الأرض"، في إشارة إلى القرون الوسطى الدوقية من ستيبان.

والهرسك إقليم لا توجد له حدود رسمية تميزه عن الأراضي البوسنية، ومن المسلَّم به عمومًا أن حدود المنطقة وكرواتيا إلى الغرب، والجبل الأسود إلى الجنوب.



جسر (ستاري موست) في مدينة موستار حيث ضمنته اليونسكو ضمن التراث العالمي.

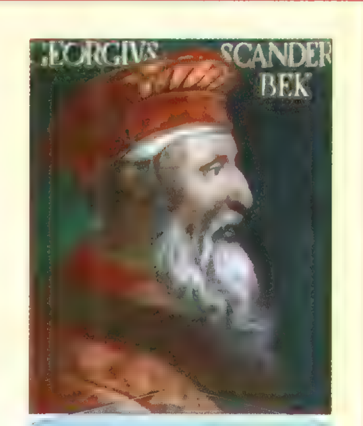


الجامع الكبير في سراييفو عاصمة البوسنة والهرسك حيث بُني على الطراز المعماري العثماني القديم

فتح بلاد ألبانيا (١)

كانت **ألبانيا** في موقف مشابه لموقف الصرب، فهي تقع بين أملاك الدولة العثمانية وأملاك البندقة التي أبدت عداوة شديدة لهذه الدولة العثمانية، حيث كان التوسع العثماني في البلقان يعني إغلاق مجالات حيوية تعمل فيها البندقية.

وقد بذل العثمانيون جهودًا كبيرة للقضاء على **إسكندر بك** وفتح مدينة كرويا الألبانية، إلاّ أنهم لم يتمكّنوا من السيطرة على ألبانيا إلاّ بعد وفاة هذا الرجل سنة ٨٧١ هـ/١٤٦٧م، إذ لم يكن له عقب يخلفه غير غلام قاصر، فعهد بالدفاع عن بلاده إلى البنادقة، والمعروف أن السلطان محمد الفاتح كان قد عقد مع إسكندر بك معاهدة في رمضان ٨٦٥ هـ/ حزيران ١٤٦١م، تنازل بموجبها عن **إقليمي ألبانيا وأبيروس**، إلا أن إسكندر بك نقضها بعد ثلاث سنوات، واصطدم بالقوات العثمانية في معارك التحامية كان النصر حليفه. **وقاد هذا الرجل حربًا قاسية ضد الوجود العثماني في بلاده**، وعانى العثمانيون، من جهتهم، كثيرًا من ضراوة المعارك في ألبانيا، فأنهكت قواهم.



(إسكندر بك) أمير ألباني. سماه الألبان بـ"سكاندربكا"، ينتسب إلى أسرة "كاستريو"، التي كانت تحكم شمالي ألبانيا. واسمه الحقيقي يوركى كاستريوت. وهو ابن "جيون كاستريوت"، أمير "ميرديتا"، الواقعة في شمالي "ألبانيا". وفي حملة على "ألبانيا"، قبل أربع وعشرين سنة، قَبِلَ "جيون كاستريوت" الحكم العثماني، واضطر إلى ترك أربعة من أولاده رهائن لدى العثمانيين.

رُبِّيَ هذا الأمير، منذ ذلك الوقت، في القصر العثماني، يروى أنه اهتدى إلى الإسلام، وأخذ اسم "إسكندر بك"، بعده اسمًا إسلاميًا. وقد استخدم في الجيش التركي سنوات عديدة، بل إنه أصبح قائدًا لبعض القطاعات العسكرية.

ولما مات والد إسكند بك جيون كاستريوت"، لم تمنح إمارة "ميرديتا"، التي كانت تحت الحكم العثماني لابنه، إسكندر بك؛ وإنما ألحقت مباشرة بالدولة، بعد أن تم الاستيلاء عليها. فيروى أن إسكندر بك"، تأثر بهذا التصرف، وقام بالتمرد في وجه الدولة.

ويشار إلى أن هروب إسكندر بك من الجيش العثماني، وتوجهه إلى "ألبانيا و يذكر أنه لما هرب، هدد رئيس الكتاب، أو صاحب طغراء "مراد الثاني"، بالخنجر، وأخذ منه مرسومًا مزورًا بتسليم "آقجة حصار" إليه؛ ثم قام بقتل الرجل، الذي كتب له المرسوم، وتوجه إلى البلد. وبناءً على هذه الرواية الغربية، ذهب، "إسكندر بك"، مع ابن أخيه، "حمزة بك"، إلى "ألبانيا الشرقية"، وأبرز الوثيقة المزورة لمحافظ القلعة، حيث تمكن من التوطن في "آقجة حصار". ثم قام بقتل كل الأتراك فيها، وجمع حوله أمراء "ألبانيا"، **وارتد عن الإسلام إلى النصرانية**، من جديد؛ وترك اسمه السابق "إسكندر بك"، وأخذ اسمه القديم "جورجس كاستريوت". وبتلك الصورة، أصبح قائد الحركة الوطنية الألبانية. ثورة إسكندر بك، موقع مكتبة التاريخ.

---

١ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ١١٩.



في سنة ٨٦٥ هـ/١٤٦١م: حدثت المفاوضات بين السلطان محمد الفاتح وإسكندر بك بغية توفير الأمن والاستقرار، للتفرغ لحملة الأناضول، التي كان يخطط لها في تلك المدة وتم عقد الهدنة بين محمد الفاتح وألبانيا في ٢٢ يونيو سنة ١٤٦١م التي مكنت إسكندر بك من إعادة سيادته على الجزء الجنوبي من ألبانيا مقابل ألا يقوم بالهجوم على الممتلكات العثمانية. نقض إسكندر بك الهدنة التي لم تدم أكثر من ثلاث سنوات، حيث إن البابا بيوس الثاني دعا إسكندر بك وملوك أوروبا لشن حملة صليبية جديدة على الدولة العثمانية ونجح صديق إسكندر بك بول أنجيلو مطران دورازو أن يقنع بأن نقضه للعهد مع السلطان؛ لا يعد ذنبًا بل هو قربى إلى الرب ولما علم محمد الفاتح بما حدث أرسل إلى إسكندر بك يذكره بالعهد والميثاق الذي بينهما فرد إسكندر بك بالسخرية وأخبره أنه لن يحافظ على أي عهد معه إلا إذا ارتد عن دينة الإسلام، وقام إسكندر بك بالهجوم على أملاك الدولة العثمانية ولم ينتظر الجيوش الصليبية، فغضب السلطان وقام بإرسال جيش ضخم يقدر بخمسة عشر ألف فارس وثلاثة آلاف من المشاة بقيادة الألباني إسكندر بك الذي اختار وادي فالخايا حتى لا تطغى عليه كثرة الجنود العثمانيين، وحذر إسكندر بك جنوده من مطاردة العثمانيين خارج هذا الوادي، إذا انتصروا في القتال وبالفعل انتصرت قوات إسكندر بك على الجيش العثماني ولكن قام ثمانية من قواد إسكندر بك بمطاردة العثمانيين فوقعوا في كمين أعده لهم الجيش العثماني وأخذوا أسرى، وكان وقوع هؤلاء الثمانية التي تُعد من أفضل وأشجع قواد إسكندر بك في الأسر أثر عميق من الحزن في نفوس أهل ألبانيا واشتد الغضب من إسكندر بك. موقع مكتبة التاريخ.

ألبانيا في العهد العثماني:

بدأ السلطان العثماني بايزيد الثاني استخدام الاسم أربيريا على المنطقة التي تضم أمة ألبانيا الآن . حيث وسع الأتراك العثمانيون فتوحاتهم ابتداء من أواخر القرن الرابع عشر الميلادي من الأناضول إلى البلقان. وبدخول القرن الخامس عشر الميلادي، هيمن الأتراك على شبه جزيرة البلقان تقريبًا، باستثناء شريط ساحلي صغير أدرج في ألبانيا الحديثة. وقد اكتسبت مقاومة الألبان للأتراك في القرن الخامس عشر الميلادي تأييدًا من جميع أنحاء أوروبا النصرانية. وأصبحت ألبانيا رمزًا لمقاومة الأتراك، ولكنها ظلت في حروب شبه مستمرة. وإحدى أقوى الردود على الفتح العثماني جاء بقيادة سكانديربيرج (بالإنجليزية: Gjergj Kastrioti Skanderbeg) وذلك من سنة ١٤٤٣م إلى سنة ١٤٦٨م. فقد حارب ٣٠٠٠٠ ألباني تحت راية حمراء تحمل شعار سكانديربيرج، ومنع الفتح العثماني للأراضي الألبانية مدة ٢٤ عامًا. كانت قيادة سكانديربيرج قوية، حتى إنه تغلب على محمد الثاني (الفاتح) في كروجا في سنة ١٤٦٦م.

اعتنق سكانديربيرج الرومانية الكاثوليكية من جديد، وأعلن الحرب المقدسة ضد الأتراك. وتغلب الألبان على ثلاثة محاولات عثمانية لفتح كروبي . لم يتمكن سكانديربيرج من الحصول على أي مساعدة من الحملة الصليبية الجديدة التي وعد بها الباباوات، وتوفي في ١٤٦٨م دون أن يترك خلفًا قويًا. بعد وفاة سكانديربيرج، ظلت المقاومة الألبانية مستمرة حتى سنة ١٤٧٨م، بنجاح بسيط. انهارت الولائات والتحالفات التي صنعها وغذاها سكانديربيرج،

لكن العثمانيين فتحوا ألبانيا بعد مدة قصيرة من سقوط قلعة كروبي. فأصبحت ألبانيا بذلك جزءًا من الدولة العثمانية. وعقب ذلك، فر العديد من الألبان إلى دول الجوار كإيطاليا، معظمهم إلى مدن كالابريا وصقلية. واعتنق غالبية السكان الألبان الإسلام خلال هذا الوقت. كان هناك العديد من محاولات الانتفاضة خلال هذه المدة من ابن سكانديربيرج وابن شقيقه في ١٥٠٠م، وخلال الحروب العثمانية مع البندقية، والحروب العثمانية مع هابسبورغ، ضد إصلاحات Tanzimat وخلال عصر النهضة الوطنية في ألبانيا (١٨٣١-١٩١٢م). وشهدت هذه المدة أيضًا بداية الباشاوات الألبان حيث أصبح الألبان جزءًا مهما من الجيش العثماني والإدارة العثمانية، مثل الحال مع أسرة Köprülü. وبقيت ألبانيا جزءًا من الدولة العثمانية كمقاطعات شكودرا وماناستير ويانيا حتى سنة ١٩١٢م. موقع ألبانيا.



دعيت ألبانيا تحت الحكم العثماني رسميًا باسم (**أرناؤوطلوك**) وسكانها باسم أرناؤوطيين

مدخل المتحف الوطني (سكانديربيرج) في مدينة كروجا الألبانية

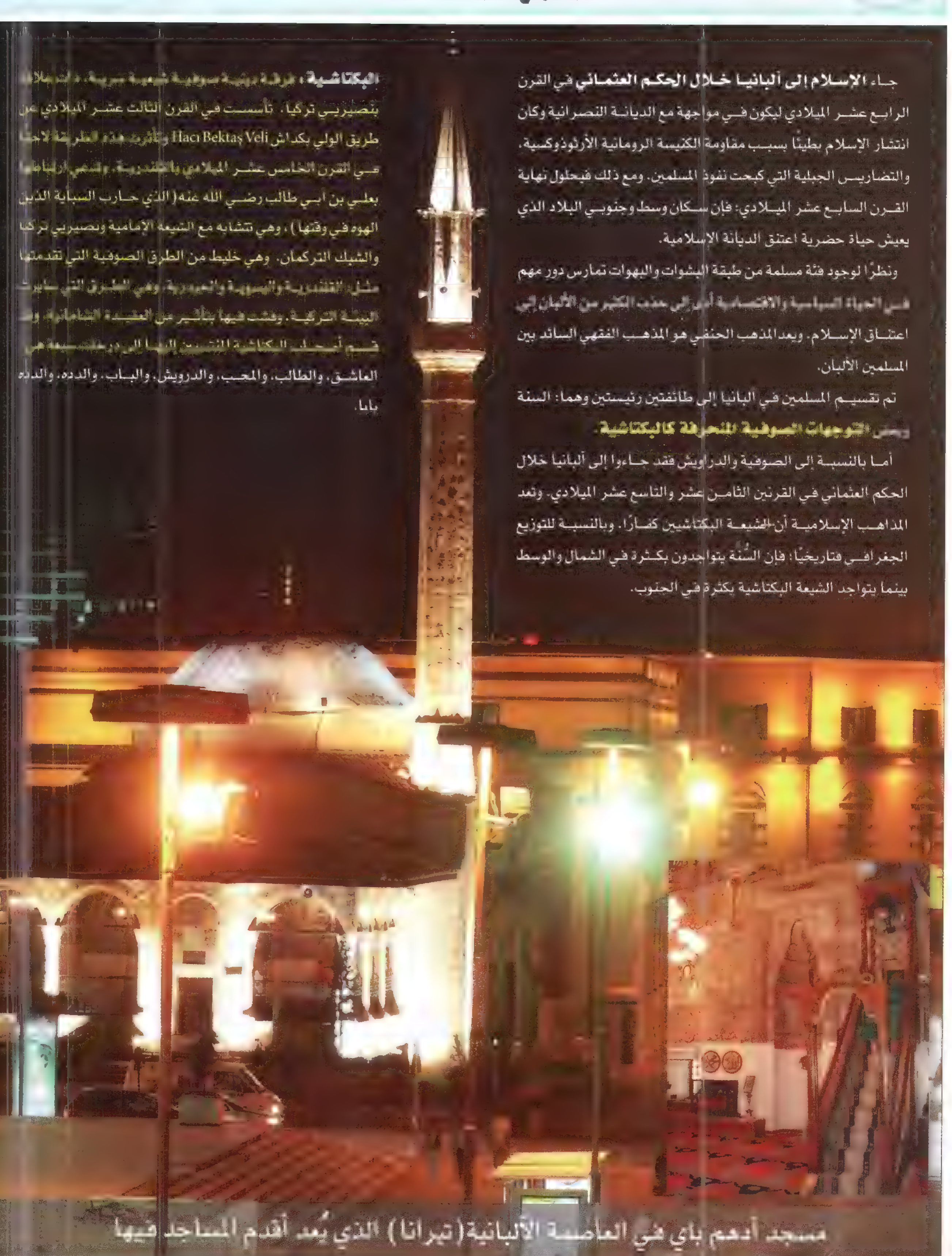
جاء **الإسلام إلى ألبانيا خلال الحكم العثماني** في القرن الرابع عشر الميلادي ليكون في مواجهة مع الديانة النصرانية وكان انتشار الإسلام بطيئًا بسبب مقاومة الكنيسة الرومانية الأرثوذكسية، والتضاريس الجبلية التي كبحت نفوذ المسلمين. ومع ذلك فبحلول نهاية القرن السابع عشر الميلادي: فإن سكان وسط وجنوبي البلاد الذي يعيش حياة حضرية اعتنق الديانة الإسلامية.

ونظرًا لوجود فئة مسلمة من طبقة البشوات والبهوات تمارس دور مهم في الحياة السياسية والاقتصادية أدى إلى جذب الكثير من الألبان إلى اعتناق الإسلام. ويعد المذهب الحنفي هو المذهب الفقهي السائد بين المسلمين الألبان.

تم تقسيم المسلمين في ألبانيا إلى طائفتين رئيستين وهما: السنة وبعض **التوجهات الصوفية المنحرفة كالبكتاشية**.

أما بالنسبة إلى الصوفية والدراويش فقد جاءوا إلى ألبانيا خلال الحكم العثماني في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي. وتعد المذاهب الإسلامية أن الشيعة البكتاشيين كفارًا. وبالنسبة للتوزيع الجغرافي فتاريخيًا: فإن السُّنة يتواجدون بكثرة في الشمال والوسط بينما يتواجد الشيعة البكتاشية بكثرة في الجنوب.

البكتاشية : طريقة دينية صوفية شيعية سرية، ذات صلة بنصيريي تركيا. تأسست في القرن الثالث عشر الميلادي عن طريق الولي بكداش Hacı Bektaş Veli وتأثرت هذه الطريقة لاحقًا في القرن الخامس عشر الميلادي بالقلندرية، وتدعي ارتباطها بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه (الذي حارب السبابية الذين الهوه في وقتها)، وهي تتشابه مع الشيعة الإمامية ونصيريي تركيا والشبك التركمان. وهي خليط من الطرق الصوفية التي تقدمتها مثل القلندرية والسهروردية والحيدرية، وهي الطرق التي سايرت البيئة التركية، وفشت فيها بتأثير من العقيدة الشامانية، و قسم أصحاب البكتاشية المنتسبين إليها إلى درجات تسمى هي العاشق، والطالب، والمحب، والدرويش، والباب، والدده، والدده بابا.



مسجد أدهم باي في العاصمة الألبانية (تيرانا) الذي يُعد أقدم المساجد فيها



قلعة (روزافا) بمدينة شكودور الألبانية

حصلت **ألبانيا** على استقلالها عن الدولة العثمانية في سنة ١٩١٢م. بسبب البعد عن النواحي الشرعية الإسلامية العظيمة؛ فقامت الحكومة الإلحادية بالاستحواذ على الحكم الذي قرر إبعاد المسلمين عن هويتهم الدينية، والأديان الأخرى ودعم التوجه الشيوعي.

ففي سنة ١٩٢٣م دعت الحكومة إلى **عقد مؤتمر للمسلمين الألبان** في العاصمة **تيرانا** من أجل مقاطعة الخلافة العثمانية الإسلامية، وإنشاء طريقة جديدة للصلاة (بطريقة واقفة بدلًا من الطريقة المعروفة) ومنع تعدد الزوجات، وحظر استخدام الحجاب من قبل النساء المسلمات، وجميع الممارسات التي كان العثمانيون يلتزمون بها من الناحية الشرعية، وأركسوا البلاد في تخلف عقدي أبعدهم عن شرع الله تعالى.

ففي عهد الشيوعية تم القضاء على علماء الدين المسلمين؛ بالإضافة إلى نظرائهم الكاثوليك والأرثوذوكس، وفي سنة ١٩٦٧م أعلن أنور خوجة: أن ألبانيا هي الدولة الوحيدة غير الدينية في العالم التي تحظر جميع أشكال الممارسة الدينية في القطاع العام. الإسلام في ألبانيا، الموسوعة الحرَّة على الشبكة.

فتح أماستريس وسينوب وطرابزون[١]

عندما تولى السلطان محمد الثاني عرش السلطنة، **كانت في آسيا الصغرى بعض المدن والقلاع الإسلامية والنصرانية التي لم تدخل في نطاق الدولة العثمانية، وتضمر العداء لها.**

وما لبثت هذه القوى أن تآمرت على الدولة، وتولَّت زعامة هذه الحركة **مملكة طرابزون**. فقد راودت **إمبراطورها يوحنا الرابع** فكرة إخراج العثمانيين من آسيا الصغرى كلها، ولم يعتبر بما حصل لإمبراطور القسطنطينية.

وراح يوحنا يفاوض الدول المجاورة والصديقة بهدف تشكيل ائتلاف ضد العثمانيين، ووجد في الأمير التركماني الطموح أوزون حسن (حسن الطويل)، زعيم الآق قوينلو (الخراف البيض)، خير حليف ونصير، وقد جمعتهما مصلحة مشتركة هي كراهية العثمانيين، وتمتَّنت أواصر الصداقة بين الرجلين بالمصاهرة، حيث تزوج أوزون حسن من كاترين، ابنة يوحنا.

ونجح يوحنا في استقطاب الأمراء المجاورين له، وهم أمراء سينوب والقرمان والكرج وأرمينيا الصغرى، الذين جمعهم، على اختلاف أجناسهم وعقائدهم، **الحقد على الدولة العثمانية**.

وحاول يوحنا أن يضم إلى هذه القوى الشرقية، قوة اللاتين في الغرب، فأجرى مفاوضات مع البابا من أجل هذه الغاية، غير أن الوفاة أدركته في سنة ٨٦٢ هـ/١٤٥٨م، قبل أن يتم مشروعه، واستبد بالحكم بعده أخوه داوود، وكان على صفات أخيه، فواصل جهوده لإتمام تكوين الجبهة المتحدة ضد العثمانيين، وسانده دوق بورغنديا، وأوصى البابا دول الغرب الأخرى بتقديم المساعدة.

وكانت **جنوة**، فيما تملك من مستعمرات في الشرق، تملك مدينة أماستريس في آسيا الصغرى على شاطئ البحر الأسود وكفة في شبة الجزيرة القرم، وتُعد هاتان المستعمرتان، وبخاصة الأخيرة منها، من أهم المراكز التجارية لجنوة في الشرق.

ولكن جنوة أصابها الوهن في الوقت الذي نمت فيه الدولة العثمانية وتوسَّعت في فتوحها، فخشيت على مستعمراتها الشرقية، لذلك سلَّمت هذه المستعمرات إلى المؤسسة القوية (بنك القديس جورج) لتتصرَّف فيها كما تشاء. **وقامت هذه المؤسسة بدور بارز في تأليب القوى ضد الدولة العثمانية**، بالتنسيق مع إمبراطور طرابزون، وبمساندة من البابوية التي عدَّت هذه المواقع المطلة على البحر الأسود بمثابة مواقع أمامية للنصرانية.

---

١ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ١٢٠ - ١٢٢.



الآق قوينلو (دولة الخـــروف الأبيـض)

٨٧١ - ٩١٣هـ /١٤٦٧-١٥٠٨م.

قبيلة القطيع الأبيض، أسرة تركمانية وفدت من أواسط آسيـا نتيجة غزوات المغول على بلاد خوارزم، واستقرت في ديار بكر، واتخذت في بادئ الأمر مدينة **آمد** عاصمة لها.

مؤسس هذه الأسرة هو بهـا الدين قرا عثمان البايندري، ولقب قرايلك. تعاون مع تيمور لنـك في أثناء غزوه لمناطق غربي آسيا، وقد منحه أرضًا في أرمينيا ومنطقة الفرات الأعلى، كما نصَّبه حاكمًا على **سيواس** بعد أن استولى على أملاك القاضي برهان الدين أحمد.

توسعت الإمارة بعد ذلك على يـد أميرها أوزون (حسن الطويـل) ت ٨٨٢ هـ، وبحكم موقعها على حـدود الدولتين المملوكيـة والعثمانية، فقد أقامت علاقـات معهما تراوحت بين العدائية والسلمية، إلا أن العلاقات العدائية مع الدولة المملوكية كانت الغالبة.

سميت بالخروف الأبيض لوضعها رسم خروف ذي لون أبيض على علمها.

القرا قوينلو (دولة الخروف الأسود)

٨١٣ - ٨٧١ هـ / ١٤١٠-١٤٦٧م.

نشـأت هـذه الإمـارة قبل ظهـور إمـارة الآق قوينلو بنحو نصف قرن، وجذورهما واحدة. سكن أفرادها البلاد الواقعة شمـالي **بحيرة وان**، واستقرت أملاكهـم في بعض جهات أرمينيا، وأذربيجان، واتخذوا **تبريز** عاصمة لهم.

أسـس هذه الإمارة قرا محمد يوسف. وأشهر أمرائها ابنه قـرا يوسـف. ت ٨٢٣ هــ، الذي ضـم أذربيجـان إلى أملاك الإمارة. وكانت له **اصطدامات مع الآق قوينلو في منطقة ديار بكـر**، كما هـزم أحمد الجلائـري وضم العـراق، وتوسع في ناحيـة الغـرب حتـى قـارب حلـب. **وكان لجوء هـذا الزعيم التركمـاني إلى بـلاد العثمانيين أحـد الأسبـاب التي حملت تيمورلنك على محاربة السلطان العثماني بايزيد.**

كانت علاقتها مع الدولة المملوكية أقرب إلى الصداقة منها إلى العـداء، بـل إنهم وقفوا معهـم في أثناء غـزو تيمورلنك لبلاد الآق قوينلو.

سميت بالخروف الأسود لوضعها رسم خروف ذي لون أسود على علمها.

ونسَّقت القوى المتحدة خطة عسكرية تستند على **فتح جبهتين في الوقت نفسه، جبهة في الغرب وأخرى في الشرق، بحيث يقع العثمانيون بين فكي الكماشة.** لم يغب عن الفاتح ما كان يحوكه إمبراطور طرابزون، بالاشتراك مع حكام أماستريس، من الدسائس، فقام يواجه هذا الائتلاف بكل ثبات.

وبعد مضي عامين من الاتصالات والمشاورات تحرك أوزون حسن، بإيعاز من يوحنا الرابع إمبراطور طرابزون، فطلب من الفاتح إسقاط الجزية عن إمارته، وتجرّأ بأن طالبه بدفع الجزية إليه.

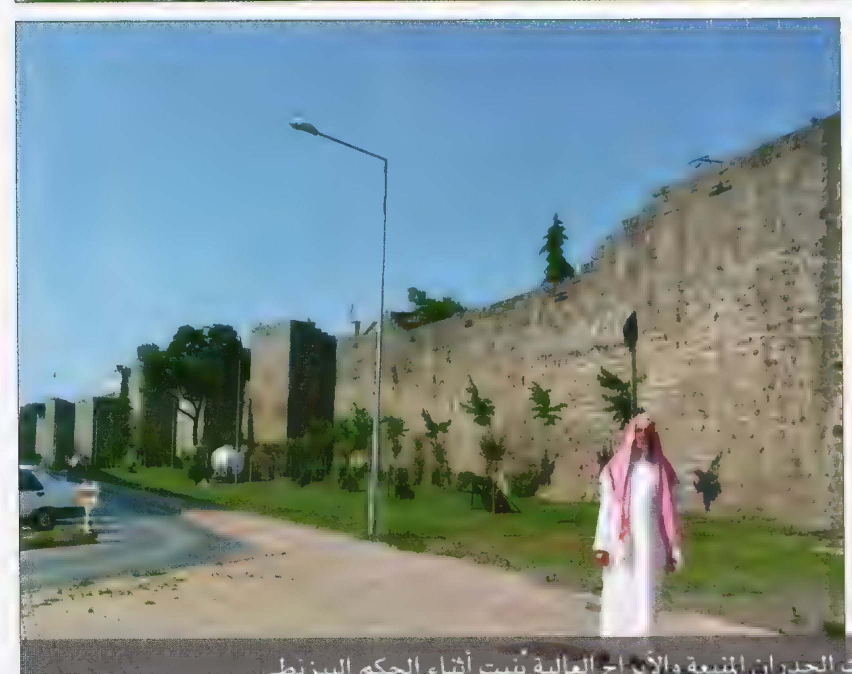
والواقع أن الفاتح قرر ضرب أعدائه، لذلك رفض طلب أوزون حسن. وما إن انتهى من فتح بلاد المورة حتى أعدَّ، في أواسط ٨٦٥ هـ/ ربيع ١٤٦١م، **جيشًا بريًا تولى قيادته بنفسه، وأسطولاً بحريًا عهد بقيادته إلى محمد باشا**، وأسرع بالزحف نحو أماستريس وفتحها من دون مقاومة، حيث أخذها على غرَّة، ثم واصل زحفه نحو سينوب الغنية بمناجمها ومعادنها، وكان يخشى أن تقع في أيدي أوزون حسن ويتخذها المتحالفون قاعدة لأعمالهم العسكرية. وأرسل الفاتح إلى حاكم الإمارة، ويدعى إسماعيل بك، طلبًا للخضوع له وتسليم إمارته على أن يُعوِّضه عنها مدينة أخرى، وهدَّده بدخول المدينة عنوة إذا رفض.

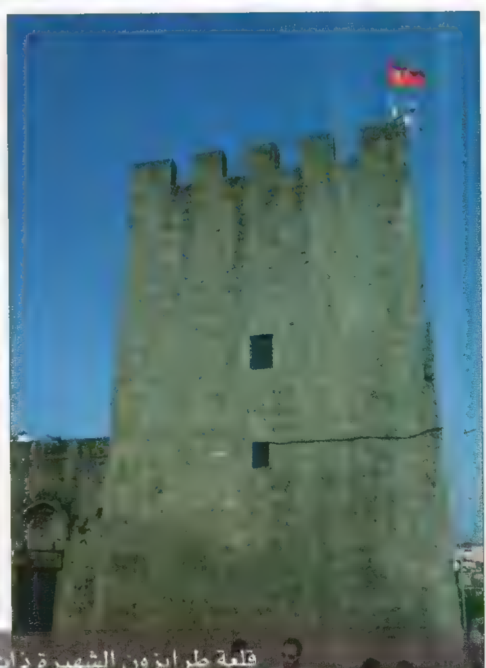
أدرك إسماعيل أنَّه لا قِبَلَ له بمواجهة الجيش العثماني، فطلب الأمان وذهب إلى خيمة السلطان الذي استقبله بالترحاب وأقطعه أراضي واسعة في جهات بورصة ويكي شهر وآينة كول، **وبذلك دخلت إمارة سينوب في قبضة العثمانيين.**

لم يُضيِّع الفاتح شيئًا من الوقت، فأمر أسطوله بمواصلة الإبحار إلى **طرابزون**، في حين زحف هو بجيشه البري نحو **أرضروم** عن طريق **أماسيا** لضرب **أوزون حسن** المتقدم لنجدة حليفه داوود إمبراطور المدينة.

وذُعر أوزون حسن من هذا الظهور السريع وغير المنتظر للفاتح، في هذه المنطقة، ورأى أنه لا قِبَل له بمفرده بمقاتلته، فجنح إلى السلم، واشترط الفاتح أن يكفّ الأمير التركماني عن نصرة إمبراطور طرابزون، وأن يوقف اعتداءاته على مناطق الحدود. **فقَبِل أوزون حسن ما عرضه الفاتح وعُقد الصلح بينهما.**

وترك السلطان المنطقة، بعد ذلك، وعاد إلى طرابزون لفتحها، وكان أسطوله قد ضرب حصارًا بحريًا حولها، وكان حاكمها داوود يترقَّب في قلق وصول الإمدادات إليه من حليفه أوزون حسن، ولم يكن قد بلغه شيء مما تمَّ بينه وبين الفاتح، ومع وصول السلطان إلى طرابزون، ومن ناحية البر، أُسقط في يد داوود ما دفعه إلى الاستسلام، وسقطت المدينة في يد الفاتح.



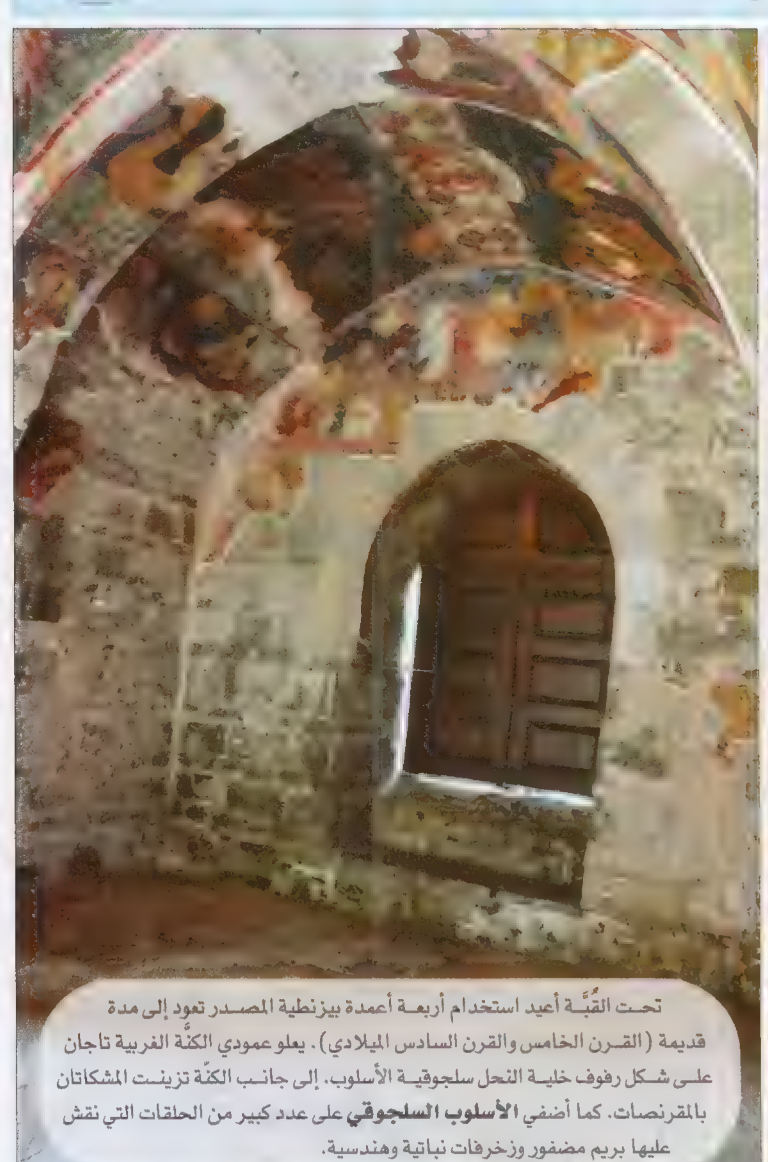


قلعة طرابزون الشهيرة ذات الجدران المنيعة والأبراج العالية بُنيت أثناء الحكم البيزنطي

كاتدرائية القديسة صوفيا في مدينة طرابزون التركية

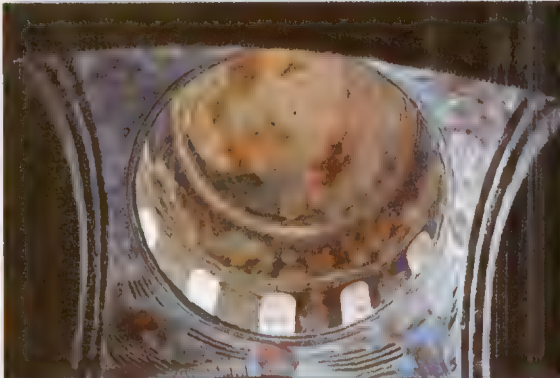
تعـد كاتدرائية القديسة صوفيا التـي شيدها الإمبراطور مانويل الأول بين ١٢٣٨ و١٢٦٣م الكنيسة البيزنطية المحفوظة بأفضل شكل في مدينة طرابـزون، وهي عاصمة إمبراطورية طرابـزون البيزنطية التي حكمتها سلالة إليكسيوس الأول الكبير كومنينوس (١٢٠٤-١٢٢٢م) حتى سنـة ١٤٦١م. وهـذه الكاتدرائية كناية عن مبنى ممتـد بشـكل طفيـف تتوّجـه قبة. شيـدت الكنيسة من الحجر وليس الآجر ما يضفي إليها طابعًـا محليًـا. كان الأرمن والجيورجيـون يشيـدون كنائسهـم بالحجر فحسب. مثـل مساجد السلاجقة في هضبة الأناضول.

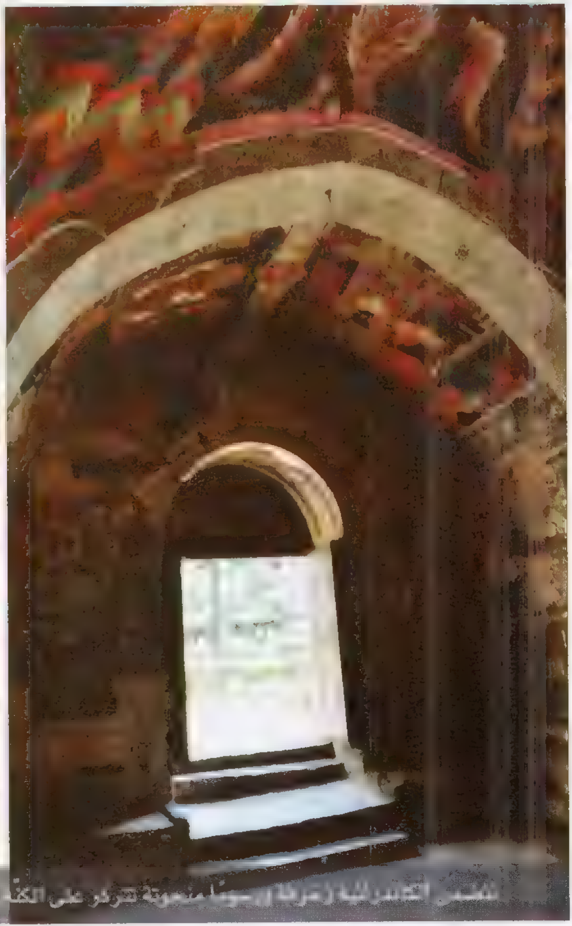
قبة الكاتدرائية بعد تحويل الصليب فيها إلى هلال بعد فتحها



تحت القُبَّة أعيد استخدام أربعة أعمدة بيزنطية المصدر تعود إلى مدة قديمة (القرن الخامس والقرن السادس الميلادي). يعلو عمودي الكنّة الغربية تاجان على شكل رفوف خلية النحل سلجوقية الأسلوب. إلى جانب الكنّة تزينت المشكاتان بالمقرنصات. كما أضفى **الأسلوب السلجوقي** على عدد كبير من الحلقات التي نقش عليها بريم مضفور وزخرفات نباتية وهندسية.





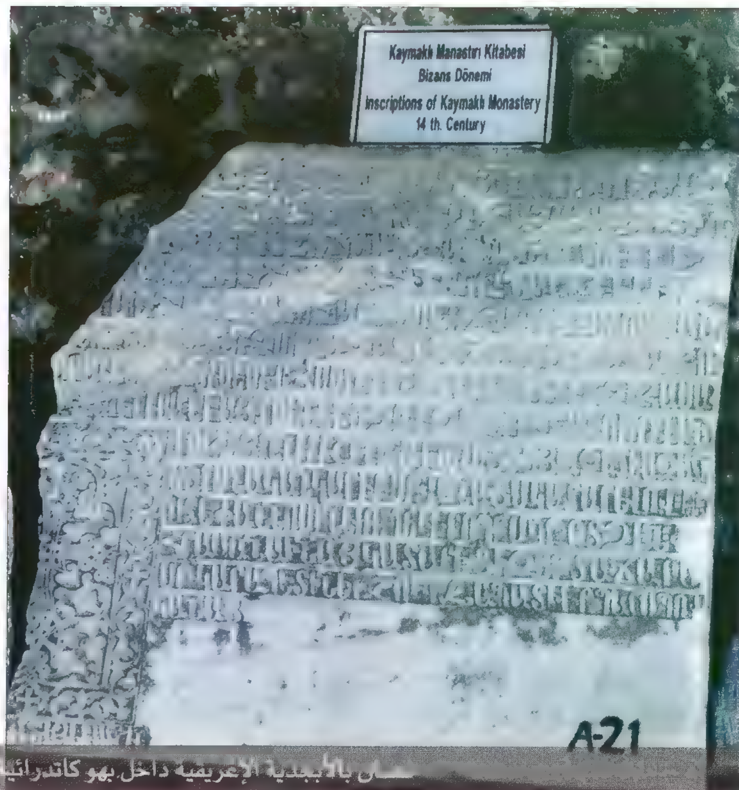




تتضمن الكاتدرائية زخرفة ورسومًا منحوتة تتركز على الكنّة الجنوبية حيث يوجد فيها نحت نسر وحيوانات أسطورية

نص شعري باللغة التركية على لوح من الحجارة الضخمة داخل بهو كاتدرائية القديسة صوفيا في طرابزون





نقش بالأبجدية الإغريقية داخل بهو كاتدرائية القديسة صوفيا في طرابزون



البحر الأسود
بلغاريا
روسيا
جورجيا
أرمينيا
إيران
العراق
سوريا
لبنان
قبرص
نيقوسيا
البحر المتوسط
تركيا
عاصمة الدولة
العاصمة الأقليمية
مدينة
طريق رئيس
سكة حديد
الحدود الإدارية
الحدود الدولية
أنقرة
استانبول
بحر بنطس (البحر الأسود)
بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)
الدولة العثمانية
أرمينية
الآق قونيلو
الأكراد
دلغادر
أبناء رمضان
السلطنة المملوكية
بلاد الكرج
طربزون
خضوع معظم أراضي الأناضول للسلطان محمد الفاتح

الحرب الكبرى مع البندقية[١]

بلغت **البندقية**، منذ نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، درجة عظيمة من القوة في الشرق، بما أنشأت من تجارة واسعة ومستعمرات كثيرة ومحطات ومراكز مهمة في بحاره. ويبدو أن بروز البندقية، على هذا الشكل، يعود إلى عدم وجود منافس يشكِّل خطرًا عليها. فغريمتها **جنوة** قد أصابها الوهن، وأشرفت على الاضمحلال والإمبراطورية البيزنطية كانت تمر في مراحل شيخوختها، في حين كانت الدولة العثمانية في بداية نشأتها السياسية، فنظرت إليها البندقية بلامبالاة.

لكن مع تزايد نمو هذه الدولة العثمانية، واتساع فتوحها، حمل البندقية على تغيير نظرتها إليها، إذ خشيت أن تعرقل تجارتها أو تقطع سبل مواصلاتها، فراحت تترقب إليها، وتعقد المعاهدات معها. ولكن هذه المعاهدات كانت مؤقتة بفعل استمرار توسع الدولة العثمانية، وحرصت البندقية على الاحتفاظ بمركزها الممتاز في الشرق. وتحقيقًا لهذا الهدف **قوَّت مركزها في اليونان والمورة وبحر الأرخبيل**، واستولت على مواقع إستراتيجية جديدة فيها، **محاولة ما أمكن حرمان العثمانيين من التوسع، وكانت أكثر ما تخشاه هو سقوط القسطنطينية بأيديهم لأنهم بذلك سيشكلون خطرًا جديًا**، ليس على تجارتها فحسب بل وعلى وجودها في الشرق، لذلك حاولت البندقية مساعدة البيزنطيين على الصمود في وجه الحصار العثماني، كما ساندت الحركات المناهضة للحكم العثماني في الولايات العثمانية، كحركة إسكندر بك.

ومع سقوط القسطنطينية اضطرت البندقية إلى الاعتذار عن موقفها أمام السلطان العثماني. وفي سنة ٨٦٤ هـ/ ١٤٦٠م فتح السلطان محمد الثاني شبة جزيرة المورة حيث كانت للبندقية مراكز مهمة، فتجاور الخصمان وتواجَها، وساد الشعور بأن الصدام أضحى وشيكًا، فأعادت البندقية النظر في سياسة الصلح مع الباب العالي. وفعلاً نشبت بين الطرفين حرب طويلة وقاسية عُرفت في التاريخ (بالحرب الكبرى)، استمرت ستة عشر عامًا ٨٦٧ – ٨٨٣ هـ/١٤٦٣ – ١٤٧٩م.

ويبدو أن السبب المباشر لهذه الحرب هو **إلحاق ملكية البوسنة بالدولة العثمانية**، لكن السبب الحقيقي هو الفتح العثماني للقسطنطينية وإغلاق العثمانيين المضائق في وجه سفن البندقية، بالإضافة إلى حيازة العثمانيين على قوة عسكرية واقتصادية لاتسمح لأي دولة أن تنال منهم، وشكَّل سلوك العثمانيين الظافرين مصدرًا للقلق.

---

١ – د. طقوش، المرجع السابق، ص ١٢٢ – ١٢٧.



البندقية (بالإيطالية Venezia ، بالإنكليزية Venice) مدينة بشمال إيطاليا وهي عاصمة إقليم فينيتو وعاصمة مقاطعة فينيسيا. يقدر عدد سكانها ٢٧١ ألف نسمة. المدينة عبارة عن عدة جزر متصلة ببعضها عن طريق جسور، وتطل المدينة على البحر الأدرياتيكي.

تعد المدينة من أهم المدن الإيطالية ومن أكثر المدن جمالاً في إيطاليا، لما تتمتع به من مباني تاريخية يعود أغلبها إلى عصر النهضة في إيطاليا وقنواتها المائية المتعددة ما يجعلها فريدة من نوعها على مستوى العالم.

ابتدأت الحرب بين البندقية والعثمانيين؛ بفتح العثمانيين **حصن آرغوس**، وتركزت الجولة الأولى منها في شبة جزيرة المورة، وحقّق العثمانيون انتصارات باهرة ودخلوا مدينة إسبرطة.

نتيجة للمواجهات الفاشلة في المورة مع الدولة العثمانية، رأت البندقية أن تستند على فكرة حرب العثمانيين من الشرق والغرب في الوقت نفسه، فراحت تبحث عن حلفاء لها في منطقة الأناضول الشرقي، كما لم تهمل محالفاتها مع الغرب الأوروبي.

كان في بلاد الأناضول آنذاك ثلاث إمارات من الأسر التركمانية، وهي إمارتا القرمانيين وذي القدر (دلغادر)، التابعتان للسيادة العثمانية، وإمارة رمضان، التابعة للمماليك في مصر.

وهكذا تطلّعت البندقية إلى **إمارة القرمان** لتحريضها على مهاجمة العثمانيين، وبخاصة أن هذه الإمارة قد أخذت على عاتقها في السابق القيام بمضايقتهم، إلاّ أنه، منذ سنة ٨٧٠ هـ/١٤٤٦م، خضعت الإمارة القرمانية للسيطرة العثمانية بعد الضربة التي تلقتها على يد الفاتح الذي دخل **قونية**، (انظر الخريطة في الصفحة المقابلة) وسيطر على لارندا وأجلس ابنه الذي يمكن أن يسدِّد ضربة للقوة العثمانية.

فتوجّهت الأنظار نحو مصر، فمن الضروري تحريض المماليك ضد العثمانيين بفعل الخلافات الحدودية بين الطرفين، ولكن **القاهرة المملوكية** لا تُقدم على أي عمل، بالتحالف مع النصارى، ضد الدولة الإسلامية، بفعل كون المماليك مسلمين من جهة، ولأن الخلافات ليست بالدرجة التي تجعلها تُقدم على دخول حرب واسعة النطاق، على الرغم من أن المماليك كانوا غير مرتاحين من موقف الدولة العثمانية من الإمارات الحدودية بينهما، حيث كانوا يرون في تولي الأمير مصطفى عرش الإمارة القرمانية خطرًا يتهددهم في بلاد الشام، يضاف إلى ذلك أنه لم تظهر من جانب السلطان العثماني أي بوادر تشير إلى رغبته في اجتياز الفرات وجبال طوروس، وإنما ركّز جهوده على أوروبا.

نتيجة لهذه المواقف السياسية، تطلّعت البندقية إلى إمارة **الآق قوينلو** (الخراف البيض)، وعقدت آمالها على أوزون حسن الذي أبدى استعدادًا لمهاجمة العثمانيين، وأثبت هذا الأمير التركماني أنه يملك قوة عسكرية هائلة، فهو يسيطر على الأناضول الشرقية، ويحترق غيظًا من السلطان العثماني الذي قضى على إمارة طرابزون التي تشدُّه إليها روابط عائلية، بالإضافة إلى أنه قضى على إمارة القرمانيين ما أحدث تضعضعًا وخللاً في التوازن في المنطقة. وكانت المصالح التجارية دافعًا قويًا لأوزون حسن للاصطدام بالعثمانيين، ذلك أن طرابزون كانت منفذًا للتجارة الإيرانية ومرتبطة تجاريًا بعاصمته تبريز،


المماليك والعثمانيون في عهد محمد الفاتح
أستنبول
بحر بنطس (البحر الأسود)
طرابزون
أماسيا
أنقرة
الأناضول
سيواس
قيصرية
قونية
قرمان
أنطاليا
رودس
كريت
طرسوس
مرعش
إمارة دلقادر (ذي القادر)
ملاطية
كرجستان
أرمينيا
باكو
أذربيجان
بحر قزوين (بحر الخزر)
تبريز
المراغة
بلاد الأكراد
الرها
ديار بكر
الموصل
سنجار
الرقة
سلطانية
أنطاكية
حلب
حماة
حمص
طرابلس
مملكة قبرص
ليماسول
البحر العثماني (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
دمشق
عكا
بلاد الشام
القدس
يافا
عسقلان
دمياط
الإسكندرية
إلى برقة الليبية
السلطنة المملوكية
ن. الفرات
ن. دجلة
همذان
كرمنشاه
الأنبار
بغداد
الدولة الصفوية
الجلائريون
الحلة
الكوفة
العراق
إيــــران
الأحواز
البصرة
فارس
الريدانية
القاهرة
دومة الجندل
مصــــــر
تبوك
المنيا
الصعيــــد
السلطنة المملوكية
قوص
أسوان
المدينة النبوية
ينبع
نجـــــد
البحرين
هجر
قطر
اليمامة
الدولة الجبرية (١٣٨٣-١٥٢٤م)
خليج البحرين (الخليج العربي)
النوبــــــة
أبو سمبل
عيذاب
الحجاز
الأشـــــراف
جدة
مكة
السلطنة المملوكية
بحر القلزم (البحر الأحمر)
العرب
البلميون (البجه)
دنقله
سواكن
جزيرة
مروي
صعدة
اليمن
صنعاء
الدولة الطاهرية
حضرموت
بحر العرب
جزر دهلك
مصوع
السلطنة المملوكية
الدولة العثمانيـــة
إمارة دلقادر (ذي القادر، دلقادر)
الآق قوينلو (الخراف البيض)
الدولة الصفويـــة
الدولة الطاهرية
ممالك نصرانية إفريقية
الخريطة
الدولة الجبرية (٧٨٥-٩٣٠هـ)

وقد خشي من أن الامتداد التوسعي العثماني، باتجاه الشمال والشرق، سوف يقضي على مصالحه التجارية، لأن العثمانيين سيتحكَّمون عندئذ بالطرق التجارية ويضايقون التجار الإيرانيين، لذلك حاول الاستيلاء على أعالي الفرات، وهي الطريق الطبيعي للتجارة الإيرانية التي ترتبط بالأناضول بشبكة من الطرق التجارية امتدادًا إلى شمالي الشام. وكان القضاء على **إمارة طرابزون من قِبل السلطان محمد الثاني، الشرارة التي أشعلت نار الحرب بين العاهلين**. وقد راودت الأمير التركماني فكرة القضاء على العثمانيين والمماليك معًا ليقيم على أنقاض ملكهما تلك الدولة الواسعة التي كان يحلم بها.

وهكذا، **جرت مفاوضات بين البندقية وبين أوزون حسن** شاركت فيها بعض الدول الأوروبية والبابوية، تميزت بالأناة والهدوء، وتمَّ الاتفاق على وضع الخطوط العريضة للمعاهدة التي تضمَّنت خطة للتقسيم على الشكل الآتي:

- **تحصل المجر على بلاد الصرب وبلغاريا والبوسنة والأفلاق**، نظرًا لحشدها أكبر قوة عسكرية داخل الائتلاف الأوروبي.
- **تحصل البندقية على حصة كبيرة أيضًا**، بفعل موافقتها على تحمُّل القسم الأكبر من النفقات، بالإضافة إلى تقديمها أسطولاً بحريًا قويًا، هذا ولم تحدد المصادر هذه الحصة إلاّ أن الراجح أنها تتكوَّن من شبة جزيرة المورة وآتيكا وتساليا وأبيروس، حيث لها في هذه المناطق مصالح حيوية.
- **إعادة إحياء الإمبراطورية البيزنطية** على أن تنحصر حدودها في تراقيا بوصفها دولة أرثوذكسية، وتكون بمثابة دولة حاجزة.
- **يمدُّ الحلفاء الأوروبيون أوزون حسن بالمدافع والأسلحة والرجال** المهرة في صنعها بفعل أن رجاله تنقصهم هذه المعدات الحربية.

وبهذا التقسيم يتم إخراج العثمانيين في الأناضول؟ مما لاشك فيه أن ذلك متوقف على سياسة أوزون حسن الذي سيعيد تأسيس إمارة القرمان وإمارة طرابزون ويضعهما تحت حمايته، كما سيضمّ أراضي الأناضول الوسطى، وبذلك تنحصر الدولة العثمانية بين البحر الأسود وبحر مرمرة وبحر إيجة والبحر الأبيض المتوسط، ولا يُسمح لها بالاقتراب من الأناضول الأوسط. وعلم السلطان العثماني بواسطة جواسيسه بإجراءات الاتفاق الذي أقيم ضده، فتحرك بسرعة لإحباطه. وفعلاً بدأت الحرب في ١٣ رجب ٨٦٧ هـ/ ٣ نيسان ١٤٦٣م، تقدَّمت، في بدايتها، الجيوش العثمانية **باتجاه المجر** وتغلبت على ملكها ماتياس كورفن، في حين تحرك البابا بيوس الثاني بعد سنة تقريبًا فغادر روما في ١٢ شوال سنة ٨٦٨ هـ/ ١٨ حزيران ١٤٦٤م، على رأس جيش صليبي، لكنه توفي في الطريق.

كانت للبندقية علاقات تجارية ومالية قوية بوسط أوروبا حيث تقوم بتسويق تجارتها في هذا النطاق، كما توطد فيها نظام البنوك. وكانت لها علاقاتها المتينة مع مصر وشرقي البحر المتوسط ومع العالم الإسلامي تركزت على تجارة الشرقين الأقصى والأدنى، وكانت مركز اتصال حضارى بعيد المدى بين الشرق الاسلامي.

لقطات منوعة من البندقية

مدينة البندقية الإيطالية. تأسست في القرن الخامس الميلادي على شواطئ الأدرياتيكي الشمالية، وأسسها بعض سكان أوروبا الفارين من غارات الهون أثناء اكتساحهم لوسط القارة الأوربية وشمال شرقي إيطاليا. وأصبحت مدينة البندقية في القرن الحادي عشر الميلادي تتكون من سبع عشرة ومئة جزيرة تربط بعضها ببعض الجسور والقناطر، وأصبح لها أسطول تجاري وحربي ضخم؛ وكما اهتمت جنوة بتجارة غربي البحر المتوسط، كذلك اهتمت البندقية بالتجارة الشرقية، تشاركها في هذا جنوة وبيزا. وكان للبندقية مدرستها الفنية الممتازة في الرسم والتصوير الخاصة بها.

وبدت جمهورية البندقية منذ القرن الحادي عشر الميلادي جمهورية أرستقراطية تركزت السلطة والحكومة فيها في يد فئة من السكان حرصت على المحافظة على حقوقها، حيث تميزت البنية السكانية بنمو الطبقة الوسطى البرجوازية على عكس ما كانت عليه البنية السكانية في معظم أوروبا التي خضعت للنمط الإقطاعي، بل إن هذه المدينة احتفظت بدستورها الجمهوري قرابة سبعمائة عام تقريباً .



قارب يمخر عباب أزقة البندقية المائية

صبَّت هذه الحادثة في مصلحة العثمانيين، لأن البابا الجديد بولس الثاني قد تحول عن محاربة العثمانيين إلى محاربة ملك بوهيميا جورج البوديبرادي لحمايته الهراطقة أتباع هوس، فاضطرت البندقية عندئذ إلى تحمُّل عبء الحرب على الجبهة الغربية بمفردها.

كان الفاتح معنيًا، بشكل خاص، بتدمير القدرة السياسية والعسكرية لجمهورية البندقية، فهاجم جزيرة أكريبوز الواقعة في الناحية الغربية لبحر الأرخبيل، وهي مركز مستعمراتها في البحر الأبيض المتوسط، ودخلها سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠م، ودخلت جيوشه تساليا وآتيكا وغيرها من الجزر **ووصلت إلى إمارة رمضان**، فحقَّق بذلك سيطرة تامة على سواحل البحر الأبيض المتوسط، **وأضحت الشواطئ الإيطالية مفتوحة أمامه.**

كانت خسارة البندقية بأكريبوز جسيمة، لكنها حاولت استردادها بالقوة، ولما فشلت في ذلك حاولت استردادها بالمال، لكن السلطان رفض ردَّها إليها بأي ثمن.

والواقع أن البندقية لم تركن إلى الهدوء، بعد الضربة التي تلقَّتها في أكريبوز، فأجرت مباحثات دبلوماسية مع القوى الأوروبية لتشكيل جبهة أخرى ضد العثمانيين، ونسَّقت في الوقت نفسه مع أوزون حسن للقيام بحملة مشتركة وفتح جبهتين معًا، جبهة في الشرق وأخرى في الغرب.

وفعلاً، تمركز أسطول بندقي في سنة ٨٧٨ هـ/١٤٧٣م في ميناء لارنكا، وأخذ يقصف القلاع التركية المنتشرة في البحر الأبيض المتوسط، إلاّ أنه لم يتمكّن من إحراز أي نصر، فانسحب من المنطقة.

وتحرك أوزون حسن، في الوقت نفسه، من قلعة **خرتبرت في ديار بكر إلى أرزنجان**، وهو يعلم أن اللقاء سيكون رهيبًا وفاصلاً، وأرسل في غضون ذلك إلى ملك البندقية وإمبراطور ألمانيا وملك المجر يعلمهم بخروجه ويحثهم عى الزحف باتجاه الأراضي العثمانية.

ولما علم السلطان العثماني بتحرك أوزون حسن خرج إلى سيواس للتصدي له، والتقى الجمعان في مرتفعات أوتلق بلي، على بُعد أربعين كلم شمالي شرقي أرزنجان في ١٧ ربيع الأول / ١٢ آب، **ودارت بينهما معركة قاسية دامت ساعات عدة وأسفرت عن انتصار واضح للعثمانيين**، واضطر أوزون حسن إلى الفرار.

نتيجة لهذه المعركة، أعاد السلطان سيطرته على طرابزون وإمارة القرمان، بعد أن سيطر عليهما أوزون لمدة وجيزة. ولكن هذا الأخير لم يفقد في هذه المعركة، أراضٍ ذات قيمة، وإن كانت هزيمته بعيدة الأثر من الوجهة المعنوية، وقد كتب إلى البندقية أنه سيعاود الهجوم، ولكنه شُغِل بإخماد الفتنة التي أشعلها

Tana (Azov)
Maurocastro
Caffa
Crimea sec. XIII-XIV
MAR NERO
Sinope
Trebisonda
Costantinopoli (أستانبول)
IMPERO OTTOMANO (inizi Sec. XVI)
Friuli
Lombardia
Milano
Genova
VENEZIA
Istria
Ravenna
Firenze
Romagna
Zara
Dalmazia
Corsica
Roma
ADRIATICO
Albania Durazzo
Napoli
Porti pugliesi
Sardegna
Tessalonica
Tenedo
Corfù (1386)
Negroponte (1204-1470)
verso le Fiandre
Sicilia
IONIO
Isole Ionie
Atene
Morea (1685-1715)
EGEO
Tunisi
Malta
Arcipelago (1204-1714)
Rodi
Antiochia
Laodicea
Candia (1204-1669)
Cipro (1489-1571)
Tripoli
LEVANTE
Tiro
S. Giovanni d'Acri
Tripoli
Alessandria
EGITTO

توسع مملكة البندقية (فينيسيا) البحرية

■	Venezia e il Dogado
■	Territori ad inizio Sec. XV
■	Acquisti successivi
■	Acquisti temporanei
□	Tratto di mare dominato dalle flotte venete ad inizio Secolo XVI
▬	Principali rotte veneziane
■	Grandi empori e colonie commerciali



قلعة نافبليون التابعة لحكومة البندقية في بلاد اليونان وهي واحدة من الحصون العديدة التي أمَّنت للبندقية طرق التجارة في شرقي البحر الأبيض المتوسط.

ضــده كل مــن ابنــه وأوغورلي محمد سنة ٨٨٠ هـ / ١٤٧٥م، وابن أخيــه أويس، كما عانت بلاده من عدو خطــر هو المرض، إذ فتك طاعــون شديد بعدد كبير من عساكره، فاضمحلَّــت قوته وتلاشت. وسرعان ما تبين **للبنادقة خطأ اعتمادِهم على أوزون حسن.**

والتفت السلطان محمد الفاتح، بعد انتصاره على الأمير التركماني، نحو الجبهة الغربية، فاجتــازت جيوشه نهر الدانوب وأغــارت على الأراضي المجرية، وقام العثمانيون في الوقت نفســه بحمــلات ناجحــة ضــد ممتلكات البندقية فــي الشمــال الغربــي وبخاصــة ألبانيا، فهاجمــوا إشقــودرة، وأستولــوا على الفريول الواقــع إلى الشمال من الخليــج في رأس بحر الأدرياتيكــي، وخرَّبــوا سهل البندقية والجانــب الشرقي لإيطاليا ودخلــوا النمسا وفتحوا زغرب الكرواتية (انظر خريطة كرواتيا).

واضطرت البندقية، تحت ضغط الأحداث العسكرية التي أرهقتها من جهة، ووفاة حليفها السابق أوزون حسن سنة ٨٨٣ هـ/١٤٧٨م، ومن جهة أخرى إلى الدخول في مفاوضات مع الدولة العثمانية الصعبة في **معاهــدة أستنبــول**، وانسحبت من الحرب في ٢ ذي القعــدة ٨٨٣ / ٢٥ كانون الثاني ١٤٧٩م. وتضمَّنت **شروط الصلح ما يلي:**

- تدفع **البندقية غرامة حربية** مقدارها مائة ألف دوكا.
- تدفع البندقية جزية سنوية قدرها عشرة آلاف دوكا.
- تنسحب البندقية من مدينة كرويا عاصمة إسكندر بك، وتعيد إلى العثمانيين جزيرة ليمونس وجزءًا مــن المــورة وجميع الأماكن التي استولت عليهــا منذ بداية الحرب، كما تتخلَّى عــن آرغوس وكامل ألبانيا، باستثناء بضع مواقع على الساحل.
- يمنح السلطان العثماني البنادقة حرية التجارة في جميع أرجاء الدولة العثمانية، ويوافق على تعيين قنصل لهم فــي أستنبول يُشرف على شؤونهم وينظر في قضاياهم المدنية.

وتمكَّن السلطان من فتح إشقودرة صلحًا، في وقت لاحق، مقابل بعض الامتيازات التجارية.

وبهذا الصلح تكون الدولة العثمانية قد سيطرت على ألبانيا والمورة. د. طقوش، المرجع السابق، ص ١٢٢ - ١٢٧.



تقع **كرواتيا** في أوروبا الوسطى وجنوب شرقي أوروبا، تجاور هنغاريا الواقعة باتجاه الشمال الشرقي، وصربيا إلى الشرق، والبوسنة والهرسك إلى الجنوب الشرقي، والجبل الأسود إلى الجنوب الشرقي، والبحر الأدرياتيكي إلى الجنوب الغربي وسلوفينيا إلى الشمال الغربي. تقع في معظمها بين خطي عرض ٤٢° و ٤٧° شمالاً وخطي طول ١٣° و ٢٠° شرقاً. وفي أقصى جنوب كرواتيا تقع دوبروفنيك وهي عبارة عن جيب داخلي معزول عن بقية أراضي كرواتيا خلال منطقة نيوم الساحلية البوسنية لكنه يتصل عن طريق المياه الإقليمية

فتح بلاد القـــــرم[1]

كانت **بلاد روسيا الشرقية وشبه جزيرة القرم، والأراضي الواقعة شمالي البحر الأسود يحكمها، منذ أيام جنكيزخان، أمراء من المغول الذين اعتنقوا الدين الإسلامي قبل أن يغزو تيمورلنك المنطقة**، ثم دبَّ الوهن في جسد هذه البلاد بفعل الصراع الداخلي على السلطة والحروب المتواصلة ضد الروس، فانتهز **الجنويون** هذه الفرصة واستولوا على ثغورها، آزوف وكفَّة ومنكب وغيرها، واتخذوها محطات تجارية في ظل **تراجع نفوذ البنادقة**، وأضحى جميع ساحل القرم الجنوبي عمليًا بيد التجار الجنويين ابتداء من سنة ٧٦٦ هـ/١٣٦٥م، فتبادلوا التجارة مع أوروبا، وصدَّروا إليها الحبوب والخيول والرصاص والأسماك، حيث جنوا الربح الوفير.

وما جرى من النمو المضطرد للدولة العثمانية في عهد محمد الفاتح وسيطرته على السواحل الجنوبية للبحر الأسود؛ دفعه إلى التمدد باتجاه الشمال للسيطرة على سواحله الشمالية بهدف:

- طرد الجنويين من مستعمراتهم، إذ إن بقاء قوة نصرانية فيها سيشكِّل مصدر تهديد دائم لدولته.
- السيطرة على التجارة الدولية بين القرم وأوروبا.
- تحويل الطرق التجارية إلى أستنبول لتمويلها بالغلال والحبوب والأخشاب.
- جعل البحر الأسود بحيرة عثمانية.

وساعدته الظروف السياسية في السيطرة على بلاد القرم. فقد شهدت هذه البلاد صراعًا داخليًا مريرًا بين **منكلي كراي خان وخصومه**، أمثال: نور دولت خان وكلدي خان، وتدخَّل الجنويين في هذا الصراع للمحافظة على مصالحهم التجارية، ما أثار وجهاء البلاد، فالتمسوا منه المساعدة، فعهد إلى الصدر الأعظم أحمد باشا القيام بتنفيذ هذه المهمة، وزوَّده بأسطول بحري، مؤلف من ثلاث مئة سفينة، رسا قبالة كفَّة، في ٢٥ محرم ٨٨٠ هـ/١ حزيران ١٤٧٥م، ثم استولى على هذا الميناء والموانئ والثغور الأخرى، مثل السوداك ومنكب وآزوف.

وبذلك يكون العثمانيون قد قضوا نهائيًا على الوجود الجنوي في القرم، وأضحت شواطئ هذه المنطقة تابعة للدولة العثمانية. ويُعد **فتح بلاد القرم من أهم فتوح السلطان محمد الثاني بعد القسطنطينية**، لما كان لهذه البلاد من وفرة الثروة والحصون المنيعة، ومن ثم سميت بـ (القسطنطينية الصغرى).

---

١ - د.محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص ١٢٨ - ١٣٠.



موقع **شبه جزيرة القرم** في جمهورية **أوكرانيا**

تقع **شبه جزيرة القرم** في جنوبي **جمهورية أوكرانيا**، وتمتد على شكل نتوء في البحر الأسود وبحر آزوف. وتشغل مساحة شبه الجزيرة ما يقدر بنحو ٢٧ ألف كم٢، ويبلغ عدد سكانها ٥٥, ٢مليون نسمة سنة ١٩٩١م. وتشكل القرم حاليًا جمهورية تتمتع باستقلال ذاتي تابعة لجمهورية أوكرانيا، وعاصمتها مدينة **سيمفروبول**.

وتتصل شبه الجزيرة بجزء من الشمال الغربي بمنطقة خيرسون الواقعة في جنوبي أوكرانيا، ويحيط بها البحر الأسود من الغرب والجنوب، وبحر آزوف من الشرق، حيث يفصل خليج كيرتش. وشبه جزيرة القرم عن كراسنودار الروسية. ويمتد خط الساحل لشبه جزيرة القرم نحو١٠٠٠كم، وتكثر فيه الخلجان، والأخوار وخاصة في الشمال والشرق. ممدوح الدبس: الموسوعة العربية، مج ١٥، ص ٢٣٦.

وافق خان على الخضوع للدولة العثمانية ودفع الجزية، ونص الاتفاق بين الطرفين على أن يعين السلطان أميرًا على البلاد يكون من نسل جنكيز خان، يُذكر اسمه في الخطبة بعد الخليفة والسلطان العثماني، كما يُسمح بطبع اسمه بعد اسم السلطان على قطع النقود التي يسكُّها الخان. وأسَّس العثمانيون لواء في كفَّة لا علاقة له بإمارة القرم، فاكتسب الحكم العثماني بذلك صفته القطعية في البحر الأسود، ودخل هذا البحر تحت السيادة العثمانية.

من تاريخ شبه جزيرة القرم

في العصور القديمة خضعت المناطق الساحلية من شبه جزيرة القرم للسيطرة اليونانية، وبعد ذلك وصلت إليها بعض الهجرات الأوربية من شمالي أوروبا، وفي العصر البيزنطي كانت معظم المناطق الساحلية منها خاضعة لبيزنطة واستمر ذلك حتى احتلها المغول في الثلاثينيات من القرن الثالث عشر الميلادي، وفي النصف الثاني في القرن الخامس عشر **دخلها العثمانيون فاتحين**. وبعد الحرب الروسية التركية (١٧٦٨-١٧٧٤م) أُجبرت تركيا على الاعتراف باستقلال شبه الجزيرة، ثم أخضعتها روسيا القيصرية لسيطرتها سنة ١٧٨٣م. وفي الحرب العالمية الأولى تناوبت على احتلالها القوات الفرنسية والألمانية، وكانت شبه جزيرة القرم أحد معاقل المعارضة للحكومة السوفيتية بعد الثورة البلشفية سنة ١٩١٧م. وفي سنة ١٩٢١م قضت القوات السوفيتية على هذه المعارضة. وأصبحت القرم جمهورية تتمتع بالحكم الذاتي ضمن الاتحاد السوفييتي (سابقًا).

وفي الحرب العالمية الثانية احتلت ألمانيا شبه الجزيرة في الفترة بين ١٩٤١-١٩٤٤م، وفي سنة ١٩٤٥م، تم تحريرها من الاحتلال الألماني، وأزيل وضعها كجمهورية تتمتع بالحكم الذاتي، وعادت جزءًا من أراضي جمهورية روسيا السوفيتية الاشتراكية.

وفي ١٩/٢/١٩٥٤م فصلت عن جمهورية روسيا وألحقت بأراضي **جمهورية أوكرانيا**. وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي في سنة ١٩٩١م، عدت القرم جمهورية تتمتع باستقلال ذاتي ضمن أراضي جمهورية أوكرانيا. وفي سنة ١٩٩٣م منحت أوكرانيا القرم استقلالاً سياسيًا واقتصاديًا. ممدوح الدبس: الموسوعة العربية، مج ١٥، ص ٣٣٦.

مؤلف ومصمم الأطلس على ساحل البحر الأسود الجنوبي المقابل لشبه جزيرة القرم الأوكرانية

تُقَسَّم شبه جزيرة القرم تبعًا لمظاهر السطح فيها إلى قسمين: الشمالي والأوسط، وتشغله سهول مموجة تتمثل بسهول القرم الشمالية والوسطى، وسهل آلمينسكي، وسهل تاراخوسكايا الذي يرتفع إلى ١٧٩م، والقسم الثاني هو القسم الجنوبي الجبلي حيث تمتد هنا جبال القرم التي تتألف من ثلاث سلاسل جبلية متوازية أعلاها السلسلة الرئيسة التي ترتفع حتى ١٥٤٥م في جبل رومان كوش. ولسيادة التكوينات الكلسية في هذه الجبال تسود هنا التضاريس الكارستية.



فتح جنوبي إيطاليا - حصار رودس [1]

بعد عقد الصلح مع البنادقة، حاول السلطان محمد الفاتح **فتح ترانسلفانيا**، الخاضعة للسيطرة المجرية، إلاّ أنه فشل في ذلك، فاتجه نحو **جزر اليونان**، الواقعة بين اليونان وإيطاليا، في محاولة منه للسيطرة عليها والتمدُّد نحو إيطاليا، وتمكَّن في سنة ٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠م من فتح زنطا وكورفو وسان موري وكفالونيا، فأضحى الطريق إلى جنوبي إيطاليا مفتوحًا أمامه.

والواقع أن فتح هذه البلاد كان الهدف الحقيقي لسلاطين آل عثمان منذ أن وضعوا أقدامهم في أوروبا الشرقية، **وتهيأت الظروف التي أدت إلى زحف العثمانيين باتجاه إيطاليا** في عهد السلطان محمد الفاتح. فقد استتب السلام على جميع الحدود الشرقية للدولة، وأضحى في مقدور قادتها توجيه قواهم نحو الغرب من جهة، ومن جهة أخرى، لم تحترم نابولي معاهدة التحالف المبرمة بينها وبين الفاتح، إذ أرسلت بعض سفنها **لمساعدة رودس** أثناء حصار العثمانيين للجزيرة، يضاف إلى ذلك فقد كانت إيطاليا مقطعة الأوصال، بفعل الصراعات الداخلية بين دولها.

استغل الفاتح هذه الظروف وأرسل جيشًا بقيادة الوزير أحمد باشا، نزل أفراده، في ٢٠ جمادى الأولى / ٢٨ تموز، في أوترانتو وفتحوها في ٤ جمادى الآخرة / ١١ آب، ثم راحوا يشنون الغارات على المواقع الداخلية.

وأرسل السلطان، في الوقت نفسه، أسطولاً بحريًا آخر **بقيادة مسيح باشا لفتح جزيرة رودس**، وكانت مركزًا لفرسان القديس يوحنا، والمعروف أن هذه الجزيرة المحصَّنة والمنيعة تقع على بعد أميال من آسيا الصغرى، وتُشكِّل تهديدًا خطيرًا للدولة العثمانية.

رسا **الأسطول العثماني** في خليج تريإندا في الشمال الغربي من الجزيرة، وتمكَّن جنوده من النزول إلى البر، واستولوا على المرتفعات المطلَّة على الشاطئ، ثم راحت القوات العثمانية تُطلق مدفعيتها على قلعة القديس نيقولا التي كانت تتحكَّم بمدخل الميناء وتُعدُّ مفتاح المدينة. أعقب ذلك قيام هذه القوات بهجمات عدة على القلعة باءت كلها بالفشل، حيث جوبهت بمقاومة مستميتة من قِبل سكان الجزيرة الذين تمكَّنوا من إحباط جميع المحاولات العثمانية لاقتحامها، واضطر مسيح باشا أخيرًا إلى العودة إلى أستنبول يجر ذيول الخيبة، وكان جزاؤه أن عزله السلطان من منصبه وأبعده إلى غاليبولي.

---

١ - د.محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص ١٣٠ - ١٣١.


إيطاليا
عاصمة الدولة
العاصمة الإقليمية
عاصمة المحافظة
مدينة ثانوية
طريق رئيس
سكة حديدية
الحدود الإدارية
الحدود الدولية
الخريطة
سويسرا
النمسا
سلوفاكيا
كرواتيا
فرنسا
موناكو
البوسنة والهرسك
صربيا
بحر الأدرياتيك
البحر الليغوري
البحر التيراني
البحر المتوسط
البحر الأيوني
كورسيكا
ساردينيا
صقلية
مالطا
فاليتا
تونس
الجزائر
روما
بولزانو
ترنتو
بلونو
أودينه
بوردينون
غوريتسيا
تريستا
أوستا
فاريزه
كومه
سوندريو
بيرغامو
نوفارا
ميلانو
بريشيا
فيرونا
فيتكينزا
تريفيزا
البندقية
خليج البندقية
بادوه
روفيغو
فيركيل
تورينو
استي
بافي
كريمونا
مانتوه
بليزانس
الكساندرا
كونيو
بارما
ريجيو نيل إيميليا
مودين
فيرارا
جنوى
سافونيا
بولونيا
رافينا
لاسبيزا
ماسا
فورلي
ريميني
إيمبيريا
فيسولا
فياريجيو
بيزا
ليفورنو
فلورنسا
سان مارينو
بيزارو
أنكونا
اريدزو
سين
بيرودجيا
ماتشيراتا
اسكولي بيتشينو
عروسيتو
جبال ألبا
ترني
تيراموا
بيسكارا
فيتربو
ريتي
اكويلا
سيت
فرودجينونا
كامبوباسو
فوجا
لاتينا
باليتا
باري
كاشيرتا
بينيفينتو
افيلينو
نابولي
كابري
ساليرنو
ماتيرا
بوتانزا
تارانتو
بريندزي
ليتشي
أوترانت
خليج تارانتو
أولبيا
ساساري
نيورو
أوريستانو
كاغلياري
كوسنزا
كاتانزارو
ميسينا
ريجيو دي كالابريا
باليرمو
تراباني
سيغيستا
إنا
كالتانيستا
كاتانيا
أغريجنتو
سيراكوزا
راغوزا
بانتيلاريا

وانتـاب الخوف أمراء إيطاليا، واستحوذ الرعب على البابا سكستس الرابع نتيجة الهجمات العثمانية علـى **إيطاليـا ورودس، ولاح لـه أن رومـا ستسقـط فـي أيـدي العثمانيـين كمـا سقطـت القسطنطينية، فدعا أمراء إيطاليا وأوروبا إلى التهادن وتناسي الأحقاد، فهادن أعداءه الفلورنسيين وصالحهم.**

والواقع أنه لم يوقف العثمانيون عن إيطاليا سوى وفاة السلطان محمد الفاتح - رحمه الله - فـي ٤ ربيـع الأول ٨٨٦ هـ/ ٣ أيار ١٤٨١م، وتوقف المدّ العثماني باتجاه أوروبا عن السير مدة من الزمن.



كاتدرائية القديس يوحنا اللاتراني، (كاتدرائية روما)

رودس : هي جزيرة يونانية. تقع بالقرب مـن الساحل الجنوبي لتركيا، فـي منتصف المسافة بين جـزر اليونان الرئيسة وقبرص. وهي من أبعد الجزر الشرقية بالنسبة لليونان وبحر إيجة. تبعد عن غربي تركيا بحوالي ١٨ كم. في سنة ٢٠٠١م بلغ عدد سكانها ١١٧,٧٩٢ نسمة، منهم ٥٥ إلى ٦٠ ألف يعيشون في مدينة رودس. يقدر عدد المسلمين ب ٣٥٠٠ مسلم.

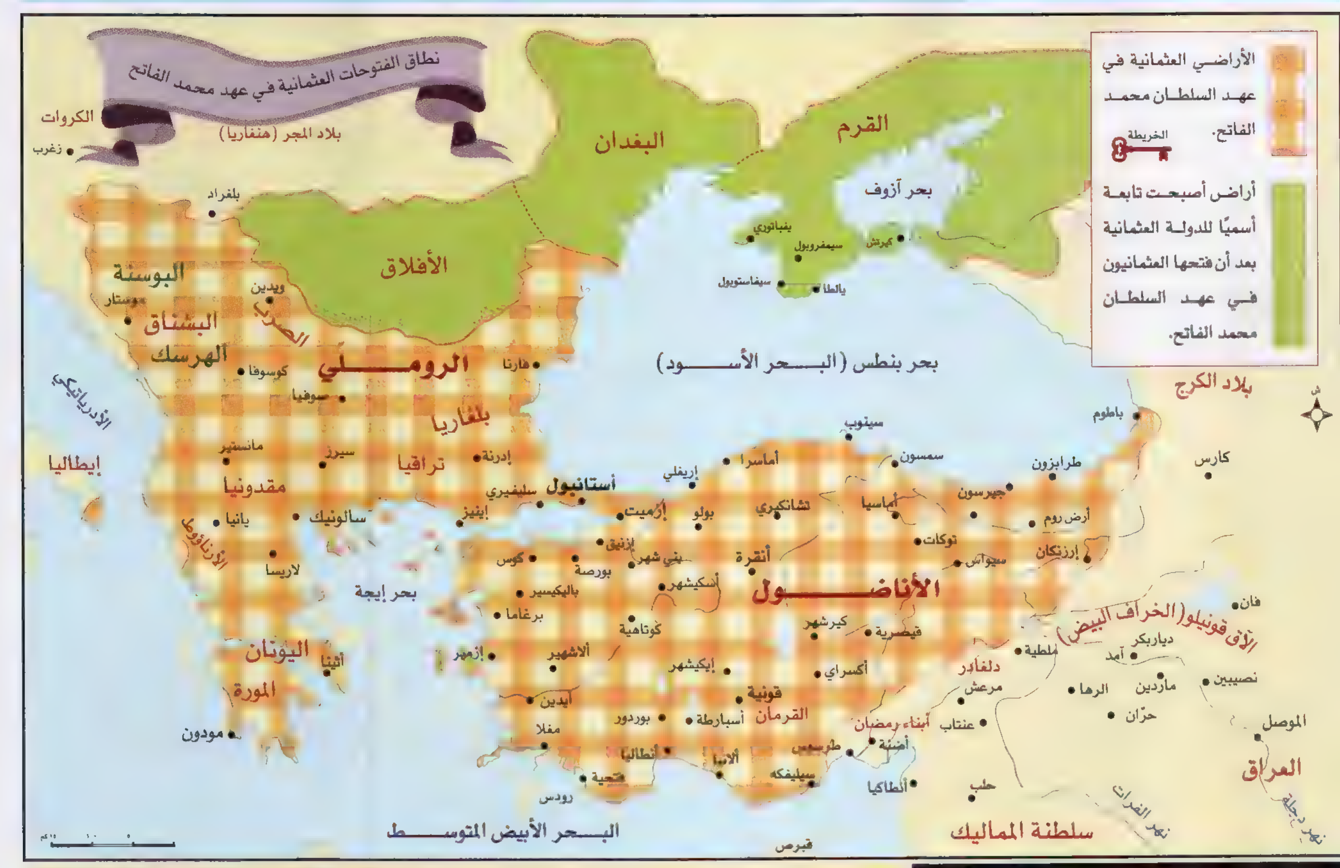


قـال ابـن كثير عن فتح رودس: "ثم دخلت سنة ثلاث - أي ٥٣ هـ - وفيها افتتح المسلمون -وعليهم جنادة بن أبي أمية- جزيرة رودس، فأقام بها طائفة من المسلمين كانوا أشد شيء علـى الكفـار، يعترضون لهم فـي البحر ويقطعـون سبيلهم، وكان معاوية يدر عليهـم الأرزاق والأعطيات الجزيلة، وكانوا علـى حذر شديد من الفرنج، يبيتـون في حصن عظيم عنده فيـه حوائجهم ودوابهم وحواصلهم، ولهم نواطير على البحر ينذرونهـم إن قدم عدو أو كادهـم أحد، وما زالوا كذلك حتى كانـت إمـرة يزيد بـن معاوية بعـد أبيـه، فحوّلهـم من تلك الجزيـرة، وقد كانـت للمسلمين بهـا أموال كثـيرة وزراعات غزيرة". يقـول البلاذري عن جنادة بن أبـي أمية: "وجنادة أحـد من روي عنـه الحديث، ولقـي أبا بكر وعمـر ومعاذ بن جبل، ومات في سنة ثمانين".

جزيرة رودس اليونانية من الفضاء الخارجي



خريطة عثمانية عليها أهم البلاد المفتوحة في الشرق الأوروبي في العهد العثماني



حارب السلطان محمد الفاتح بلاد البوسنة لامتناع أميرها "أستيفان توماسفيتش" عن دفع الخراج، وأسره بعد معركة حاسمة هو وولده وأمر بقتلهما، فدانت له جميع بلاد البشناق. وأرسل فرمانًا إلى الفرنسيسكان من سكان تلك البلاد يُطمئنهم بعدم تعرّض أي منهم للاضطهاد بسبب معتقداتهم الدينية، فقال:

"أنا السلطان محمد خان الفاتح، أعلن للعالم أجمع أن، أهل البوسنة الفرنسيسكان قد مُنحوا بموجب هذا الفرمان السلطاني حماية جلالتي. ونحن نأمر بأن:

لا يتعرض أحد لهؤلاء الناس ولا لكنائسهم وصلبهم ! وبأنهم سيعيشون بسلام في دولتي. وبأن أولئك الذين هجروا ديارهم منهم، سيحظون بالأمان والحرية. وسيُسمح لهم بالعودة إلى أديرتهم الواقعة ضمن حدود دولتنا العليّة.

لا أحد من دولتنا سواء كان نبيلًا، وزيرًا، عالم دين، أو من خدمنا سيتعرض لهم في شرفهم وفي أنفسهم !

لا أحد سوف يهدد، أو يتعرض لهؤلاء الناس في أنفسهم، ممتلكاتهم، وكنائسهم ! وسيحظى كل ما أحضروه معهم من متاع من بلادهم بنفس الحماية... وبإعلان هذا الفرمان، أقسم بالله العظيم الذي خلق الأرض في ستة أيام ورفع السماء بلا عمد، وبسيدنا محمد عبده ورسوله، وجميع الأنبياء والصالحين أجمعين، بأنه؛ لن نسمح بأن يُخالف أي من أفراد رعيتنا أمر هذا الفرمان !".

الفرمان الذي أرسله السلطان محمد الثاني إلى أهالي البوسنة الفرنسيسكان في سنة ١٤٦٢م

الإنجازات المدنية لمحمد الثاني (الفاتح) [1]

تساوت عبقرية السلطان محمد الفاتح في التنظيم المدني مع خبرته في الأعمال العسكرية، فإليه يُنسب تنظيم الأوضاع الحكومية، حيث وضع أنظمة جديدة سار عليها من جاء بعده، **فأطلق على الحكومة العثمانية اسم (الباب العالي)** وجعل لها أربعة أركان، هم الوزير وقاضي العسكر والدفتردار والنيشانجي، واستطاع، بالتعاون مع وزيره قرمنلي محمد باشا وكاتبه زادة محمد شلبي، من وضع الدستور المسمّى (فاتح قانون نامه سي) أي دستور فاتح، والذي بقيت مبادئه الأساسية سارية المفعول في الدولة العثمانية حتى سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م.

ونتيجة التوسع العثماني في أوروبا، وامتداد سلطة الدولة، أنشأ وظيفة قاضي عسكر الروملّي ووظيفة قاضي عسكر الأناضول، وحدَّد اختصاصهما بالتعيين في مناصب القضاء، باستثناء بعض الوظائف الخاصة التي اختص بها الوزير الأكبر، أي الصدر الأعظم.

ورتَّب الفاتح وظائف الجند، فعيَّن قائدًا خاصًا لجيش الإنكشارية، سماه آغا، كما عيَّن قائدًا آخر لسلاح المدفعية، وثالثًا مسؤولاً عن تموين الجيش.

أما أهم أعماله في الحقل المدني فهي: ترتيبه وظائف القضاء، ووضعه مبادئ القانون المدني وقانون العقوبات. فأبدل العقوبة العينية ووضع مكانها غرامات نقدية، كما عُني، بوجه خاص، برجال القضاء، فأغدق عليهم في الرزق لسدِّ سبل الإغراء والرشوة، وأحاط منصبهم بهالة مهيبة من الحرمة والجلالة والقداسة حرَّم مساسها من قِبَل الآخرين.

وبنى الفاتح مساجد عدة في أستنبول وغيرها من المدن، وأنشأ الكثير من المكاتب والمدارس التي أوقف عليها الأوقاف، ورتَّبها على درجات ومرحل، ووضع لها منهاجًا، وحدَّد العلوم والمواد التي تُدرَّس في كل مرحلة، وفرض الامتحانات، فلا ينتقل الطالب من مرحلة إلى مرحلة أخرى أعلى منها إلا بعد أدائه امتحان يُخوله ذلك، وأدخل في مناهج التعليم نظام التخصُّص. وكان من فرط شغفه بالعلم أنه كان يقضي الأوقات، التي يستجم فيها من ويلات الحروب، بأستنبول في عقد المجالس العلمية والأدبية والفلسفية، وأنشأ، إلى جانب المدارس، الخانات والمستشفيات والحمامات والأسواق والحدائق العامة، وأدخل المياه إلى المدينة بواسطة قناطر خاصة، وشجَّع على تشييد المباني وإنشاء الدكاكين.

---

١ - د.محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص ١٣١ - ١٣٤.



ضمن فعاليات الاحتفال بالذكرى الـ٥٥٩ لفتح القسطنطينية. افتتح مؤخرًا رئيس الوزراء التركي السيد/ رجب طيب أردوغان، مسجد السلطان العثماني(محمد الفاتح) بعد انتهاء عمليات ترميم استغرقت خمسة أعوام كاملة.

مسجد السلطان العثماني محمد الثاني (الفاتح) في أستنبول في أثناء مرحلة الترميم

لقد تساوى السلطان الفاتح في الثقافة والفتوح والفطنة السياسية، كما اتسم، بمفاوضاته مع أعدائه، بدهاء الشرق. وسُئل يومًا عن خططه فأجاب: (لو أن شعرة من لحيتي عرفت لانتزعتها وقذفت بها في النار).

كان الفاتح يُتقن خمس لغات هي العربية والفارسية والتركية واليونانية واللاتينية، وهو واسع الاطلاع في الآداب، بارعًا في الرياضيات والهندسة، اتجه إلى دراسة الفلسفة اليونانية والاطلاع على مذاهبها المختلفة، واهتم بوجه خاص بفلسفة أرسطو والرواقيين، واتَّخذ له في ذلك أساتذة من العلماء النابهين.

ورعى الفاتح الفنون الجميلة، كالشعر والتصوير والنقش، وأجرى معاشات على ثلاثين شاعرًا عثمانيًا، ولا غرو، فقد كان هو نفسه شاعرًا فكان يكتب أشعاره باسم (عوني)، ويُعدُّ أول شاعر سلطاني اتخذ لنفسه اسمًا مستعارًا.

وللفاتح ديوان باللغة التركية معظمه في الغزل، وبعث الهدايا الملكية إلى شعراء في فارس والهند، ونفَّذ كثيرًا من أعمال البر حتى أطلق عليه (أبو الأعمال الخيرية). إنه أراد أن يجعل من الآستانة أجمل عواصم العالم وحاضرة العلوم والفنون.

أهمية إنجازات محمد الثاني:

- قضى الفاتح على الكثير من العيوب التي كانت بمثابة شوكات في خاصرة الدولة.
- **وصلت حدود السلطنة العثمانية في عهده إلى مسافات بعيدة للغاية، في شرقي أوروبا، فضلاً عن سيادة اسمية في الأفلاق والبغدان والقرم.**
- واجهت السلطنة الدول المعادية التي أرادت صدّها عن البلقان ما حال بينها وبين نجاح مساعيها في وقف التيار العثماني الجارف. أدَّت المكانة الرفيعة، التي حصلت عليها الدولة العثمانية بعد سقوط القسطنطينية، والصدى المدوِّي في أوروبا لهذا الحدث، إلى أن تتخذ الدول الأوروبية سياسات معينة تجاه العثمانيين قائمة إما على العداوة أو الصداقة القائمة على المصلحة.
- تركَّزت جهود الفاتح على الجهاد الديني ضد النصارى في البلقان، وهي سياسة من سبقه من السلاطين.
- ارتبطت بتاريخ العثمانيين، صفة الجهاد الديني التي أعطتهم سمعة حسنة في العالم الإسلامي، فقد رحَّبت **القاهرة المملوكية** بهذا النصر، **وباركته مكة المكرمة**، ولكن بمرور الزمن، بدت هذه الدولة العثمانية قوة كبيرة تحسدها الدول الإسلامية الأخرى، وبخاصة دولة المماليك في مصر والشام.

اهتمامه بالعدل

إن إقامة العدل بين الناس كان من واجبات السلاطين العثمانيين، وكان السلطان محمد شأنه في ذلك - شأن من سلف من آبائه- شديد الحرص على إجراء العدالة في أجزاء دولته، ولكي يتأكد من هذا الأمر كان يرسل بين الحين والحين إلى بعض رجال الدين من النصارى بالتجوال والتطواف في أنحاء الدولة، ويمنحهم مرسومًا مكتوبًا يبين مهمتهم وسلطتهم المطلقة في التنقيب والتحري والاستقصاء لكي يطلعوا كيف تساس أمور الدولة وكيف يجري ميزان العدل بين الناس في المحاكم، وقد أعطى هؤلاء المبعوثين الحرية الكاملة في النقد وتسجيل ما يرون ثم يرفعون ذلك كله إلى السلطان.

كانت تقارير هؤلاء المبعوثين النصارى تشيد دائمًا بحسن سير المحاكم وإجراء العدل بالحق والدقة بين الناس دون محاباة أو تمييز، وكان السلطان الفاتح عند خروجه إلى الغزوات يتوقف في بعض الأقاليم وينصب خيامه ليجلس بنفسه للمظالم ويرفع إليه من شاء من الناس شكواه ومظلمته. اعتنى الفاتح بوجه خاص برجال القضاء الذين يتولون الحكم والفصل في أمور الناس، فلا يكفي في هؤلاء أن يكونوا من المتضلعين في الفقه والشريعة والاتصاف بالنزاهة والاستقامة وحسب بل لا بد إلى جانب ذلك أن يكونوا موضع محبة وتقدير بين الناس، وأن تتكفل الدولة بحوائجهم المادية حتى تسد طرق الإغراء والرشوة، فوسع لهم الفاتح في عيشهم كل التوسعة، وأحاط منصبهم بحالة مهيبة من الحرمة والقداسة والحماية. أما القاضي المرتشي فلم يكن له عند الفاتح من جزاء غير القتل.

كان السلطان الفاتح - برغم اشتغاله بالجهاد والغزوات - إلا أنه كان يتتبع كل ما يجري في أرجاء دولته بيقظة واهتمام، وأعانه على ذلك ما حباه الله من ذكاء قوي وبصيرة نفاذة وذاكرة حافظة وجسم قوي، وكان كثيرًا ما ينزل بالليل إلى الطرقات والدروب ليتعرف على أحوال الناس بنفسه ويستمع إلى شكواهم بنفسه، كما ساعده على معرفة أحوال الناس جهاز أمن الدولة الذي كان يجمع المعلومات والأخبار التي لها علاقة بالسلطنة وترفع إلى السلطان الذي كان يحرص على دوام المباشرة لأحوال الرعية، وتفقد أمورها والتماس الإحاطة بجوانب الخلل في أفرادها وجماعاتها. سالم الرشيدي، محمد الفاتح، مكتبة الإرشاد-جدة، ط ٣، ص ٤٠٩.

- يُلاحظ أن السلطان محمد الفاتح عُني بالقانون والتسريع إلى جانب الأعمال الحربية بوصفهما عاملين أساسيين في تسيير عجلة الدولة بانتظام. ومما لا شك فيه أن النظم التي وضعها لإدارة دولته ظلت سارية المفعول من بعده، وكانت من أسباب تقدم الدولة بحيث جعلتها أكبر دولة إسلامية وأعظمها في عهد سليمان القانوني.
- أثبتت الأعمال المعمارية الرائعة التي تمَّت في عهد الفاتح، أن هذا السلطان كان على مستوى عالٍ من التفكير الحضاري، **فتحويل كنيسة آيا صوفيا إلى مسجد على أسس معمارية إسلامية راقية**، وبناؤه العديد من المساجد التي عُدَّت تحفًا فنية معمارية، وإنشاؤه المدارس والمكتبات والحمامات والمستشفيات بكثرة لم تشهدها العاصمة، وقصره الرائع بها، **وقلعة الأبراج السبعة الرهيبة التي أضحت جزءًا من السجن السلطاني**، حيث كان يُسجن فيها السلاطين الذين يُخلعون على العرش ليقضوا فيها بقية حياتهم، وأحواض بناء السفن ودور الصناعة؛ كل هذا يدل على مقدرة تركية فذَّة للأخذ بالحضارات والاقتباس منها وإدخال التحسينات عليها.



المسكوكة الذهبية العثمانية: ضربت لأول مرة زمن السلطان محمد الثاني (الفاتح) سنة ٨٨٢ للهجرة، و أُطلِقَ عليها أسم "سلطاني".

أما هذه المسكوكة على وجه التحديد؛ فقد تم سكها سنة ٨٨٣ للهجرة المباركة.

المصدر منتدى العملات والطوابع العربي



سيف السلطان العثماني محمد الثاني (الفاتح) في قصر الباب العالي في أستنبول



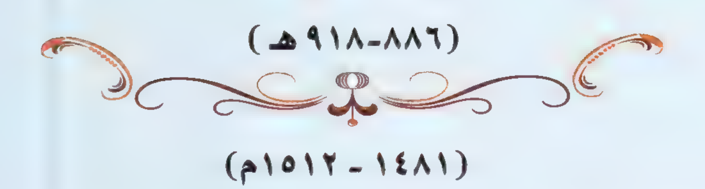
قبر السلطان العثماني محمد الثاني (الفاتح)

قال الأوروبيون حينما علموا بموته "لقد مات النسر الكبير".

دُفِن السلطان محمد الثاني (الفاتح) -رحمه الله- في المدفن المخصوص الذي أنشأه في مدينة أستنبول (الأستانة).



(٨٨٦-٩١٨ هـ)



(١٤٨١ - ١٥١٢م)



والده: السلطان محمد الفاتح

والدته: مكرمة خاتون

ولادته: سنة ٨٥١ هـ / ١٤٤٨م

وفاته: سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢م

مدة حكمه: من ٨٨٦ - ٩١٨ هـ / ١٤٨١ - ١٥١٢م

ورد في تقرير لسفير كريت أندري عن السلطان بايزيد الثاني مايلي: « كان بايزيد متوسط القامة، يميل لون بشرته إلى السمرة، وكان الحزن ملازمًا لملامح وجهه، وكان قليل الابتسام، متواضعًا في أكله، محبًا للصيد ومتدينًا، وكان يتصدق على الفقراء » . أما السفير البندقي سبندوني فقد كتب عنه ما يلي: « كان بايزيد يميل إلى الراحة والسكينة وخاصة قبل اعتلائه العرش ثم تحوّل إلى سلطان نشيط ومحنَّك » وأضاف بأنه: « كان يقدر كثيرًا العلم والعلماء، ويغدق عليهم العطاءات وكان يوفر لهم كل وسائل الراحة مما جعل أستنبول في عهده تستقطب العلماء والشعراء والفنانين » . ومن جهة أخرى، اهتم به والده محمد الفاتح فعهد به إلى أشهر علماء عصره، وبذلك تمكن بايزيد الثاني من جميع العلوم الإسلامية وأتقن اللغتين العربية والفارسية ودرس الرياضيات والفلسفة، كما كان خطاطًا وشاعرًا. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون، تعريب محمد جان، ص ٤٨.

الأعلام الذين عاصروه:

خواجه عبد الله الأحرار من شيوخ النقشبدية، إبراهيم التنوري القيصري، الشيخ عبد الله الألهي، عبدالله الجامي، الشيخ أبو الوفاء كستلي، الشيخ سيد أحمد النجاري، الشيخ نيازي (الحاج خليفة)، عبد الله أشرف الأزنيقي، المولى قاسم الأماصي المعروف بالخطيب، المولى سنان الدين يوسف، المولى قوام الدين قاسم الجمالي، المولى جعفر بن التاجي بك، علي بن ميمون المغربي الأندلسي.

أبناؤه:

عبدالله، شاهنشاه، عليم شاه، محمد، محمود، أحمد، قورقود، سليم الياووز.

بناته:

عيني شاه، كوهر ملوك سلطان، خديجة سلطان، سلجوق سلطان، هوما خاتون.

السلطان بايزيد الثاني كان السلطان محمد الفاتح قد أوصى بالحكم لابنه الصغير جمّ، غير أن بايزيد سبق أخاه إلى أستنبول فتسلّم مقاليد العرش، ولم يرض ذلك الأمير جم فدخل في حرب ضد أخيه وأتباعه، وانقسمت الدولة نتيجة ذلك بين الأخوين، إذ خضعت آسيا الصغرى للأمير جم بينما كانت الولايات الأوروبية موالية لبايزيد. وانتهى ذلك الصراع بانتصار بايزيد على أخيه في موقعة (أيكي شهر) يوليو ١٤٨١م.



صراع الأخوين بايزيد الثاني وأخيه جم (جمجمة)

ابتدأ عهد السلطان بايزيد الثاني بصراعه مع أخيه الأصغر «جم» (ويسميه بعض المؤرخين العرب جمجمة)، على وراثة العرش. وكان «جم» واليًا على **قرمان**، ومقره **قونية**. فسار جم إلى بورصة، ودخلها عنوة، واستولى على المناطق المجاورة، وخُطِب له فيها على المنابر، وعيَّن الوزراء والقادة، وضرب النقود باسمه، ثم أرسل إلى أخيه يعرض عليه الصلح، على أن تقسم السلطة بينهما، فيحكم جم ولايات آسيا، في حين يحكم بايزيد ولايات أوروبا. إلا أن بايزيد رفض هذا العرض وسيَّر جيشًا لملاقاة أخيه واستطاع أن يهزم أخاه في معركة «أيكيشهر» سنة ٨٨٦ هـ/١٤٨١م، وأن ينفرد بالعرش. ولجأ جم إلى سلطان المماليك في مصر قايتباي، ثم عاد ثانية إلى آسيا الصغرى، ليحارب أخاه، مؤيدًا من سلطان مصر. ولكنه هزم مرة أخرى، فأوى إلى **فرسان القديس يوحنا** في **جزيرة رودس** سنة ٨٨٧ هـ/١٤٨٢م. ونقله هؤلاء إلى فرنسا، وسُلِّم بعد ذلك إلى البابا، ثم استعاده ملك فرنسا. وغدا ورقة رابحة في أيدي أي تحالف أوروبي، يبغي النيل من الدولة العثمانية. وكان هذا مثار قلق شديد للسلطان بايزيد، عرقل متابعة فتوحاته في أوروبا بعض الوقت. ثم انتهت حياة «جم» بوفاته سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٥م.

سياسة بايزيد الثاني الخارجية

أولًا.. الجبهة الأوروبية [١]:

استمر **بايزيد الثاني** على نهج سياسة أبيه في محاولة التوسع في أوروبا الشرقية وتثبيت أقدام الدولة العثمانية فيها. وتمكن من **السيطرة الكاملة على الهرسك سنة ٨٨٩ هـ/ ١٤٨٤م**، وعلى عدد من الدوقيات النمساوية (٨٩٧- ٩٠٠هـ/١٤٩٢-١٤٩٥م)، واصطدمت الدولة مع هنغاريا (المجر)، ومع أن القوات العثمانية هزمت قرب **فيلاتش** Villach، فإنها نجحت في القضاء على القوى الكرواتية سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٣م، ووقعت هنغاريا معها هدنة لثلاث سنوات.

كما قامت الدولة العثمانية **بشن حملة على مولدافيا (البغدان)**، شمال غربي البحر الأسود، وكان السلطان نفسه على رأس تلك الحملة فاستولت على عدد من الحصون قوَّت قبضة العثمانيين على الطريق البرية المؤدية إلى شبه جزيرة القرم، التي كان خانُها التتري تابعًا للدولة العثمانية. وأثار هذا الأمر **بولندا**، إذ انتصبت الدولة العثمانية سدًا في وجه وصولها إلى البحر الأسود، فدخلت في حرب معها سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٧م، تبغي منها ضم مولدافيا إليها، إلا أن الدولة العثمانية صدتها، بل استولت على بعض مناطقها سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٥م، **وانتهت الحرب بعقد هدنة بين الطرفين سنة ٩٠٦ هـ/١٤٩٩م.**

ومن جهة ثانية خاضت الدولة العثمانية حروبًا مع **دولة البندقية** كانت هي الأخرى استمرارًا لحروب السلطان محمد الفاتح (الثاني).

فقد هَدَّدت الدولة العثمانية، بوجودها القوي في بحر إيجة وفي شبه جزيرة البلقان، المراكز التجارية للبندقية، على سواحل شبه جزيرة المورة Morea، وتجارتها في شرقي البحر المتوسط. ولذلك كان الصراع قويًا بين الطرفين، وتزايد، **حين فرضت البندقية سيادتها على قبرص سنة ٨٩٥ هـ/١٤٨٩م**. وانضم إلى البندقية في حربها، كل من البابا، وهنغاريا سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٩م.

ومما شجع بايزيد الثاني على خوض هذه الحرب باندفاع، **وفاة أخيه جم** وقوة الأسطول الجديد الذي أنشأه. **وانتهت الحرب بانتصار الدولة العثمانية، وتوقيع البندقية معها صلحًا سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م**، نزلت لها فيه عن موانئ ليبانتو Lepanto، وكورون Coron، و نفارين Navarino على سواحل المورة ودورازو Durazzo، في ألبانيا على ساحل الأدرياتيك.

---

١ - ليلى الصباغ، الموسوعة العربية، مج٤، ص ٦٩٩.

موقع جمهورية النمسا

انتصار
القوات المجرية على العثمانيين
في معركة فيلاتش.

انتصار
العثمانيين على الكروات سنة ٨٩٨ هـ/١٤٩٣م، وتوقيع هنغاريا هدنة مع العثمانيين لثلاث سنوات.

الطبيعة في مدينة فيلاخ النمساوية.

ثانيًا.. الجبهة الأسيوية :

(أ) حربه مع دولة المماليك [١] :

اصطدمت الدولة العثمانية، لأول مرة منذ نشأتها، مع دولة المماليك على حدودها الجنوبية. ويرجع ذلك إلى رغبة كل من الدولتين في فرض سيادتها على **منطقة كيليكية** على طول جبال طوروس، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إلى إيواء المماليك لـ «جم» أخي السلطان بايزيد، ومساعدتهم له في هجومه الثاني على أخيه، كما أشير سابقًا. وقد دامت هذه الحرب ست سنوات (٨٩٠-٨٩٦ هـ/١٤٨٥-١٤٩٠م) وكانت سجالاً، وقد هُزِم العثمانيون إبّانها في معارك عدة، وأهمها **معركة آغا جيري** Agha cayri **قرب أضنة سنة ٨٩٣ هـ/١٤٨٨م**. وانتهت بتوقيع صلح بين الطرفين، عادت بمقتضاه الحدود بينهما إلى ما كانت عليه. ١ - ليلى الصباغ، الموسوعة العربية، مج٤، ص ٦٩٩.

ومع تلك العلاقات العدائية بين الدولتين، فإن السلطان بايزيد الثاني قدّم للدولة المملوكية مساعدات حربية كبيرة، حينما تصدت للبرتغاليين الذين أخذوا يهاجمون البلاد العربية والإسلامية المطلة على البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي للسيطرة على الطرق التجارية البحرية العربية.

وحدثت في عام ٨٩٦ هـ / ١٤٩١م، اشتباكات على الحدود الجنوبية الشرقية لآسيا الصغرى مع القوات المملوكية، بفعل متاخمة أراضي الدولتين -كما هو معروف- عند أضنة وطرسوس، وذلك حين قرر السلطان **قايتباي** السيطرة على بلاد ذي القدر (دلغادر) ومدينة البستان (البلستين) التابعتين للدولة العثمانية، فاستقطب أمير ذي القدر وحرّضه على العثمانيين وتدخل **باي تونس** في هذه القضية في محاولة منه للتوسط بين الطرفين، ونجح في إقناعهما بترك الوضع على حاله كما كان قبل بداية الاحتكاك، **وهذه أول إشارة إلى احتكاك العثمانيين مع المماليك** مما سينعكس سلبًا في المستقبل على العلاقات بينهما [٢] . ٢ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ١٣٧ - ١٣٨.



جسر روماني حجري فوق نهر سيحان في مدينة أضنة التركية والتي وقعت على أثرها معركة آغا جيري بين العثمانيين والمماليك سنة ٨٩٣ هـ



الصراع العثماني المملوكي في عهد بايزيد الثاني

على الرغم من وقوع معارك متعددة بين العثمانيين والمماليك على الحدود الشامية إلا أنها لم تحتدم إلى حد التهديد بحدوث حرب شاملة بينهما، وإن كانت قد أسهمت في أن يخيم شعور بعدم الثقة بينهما؛ الأمر الذي أدى إلى تعثر مفاوضات الصلح سنة ٨٩٦ هـ/ ١٤٩١م، ومع أن السلطان المملوكي " **قايتباي** " قد ساورته مخاوف من احتمال قيام حرب واسعة بينه وبين العثمانيين سواء لإدراكه ما كان عليه العثمانيون من قوة أو لانشغال جزء مهم من قواته في مواجهة البرتغاليين، إلا أن السلطان العثماني " **بايزيد الثاني** " قد بدّد له هذه المخاوف حيث قام بإرسال رسول من قبله إلى السلطان المملوكي سنة٨٩٦ هـ/ ١٤٩١م ومعه مفاتيح القلاع التي استولى عليها العثمانيون على الحدود، وقد لقي هذا الأمر ترحيبًا لدى السلطان المملوكي، فقام بإطلاق سراح الأسرى العثمانيين، وأسهمت سياسة بايزيد السلمية في عقد صلح بين العثمانيين والمماليك في السنة نفسها (١٤٩١م) وظل هذ الصلح ساريًا حتى نهاية عهد السلطان بايزيد الثاني سنة ٩١٧ هـ/١٥١٢م، وأكد هذا الحدث على حرص **السلطان بايزيد الثاني** في سياسة السلام مع المسلمين[١].

---

١ - قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ص٦٦.

(ب) صراعه مع الدولة الصفوية:

ترك الغزو المغولي حالة من التشتت والفراغ في أجزاء متفرقة من العالم الإسلامي، **فنشأت الدولة الجلائرية سنة (١٣٣٩م)**، وضمت العراق والأحواز وديار بكر، ثم جاء غزو تيمورلنك سنة ٨٠٤ هـ/١٤٠٢م، فقضى عليها، ونشأت بعد تيمورلنك **دولة القره قوينلو سنة (١٤١١م)**، وأعقبها **دولة الآق قوينلو سنة (١٤٦٧م)**، وكلاهما قبائل تركمانية من أواسط آسيا، حتى انتهت الأخيرة على يد إسماعيل الصفوي سنة ٩١٣ هـ/١٥٠٨م[١].

أما اصطدام السلطان بايزيد الثاني **بالدولة الصفوية في إيران**، فقد اتخذ في الواقع صورة صراع مذهبي بين العثمانيين السُّنَّة والصفويين الشيعة، في سنة ٩١٧هـ/١٥١١م، حينما أثار أتباع الشاه إسماعيل الصفوي في جنوب غربي الأناضول، **ثورة شيعية قوية** على الحكم العثماني، **ونهب الثوار كوتاهية**، وتقدموا نحو **بورصة إلا أن الدولة العثمانية تصدت لهم وقضت على الثورة**، وقتل قائدها شاه قولي كما قتل أيضًا علي باشا قائد القوات العثمانية[٢].



١- سعد سعيد الديوه جي،جذور الصراع العثماني - الصفوي وأثره على العراق، مجلة الرائد الإلكترونية.

٢ - ليلى الصباغ، الموسوعة العربية، مج٤، ص ٦٩٩.


الوضع السياسي العام في عهد بايزيد الثاني
أستنبول
بحر بنطس (البحر الأسود)
طرابزون
أماسيا
أنقرة
الأناضول
سيواس
قيصرية
قونية
قرمان
ملاطية
إمارة دلغادر (ذي القادر)
مرعش
إمارة أبناء رمضان
طرسوس
أنطاكيا
حلب
الرقة
حماة
حمص
طرابلس
دمشق
بلاد الشام
القدس
مملكة قبرص
البحر العثماني (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
الإسكندرية
دمياط
إلى برقة الليبية
القاهرة
الريدانية
مصر
المنيا
الصعيد
السلطنة المملوكية
قوص
أسوان
النوبة
أبو سمبل
البلميون (البجه)
دنقله
سواكن
عيذاب
بحر القلزم (البحر الأحمر)
تبوك
المدينة النبوية
ينبع
الحجاز
الأشراف
جدة
مكة
السلطنة المملوكية
دومة الجندل
نجد
اليمامة
العرب
جزيرة
اليمن
صنعاء
صعدة
الدولة الطاهرية
حضرموت
بحر العرب
جزر دهلك
كرجستان
أرمينيا
أذربيجان
باكو
بحر قزوين (بحر الخزر)
تبريز
المراغة
الآق قوينلو (الخراف البيض)
بلاد الأكراد
ديار بكر
الرها
الموصل
سنجار
سلطانية
همذان
كرمنشاه
الدولة الصفوية
إيران
بغداد
الأنبار
الجلائريون
الحلة
الكوفة
العراق
الأحواز
البصرة
فارس
البحرين
الدولة الجبرية (١٤٨٣-١٥٢٤م)
القطيف
هجر
قطر
خليج البحرين (الخليج العربي)
السلطنة المملوكية
الدولة العثمانية
إمارة دلغادر (ذي القادر - دلقادر)
الآق قوينلو (الخراف البيض)
الدولة الصفوية
الدولة الطاهرية
ممالك نصرانية إفريقية
الدولة الجبرية (٧٨٥-٩٣٠هـ)

الدولة الصفوية في إيران: ٩٠٥-١١٤٨هـ/١٥٠١-١٧٢٢م

ولد صفي الدين الأردبيلي في أردبيل سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م، شمالي إيران من عائلة تركمانية ذات ثراء فاحش.

سلك صفي الدين طريق التصوف وكان شائعًا آنذاك، وادّعى النسب العلوي وكان قبل ذلك على المذهب السُّنّي وازداد اتباعه زيادة مضطردة.

خلف صفي الدين ابنه صدر الدين موسى سنة ٧٣٥ هـ/١٣٣٤م، وكانت له تطلعات سياسية واضحة مما أدى لنفيه من قبل السلطات المغولية بعد أن لاحظت بأنه جمع بجانب زعامة الطريقة الصفوية نظامًا للفتوة.

توفي صدر الدين سنة ٧٩٤ هـ/١٣٩٢م، وخلفه ابنه علاء الدين سياه بوش، وكان على علاقة جيدة مع تيمورلنك فاستغل ذلك ومد طريقته إلى العراق، ويقال: أنه تعاون مع تيمورلنك في غزواته، وكان يرسل له الجواسيس قبل قدوم قواته.

توفي علاء الدين سنة ٨٣٢ هـ/ ١٤٢٨م، وخلفه ابنه إبراهيم وبعد إبراهيم جاء **جنيد** فأحيا حركة الفتوة في طموح سياسي واضح، وبعدما شاهد القوى التركية (العثمانية) تتجه غربًا، والقبائل التركمانية تتطاحن فيما بينها، **وعلى يد الجنيد كان التحول من المذهب السُّنّي إلى التشيع**. وقد توفي سنة ٨٦٠هـ / ١٤٥٦م، مخلفًا ابنه **حيدر** الذي جاهر بالتشيع من خلال حركة "القزلباش – ذوي الأغطية الحمراء".

برزت الحركة وأسفرت عن وجهها السياسي حين أعلن إسماعيل بن حيدر الصفوي نفسه شاهًا على إيران سنة ٩٠٥ هـ /١٥٠١م، ثم دخل بغداد سنة ٩١٤ هـ/١٥٠٨م، وكانت عاصمته تبريز.

ادّعى إسماعيل أنه ملهم "معصوم"، وأن أوامره من الإمام المنتظر، وبهذا يكون قد أعلن عن نفسه نائبًا وبابًا للمهدي، مما أتاح له إدخال الغلو في كل شيء لاستغلاله سياسيًا.

أسس الشيخ صفي الدين الأردبيلي (١٢٥٢-١٣٣٤م) طريقته الصوفية في أردبيل (أذربيجان) سنة ١٣٠٠م.

أصبحت أردبيل عاصمة دينية ثم سياسية لأتباعه (مع تحولها إلى حركة سياسية). تحول أبناء هذه الطائفة منذ منتصف القرن ١٥م إلى المذهب الشيعي. نجح الصفويون في الوصول إلى الحكم (على بعض المناطق) في أثناء زعامة جنيد (١٤٤٧-١٤٥٠م) ثم حيدر (١٤٦٠-١٤٨٨م)، الذين استطاعا إنشاء تنظيم سياسي وتكوين وحدات خاصة من الجيش، أوالقزلباش (القزل باش أو الرؤوس الحمراء نسبة إلى التاج أو العمامة الحمراء، التي يرتديها أتباع الطريقة الصفوية، وتربط العمامة باثنتي عشرة لفة تلميحًا للأئمة الاثنى عشر).

١- سعد سعيد الديوه جي، جذور الصراع العثماني – الصفوي وأثره على العراق، مجلة الرائد الإلكترونية.

الدولة الصفوية

خانات القرم
أستراخان
بحر آرال
خيوه
طراز (أترار)
سيحون
ماوراء النهر
خانات القبيلة الذهبية
بحر بنطس (الأسود)
جورجيا
تفليس
شماخة
بحر الخزر (قزوين)
باكو
أستانبول
العثمانيون
طرابزون
أنقرة
أرمينيا
بخارى
جيحون
قونية
تبريز
جرجان
الأكراد
مرو
بلخ
حلب
الموصل
نيسابور
الري
همذان
هراة
قبرص
الرقة
خراسان
غزنة
الشام
أصفهان
البحر الشامي (بحر الروم - البحر المتوسط)
دمشق
بغداد
الدولة الصفوية
بيت المقدس
المماليك
الإسكندرية
العراق
الكوفة
الأهواز
شيراز
القاهرة
فارس
كرمان
سجستان
مصر
خ. البحرين (العربي)
بندر عباس
المماليك
الجبريون
مكران
المدينة النبوية
نجد
البحرين
مسقط
خليج عمان
الأشراف
الحجاز
النوبة
بنونبهان
عمان
جزيرة العرب
مكة المكرمة
بحر القلزم (الأحمر)
سواكن
الأئمة الإباضية
٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ كم



سقوط الأندلس سنة ٨٩٧ هـ/ ١٤٩٢م وقيام محاكم التفتيش فيها

لم يبقَ في الأندلس بعد هزيمة المسلمين في موقعة العقاب من المدن الإسلامية سوى ولاية غرناطة وولاية إشبيلية، وكان حاكم غرناطة قد عقد معاهدة مع ملك قشتالة، وكان من نصوص المعاهدة أن يحارب مع ملك قشتالة أيًا كانت الدولة التي سيحاربها، ووصل الأمر إلى مساعدة ملك قشتالة في حصار إشبيلية، لتسقط هذه المدينة الإسلامية سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م. ثم سقوط مدن المسلمين الواحدة تلو الأخرى، حتى سقطت **قرطبة حاضرة الإسلام وعاصمة الخلافة**، وسقطت جيان قبل ذلك في سنة ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥م. ولم يبق في الأندلس **إلا ولايتان فقط كبيرتان نسبيًا**، الأولى هي **ولاية غرناطة**، وتقع في الجنوب الشرقي، وتمثل حوالي ١٥ ٪ من بلاد الأندلس، والثانية هي **ولاية إشبيلية**، وتقع في الجنوب الغربي، وتمثل حوالي ١٠ ٪ من أرض الأندلس. هاتان الولايتان هما اللتان بقيتا فقط من جملة بلاد الأندلس، وكان من العجيب كما ذكرنا أن يظل الإسلام في بلاد الأندلس بعد هذا الوضع وبعد سقوط قرطبة، وبعد هذا الانهيار الكبير لمدة تقرب من ٢٥٠ سنة، فكانت هذه علامات استفهام كبيرة[١].

سقوط مملكة غرناطة:

بعد أن سقطت إشبيلية نقض النصارى الهدنة مع غرناطة، واتجهوا ليحاصروها، ومن ثَم استعان الأندلسيون بيعقوب بن منصور الماريني وولده يوسف ليساعدوهم في الانتصار على النصارى، ولكن في أثناء مساعدتهم لهم يشعر الأندلسيون بالخوف على ملكهم منهم؛ فيستعينون بالنصارى ضدهم، ثم يحتلون سبتة في بلاد المغرب، وبذلك انقطعت مساعدات بلاد المغرب للأندلس إلى الأبد.

هذا في الوقت الذي يتزوج فيه فرناندو الثالث ملك أراجون من إيزابيلا وريثة عرش قشتالة، ثم اتحدوا معًا **وكونوا مملكة إسبانيا**، وكان ذلك في سنة ٨٧٩ هـ/ ١٤٧٤م، واستغل ملك إسبانيا أوضاع الأندلس واستطاع أن يدخلها صلحًا على أن لا يمس المسلمين، ولكن هذا لم يحدث، فما إن دخلوا الأندلس حتى هجَّروا من فيها من المسلمين، ونصَّروا من ظل بها، وأقاموا محاكم التفتيش للبحث عَمَّن يخفي إسلامه، وأبادوا من بها من المسلمين[٢].

١ - ٢.(د. علي الصلابي: دولة الموحدين نقلاً عن مصادر أخرى).

لم يكن سقوط غرناطة في يد النصارى حادثًا فجائيًا، بل جاء حصاد سنوات من الكيد الصليبي المنظم والغفلة والتخاذل من جانب حكام المسلمين في الأندلس، وكان سقوط غرناطة معناه سقوط دولة الإسلام في الأندلس الأمر الذي أسعد كل صليبي في مشارق الأرض ومغاربها، وأحزن كل المسلمين خاصة أهل المغرب ومصر التي حاولت التدخل أيام المماليك، ولكن دون جدوى خاصة لاضطراب شئونها الداخلية، وهكذا كان الصدى الأليم الذي أثارته حوادث الأندلس في الأمم الإسلامية ولكنه بدأ يخبو شيئًا ولم تمض أعوام قلائل حتى أسدل على تلك الفاجعة حجاب من النسيان ذلك برغم أن المأساة الأندلسية لم تذقه بسقوط غرناطة بل كان عليها أن تجوز فصولاً أخرى أشد فجيعة على كل مسلم قبل أن تصل إلى نهايتها.



سنوات الاحتلال الصليبي لبلاد الأندلس

عاصر **بايزيد الثاني سقوط غرناطة** بيد الإسبان سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م، وأجبرَ المسلمون فيها على التنصر. وكان ملك غرناطة العربي قد استنجد به، كما استغاث به المسلمون المنصّرون. ولكن الدولة العثمانية، لم تتمكن آنذاك على مايبدو من تقديم العون المطلوب، لانشغال السلطان بقضية أخيه «جم». إلا أن السلطان أوعز إلى غزاته في البحر المتوسط، أن ينقلوا عملياتهم الجهادية البحرية إلى غربي البحر المتوسط، واشتهر من هؤلاء «كمال ريس» الذي قام بمهاجمة سواحل إسبانية.

تستعمل كلمة استرداد Reconquista (وهي كلمة إسبانية وبرتغالية تعني "الاسترداد") في نطاق تاريخ إسبانيا والأندلس، **وهو مصطلح خاطئ**؛ لأن المسلمين دخلوها فاتحين بنور الهدي الرباني، بعد أن طهروا البلاد من ظلام الجهل والفساد و البغي والاستعباد، وهذه الحقبة تبدأ ما بين **سنة ٩٩ هـ/ ٧١٨م** تاريخ ثورة بيلايو، **وسنة ٨٩٧ هـ/ ١٤٩٢م** تاريخ سقوط مملكة غرناطة (إمارة بني الأحمر الإسلامية). وتختص هذه الفترة بتواجد ممالك نصرانية وإسلامية على شبه الجزيرة الإيبيرية.

بنود المعاهدة التي تمت بين ملك قشتالة وبين محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر

أولاً: أن يدفع ابن الأحمر الجزية إلى ملك قشتالة، وكانت مائة وخمسين ألف دينار من الذهب سنويًّا، وكان هذا تجسيدًا لحال الأمة الإسلامية، وتعبيرًا عن مدى التهاوي والسقوط الذريع بعد أفول نجم دولة الموحدين القوية المهابة، التي كانت قد فرضت سيطرتها على أطراف كثيرة من بلاد الأندلس وإفريقيا.

ثانيًا: أن يحضر بلاطه بوصفه أحد ولاته على البلاد، وفي هذا تكون غرناطة تابعة لقشتالة ضمنيًّا.

ثالثًا: أن يحكم غرناطة باسم ملك قشتالة علانية، وبهذا يكون ملك قشتالة قد أتم وضمن تبعية غرناطة له تماماً.

رابعًا: أن يسلّمه ما بقي من حصون جيّان- المدينة التي سقطت أخيرًا - وأرجونة وغرب الجزيرة الخضراء حتى طرف الغار، وحصون أخرى كثيرة تقع كلها في غرب غرناطة، وبذلك يكون ابن الأحمر قد سلم لفرناندو الثالث ملك قشتالة مواقع في غاية الأهمية تحيط بغرناطة نفسها.

خامسًا: وهو أمر في غاية الخطورة، وهو أن يساعده في حروبه ضد أعدائه إذا احتاج إلى ذلك، أي أن ابن الأحمر يشترك مع ملك قشتالة في حروب ملك قشتالة التي يخوضها أيًا كانت الدولة التي يحاربها.

محاكم التفتيش — مستند تاريخي

(هدفت إلى تنصير المسلمين بإشراف السلطات الكنسية، وبأشد وسائل العنف، ولم تكن العهود التي قطعت للمسلمين لتحول دون النزعة الصليبية، التي أسبغت على السياسة الإسبانية الغادرة ثوب الدين والورع، ولما رفض المسلمون عقائد النصارى ودينهم المنحرف وامتنعوا عنه وكافحوه، اعتبرهم نصارى الإسبان ثوارًا وعملاء لجهات خارجية في المغرب والقاهرة والقسطنطينية، وبدأ القتل فيهم وجاهد المسلمون ببسالة في غرناطة والبيازين والبشرات، فمزقوا بلا رأفة ولا شفقة ولا رحمة، وفي يوليو ١٥٠١م / ذي الحجة ٩٠٦ هـ، أصدر الملكان الكاثوليكيان أمرًا خلاصته "أنَّه لما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة، فإنه يحظر وجود المسلمين فيها، ويعاقب المخالفون بالموت أو مصادرة الأموال". (دولة الموحدين - الصلابي ، المرجع السابق).


P. R. 11-207

& 575

وثيقة تسليم غرناطة من قبل عبد الله الصغير لفيرناندو وايزابيلا سنة ٨٩٧ هـ/١٤٩٢م، ودخولهما قصر الحمراء

تطورت الأحداث في شبه الجزيرة الأيبيرية في مطلع العصور الحديثة، فأصبح اهتمام الأسبان ينحصر في توحيد أراضيهم، وانتزاع ماتبقى للمسلمين بها خصوصًا بعد ما خضعت لسلطة واحدة بعد زواج إيزابيلا ملكة قشتالة وفريدناند ملك أراغوان، فاندفعت الممالك الأسبانية المتحدة **قبيل سقوط غرناطة** في تصفية الوجود الإسلامي في كل أسبانيا، حتى يفرغوا أنفسهم ويركزوا اهتمامهم على المملكة الإسلامية الوحيدة غرناطة، التي كانت رمزًا للمملكة الإسلامية الذاهبة[١].

وفرضت أسبانيا أقسى الإجراءات التعسفية على المسلمين في محاولة لتنصيرهم وتضييق الخناق عليهم حتى يرحلوا عن شبه الجزيرة الأيبيرية.

نتيجة لذلك لجأ **المسلمون - الموريسكيون -** إلى القيام بثورات وانتفاضات في أغلب المدن الأسبانية التي يوجد بها أقلية مسلمة وخاصة غرناطة وبلنسية، وأخمدت تلك الثورات دون رحمة ولا شفقة من قبل السلطات الأسبانية، التي اتخذت وسيلة لتعميق الكره والحقد للمسلمين، ومن جهة أخرى كان من الطبيعي أن يرنوا الموريسكيون بأنظارهم إلى ملوك المسلمين في المشرق والمغرب لإنقاذهم، وتكررت دعوات وفودهم ورسائلهم إليهم للعمل على إنقاذهم مما يعانوه من ظلم، وخاصة من قبل رجال الكنيسة ودواوين التحقيق التي عاثت في الأرض فسادًا وأحلت لنفسها كل أنواع العقوبات وتسليطها عليهم[٢].

وكانت **أخبار الأندلس** قد وصلت إلى المشرق فارتج لها العالم الإسلامي. **وبعث الملك المملوكي الأشرف** بوفود إلى البابا وملوك النصرانية يذكرهم بأن النصارى الذين هم تحت حمايته يتمتعون بالحرية، في حين أن أبناء دينه في المدن الأسبانية يعانون أشد أنواع الظلم، وقد هدد باتباع سياسة التنكيل والقصاص تجاه رعايا المسيحيين، إذا لم يكف ملك قشتالة وأراغون عن هذا الاعتداء وترحيل المسلمين عن أراضيهم وعدم التعرض لهم ورد ما أخذ من أراضيهم. ولم يستجيب البابا والملكان الكاثوليكيان لهذا التهديد من قبل الملك الأشرف، ومارسوا خطتهم في تصفية الوجود الإسلامي في الأندلس، وجددت رسائل الاستنجاد لدى **السلطان العثماني بايزيد الثاني**، فوصلته هذه الرسالة: (.. الحضرة العلية، وصل الله سعادتها، وأعلى كلمتها، ومهد أقطارها، وأعز أنصارها، وأذل عداتها، حضرة مولانا وعمدة ديننا ودنيانا، السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، قامع أعداء الله الكافرين، كهف الإسلام، وناصر دين نبينا محمد ﷺ، محيي العدل، ومنصف المظلوم ممن ظلم، ملك العرب، والعجم، والترك والديلم، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، ملك البرين وسلطان البحرين، حامي الذمار، وقامع الكفار،

١- د. نبيل عبدالحي، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس، ص١٢٥.

٢- رسالة من مسلمي غرناطة للسلطان سليمان عبدالجليل التميمي، المجلة المغربية، العدد -٣، ص٣٨. نقلًا عن د. الصلاّبي ص ١٨٨.

مولانا وعمدتنا، وكهفنا وغيثنا، لا زال ملكه موفور الأنصار، مقرونًا بالانتصار، مخلد المآثر والآثار، مشهور المعالي والفخار، مستأثرًا من الحسنات بما يضاعف به الأجر الجزيل، في الدار الآخرة والثناء الجميل، والنصر في هذه الدار، ولا برحت عزماته العلية مختصة بفضائل الجهاد ومجرد على أعداء الدين من بأسها، ما يروي صدور السحر والصفاح، وألسنة السلاح بأذلة نفائس الذخائر في المواطن التي تألف فيها الأخاير مفارقة الأرواح للأجساد، سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا الله وطاعته يوم يقوم الأشهاد، وكانت ضمن الرسالة أبيات القصيدة يمدح صاحبها فيها الدولة العثمانية **والسلطان بايزيد الثاني**، ويدعو للدولة بدوام البقاء قائلاً:

سلام كريم دائم متجـــــــدد
أخص به مولاي خـــــير خليفة
سلام على مولاي ذي المجد والعلا
ومن ألبس الكفار ثوب المذلـــة
سلام على من وسع الله ملكه
وأيده بالنصـــــر في كل وجهة
سلام على مولاي من دار ملكه
قسطنطينية أكرم بها من مدينة
سلام على من زيَّن الله ملكه
بجند وأتراك من أهل الرعاية
سلام عليكم شرف الله قدركم
وزادكـــــم ملكاً على كل ملة
سلام على القاضي ومن كان مثله
من العلماء الأكـــرمين الأجلة
سلام على أهل الديانة والتقى
ومن كان ذا رأي من أهل المشورة
سلام عليكم من عبيد تخلفوا
بأندلس بالغرب في أرض غربة
أحاط بهم بحرٌ من الردم زاخر
وبحـــــرٌ عميق ذو ظـلام ولجة

سلام عليكم من عبيد أصابهم
مصاب عظيم يا لها من مصـــــيبة
سلام عليكم من شيوخ تمزقت
شيوخهم بالنتف من بعد عـــــزة
سلام عليكم من وجوه تكشفت
على جملة الأعلاج من بعدة ستـــرة
سلام عليكم من بنات عوائق
يســــوقهم اللباط قهرًا لخلـــوة
سلام عليكم من عجائز أكرهت
على أكل خنزيـــــر ولحـــم جيفة
نُقبِّل نحن الكل أرض بساطكم
وندعوا لكم بالخير في كل ساعة
أدام الإله ملككم وحـــياتكم
وعافاكم من كل ســـوءٍ ومحنة
وأيدكم بالنصر والظفر بالعدا
وأســـكنكم دار الرضا والكرامة
شكونا لكم مولاي ما قد أصابنا
من الضر والبلوى وعظم الـرزية
غدرنا ونُصِّرنا وبـــدل ديننا
ظلمـــــنا وعوملنا بكل قبيحة

وكنا على دين النبي محمد
نُقاتل عُمَّال الصليب بنية
وتلقي أمورًا في الجهاد عظيمة
بقتل وأسر ثم جوع وقلة
فجاءت علينا الروم من كل جانب
بسيل عظيم جملة بعد جملة
ومالوا علينا كالجراد بجمعهم
بجد وعزم من خيول وعدة
فكنا بطول الدهر نلقي جموعهم
فنقتل فيها فرقة بعد فرقة
وفرسانها تزداد في كل ساعة
وفرساننا في حال نقص وقلة
فلما ضعفنا خيموا في بلادنا
ومالوا علينا بلدة بعد بلدة
وجاؤوا بأنفاظ عظام كثيرة
تهدم أسوار البلاد المنيعة
وشدوا عليها الحصار بقوة
شهورًا وأيامًا بجد وعزمة
فلما تفانت خيلنا ورجالنا
ولم نر من إخواننا من إغاثة
وقلت لنا الأقوات واشتد حالنا
أحطناهم بالكره خوف الفضيحة
وخوفًا على أبنائنا وبناتنا
من أن يؤسروا أو يقتلوا شر قتلة
على أن نكون مثل من كان قبلنا
من الدجن من أهل البلاد القديمة
ونبقى على أذاننا وصلاتنا
ولانتركن شيئًا من أمر الشريعة
ومن شاء منا الجر جاز مؤمنًا
بما شاء من مال إلى أرض عدوة
إلى غير ذلك من شروط كثيرة
تزيد على الخمسين شرطًا بخمسة
فقال لنا سلطانهم وكبيرهم
لكم ماشرطتم كاملًا بالزيادة
فكونوا على أموالكم ودياركم
كما كنتم من قبل دون أذية
فلما دخلنا تحت عقد ذمامهم
بدا غدرهم فينا بنقص العزيمة
وخان عهودًا كان قد غرنا بها
ونصَّرنا كرهًا بعنف وسطوة
وأحرق ما كانت لنا من مصاحف
وخلطها بالزبل أو بالنجاسة
وكل كتاب كان في أمر ديننا
ففي النار ألقوه بهزءة وحقرة
ولم يتركوا فيها كتابًا لمسلم
ولا مصحفًا يخلى به للقراءة
ومن صام أو صلى يعلم حاله
ففي النار يلقوه كل حالة
ومن لم يجئ منا لموضع كفرهم
يعاقبه اللباط شر العقوبة
ويلطم خديه ويأخذ ماله
ويجعله في السجن في سوء حالة
وفي رمضان يفسدون صيامنا
بأكل وشرب مرة بعد مرة
وقد أمرونا أن نسب نبينا
ولانذكرنه في رخاء وشدة
وقد سمعوا قومًا يغنون باسمه
فأدركهم منهم أليم المضرة
وعاقبهم حكامهم وولاتهم
بضرب وتغريم وسجن وذلة

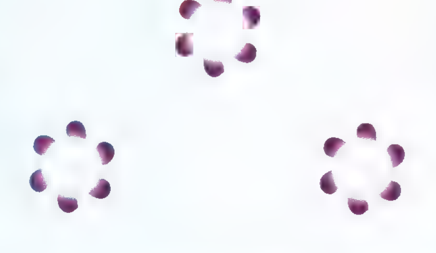
ومن جاءه الموت ولم يحضر الذي
يذكرهـــم لم يدفنوه بحــــيلة
ويترك في زبل طريحًا مجدلًا
كمثل حمــــار ميت أو بهيمـــــة
إلى غير هذا من أمور كثيرة
قباح وأفعال غـــــزار رديــــــة
فآها على تبديل دين محمد
بدين كلاب الروم شــــر البرية
وآها على أسمائنا حين بُدلت
بأسماء أعلاج من أهـــل القيادة
وآها على أبنائنا وبناتـــنا
يروحون للباط في كل غـــــدوة
يعلمهم كفرًا وزورًا وفـــرية
ولايقدروا أن يمنعوهم بحــــيلة
وآهًا على تلك المساجد سورت
مزابل للكفار بعد الطهـــــارة
وآهًا على تلك الصوامع علقت
نواقيسهم فيها نظـــير الشهادة
وآهًا على تلك البلاد وحسنها
لقد أظلمت بالكفر أعظـــم ظلمة
وصارت لعباد الصليب معاقلًا
وقد أمنوا فيها وقــــوع الإغارة
وصرنا عبيدًا لا أسارى فنفتدي
ولا مسلمين منطقهم بالشهـــادة
فلو أبصرت عيناك ماصار حالنا
إليه لجادت بالدموع الغزيـــرة
فيا ويلنا يابؤس ماقد أصابنا
من الضـــر والبلوى وثوب المذلة
سألناك يا مولاي بالله ربنا
وبالمصطفى المختار خـير البرية

عسى تنظروا فينا وفيما أصابنا
لعل إله العـــرش يأتـي برحمة
فقولك مسموع وأمرك نافـــذ
وما قلت من شيء يكون بســرعة
ودين النصارى أصله تحت حكمكم
ومن ثم يأتيهم إلى كل كـــورة
فبالله يامولاي منوا بفضــــلكم
علينا برأي أو كـــلام بحــــجة
فأنتم أولوا الأفضال والمجد والعلا
وغوث عباد الله في كـــــل آفة
فســل بابهم أعني المقيم برومـة
بماذا أجازوا الغــــدر بعد الأمانة
ومالهـــم مالوا علينا بغدرهـــم
بغير أذىً منا وغير جـــــــريمة
وجنسهم المقلوب في حفظ ديننا
وأحســــن ملوك ذي وفــاء أجلة
ولم يخرجوا من دينهم وديارهم
ولانالهم غــــدر ولاهتك حـرمة
ومن يعط عهدًا ثم يغدر بعهده
فذاك حـــــرام الفعل في كل ملة
ولاســــيما عند الملوك فإنه
قبيـــح شنيع لايجــــوز بوجهة
وقد بلغ المكتـــوب منكم إليهم
فلم يعلمـــــــوا منه جميعًا بكلمة
ومازادهم إلا اعتداء وجــــرأة
علينا وإقدامًا بكـــل مســــاءة
وقد بلغت إرسال **مصــــر** إليهم
ومانالهم غـــــدر ولا هتك حـرمة
وقالوا لتلك الرســـل عنًّا بأننا
رضينا بدين الكفر من غير قهـرة

وساقوا عقود الزور ممن أطاعهم
ووالله مانرضى بتلك الشهادة
لقد كذبوا في قولهم وكلامهم
علينا بهذا القول أكبر فرية
ولكن خوف القتل والحرق رونا
نقول كما قالوه من غير نية
ودين رسول مازال عندنا
وتوحيدنا لله في كل لحظة
ووالله مانرضى بتبديل ديننا
ولا بالذي قالوا من أمر الثلاثة
وإن زعموا أنا رضينا بدينهم
بغير أذى منهم لنا ومساءة
فسل وحرا عن أهلها كيف أصبحوا
أسارى وقتلى تحت ذل ومهنة
وسل بلفيقًا عن قضية أمرها
لقد مزقوا بالسيف من بعد حسرة
وضيافة بالسيف مزق أهلها
كذا فعلوا أيضًا بأهل البشرة
وأندرش بالنار أحرق أهلها
بجامعهم صاروا جميعًا كفحمة
فها نحن يامولاي نشكو إليكم
فهذا الذي نلناه من شر فرقة
عسى ديننا يبقى لنا وصلاتنا
كما عاهدونا قبل نقض العزيمة
وإلا فيجلونا جميعًا عن أرضهم
بأموالنا للغرب دار الأحبة
فإجلاؤنا خير لنا من مقامنا
على الكفر في عز على غير ملة
فهذا الذي نرجوه من عز جاهكم
ومن عندكم تقضى لنا كل حاجة
ومن عندكم نرجو زوال كروبنا
وما نالنا من سوء حال وذلة
فأنتم بحمد الله خيرملوكنا
وعزتكم تعلو على كل عزة
فنسأل مولانا دوام حياتكم
بملك وعز في سرور ونعمة
وتهدين أوطان ونصر على العدا
وكثرة أجناد ومال وثروة
وثم سلام الله قلته ورحمة
عليكم مدى الأيام في كل ساعة



رسالة **أهل الجزيرة الأندلسية** بعد استيلاء النصارى على جميعها إلى السلطان العثماني **بايزيد الثاني**.
م. المكتبة الوطنية بالجزائر، رقم ١٦٢٠. وانظر: أخبار عياض (١/١٠٩ الى ١١٥). نقلاً عن جهود العثمانيين لاسترداد الأندلس.



كانت هذه هي رسالة الاستنصار التي بعث بها المسلمون في الأندلس، لإنقاذ الموقف هناك، وكان السلطان **بايزيد الثاني** يعاني من العوائق التي تمنعه من إرسال المجاهدين، بالإضافة إلى مشكلة النزاع على العرش مع الأمير جمّ، وما أثار ذلك من مشكلات مع البابوية في روما وبعض الدول الأوروبية وهجوم البولنديين على مولدافيا والحروب في ترانسلفانيا والمجر والبندقية **وتكوين التحالف الصليبي الجديد ضد الدولة العثمانية من البابا جويلس الثاني وجمهورية البندقية والمجر وفرنسا**، وما أسفر عنه هذا التحالف من توجيه القوة العثمانية لتلك المناطق، **ومع ذلك قام السلطان بايزيد بتقديم المساعدة وتهادن مع السلطان المملوكي الأشرف لتوحيد الجهود من أجل مساعدة غرناطة ووقعا اتفاقًا بموجبه يرسل السلطان بايزيد اسطولاً على سواحل صقلية بوصفها تابعة لمملكة أسبانيا، وأن يجهز السلطان المملوكي حملات أخرى من ناحية أفريقيا.** وبالفعل أرسل السلطان بايزيد أسطولاً عثمانيًا تحول إلى الشواطئ الأسبانية، وقد أعطى قيادته إلى كمال رايس الذي أدخل الفزع والخوف والرعب في الأساطيل النصرانية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، كما شجع السلطان بايزيد المجاهدين في البحر بإبداء اهتمامه وعطفه عليهم، **وكان المجاهدون العثمانيون** قد بدأوا في التحرك لنجدة إخوانهم المسلمين، وفي نفس الوقت كانوا يغنمون الكثير من الغنائم السهلة الحصول من النصارى، كذلك وصل عددٌ كبير من هؤلاء المجاهدين المسلمين في أثناء تشييد الأسطول العثماني، ودخلوا في خدمته بعد ذلك أخذ العثمانيون يستخدمون قوتهم البحرية الجديدة في غربي البحر المتوسط بتشجيع من هؤلاء المجاهدين، وهذا الذي كان في وسع السلطان بايزيد الثاني فعله[1].

لاشك أن تصرفات جم المشينة كانت سببًا أعاق حركة التوسع الإقليمي وعرقلت السلطان بايزيد عن العمل المبدع، وأصبح اهتمام السلطان منصبًا على تعقب أخبار أخيه والعمل على التخلص منه بكافة الوسائل.

وعلى العموم، فقد استطاع بايزيد أن يحرز نصرًا بحريًا على البنادقة في خليج لبانتوا ببلاد اليونان سنة ١٤٩٩م/ ٩٠٥هـ، وفي العام اللاحق استولى على مدينة لبانتو؛ وباستيلاء العثمانيين على مواقع البنادقة في اليونان، أقام البابا (إسكندر السادس) -بناء على طلب البنادقة - حلفًا ضد العثمانيين مكونًا من فرنسا وأسبانيا. وتعرض العثمانيون لهجوم الأساطيل الثلاثة: الفرنسي والإسباني والبابوي، واستطاعت الدولة العثمانية أن تعقد صلحًا مع البنادقة. وكان بايزيد الثاني ميالاً للسلام، ونشطت العلاقات الدبلوماسية بين الدولة العثمانية وأوروبا، وكانت من قبل مقصورة على البلاد الواقعة على حدودها، ولكنها أقيمت بينها وبين البابوية وفلورنسا ونابلي وفرنسا وعقد صلحًا مع البنادقة والمجر.

١- د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية (عوامل النهوض وأسباب السقوط)، ص ١٩٤ - ١٩٥.

حركة الكشوف الجغرافية

الكشوف الجغرافية :هي استكشاف الأوروبيين لمناطق جديدة في العالم لم تكن معروفة لهم من قبل في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين عبر مجموعة من الرحلات البحرية التي قام بها بحارة مهرة توفرت لديهم الجرأة وحب المغامرة والرغبة في الاستكشاف ، وساعدهم على تحقيقها الدعم والتشجيع من قبل الحكومات الأوربية آنذاك، و الاستفادة من علوم من سبقهم من الأمم في مجالات الجغرافيا وعلوم الملاحة البحرية.





ابن بطوطة (١٣٠٤ - ١٣٧٧م)

ابن بطوطة ١٣٢٤-١٣٥٥م

طريق الحرير



ماركو بولو (١٢٥٤-١٣٢٤م)

(١٢٧١-١٢٩٥)

مكتشفون فرنسيون

(١٦٧٨-١٨٠٦م)



كروستوفر كولومبس (١٤٥١-١٥٠٦م)

الرحلة الأولى (١٤٩٢-١٤٩٣)

الرحلة الثانية (١٤٩٣-١٤٩٦)

الرحلة الثالثة (١٤٩٨-١٥٠٠)

الرحلة الرابعة (١٥٠٠-١٥٠٤)



فاسكو داجاما (١٤٦٠-١٥٢٤م)

المكتشفون البرتغاليون

ديوغو كاو (١٤٨٥-١٤٨٦)

بارتولوجودياز (١٤٨٧-١٤٨٨)

فاسكو داجاما (١٤٩٧-١٤٩٨)



فردناند ماجلان (١٤٨٠-١٥٢١م)

ماجلان (١٥١٩-١٩٢١)

بدرو فرناندير (١٦٠٥-١٦٠٦)

سبستيان دي الكانو (١٥٢١-١٥٢٢)

فرانسيس دريك (١٥٧٧-١٥٨٠)

الكشـــــوف الجغــــرافية

الشمال

المحيط المتجمد الشمالي

جرينلاند

أمريكا الشمالية

المحيط الأطلسي

أوروبا

آسيا

بحر بيرينج

المحيط الهادي

مدار السرطان

البحر المتوسط

بحر العرب

خليج البنغال

إفريقيا

المحيط الهادي

خط الإستواء

المحيط الهندي

أمريكا الجنوبية

استراليا

مدار الجدي

المحيط الأطلسي

كم ١٨٠٠ ١٢٠٠ ٦٠٠ ٠

القارة المتجمدة الجنوبية

جون كبوت (١٤٩٧)

مارتن فروبيشر (١٥٧٦)

هنري هدسن (١٦١٠-١٦١١)

جون فرانكلين (١٨٤٥-١٨٤٧)

رود أموندسين (١٩٠٣-١٩٠٦)

المكتشفون الإنجليز : جيمس كوك

الرحلة الأولى (١٧٦٨-١٨٧١)

الرحلة الثانية (١٧٧٢-١٧٧٥)

الرحلة الثالثة (١٧٧٦-١٧٧٩)

بارنتز (١٥٥٠-١٥٩٧)

وليم بارنتز (١٥٩٦-١٥٩٨م)

سيمون درنيف (١٦٤٨)

نلزنورد نسكيولر (١٨٧٨-١٨٧٩)

تسمان (١٦٠٣-١٦٥٩م)

كويروس توريس (١٦٠٥-١٦٠٦)

لويس توريس (١٦٠٦-١٦٠٧)

ابل تسمان (١٦٤٢-١٦٤٣)

المكتشفون الروس بيرينج (١٦٨١-١٧٤١م)

فيتوس بيرينج (١٧٢٤)

فيتوس بيرينج ١٧٢٨-١٧٢٩)

فيتوس بيرينج (١٧٤١)

الخريطة



هنري هدسن



جيمس كوك



بارنتز



تسمان

بيرينج

دوافع الكشوف الجغرافية:

١) رغبة الأوروبيين في البحث عن طرق تجارية لا تمر بأراضي المسلمين بهدف حرمانهم من مصادر القوة الاقتصادية المتمثلة في العائدات التجارية الأمر الذي يؤدي إلى ضعفهم اقتصادياً وعسكرياً.

٢) محاولة الأوروبيين للالتفاف حول العالم الإسلامي، ومن ثم سهولة القضاء عليه؛ وذلك لفشل أوروبا في الغزو المباشر؛ نظراً لوجود الدولة المملوكية والعثمانية اللتان وقفتا ولقرون عديدة سدّاً حائلاً بين الصليبيين والعالم الإسلامي. فكانت رحلة كريستوفر كولمبوس التي ادّعى فيها اكتشافه للعالم الجديد، كان يتحدث آنذاك عن نوايا لاحتلال بيت المقدس؟ ثم ساهم الصراع الديني بين الكاثوليك والبروتستانت في الهجرة والاستيطان في الأرض الجديدة التي اغتصبوها من سكانها الأصليين.

٣) رغبة دول أوروبا في السيطرة على بلاد جديدة، وتوسيع ممتلكاتهم فيها والسيطرة على مقوماتها الاقتصادية خاصة بعد الزيادة الكبيرة في أعداد السكان في البلدان الأوروبية.

٤) رغبة البرتغاليين في الوصول إلى مملكة الحبشة والتحالف معها ضد المسلمين من أجل حصارهم اقتصادياً وعسكرياً.

٥) دعم الكنيسة الأوروبية والبابا على وجه التحديد لحركة الكشوف الجغرافية حيث أصدرت البابوية مراسيم حق ملكية الأقاليم المكتشفة لملوك البرتغال والأسبان ووعدت المغامرين بالغفران.

٦) الرغبة في الحصول على منتجات الشرق من المعادن النفيسة والعطور والبخور والأقمشة الحريرية والمسك والتوابل مباشرة دون المرور بأراضي المسلمين.

٧) حب المعرفة الجغرافية والاستفادة من كل تراث المسلمين سواء على صعيد الكتب الجغرافية والخرائط. والرغبة في تأكيد نظرية كروية الأرض التي اقتنع بها مجموعة من البحارة المغامرين نتيجة تقدم البحث العلمي في أوروبا واطلاعهم على علوم من سبقهم .

من الجغرافيين المسلمين

الشريف الإدريسي : هو محمد بن عبد الله بن إدريس، عاصر ملك صقلية وألف له كتابه المشهور (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، ثم قام برسم خريطة العالم بطريقة علمية غير مسبوقة، توفي عام ٥٦٠هـ .



مرتسم للبحار البرتغالي فاسكو دا غاما

كان طريق **رأس الرجاء الصالح** معروفاً للمسلمين قبل فاسكو دا غاما، ولكنهم لم يكونوا بحاجة للمرور منه، حيث كانت دولهم تطل على البحر المتوسط والبحر الأحمر، ويسيطرون على طرق التجارة العالمية؛ بفضل موقعهم الجغرافي المميز دون الحاجة إلى الالتفاف من طريق رأس الرجاء الصالح.

علاقات المماليك المصريين بالدولتين الصفوية والعثمانية في مطلع القرن ١٦ م

في الوقت الذي كانت فيه **الدولة المملوكية** في مصر تسير في طريق الزوال والاضمحلال بسبب انتقال طرق التجارة الدولية عن موانئها الرئيسة في بلاد الشام ومصر، كانت الدولتان **الصفوية والعثمانية** تنموان وتتوسعان بصورة سريعة، وعلى حساب الدولة المملوكية بالذات. وفي الوقت نفسه تعرضت الدولة المملوكية لخطر آخر من قبل البرتغاليين الذين لم يهددوا موارد الدولة الأساسية المتأتية من التجارة الدولية وبالانقطاع، بل هددوا سيادة هذه الدولة في عقر دارها.

لقد كان على الدولة المملوكية أن تواجه جميع هذه القوى مستخدمة في ذلك جميع وسائلها المتاحة سواء أكانت حربية أم دبلوماسية، وهذا ما عملته بالذات تجاه الدولتين الصفوية والعثمانية من جهة، ودولة البرتغال من جهة أخرى. فعندما كانت الدولة الصفوية تتوسع على حساب الدولة المملوكية في بلاد الشام، وقفت الدولة المملوكية منها موقفًا مناوئًا، **وازداد هذا الموقف المناوئ بعد أن علمت مصر بوجود حلف عدائي بين الصفويين والقوى الأوروبية للقضاء على الدولة المملوكية**. وقد أدى هذا الأمر إلى توقف الاتصالات الدبلوماسية بين هاتين الدولتين سنة ٩١٧ هـ/١٥١١م، ولم تتجاوز إلا في سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م، وذلك عندما خسر الصفويون في نزاعهم مع العثمانيين، فأرادوا أن يحسنوا في علاقاتهم مع المماليك.

وعلى النقيض في العلاقات المملوكية – الصفوية التي بدأت عدائية وانتهت ودية، فإن العلاقات المملوكية – العثمانية بدأت ودية وانتهت عدائية. وليس أدل على ذلك من قيام العثمانيين بتقديم المعونات البحرية المختلفة زمن السلطان **بايزيد الثاني للسلطان المملوكي قنصوه الغوري**، لمساعدته في الوقوف في **وجه الخطر البرتغالي** في البحار العربية الجنوبية.

إلا أن هذه العلاقات الحسنة سرعان ما تحولت إلى علاقات عدائية، وذلك لما ساد في الأوساط العثمانية من الشكوك بوجود تعاون (صفوي – مملوكي) ضد الدولة العثمانية، الذي كان من نتيجته غزو العثمانيين لبلاد الشام ومصر والقضاء على الدولة المملوكية.

فخلاصة الأمر فإن الدولة المملوكية كانت في موضع حرج إزاء قوى عديدة فما كان عليها إلا أن تجابهها جميعها، وهذا ما حدث بالفعل[١]:

١) إن **الدولة المملوكية** بعد أن أحست بحراجة موقفها إزاء الدولتين الطامعتين، حاولت أن تتلمس مختلف الأساليب لتجنب خطرهما، مستخدمة في ذلك الوسائل الدبلوماسية قدر الإمكان، ولم تلجأ إلى الأساليب الأخرى إلا حينما تكون مضطرة لذلك، وذلك في حربها مع العثمانيين سنة ١٥١٦م.

٢) إن **الدولة العثمانية** في توسعها على حساب الدولة المملوكية لم تكن مدفوعة بالعلاقات العدائية الآتية التي حدثت بين الدولتين، بل يبدو أنها كانت جزءاً من الخطة العثمانية في التوسع على حساب مناطق الوطن العربي في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، ومن بينها بلاد الشام ومصر.

١- طارق نافع الحمداني، المجلة العربية للعلوم الإنسانية.


يقول الأستاذ محمود شاكر موضحًا هدفَ الكشوف الجغرافية: "تدعي أوروبا أن الحافز لها في هذه الاكتشافات هو تجارةُ التوابل والحصول على المال، لكن هذا الادعاء لا يستندُ إلى حقيقة علمية، ولا يقبلُه تحليلٌ صحيح، إن حقيقةَ الدوافع التي تكمنُ وراء ذلك إنما كانت هي الحروب الصليبية التي كانت ولا تزالُ يحملُ التاريخُ صورًا منها".
وكان البرتغاليون يسعون إلى تطويقِ المسلمين منذ عهدِ ملكِهم "حنا" الأول الذي احتل "سبته" على الساحلِ المغربي، ووصلَ رجالُه إلى سواحلِ إفريقية الغربية وبلغ أحدُهم وهو "بارثلمي دياز" الطرفَ الجنوبي من القارة، وأسماه: رأس العواصف، ولكن ملكَ البرتغال أسماه رأسَ الرجاءِ الصالح تعبيرًا عن أملِه في تطويقِ المسلمين.
قارة إفريقيا
البحر الأبيض المتوسط
البحر الأسود
بحر قزوين
البحر الأحمر
الخليج العربي
بحر العرب
مضيق باب المندب
المحيط الأطلسي
المحيط الهندي
قناة موزمبيق
فرنسا
إسبانيا
البرتغال
موقع دولة البرتغال في القارة الأوروبية
إيطاليا
سويسرا
النمسا
كرواتيا
رومانيا
بلغاريا
البوسنة والهرسك
يوغسلافيا
ألبانيا
اليونان
تركيا
جمهورية روسيا الاتحادية
أوزبكستان
تركمانستان
سوريا
لبنان
فلسطين
الأردن
العراق
إيران
المملكة العربية السعودية
قطر
الإمارات
عمان
اليمن
سبته
المغرب
الصحراء الغربية
تونس
الجزائر
ليبيا
مصر
موريتانيا
مالي
النيجر
تشاد
السودان
أريتريا
جيبوتي
السنغال
جامبيا
غينيا بيساو
غينيا
سيراليون
ليبيريا
ساحل العاج
بوركينا فاسو
غانا
توجو
بنين
نيجيريا
الكاميرون
جمهورية إفريقية الوسطى
إثيوبيا
الصومال
غينيا الاستوائية
ساو تومي
الغابون
الكونغو
كابندا
الكونغو الديمقراطية
أوغندا
كينيا
ب. فيكتوريا
تنزانيا
ب. تنجانيقا
أنغولا
زامبيا
ملاوي
موزمبيق
زمبابوي
ناميبيا
بوتسوانا
سوازيلاند
جمهورية جنوب إفريقيا
رأس الرجاء الصالح
مدغشقر
جمهورية سيشل
جمهورية جزر القمر
الحبشة قديماً
مناطق عليها نزاعات سياسية
قارة إفريقيا (السياسية)

الصراع المملوكي البرتغالي وموقف العثمانيين منه

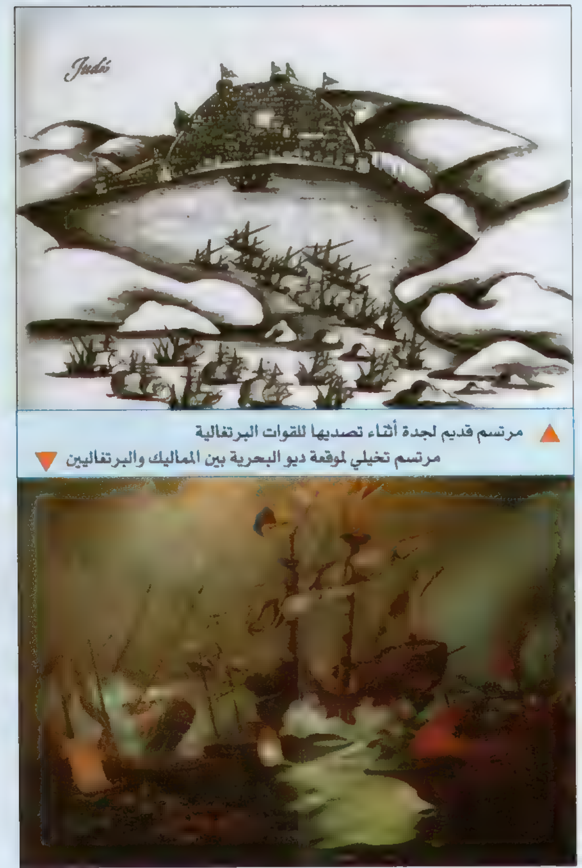
إضافة إلى الفتن الداخلية التي عاشتها الدولة المملوكية، كان على السلطان قنصوه الغوري مواجهة أخطار خارجية، فمنذ بداية القرن السادس عشر الميلادي **وصلت سفن البرتغاليين إلى الهند**، وبدت تهدد مصالح الدولة وتضيق الخناق عليها:

حيث **أعلنَ البرتغاليون** أنهم سيدمّرون **الأماكنَ المقدسةَ في مكةَ والمدينة**، ويزيلون معالمَ الإسلام! وكان هذا أحد الدوافع التي **جعلت العثمانيين** يتجهون إلى الشرقِ الإسلامي لحَمايةِ هذه المقدسات. **وعقد البَرتغاليونَ محالفات مع ملكة الحبشة النصرانية "إلينِي"** التي كتبتْ إلى ملكِ البرتغال "عمانويل" تقولُ: "السلامُ على **نويل سيدِ البحر وقاهرِ المسلمين القساة الكفرة**، لقد بلغ مسامعنا أن سلطان مصر - يقصدُ السلطانَ الغوري - جهز جيشًا ضخمًا ليثأرَ من الهزائم التي ألحقها به قوادُكم في الهند، ونحن على استعداد لمواجهة هجمات الكفرة...". واحتَل البرتغاليون كلكتا سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م) بعد استكمالِ اكتشافهم لطريقِ رأس الرجاء بثلاث سنوات، ثم احتلوا بعضَ الموانئ العربيةِ؛ مثل: عدن وجزيرة هرمز، كما احتلوا ميناءَ مصوع على المدخلِ الإفريقي للبحر الأحمر، وبذلك تحكموا في مضيقي هرمز وباب المندب، ومنعوا سفنَ المسلمين وتجارتهم من المرور. وتكدست السِّلعُ والحاصلات في موانئ مصر كالإسكندرية ودمياط، لا تجدُ أحدًا من التجارِ الغربيينَ لينقلَها إلى أوروبا أو يشتريها منهم، واستنجدَ التجارُ المسلمون وأمراءُ المسلمين في الهند وسواحل بلادِ الغرب بالسلطان المملوكي قنصوه الغوري (٩٠٦ - ٩٢٢هـ/ ١٥٠٠ - ١٥١٦م) لينقذَهم من هذا البلاء، وأرسلَ الغوري تحذيرًا إلى البابا في روما موجهًا عن طريقه إلى جميع القوى الأوروبية، ليمنعوا ملاّحيهم وقراصنتِهم من التعرضِ للمسلمين وتجارتهم، ولكن تحذيرَه لم يلقَ استجابةً لديهم، فاتخذ خطوات عملية عدة منها: تقوية أسطولِه في البحرِ الأحمر، ومكاتبة ملوك الهند ليتحالفوا معه ضد هذا الخطر. د .محمد عبد الحميد الرفاعي، صراع المماليك الجراكسة مع القوى الخارجية، موقع الألوكة.



موقع معركة ديو البحرية بين المماليك والبرتغاليين سنة ٩١٤هـ /١٥٠٨م

لم ينس المماليك واجبهم الديني تجاه الأماكن المقدسة، فانتقل حسين الكردي بعد هزيمة «ديو» إلى مدينة وميناء «جدة» ،حيث بدأ في تحصينها حتى لا يستولي عليها الصليبيون البرتغاليون، ومنها يغيرون على مكة والمدينة، وبالفعل نجحت خطة الكردي في ردع البرتغاليين عن الإغارة على الأماكن المقدسة. ومع الفشل المتكرر للبرتغاليين في اقتحام عدن تشجع السلطان قنصوه سنة ٩١٩هـ وأرسل أسطولًا جديدًا إلى جنوبي البحر الأحمر تحت قيادة الريس سليمان الذي انطلق إلى جدة، وهناك انضم إليه القائد حسين الكردي، وانطلقت الحملة نحو الجنوب وطردت البرتغاليين من مدينة زيلع الصومالية، ثم استقرت الحملة في جزر «قمران» بعد طرد البرتغاليين منها سنة ٩٢١هـ، **بعد أن دخل المماليك في حربهم الطويلة ضد العثمانيين،** التي انتهت بسقوط الدولة المملوكية سنة ٩٢٣هـ.



▲ مرتسم قديم لجدة أثناء تصديها للقوات البرتغالية

مرتسم تخيلي لموقعة ديو البحرية بين المماليك والبرتغاليين ▼

بأمر من السلطان **بايزيد الثاني** قام المهندس المعماري خير الدين ببناء مسجده سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، حيث تم تشييد بناء هذا المسجد على النسق البيزنطي مع الحفاظ على السمات والخصوصية الإسلامية.

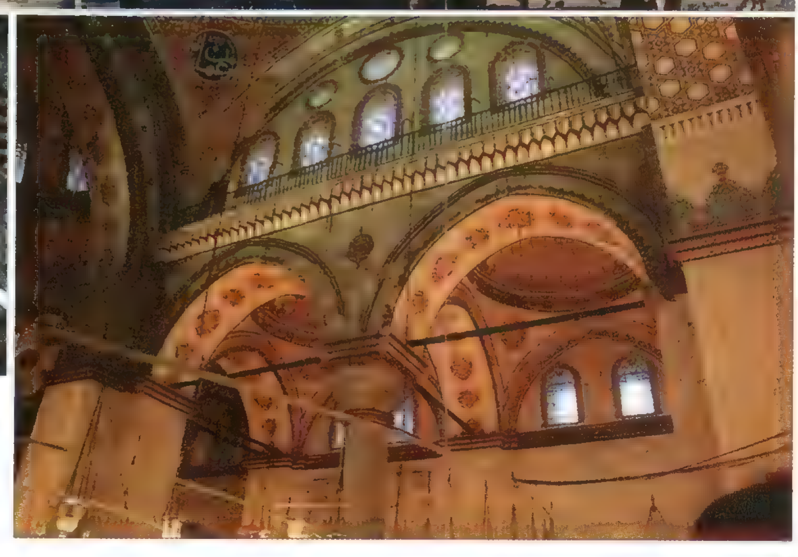
ويعد مسجد بايزيد الثاني أول أثر عثماني يحقق رسم تأثير كنيسة آيا صوفيا في تصميمه على الرغم من أن قبة مسجد [illegible] أصغر بكثير من قبة آيا صوفيا، فقطر قبة مسجد بايزيد الثاني لا تتعدى ١٨ مترًا.

ويعد **جامع بايزيد** من أكبر وأجمل الجوامع الموجودة في (إستانبول)، والساحة القريبة تحمل اسمها [illegible]

[illegible]

[illegible] (انظر الصفحة المقابلة مسجد أماسيا للسلطان بايزيد الثاني)

[illegible]



للجامع **ثلاثة صحون**، و القسم الأوسط هو ضعف حجم الأجزاء الجانبية، و يغطى بقبة مركزية كما هو الحال بآيا صوفيا، ويحتوي مسجد بايزيد الثاني على الكثير من الزخارف الرائعة التي أعطى المعماري اهتمامًا لها. وتخترق جدران الصحن درجتان من النوافذ، وثلاثة بوابات ذات كوى جانبية قريبة من الأسلوب السلجوقي في العمارة، وفي الداخل تؤدي أعمدة الاستخدام الجديد المصنوعة من الرخام الصناعي الأخضر بالإضافة إلى الرخام والجرانيت الذي أدى إلى إثراء تعدد ألوان الرخام، وصنجات العقود المتناوبة بين الأحمر والأبيض أو بين الأسود والأبيض وقد استخدمت هذه الفكرة في مسجد محمد الفاتح.

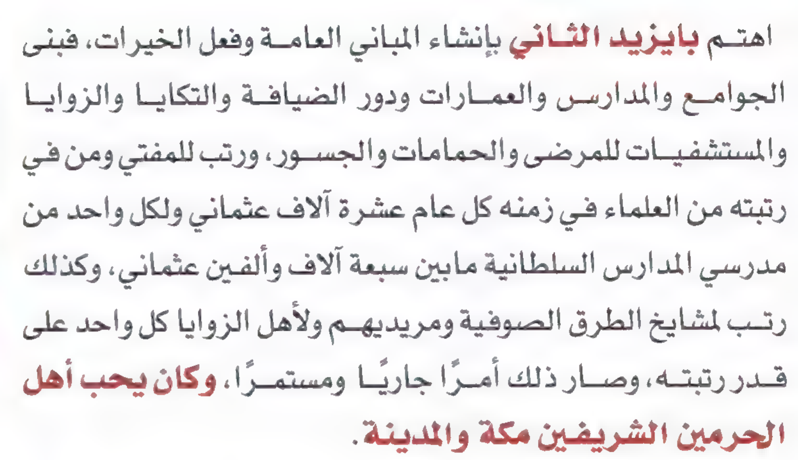
تختص **القباب النصفية** المنخفضة الارتفاع بأنها غير مرتبطة بها بل تستند على المبنى. كما أن الأروقة الجانبية ذات الارتفاع البسيط تتألف من جناحين يدعم كل منهما أربع قباب ويوجد صحن ذو أروقة له نفس الأبعاد، وهو منفصل عنه بجناحين هما: أيضًا القباب ويشكلان امتدادًا لساحة الصلاة من جهه الشرق، ومن جهة الغرب، وتستند إلى ظهريهما وفي طرفيهما البعيدين مئذنتان متطابقتان يقسمان التكوين المعماري وهذان الجناحان من أروع ما في مسجد بايزيد الثانى و القباب الصغيرة تصل إلى ٢٠ قبة.



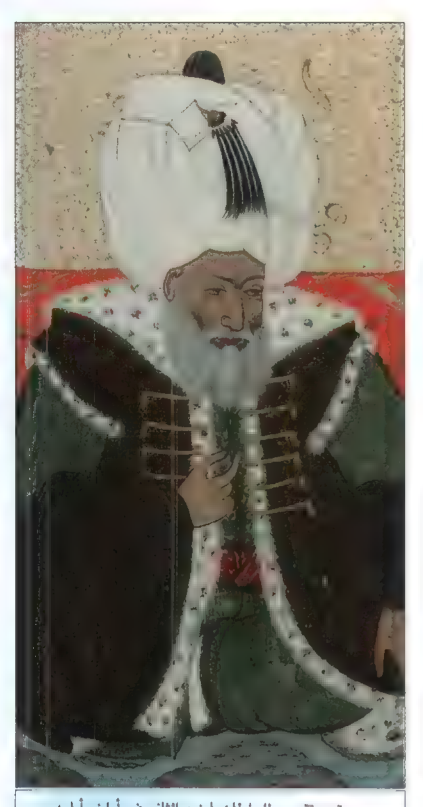
لقطات متنوعة لمسجد السلطان العثماني بايزيد الثاني في أماسيا

Dick Schmitt photos

مع كل ذلك الاتجاه الحربي للسلطان **بايزيد الثاني**، فقد عرف بميله الشديد إلى الزهد. وكان محبًا للعلم والعلماء، والأدباء. وكان مندفعًا نحو العمران، ولاسيما الديني منه، فقد بنى مسجدًا بالقسطنطينية دُفِن فيه، وآخر في آماسيا في الشمال الشرقي للأناضول.



اهتم **بايزيد الثاني** بإنشاء المباني العامة وفعل الخيرات، فبنى الجوامع والمدارس والعمارات ودور الضيافة والتكايا والزوايا والمستشفيات للمرضى والحمامات والجسور، ورتب للمفتي ومن في رتبته من العلماء في زمنه كل عام عشرة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرسي المدارس السلطانية مابين سبعة آلاف وألفين عثماني، وكذلك رتب لمشايخ الطرق الصوفية ومريديهم ولأهل الزوايا كل واحد على قدر رتبته، وصار ذلك أمرًا جاريًا ومستمرًا، **وكان يحب أهل الحرمين الشريفين مكة والمدينة**.



مرتسم تقريبي للسلطان بايزيد الثاني في أواخر أيامه

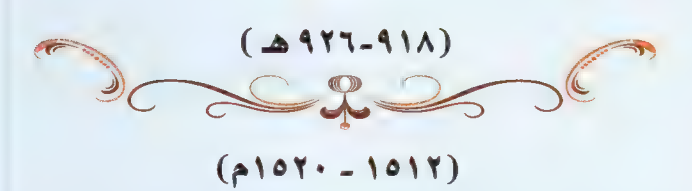
وحدثت في زمانه زلازل عظيمة في القسطنطينية فدمرت ألفًا وسبعين بيتًا ومئة وتسعة جوامع، وجانبًا عظيمًا من القصور وأسوار المدينة، وعطلت مجاري المياه، وصعد البحر إلى البر، فكانت أمواجه تتدفق فوق الأسوار، ولبثت تلك الزلزلة تحدث يومياً مدة ٤٥ يومًا، وما أن سكنت الأمور كلف السلطان ١٥ ألفًا من العمال بإصلاح ما تهدم.

عاش سبعًا وستين عامًا، وكان قوي البنية، رقيق الطبع، محبًا للعلوم، مواظبًا للدرس، وشاعرًا أديبًا، ورعًا تقيًا، يقضي العشرة الأخيرة من شهر رمضان في العبادة والذكر والطاعة، وكان بارعًا في رمي السهام، ويباشر الحروب بنفسه، وكان يجمع في كل منزل حلّ من غزواته ما على ثيابه من الغبار ويحفظه، ولما دنا أجل موته، أمر بذلك الغبار فضرب منه لبنة صغيرة وأمر أن توضع معه في القبر تحت خدّه الأيمن، ففعل ذلك فكأنه أراد بذلك فحوى قوله : " من أغبرت قدماه في سبيل الله حرم الله عليه النار". وكانت مدة ملكه إحدى وثلاثين سنة إلا أيامًا.

في ١٨ صفر ٩١٨هـ الموافق ١٢٥ أبريل ١٥١٢م ترك حكم الدولة لابنه سليم الأول (٩١٨- ٩٢٦هـ / ١٥١٢- ١٥١٩م)، وذلك بدعم من الجيش، الذي كان ينظر إليه على أنه الأمل المرتجى في بعث النشاط الحربي للدولة العثمانية بصورة أوسع، ودفع حركة الفتوحات إلى الأمام، ولذلك بادر الجيش إلى معارضة والده وتولية ابنه سليم مكانه.



(٩١٨-٩٢٦هـ)



(١٥١٢ - ١٥٢٠م)



والده: السلطان بايزيد الثاني

والدته: كول باهار خاتون

ولادته: سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠م

وفاته: سنة ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠م

مدة حكمه: من ٩١٨ - ٩٢٦ هـ / ١٥١٢ - ١٥٢٠م

كان السلطان سليم الأول الياووز متوسط القامة، عريض الكتفين، مستدير الرأس، أحمر الوجه، مقرون الحاجبين، نافذ النظر، ذا شاربين طويلين.

كما كان قائدًا حربيًا ممتازًا، وإداريًا نزيهًا وكفئًا، وكان قليل الميل إلى الترف واللهو، ويطلق عليه أعداؤه لقب (الياووز) أي الرهيب بسبب سرعة غضبه وميله للقوة. من وجهة أخرى تلقى سليم الأول تكوينًا تعليميًا جيدًا. فكان شغوفًا بالأدب والمعرفة، وكتب أشعارًا كثيرة باللغة الفارسية، وكان واسع الثقافة. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون،تعريب محمد جان، ص ٥٠.

كان أول عمل قام به السلطان سليم الأول عند توليه الحكم، هو تعيين ابنه الوحيد سليمان حاكمًا على أستنبول، ثم حارب أخويه اللذين انشقا عليه فانتصر عليهما. وهما «قورقود»، وأحمد الذي نافسه على السلطنة بمساعدة الشاه إسماعيل الصفوي الذي كان متعصبًا لمذهبه الشيعي(الاثنى عشري). وكان لأحمد ولدان هما: مراد الذي هرب إلى بلاد العجم، وعلاء الدين إلى مصر.

الأعلام الذين عاصروه:

المولى عبد الحليم، المولى محيي الدين محمد، المولى عبدالله خوجه، المولى سنان الدين، أحمد القسطلاني مؤلف كتاب(المواهب).

أبناؤه:

سليمان القانوني.

بناته:

خديجة سلطان، فاطمة سلطان، حفصة سلطان، شاه سلطان.

تربع **السلطان سليم الأول** على العرش العثماني في سنة ٩١٨هـ، وقد أظهر سليم منذ بداية حكمه ميلًا إلى تصفية خصومه ولو كانوا من إخوته وأبنائهم، وكان يحب الأدب والشعر الفارسي والتاريخ وبرغم قسوته فإنه كان يميل إلى صحبة رجال العلم، وكان يصطحب المؤرخين والشعراء إلى ميدان القتال، ليسجلوا تطورات المعارك وينشدوا القصائد التي تحكي أمجاد الماضي. د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني ، ص٧٦.



اتسمت سياسة الدولة الصفوية في إيران بمحاولة بسط المذهب الشيعي (الاثنى عشري) في العراق وآسيا الصغرى بالقهر والقوة، مما دفع بالدولة العثمانية إلى الخروج إلى المشرق العربي لحماية آسيا الصغرى بصفة خاصة والعالم السُّنِّي بصفة عامة.

حيث صمم إسماعيل الصفوي فرض المذهب الشيعي على شعبه، وأعلنه مذهبًا رسميًا للدولة في إيران، وقضى بالقوة المسلحة على معارضيه، واستطاع الصفويون أن يجمعوا حولهم أعدادًا غفيرة من الأتباع والمريدين، وتكاتفت الدعاية الشيعية القوية سواء في بقايا (العبيدين) الفاطميين في مصر، أو الإسماعيلية، أو الأسرة الصفوية نفسها في إعلان المذهب الشيعي (الاثنى عشري) في إيران، لتتحول معظمها من بعد ذلك من المذهب السُّنِّي إلى مذهب الدولة الجديدة وهو المذهب الشيعي.

بروز الخطـــــر الصفـــــوي

بذل الشاه **إسماعيل الصفوي** جهودًا ضخمة في فرض المذهب الشيعي (الاثنى عشري) في إيران، فعلى الرغم من التهيئة الروحية للدعوة الشيعية بين سكان إيران الذين كانوا في غالبيتهم من أهل السُّنَّة والجماعة، فقد أخذ مذهب إسماعيل الصفوي مواجهة هذا الموقف بتجنيد العناصر الشيعية للغرض نفسه، ووجد منها تأييـــدًا ومناصرة، واستغل حميتهم لمناصرتهم، فدفعهم لضرب معارضيه والتأكيد لمذهبه في إيران[١].

لجأ السلطان إسماعيل الصفوي إلى سياسة ماهرة في تأكيد دعوته السياسية والمذهبية، فاعتمد على **قبائل القزل باش التركية الأصل** لتكون نواة لقوته العسكرية؛ ذلك أن المجتمع الإيراني في ذلك الوقت كان يتكون من عناصر مختلفة نتيجة لموجات الغزو المتعاقبة على البلاد، مما كان يصعب معه صهر كل هذه العناصر في بوتقة واحدة. لقد استطاع **إسماعيل الصفوي** بهذه السياسة أن يجند الطاقة المذهبية عند هذه العناصر، لتكون المحور الذي تلتف حوله وتذوب فيها الفوارق العرقية، وتحل محلها وحدة مذهبية يمكن له أن يقيم عليها الكيان السياسي الجديد[٢].

لقد كان إسماعيل الصفوي شرسًا في حروبه شديد الفتك بمعارضيه، وخصوصًا إن كانوا من أهل السُّنَّة (... افتتح ممالك العجم جميعها، وكان يقتل من ظفر به، وما نهبه من الأموال قسمه بين أصحابه ولا يأخذ منه شيئًا ومن جملة ما ملك تبريز وأذربيجان وبغداد وعراق العجم وعراق العرب وخراسان، **وكاد أن يدعي الربوبية وكان يسجد له عسكره ويأتمرون بأمره**، قال قطب الدين الحنفي في الأعلام: أنه قتل زيادة على ألف ألف نفس، بحيث لايعهد في الجاهلية ولا في الإسلام ولا في الأمم السابقة من قبل في قتل النفوس ماقتله شاه إسماعيل وقتل من أعاظم العلماء عدة بحيث لم يبق من أهل العلم أحد من بلاد العجم، وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم، وكان شديد الرفض بخلاف آبائه. ومن جملة تعظيم أصحابه له، أنه سقط مرة منديل من يده إلى البحر وكان على جبل شاهق مشرف على ذلك البحر، فرمى بنفسه خلف المنديل أكثر من ألف نفس تحطموا وتكسروا وغرقوا، **وكانوا يعتقدون فيه الألوهية**، ذكر ذلك القطب المذكور، ولم تنهزم له راية حتى حاربه السلطان العثماني سليم الأول فهزمه...)[٣].

لقد تزعم الشاه **إسماعيل** المذهب الشيعي، وحرص على نشره، ووصلت دعوته إلى الأقاليم التابعة للدولة العثمانية، وكانت الأفكار والعقائد التي تنشر في تلك الأقاليم يرفضها المجتمع العثماني السُّـنِّي

١- د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ١٩٩.

٢- د. محمد نصر، الإسلام في آسيا منذ الغزو المغولي، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

٣- محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، ج ١، ص٢٧١ .

حيث كان من عقائدهم الفاسدة، تكفير الصحابة، لعن العصر الأول، تحريف القرآن الكريم، وغير ذلك من الأفكار والعقائد، فكان من الطبيعي أن يتصدى لتلك الدعوة السلطان سليم زعيم الدولة السُّنِّيَّة، فأعلن في اجتماع لكبار رجال الدولة والقضاة ورجال السياسة وهيئة العلماء في سنة ٩٢٠ هـ/١٥١٤م أن إيران بحكوماتها الشيعية ومذهبها الاثنى عشري يمثلان خطرًا جسيمًا لا على الدولة العثمانية بل على العالم الإسلامي كله، وأنه لهذا يرى **الجهاد المقدس ضد الدولة الصفوية**، وكان **رأي السلطان سليم** هو رأي علماء أهل السُّنَّة في الدولة، لقد قام الشاه إسماعيل **عندما دخل العراق بذبح المسلمين السُّنَّة** على نطاق واسع، ودمر مساجدهم، ونبش مقابرهم، وازداد الخطر الشيعي ضراوة في السنوات الأخيرة من عهد السلطان بايزيد، وعندما تولى السلطان سليم السلطنة قامت أجهزت الدولة العثمانية الأمنية بحصـــــر الشيعة التابعين للشاه إسماعيل والمناوئين للدولة العثمانية، ثم قام بتصفية أتباع الشاه إسماعيل، فسجن وأعدم عددًا كبيرًا من أنصار الشاه إسماعيل في الأناضول، ثم قام بمهاجمة إسماعيل نفسه، فتداولت الرسائل الخشنة بينهما حسب المعتاد.

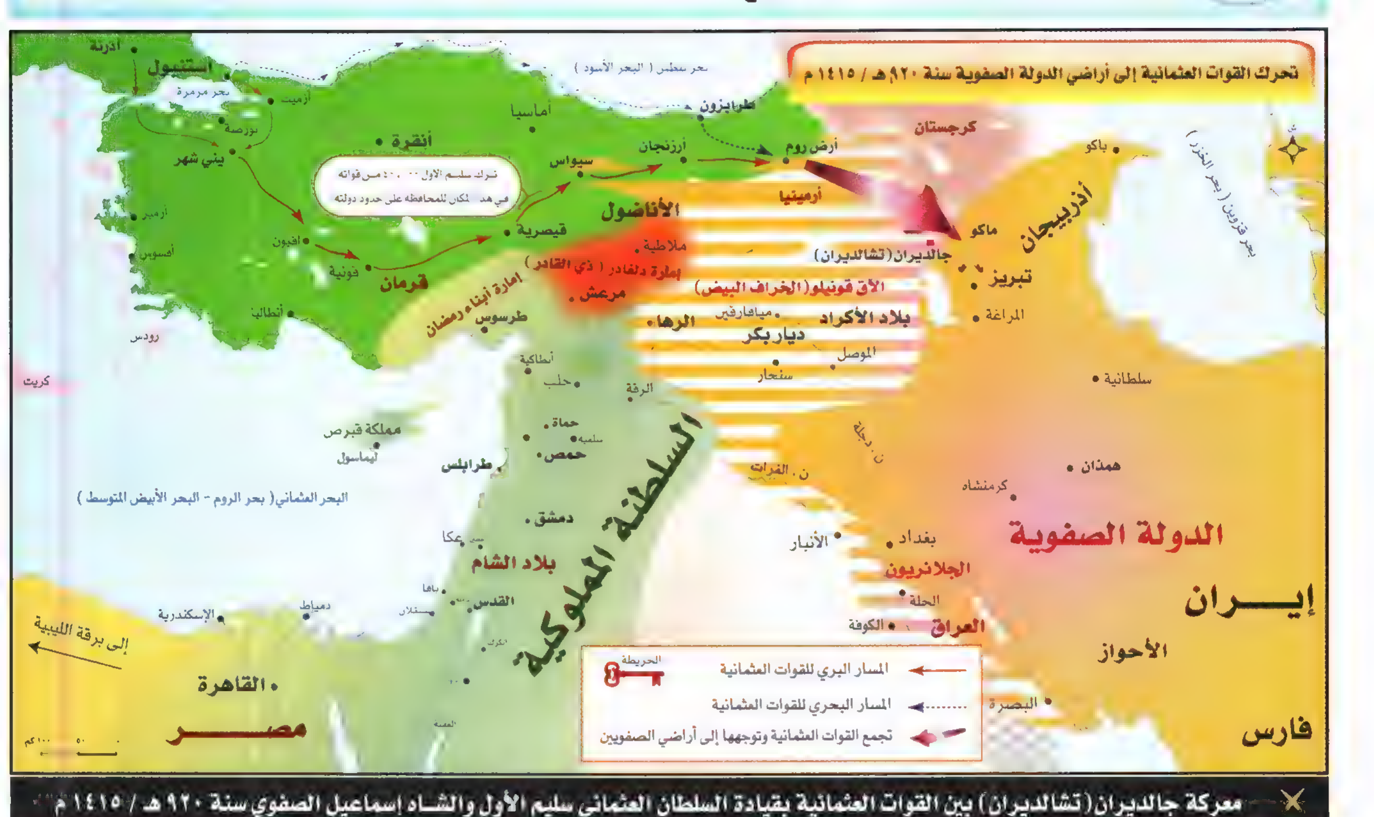
رسائل متبادلة — **مستند تاريخي**

كتب السلطان العثماني سليم الأول رسالة إلى إسماعيل الصفوي قال فيها:

(... إن علماءنا ورجال القانون قد حكموا عليك بالقصاص يا إسماعيل، **بصفتك مرتدًا**، وأوجبوا على كل مسلم حقيقي أن يدافع عن دينه، وأن يحطم الهراطقة في شخصك، أنت وأتباعك البلهاء، ولكن قبل أن تبدأ الحرب معكم، فإننا ندعوكم لحظيرة الدين الصحيح، قبل أن نشهر سيوفنا، وزيادة على ذلك فإنه يجب عليك أن تتخلى عن الأقاليم التي اغتصبتها منا اغتصابًا، ونحن حينئذ على استعداد لتأمين سلامتك..)[١].

وكان **رد إسماعيل الصفوي** على هذا الخطاب أن بعث للسطان العثماني هدية من الأفيون قائلًا: اعتقد أن هذا الخطاب كتب تحت تأثير المخدر[٢].

١-٢، د. نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس، ص ٤٣٥.



معركة جالديران (تشالديران) بين القوات العثمانية بقيادة السلطان العثماني سليم الأول والشاه إسماعيل الصفوي سنة ٩٢٠هـ / ١٤١٥م

حدث الصدام الأول بين العثمانيين والصفويين في **سهل جالديران** بالقرب من تبريز، حيث دارت المعركة في سنة ٩٢٠هـ ٢٣ أغسطس ١٥١٤م، بين القوات العثمانية المسلحة بالبنادق والمدفعية الحديثة وبين القوات الصفوية، وانتصر العثمانيون في المعركة. **ودخل السلطان سليم الأول تبريز عاصمة الصفويين**، وأعطى الأمان لسكانها، واستولى على أموال الشاه وأرسلها إلى أستنبول، كما أرسل إليها بضع مئات من الصناع.

لقد انتصر السلطان سليم -بفضل الله تعالى- ثم تمسكه بعقيدته، ومنهجه الواضح، وأسلحته المتطورة، وجيشه الباسل المدرب، وعاد إلى بلاده بعد أن ضم **كردستان السُّنِّية** وديار بكر، ومرعش وأبلستين (البستان) وباقي أملاك دلغادر، وبذلك صارت الأناضول مأمونة من الاعتداء من الشرق، وصارت الطرق إلى أذربيجان والقوقاز مفتوحة للعثمانيين.

في أعقاب **معركة جالديران**، ضم العثمانيون **كردستان السُّنِّية** وديار بكر ومنطقة مرعش من أيدي زعماء التركمان الموالين للصفويين كما دخلوا الموصل. ولكن بغداد والبصرة بقيتا تحت الحكم الصفوي وكان لضم الأناضول الشرقية نهائيًا إلى الدولة العثمانية، نتائج إستراتيجية واقتصادية مهمة. فقد حمت الهضبة الأناضولية في الشرق الدولة العثمانية من الغزاة القادمين من أواسط آسيا، كما سيطر العثمانيون على طريق نقل الحرير الفارسي بين تبريز وحلب، وبين تبريز وبورصة. وإذا كان العثمانيون قد أمَّنوا حدودهم الشرقية بفضل انتصارهم في جالديران، فقد كشفت هذه المعركة عن حاجة الدولة الصفوية لإعادة تنظيم جيشها وإدارتها. خصوصًا بعد أن ضعفت العلاقات السياسية بين الشاه وبين القبائل التركمانية المعروفة بالقزلباش.

Battle of Chaldiran, Iran
موقع المعركة

مسرح أحداث معركة سهل جالديران (تشالديران) التي انتصر فيها العثمانيون على الصفويين من الفضاء الخارجي بواسطة قوقل إيرث



نصب تذكاري لموقع معركة سهل جالديران (تشالديران) في مكان سهل المعركة بالقرب من مدينة ماكو القريبة من تبريز الإيرانية

نتائج معركة جالديران (تشالديران)[1]:

١- أسفرت المعركة عن سيطرة العثمانين على الأناضول الشرقية والجنوبية، باستثناء القسم الواقع تحت السيطرة المملوكية.

٢- أخذ **الأمراء الأكراد السُّنِّيون**، الذين كانوا تحت الحكم الشيعي، ينضمون إلى العثمانيين.

٣- خمود المشكلة الصفوية مدة عشرين عامًا تقريبًا، ذلك أن الضربة التي تلقتها هذه الدولة الصفوية لم تكن قاضية، وتعذّر على العثمانيين أن يسقطوا الحكم الصفوي، وظلت إيران على تشيعها.

٤- إن نتائج تشالديران كانت مخيبة لآمال الإنكشارية الذين اقترحوا على السلطان سليم الأول، بعد المعركة،أن يقضوا الشتاء في كرباغ بفعل الحالة الصعبة التي كانت تمر بها هذه الحرب.

وهكذا بدأت حلقة جديدة من تطورات الموقف بعد السيطرة على تبريز والانتصار على قوات الشاه، وأن امتدادات السلطان سليم الأول اللاحقة إنما انطلقت بوصفها نتائج عامة حفلت بها هذه الحرب.

الأحداث العسكرية بعد تشالديران:

استغل السلطان سليم الأول انتصاره في تشالديران، فنظّم حملة مطاردة، بعد ثمانية أيام من الاستراحة، مقتضيًا أثر الشاه، حتى وصل إلى نهر الرس في أذربيجان، إلاّ أن امتناع الإنكشارية عن التقدم، بفعل اشتداد البرد وتناقص المؤونة،أجبره على العودة إلى بلاده، حيث قضى فصل الشتاء في مدينة **أماسيا**، وستصبح هذه المدينة منذ الآن قاعدة للتحركات العسكرية، ومركزًا للسلطان خلال المدة التي أعقبت تشالديران.

والحقيقة أن السلطان عزم على التوغل في عمق الأراضي الإيرانية، إلاّ أنه لم يفلح. فبالإضافة إلى المعارضة التي أبداها الإنكشارية، فإن ظروفه، بشكل عام، والحالة التي كان يمر بها جيشه كانت صعبة، إذ إن المؤن قد أخذت في النفاد، واشتد الغلاء **بفعل إقدام السلطان قنصوه الغوري** على منع مرور المؤن والذخيرة عن طريق حلب، كما أن الشاه عمد قبل انسحابه، إلى إحراق ما لديه من حبوب ومؤن، وبات الجيش العثماني متعبًا بعد أن خسر في تشالديران بعض قوّاده.

نتيجة لهذه الظروف التي وجد نفسه فيها، بدّل السلطان إستراتيجيته السياسية والقتالية، وربما أدرك أن الانهيار الصفوي سيأتي بعد فرض حصار اقتصادي شديد على إيران، ولتحقيق ذلك لابد من ضمّ إقليم الجزيرة الفراتية وبلاد الشام، وسدّ مسالك المشرق العربي بوجه الصادرات الإيرانية ووارداتها مع الموانئ الأوروبية.

١- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص ١٥٩ - ١٦١.

وهكذا بدأت مرحلة أخرى من الصراع مع الصفويين بعد تشالديران تقضي بضم أرمينيا والكرج وكردستان وإقليم الجزيرة الفراتية وبلاد الشام إلى الدولة العثمانية، لتنفيذ إحكام الطوق على الشاه من الشمال والغرب والجنوب.

وعاد السلطان سليم، في أوائل ٩٢١هـ/ربيع ١٥١٥م، إلى إيران عن طريق الأناضول الشرقية وكردستان، **ففتح أذربيجان، ودخل يريفان العاصمة الأرمينية، وأطل على شمالي العراق،** وندب في الوقت نفسه، **الشيخ إدريس البدليسي** لإثارة **الأمراء الأكراد** ورؤساء العشائر وحكام المقاطعات **على حكم الشاه إسماعيل الصفوي.**

نجح البدليسي في مهمته بفعل الاستياء العام الذي انتاب الصفويين، وانتظار سكان العراق وإقليم الجزيرة الفراتية من يخلصهم من الحكم الصفوي، بالإضافة إلى تأثير الولاية الدينية، التي كان يحمل لواءها والأساليب الدبلوماسية التي نفذها مع الأقطاب الاجتماعية، فبدأت المدن، في تلك النواحي، تثور على الحكم الصفوي، مثل: **ديار بكر وبدليس وأرزن وبالو وأناق وميافارقين وغيرها، وامتدت الانتفاضة حتى مدينتي كركوك وأربيل.**

أما السلطان فقد جدّد حملته على المناطق الصفوية وفتح **قلعة كماخ** الواقعة في جنوب شرقي الأناضول، بما فيها حصني **البستان ومرعش**، ثم عاد إلى أستنبول تاركًا قواده ليتمّوا فتح الولايات الإيراينة الغربية، ولما وصل إليها أمر بقتل عدد من ضباط الإنكشارية الذين امتنعوا عن التوغل في بلاد إيران، ومن بينهم جعفر شلبي قاضي عسكر الإنكشارية.

وتوغلّت الجيوش العثمانية، في سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، في شمالي العراق، وسيطرت على ديار بكر والرُّها وماردين وحصن كيفا والرقة والموصل، وبذلك أضحت مفاتيح العراق الشمالية في أيدي العثمانيين، كما أضحى السلطان سليم الأول سلطان العراقين عندما أعلن صاحب بغداد الولاء له.

وبتلك الحرب الناجحة دخل السكان العرب، القاطنون في الفرات الأوسط، في المجال العثماني، وأصبح للدولة العثمانية موطئ قدم في المشرق العربي.

حقيقة، كانت الضربة قاسية على الشاه لكنها لم تكن قاضية، وعلى الرغم من إضعاف الطوق الصفوي والقضاء على القوى المحلية التي أقامها في وجه العثمانيين، فإنه استطاع أن يستعيد قوته ويعيد تنظيم بناء جيشه ودولته، ما سيكون له انعكاسات على العلاقات العثمانية الصفوية في المستقبل.

ضم دولة المماليك[1]

بعد أن تغلب السلطان سليم الأول على الصفويين في شمال وغربي إيران بدأ السلطان العثماني يستعد للقضاء **على دولة المماليك**، ولقد أسهمت أسباب عدة في توجه العثمانيين لضم الشام ومصر منها:

١- **موقف المماليك العدائي من الدولة العثمانية** حيث قام السلطان قنصوه الغوري (٩٠٧-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م) سلطان الدولة المملوكية بالوقوف مع بعض الأمراء العثمانيين الفارين من وجه السلطان سليم، وكان في مقدمتهم الأمير أحمد أخ السلطان سليم الأول، وأرادت السلطات المملوكية أن تتخذ من وجود هؤلاء الأمراء لديها أداة لإثارة مزيد من المتاعب في وجه السلطان سليم، كما كان الموقف السلبي للدولة المملوكية في وقوفها المعنوي مع الشاه إسماعيل الصفوي، فهي لم تلتزم الحيادة التامة بين العثمانيين والصفويين، وهي لم تتخذ موقفًا عدائيًا صريحًا من السلطان سليم.

٢- **الخلاف على الحدود بين الدولتين** في طرسوس في المنطقة الواقعة بين الطرف الجنوبي الشرقي لآسيا الصغرى وبين شمالي الشام. فقد تناثرت في هذه المنطقة إمارات وقبائل تأرجحت في ولائها بين الدولة العثمانية ودولة المماليك. وكان هذا التأرجح مبعث اضطراب في العلاقات بين الدولتين ومصدر نزاع مستمر. وأراد السلطان سليم الأول بادئ ذي بدء أن يحسم مسألة الحدود[1]. بالسيطرة التامة على منطقتها وسكانها.

٣- **تفشي ظلم الدولة المملوكية بين الناس**، ورغبة أهل الشام وعلماء مصر في التخلص من الدولة المملوكية والانضمام إلى الدولة العثمانية، فقد اجتمع العلماء والقضاة والأعيان والأشراف وأهل الرأي مع الشعب، وتباحثوا في حالهم، ثم قرروا أن يتولى **قضاة المذاهب الأربعة** والأشراف كتابة عريضة، نيابة عن الجميع، يخاطبون فيها السلطان العثماني سليم الأول لتخليصهم من هذا الوضع المزري الذي تفشى في بلاد الشام ومصر.

٤- **رأي علماء الدولة العثمانية** بأن ضم مصر والشام يفيد الأمة في تحقيق أهدافها الإستراتيجية، **فإن الخطر البرتغالي على البحر الأحمر والمناطق المقدسة الإسلامية** وكذلك خطر **فرسان القديس يوحنا** في البحر المتوسط كان على رأس الأسباب التي دعت السلطان العثماني لأن يتوجه نحو الشرق، فتحالف مع القوات المملوكية لهذا الغرض في البداية، ثم تحمل العبء الكامل في مقاومة هذه الأخطار بعد سقوط الحكم المملوكي.

١- د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ١٩٩.



دولة المماليك البرجية قبل معركة مرج دابق
أستنبول
بحر بنطس (البحر الأسود)
طرابزون
أماسيا
أنقرة
سيواس
أرمينيا
قيصرية
قونية
قرمان
أنطاليا
ملاطية
إمارة دلغادر (ذي القادر)
مرعش
إمارة أبناء رمضان
طرسوس
مرج دابق
الرها
ميافارقين
ديار بكر
بلاد الأكراد
الموصل
سنجار
جالديران
تبريز
المراغة
أذربيجان
كرجستان
باكو
سلطانية
همذان
كرمنشاه
الدولة الصفوية
إيــــران
الأهواز
فارس
بغداد
الأنبار
العراق
الكوفة
البصرة
أنطاكيا
حلب
الرقة
حماة
حمص
طرابلس
مملكة قبرص
ليماسول
رودس
كريت
البحر العثماني (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
دمشق
عكا
بلاد الشام
القدس
يافا
عسقلان
الكرك
السلطنة المملوكية
الإسكندرية
دمياط
إلى برقة الليبية
الريدانية
القاهرة
مصـــــر
دومة الجندل
تبوك
المنيا
الصعيــــد
السلطنة المملوكية
قوص
أسوان
النوبــــة
أبو سمبل
عيذاب
بحر القلزم (البحر الأحمر)
المدينة النبوية
ينبع
الحجاز
الأشـــراف
جدة
مكة
السلطنة المملوكية
البليميون (البجه)
دنقله
سواكن
مروي
نجـــد
اليمامة
البحرين
قطر
خليج البحرين (الخليج العربي)
الدولة الجبرية
العرب
جزيرة
جزر دهلك
صعدة
اليمن
صنعاء
الدولة الطاهرية
حضرموت
بحر العرب
السلطنة المملوكية
الدولة العثمانيــــة
إمارة دلغادر (ذي القادر)
بلاد الكرج (جورجيا)
الدولة الصفويـــة
الدولة الطاهرية
ممالك نصرانية إفريقية
الدولة الجبرية (٧٨٥-٩٣٠هـ)

مما سبق يتأكد لنا **الضعف الشديد الذي أصاب الدولة المملوكية** في مصر والشام بحيث أصبحت غير قادرة على صد هجمات البرتغاليين من الجنوب، وهجمات الأسبان من ناحية الغرب. إضافة إلى غضب السلطان سليم الأول الشديد على السلطان الغوري ودولته في مصر؛ بسبب مساعدتها للصفويين في أثناء قتالهم مع العثمانيين وهذه الأسباب كلّفت العالم الإسلامي الشيء الكثير.

وكما ذكرنا في السبب الثاني؛ أن الذي آل بالعثمانيين لضم دولة المماليك وجود نزاعات بينهما على إمارة دلغادر (**ذي القادر**) وقاعدتها مرعش، (انظر موقعها على الخارطة في الصفحة المقابلة) على الحدود الفاصلة بين الدولتين. **فقد قرر السلطان سليم الأول شن الحرب على المماليك الذين تحالفوا مع الصفويين ضد العثمانيين، والذين يختلف معهم بشأن إمارة ذي القادر على الحدود بين الطرفين**، إضافة إلى جملة الأسباب السابقة.

ومن أجل تهدئة الوضع بين الطرفين حاول السلطان المملوكي قنصوه الغوري استخدام وسائله الدبلوماسية، فأرسل إليه سفيرًا ليمتص غضبه، ولكن سليم الأول طرد السفير، وتوجه بجيوشه سريعًا إلى الشام، وعندما علم السلطان الغوري بذلك لم يجد مفرًا من إعداد العدة لمواجهته، فأعد جيوشه وتوجه للقاء العثمانيين.

فبعد نجاح السلطان سليم الأول في استمالة ولاة بلاد الشام المماليك إلى جانبه، ووعدهم ببقائهم في إماراتهم إذا ما تم له النصر على السلطان الغوري، فقد سار بجيشه لملاقاة المماليك عند "**مرج دابق**" بالقرب من حلب في (٢٥ رجب ٩٢٢هـ/ ٢٤ أغسطس ١٥١٦م)، واحتدم القتال العنيف بينهم، وأبدى المماليك في بداية هذه المعركة ضروبًا من الشجاعة والبسالة، وقاموا بهجوم خاطف زلزل العثمانيين، وأنزل بهم خسائر فادحة.

ولكن سرعان ما دبّ الخلاف بين فرق المماليك المحاربة، وانحاز بعضها إلى الجيش العثماني بقيادة الأمير المملوكي "**خايربك**"؛ فتسلل ولاة الشام بجيوشهم وانضموا للعثمانيين، فضعف أمر المماليك وهزموا هزيمة منكرة وتمزقت قواتهم، وسرت إشاعة في جيش المماليك أن الغوري سقط قتيلًا، فخارت عزائمهم ووهنت قواتهم، وفرّوا لا يلوون على شيء، ولم تفلح محاولات الغوري في تجميع جيشه بنداءاته وصيحته في جنوده بالثبات والصمود، وسقط عن فرسه جثة هامدة من هول الهزيمة، وتحقق للعثمانيين النصر الذي كان بداية لأنْ يستكمل سليم الأول فتوحاته في الشام، وأن يستولي على مدنه واحدة بعد أخرى، بعدها سلَّم معظمها له بالأمان دون قتال.

معركة مرج دابق في ٢٥ رجب ٩٢٢هـ/ ٢٤ أغسطس ١٥١٦م

١ سار السلطان **سليم** بجيشه نحو بلاد الشام، واستعد للسلطان الأشرف قنصوه الغوري، واتجه نحو الأناضول، والتقى الطرفان في **مرج دابق** شمال غربي مدينة حلب، وكان السلطان العثماني قد اتصل بولاة الشام ومنَّاهم، أو التقوا به، وتقربوا إليه، وعندما التحم الجيشان يوم ٢٥ رجب عام ٩٢٢ هـ، انفصل ولاة الشام بمن معهم وانضموا إلى العثمانيين فانتصروا، وهزم المماليك رغم شجاعة السلطان الأشرف والجهد الذي قدمه، وثباته في المعركة حتى قتل.

٢ دخل السلطان سليم **حلب**، **وحماه**، **وحمص**، **ودمشق** دون مقاومة، بل بالترحيب في أغلب الأحيان، وأبقى ولاة الشام على ولاياتهم حسبما وعدهم، بل زاد في مناطق نفوذ بعضهم حسبما بذلوا في ميدان مرج دابق، واتجه إلى مصر، بعد أن قابل العلماء وأكرمهم، **وأمر بترميم مسجد بني أمية بدمشق**، وقد عين جانبرد الغزالي على دمشق، وفخر الدين المعني على جبل لبنان، وهو من الدروز، وقد ساعد السلطان سليم، ووقف إلى جانبه بعد أن ترك المماليك ليحصل على الولاية، وهو من ألد أعداء العثمانيين.

٣ كان المماليك في مصر

قد اختاروا سلطانًا جديدًا هو خليفة قنصوه الغوري، ويدعى **(طومان باي)**، وقد أرسل إليه السلطان سليم يعرض عليه الصلح مقابل الاعتراف بالسيادة العثمانية على مصر، غير أن طومان باي رفض ذلك، واستعد للقتال، وكان السلطان **سليم** يبكي في مسجد الصخرة **ببيت المقدس** بكاء حارًا. وصلى صلاة الحاجة داعيًا الله أن يفتح عليه مصر، وتحرك نحو مصر وقطع صحراء فلسطين، والتقى الطرفان عند حدود بلاد الشام فهزم المماليك، **ودخل العثمانيون غزة.**

معركة الريدانية سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٧ م

بعد الانتصارات التي حققها السلطان العثماني **سليم الأول** على أرض الشام، وقبل التوجه لمصر أرسل رسولًا إلى الزعيم الجديد للمماليك **طومان باي** يطلب منه الخضوع له، والطاعة للدولة العثمانية، وذكر اسمه بالخطبة، وعرض عليه أن تكون مصر له بدءًا من غزة، ويكون هو واليًا عليها من قبل السلطان العثماني، على أن يرسل له الخراج السنوي لمصر، وحذره من الوقوع فيما وقع فيه سلفه قنصوه الغوري. لكن طومان باي رفض العرض، وقتل الرسل بتأثير من أتباعه الجراكسة مما يعني إعلان الحرب على العثمانيين؟!

بعد مقتل رسل السلطان سليم الأول، قرر التوجه بجيشه صوب مصر بجيش مقداره مئة وخمسون ألف مقاتل، وصحبه كثير من المدافع، واجتاز الصحراء مع جيشه ووصل العريش بتاريخ ١٧ ذي الحجة ٩٢٢هـ الموافق ١١ يناير ١٥١٧م، فقطع صحراء فلسطين، وقد نزلت الأمطار على أماكن سير الحملة مما يسرت على الجيش العثماني قطع الصحراء الناعمة الرمال، وذلك بعد أن جعلتها الأمطار الغزيرة متماسكة مما يسهل اجتيازها، ووصل الصالحية مع جيشه بتاريخ ٩٢٢هـ بعد أن عبر الصحراء في خمسة أيام وفي أثناء عبور الجيش العثماني للصحراء تعرض إلى **غارات البدو**، وكان السلطان المملوكي يحث البدو على القيام بهذا العمل، وكان يدفع مقابل كل رأس تركي وزنه ذهبًا، وقد اشتدت غارات البدو لدرجة خاف الوزير الأعظم من حدوث معركة كبيرة، وقد كادت أن تكلف حياته هو الآخر.

بداية المعركة : جمع طومان باي ٤٠ ألف جندي نصفهم من أهالي مصر، والنصف الآخر من العسكر المماليك، وفي قول آخر كان عدد جيشه ٣٠ ألف مقاتل. وقد استقدم ٢٠٠ مدفع مع مدفعيين من الفرنجة، ووضعها في **الريدانية** والهدف منها هو مباغتة العثمانيين عند مرورهم والانقضاض عليهم، وحفرت الخنادق، وأقيمت الدشم (الأماكن الخاصة للآليات) لمئة مدفع، وكذلك الحواجز المضادة للخيول على غرار ما فعله سليم الأول في معركة مرج دابق، ولكن استخبارات العثمانيين تمكنت من اكتشاف خطة الجيش المصري[1].

تمكن والي **حلب المملوكي (خاير بك)** الذي دخل بخدمة العثمانيين من تأمين خيانة صديقه القديم **جانبردي** الذي كان على خلاف مع السلطان طومان باي، وهو الذي أشار على السلطان سليم بالالتفاف على جيش المماليك. وقد علم طومان باي بالخيانة بعد فوات الأوان، وتردد بمعاقبته خوفًا من أن يدب الخلل في صفوف الجند.

١ – د. فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية.


معركة الريدانية في ٢٩ ذي الحجة سنة ٩٢٢هـ / ٢٢ كانون الثاني ١٥١٧ م
في ٨ محرم ٩٢٣هـ دخل العثمانيون القاهرة. وانطلق طومان باي إلى جهات الجيزة يقاتل العثمانيين، غير أنه سقط أسيرًا بأيديهم، وشنق في ٢١ ربيع الأول ٩٢٣هـ.
بركة الحج
المرج
الخليج المصري
عين شمس
المطرية
سبيل ابن عبد الحكم
بركة الحاج
القوات العثمانية
قال ابن إياس في كتابه (بدائع الزهور في وقائع الدهور): وصلت طلائع عسكر ابن عثمان عند بركة (الحاج) بضواحي القاهرة، فاضطربت أحوال العسكر المصرية، وأغلق باب الفتوح وباب النصر وباب الشعرية وباب البحر.. وأغلقت الأسواق، وزعق النفير، وصار السلطان طومان باي راكبًا بنفسه وهو يرتب الأمراء على قدر منازلهم، ونادى للعسكر بالخروج للقتال، وأقبل جند ابن عثمان كالجراد المنتشر، فتلاقى الجيشان في أوائل الريدانية، فكان بين الفريقين معركة مهولة وقتل من العثمانية ما لا يحصى عددهم). ويستطرد ابن إياس فيقول: (ثم دبت الحياة في العثمانية، فقتلوا من عسكر مصر ما لا يحصى عددهم).
نهر النيل
الخليج الناصري
بولاق
الريدانية
قنطرة باب البحر
باب النصر
باب زويلة
الجزيرة الوسطى
قنطرة قديدار
قنطرة السباع
القوات المملوكية
جبل المقطم
الروضة
مصر القديمة
٠ ٥٠٠ ١٠٠٠ ١٥٠٠متر

قام السلطان العثماني بعملية تمويهية بعيد اكتشافه للخطة المصرية، بأن أظهر نفسه سائرًا نحو العادلية، ولكنه التف وبسرعة حول **جبل المقطم**، ورمى بكل ثقله على المماليك **بالريدانية**، وكانت تلك حيلة **جانبردي الغزالي** الذي أبلغ **خاير بك** بذلك، فوقعت المواجهة بتاريخ ٢٩ ذي الحجة ٩٢٢ هـ الموافق٢٢ يناير ١٥١٧م.

استمرت **المعركة الضارية بين العثمانيين والمماليك** ما بين ٧-٨ ساعات، وانتهت بهزيمة المماليك، وفقد العثمانيون خيرة الرجال منهم سنان باشا الخادم، وقد قتل بيد طومان باي الذي قاد مجموعة فدائية بنفسه، واقتحم معسكر سليم الأول، وقبض على وزيره وقتله بيده، ظنًّا منه أنه سليم الأول.

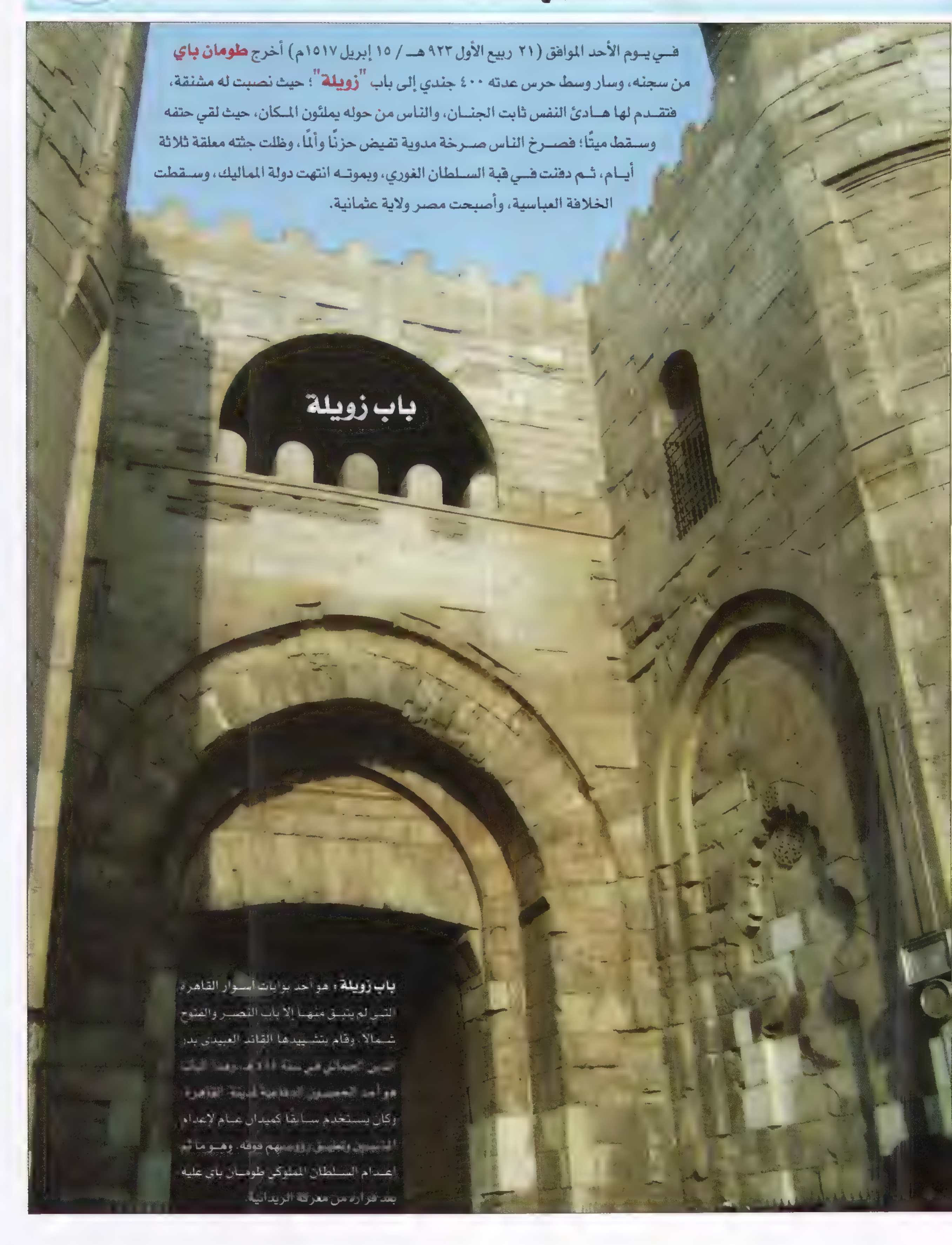
وأيضًا فقد من القادة العثمانيين وأمراء الجيش بسبب الشجاعة المنقطعة للمماليك، ولكنهم لم يستطيعوا مواجهة الجيش العثماني لمدة طويلة؛ فقد خسر المماليك حوالي ٢٥ ألف قتيل، **وفر طومان باي من المعركة، ودخل العثمانيون العاصمة المصرية** وقد استغرق منهم الكثير من الوقت والرجال، حتى استكملوا سيطرتهم بالكامل على القاهرة[١].

بعد هذا النصر المؤزر **بقي السلطان العثماني سليم الأول في القاهرة ما يقرب من شهر** وزع خلالها الأعطيات، وحضر الاحتفالات، **ويقال: إنه قد تنازل له الخليفة العباسي محمد المتوكل على الله عن الخلافة، وسلمه مفاتيح الحرمين الشريفين، فأصبح السلطان العثماني منذ ذلك اليوم خليفة للمسلمين**، وصارت مصر نيابة عثمانية بعد أن كانت سلطنة مملوكية، ولكن الواقع التاريخي يقول: إن السلطان سليم الأول أطلق على نفسه لقب (خليفة الله في طول الأرض وعرضها) منذ سنة ٩٢٠هـ ١٥١٤م، أي قبل فتحه للشام ومصر وإعلان الحجاز خضوعه لآل عثمان.

---

١ - د. عثمان علي عطا، معركة الريدانية.

من **الآثار المملوكية الشهيرة** في القاهرة **(خان الخليلي)** حيث يحمل الخان لقب الخليلي؛ نسبة إلى السلطان جاهركس الخليلي أحد سلاطين المماليك الجراكسة، والذي أسسه في سنة ٧٨٣ هـ/ ١٣٨٢م، على أنقاض مقابر الخلفاء العبيديين في مصر والتي عرفت باسم «تربة الزعفران» وكان لهذه التربة رسوم وعوائد يحرص عليها كل الخلفاء العبيديين من حيث زيارتها والتردد عليها وإنارتها والتصدق أيام عز سلطانهم؛ فلما رغب جهاركس في بناء هذا الخان نبش "تربة الزعفران" وألقى بما كان بها من عظام على التلال الموجودة خارج القاهرة؛ معتذرًا عن ذلك بأن العبيديين كانوا كفارًا لأنهم ينتمون للمذهب الشيعي الذي يقوم على سب الخلفاء الثلاثة الأوائل والطعن في أمهات المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين.



في يوم الأحد الموافق (٢١ ربيع الأول ٩٢٣هـ / ١٥ إبريل ١٥١٧م) أخرج **طومان باي** من سجنه، وسار وسط حرس عدته ٤٠٠ جندي إلى باب **"زويلة"**؛ حيث نصبت له مشنقة، فتقدم لها هادئ النفس ثابت الجنان، والناس من حوله يملئون المكان، حيث لقي حتفه وسقط ميتًا؛ فصرخ الناس صرخة مدوية تفيض حزنًا وألمًا، وظلت جثته معلقة ثلاثة أيام، ثم دفنت في قبة السلطان الغوري، وبموته انتهت دولة المماليك، وسقطت الخلافة العباسية، وأصبحت مصر ولاية عثمانية.

باب زويلة: هو أحد بوابات أسوار القاهرة التي لم يتبق منها إلا باب النصر والفتوح شمالاً، وقام بتشييدها القائد العبيدي بدر الدين الجمالي في سنة [illegible] هو أحد الحصون الدفاعية لمدينة القاهرة وكان يستخدم سابقًا كميدان عام لإعدام المتهمين وتعليق رؤوسهم فوقه. وهو ما تم إعدام السلطان المملوكي طومان باي عليه بعد فراره من معركة الريدانية.

ضم الحجاز للدولة العثمانية ومسألة انتقال الخلافة إليهم

كانت **الحجاز تابعة للمماليك** وعندما علم شـريف مكة بمقتل السلطان الغوري ونائبه طومان باي بادر شـريف مكة "الشريف بركات " إلى تقديم السمع والطاعة إلى السلطان سليم الأول وسلمه مفاتيح الكعبة وبعض الآثار النبوية، وهي: بيرق وسـيف وعباءة الرسـول صـلى الله عليه وسـلم؛ فأقر السلطان سليم الأول شريف مكة"الشريف بركات " باعتباره أميرًا على مكة والحجاز، ومنحه صلاحيات واسعة.

بتصرف عن (د. جميل بيفون وآخرون، تاريخ العرب الحديث، ص٤١).

وبذلك أصـبح **السـلطان العثماني سليم الأول خادمًا للحرمين الشـريفين**، وأصبحت مكانته أقوى أمام الشـعوب الإسـلامية؛ وبخاصـة أن الدولة أوقفت أوقافًا كثيرة على الأماكن المقدسـة، وكانت إيراداتها تصـب في خزانة مستقلة بالقصـر السلطاني، وقد أدى ضم الحجاز إلى العثمانيين إلى بسط السـيادة العثمانيـة في البحر الأحمـر، مما أدى الى دفع الخطر البرتغالي عـن الحجاز والبحر الأحمر واستمر هذا حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي. (د. جميل بيفون وآخرون، المرجع نفسه، ص٤١).

إن مسـألة انتقال الخلافة إلى آل عثمان ترتبط بالفتح العثماني لمصـر، **وقد قيل: إن آخر الخلفـاء العباسـيين فـي القاهرة قـد تنازل لسـليم الأول عـن الخلافة**، فالمؤرخ ابن إياس المعاصـر لضم العثمانيين لمصـر لم يتطرق إليها، كما أن الرسائل التي أرسـلها السلطان سليم الأول الى ابنه سـليمان لم ترد فيها أي إشـارة لتنازل الخليفة عن لقبه للسلطان، كما أن المصادر المعاصرة لا تشير إلى مسألة نقل الخلافة إلى آل عثمان الذين لاينتسبون إلى الرسول عليه السلام.

إن الواقع التاريخي يقول: إن السـلطان سـليم الأول أطلق على نفسـه لقب "خليفة الله في طول الأرض وعرضها" منذ عام ١٥١٤م (٩٢٠هـ) أي قبل فتحه للشام ومصـر وإعلان الحجاز خضوعه لآل عثمان. فالسلطان سليم وأجداده كانوا قد كسبوا مكانة عظيمة تلائم استعمال لقب الخلافة في الوقت الذي كان فيه مركز الخليفة فـي القاهرة لايعتد به. كما أن فتوح سليم أكسبته قوة ونفوذًا معنويًا وماديًا، وخصوصًا بعد دخول الحرمين الشـريفين تحت سلطانه، وأصبح السلطان العثماني مقصدًا للمستضعفين المسلمين الذين يتطلعون إلى مسـاعدته بعد أن هاجم البرتغاليون الموانئ الإسـلامية فـي آسـيا وإفريقيا. خلاصة القول: أن السلطان سليم لم يكن مهتمًا بلقب الخلافة، وكذلك سلاطين آل عثمان من بعده، وأن الاهتمام بهذا اللقب قد عاد بعد ضعف الدولة العثمانية. د. الصلابي، الدولة العثمانية، ص ٢١١.



خريطة أرض الحجـــاز الطبيعية

بعد القضاء على **الدولة الطاهرية** تغيرت الأحلاف وموازين القوى وأخذ الإمام شرف الدين يقاتل حلفاء الأمس من المماليك الذين أسماهم قبلاً " غزاة كرماء ". ويتحالف مع والي الدولة الطاهرية في ثلا، في حين تحالف الأشراف الحمزات مع المماليك نكاية بالإمام شرف الدين، **وقد ضعفت معنويات الجند المماليك كثيرًا بسبب سقوط دولتهم في مصر على يد الأتراك العثمانيين** بعد قليل من القضاء على الدولة الطاهرية في نفس العام ٩٢٣ هـ/١٥١٧م، **مما اضطر المماليك في اليمن إلى الاعتراف بالسيادة العثمانية**، وهكذا دخلت اليمن تحت السيادة العثمانية عبر تبعيتها السابقة للمماليك، لكن العثمانيين أنفسهم لم يصلوا اليمن إلا سنة ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨م وهي حملتهم الأولى على اليمن بعد أن وضحت لهم أهمية موقع اليمن الإستراتيجي المطل على البحر الأحمر وبحر العرب، في إطار صراعهم كقوة دولية مع **القوة البرتغالية البحرية** المتنامية في المحيط الهندي وبحر العرب، التي أخذت تحول الطريق التجاري من البحر الأحمر عبر رأس الرجاء الصالح مع ما يتبع ذلك من خسائر في عائدات الموانئ الخاضعة لسيطرة العثمانيين[٢].

أصبح **مصير المماليك في اليمن قبل قدوم العثمانيين** إلى قوة صغيرة منحصرة في **زبيد** بعد أن تمكن الإمام شرف الدين بمعارك طاحنة مع المماليك من مطاردتهم مهزومين حتى زبيد. وقد تولى قيادة الحملات الحربية المطهر ابن الإمام شرف الدين، أحد فرسان الحرب المرموقين في هذه الحقبة، والمتصف مع ذلك بالقسوة والجبروت إلى حد أن أباه الإمام شرف الدين برأ إلى الله أمام الملأ من بعض أفعاله. لقد حصر نفوذ المماليك في زبيد، لتقضي عليهم بعدئذ القوة التركية، وليجد الإمام شرف الدين، الذي كان قد ضم معظم اليمن من عدن إلى صعدة تحت حكمه- نفسه وجهًا لوجه مع الأتراك العثمانيين[٣].

١ - ٢، الموقع الرسمي لرئاسة الجمهورية اليمنية على الشبكة العنكبوتية.

اليمن والعثمانيون

بعد انهزام المماليك قدّم حاكم اليمن المملوكي الجركسي (إسكندر) وفدًا إلى السلطان سليم ليقدم فروض الولاء والطاعة له، فوافق السلطان العثماني على إبقائه في منصبه، وكانت اليمن تشكل بعدًا إستراتيجيًا وتعد مفتاح البحر الأحمر وفي سلامتها سلامة للأماكن المقدسة في الحجاز وكانت السيطرة العثمانية في بداية الأمر ضعيفة، بسبب الصراعات الداخلية بين القادة والمماليك إلى جانب نفوذ الإمامة الزيدية بين قبائل الجبال، هذا فضلًا عن الخطر البرتغالي الذي كان يهدد السواحل اليمنية، وهذا دفع السلطان إلى إرسال قوة بحرية؛ إلا أنها فشلت بسبب النزاع الذي دب بين قائدها "حسين الكردي" متصرف جدة و"الريس سلمان" أحد قادة البحر العثمانيين[١].

١ - د. الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص٢١٢.



لعبت **رسالة الإمام الزيدي شرف الدين**، لقائد **قوات المماليك** حسين الكردي المرابط في **جزيرة كمران** دورًا في التعجيل **بنهاية الطاهريين**، فقد طلب القائد المملوكي من الطاهريين أن يجهزوا معه قوة **لمحاربة البرتغاليين** الغازين للسواحل الإسلامية، إلا أن الطاهريين رأوا عدم إجابة هذا الطلب، وعلى إثر ذلك قرر المماليك النزول بقواتهم إلى السواحل اليمنية لمقاتلة الطاهرية، وهو بالضبط ما أراده الإمام شرف الدين، وقد نزل المماليك إلى الساحل اليمني بأسلحتهم الجديدة، مثل المدافع والبنادق، التي لا عهد للناس بها، وهي البنادق التي وصفها ابن الديبع ووصف فزع الناس منها، ودارت الحرب بين الطاهريين من جهة، والمماليك ومن تعاون معهم مثل الإمام شرف الدين وبعض القبائل من جهة أخرى، وقد كانت المعارك مع ما يرافقها من سلب ونهب سجالًا تخللتها حالات مفاوضات وصلح قصير الأمد، مع خلافات بين أفراد القوة الغازية، وكانت ساحات القتال بلاد **تهامة وتعز ورداع والمقرانة وصنعاء**.

الصراع العثماني البرتغالي[١]

ذكرنا في ص ٣٠٢ طبيعة الصراع المملوكي البرتغالي وموقف العثمانيين منه، ولتحقيق الأهداف البرتغالية؛ رأى رواد الكشوف وساستهم ضرورة **التحكم في مضيقي "هرمز" و"باب المندب"** لكي يحكم أعداء الاسلام غزوهم للعالم الإسلامي من الخلف ودق عصب الاقتصاد في المناطق العربية والإسلامية، **ومن ثم نشر النصرانية** في كل موقع يصلون إليه، فقد نجح البرتغاليون في خططهم، وتمكنوا من السيطرة على معابر التجارة في الساحل الإفريقي والخليج العربي وبحر العرب، وقاموا بمنع وصول المنتجات الشرقية إلى أوروبا عن طريقها، وقد ساعدهم في تحقيق ذلك عدم وجود منافس بحري لهم، مما سهل لهم السيطرة على المراكز المهمة بيسر وسهولة، ثم لم يتورع البرتغاليون بعد ذلك عن استخدام العنف فشهدت المناطق التي وصلوا إليها واحتلوها الكثير من المجازر وإشعال النيران والتدمير، والاعتداء على حرمات الناس **ومنع المسلمين من الذهاب إلى الحج** وهدم المساجد عليهم، ومما يجدر ذكره **أن البرتغاليين استعانوا في حملاتهم باليهود** الذين استخدموا كجواسيس، وقد ساعدهم في ذلك معرفتهم باللغة العربية، وذكر ابن إياس: إنه في زمن **الشريف بركات أمير مكة** تسلل ثلاثة أشخاص إلى مكة وكانوا يحومون حول المسجد الحرام وعليهم لباس عثماني ويتحدثون العربية والتركية، فأمر بالقبض عليهم وبالكشف على أجسامهم اتضح أنهم نصارى؛ لأنهم بغير ختان، وبعد التحقيق معهم ظهر أنهم جواسيس، أرسلوا للعمل كأدلاء للجيش البرتغالي الصليبي عند دخوله لمكة، وتم بعد ذلك إرسالهم إلى السلطان قنصوه الغوري. وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية بعيدة عن ساحة المعركة ويفصل بينها وبين البرتغال دولة المماليك والدولة الصفوية، ومع ذلك لبى السلطان **بايزيد الثاني** طلب السلطان الغوري مساعدته ضد البرتغال، فأرسل في شهر شوال سنة ٩١٦هـ/ ١٥١١م سفنًا عدة محملة بالمكاحل والأسهم وأربعين قنطارًا من البارود وغير ذلك من المستلزمات العسكرية والأموال اللازمة. ولكن هذه المساعدة لم يكتب لها الوصول سالمة بسبب تعرضها **لقرصنة فرسان القديس يوحنا**.

وبعد أن ضم العثمانيون بلاد مصر والشام ودخلت البلاد العربية تحت نطاق الحكم العثماني **في عهد السلطان سليم الأول، واجهت الدولة العثمانية البرتغاليين بشجاعة نادرة**، فتمكنت من استرداد بعض الموانئ الإسلامية في البحر الأحمر (انظر الخريطة ص ٣٢٩).

١- د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ٢١٧.



ألفونسو دي ألبوكيرك، قائد العمليّات البحرية البرتغالية في البحر الأحمر والخليج العربي.

كان **الأمير البرتغالي هنري الملاح** شديد التعصب للنصرانية عظيم الحقد على المسلمين، وقد تحصل هذا الأمير من البابا نيقولا الخامس حقًا في جميع كشوفه حتى بلاد الهند، حيث قال: (إن سرورنا العظيم إذ نعلم أن ولدنا هنري أمير البرتغال، إذ يترسم خُطى والده العظيم الملك يوحنا، وإذ تلهمه الغيرة التي تملك الأنفس كجندي باسل من جنود المسيح، قد دفع باسم الله إلى أقاصي البلاد وأبعادها عن مجال علمنا كما أدخل بين أحضان الكاثوليكية الغادرين من أعداء الله وأعداء المسيح مثل العرب والكفرة...).

وقال **ملك البرتغال** عمانويل الأول معلنًا أهداف الحملات البرتغالية: **إن الغرض من اكتشاف الطريق البحري إلى الهند هو نشر النصرانية والحصول على ثروات الشرق.**

تمكنت **القوات العثمانية** في عهد السلطان سليم الأول من استرداد بعض الموانئ الإسلامية في **البحر الأحمر** مثل: **مصوع وزيلع.**

كما تمكنت من إرسال قوة بحرية **بقيادة ميرعلي بك** إلى **الساحل الإفريقي** فتم تحرير **مقديشو وممبسة** ومُنيت الجيوش البرتغالية بخسائر عظيمة.

تمكن **البرتغاليون** من السيطرة على **المضائق الحساسة** التي تربط العالم الإسلامي بالمحيط الهندي، وبعد سيطرتهم على **جزيرة هرمز تكون حلف بين الشاه إسماعيل الصفوي وألبوكيرك ضد الدولة العثمانية**، وأثرت سياسة الاحتكار هذه على النشاط الاقتصادي في دولة المماليك إبان سقوطها؛ فلم تعد البضائع الشرقية تباع وتشترى في مصر بل في لشبونة عاصمة البرتغال، ولم تتمكن **السلطنة المملوكية** من قهر البرتغاليين لانشغال أسطولها في البحر المتوسط بمحاربة فرسان القديس يوحنا وجيوشها البرية بقمع الاضطرابات الداخلية **وصد الجيوش العثمانية.**

العمليات البحرية العثمانية في عهد السلطان سليم الأول في شرقي إفريقيا

الحكم العثماني للجزائر[1]

خضعت **الجزائر** منذ العقد الثاني من القرن السادس عشر الميلادي/العاشر الهجري جزئيًا ثم كليًا إلى الحكم العثماني، واستمر ذلك إلى سنة ١٨٣٠م تاريخ بداية الاحتلال الفرنسي.

ولما كان الإسبان يغزون الشواطئ الجزائرية في مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، كانت طلائع غزاة البحر العثمانيين، ممثلة في **الأخوة بربروس (انظر ترجمته في الصفحة المقابلة) عروج وخير الدين وإسحاق**، وفي آخرين، قد وصلوا إلى الحوض الغربي للمتوسط، وأخذت تجوب عرضه جيئة وذهابًا، ملحقين بالسفن والشواطئ المسيحية خسائر كبيرة، متخذًا من الموانئ التونسية التي أذن لهم السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد، باستعمالها مقابل دفع الخمس من الغنائم و شروط أخرى منطلقًا لها، فذاع صيتهم، وانتشرت أخبار بطولاتهم في الغزو البحري، **فتوجهت إليهم أنظار المجاهدين الجزائريين**، وفي مقدمتهم أبو العباس أحمد ابن القاضي الزواوي الذي لما رأى قوة شوكة النصارى الكفار، و انتشارهم في المغرب، وضعف المسلمين عن مقاومتهم، **كاتب الترك**، وعرفهم عزة هذه البلاد، لما يسمع من شدة الأتراك في المعارك، ونجدتهم في الحروب والمضايق، وإرهابهم للكفرة فقصد بحسن نية، أن يرفعوا من عزة الإسلام ما انخفض، ويقووا من أمره ما ضعف، وقال : إن بلادنا بقيت لك ولأخيك أو للذئب، **فأقبل الترك نحوه مسرعين**، و جعل هو يحض الناس على اتباعهم، و الانخراط في سلكهم، والسمع، والطاعة؛ لأميرهم عروج التركماني، الذي هو **الباي** فيهم، **فدخل الترك الجزائر و تلمسان.**

ومن هذا النص يستخلص أن تدخل أوائل العثمانيين في الجزائر، كان استجابة لطلب الجزائريين، ونجدة لهم، ومشاركة في الدفاع عن بلادهم، و تحرير ما وقع منها تحت الاحتلال الإسباني. و لكن عروج و جماعته من الأتراك، وغيرهم قبل أن يدخلوا إلى الجزائر أو إلى **تلمسان**، قاموا في سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م بمحاولة لتحرير **بجاية**، لم تكلل بالنجاح، و فيها فقد عروج ذراعه. ولما شفي من إصابته وجدد بناء قوته خلال سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م، هاجم في السنة التالية ٩٢٠هـ/١٥١٤م، بجاية مرة أخرى، و لما باءت محاولته بالفشل، توجه الى بلدة **جيجل**، التي استولى عليها **الجنويون** بقيادة أندرى دوريا في سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م، لتحريرها بالتعاون مع أهاليها وسكان المنطقة المجاورة لها وابن القاضي المذكور. وقد تمكن عروج من القضاء على حصن الجنويين، وتحرير البلدة التي أصبحت منذئذ قاعدة له. و منها وجه هدية ثمينة إلى السلطان العثماني سليم الأول وبذلك ابتدأت الصلة

---

١ – د. عبد الرزاق بن خروف ، الحكم العثماني في الجزائر، موقع الجزائر اليوم على الشبكة العنكبوتية.

الرسمية مع العثمانيين، والنفوذ العثماني في الجزائر.

شرع **عروج و خير الدين** ثم من تلاهما في توسيع نفوذ العثمانيين في الجزائر، انطلاقًا من جيجل أول حاضرة لهم في الجزائر، ثم من مدينة الجزائر ثاني المدن التي خضعت لهم. فعروج لم يلبث في جيجل مدة طويلة حيث تلقى دعوة من أهالي مدينة الجزائر، و أميرهم سالم التومي في سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م؛ **لتخليصهم من الحامية الإسبانية**، التي كانت تضايقهم، وتشل حركتهم، وتحول دون ممارستهم للغزو البحري، فاستجاب لطلبهم، و هاجم الحصن الإسباني، بعد أن استولى على بلدة شرشال المجاورة، و لكن مدفعيته لم تستطع التأثير على الحصن القوي على أنه لم يكن يبعد عن المدينة بأكثر من ١٠٠م، و أنه ظل يقصفه ثلاثة أسابيع.

وساعدت الانتصارات الباهرة الذي حققها عروج وجماعته، بالتعاون أيضًا مع سكان المدينة وعرب المنطقة المجاورة، على استقرار الأمر لحاكم الجزائر الجديد، وعلى مد نفوذه إلى مدن أخرى، ساحلية وداخلية، في مقاطعة الجزائر و خارجها، كدلس، والمدية، ومليانة، وغيرها. ثم توجهت أنظاره إلى الغرب الجزائري للقضاء على الحكام الزيانيين فيه، الموالين للإسبان، كسلطان تنس و سلطان تلمسان.

و قد تمكن من الانتصار على قوات سلطان تنس الكبيرة، في المعركة التي جرت بين الطرفين على مقربة من نهر الشلف، في صيف ٩٢٣هـ/١٥١٧م و ذلك بفضل السلاح الناري الذي كان بحوزة قواته، والذي لا مثيل له لدى قوات سلطان تنس، فاضطر هذا الأخير إلى الفرار إلى قاعدة ملكه. و لما وجد نفسه ملاحقًا فر منها إلى أقصى الجنوب الجزائري، فدخلها عروج ثم تقدم إلى تلمسان فاتحًا.

بويع خير الدين بربروسا في مدينة الجزائر، خلفًا لأخيه عروج، فشرع فورًا في الاستعداد لمواجهة حملة إسبانية متوقعة، قد يشترك فيها حليفهم ملك تلمسان. و لم تكن توقعاته وهمية، إذ تحركت في صيف سنة٩٢٤هـ/ ١٥١٨م، أي بعد شهور قليلة من مقتل أخويه عروج وإسحاق، بقيادة نائب ملك صقلية، هيجو دومنكاد للقضاء على البقية من مدينة الجزائر، وأعوز قائد الحملة إلى سلطان تلمسان للتحرك بقواته إلى مدينة الجزائر، ولكن الجزائريين بقيادة خير الدين تمكنوا من القضاء على الحملة الإسبانية قبل أن يصل هذا الأخير، ولم يسلم من القتل أو الأسر أو الغرق في البحر إلا العدد القليل، وفي أعقاب هذا النصر الباهر، عزم خير الدين الرحيل إلى إقليم الروم، وترك مدينة الجزائر للجزائريين ومن ينتخبونهم منهم. وجمع أهل الجزائر كلهم وأعيانها من العلماء الصلحاء والمشايخ ليخبرهم بعزمه. و لكن هؤلاء أصروا على إقامته في الجزائر، ووافقوا على اقتراحه بصرف الخطبة إلى السلطان سليم العثماني، وضرب السكة باسمه حتى يضمنون مساعدته، وتزويده لهم بما يلزمهم من الرجال وآلات الجهاد لحماية مدينتهم. وكتبوا كما أمرهم خيرالدين كتابًا على لسانهم إلى حضرة السلطان العثماني المذكور يخبرونه بصرف طاعتهم إليه، وأنهم من جملة من تنفذ يهم أحكامه، ويقع فيهم نقضه. وهو بتاريخ أوائل ذي الحجة سنة ٩٢٥هـ/أواخر أكتوبر أو أوائل نوفمبر ١٥١٩م. وكتب هو كتابًا آخر إلى السلطان سليم الأول، الذي رحب بطلب أهالي الجزائر و خير الدين الانضمام تلقائيًا تحت لوائه، وسر به كثيرًا، لأنه كان متجاورًا مع رغباتهم ومطامحه في مد نفوذه ليشمل كل العالم الإسلامي، والعربي، مشرقه ومغربه، حتى يكون أكثر قوة في صراعه مع أوروبا المسيحية، عسكريًا وإستراتيجيًا واقتصاديًا. د. عبد الرزاق بن خروف، الحكم العثماني في الجزائر.


مرتسم لخير الدين بربروسا

خير الدين بربروسا (١٤٧٠ - ١٥٤٦م) كان قائدًا للأساطيل العثمانية ومجاهدًا بحريًا. ولد في جزيرة لسبوس (في اليونان المعاصرة) وتوفي في الآستانة (أستنبول).

اسمه الحقيقي خضر بن يعقوب، ولقبه خير الدين باشا. بينما عرف لدى الأوربّيين بباربروسا (أي ذو اللحية الحمراء).

كان خير الدين عبد الرحمن الأصغر في أربع أخوة: إسحاق وعروج وإلياس ومحمد. والده هو يعقوب وهو إنكشاري أو سباهي من فاردار. وأمه سيدة مسلمة أندلسية، كان لها الأثر على أولادها في تحويل نشاطهم شطر بلاد الأندلس، التي كانت تئنّ في ذلك الوقت من بطش الأسبان والبرتغاليين.


تمثال لخير الدين بربروسا في أستنبول

عمل الأخوة الأربعة كبحارة ومقاتلين في البحر المتوسط ضد قرصنة فرسان القديس يوحنا المتمركزين في جزيرة رودس. قُتل إلياس في معركة وأُسر عروج في رودس الذي ما لبث أن فر إلى إيطاليا ومنها إلى مصر. استطاع عروج أن يحصل على مقابلة مع السلطان قنصوه الغوري الذي كان بصدد إعداد أسطول لإرساله إلى الهند لقتال البرتغاليين.

أعطى الغوري عروج سفينة (مركزها الإسكندرية) بجندها وعتادها لتحرير جزر المتوسط من القراصنة الأوربّيين.

وفي حوالي سنة ٩١٠ هـ/ ١٥٠٥م استطاع عروج الاستيلاء على ٣ مراكب واتخذ من جزيرة جربة (تونس) مركزًا له، ونقل عملياته إلى غرب المتوسط.

طبقت شهرة عروج الآفاق عندما استطاع بين العامين ١٥٠٤ و١٥١٠م **انقاذ الآلاف من مسلمي الأندلس** ونقلهم إلى شمال إفريقيا. وفي عام ١٥١٦م استطاع تحرير الجزائر ثم تلمسان مما دفع أبو حمود موسى الثالث إلى الفرار. تآمر أبو زيان ضده فقتله وأعلن نفسه حاكمًا على الجزائر. استشهد عروج (وعمره ٥٥ عامًا) في معركة ضد الإسبان الذين كانوا يحاولون إعادة احتلال تلمسان وخلفه أخوه الأصغر خير الدين (خضر).


عملة تحمل صورة القائد خير الدين بربروسا

استطاع خير الدين **صد الجيش الأسباني الذي حاول احتلال الجزائر** في ١٥٢٩، وفي سنة ١٥٣١ استولى على **تونس** مجبرًا الملك الحسن بن محمد الحفصي على الفرار.


البرتغال
إسبانيا
البحر المتوسط
المحيط الأطلسي
الرباط
المغرب
الجزائر
تونس
ليبيا
موريتانيا
مالي
النيجر
تيزي أوزو
بجاية
سكيكدة
عنابة
جيجل
قسنطينة
سطيف
مستغانم
وهران
سيدي بلعباس
معسكر
تيارت
مسيلة
باتنة
تبسة
سوق أهراس
تلمسان
وجدة
سعيدة
الجلفة
بسكرة
الهضاب العليا
جبال الأطلس الصحراوية
الأغواط
الواد
تقرت
غرداية
ورقلة
بشار
العرق الغربي الكبير
العرق الشرقي الكبير
القليعة
تيميمون
تندوف
أدرار
عين أميناس
عين صلاح
ريجان
دجانيت
هوغار
تامانراست
العاصمة
مدينة اقتصادية
مدينة ثانوية
مطار
قسم الحدود
الطريق الرئيس
سكة حديدية
الحدود الدولية
للأهمية: المحافظات لها نفس اسم العاصمة الإدارية
الدول الإسلامية في إفريقيا

الإصلاحات العسكرية

كان للعصيان الذي أظهرته الإنكشارية بعد معركة چالديران ورفضها تتبع أثر الشاه إسماعيل ومن معه إلى الجبال الإيرانية أثرًا كبيرًا على قرار السلطان سليم الأول بتغيير نظام تعيين ضبّاط هذه الفئة، ولا سيما أن المحرّضين على التمرّد كانوا من كبار الضبّاط وعلى رأسهم قاضي العسكر "جعفر چلبي". وبعد أن قتل السلطان سليم قاضي العسكر وجميع من حرّض على هذه الفتنة، جعل لنفسه حق تعيين قائدهم العام، ولم يكن من بينهم، ليكون له بذلك السيطرة الفعليّة عليهم، وكان النظام السابق يقتضي بتعيين القائد العام من أقدم ضبّاط الإنكشارية.

الإصلاحات البحرية

أغفل العثمانيون بناء المرافئ والترسانات البحرية لتصنيع السفن الحربية في مدينة القسطنطينية بعد فتحها، وفي سنة ١٥١٨م عزم السلطان سليم الأول بناء ترسانة بحرية ضخمة بغية إنشاء أسطول مكوّن من السفن الحربيّة الكبيرة، لمواجهة السفن البرتغالية بعد أن اشتد خطر البرتغال على العالم العربي والإسلامي، ولاستخدامه في الغزوات البحرية. واختار السلطان مضيق القرن الذهبي لإنشاء المرسى، فعمل المهندسون والمعماريون بكدّ حتى أصبح للعثمانيين أسطولًا بحريًا. لم يُقدّر الله -تعالى- له أن يرى ثمار هذا الأسطول، إذ توفي قبل القيام بأي فتوحات أو غزوات بحرية.



البناء والتشييد

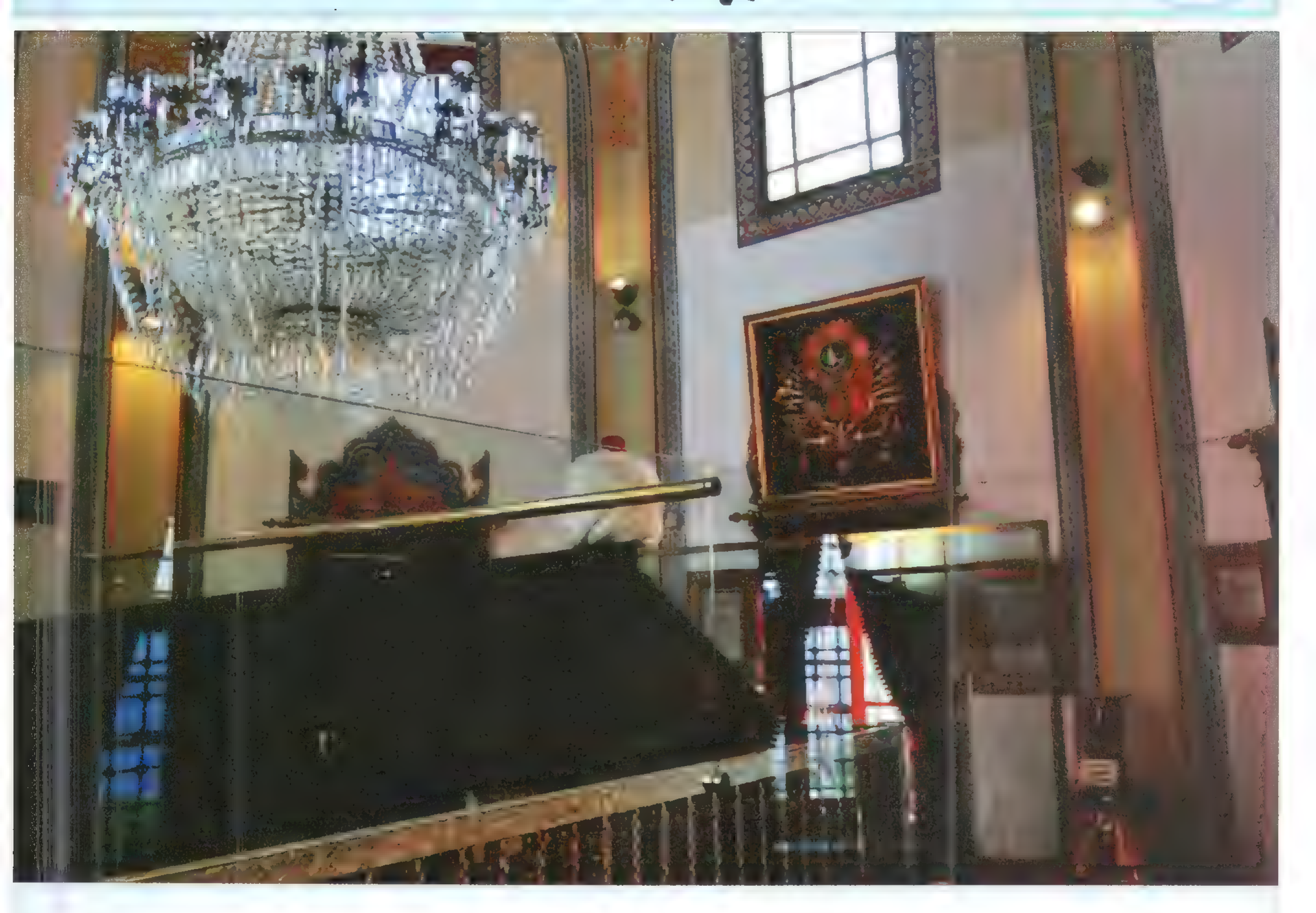
كان للسلطان بضعة إنجازات معماريّة نظرًا لقصر مدة حكمه ولانشغاله بالغزوات والفتوحات طيلة أيامه. بنى عددًا كبيرًا من المساجد ورمم البعض الآخر، ومن أبرز هذه المساجد: مسجد فاتح باشا ومسجد ألبستان في ديار بكر، ومسجد ابن العربي في دمشق، وترميمه للمسجد الأموي، وبدأ العمل في عهده على بناء مسجد يحمل اسمه، ولم يكتمل إلا بعد وفاته. كذلك بنى السلطان بضعة مدارس وتكايا وزوايا للمتصوفين، وحوّل أجمل كنائس القسطنطينية إلى مساجد، مع إبقائه على يمين جدّه الفاتح، لبطريرك الروم الأرثوذكس آنذاك، بعدم مس نصف الكنائس الثاني الذي تركه لهم بعد فتح المدينة.

اهتمامه بالأدب والتاريخ

كان السلطان سليم الأول محبًا للأدب والشعر والتاريخ، ورغم قسوته فإنه كان يميل إلى صحبة رجال العلم، وكان يصطحب المؤرخين والشعراء إلى ميدان القتال ليسجلوا تطورات المعارك وينشدوا القصائد التي تحكي أمجاد الماضي، وفي هذا انعكاس لشخصيته، حيث وصفه عدد من معاصريه أنه "بطل ملحمي". كان سليم أيضًا شاعرًا متميزًا يتقن اللغات التركية والفارسية والعربية وينظم بها الشعر تحت الاسم المستعار "مَهلَس سليمي"؛ وما زالت مجموعة من أشعاره بالفارسية باقية حتى اليوم في أستنبول وفي برلين بعد أن نقلها إلى هناك الإمبراطور "فيلهلم الثاني" سنة ١٩٠٤م.



الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول



بعد عودة السلطان **سليم الأول** من مصر، انهمك بتجهيز أسطول بحري ضخم لمعاودة الكرّة على **جزيرة رودس** بحرًا بعد أن لم يتمكن جدّه، السلطان محمد الفاتح، من غزوها في أيامه، ويُقال أيضًا: إنه كان يُحضّر لحملة على المجر، **وكان يستعد لمحاربة الشاه إسماعيل الصفوي مجددًا بعد أن تحالف مع البرتغاليين ضده، وسمح لهم بإقامة مراكز حصينة على الجزر الواقعة في الخليج العربي.** جمع السلطان خمسة عشر ألف جندي من المشاة تحت قيادة "فرحات باشا" بيلر بك الأناضول، وأرسل إليهم عددًا عظيمًا من المدافع والذخائر، وسار إليهم من **أستنبول** إلى **أدرنة** لقيادتهم في الحملة.

وفي هذه المدة أصيب السلطان بمرض عُضال يقول البعض: إنه كان الجمرة الخبيثة، ويخمنون أنه أصيب به لشدّة تعرضه للجثث في ساحات المعارك واستنشاق روائح الأجساد المتحللة، بالإضافة إلى سفره إلى بلدان ذات مناخات مختلفة ومتناقضة أشد النقيض، وتعرّضه لما في جوّها من أدواء. ويقول آخرون: إن ما أصيب به السلطان لم يكن سوى سرطان جلديّ أصيب به جرّاء تعرّضه الطويل لأشعة الشمس خلال غزواته وسفره على صهوة جواده. بينما يقول البعض: إنه جرى تسميمه من قبل طبيبه الخاص الذي كان يداويه. وعلى الرغم من ألمه، استمر السلطان بسيره إلى أدرنة لإتمام مشروع فتح رودس، لكن لم يمهله المنون ريثما يتم ذلك، فعالجه في رحلته هذه، وتوفي يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٥٢٠م، الموافق ٩ شوّال سنة ٩٢٦هـ، في السنة التاسعة لحكمه ونحو الخمسين من عمره. بتصرف عن الشيخ/ محمود شاكر. التاريخ الإسلامي. ج ٨ ص٩٩.



(٩٢٦-٩٧٣هـ)

(١٥٢٠ - ١٥٦٦م)

والده: السلطان سليم الأول

والدته: حفصة خاتون

ولادته: سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥م

وفاته: سنة ٩٧٣ هـ / ١٥٦٦م

مدة حكمه: من ٩٢٦ - ٩٧٣ هـ/ ١٥٢٠ - ١٥٦٦م



ولـد سـليمان القانـوني في مدينـة (طرابزون) حيث كان والـده آنذاك واليًا عليهـا، اهتم به والده اهتمامًـا عظيمًا، فنشـأ محبًا للعلـم والأدب والعلماء والأدباء والفقهاء، واشـتهر منذ شـبابه بالجدية والوقار، ارتقى عرش السـلطنة في السادسـة والعشـرين من عمره، وكان متأنيًا في جميع شؤونه، ولا يتعجل في الأعمال التي يريد تنفيذها؛ بل كان يفكر بعمق ثم يقرر، وإذا اتخذ قرارًا لايرجع عنه.

كان سـليمان القانوني طويلًا ونحيفًا، مرتفع الجبين، مسـتدير الوجه، كسـتنائي العينين واسـعهما، منفصـل الحاجبـين، معقوف الأنف، خفيف اللحية، وكان مظهره الجسـماني وسـلوكه المتميز يوحيان بعظمته، كما كان حكيمًا، سامي الأخلاق، مخلصًا لتعهداته، وفاضلًا في حياته الخاصة، وكان متفقهًا ومهتمًا بالشؤون الدينية. وكان رصينًا في إصدار قراراته ولذلك لايتراجع أبدًا في قرار اتخذه. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون،تعريب محمد جان، ص ٥٢.

الأعلام الذين عاصروه:

خواجه زاهد البدخشي وهو من شيوخ النقشبندية، والشيخ سنبل سنان، إبراهيم كول شني، الخطاط ده ده ابن الشـيخ حمد الله، قرة داود، الشـيخ زاده، إبراهيم حلبي، مؤلف كتاب"ملتقى الأبحر". شاهدي إبراهيم ده ده. مصطفى أفندي مؤلف قاموس "الاختري". نعمة الله أفندي صاحب كتاب"اللغة". الشيخ مركز أفندي، خضر أفندي، ابن الناجم صاحب كتاب" الأشباح".

أبناؤه:

سليم الثاني، بايزيد، عبدالله، مراد، محمد، محمود، جهانكير، مصطفى.

بناته:

مهرماه سلطان، راضية سلطان.

السلطان سليمان القانوني هو عاشر السلاطين العثمانيين في الدولة وهو صاحب أطول مدة حكم من ٦ نوفمبر ١٥٢٠م حتى وفاته في ٧ سبتمبر سنة ١٥٦٦م خلفًا لأبيه السلطان سليم خان الأول، وخلفه ابنه السلطان سليم الثاني. عرف عند الغرب باسم سليمان العظيم، وفي الشرق باسم سليمان القانوني لما قام به من إصلاح في النظام القضائي العثماني.

جان بردي الغزالي والي الشام

في سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م أعلن جان بردي العصيان على الدولة وحاول أن يستولي على حلب بمساعدة فرسان القديس يوحنا في رودس؛ إلا أنه فشل في ذلك، فأمر السلطان سليمان بقمع الفتنة فقمعت وقطع رأس المتمرد جان بردي بعد معركة المصطبة قرب دمشق، وأرسل إلى أستنبول دلالة على فشل حركته.

أحمد شاه باشا في مصر

في سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٤م كان هذا الباشا طامعًا في منصب الصدر الأعظم ولم يفلح في تحقيق هدفه، وطلب من السلطان أن يعينه واليًا على مصر فعينه. وما أن وصل إلى مصر حتى حاول استمالة الناس وأعلن نفسه سلطانًا مستقلًا إلا أن أهل الشرع وجنود الدولة العثمانية من الإنكشارية قاموا ضد الوالي المتمرد وقتلوه وظل اسمه في كتب التاريخ مقرونًا باسم الخائن.



حركات التمرد في بداية عهد السلطان سليمان القانوني



بابا ذو النون في منطقة يوزغاد

قام الشيعي المحترق بابا ذو النون سنة ١٥٢٦م في منطقة يوزغاد بالثورة حيث جمع هذا البابا مابين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف ثائر وفرض الخراج على المنطقة، وقويت حركته حتى إنه استطاع هزيمة بعض القادة العثمانيين الذين توجهوا لقمع حركته، وانتهت فتنة الشيعة هذه بهزيمته وأرسل رأسه إلى أستنبول.

قلندر جلبي في منطقتي قونية ومرعش

قام شيعي آخر (قلندر جلبي) في منطقتي قونية ومرعش بالثورة وكان عدد أتباعه ٣٠,٠٠٠ شيعيًا قاموا بقتل المسلمين السُّنَّة في هاتين المنطقتين. ويقول بعض المؤرخين: إن قلندر جلبي جعل شعاره أن من قتل مسلمًا سُنِّيًا ويعتدي على امرأة سُنِّية يكون بهذا قد حاز أكبر الثواب. توجه بهرام باشا لقمع هذا العصيان فقتله المصاة، ثم نجحت الحيلة معهم؛ إذ إن الصدر الأعظم إبراهيم باشا قد استمال بعض رجال قلندر جلبي، فقلت قواته وهزم وقتل.

الحلف العثماني - الفرنسي[١]

كان عهد السلطان سليمان القانوني يمثل رأس الهرم بالنسبة لقوة الدولة العثمانية ومكانتها بين دول العالم آنذاك. ويعد عصره؛ العصر الذهبي للدولة العثمانية، حيث شهدت سنوات حكمه من ٩٢٦-٩٧٢هـ، / ١٥٢٠-١٥٦٦م توسعًا عظيمًا لم يسبق له مثيل، وأصبحت أقاليم الدولة العثمانية منتشرة في ثلاث قارات عالمية.

وقد كان العداء متبادلًا بين **ملك فرنسا فرنسوا الأول وشارل الخامس (أو شارلكان) ملك إسبانيا وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة** فكان شارل الخامس بموجب ذلك يحكم أجزاءً شاسعة من أوروبا بما فيها **ألمانيا وهولندا والنمسا والمجر وغيرها**، ولأن الملك الفرنسي لم يكن يملك القوة الكافية لمنازلة غريمه ومنازعته على لقب الإمبراطور، حاول التقرب من الدولة العثمانية.

وحدث أن ذهب وفد فرنسي إلى سليمان القانوني يطلب منه مهاجمة بلاد المجر في سبيل تشتيت جيوش شارلكان وإضعافها، واكتفى السلطان بكتاب من طرفه يعد فيه بالمساعدة، وكان يريد الاستفادة من هذه الفرصة من أجل تسديد ضرباته لمملكة النمسا وتشديد الخناق على دول أوروبا، ومما يجدر الإشارة إليه أن استعانة فرنسا بما لها من قوة وثقل كاثوليكي نصراني في أوروبا آنذاك بالدولة العثمانية المسلمة يعطي المطلع فكرة عما وصل إليه العثمانيون من قوة وصيت وعالمية في ذلك الزمان.

لقد أثمر هذا الحلف بين الدولتين في إضعاف ممالك شارل الخامس والجمهوريات الإيطالية، فعلى الرغم أن الفرنسيين لم يستطيعوا الانتصار على الإسبان في الغرب إلا أن شارلكان خسر أراض عديدة من أوروبا الشرقية، **كما قامت القوات البحرية العثمانية - الفرنسية** بقيادة خير الدين بربروسا باستعادة مدينة نيس وجزيرة كورسيكا لصالح الفرنسيين، كما انتصرت الأساطيل العثمانية على البحرية الإسبانية والإيطالية في مواقع عديدة.

أراد الحلف الفرنسي العثماني غزو إيطاليا بسبب ثراء المدن الإيطالية وازدهار ثقافاتها بالإضافة إلى وجود مقر البابا قائد النصرانية في روما، وبالفعل توجه سليمان الأول بمئة ألف جندي لمهاجمة إيطاليا من الشرق، وهبط خير الدين بربروس من جهة الجنوب في ميناء أوترانة الإيطالي، كما تقدم الفرنسيون من جهة الغرب الإيطالي، وكان الهدف من هذا هو هجوم واحد وكبير من ثلاثة جهات، إلا أن توجس الملك الفرنسي من أن يتهم بالرِّدَّة عن النصرانية من قبل العامة ورجال الدين (لتعاونه عسكريًا مع دولة مسلمة) جعله يعلق عملياته العسكرية ويكتفي بمهادنة شارلكان، ولو أن الحملة العسكرية المشتركة تمت كما خطط لها لغدت إيطاليا بكاملها ولاية عثمانية.سليمان القانوني.

١- سليمان القانوني، الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية؛ نقلًا عن مراجع أجنبية.

الوضع السياسي في مستهل خلافة السلطان العثماني سليمان القانوني



التحالف الفرنسي العثماني، الذي يعرف أيضًا التحالف الفرنسي التركي، هو تحالف بدأ سنة ١٥٣٦م بين ملك فرنسا فرانسوا الأول والسلطان العثماني سليمان القانوني، وهو التحالف الذي قيل عنه: " إنه أول تحالف غير أيديولوجي دبلوماسي من نوعه بين إمبراطوريتين مسيحية ومسلمة". تسبب هذا التحالف في إحراج فرنسا في العالم المسيحي، ونعتوه بـ "التحالف الأثيم"، أو "الاتحاد الذي دنّس زهرة الزنبق والهلال"، ومع ذلك، فقد خدم هذا التحالف مصالح الطرفين. كان هذا التحالف الاستراتيجي والتكتيكي في بعض الأحيان، واحدًا من أهم التحالفات الخارجية الفرنسية، واستمرت لأكثر من قرنين ونصف القرن من الزمان، حتى الحملة الفرنسية على مصر، وهي التي كانت ولاية عثمانية، بين عامي ١٧٩٨-١٨٠١م.

فتح مدينة بلغـــراد[١]

برزت **المجر (هنغاريا)** في أوروبا الشرقية كخصم تقليدي للعثمانيين، بعد **زوال الصرب والبلغار** في نهاية القرن الرابع عشـر الميلادي **وزوال بيزنطة** من قبل، وإن هذه البلاد شكَّلت سـورًا منيعًا ضد التقدم العثماني في أوروبا، في عهدي هونيادي وابنه ماتياس كورفن.

ويبـدو أن المجـر ضـعفت بعد ذلك بفعل بـروز قوة الطبقة الارسـتقراطية على حسـاب الملكية القوية المسـلحة، وازدياد الضـغط الاقتصـادي على الطبقة الزراعية الفقـيرة، ما أدى إلى حدوث اضـطرابات اجتماعية واقتصادية نتيجة هذه الخلافات السياسية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد نتج عن اعتلاء عرش المجر ملوك ضـعاف إلى عدم استغلال انشـغال العثمانيين في إيران وبلاد الشام ومصر للنظر في أحوال مملكتهم والتهيؤ للحرب.

وطرأ حادث أشـعل نار رسـول سـليمان الأول الذي جاء لإعلامه بارتقائه العرش، ويطالبه بدفع الجزية السـنوية المقترحة منه، مقابل تجديد الصـلح. ويبدو أن لويس هذا كان قد عزم على فك أي تعهدات كانت قد أُعطيت للعثمانيين من قِبل أسلافه، **لذلك ذهب إلى حد قتل الرسول مبعوث السلطان**. أثار هذا العمل حفيظة سليمان الأول، فاستشاط غضبًا لهذه الفعلة، وليس ثمة سبب أكبر من ذلك لإعلان الحرب.

دامـت ترتيبـات الحرب (أوائل ٩٢٨ هـ/شـتاء ١٥٢١م)، تحرك بعدها الجيشـ العثماني بعدته وعديده باتجـاه الشـمال. كان هدف الحملة مدينة بلغراد، البوابة المؤدية إلى مـا وراء نهر الدانوب، ومفتاح أوروبا الوسطى، وأقوى قلعة للمجر على الحدود العثمانية، وإذا كُتب لهذه المدينة أن تسقط فستصبح الطريق إلى **بودابست وفيينا** مفتوحة أمام العثمانيين.

وعلـم المجريـون أن موجـة جديـدة من الجيش قذف بهـا العثمانيون راحت تُهدِّدهم، **فاسـتنجدوا بـدول أوروبـا، ولكـن هذه الـدول تلكأت**، ذلـك أن البندقية كانـت تفاوض الباب العالي بشـأن عقد معاهـدة تجاريـة، والبابـا كان منهمكًا بمشـكلات داخليـة، وكذلك كان ملـك بولندا و الإمبراطور شـارل الخامس، الذي نصح الملك لويس الثاني بإبرام هدنة مع السلطان لكسب الوقت.

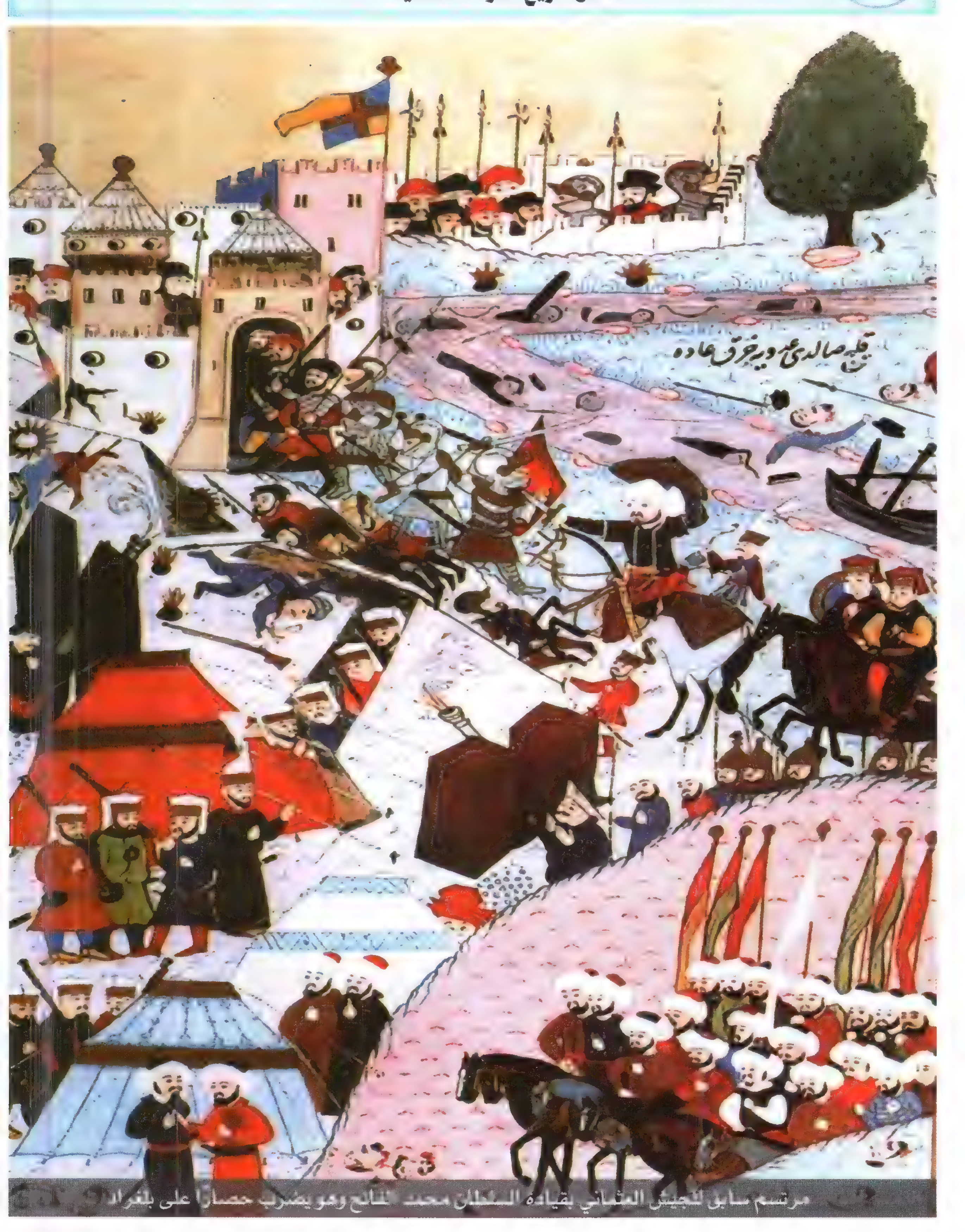
وسـرعان ما وصـل الجيش العثماني إلى صـوفيا عن طريق أدِرنة، وتابع زحفه نحو الشـمال على ثلاثة محاور: محور شـابتس – بلغراد، بقيادة أحمد باشـا، ومحور ترانسـلفانيا – بلغراد، بقيادة محمد مغال أوغلو، ومحور صوفيا – بلغراد، بقيادة الصدر الأعظم بير باشا، على أن تجتمع هذه الجيوش حول مدينة بلغراد ثم يلتحق السلطان بها. وقد هدف السلطان من وراء تكتيكه العسكري هذا إلى التمويه على الحملة وصرف أنظار المجريين عن وجهتها الأساسية.

١-د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ١٨٠-١٨١.

برج "المستبد" والقسم الغربي من سور بلغراد القديم



مرتسم تقريبي لبلغراد في القرن السادس عشر الميلادي



مرتسم سابق للجيش العثماني بقيادة السلطان محمد الفاتح وهو يضرب حصارًا على بلغراد



تمكَّن **أحمد باشا** في أثناء تقدمه، من فتح مدينة شابتس الواقعة على نهر الدانوب والقريبة من بلغراد، وتابع زحفه نحو هذه المدينة الأخيرة. واجتمعت الجيوش الثلاثة حول بلغراد، ثم لحق بها السلطان. وسرعان ما نصبت المدافع حولها وبدأت تقصفها بشكل متواصل، وضيَّق المجاهدون الخناق عليها، ونفَّذوا عمليات اقتحام منظمة حتى تمكَّنوا من الدخول إليها بعد أن نسفوا أكبر برج في تحصيناتها. **ودخل السلطان المدينة، بعد شهرين ونصف من الحصار والضرب المتواصل، وصلّى في إحدى كنائسها بعد أن حوَّلها إلى مسجد**. وبسقوط بلغراد أزيل ذلك الحاجز الذي حال دون تقدُّم العثمانيين إلى الأقاليم الواقعة فيما وراء **نهر الدانوب**، وأضحى الطريق من بلغراد إلى بودا في الدانوب الأوسط، مفتوحًا أمامهم.

فتح جزيرة رودس سنة ٩٢٨ هـ

كانت **رودس جزيرة مشاكسة** إذ كانت حصن حصين **لفرسان القديس يوحنا** الذين كانوا يقطعون طريق الحجاج المسلمين الأتراك إلى الحجاز، فضلًا عن أعمالهم العدوانية الموجهة لخطوط المواصلات البحرية العثمانية، فاهتم السلطان سليمان بفتحها وأعد حملة عظيمة ساعده على تحقيقها أمور عدة:

١- انشغال أوروبا بالحرب الكبرى بين شارل الخامس (كنت)- **إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة**-وفرانسوا ملك فرنسا.

٢- عقد الصلح بين الدولة العثمانية والبندقية.

٣- نمو البحرية العثمانية على عهد سليم الأول.



فتح جزيرة رودس وإجلاء فرسان القديس يوحنا منها في عهد السلطان سليمان

عندما سمع أمير رودس (دوفيلييه دوليل آدم) أن السلطان سليمان قادم على فتحها، أرسل سفراءه إليه ليرضيه بدفع الجزية للدولة العثمانية، وكان قصده من ذلك كسب الوقت حتى تفرغ الدول الأوروبية لمساعدته؛ لأن الحرب كانت قائمة بين فرنسا وألمانيا، والعالم المسيحي **في اضطراب لظهور المذهب البروتستانتي**. فلم يقبل السلطان، وخرج بقوة عسكرية مكونة من ٣٠٠ سفينة حربية و٤٠٠ سفينة نقالة تحت قيادة بيلان مصطفى باشا، تحمل عشرة آلاف جندي تحت قيادة الوزير الثاني داماد مصطفى باشا، ثم خرج السلطان نفسه بجيش عظيم من البر قاصدًا مرمريس الواقعة على ساحل الأناضول تجاه جزيرة رودس؛ للإمداد والوقوف على حركة جيش العدو.



وصلت الجيوش العثمانية إلى جزيرة رودس في شعبان سنة ٩٢٨هـ. فأخذت السفن العثمانية تذهب وتجيء أمام حصون مدينة رودس عاصمة الجزيرة. أما السلطان سليمان الأول فقد ركب البحر على رأس جيش وصل إلى ميدان القتال وأخذ يدير أمر الحصار بنفسه. ثم أمر جيوشه بالحملة على الحصون ودوام مناوأة العدو، وحاول أهل الجزيرة الدفاع عنها بشجاعة، لكن القوات العثمانية استمرت في الضغط حتى اضطرهم لقبول التسليم بعد حصار دام سبعة أشهر، ثم الانتقال منها إلى جزيرة مالطا.

جزيرة رودس اليونانية من الفضاء الخارجي

معركة موهاكـــس سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٦م[1]

كان **ملك المجر فيلاد يسلاف الثاني جاجليو** قد عزم على نقض أي تعهدات كانت قد أُعطيت من قبل أسلافه لسلاطين الدولة العثمانية، وذهب إلى حدّ قتل مبعوث السلطان سليمان إليه، وكان المبعوث يُطالب بالجزية السنوية المفروضة على المجر، ولهذا ردَّ سليمان بغزوة كبيرة ضد المجر.

سار السلطان سليمان الأول من أستنبول في ١١ رجب ٩٣٢هـ/٢٣ إبريل ١٥٢٦م، على رأس جيشه، الذي كان مُؤَلَّفًا من نحو مائة ألف جندي، وثلاثمائة مدفع وثمانمائة سفينة، حتى بلغ بلغراد، ثم تمكَّن من عبور نهر الطونة بسهولة ويسر؛ بفضل الجسور الكبيرة التي تمَّ تشييدها.

وبعد أن افتتح الجيش العثماني قلاع حربية عدة على نهر الطونة وصل إلى "وادي موهاكس" بعد ١٢٨ يومًا من خروج الحملة، قاطعًا ١٠٠٠كم من السير، وهذا الوادي يقع الآن جنوبي بلاد المجر على مسافة ١٨٥ كم شمال غربي بلغراد، و١٧٠ كم جنوبي بودابست، وكان في انتظاره الجيش المجري البالغ نحو مئتي ألف جندي، من بينهم ٣٨ ألفًا من الوحدات المساعدة التي جاءت من ألمانيا، ويقود هذه الجموع الجرارة الملك "فيلاد يسلاف الثاني جاجليو".

وفي صباح يوم اللقاء ٢١ ذي القعدة ٩٣٢هـ/٢٩ أغسطس ١٥٢٦م، دخل السلطان سليمان بين صفوف الجند بعد صلاة الفجر، وخطب فيهم خطبة حماسيَّة بليغة، وحثَّهم على الصبر والثبات، ثم دخل بين صفوف فيلق الصاعقة، وألقى فيهم كلمة حماسية استنهضت الهمم، وشحذت العزائم، وكان مما قاله لهم: "إن روح رسول الله تنظر إليكم". فلم يتمالك الجند دموعهم التي انهمرت تأثُّرًا مما قاله السلطان.

وفي وقت العصر هجم المجريون على الجيش العثماني، الذي اصطف على ثلاثة صفوف، وكان السلطان ومعه مدافعه الجبارة وجنوده من الإنكشاريين في الصف الثالث، فلما هجم فرسان المجر وكانوا مشهورين بالبسالة والإقدام، أمر السلطان صفوفه الأولى بالتقهقر حتى يندفع المجريون إلى الداخل، حتى إذا وصلوا قريبًا من **المدافع**، أمر السلطان بإطلاق نيرانها عليهم.

فحصدتهم حصدًا، واستمرَّت الحرب ساعة ونصف الساعة، في نهايتها أصبح الجيش المجري في ذمة التاريخ، بعد أن غرق معظم جنوده في مستنقعات وادي موهاكس، ومعهم الملك فيلاد يسلاف الثاني جاجليو وسبعة من الأساقفة، وجميع القادة الكبار، ووقع في الأسر خمسة وعشرون ألفًا، في حين كانت خسائر العثمانيين مئة وخمسين شهيدًا، وبضعة آلاف من الجرحى.

---

١ - موهاكس.. أبادت جيشًا وحققت حلمًا - إسلام أون لاين.نت.

بعد انتصار **موهاكس** تحرك الجيش العثماني نحو الشمال بمحاذاة ساحل الطونة الغربي حتى بلغ **بودابست عاصمة المجر**، فدخلها في (٣ ذي الحجة ٩٣٢هـ/١٠ سبتمبر ١٥٢٦م)، وشاء الله -تعالى- أن يستقبل في هذه المدينة تهاني عيد الأضحى في سراي الملك، وكان قد احتفل بعيد الفطر في بلغراد في أثناء حملته الظافرة.

الخريطة

مسار القوات العثمانية إلى معركة موهاكس في بلاد المجر

زحف القوات النصرانية لملاقاة العثمانيين على أرض موهاكس

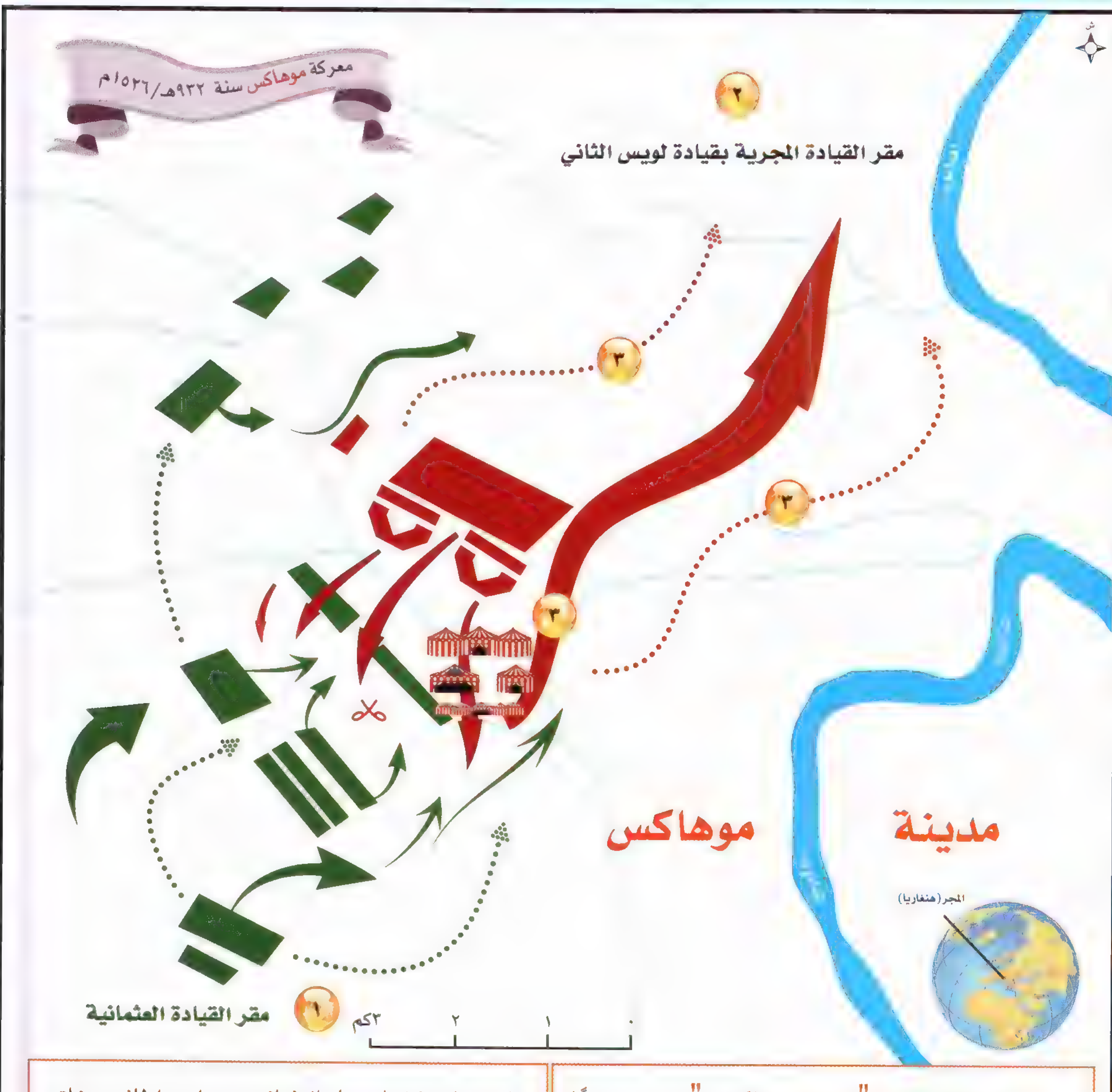
تحرك القوات العثمانية والقوات المجرية والدول المتحالفة معها إلى موهاكس

٢٠٠ ٤٠٠ كم

عند عودة سليمان الأول من بلاد المجر اصطحب السلطان معه الكثير من نفائس البلاد وخاصة كتب كنيسة ماتياس كورفن، وهي كنيسة اعتاد الأوروبيون على تسميتها **بكنيسة التتويج**؛ لأن الملوك الأوروبيين كانت تتوج فيها، وحول المسلمون تلك الكنيسة إلى مسجد وأضيف إليها النقوش العربية، وأعيد المسجد كنيسة عندما خرج العثمانيون من المجر وبقيت النقوش العربية شاهدًا حتى يومنا هذا.



مرتسم تخيلي لمعركة موهاكس لأحد الرسامين الأوروبيين



وصل العثمانيون إلى "وادي موهاكس" بعد ١٢٨ يومًا من خروج الحملة، قاطعًا ١٠٠٠ كم من السير، وهذا الوادي يقع الآن جنوبي بلاد المجر على مسافة ١٨٥ كم شمال غربي بلغراد، و١٧٠ كم جنوبي بودابست. وكان في انتظاره الجيش المجري البالغ نحو مائتي ألف جندي، من بينهم ٣٨٠٠٠ من الوحدات المساعدة التي جاءت من ألمانيا، ويقود هذه الجموع الجرارة الملك "لويس الثاني".

انتهت المعركة بانتصار العثمانيين وتسلم سلطانهم مفاتيح عاصمة المجر بودا (و تعني البلد العالي)، ويجدر الإشارة هنا أن بودابست كانت عبارة عن مدينتين منفصلتين آنذاك وهما: (بودا .. وبست). استيقضت المقاومة المجرية لكنها فشلت وأصبح العثمانيون القوة المسيطرة في أوروبا الشرقية.

مفتاح الخريطة:
- المجريون
- العثمانيون
- أرض المعركة
- تسلسل الأحداث



منمنة عثمانية عن معركة موهاكس (موهاج) بين العثمانيين والمجريين والقوات المتحالفة معها

كانت **معركة موهاكس** من المعارك النادرة في التاريخ، حيث هُزم أحد أطرافها على هذا النحو من مصادمَة واحدة، وفي وقت قليلٍ لا يتجاوز ساعتين، وترتب عليها **ضياع استقلال المجر** بعد ضياع جيشها على هذه الصورة في هزيمة مروعة. وبعد اللقاء بيومين في ٢٣ ذي القعدة ٩٣٢هـ/ ٣١ أغسطس ١٥٢٦م، قام الجيش العثماني بعمل استعراض أمام السلطان سليمان الأول، وقام بأداء التحية له وتهنئته، وقام القادة بدءًا من الصدر الأعظم بتقبيل يد السلطان.

ثم **تحرك الجيش العثماني نحو الشمال** بمحاذاة ساحل الطونة الغربي، حتى بلغ **بودابست عاصمة المجر**، فدخلها في ٣ ذي الحجة ٩٣٢هـ/ ١٠ سبتمبر ١٥٢٦م، (انظر الخريطة ص ٣٤٩).

مكث السلطان في المدينة ثلاثة عشر يومًا يُنَظّم شئونها، وعَيَّن "جان زابولي" أمير ترانسلفانيا ملكًا على المجر، التي أصبحت تابعة للدولة العثمانية، وعاد السلطان إلى عاصمة بلاده، بعد أن دخلت المجر في سلطان الدولة العثمانية.

المجر (هنغاريا)

العاصمة
عاصمة المحافظة
مدينة كبيرة
الطريق الرئيس
سكة حديدية
الحدود الداخلية
الحدود الدولية
الخريطة

سلوفاكيا
النمسا
أوكرانيا
رومانيا
كرواتيا
صربيا

شاتوراليا ويهيلي
كازينشبارشيكا
أوزد
ميشكولتس
نيريجيهازو
شولغوتوريان
إيغر
موسونموجوروفار
الدانوب
شوبرون
دجور
إستيرغوم
فاتس
غيونغيوس
هويدوبوسو رميني
تاتابانيا
بودابست
ديبرتسن
بابا
إيرد
كارتساغ
سزومباتيلي
سيكيشفيرفار
سولنوك
كيفيلد
إيكا
فيسبريم
نوجكوروس
ميزوتور
ب. بالاتون
دونووي‌فاروش
كيشكيميت
زولويغرسيغ
كيشكونفيليجهازو
بيكشتشوبو
نوجكونيجو
أوروشازو
كوبوشفار
سيغسارد
كيشكونهولوس
هودميزوفاشرهلي
الدانوب
ماكو
سيغيد
بايا
موريش
درافا
بيتش
موهاكس
المجر (هنغاريا)
٢٥ ٥٠ ٧٥ كم

نهر الدانوب وهو يقسم مدينة بودابست المجرية (هنغاريا) الى قسمين

قلعة بودابست المنيعة في العاصمة المجرية

تزخر أراضي المجر بالعديد من الآثار العثمانية الإسلامية، إذ خضع جزء من المجر للحكم العثماني قرابة قرن ونصف قرن، منذ أن فتحها العثمانيون على يد السلطان سليمان القانوني.

حيث بنى العثمانيون كثيرًا من الجوامع والمساجد (الأوقاف الحكومية أو المساجد التي يبنيها الأغنياء). ففي كل المدن المجرية التي كان يقدر عددها في ذلك الوقت بين ٣٠-٣٥ مدينة؛ نجد جامعًا رئيسًا (ويسمى جامع الخاصة أو يدعى باسم السلطان الذي بني في عهده ويحمل اسم الجامع الكبير) وعددًا من الجوامع والمساجد الأخرى. ولربما كان هناك أعداد كبيرة من أماكن العبادة أو يزيد، بقي منها إلى اليوم عدد ضئيل جدًا.



أحد المساجدالقديمة في مدينة بودابست

إخفاق العثمانيين أمام فيينا[١]

كان وضع **السلطان العثماني (سليمان الأول)** قويًا من الناحية الدبلوماسية، فقد كان يرى أوروبا مجزَّأة ومنقسمة على نفسها أكثر من أي وقت مضى، كما كان يتابع، بكل دقة وانتباه، تطور الوضعين السياسي والديني في ألمانيا، وكان على علم **بثورة البروتستانت** في دايت سبير سنة ٩٣٥ هـ/١٥٢٩م، قبل الزحف على **فيينا**، ويُقدِّر مدى تأثير النزاع الديني على الأوضاع العامة في أوروبا.

وحدث، بعد ترتيب الأوضاع في المجر، أن تابع السلطان زحفه قاصدًا مدينة بودابست عاصمة المجر، فوصل إليها، في شهر محرم ٩٣٦ هـ/أيلول ١٥٢٩م، وضرب عليها حصارًا مركزًا.

لم يصمد فرديناند أمام الضغط العثماني، فكان حريصًا على أن يتجنَّب عاقبة كعاقبة موهاكس، ففرَّ إلى **فيينا** في حين استسلمت حامية المدينة للعثمانيين، فدخلها السلطان برفقة زابوليا الذي تمَّ تنصيبه ملكًا على البلاد في حفل بهيج. **وتابع السلطان زحفه باتجاه مدينة فيينا لمطاردة الجيش النمساوي** وإبادته، على الرغم من أن الخريف كان على الأبواب، واصطحب معه زابوليا، وترك حامية في مدينة **بودا** لحفظ الأمن وتوطيده، فوصل إلى المدينة في ٢٣ محرم / ٢٧ أيلول، وضرب عليها حصارًا مركَّزًا.

كان **سكان فيينا** قد أخلوا مدينتهم، كما انسحب منها الملك فرديناند وتوجَّه إلى لينز حيث يتسنَّى له، عند الحاجة تنظيم النجدة والبقاء على اتصال بأخيه شارل الخامس، وتولى الدفاع عنها الكونت نيقولا فون سالم على رأس قوة تقدر بعشرين ألف مقاتل، وكان عليهم مقاومة الحصار الذي فرضه مئتا ألف جندي.

نتيجة لهذا التوغل العثماني في عمق القارة، انتشرت الأنباء في كل أنحاء أوروبا بأن السلطان سليمان الأول أقسم أن يخضع كل سكانها للعقيدة الإسلامية، وأدرك الأوروبيون أن الخطر لا يتعلق هذه المرَّة ببلاد المجر وبلدان الدانوب بل بقلب أوروبا، فكان تجنيد كل الطاقات لمقاومة الغزو، لذا **فإن بروتستانت ألمانيا** حشدوا قواهم وقاموا بترتيب الدفاع عن المدينة بصورة محكمة، ذلك أن شارل الخامس هدَّدهم باتخاذ عقوبات ضدهم إذا هم تخلّوا عن فرديناند في هذه المحنة.

كان وضع الملك فرديناند يائسًا، وقد حاول عبثًا طلب النجدة من الإمبراطور، واتفق مع البابا لاستملاك قسم من أموال الكنيسة لتمويل نفقات الحرب، واستغل الوقت، الذي خسره سليمان بفعل الأمطار المستمرة والفيضانات، لاتخاذ استعدادات ستظهر نجاعتها، فعمد إلى ترميم الأسوار، وهدم الدور من حولها،

١-د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ١٩٠-١٩٥.

خاض العثمانيون فيها حربًا سنة ٩٧٢ هـ

في سنة ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م، زحف السلطان **سليمان الأول** بجيش قوامه ربع مليون جندي على **فيينا** التي دافع عنها سكانها ببسالة مما أدى إلى فشل الحصار. وبعد ثلاث سنوات زحف سليمان على المدينة من جديد بجيش جرار، ولكن شارل الخامس واجهه بجيش ضخم. وفي النهاية عقد الصلح بين الطرفين في الآستانة سنة ٩٤٠ هـ/١٥٣٣م.

الحصار العثماني لعاصمة الإمبراطورية الرومانية المقدسة (فيينا).

حصار فيينا من قبل السلطان العثماني سليمان الأول سنة ٩٣٦ هـ / ١٥٢٩م



مرتسم أوروبي قديم لحصار فيينا

مرتسم لشخصية الإمبراطور (ماكسيميليان الأول) إمبراطور الإمبراطورية المقدسة بريشة دورر ألبريشت ١٥١٩م

وادَّخر فرديناند الذخيرة والمؤن بكميات كبيرة، وخصص مراكز ضد الحريق وسدَّ كل أبواب المدينة إلا بابًا واحدًا.

دام **حصار فيينا مدة تسعة عشر يومًا**، من (٢٣ محرم إلى ١٢ صفر/٢٧ أيلول إلى ١٦ تشرين الأول) قام العثمانيون خلالها بأربع محاولات لاقتحام المدينة، وكانوا يُردُّون على أعقابهم في كل مرة بفعل وعي المدافعين عنها، وكانت أوروبا تمسك في أثناء ذلك بأنفاسها وتنتظر بقلق نهاية هذا النزاع الذي سيقرر مصير القارة.

وأقبل الشتاء، فكان المطر ينهمر بغزارة وبصورة متواصلة ليل نهار، حتى فاضت خنادق المحاصِرين بالماء، **ثم جاء البرد القارس ففتَّ في عضد الجنود العثمانيين**، وعجز خط مواصلاتهم الطويل توفير المؤن والذخيرة التي أخذت تتضاءل، وبدأ **الإنكشارية** يتهامسون فيما بينهم، لذلك لم يندفعوا للقتال، وأهاب السلطان سليمان الأول برجاله أن يبذلوا محاولة أخيرة ووعدهم بجوائز سَنيَة، لكنهم كانوا غير راغبين في القتال بفعل الظروف الطبيعية القاسية.

وأخيرًا صُدَّ الهجوم مع خسائر فادحة، وأمر السلطان رجاله بالتراجع حفاظًا على حياتهم، وقد ملأه الحزن، **حيث كانت هذه أول هزيمة يلقاها**، على الرغم من أنه احتفظ بنصف بلاد المجر، ودامت الحملة سبعة أشهر.

وهكذا، فإن إخفاق الجيش العثماني القوي أمام فيينا يضع، في مستهل العصور الحديثة، الحدود بما يمكن أن تصل إليه أوروبا حملة آتية من الشرق، مهما كانت تخضع إليه من انضباط وقيادة.

وقفل الجيش العثماني عائدًا إلى أستنبول، **وقد حمل السلطان سليمان معه تاج سانت ستيفن**، وأوضح لشعبه أنه عاد من دون أن ينتصر لأن فرديناند رفض الخروج إليه للحرب، ووعدهم بأنه سوف يعاود الكرَّة.

ونظر الغرب الأوروبي إلى وعيد السلطان بعين الجد، وساد الذعر **مدينة روما**، ففرض البابا كليمنت السابع (٩٢٨ – ٩٤١هـ / ١٥٢٢ – ١٥٣٤م) الضرائب حتى على الكرادلة لتوفير المال اللازم لتحصين الثغور التي يمكن أن يدخل منها العثمانيون إلى إيطاليا.

أما فرديناند فقد أرسل بعثة أخرى إلى البلاط العثماني برئاسة نيقولا جوريشتش، يرافقه الكونت لمبار، أحد نبلاء النمسا، بهدف التفاهم مع السلطان، لأن وضعه الداخلي في بلاد المجر بدأ يهتز بعد أن أدرك النبلاء الذين ساندوه أنه غير قادر لا على إعادة الوحدة إلى المملكة، ولا على طرد العثمانيين برغم الجهود التي بذلها في سبيل ذلك.



خريطة جمهوريـــة النمســا الإداريــة

كما شهد نهر الدانوب معركة موهاكس الشهيرة على أرض هنغاريا. شهد أحداثا حاسمة على أرض النمسا. ويرى مؤلف ومصمم الأطلس مشيرا الى ضفة النهر الأخرى

وفشلت هذه البعثة الثانية في تحقيق آمال فرديناند، لأن السلطان لم يكن راغبًا بعقد الصلح، بل رأى إن الظروف مؤاتية للاصطدام مع شارل الخامس، هذه المرَّة، ووضع حدًّا لتوثبه على بلاد المسلمين، وأن العالم لا يسع إلا عظيمًا واحدًا فقط، ولهذا لا بد أن يزول شارل ومعه الإمبراطورية الجرمانية المقدسة.

وفي ١٩ رمضان ٩٣٨هـ/٢٥ نيسان ١٥٣٢م، **زحف السلطان سليمان الأول مرة أخرى** نحو الغرب لحرب الإمبراطور شارل الخامس، على رأس جيش يقدر بمئتي ألف مقاتل وأربع مئة مدفع، قاصدًا **مدينة فيينا** لفتحها ومحو ما لحقه من فشل في المرَّة الأولى. وعندما وصل إلى **نيش**، جاءه مبعوثان من قِبَل فرديناند للتفاوض من جديد حول تحقيق السلم، غير أنهما فشلا في حمله على العدول عن موقفه.

ورفض السلطان في هذه الأثناء، عرضًا آخر من فرنسا هذه المرَّة، قدمَّه سفيرها رانسون الذي اجتمع به في مدينة بلغراد، يتضمَّن حثَّ السلطان على مهاجمة شارل الخامس في إيطاليا لا ألمانيا، إلا أنه وعد السفير الفرنسي بإصدار أوامره إلى **خير الدين بربروسا** لمهاجمة ميلانو وجنوة، لأنه يتعذر تغيير الخطط العسكرية.

كان سكان فيينا ينتظرون حصارًا جديدًا يقوم به العثمانيون، لذلك أقاموا التحصينات حول العاصمة، واستعدوا لحصار قاس.

تقدم الجيش العثماني وفتح قلاعًا عدَّة، لكن المواجهة الهامة وقعت أمام **كَونز**، المدينة المجرية المحصَّنة، حيث فشل في اقتحامها رغم قصفها بالمدافع.

والواقع أن حامية المدينة، **بقيادة نيقولا جوريشتش**، أبدت من الدفاع عنها أكثر مما كان يتوقع، وأن الاستمرار في حصار فاشل يؤخر تحقيق الهدف الأساس للحملة، لذلك قَبِلَ السلطان بإجراء مباحثات مع حكم المدينة الذي قَبِلَ بتسليم القلعة للجيش العثماني مشترطًا عدم دخول أفراده إليها، وقَبِلَ السلطان هذا الشرط. وشعر شارل الخامس بالخطر المحدق به، فأرسل أحد أعوانه إلى معسكر السلطان ليفاوضه بشان عقد الصلح واقتسام البلقان بينهما، على أن يُجمِّد السلطان استعداداته العسكرية حتى يتفرغ شارل لمحاربة فرنسوَا الأول.

ويبدو أن السلطان **سليمان الأول ظل وفيًا لعلاقاته مع الملك الفرنسي**، فرفض أن يخون حليفه مقابل كسب مادي، واشترط على شارل، حتى يقبل عرض الصلح، أن يُعيد لفرنسوَا كل الأراضي التي انتزعها من مملكته، وكل المال الذي أخذه منه.

حديقة قصر الباروك في فيينا - النمسا



وقفت الثلوج حائلاً من دخول العثمانيين فيينا



المؤلف على ثلوج فيينا

عندئذ أخذ **شارل الخامس** يستعد لهذه المواجهة، فتلقّى، بعد توسـلات كثيرة، منحة من الدايت الإمبراطـوري ليجند الجيـوش، **وتمكّن بمساعدة فرديناند من تجنيد ثمانية وسـبعين ألف جندي**، كما عقد صلحًا مع اللوثريين (أتباع مارتن لوثر) في نورمبرغ ينص على مشاركة البروتستانت في المقاومة ضد العثمانيين مقابل تراجعه عن الإنذار الذي وجَّهه إليهم بالعودة إلى حظيرة الكثلكة، ما سمح له بمقابلة العثمانيين وهو مطمئن على الجبهة الداخلية.

ولم يحظَ السلطان هذه المرَّة أيضًا بفريسته، ذلك أن شارل الخامس لم يخرج للقتال وفضَّل البقاء داخل أسوار فيينا، على الرغم من محاولات السلطان لاستدراجه للقتال في الميدان، فتجنَّب بهذا التصرف مجابهة هي من دون شك خاسرة، ثم عمد إلى مغادرة المدينة عند اقتراب الجيش العثماني منها.

وبعد أن **استولى السلطان سليمان الأول على حصن كَونز** كان بإمكانه التوجه مباشرةً إلى فيينا التي كانت تستعد، في توتر عصبي كبير لمواجهة حصار جديد، لكن الجيش العثماني سار نحو الغرب في اتجاه **أوستريا** ما أثار تعجب الجميع. فهل كان السلطان يواصل تنفيذ خطته، ألا وهي ملاقاة شارل الخامس في معركة طاحنة تقليدية والتغلب عليه، ومن ثمَ يتوجه إلى فيينا ويستولي عليها ؟ لكن شارل الخامس غادر العاصمة النمساوية، وعانى الجيش العثماني من نقص في التجهيزات العسكرية وبخاصة المدفعية، كما أضاع وقتًا طويلاً أمام كونز، **واقترب فصل الشتاء** الذي لا يمكن معه استمرار الحصار بشكل يضمن فتح المدينة، وعمد الإمبراطور إلى استخدام القائـد الجنوي أندريا دوريا لمهاجمة السواحل العثمانية من البحر، بهدف التخفيف من حدة الجبهة البرية.

والواقع **أن هذا القائد البحري الجنوي** احتل مينائي **كورون وباتراس** في شبه جزيرة المورة، **ودمّر القلعتين اللتين أقامهما السلطـان بايزيد الثاني على ضفتي خليج ليبانت ببلاد اليونان.**

تظاهر السلطان بقلة الاهتمام بسقوط هذين الحصنين، غير أن الحملة الأسبانية هذه، التي جاءت بعد احتلال الأسبان لميناء **تلمسان في شمالي إفريقيا**، تدل دلالة واضحة على عزم شارل الخامس على التصدي للعثمانيين ومضايقتهم، كي يُخفّف الضغط على الجبهة البرية، كما ذكرنا.

نتيجة لهذه العوامل، أصدر السلطان أوامره إلى الجيش العثماني بالعودة إلى أستنبول عن طريق بلغراد من دون **أن يتمكّن من حصار مدينة فيينا**، وفعلاً وصـل السلطان إلى عاصمته في ١٩ ربيع الآخر ٩٣٩هـ/١٨ تشرين الثاني ١٥٣٢م، بعد سبعة أشهر، وهي المدة التي استغرقتها الحملة.

وأدرك فرديناند عدم جدوى الاستمرار في معاداة العثمانيين ومال إلى الصلح، فأرسـل

يعرض على السلطان تحقيق صلح بين الطرفين. قَبِلَ سليمان الأول مبدأ عرض الصلح، وصرح بأنه سيعامل فرديناند كابن له، وطلب مقابل ذلك تسليمه مفاتيح **مدينة غران**، التي تُعدُّ مفتاح فيينا، رمزًا للخضوع والولاء.

وتمَ، بموجب هذه المعاهدة، التي وقِّعت في أستنبول في ٢٩ ذي القعدة ٩٣٩هـ/حزيران ١٥٣٣م، تثبيت الحدود العثمانية – الألمانية على أساس الحدود المجرية – النمساوية في عصرنا، وتضمنت المعاهدة اعتراف الحكومة العثمانية بفرديناند ملكًا على بوهيميا وأرشيدوقًا على النمسا، وتُعدُّ أسبانيا خارج معاهدة الصلح.

وقام فرديناند بإرسال مفاتيح غران إلى السلطان، وأطلق على نفسه (ابن السلطان)، واعترف بسيادته على معظم أراضي المجر، كما استردَّ مدينتي كورون وباتراس.

كانت هذه المعاهدة **أول معاهدة صلح بين الباب العالي والنمسا**، والواقع أنه كانت هناك عوامل أساسية أدت إلى تحقيق الصلح بين الطرفين، منها ما يتعلق بالعثمانيين، ومنها ما يتعلق بالنمسا.

أما العوامل المتعلقة بالعثمانيين فهي:

- إن الهجمات الأوروبية على شبه جزيرة المورة وشمالي إفريقيا، ولو كانت محدودة الأثر إلا أنها جاءت في وقت غير ملائم، وكان زحف العثمانيين باتجاه قلب أوروبا فاشلاً إلى حد ما.

- كان السلطان سليمان الأول يتطلع منذ مدة على **قيادة حملة ضد الصفويين** لتدعيم نفوذه في شرقي الأناضول **استعدادًا لفتح مدينة بغداد**- من الاحتلال الصفوي الطائفي-، لكن الخطة الإستراتيجية التي درج عليها سلاطين آل عثمان، وهي تجنب القتال على جبهتين، اضطرته إلى تحقيق صلح مع النمسا ليضمن بقاء أعدائه في أوروبا في حال سلام معه.

-علم السلطان سليمان الأول بأن شارل الخامس كان على اتصال دائم مع الشاه طهماسب، في محاولة منه لتنسيق العمليات ضده في الوقت المناسب.

أما العوامل المتعلقة بالنمسا فهي:

- كان كل من شارل الخامس وفرديناند بحاجة إلى السلم، فالمشكلات الدينية كانت في تصاعد مستمر، وتقرَّب البروتستانت من الملك الفرنسي فرنسوَا الأول، فاضطر الإمبراطور إلى التراجع والالتزام بعد التصدي للأمراء البروتستانت الخارجين عليه.

- **كان آل هابسبورغ،** مثل العثمانيين، بحاجة إلى هدنة حتى يستأنفوا يومًا المعركة الطويلة التي يعرفون جيدًا أنها ستتواصل ما دام الطرفان على قيد الحياة.

العلاقات العثمانية - الصفوية في أوائل عهد سليمان الأول [1]

ترك **السلطان سليمان الأول أوروبا سنة ٩٣٩هـ/١٥٣٣م**، بعد أن عقد اتفاق سلام مع **آل هابسبورغ** حكام النمسا، **وانطلق يحارب الصفويين في إيران والعراق** ضمن الصراع المتنامي بين الطرفين.

وكان هناك من الدوافع ما نشَّط استئناف العمليات العسكرية بين الدولتين العثمانية والصفوية في أثناء انهماك العثمانيين بالحرب مع النمسا جرى **اتصال سري بين الصفويين والمجريين** أسفر عن تعاون الطرفين ضد العثمانيين، العدو المتكافئ لكليهما، كما أن حوادث الحدود بين الدولتين العثمانية والصفوية، كانت أحد الأسباب المباشرة لإذكاء الحرب بينهما في هذه الآونة، من حكم السلطان سليمان الأول، بالإضافة إلى الأوضاع الشاذَّة التي تحكم الأقاليم الصغيرة الواقعة على الحدود بين الطرفين والسياسة المتقلبة لحكامها. **وقد هددت سيطرة الصفويين على بغداد**، في سنة ٩٣٦ هـ/١٥٣٠م، بشكل خطر، الطرق التجارية بين الشرق وأوروبا بفعل أن العراق كان يربط هذه الطرق. واستاء العثمانيون أيضًا من محاولة **الشاه طهماسب** إثارة **القزل باش** في الأناضول، مقتفيًا بذلك خطى سلفه الشاه إسماعيل. وبشكل عام، كانت الأهداف الحقيقية للحرب، في سنة ٩٤١ هـ/١٥٣٤م، **شبيهة بالأهداف التي أدت إلى قيام السلطان سليم الأول بغزو إيران قبل ذلك بعشرين عامًا، إنها حرب وقائية وتجارية وسياسية ومذهبية.**

تحرك **الصفويون** باتجاه الأراضي العثمانية واندفعوا نحو **بغداد**، بعد أن استمالوا **شريف بك حاكم بدليس**، الواقعة في أرمينيا قرب مدينة **خلاط** جنوبي بحيرة وان على الحدود العثمانية – الصفوية، واستولوا عليها في سنة ٩٣٦ هـ/١٥٣٠م.

وحتى لا يستفحل الأمر، أرسل السلطان جيشًا، في صفر ٩٤٠ هـ/ أيلول ١٥٣٣م، تعداده مئة وأربعون ألف جندي بقيادة الصدر الأعظم إبراهيم باشا، **لمحاربة شريف بك و الصفويين معًا**. وفي أثناء وصول الجيش إلى **قونية** انضم إليه حاكم **أذربيجان**، وكانت تحت السيطرة الصفوية، **وحتى يبرهن هذا الحاكم عن حسن نيته تجاه العثمانيين، قتل شريف بك وأرسل رأسه إلى السلطان.**

وتمكَّن الجيش العثماني، قبل حلول فصل الشتاء، **من استعادة بدليس وسائر المناطق الواقعة بين أرضروم وبحيرة فان (وان)**. وتابع **إبراهيم باشا** تقدمه قاصدًا **مدينة تبريز**، وفتح في طريقه جميع القلاع والحصون المجاورة **لبحيرة وان**، في خط أفقي، ما جعل الطريق أمامه مفتوحًا إليها.

١-د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٢١٠-٢١٤.



ضم تبريز وبدليس إلى سيطرة الدولة العثمانية دون أي مقاومة
أستنبول
طرابزون
أنقرة
كرجستان
أذربيجان
تبريز
بدليس
بلاد الأكراد
ديار بكر
الموصل
سلطانية
همذان
بغداد
الدولة الصفوية
إيران
العراق
البصرة
فارس
الأحواز
سنة ٩٣٩هـ
٩٤٠هـ/١٥٣٣م
سنة ٩٣٩هـ / ١٥٣٠م
قونية
قرمان
مرعش
الرها
حلب
دمشق
بلاد الشام
القدس
القاهرة
مصر
الصعيد
النوبة
المدينة النبوية
الحجاز
الأشراف
مكة
نجد
القطيف
الأحساء
قطر
اليمامة
جزيرة
العرب
اليمن
صنعاء
حضرموت
الدولة الطاهرية
الدولة الجبرية (١٤٨٣-١٥٢٤م)
البلميون (البجه)
البحر العثماني (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
الدولة العثمانية
الدولة الصفوية
بلاد الكرج (جورجيا)
الدولة الطاهرية
الدولة الجبرية (٧٨٥-٩٣٠هـ)
ممالك نصرانية إفريقية
تسلسل الأحداث
الصفويون
العثمانيون

تراجع **الصفويون أمام الزحف العثماني، وتخلّى الشاه طهماسب عن الأرض** على أمل الاحتفاظ بالجيش والدولة، **ودخل الصدر الأعظم مدينة تبريز من دون مقاومة في (الأول من محرم ٩٤١ هـ/١٣ تموز ١٥٣٤م)، وفرَّ الشاه طهماسب إلى قزوين.**

أما السلطان سليمان الأول فقد خرج من **إستنبول** في ٢٩ ذي القعدة ٩٤٠ هـ/ ١١ حزيران ١٥٣٤م، وانضم إلى قواته المتقدمة، وزحف بها باتجاه **همذان**، ومنها اتخذ طريقه نحو المساكن الشتوية للعراق، وتوقف فيها قبل أن يصل إلى **تبريز**.

ورتَّب السلطان شؤون المدينة الداخلية، فعيَّن ابن أمير شروان قائدًا لحماية تبريز، واستقبل مظفر خان أمير كيلان، وغيره من الأمراء الذين هجروا الشاه وقدَّموا له فروض الولاء والطاعة.

وعزم سليمان على مطاردة الشاه، فسار بجيوشه، في شهر ربيع الآخر ٩٤١ هـ/ تشرين الأول ١٥٣٤م، إلى مدينة **زانجان** وبعدها إلى مدينة **سلطانية** الواقعة إلى الشرق من كيلان، وقد تقهقر الشاه متجنبًا الاصطدام بالقوات العثمانية، ولكن قسوة المناخ في إيران وصعوبة الطرق واستحالة مرور المدافع الضخمة وعربات النقل عليها، بفعل كثرة الأمطار والأوحال، أجبره على التخلي عن فكرة المطاردة، فترك المنطقة قاصدًا **مدينة بغداد**.

ضم العراق: قامت السلطة العثمانية في العراق كنتيجة غير مباشرة لحرب العثمانيين مع الصفويين والبرتغاليين، وكانت المناطق الوسطى والجنوبية من البلاد تحت حكم الصفويين، في حين سيطر العثمانيون على الشمال. **وتعاقب حكام بغداد ذوو الميول الصفوية على السلطة**، وقد انتهجوا **سياسة التطرف المذهبي**، فكانت أعمال الاضطهاد، والملاحقة والابتزاز، تُنمِّي تعاطف السكان مع العثمانيين، وكان هؤلاء، من جهتهم، يؤكدون عدم استعداداتهم لعقد أي سلام أو صلح مع الصفويين، وتميزت **الرسائل التي بعث بها السلطان سليمان في سنة ٩٣١ هـ/ ١٥٢٥م، إلى الشاه الصفوي طهماسب بشهرة واسعة حيث اختلط فيها التهديد بالسخرية.**

أما في الجنوب، فقد كان الحنين إلى العثمانيين يتخذ في البصرة وشرقي شبه جزيرة العرب، مظهرًا أقوى، فنظر السكان هناك إلى العثمانيين على أنهم **منقذين من عسف البرتغاليين الذين تعاونوا مع الصفويين**، وأخضعوا الإمارات والمدن الساحلية، وعزَّزوا سيطرتهم على مضيق **هرمز**، وزادوا الضرائب المفروضة على **عُمان والقطيف والبحرين ومسقط**، وفرضوا رقابة على الجمارك، وظهروا في البصرة.

ونتيجة إحجام الشاه طهماسب عن مواجهة العثمانيين، وسيطرة هؤلاء على الطرق التجارية التي استخدمها الأمراء المحليون في تنمية ثروتهم من تجارة الحرير، بدأ هؤلاء الحكام يتوجهون إلى أستنبول طالبين دعمها ومساعدتها، كما وصلت رسائل استغاثة من البصرة وبغداد.

وحصلت، في سنة ٩٣٥ هـ/١٥٢٩م، انتفاضة قوية في العراق الأوسط ضد الحكم الصفوي، بقيادة ذي القفار بك، رئيس قبيلة الموصللو الكردية.

لقد استغل هذا الحاكم وفاة الشاه إسماعيل وصغر سن الشاه طهماسب، فزحف إلى بغداد، وقتل حاكمها إبراهيم سلطان، **وطرد الصفويين**، ودخل المدينة وسط تأييد السكان، وأقام سلطته على العراق الأوسط بكاملة، ثم أعلن قطع كل علاقة مع الصفويين، **وأرسل مفتاح بغداد إلى السلطان سليمان الأول**، ودعا على المنابر ونقش اسمه على النقود العراقية.

نتيجة لهذه الأوضاع، قرَّر **الشاه طهماسب** أن يستعيد سيطرته على بغداد، فجهَّز حملة كبرى، سنة ٩٣٦ هـ/١٥٣٠م، من أجل هذه الغاية، ولم يتمكَّن ذو الفقار من الاحتفاظ بالسلطة حتى وصول الجيش العثماني. واجتاح الشاه العراق وسيطر على بغداد بعد مقتل ذي الفقار بك على يد أشقائه الذين خانوه، **وعيَّن واليًا جديدًا، هو محمد خان توركمن، سليل أسرة قبيلة القزل باش التركمانية، الذي أعاد بناء سلطة الصفويين هناك.**

كان العثمانيون طيلة تلك المدة منهمكين بالحرب في أوروبا، ولم يشعروا بحرية التحرك في الشرق إلاّ بعد أن أبرموا **اتفاق سلام مع آل هابسبورغ**، كما ذكرنا.

توجه السلطان **سليمان الأول إلى بغداد**، بعد انتصاره على الصفويين، وقد صرَّح بأن المدينة ملكه بفعل أن حاكمها ذا الفقار قد بعث إليه بمفاتيحها، وأن احتلالها من قبل الشاه هو تحدٍّ له.

استقبل السكان الجيش العثماني بالترحاب والسرور، وحصلت في بغداد انتفاضة ضد الحكم الصفوي، تزعَّمها علماء الدين. أما الحاكم الصفوي، محمد توركمن، فقد هرب من المدينة إلى إيران بطريق الحيلة في ٢١ جمادى الأول ٩٤١ هـ/٢٨ تشرين الثاني ١٥٣٤م، ثم دخلها السلطان ظافرًا.

وبدأت المدن العراقية تعلن انضمامها إلى سلطة الباب العالي، فدخل العراق الجنوبي في طاعة السلطان، **وضمَّ العثمانيون البصرة والقطيف والبحرين**، فسيطروا بذلك على إحدى الطرق التجارية الهامة التي تربط الشرق الأقصى بأوروبا، بواسطة الخليج العربي وبغداد والموصل وحلب، أو بواسطة بغداد ودمشق

وصيدا، **وترتب على العثمانيين، نتيجة ذلك، مسؤوليات دفاعية جديدة، وبخاصة ضد البرتغاليين في منطقة الخليج.**

وتعدُّ هذه السنه الحد الفاصل بين عصرين كاملين من حياة العراق، إذ بدأ منها تاريخه الحديث، فقد وضع **السلطان سليمان الأول** الحجر الأساس لهذا التاريخ بتأسيسه الإدارة الجديدة، وظهرت التقسيمات الإدارية لأقاليم العراق بصورة رسمية وقانونية، لأول مرة في تاريخه الحديث، كما ظهر النظام الضرائبي الجديد ورُسمت سياسة العراق الاقتصادية.

أقام السلطان سليمان الأول في بغداد مدة أربعة أشهر رتّب خلالها الإدارة الداخلية، وأعاد للسُّنَّة نفوذهم القيادي السابق، كما أعاد بناء الأماكن المقدسة السُّنَّية، وعيَّن سليمان باشا، والي ديار بكر، واليًا على بغداد.

ولا بدَّ من التأكيد أن تجديد الزعامة السُّنِّيَّة لم يصاحبها أي اضطهاد ديني، بل العكس، إذا انتهج العثمانيون سياسة التسامح وقدَّموا الحماية للشيعة من سكان بغداد كما قدَّموها لليهود والنصارى، وسرعان ما عرفت بغداد، في ظل السلم العثماني، ازدهارًا محددًا، وأضحت البصرة، بعد ذلك بسنوات، عثمانية، وأشرفت الدولة العثمانية على المحيط الهندي.

استغلَّ الشاه طهماسب وجود السلطان سليمان الأول في بغداد، فاستعاد مدينة تبريز في ٢ جمادى الآخر ٩٤١ هـ/٩ كانون الأول ١٥٣٤م، فاضطر السلطان للقيام بحملة أخرى، فاستعاد المدينة بعد أن خرج منها الشاه الذي أظهر، جهارًا، عدم رغبته الدخول في صراع مسلح مع السلطان، ودخل هذا الأخير المدينة في ٤ محرم ٩٤٢ هـ/٥ تموز ١٥٣٥م، وبعد أن مكث فيها مدة خمسة عشر يومًا غادرها عائدًا إلى أستنبول.

تكتسب هذه الحملة أهميتها في أنها ضمَّت العراق إلى الدولة العثمانية، وأبعدت الصفويين عن العالم العربي بصورة نهائية، وتأسست **ولاية أرضروم**، وتَمَّ تأمين حدود الدولة مع القوقاز، ولكن الصفويين تمكَّنوا من استعادة عاصمتهم بعد عودة الجيش العثماني إلى بلاده.

والحقيقة أن الضم العثماني للعراق لم يقضِ نهائيًا على النزاع العثماني – الصفوي، وظل الطرفان يتنافسون من أجل السيطرة النهائية على هذا البلد، وأضحى الصراع بين القوتين ظاهرة سائدة في القرن السادس عشر الميلادي.



حملة السلطان العثماني سليمان الأول على الصفويين
٩٤٠هـ / ١٥٣٤م
أستنبول
طرابزون
أنقرة
قيصرية
قونية
قرمان
طرسوس
مرعش
الرها
ملاطية
كرجستان
أرمينيا
أذربيجان
تبريز
سلطانية
همذان
بلاد الأكراد
الموصل
بغداد
دخول السلطان العثماني سليمان الأول بغداد سنة ٩٤١هـ
الدولة الصفوية
إيـــران
الأحواز
فارس
العراق
البصرة
طرابلس
حمص
دمشق
بلاد الشام
القدس
البحر العثماني (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
القاهرة
مصــــر
الصعيـــد
النوبـــة
البلميون (البجه)
المدينة النبوية
الحجاز
الأشـــراف
مكة
نجـــد
اليمامة
جزيرة العرب
اليمن
صنعاء
الدولة الطاهرية
حضرموت
الدولة العثمانيـــة
الدولة الصفويـــة
بلاد الكرج (جورجيا)
الدولة الطاهرية
الدولة الجبرية (٧٨٥-٩٣٠هـ)
ممالك نصرانية إفريقية
مسار السلطان سليمان الأول
تسلسل الأحداث



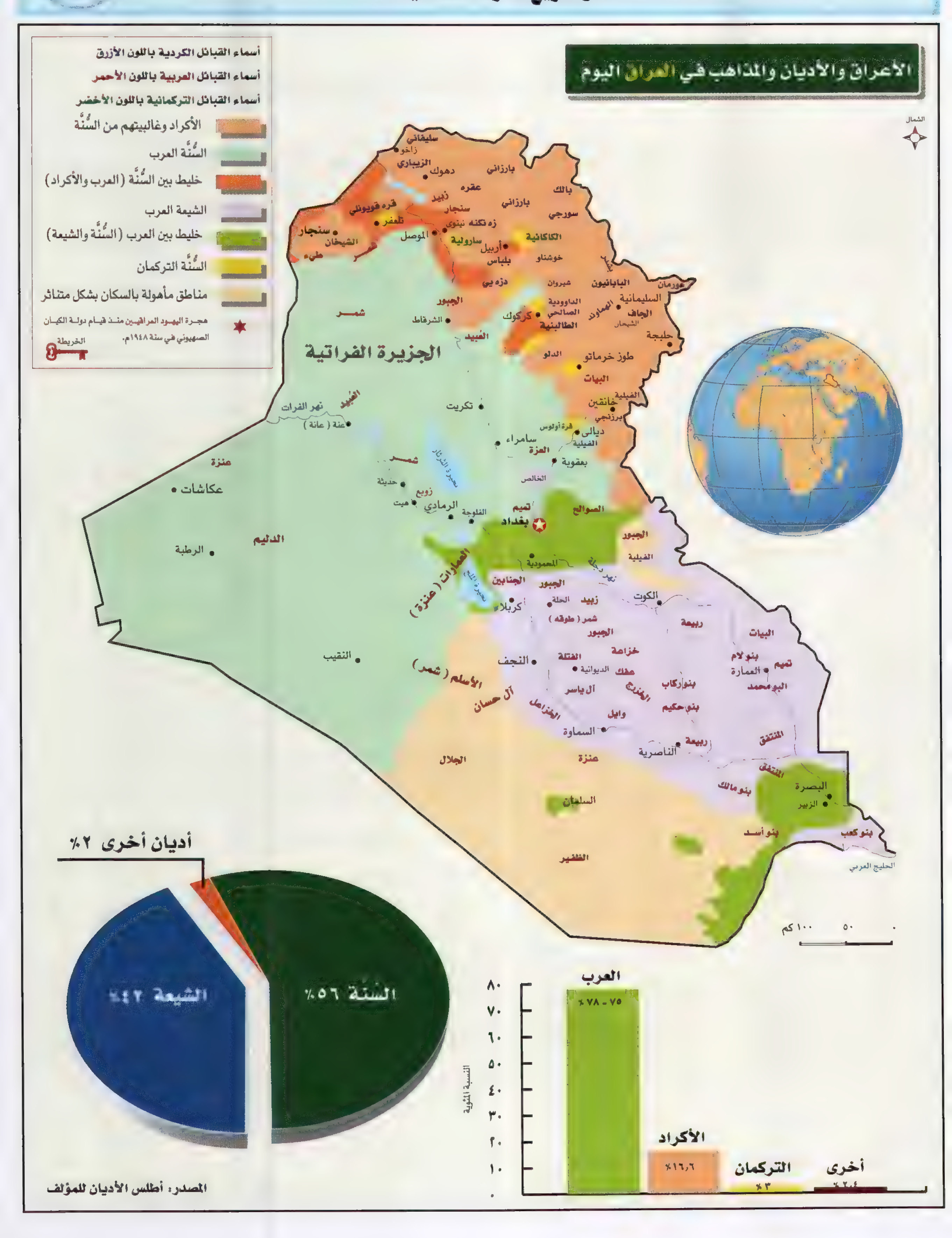
خريطة عثمانية قديمة لمخطط بغداد سنة ١٥٣٧م بعد ضمها إلى الدولة العثمانية(١)



خريطة عثمانية قديمة لمخطط بغداد سنة ١٥٣٧م بعد ضمها إلى الدولة العثمانية (٢)



خريطة عثمانية قديمة لولاية البصرة بعد ضمها إلى الدولة العثمانية


الأعراق والأديان والمذاهب في العراق اليوم
أسماء القبائل الكردية باللون الأزرق
أسماء القبائل العربية باللون الأحمر
أسماء القبائل التركمانية باللون الأخضر
الأكراد وغالبيتهم من السُّنَّة
السُّنَّة العرب
خليط بين السُّنَّة (العرب والأكراد)
الشيعة العرب
خليط بين العرب (السُّنَّة والشيعة)
السُّنَّة التركمان
مناطق مأهولة بالسكان بشكل متناثر
هجرة اليهود العراقيين منذ قيام دولة الكيان الصهيوني في سنة ١٩٤٨م.
الخريطة
الجزيرة الفراتية
بغداد
الموصل
أربيل
كركوك
السليمانية
تكريت
سامراء
الرمادي
الفلوجة
كربلاء
النجف
الكوت
الديوانية
الحلة
السماوة
الناصرية
العمارة
البصرة
الزبير
الرطبة
النقيب
عكاشات
عنة (عانة)
نهر الفرات
الخليج العربي
أديان أخرى ٢٪
السُّنَّة ٥٦٪
الشيعة ٤٢٪
العرب
٧٥ - ٧٨٪
الأكراد
١٦,٦٪
التركمان
٣٪
أخرى
٢-٤٪
النسبة المئوية
المصدر: أطلس الأديان للمؤلف

الصراع العثماني البرتغالي في عهد سليمان الأول

أقام **البرتغاليون قواعد لهم في الهند بعد نجاح الرحالة فاسكو دي جاما في رحلته التي وصل في نهايتها إلى الهند سنة ٩٠٤ هـ/١٤٩٨م**. ومنذ ذلك الوقت وطد البرتغاليون أقدامهم في الشرق. **وحرصوا على احتلال قواعد عند مدخلي البحر الأحمر والخليج العربي ليسهل عليهم إغلاق المنافذ العربية الجنوبية لتجارة الشرق**، فاستولت على جزيرة سوقطرة في خليج عدن ثم سيطروا على هرمز في مدخل الخليج. وشرعوا في مهاجمة السفن العربية في كل مكان وإغراقها أو إحراقها أو الاستيلاء عليها. ونجحوا في احتكار التجارة الشرقية، وقاموا بتحويلها إلى طريق رأس الرجاء الصالح، **وفقد العرب مصدرًا من مصادر رزقهم** وأصاب الدولة المملوكية خسائر فادحة وكان عليها مواجهة الخطر البرتغالي إلا إنها كانت أضعف من مواجهة دولة البرتغال الناشئة ففشلت الدولة المملوكية في طردهم، **وكان على الدولة العثمانية** التي حلت محل الدولة المملوكية أن تقوم بهذا الدور[1].

أقام **العثمانيون قاعدة بحرية في السويس** للقيام بالعمليات العسكرية في البحر الأحمر والمحيط الهندي لمحاربة البرتغاليين وفي الوقت نفسه، تطلع العثمانيون إلى قاعدة بحرية أمامية تمكنهم من مهاجمة البرتغاليين في المحيط الهندي، ومن السيطرة كذلك على البحر الحمر وإغلاقه في وجه الدول الأوروبية فكانت هذه القاعدة الأمامية هي اليمن بصفة عامة وعدن بصفة خاصة[2].

وفي الوقت الذي أعد فيه العثمانيون الأسطول لدخول العراق والخليج نصرة لأهل السُّنَّة فيها بعد تواطؤ الصفويين الشيعة مع البرتغاليين، تلقى السلطان العثماني طلبًا من **حاكم كجرات** المسلم ضد البرتغاليين والمغول، فتوجه الأسطول العثماني من السويس صوب الشرق٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨م تحت قيادة **سليمان باشا الخادم حاكم مصر**. وخلال مروره **بعدن واليمن فتح المناطق الساحلية**، وبذلك وفَّر للإمبراطورية قواعد متقدمة للدفاع عن البحر الأحمر في وجه الهجمات الصليبية في المستقبل. وحين وصل سليمان الخادم إلى كجرات الإمارة المسلمة في الهند، رفض حاكمها نزول العثمانيين بعد الدعاية المغرضة من قبل الصفويين؛ (انظر تفصيل ذلك ص ٣٨٠ -٣٨١)، فعادوا إلى مصر ثم عاود العثمانيون فتح مناطق اليمن الداخلية ودخلوا صنعاء سنة ٩٥٤ هـ/١٥٤٧م.

وفي الواقع لم يتوقف الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين في مياه الخليج. ففي سنة ٩٦٠هـ/١٥٥٢م، أبحر من **السويس** أسطول عثماني كبير بقيادة بيري ريس (انظر ترجمته في صفحتي ٣٧٤ - ٣٧٥).

١- د. بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي، الكويت ١٩٨٤م، ص ١٥ - ٢٠.

٢ - د. السيد رجب حراز، العالم العربي الحديث، ص ٢٣.

مدفع السلطان العثماني سليمان الأول في عدن، وجده محمد بن حمزة في ١٥٣٠-١٥٣١م بعد الغزو العثماني في الهند. استولى عليه بعد اجتياح عدن في ١٨٣٩م الكابتن سميث من سفينة فولاج. يوجد الآن في برج لندن.

مجموعة من المدافع العثمانية القديمة

أحمد محيي الدين بيري (الرئيس بيري)

هو قبطان بحري، وراسم خرائط عثماني، ولد ما بين ١٤٦٥ و١٤٧٠م وتوفي ما بين ١٥٥٤ و١٥٥٥م. جاء مع اشتداد وطأة الهجمة البرتغالية على كافة البلدان الإسلامية في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، اهتم العثمانيون بالجغرافيا البحرية، واستطاع البحارة العثمانيون آنذاك أن يصلوا إلى المحيط الأطلسي ويبلغوا بحر الهند، ورسموا خرائط السواحل (بورتلان). وأول من برز في ذلك المجال كان التركي بيري رئيس.

وإذا علمنا أنه كان ربانًا على إحدى السفن في **معركة مودان** البحرية سنة ١٥٠٠م، وكان عمره آنذاك بين ٣٠ - ٣٥ عامًا. نشأ بحارًا مهارًا، واشترك مع عمه كمال رئيس (ت ٩١٦ هـ/١٥١١م) في بعض المعارك البحرية، ثم جرى تعيينه قائدًا على أسطول السويس، واستطاع **فتح مسقـط سنة ١٥٥١م**، واشتبك في البصرة مع الأسطول البرتغالي وهُزم في تلك المعركة، ثم عاد إلى مصر، ونتيجة لدسائس والي البصرة (قباد باشا) تم إعدامه في مصر سنة ٩٦٠هـ/١٥٥٢م، وقيل سنة ٩٦٢هـ/١٥٥٥م حسب بعض المصادر الأخرى.



مرتسم تقريبي لشخصية الكارتوجرافي التركي السيد /أحمد محيي الدين بيري (Ahmet Muhiddin Piri)

Avrupa Haritası, Piri Reis, Kitab-ı Bahriye
(16. yy. Sonuna Ait Bir Kopya) Istanbul Üniversitesi Kütüphanesi. No:6605
Map of Europe, Piri Reis, Kitab-ı Bahriye
(A Copy Belonging to the end of 16. Century) Library of Istanbul University. No:6605

خريطة تاريخية لقارة أوروبا وشمالي إفريقيا وغربي آسيا لبيري ريس


من آثار بيري ريس العلمية

١. الخريطة الأولى: رسمها بيري رئيس للعالم وانتهى منها سنة ١٥١٣م، ثم قدمها **للسلطان سليم الأول** في مصر سنة ١٥١٧م تضم - في الجزء الذي وصلنا منها - إسبانيا وغربي إفريقيا والمحيط الأطلسي والأقسام التي عُرفت آنذاك من أمريكا وجزر الأنتيل. ويدلنا ضياع قسم منها على أنها كانت خريطة للعالم. ومن أكثر الملاحظات المدونة إثارة للاهتمام تلك الملحوظة الخامسة الخاصة **باكتشاف أمريكا**. (انظر الخريطة)

٢. الخريطة الثانية: فهي خريطة للعالم تحمل تاريخ ١٥٢٨م، ويضم القسم الذي وصلنا منها الجزء الشمالي للمحيط الأطلسي وشواطئ الشمال في أمريكا الشمالية من جرينلاند حتى شبه جزيرة فلوريدا. وأهم ما يميز تلك الخريطة أن الجزر وبعض الشواطئ رسمت بشكل يقرب للواقع، مقارنة بالخريطة الأولى. أكمل الدين إحسان أوغلو: الدولة العثمانية - تاريخ وحضارة.

فتح شرقي الجزيرة العربية وقطع خطوط الإمداد المحلي للبرتغاليين. وفتحت الحملة **مسقط** ثم أبحر إلى **هرمز** وحاصرها لمدة شهر، **ثم انسحبوا بعد أن علموا بقدوم نجدة للبرتغاليين وأعدم بيري ريس نتيجة لتخاذله في الحرب، قلت: (وهي وشاية ألصقت فيه من قبل والي البصرة قباد باشا)**. وكلف السلطان سليمان قائدًا بحريًا جديدًا هو **مراد بك** فخاض معركة غير حاسمة مع البرتغاليين وعاد إلى البصرة. وأخيرًا كلف السلطان سيدي علي ريس بالتوجه إلى البصرة لقيادة الأسطول العثماني في القضاء على البرتغاليين في الخليج. وهكذا فشل **العثمانيون في طرد البرتغاليين من الخليج العربي** إلا أنهم منعوا انتشارهم وتوسعهم في الجزيرة العربية ومن الوصول إلى الأماكن المقدسة في مكة والمدينة[١].

وبالرغم من ذلك فإن سيطرة العثمانيين على البحر الأحمر قد مكنت السلطان سليمان من استعادة قسط كبير من التجارة الدولية القديمة عبر مصر في الوقت الذي كانت تعوز فيه البرتغاليون القوة البحرية اللازمة لإحكام حصار الطرق القديمة[٢].

وقد أثَّر الوجود العثماني في المياه الشرقية في التطورات التي جرت في شرقي إفريقيا، فقد شجع على شن الهجوم على البرتغاليين الذين كانوا قد سيطروا على موانئ البحر الأحمر الإفريقية: **سواكن وزيلع ومصوع** خاصة **وأن البرتغاليين كانوا يسعون بتحالفهم مع الحبشة** إلى تعزيز وجودهم العسكري والتجاري في البحر الأحمر وضمان استمرار تجارة أوروبا مع الشرق عبر طريق رأس الرجاء الصالح. وفي سنتي (٩٤٩ - ٩٥٠ هـ/١٥٤٢- ١٥٤٣م) جرت محاولة **لفتح الحبشة** على أيدي أمراء ساحل شرقي إفريقيا المسلمين(دهلك ومصوع وزيلع وسواكن) الذين استعانوا بالعثمانيين لطرد البرتغاليين.

وفي سنة ٩٦٢هـ/١٥٥٤م، نازل الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا البرتغاليين أمام شواطئ مصوع وأوقع بهم الهزيمة، ثم صفَّى العثمانيون المواقع البرتغالية على طول امتداد شواطئ البحر الأحمر وبنوا بها القلاع. وفي سنة ٩٦٥هـ/١٥٥٧م، احتل العثمانيون ميناء مصوع، وتعاون أهل البلاد معهم ومع التجار المنافسين للبرتغاليين. وكانت النتيجة هي طرد البرتغاليين نهائيًا من المنطقة واستقرار العثمانيين على طول شواطئ البحر الأحمر الإفريقية، حيث جرى إنشاء ولاية الحبش وقاعدتها جدة. واستطاع العثمانيون أن يعرقلوا حصار البرتغاليين للطرق القديمة ولم يحدث إلا منذ القرن السابع عشر حين حلت الأساطيل الإنجليزية والهولندية القوية محل الأسطول البرتغالي، أن أغلقت الطرق القديمة نهائيًا، بحيث واجه الشرق الأوسط أزمة اقتصادية حادة لم يفق منها إلا في العصور الحديثة[٣].

---

١ - د. السيد رجب حراز، العالم العربي الحديث، ص ١٢٢.

٢ - د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص ٩٩.

٣ - د. إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص ٧٤.

نماذج متنوعة لمنمنمات عثمانية عن السفن الحربية التي استخدمها العثمانيون في القرن السادس عشر الميلادي





ضم العثمانيين لليمن

بعد القضاء على **الدولة الطاهرية** (انظر ص ٣٢٦) تغيرت الأحلاف وموازين القوى وأخذ الإمام شرف الدين يقاتل حلفاء الأمس من المماليك الذين أسماهم قبلاً " غزاة كرماء ". ويتحالف مع والي الدولة الطاهرية في ثلا، في حين تحالف الأشراف الحمزات مع المماليك نكاية بالإمام شرف الدين، وقد ضعفت معنويات الجند المماليك كثيرًا بسبب سقوط دولتهم في مصر على يد الأتراك العثمانيين بعد قليل من القضاء على الدولة الطاهرية في العام نفسه ٩٢٣ هـ/١٥١٧م، مما اضطر المماليك في اليمن إلى الاعتراف بالسيادة العثمانية، وهكذا دخلت اليمن تحت السيادة العثمانية عبر تبعيتها السابقة للمماليك، لكن العثمانيين أنفسهم لم يصلوا اليمن إلا سنة ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨م وهي حملتهم الأولى إلى اليمن بعد أن وضحت لهم أهمية موقع اليمن الإستراتيجي المطل على البحر الأحمر وبحر العرب، في إطار صراعهم كقوة دولية مع القوة البرتغالية البحرية المتنامية في المحيط الهندي وبحر العرب، والتي أخذت تحول الطريق التجاري من البحر الأحمر عبر رأس الرجاء الصالح مع ما يتبع ذلك من خسائر في عائدات الموانئ الخاضعة لسيطرة العثمانيين.

وفي عهد السلطان سليمان القانوني ٩٢٧-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م تمكنت الدولة العثمانية من إبعاد البرتغاليين عن البحر الأحمر ومهاجمتهم في المراكز التي استقروا بها في الخليج العربي[١].

لقد أدرك السلطان سليمان الأول أن مسؤولية الدفاع عن الأماكن المقدسة هي مسؤولية الدولة العثمانية، فبادر بعقد اتفاق مع حاكمي "قاليقوط" و"كامباي" وهما الحاكمان الهنديان اللذان تأثرا من الغزو البرتغالي وكان ذلك الاتفاق ينص على العمل المشترك ضد البرتغال، ثم أعقب ذلك الاتفاق إصداره مرسومًا إلى سليمان باشا الخادم والي مصر هذا نصه: (عليك يابيك البكوات بمصر سليمان باشا، أن تقوم فور تسلمك أوامرنا هذه، بتجهيز حقيبتك وحاجتك، وإعداد العدة بالسويس للجهاد في سبيل الله، حتى إذا تهيأ لك إعداد أسطول وتزويده بالعتاد والميرة والذخيرة وجمع جيش كافٍ، فعليك أن تخرج إلى **الهند** وتستولي وتحافظ على تلك الأجزاء، فإنك إذا قطعت الطريق وحاصرت السبل المؤدية إلى مكة المكرمة تجنبت سوء ما فعل **البرتغاليون** وأزلت رايتهم من البحر).

وقام سليمان الخادم بتنفيذ أوامر السلطان العثماني، ووصل بعد سبعة أيام إلى جدة ثم اتجه إلى **كمران** وبعد ذلك سيطر على عدن وعيّن عليها أحد ضباطه وزودها بحامية بلغ عدد جنودها ست مئة

١- د.علي الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ٢١٨.

ففي **مطلع القرن السادس عشر الميلادي، كانت سلطنة الطاهريين السُّنَّة** هي الأقوى في جنوبي شبه الجزيرة العربية، وتميزت بأنها المركز الديني والثقافي الرئيس في البلاد، فبسطت هذه الدولة سلطتها على المراكز الزراعية وأكثر المدن المزدهرة في اليمن، بما فيها **(تعز وصنعاء ومُخا والعاصمة زبيد).**

وشكَلت الطائفتان المتنازعتان، الزيدية والإسماعيلية، اللتان كانتا تسيطران على المناطق الجبلية في شمالي اليمن ووسطه، المنافس الدائم والعدو اللدود للسلطنة الطاهرية.

وبعد **سقوط الدولة الطاهرية** أصبح اليمن خلال هذه المدة موزعًا بين ثلاث قوى: **العثمانيون في الجهات الغربية، والأئمة من بيت شرف الدين في الجهات الشمالية، وآل كثير في حضرموت.**



جندي، **ثم واصل سيره إلى الهند**، وعند وصوله إلى **ديو** ، خاض العثمانيون **معركة ديو الثانية سنة ١٥٣٨م** حيث لم يتمكن العثمانيون من الإستيلاء عليها، وانسحب عائـــدًا بعد أن فقد حوالي أربعمائة من رجـــاله، وحاول مرة أخرى الاستيلاء على الأمامية حتى استسلمت إحداهـا وتم أسر ثمانين برتغاليًا، ولولا الإمدادات الجديدة للجيش البرتغالي لاستسلمت جميع القـــلاع، وتمّ طرد البرتغاليين من الهند ولخضعت **قلعة ديو للعثمانيين** خضوعًا تامًا[١].

وهكذا تمكن العثمانيون من صد البرتغال وإيقافهم بعيدًا عن المماليك الإســلامية والحد من نشاطهم، وهكذا نجحت الدولة العثمانية في تأمين البحر الأحمر وحماية الأماكن المقدسة من التوسع البرتغالي المبني على أهداف استعمارية وغايات دنيئة ومحاولات للتأثير على الإسلام والمسلمين بطرق مختلفة.

إن النجاح الذي حققته الدولة العثمانية في درء الخطر البرتغالي على العالم الإسلامي يستحق كل تقدير وثناء، فدولة المماليك المتهالكة كانت على وشك الانهيار، ولم تكن على مستوى من القوة يكفل لها الوقوف أمام الغزو البرتغالي فتحملت الدولة العثمانية أعباء الدفاع عن حقـــوق المسـلمين وممتلكاتهم، ونجحت أيَّما نجاح في الحد من مطامع الغزاة ووصولهم إلى الأماكن المقدســة كما كانوا يرغبون.

لقد كان من نتائج الصراع العثماني البرتغالي[٢]:

١- احتفظ العثمانيون بالأماكن المقدسة وطريق الحج.

٢- حماية الحدود البرية من هجمات البرتغاليين طيلة القرن السادس عشر الميلادي.

٣- استمرار الطرق التجارية التي تربط الهند وإندونيسيا بالشرق الأدنى عبر الخليج العربي والبحر الأحمر.

٤- استمرار عمليات تبادل البضائع الهندية مع تجار أوروبا في أسواق حلب، والقاهرة وأستنبول، ففي سنة ١٥٥٤م اشترى البندقيون وحدهم ستة آلاف قنطار من التوابل، وفي الوقت نفسه كانت تصل إلى ميناء جدة عشرين سفينة محملة بالبضائع الهندية (توابل، أصباغ، أنسجة).

١، ٢- د.علي الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ٢١٨- ٢٢٠.



لم تقتصر أعمال السلاطين العثمانيين الجهادية ضد الأوربيين في أوروبا والبحر المتوسط فقط؛ بل أخذ العثمانيون يناضلون ضد البرتغاليين في **المحيط الهندي**.

فعندما فتح العثمانيون مصر في عهد السلطان سليم الأول والد سليمان القانوني، كان البرتغاليون قد اكتشفوا طريق رأس الرجاء الصالح ووصلوا إلى الهند، وما لبثوا أن قاموا باعتداءات وحشية على مسلمي الهند، **فاستنجد حاكم كجرات بالخليفة العثماني سليمان القانوني**، وكان طبيعيًا أن يلبي الخليفة هذا النداء لنصرة المسلمين في الهند؛ **فقامت القوات البحرية العثمانية بأربع حملات بحرية لتأديب البرتغاليين**: كانت **الأولى** سنة ١٥٣٨م، وكانت بقيادة سليمان باشا الخادم والي مصر العثماني وكانت نتائجها: ضم عدن وأجزاء من اليمن ومحاصرة قلعة ديو في الهند، و**الثانية** سنة ١٥٥١م وكان قائدها بيري ريس، و**الثالثة** سنة ١٥٥٢م وكانت بقيادة مراد رئيس، و**الرابعة** بقيادة سيدي علي رئيس صاحب كتاب مرآة الممالك. وتأتي أهمية هذه الحملات إلى **أهمية مضيق بـــاب المندب وسواحل البحر الأحمر** بالنسبة للإستراتيجية العثمانية.

الصراع حول تونـــــــس[١]

اتخذ الصــراع الإســلامي – النصــراني في غربي البحر الأبيض المتوسط أوائل القرن السادس عشر الميلادي، طابعًا لا يقل حدة عما كان عليه في الشرق، وتركَّز بشكل أساسي في **مثلث تونس – مالطة – طرابلس الغـرب**، واكتسـبت السـيطرة عليـه أهميـة بالغـة بالنسـبة إلى نتائـج المواجهة بـين القوى المتصارعة.

والحقيقة أن الوضع **في تونس** كان يختلف عنه في الجزائر، على الرغم من أن أحداث دخول الجزائر وتونس تحت السيادة العثمانية تتداخل، بل وتترابط بحيث يصعب الفصل بينها.

كانت **تونس وطرابلس الغرب** جزءًا من **دولة الحفصيين** التي كانت آخذة في التداعي في مطلع القرن الســادس عشــر الميلادي ، **وأضحى الجيش الحفصي عاجزًا عن مواجهة سـفن أسـبانيا والدول الإيطالية، وعاجزًا حتى عن القتال ضـد القراصـنة الأوروبيين الذين لم يتوقفوا عن تدمير شواطئ المغرب الشرقية.**

ودلالة على ضعف **السلطات الحفصية** أنه، في سنة ٩١٦ هـ/١٥١٠م، استولى الكونت دي نافارو، من دون صـعوبة، على **بجايـة وطرابلس الغرب**، وهاجم **جزيرة جربـة**، ولم يُقْدِم أبو عبد الله محمد الخامس الحفصــي على أي عمل لاسـتعادة المدن المفقودة، بل جاءت المقاومة من جانب السكان، في حين شارك العثمانيون بفاعلية في الدفاع عن جربة ما كان سببًا في عقد تحالف بين الطرفين.

وحدث أن اعتلى الحسـن الحفصــي عرش تونس في سـنة ٩٣٢ هـ/١٥٢٦م، وتميَّز حكمه بالاسـتهتار والاسـتئثار بالسـلطة، ومال إلى التعاون مع الإسـبان لمواجهة خير الدين بربروسـا والعثمانيين، كما عقد صلحًا مع فرسان القديس يوحنا في سنة ٩٣٨ هـ/١٥٣٢م.

أدَّى التوجه السياســي نحو القوى النصــرانية إلى تدهور علاقة مولاي الحسن مع الباب العالي. وتمكَّن **خير الدين بربروسـا من إقناع السـلطان سـليمان الأول**، الذي اجتمع به في أستنبول، وكان ينوي الدخـول في حرب مع إسـبانيا، بالسـيطرة أولاً على تونـس وتثبيت أقدام العثمانيين على سـاحل إفريقيا الشمالية بأكمله قبل المباشرة بأي عمليات كبيرة ضد أسبانيا.

وكانت هناك دوافع عدة أملت على السلطان قبول مشروع خير الدين، منها:

- موقع تونس الجغرافي في منتصف الساحل الشمالي لإفريقيا تقريبًا، وتوسطها بين الجزائر وطرابلس الغرب.

١- د. محمد بن سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٢٢٠ – ٢٢٣.



بعد أفول **دولة الموحدين** تعاقبت على بلاد المغرب الإسلامي ثلاث دول هي: دولة **بني حفص** شرقًا، ودولة **بني مرين** غربًا ودولة **بني زيان** بالأوسط؛ وتلاشى المذهب الشيعي الإسماعيلي من المنطقة الذي دعت إليه الدولة العبيدية، بينما هيمن المذهب السني المالكي على الشمال الإفريقي وبلاد الأندلس وحافظ المذهب الإباضي على وجوده في تاهرت وسجلماسه وجربة وجبل نفوسة وغرداية أيام بني يزغن.

- قرب تونس من إيطاليا، التي كانت تُشكِّل أحد جناحي الإمبراطورية الرومانية المقدسة.
- مجاورة تونس لجزيرة مالطة، مقر فرسان القديس يوحنا الحلفاء الطبيعيين للإمبراطور شارل الخامس، وأشد الطوائف النصرانية عداء للإسلام والمسلمين.
- الإمكانات الهائلة التي تتيحها موانئ تونس في التحكُّم في المواصلات البحرية في البحر الأبيض المتوسط:

غادر **خير الدين بربروسا أستنبول** على رأس قوة تتألف من ثمانين سفينة وثمانية آلاف جندي، وتوجَّه مباشرة إلى تونس، وظهر أمام مينائها في صفر ٩٤١ هـ/آب ١٥٣٤م، وصودف أن قامت في البلاد انتفاضة شاملة **ضد الحكم الحفصي**، وأرسل زعماء الشعب وفدًا إلى خير الدين يطلبون منه الحضور إلى العاصمة.

استجاب خير الدين لنداء الاستغاثة، ونجح في النزول إلى الشاطئ، ثم توجَّه إلى قصر القصبة، حيث تسلَّم الحكم، وأعلن خلع الأسرة الحفصية وانضمام تونس إلى حكم الباب العالي، وهرب مولاي الحسن الحفصي باتجاه بجاية، ثم غادرها إلى بلاد الجريد ملتجئًا إلى الأسبان.

كان لانضمام تونس إلى الحكم العثماني أصداء بعيدة في أوروبا بعامة وفي إسبانيا بشكل خاص، إذ إن هذا الانتقال في السيادة أثار قلقًا لدى شارل الخامس نظرًا لموقع البلاد الإستراتيجي، ونُظِر إلى هذا النجاح العثماني على أنه تهديد مباشر وحقيقي لإسبانيا ولتجارتها، لذلك قرر غزو تونس بحجة الاستجابة لنداء المساعدة الصادر عن مولاي الحسن وفرسان مالطة.

وفعلًا أبحر هذا الإمبراطور في ٢٩ ذي القعدة ٩٤١ هـ/ حزيران ١٥٣٥م، على رأس أسطول بحري كبير متوجهًا إلى تونس، ونجح في الاستيلاء على حلق الوادي نتيجة تراجع الحاميات العثمانية إلى مدينة تونس، كما استولى على هذه المدينة في ١٩ ذي الحجة/٢١ حزيران. واحتل الأسبان الجزء الشمالي الشرقي من البلاد بأكمله، وعاد مولاي الحسن إلى العاصمة، في ٦ صفر ٩٤٢ هـ/ ٦ آب ١٥٣٥م، وسط مظاهر بهجة المنتصر، **ووقَّع بعد يومين معاهدة مع الإمبراطور اعترف فيها بالحماية الإسبانية على تونس، وبهذه النتيجة أضحى الحسن الحفصي تابعًا لأسبانيا.**

أما خير الدين بربروسا فإنه وجد نفسه مفتقرًا إلى العدد اللازم للمقاومة، كما كان بعيدًا عن مركز السلطنة، لذلك فضَّل الارتحال مع جنوده على مراكبه.



صقلية
البحر الأبيض المتوسط
الشمال
بنزرت
منزل بورقيبه
رأس الطيب
طبرقة
خليج تونس
أريانة
تونس
بن عروس
باجة
بنتيلاريا (إيطاليا)
جندوبي
زغوان
نابل
الكاف
سيليانة
خليج الحمامات
سوسة
المنستير
المكنين
القيروان
تالا
المهدية
جزر تابعة لإيطاليا
الجم
القصرين
سيدي بوزيد
صفاقس
الجزائر
قرقنة
محرس
قفصة
الصخيرة
البحر الأبيض المتوسط
خليج قابس
شط الغراسة
شط الفجاج
الخامة
قابس
حومة السوق
نفطة
توزر
ج. جربة
قبلي
شط الجريد
مطماطة
جرجيس
مدنين
سبخة المياه
تطاوين
تونس
رمادة
الذهيبات
ليبيا
البورمة
برج الخضرة
تونس
العاصمة
عاصمة المحافظة
مدينة مهمة
الحدود الدولية
حدود المحافظات
الطريق الرئيس
سكة حديد
المحافظات يكون لها نفس الاسم كما عواصمها
الخريطة
١٠٠
٢٠٠
٣٠٠كم

طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني [١]

استولت **إسبانيا على طرابلس الغرب** في سنة ٩١٦ هـ/ ١٥١٠م، وعزم شارل الخامس على إعمار البلاد لتوطين المستعمرين الأوروبيين بعامة والإيطاليين بخاصة، ولكن يبدو أن المستعمرين في بالرمو وغيرها من المدن رفضوا دعوة الإمبراطور للانتقال إلى إفريقيا والإقامة فيها، على الرغم من التسهيلات والإغراءات السكنية والضرائبية التي قُدِّمت إليهم، **هذا وتعرض الحكم الأسباني لهجمات المجاهدين بالتعاون مع الدولة العثمانية**، حيث استُقبل العثمانيون بالترحاب في **تاجورا ومصراته وبنغازي** وغيرها من المدن الساحلية.

ظلت طرابلس تحت الحكم الأسباني زهاء عشرين عامًا حتى ألقى الإمبراطور الأسباني عبء الدفاع عن المدينة على عاتق **فرسان القديس يوحنا** كي يتفرغ لمواصلة الحرب ضد سكان الجزائر وتونس، بالإضافة إلى مواجهة المشكلات المتصاعدة **بينه وبين السلطان سليمان الأول**، كما أراد هذا الإمبراطور أن يتفرّغ لمواجهة **حركة الراهب مارتن لوثر**. وهكذا تخلّى الأسبان عن المدينة من دون أن يُحقّقوا أي هدف من أهدافهم، إلا أنهم تركوا البلد لنصارى آخرين أشد تعصُّبًا منهم.

علّق **الفرسان** آمالهم على السلطان الحفصي، مولاي الحسن، فأقاموا معه علاقات ودية، بل علاقات تحالف، غير أن مولاي الحسن هذا هُزم في أثناء الصراع على السلطة في ليبيا، فأقام الفرسان في المدينة حكومة نصرانية دينية متعصبة استهدفت تغيير الوجه الإسلامي فيها، ولكنهم اصطدموا بالشعور الديني المتأجج في نفوس السكان، ثم حاولوا إقامة حكم صارم، فطبقوا نظام الرهائن والغرامات، ما أثار كراهية السكان لهم الذين عمدوا إلى المقاومة المسلحة.

وبرز من بين زعماء المقاومة خير الدين قرماني، ودرغوث رئيس، ومراد آغا القائد العثماني، وقد أخذوا على عاتقهم مهمَّة طرد الفرسان من مدينة طرابلس الغرب، ولما كانت إمكاناتهم العسكرية ضعيفة، ومواردهم المالية قليلة فقد استنجدوا بالدولة العثمانية، في سنة ٩٥٧ هـ/ ١٥٥٠م، وأعلنوا ولاءهم للسلطان العثماني ودخول بلادهم تحت السيادة العثمانية.

استجاب الباب العالي لنداء الاستغاثة، وأرسل السلطان أسطولًا بحريًا، بقيادة يوسف سنان باشا، ظهر أمام مدينة طرابلس، في ١٢ شعبان ٩٥٨ هـ/ ١٥ آب ١٥٥١م، وأنزل عشرة آلاف جندي على الشاطئ. واستطاع العثمانيون ضرب منشآت الميناء ودخلوا المدينة بعد قصفها وأجلوا من تبقّى من الفرسان عنها، وصدر على إثر ذلك فرمان بتعيين **مراد آغا** واليًا على طرابلس، فكان أول الولاة العثمانيين عليها، **وأضحت طرابلس الغرب، منذ العام المذكور، ولاية عربية تحت السيادة العثمانية.**

١- د. محمد بن سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.



لقطتان لغدامس القديمة والتي تعرف بعروس الصحراء الليبية

التطور الحضاري في عهد سليمان الأول[(١)]

كان السلطان **سليمان القانوني** شاعرًا كتب قصائده تحت الاسم الأدبي "مُحبّي" وخطاطًا يجيد الكتابة، وملمًا بعدد من اللغات الشرقية من بينها العربية، وكان له بصر بالأحجار الكريمة، مغرمًا بالبناء والتشييد، فظهر أثر ذلك في دولته، فأنفق بسخاء على المنشآت الكبرى فشيد المعاقل والحصون في رودس وبلجراد وبودا، **وأنشأ المساجد والصهاريج** والقناطر في شتى أنحاء الدولة، وبخاصة في دمشق ومكة وبغداد، غير ما أنشأه في عاصمته من روائع العمارة.

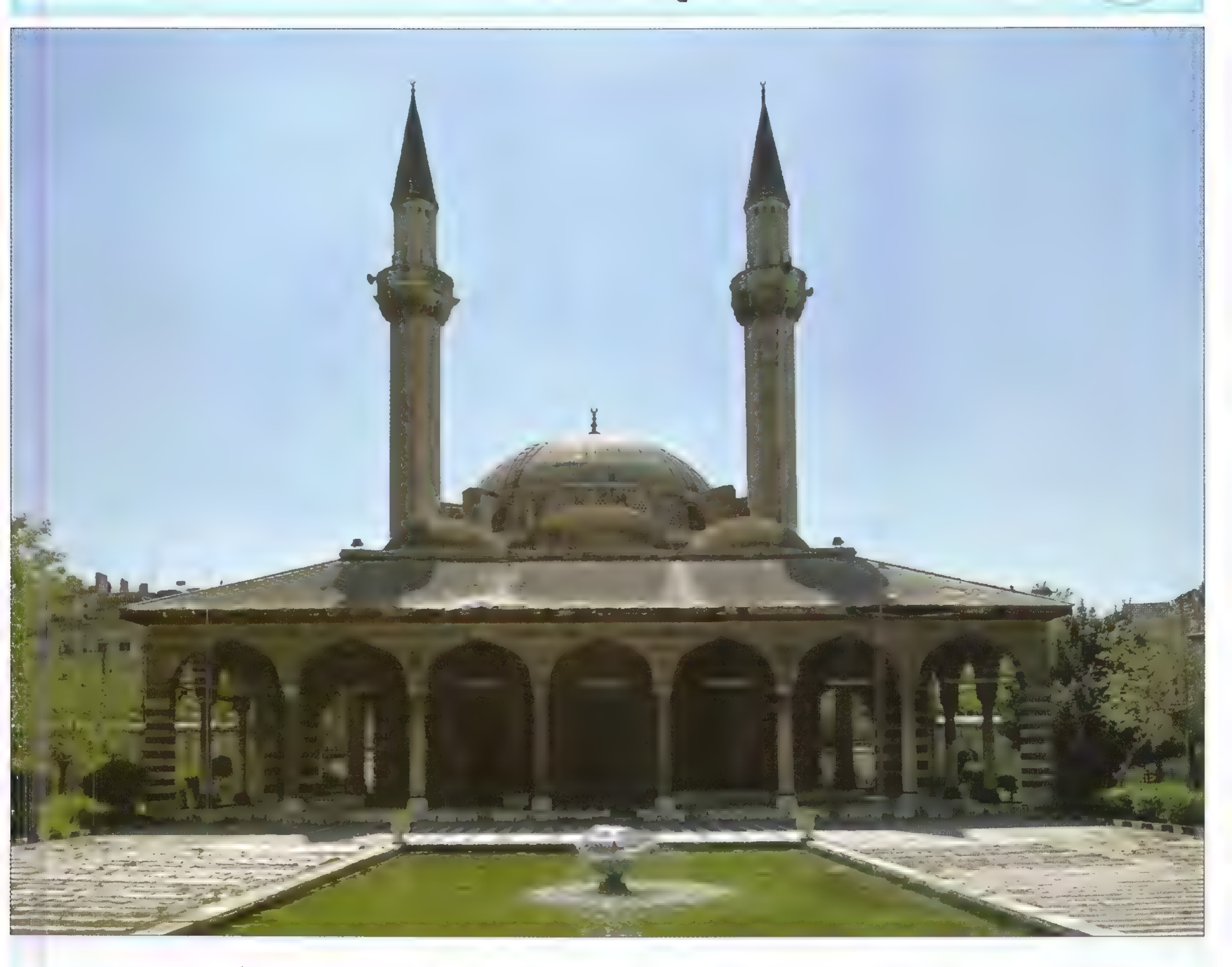
وظهر في عصره أشهر المهندسين المعماريين في التاريخ الإسلامي، **سنان آغا**، الذي اشترك في الحملات العثمانية، واطّلع على كثير من الطرز المعمارية حتى استقام له أسلوب خاص، ويعد مسجد سليمان القانوني أو (جامع السليمانية) في أستنبول الذي بناه للسلطان سليمان في سنة ٩٦٣هـ - ١٥٥٧م من أشهر الأعمال المعمارية في التاريخ الإسلامي (انظر الصفحة المقابلة).



مسجد السلطان سليمان الأول في ماريوبول - أوكرانيا، بناه أحد رجال الأعمال الأتراك المعاصرين تخليدًا لأعماله الجليلة

واجهة مسجد السلطان سليمان القانوني الذي أنشئ من الحجر المنحوت المركب

بيت الصلاة من الداخل ويظهر في مقدمة الصورة المنبر



التكية السليمانية: هي بناء متكامل في **دمشق العاصمة السورية**، وتعد التكية من أهم الآثار العثمانية فيها، وتضم مسجدًا و متحفًا و سوقًا للمهن اليدوية والتراث و مدرسة.

سميت نسبة إلى السلطان سليمان الأول (القانوني) الذي أمر ببنائها سنة ١٥٥٤م، في الموضع الذي كان يقوم عليه قصر السلطان المملوكي (الظاهر بيبرس) المعروف باسم قصر الأبلَّق في مدينة دمشق.

والتكية من تصميم المعماري التركي معمار سنان، أشهر معماري عثماني. وأشرف على بنائها المهندس ملا آغا. بدأ بناؤها سنة ١٥٥٣م، وانتهى سنة ١٥٥٩م، في عهد الوالي خضر باشا، أما المدرسة الملحقة بها فتم بناؤها سنة ١٥٦٦م، في عهد الوالي لالا مصطفى باشا.

وأبرز ما يميز طراز التكية السليمانية: مئذنتاها النحيلتان اللتان تشبّهان بالمسلّتين أو قلمي الرصاص لشدة نحولهما، وهو طراز لم يكن مألوفًا في دمشق حتى تلك الحقبة. وتضم التكية قسمين:

التكية الكبرى: وتتألف من مسجد ومدرسة.

التكية الصغرى: وتتألف من بيت للصلاة وباحة واسعة تحيط بها أروقة وغرف تغطيها قباب متعددة. وكانت التكية الصغرى مأوى للغرباء وطلبة العلم، وتضم اليوم المتحف الحربي السوري وسوق الصناعات الشعبية.

لماذا سُمّيَ السلطان سليمان الأول بالقانوني؟

اشتهر السلطان سليمان الأول بوضع القوانين التي تنظم الحياة في دولته الكبيرة. حيث كان القانون السائد في الإمبراطورية هو الشريعة الإسلامية وكان تغييرها خارج صلاحيات السلطان. حتى ظهر قانون سليمان الذي غطى مجالات القانون الجنائي وحيازة الأراضي والجبايات. جمع فيه جميع الأحكام التي صدرت من قبل السلاطين العثمانيين التسعة الذين سبقوه. وبعد القضاء على الازدواجية والاختيار بين التصريحات المتناقضة، أصدر مدونة قانونية واحدة، وراعى فيها الظروف الخاصة لأقطار دولته، وحرص على أن تتفق مع الشريعة الإسلامية والقواعد العرفية. كانت هذه الإصلاحات في إطار سعي سليمان، بدعم من المفتي أبو السعود أفندي، إلى إصلاح التشريع للتكيف مع تغيير الإمبراطورية السريع. حينما وصل القانون إلى شكله النهائي سُمِّي القانون العثماني (بالتركية: kanun-i Osmani) أو قانون السلطان سليمان (بالتركية العثمانية: قانون نامه سلطان سليمان) وبقي جاريًا العمل به قرابة ثلاث مئة سنة أي حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي، كما جعل أكبر الوظائف العلمية وظيفة مفتي، وقسَّم جيش الإنكشارية إلى ثلاث رتب بحسب سنين خدمتهم.

ولم يطلق الشعب على السلطان سليمان لقب القانوني لوضعه القوانين، وإنما لتطبيقه هذه القوانين بعدالة، ولهذا يعد العثمانيون الألقاب التي أطلقها الأوروبيون على سليمان في عصره مثل: الكبير، والعظيم، قليلة الأهمية والأثر إذا ما قورنت بلقب القانوني الذي يمثّل العدالة.

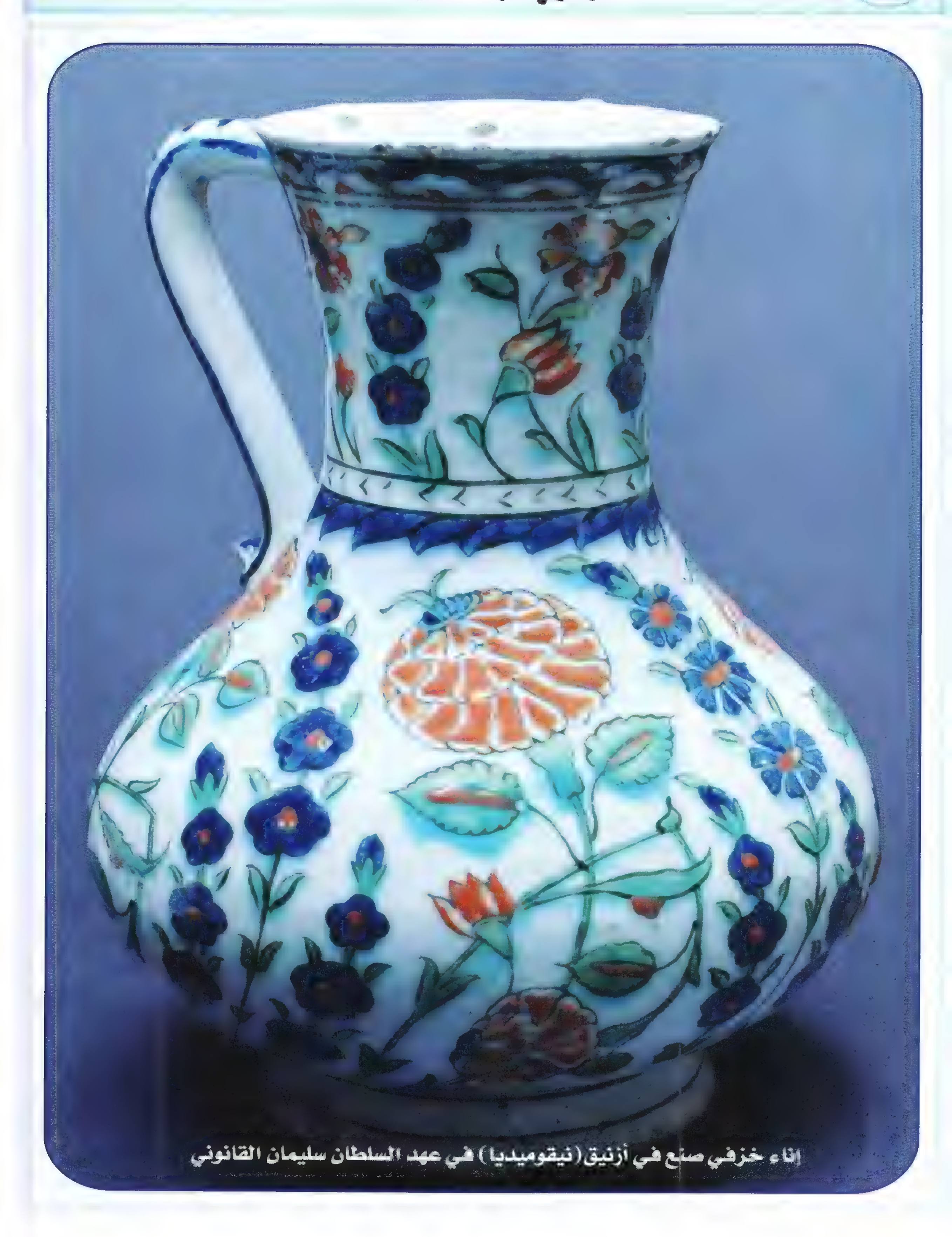
وكان من القوانين التي سنها القانوني أيضًا: السماح للإنكشارية بخوض الحروب من دون خروج الخليفة على رأسهم، والسماح للوزراء بتداول شؤون الدولة في وجود الصدر الأعظم على رأسهم مندوبًا عن السلطان، وكان من مساوئ القانون الأول: أن ضعفت سيطرة السلاطين التي تلته على الإنكشارية، أما الثاني: فقد سمح للدسائس أن تحاك على الدولة وعلى السلطان كالدسيسة التي تسببت في مقتل ابنه البكر مصطفى.

أعطى سليمان اهتمامًا خاصًا لحالة الرعايا، وهم العاملون المسيحيون في أراضي السباهى. حيث عدل قانون الرعايا الذي يحكم الجبايات والضرائب التي يدفعها الرعايا ورفع مكانتهم فأصبحوا أحسن من الأقنان إلى حد أن أقنان البلدان المسيحية هاجروا إلى الأراضي العثمانية للاستفادة من الإصلاحات. لعب السلطان دورًا مهمًا في حماية يهود إمبراطوريته لقرون لاحقة في أواخر ١٥٥٣ أو ١٥٥٤م، وتحت اقتراح من طبيبه المفضل، موسى حامون الإسباني اليهودي، أصدر السلطان مرسومًا يمنع هجو الدم ضد اليهود. وعلاوة على ذلك، سن سليمان قانونًا جنائيًا جديدًا وقانون شرطة جديدًا، يحث على مجموعة من الغرامات على المخالفات الخاصة، فضلًا عن الحد من الحالات التي تتطلب القصاص أو التشويه.

أما في المجال الضريبي، كانت الضرائب مفروضة على سلع ومنتجات عدة منها: الحيوانات والمعادن والأرباح التجارية ورسوم الاستيراد والتصدير؛ بالإضافة إلى الضرائب، صادر السلطان أراضي وممتلكات المسؤولين الذين لهم سمعة سيئة.

كان التعليم مجالًا مهمًا للسلطان، ومنحت مدارس المساجد التي تمولها المؤسسة الدينية تعليمًا مجانيًا لأطفال المسلمين وكانت متقدمة على تلك في الدول المسيحية في ذلك الوقت. في العاصمة، زاد سليمان عدد الكتابات إلى أربعة عشر تعلم الصغار القراءة والكتابة ومبادئ الإسلام. وأمكن للأطفال الذين رغبوا مواصلة تعليمهم الشروع في واحدة من ثمانية مدارس جامعة، التي شملت شعبها قواعد اللغة والميتافيزيقيا والفلسفة وعلم الفلك والتنجيم. منحت المدارس الجامعة العليا تعليما بدرجة جامعات اليوم، وأصبح خريجوها أئمة أو معلمين. شملت المراكز التعليمية في كثير من الأحيان واحدًا من المباني العدة المحيطة بباحات المساجد أما المباني الأخرى فكان بها المكتبات وقاعات الطعام والنوافير ومطابخ الحساء والمستشفيات لصالح العامة.

ولم يكن عهد القانوني العهد الذي بلغت فيه الدولة أقصى حدود لها من الاتساع، وإنما هو العهد الذي تمت فيه إدارة أعظم دولة بأرقى نظام إداري. الدولة العثمانية (١٤): سليمان القانوني (٩٢٦- ٩٧٤هـ)، موقع التاريخ.



إناء خزفي صنع في أزنيق (نيقوميديا) في عهد السلطان سليمان القانوني



المشرق العربي في عهد السلطان سليمان الأول (القانوني)

الخريطة

الدولة العثمانيـــــة
الدولة الصفويـــة



عملة ذهبية باسم السلطان العثماني سليمان الأول

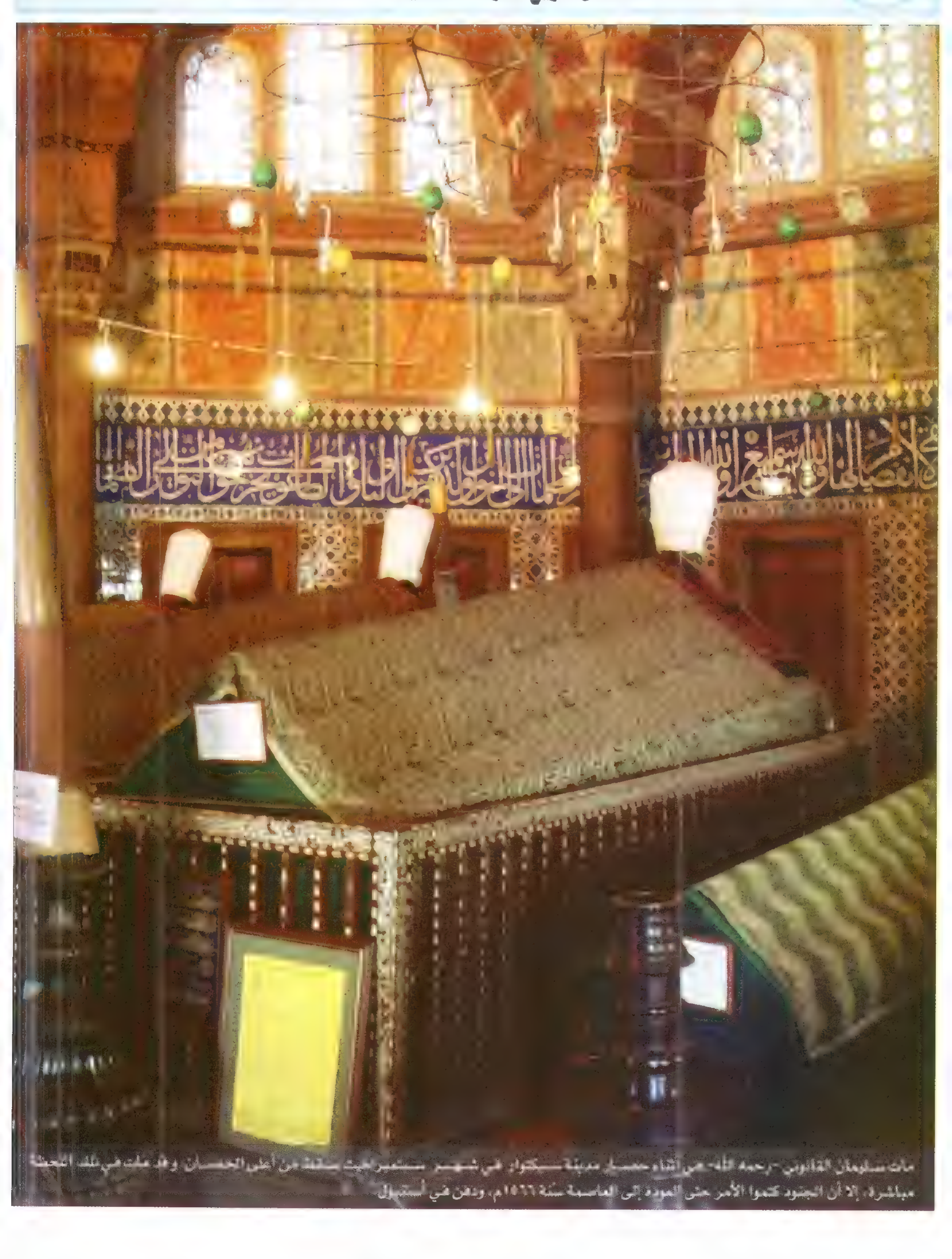
الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان الأول





منمنمة عثمانية من كتاب تاريخ السلطان سليمان (٩٨٧ هـ/١٥٧٩م) تصور جنازة السلطان سليمان القانوني

اتفق المؤرخون على أن عظمة الدولة العثمانية قد انتهت بوفاة السلطان العثماني سليمان القانوني سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م، وكانت مقدمات ضعف الدولة قد اتضحت في عهد السلطان سليمان نفسه، إذ وقع السلطان تحت تأثير زوجته **روكسلانا** التي تدخلت للتآمر ضد الأمير مصطفى ليتولى ابنها سليم الثاني الخلافة بعد أبيه، وكان مصطفى قائدًا عظيمًا ومحبوبًا من الضباط، مما أدى إلى سخط الإنكشارية ونشوب ثورة كبرى ضد السلطان وأخمدها السلطان سليمان، وبذلك تم القضاء على مصطفى وابنه الرضيع وكذلك قتل السلطان ابنه بايزيد وأبناءه الأربعة بدسيسة من أحد الوزراء (في أصول التاريخ العثماني، ص١٠٢) ومن مظاهر الضعف في عهد سليمان بدء انسحاب السلطان من جلسات الديوان، وبروز سطوة الحريم والعجز عن مواجهة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي أدت إلى نشوب القلاقل الشعبية في الروملّي والأناضول (الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص٩٤).



مات سليمان القانوني -رحمه الله- في أثناء حصار مدينة سيكتوار في شهر سبتمبر حيث سقط من أعلى الحصان وقد مات في تلك اللحظة مباشرة، إلا أن الجنود كتموا الأمر حتى العودة إلى العاصمة سنة ١٥٦٦م، ودفن في استانبول.



(٩٧٣-٩٨٢ هـ)

(١٥٦٦ - ١٥٧٤م)



والده: السلطان سليمان الأول (القانوني)

والدته: حرم سلطان

ولادته: سنة ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤م

وفاته: سنة ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤م

مدة حكمه: من ٩٧٣ - ٩٨٢ هـ / ١٥٦٦ - ١٥٧٤م

كان السلطان **سليم الثاني** متوسط القامة، عريض الجبين، دقيق الحاجبين، أزرق العينين، أشقر الشعر. استطاع سليم الثاني الوصول إلى السلطة بمساعدة وزير أبيه محمد باشا صوقولو الذي ضمن تأييد الإنكشارية والديوان له. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون،تعريب محمد جان، ص ٥٤.

كان السلطان سليم الثاني على غرار والده شاعرًا، ومن بين ما كتب (نحن بلابل اكتوت بنار الفراق نصبح نارًا إن هب في حديقتنا ريح الصبا). وقد قال يحيى كمال أحد مشاهير الشعراء في الحقبة الأخيرة: إن هذا الشعر يساوي في جماله جامع سليمية؛ أي : جمال بنائه المعماري.

يعد سليم الثاني أول سلطان عثماني يولد في أستنبول، وكذلك أول من يموت فيها منهم، كما أنه أول سلطان "لم يتمكن من اللحاق بركب أجداده" وقعد عن قيادة الحملات، إذ رغم تلقيه تعليمًا رفيعًا إلا أنه ترك أمور الدولة إلى صهره ووزيره الأول الصدر الأعظم سوقولو محمد باشا، ومع هذا وقف سليم بذكاء ضد الكثير من قرارات وزيره الأول.

الأعلام الذين عاصروه:

أبو السعود أفندي، الشيخ محمد عاشق أفندي، الشيخ شعبان أفندي القسطموني، محمد أفندي البركوي، عاشق جبلي، قنالي زاده على أفندي، صوقولو محمد باشا.

أبناؤه:

مراد الثالث، عبدالله، عثمان، مصطفى، سليمان، محمد، محمود، جهانكير.

بناته:

فاطمة سلطان، شاه سلطان، كوهر خان سلطان، أسماء سلطان.

السلطان سليم الثاني تولى الحكم ، ولم يكن مؤهلًا لحفظ فتوحات والده السلطان سليمان القانوني ولولا وجود الوزير الفذ والمجاهد الكبير والسياسي القدير **محمد باشا الصقللي**، لانهارت الدولة، إذ قام بإعادة هيبتها وزرع الرهبة في قلوب أعدائها، وعقد صلحًا مع النمسا، وأتم توقيع معاهدة في سنة ٩٧٥هـ/١٩٦٧م، احتفظت بموجبها النمسا بأملاكها في بلاد المجر ودفعت الجزية السنوية المقررة سابقًا للدولة، كما اعترف أمراء ترانسلفانيا والأفلاق والبغدان.(د. علي حسون،تاريخ الدولة العثمانية، ص١٢٣- ١٢٤).



العلاقات العثمانية - الفرنسية في عهد سليم الثاني

- **إعفاء** الرعايا الفرنسيين في الدولة العثمانية مع دفع الضريبة الشخصية.
- **لقناصل** فرنسا حق البحث عن الأرقاء من الرعايا الفرنسيين في أراضي الدولة العثمانية وتحريرهم.
- **يردّ** السلطان العثماني السفن الفرنسية التي يستولي عليها ربابنة تابعين للدولة العثمانية، على أن يعاقب المعتدون على فعلتهم.
- **تساعد** السفن العثمانية السفن الفرنسية عند تعرضها للخطر في البحر الأبيض المتوسط.

بنود المعاهدة العثمانية - الفرنسية

خلف **شارل التاسع** فرنسوَا الثاني على عرش فرنسا في سنة ٩٦٧ هـ/ ١٥٦٠م، وقد تأثر شارل هذا آنذاك بفكرة التنكُّر للتحالف مع العثمانيين، **بفعل تأثير رجال الدين النصارى** الذين نظروا إلى هذا التحالف على **أنه كفر وإلحاد**، لكن تكاثر أعداء فرنسا واشتداد بأسهم، ونصائح سفيره في أستنبول بضرورة تدعيم علاقته مع السلطان العثماني لصالح التجارة الشرقية، أقنعته بضرورة العودة إلى الاتفاق معه، يضاف إلى ذلك، **أنه حدث أن شكا التجار الفرنسيون في الإسكندرية**، الذين تعرضوا للمضايقة ولمصادرة بضائعهم من قِبَل **تاجر يهودي** مقرَّب من السلطان يدعى ميكي، وكان هذا العمل مخالفًا للبند التاسع من معاهدة سنة ٩٤٢ هـ/ ١٥٣٥م، ما دفعه إلى التعجيل بإرسال مبعوث خاص على العاصمة العثمانية، هو كلود دي بورغ، يطلب من السلطان وضع حل لهذه القضية وتجديد الامتيازات الممنوحة لفرنسا.

وتمكَّن المبعوث الفرنسي أن يحصل من **السلطان سليم الثاني**، في سنة ٩٧٧ هـ/ ١٥٦٩م، على صك يحوي ثمانية عشر بندًا تشبه إلى حدٍّ كبير بنود معاهدة سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م، إلاَّ أنه يلاحظ فيها أمران:

الأول: إن من حق فرنسا أن تمنح رايتها في الشرق لمراكب الأوروبيين غير الفرنسيين.

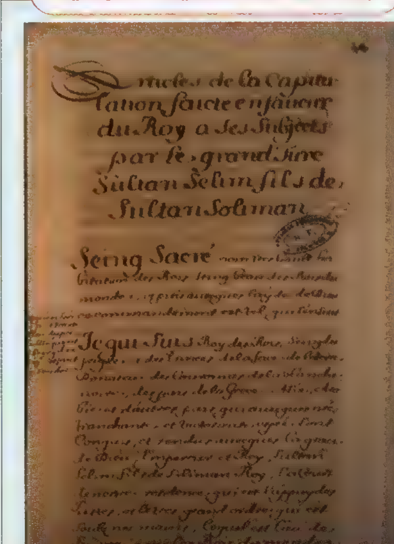
الثاني: إن مدة المعاهدة غير مرهونة بحياة العاهلين، إنما بصداقة الفرنسيين للعثمانيين.

(انظر بنود المعاهدة على يمين الصفحة)

ومن أجل تمتين عرى الصداقة بين الدولتين، اتفق الجانبان على ترشيح هنري دي فالوَا، شقيق شارل التاسع ملك فرنسا، لعرش بولندا ليكون لهما ظهيرًا ضد النمسا من جهة روسيا، **وأضحت بولندا نتيجة لذلك تحت حماية الدولة العثمانية، كما أضحت فرنسا سيدة التجارة في البحر الأبيض المتوسط وفي جميع البلاد التابعة للدولة العثمانية.**

استغلَّت فرنسا هذه المعاهدة وأرسلت بعثات دينية عدة إلى كافة بقاع الدولة التي يسكنها نصارى، وبخاصة بلاد الشام، لتعليم أولادهم وتربيتهم على الولاء لفرنسا.

كان منح هذه الامتيازات وتنفيذها على الأرض من أسباب ضعف الدولة، بفعل تدخُّل القناصل في الإجراءات الداخلية بحجة رفع المظالم عن النصارى، كما اتخذتها فرنسا وسيلة لتغلغل نفوذها بين رعايا الدولة النصارى. د. محمد بن سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.


Articles de la Capitulation faicte en faveur du Roy a ses Subjects par le grand Sire Sultan Selim fils de Sultan Soliman

Seing Sacré

Je qui suis ...

صورة عن الامتيازات العثمانية للملك الفرنسي شارل التاسع

الحملة على أستراخان سنة ٩٧٧هـ/١٥٦٩م[1]

شنَّت الدولة العثمانية، في سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م، حملة على مدينة أستراخان، الواقعة على مصب نهر الفولغا في بحر قزوين، بهدف استرداد الإمارة ووضع حد **لامتداد روسيا** من ناحية الجنوب، خشية أن يؤدي توسعها إلى استيلائها على الطرق التجارية والأسواق الكبرى وإلى هيمنتها على تجارة البلدان الإسلامية، هذا في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تكافح لكسر الطوق البرتغالي حول أواسط آسيا، وتسعى إلى انعاش الطريق التجاري الذي يصل آسيا بمدينة أستراخان والقرم، بالإضافة إلى **طرد الإيرانيين الصفويين** من القوقاز وأذربيجان، ما يؤدي إلى إحياء طرق القوافل القديمة المارة بأواسط آسيا من الشرق إلى الغرب ، **وفتح طريق الحج الذي أغلقته روسيا بوجه الحجاج المسلمين.**

وقضت الخطة بفتح المدينة وتحويلها إلى نظام دفاعي عن المنطقة، وشق قناة بين نهري الفولغا والدون تصل البحر الأسود ببحر قزوين. إنها حملة قامت من أجل المصالح السياسية والاقتصادية والدينية قادها **قاسم باشا**.

أما السبب المباشر للحملة فهو أن حاكم خوارزم شكا للسلطان سليم الثاني أن شاه إيران يقبض على الحجاج الوافدين من التركستان عند عبورهم حدود بلاده ، وأن روسيا، بعد استيلائها على أستراخان، منعت مرور الحجاج والتجار المسلمين، ووضعت العراقيل في وجوههم، لهذا طلب منه القيام بحملة على المدينة لفتحها وإعادة السيطرة على طريق الحج، كما وصلت، في الوقت نفسه، شكاوى مماثلة من حكّام بخارى وسمرقند.

بدأت الحملة في أواخر ٩٧٦ هـ/١٥٦٩م، وشرع العثمانيون في تنفيذ **وصل الفولغا بالدون،** وتقدموا في **حفر القناة** مسافة كبيرة، إلاّ أنهم توقفوا بعدئذ عن متابعة العمل بسبب امتناع خان القرم، دولت كراي، عن التعاون مع الجيش العثماني وسعيه شخصيًّا إلى أن يقوم هو بالاستيلاء على أستراخان وقازان، بالإضافة إلى أن وجود حاميات عثمانية في أستراخان وعلى طول نهر الفولغا من شأنه أن يحد من أطماعه، كما تعذَّر ضرب الحصار على المدينة، لأن الروس بنوا قلعة قوية إلى الجنوب منها، على الطريق المؤدية إليها، حالت دون تقدم الجيش العثماني، كما كان للعوامل الطبيعية أثر كبير في ذلك، إذ إن البرد القارس فتَّ في عضد الجنود العثمانيين.

١- د. محمد بن سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.



١ اشتكى حاكم خوارزم للسلطان **سليم الثاني**، من أن شاه فارس الصفوي يقبض على الحجاج الوافدين من تركستان، بمجرد عبورهم حدوده، وأن موسكو بعد استيلائها على أستراخان منعت مرور الحجاج والتجارة، ووضعت العقبات والعراقيل أمامهم، لهذا طلب حاكم خوارزم، وحكام بخارى وسمرقند من السلطان سليم الثاني أن يفتح استراخان بهدف إعادة فتح طريق الحج. الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها (٧٥/١).

أستراخان Astrakhan: مدينة ومركز إداري في إقليم أستراخان الواقع جنوب غربي جمهورية روسية الاتحادية. تقع المدينة على خط العرض ٤٦ درجة و٢٢ دقيقة شمالاً وخط الطول ٤٨ درجة و٤ دقائق شرقًا في دلتا نهر الفولغا، وتبعد ٦٣كم عن ساحل بحر قزوين (الخزر)، وعلى ارتفاع ٧,٦٠ م عن سطحه. وتبعد مسافة ١٢٨٠ كم جنوب شرقي موسكو. تمتد المدينة على عدة جزر نهرية تقع على الضفة اليسرى (الشرقية) لمجرى نهر الفولغا.

كانت مدينة أستراخان القديمة **عاصمة لخانات التتار** وهم بقايا القبيل الذهبي من قبائل المغول التي استوطنت ضفاف نهر الفولغا، وهي تبعد ١١,٥ كم عن المدينة الحالية. وقد مرّ بها ابن بطوطة سنة ١٣٣٣م وسمّاها مدينة الحاج طرخان، وهو أحد الأولياء الصالحين.

وتحوّلت أستراخان سنة ١٣٩٥م من قرية صغيرة إلى مركز تجاري كبير لموقعها الإستراتيجي على طرق القوافل بعدما احتلها تيمورلنك في العام نفسه. وسقطت بيد الروس على يد إيفان الرابع سنة ١٥٥٦م. وتمّ نقلها إلى موقعها الحالي سنة ١٥٥٨م. ومازالت قلعة أستراخان وكاتدرائيتها قائمتين حتى اليوم. موسوعة المعرفة: مج٢، ص ١٢٥.

توالى على حكم أقليم (أستراخان) المغول والتتار والقلموق والقزق، وأخضع للسيادة الروسية أكثر من مرة، وجعل منه بطرس الأكبر حاكمية خاصة سنة ١٧١٧م، ثم ألحق بمنطقة القفقاس الشمالي في المدة بين سنتي ١٧٨٥ و ١٨٣٢م. ومنح الاستقلال الذاتي سنة ١٨٦٠م، ثم ألحق في سنة ١٩١٩م بجمهورية روسية الاتحادية، وأعيد النظر في حدوده سنة ١٩٤٣م بعد فصل إقليم القلموق عنه.

الاضطرابات في أرض اليمن[١]

أدّى **سوء الإدارة في اليمن إلى انتشار التذمُّر ففي أوساط السكان وبين صفوف الجند**، وعملت القوى المعارضة للنظام على تأجيج الموقف بكل الوسائل، فارتأى الولاة العثمانيون أن السوء الإداري نتج عن اتساع رقعة الولاية، فقسموا اليمن إلى قسمين:

اليمن العليا، وعاصمتها صنعاء، واليمن السفلى، وعاصمتها الرسمية زبيد والفعلية تعز.

أثار هذا التقسيم خلافات حادة بشأن تقسيم الجيش والخزينة وأملاك الدولة والتبعية الإدارية لبعض القرى، وتحولت هذه الخلافات إلى صراع طويل أدّى إلى شلِّ كل تحرُّك للسلطة وأفقدها أهليتها لمواجهة المعارضة.

استغل الزيديون هذا التشتت في الأوساط الحاكمة، واستأنفوا القتال، بقيادة الإمام المطهر بن يحيى شرف الدين، وسيطروا على صنعاء، وأعلن الإمام إسقاط السلطنة العثمانية، في ٩ صفر ٩٧٥ هـ/ ١٥ آب ١٥٦٧م، كما استولى أحد قادته على **تعز** واحتل **عدن ومُخا**، وبدأ هجومًا على **زبيد**، غير أن **الوالي العثماني حسن باشا** تمكّن من المحافظة على **زبيد** والمنطقة الساحلية بعد أن وحَّد الولايتين، وقوي موقفه بما انضم إليه من أهالي البلاد الذين ساهموا في المعركة ضد المطهر.

وأخذ العثمانيون يُعززون مواقعهم في اليمن تدريجيًا، وفي شوال ٩٧٥هـ/نيسان ١٥٦٨م، عيَّن السلطان **سليم الثاني** عثمان باشا بكلر بك على اليمن الموحدة، وتمكّن هذا الوالي من استعادة **مُخا وتعز**، وثبَّت سلطة الباب العالي، **إلاّ أن مقاومة الزيديين الشديدة له تطلبت إرسال مدد من القاهرة بقيادة سنان باشا، الذي تمكّن من استعادة صنعاء واسترجع عدن.**

بيد أن الحرب لم تتوقف، وأُرغم العثمانيون على خوض حرب طويلة الأمد استهدفت استنزاف قوتهم، ثم ظهر الإعياء على الطرفين **فمالا إلى الصلح**، فعُقدت، في نهاية سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م، **معاهدة بين الطرفين العثماني والزيدي**، دخلت فيها أطراف أخرى متصارعة، **اعترف الزعيم الزيدي بموجبها بسيادة الباب العالي، وبالمقابل اعترف العثمانيون بالإمام زعيمًا دينيًا للزيديين.**

١- د. محمد بن سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٢٣٥.

اليمن في عهد السلطان سليم الثاني

١ تحركت **الحملة العثمانية** ووصـلـت إلى **ينبع** واستقبله هنـاك قاضـي القضـاة في مكـة، وعند وصـوله إلى **مكـة المكرمة** اسـتقبله أهلها ودخلـت الجيوش العثمانية معه، وكأن جنود **مصـر** انتقلت إلى مكة بالإضـافة إلى جنود **الشام** و**حلب** و**قرمان** و**مرعش**، وضبط **سنان باشا** الجنود، وأجرى الصدقات وأحسن على العلماء والفقهـاء، ومكث أيامًا عدة في مكة وغادرهـا إلى **جازان**، وعندما اقترب منها، هـرب حاكمها من قبل الإمام الزيـدي المطهر، وأقام سنان باشـا في **جازان**، فأقبلت عليه العربان يطلبون الطاعة وكان منهم أهل **صـبيا** فأكرمهم سـنان باشـا وخلع عليهم وكسـاهم كما أقبلت عليه وفود **عربان اليمن** وبذلوا الطاعة طالبين الأمان.

٢ أسـرع **سنان باشـا** إلى **تعز**، بعد أن ضبط جازان إذ بلغه أن الوالي العثماني في تعـز ومن معه مـن الجنود في ضـيق من أمرهم بسـبب قطع عرب الجبال عليهم الميرة، وحصـل عليهم المجاعة، فقطع الوزير سـنان باشا المسافة في غاية السرعة، ونزل خارج تعز، وانتشر جنوده فـي جبالها ولما شـاهد **الزيديـون** كثافة ذلك الجيش، اعتصموا بأحد الجبال المسمى الأغبر. قام سـنان باشا وجزء من جيشه بمتابعة الزيود فـي جبـل الأغبر، وتمكنـوا منه عنـد ذلك خرج الزيود من مخابئهـم لمواجهة العثمانيين، فانهزم الزيـود وولـوا هاربين فأنعم سـنان باشـا على جميع الجنود العثمانيين.

٣ جهز سـنان باشـا **حملتين** وذلك للاستيلاء على **عدن**، الأولى: عن طريق البحر بقيـادة خـير الديـن القبطـان المعـروف بقورت أوغلي، وأخو سنان باشا، والثانية: عن طريق البر بقيادة الأمير حامي وبرفقته عدد من الفرسان. وكان **حاكـم عـدن** قاسـم بـن شـويع من قبل الإمـام الزيدي المطهر، قد أظهر شـعار الزيدية، فكرهه أهالي عدن لأنهم **شـافعيون**، ثابتون على الكتاب والسُّنَّة، وبنى مدرسة باسم مطهر يدرس فيها بعضًـا من **مذهب الزيدية**، كما استدعى البرتغاليين الذين لبوا نداءه.





مدينة صنعاء القديمة بمبانيها الحجرية، الصورة من مجموعة أ. نبيل سامي

بعد أن فرغ القائد العثماني **سنان باشا** من جنوبي اليمن، اتجه نحو ذمار، وأمر بسحب المدافع لحصار **صنعاء**، فجهز المطهر نفسه للانسحاب منها، ونقل ما فيها من الخزائن وتقدم سنان باشا نحو صنعاء بعد أن وعد أهلها بالأمان فاطمأنت قلوبهم واختاروا عددًا منهم لمقابلته، فأكرمهم سنان ودخل صنعاء بعد ذلك إلا أنه لم يستقر فيها بل نهض بجيوشه الجرارة لحرب كوكبان وثلا؛ لأن سنان باشا رأى أنه لن يتمكن من السيطرة على اليمن بأكمله إلا بالقضاء على مقاومة المطهر الزيدي وأتباعه، فأخذ يوالي حشد قواته، وتبعه في ذلك الوالي العثماني، ودامت الحرب سجالًا مايقرب من عامين، انتهت بموت الإمام الزيدي المطهر في مدينة **ثلا** سنة ٩٨٠هـ/١٥٧٣م، وقد أتاح موت المطهر للعثمانيين مزيدًا من السيطرة وبسط النفوذ حتى تمكن الوالي العثماني حسن باشا من الاستيلاء على ثلا ومدع وعفار وذي مرمر والشرفين الأعلى والأسفل وصعدة مركز الإمامة الزيدية، فقضى بذلك على حركة المقاومة اليمنية مدة من الوقت، واستطاع حسن باشا أن يأسر الإمام الحسن بن داود الذي استحوذ على الإمامة بعد وفاة المطهر .د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ٣١١.



قلعة صيرة من أبرز القلاع في مدينة عدن القديمة حيث لعبت دورًا دفاعيًا في حياة المدينة

استدعى **الزيديون البرتغاليين** الذين أرسلوا سفينة وعليها عشرين جنديًا، فأطلعهم **حاكم عدن قاسم بن شويع** إلى القلعة وأراهم ما فيها من العدد والآلات، وأعطاهم المدافع ليدافعوا عن عدن **من جهة البحر، ويكون البر للزيدية** وأشياعهم إلا أن خير الدين القبطان سبق إلى عدن ورأى من وسط البحر عشرين شراعًا **للبرتغاليين النصارى قاصدة عدن**، ولما تحقق خير الدين من ذلك توجه بسفنه إليهم فولوا هاربين، وتتبعهم خير الدين حتى اطمأن على ذلك.

لما عاد **خير الدين** إلى الساحل وأنزل مدافعه فوجهها نحو **قلعة عدن** منتظرًا القوة البرية لتتم محاصرة عدن ففاجأهم الزيود، وإذا بالأمير **ماحي** قد وصل وأحاطوا بعدن من كل جانب، فهجموا عليها هجمة واحدة ودخلوا عليها من كل جانب، وأعطى خير الدين الأمان للأهالي الذين جاءوا بقاسم بن شويع وولده وذويه، وإذا بشخص منهم تقدم ليقبل يد خير الدين، فضربه بخنجر في بطنه وجرح خير الدين على إثرها، **وتقدم الأمير ماحي، وقطع رأس ابن شويع** لاتهامه بهذه الخيانة وأراد قتل ولده وجميع أتباعه فمنعه الأمير خير الدين، عند ذلك فرح لذلك الفتح الوزير سنان باشا وشاركه في ذلك الجنود، **وزينوا زبيد وتعز وسائر الممالك السلطانية في اليمن**، ثم عين الوزير سنان باشا ابن اخته الأمير حسين، وأرسل معه مئتين من الجنود، ورقى جميع الجنود الذين فتحوا عدن (البرق اليماني في الفتح العثماني، ص٢٤٩-٢٥٥).

فتح جزيرة قبرص[١]

كانت **ممتلكات البندقية** لا تزال متناثرة في بحر إيجة، **تعوق أساطيل الدولة العثمانية** وتتعرض للسفن التجارية وتقطع طريق الأنضول - مصر، فأرادت الدولة العثمانية أن تضع حدًّا لهذه التعديات المنطلقة من **جزيرة قبرص** بشكل خاص، وهي تابعة للبندقية، يضاف إلى ذلك، فإن السيطرة على قبرص تتسم بأهمية بالغة بالنسبة للملاحة في شرقي البحر الأبيض المتوسط، وهي ضرورية للعثمانيين لمواجهة التفوق البرتغالي في شرقي آسيا والهند، كما كان لليهود دور في تنفيذ الحملة، فقد كانوا يأملون في جعل الجزيرة وطنًا قوميًا لليهود الفارين من الاضطهاد الأوروبي، لذلك أعانوا الصدر الأعظم، محمد صوقللي، بأموالهم لتمويل الحملة، كما استهوى زعيمهم، الدون جوزيف، السلطان **سليم الثاني** بأهمية الجزيرة كمزرعة للفواكه.

أرسلت الدولة العثمانية أسطولاً بحريًا، في سنة ٩٧٨ هـ/ ١٥٧٠م، تحت إمرة بيالي باشا، يحمل مئة ألف جندي بقيادة لالا مصطفى باشا لفتح الجزيرة، واشترك في الحملة علي باشا ناظر البحرية. أهابت البندقية بالدول النصرانية لمساعدتها، فلم يستجب لندائها إلا البابا وملك إسبانيا. فالبابا بيوس الخامس، (٩٧٣ – ٩٨٠ هـ / ١٥٦٦ – ١٥٧٢م)، لم يكن قد نسي الأعمال الحربية التي نفَّذها الأسطول العثماني عندما هدَّد أنكونا في سنة ٩٧٣هـ/١٥٦٦م، وهو ثغر البابا على بحر الأدرياتيكي، أما فيليب الثاني، ملك إسبانيا، فإنه علم أن **مسلمي الأندلس** استصرخوا السلطان العثماني في سنة ٩٦٨ هـ/ ١٥٦١م لإنقاذهم من الحكم الإسباني، وأنه رحب بمبعوثهم إليه.

كان الموقف الدبلوماسي مؤاتيًا للقيام بهذه الحملة، ذلك أن الإمبراطور مكسيميليان الثاني لم يكن ليشترك في الحرب ضد العثمانيين، لأنه كان قد وقَّع من فوره معاهدة سلام معهم، ولم يكن من مصلحة أمنه أن ينقضها.

وعارضت فرنسا أي خطة تزيد من قوة إسبانيا وترفع من شأنها، فوثَّقت عرى الصداقة مع الدولة العثمانية عونًا لها على مواجهة إسبانيا. وخشيت إنكلترا مغبة الدخول في مغامرة مشتركة مع فيليب الثاني، يجعلها تحت رحمة إسبانيا الكاثوليكية في حال انتصارها. وساور البندقية القلق من أن الانتصار قد يأتي بالقوات الأسبانية إلى الأدرياتيكي، فتقضي على احتكار البندقية لهذا البحر وسيطرتها عليه، على الرغم من أنها كانت بحاجة ماسَّة إلى مدد خارجي.

في غمرة هذه الظروف، تقدَّم الأسطول العثماني نحو قبرص وأنزل الجنود في ميناء لارنكا، ثم تقدَّم نحو العاصمة **نيقوسيا** فدخلها في ١٨ ربيع الآخر ٩٧٨ هـ/ ١٩ أيلول ١٥٧٠م، وبعد سقوط العاصمة، تداعت المدن المهمة في الجزيرة وسقطت في العام اللاحق بأيدي العثمانيين.

١- د. محمد بن سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٢٣٦ – ٢٣٧.



رسى **الأسطول البحري العثماني** بعد انتهاء مهمته في أبنانجني وانصرف معظم جنوده بمناسبة حلول موسم الشتاء، حيث تتوقف ساحة المعارك في مثل هذا الوقت من السنة، والاستعداد للسنة المقبلة.

البحر العثماني (البحر الأبيض المتوسط)

نيقوسيا

قبرص

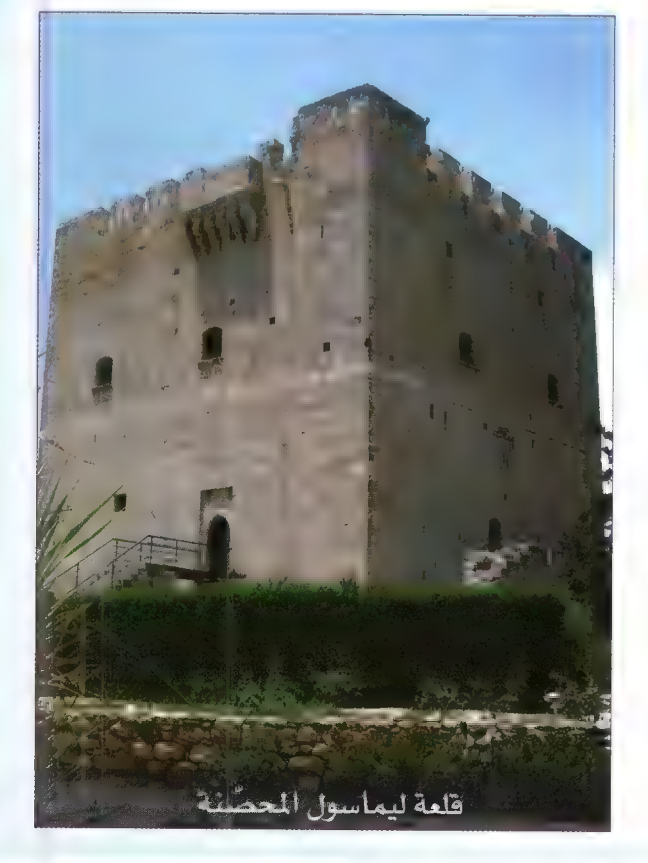
فاماغوستا

خيروكيتيا

ليماسول

استسلام جزيرة قبرص بعد حصار العثمانيين لها

كانت **إيطاليا وإسبانيا** تقدر أهمية **جزيرة قبرص**، وشاع في أوروبا عن تكون حلف ضد السلطان **سليم الثاني**، ولكن لم يعمل شيء في حينه لإنقاذ قبرص من العثمانيين، الذين نزلوها بقوة كاسحة، نفذت إلى الجزيرة دون صعوبة، ووقفت مدينة (فاماغوستا) الحصينة أمام العثمانيين بقيادة باحليون وبراجادنيو الذين واجهوا القوة العثمانية التي وصلت بمئة ألف مقاتل استعمل خلالها العثمانيون جميع وسائل الحصار المعروفة، من فر وكر، وزرع للألغام ولم ينتج أي تأثير على الحامية، حتى وقعت الجزيرة تحت السيطرة العثمانية، **واستسلمت المدينة في ربيع الثاني ٩٧٩هـ/ أغسطس ١٥٧١م.**



قلعة ليماسول المحصّنة

«بويوك خان» بناء يعود إلى العهد العثماني بمدينة نيقوسيا عاصمة جزيرة قبرص

كنيسة باناجيا كاناكاريا البيزنطية في قبرص

معركة ليبانت ونتائجها[1]

في الوقت الذي كان فيه الجيش العثماني يهاجم جزيرة قبرص، كانت تدور مفاوضات في الدوائر الحكومية الأوروبية بين البابا بيوس الخامس، وملك إسبانيا فيليب الثاني، وجمهورية البندقية، هدفها تأليف عصبة مقدسة تتصدى لتقدم العثمانيين في أوروبا، وبقيت فرنسا خارج إطار هذه العصبة بفعل رفض ملكها شارل التاسع عرض البابا للدخول في هذا الحلف، بحجة وجود معاهدات بينه وبين الباب العالي، وامتنع الإمبراطور مكسيميليان أيضًا عن الدخول في الحلف حتى لا يثير عليه السلطان العثماني.

ويبدو أن الظروف السياسية كانت تحثُّ العصبة على العمل السريع، فالعثمانيون فتحوا جزيرة قبرص، وغزت مراكبهم جزيرتي كريت وزانطة، وفتحت جيوشهم مدينتي دلسينو وأنتيباري الواقعتين على البحر الأدرياتيكي.

وجمعت العصبة قواتها لتوقف تقدُّم العثمانيين باتجاه إيطاليا من جهة، واسترداد جميع المواقع التي فتحوها على حساب النصارى وبخاصة في شمالي إفريقيا، من جهة أخرى، وساهمت كل من فلورنسا وبارما ولوكا وفرانا وأوربينو وجنوة بالسفن والرجال.

تسلَّم دون جوان النمساوي لواء القيادة، فأبحر من نابولي على رأس أسطول ضخم مؤلف من مائتين وثلاثين سفينة ويحمل ثلاثين ألف جندي، من ميناء مسِّينا إلى جزيرة كورفو في محاذاة جنوبي إيطاليا وعَبَر مضيق أوترنتو.

وهناك ترامت أنباء الخسائر التي تكبَّدها النصارى في أثناء فتح قبرص، فتعالت صيحات النصر عندما أصدر دون جوان أوامره بالانطلاق إلى القتال، وراحت السفن المتحالفة تبحث عن الأسطول العثماني للاصطدام به، فعبرت خليج بتراس إلى خليج كورنثو، في ١٧ جمادى الأولى ٩٧٩هـ/٧ تشرين الأول ١٥٧١م، **وظهرت أمام ميناء ليبانت، وهو ميناء عثماني في اليونان على خليج بتراس – كورنثو**، في حين كان الأسطول العثماني، المؤلف من مائتين وخمس وأربعين سفينة حربية، وسبع وثمانين سفينة نقل، ينتظر بعيدًا عن ثغر ليبانت، بقيادة **علي باشا** يساعده برتو باشا، إلاّ أن هذا الأسطول كان يعاني من نقص في عدده بفعل تفرُّق بعض ملاحيه وكثير من الإنكشارية بسبب حلول فصل الشتاء، وتوقعهم بأن العدو لن يشن هجومًا في هذا الوقت من السنة.

١– د. محمد بن سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٢٣٧ – ٢٣٩.

وعقد **العثمانيون مجلسًا حربيًا لاختيار تكتيك المعركة** بحيث يضمنون الفوز، وبعد التداول كان رأي الغالبية وجوب الدخول في معركة بحرية داخل الخليج، لتساعدهم القلاع بنيرانها نظرًا للنقص الموجود بين عساكر السفن، إلاّ أن **علي باشا** عارض هذا الرأي **وأصر على التصدي للأسطول الصليبي خارج الخليج، وكان هذا خطأً تكتيكيًا كلف العثمانيين غاليًا.**

واشتبك الأسطولان في معركة بحرية طاحنة هي إحدى أكبر المعارك في التاريخ الحديث، استمرت ثلاث ساعات متواصلة، **وأسفرت عن انتصار البحرية الصليبية**. كانت النتائج فادحة، فقد أسرت البحرية النصرانية مئة وثلاثين سفينة عثمانية، وأحرقت وأغرقت ثلاثًا وتسعين سفينة أخرى، وغنمت ثلاثمئة مدفع، وتكبَّد العثمانيون عشرين ألفًا بين قتيل وأسير، وكان علي باشا وابنه من بين القتلى، وحرَّر النصارى اثنين وثلاثين ألف أسير نصراني ممن كانوا يقومون بعملية التجديف على المراكب العثمانية، في حين تكبَّدوا ثمانية آلاف قتيل وجُرح منهم عشرون ألفًا.

مما لا شك فيه أن معركة ليبانت البحرية، التي كان لها صدىً كبير في قلوب النصارى، كان **يمكن أن تكون أكبر معركة فاصلة في التاريخ الحديث** لولا الأضرار التي لحقت بالأسطول النصراني المنتصر، وهبوب عاصفة عنيفة حالت دون تعقُّب العثمانيين، بالإضافة إلى النزاع الذي حصل بين المنتصرين حول اقتسام الغنائم.

والحقيقة أن خسارة العثمانيين لم تكن خسارة مادية، على الرغم من عدد القتلى المرتفع، وإنما كانت خسارة معنوية، ويمكن عدُها بداية التقهقر الذي حلَّ بالدولة العثمانية، وزالت شهرتها بأنها دولة لا تُقهر، وثبت فعليًا إمكان قهرها.

لم يؤدِ النصر الذي أحرزته العصبة إلى النيل من السيطرة العثمانية، كما لم ينتج عنه اكتساب آخر بري أو بحري، إذ على الرغم من الحد من انتشار العثمانيين في البحر، فإنهم لم يفقدوا العزم على مواصلة جهودهم لتقوية وتعزيز أسطولهم البحري، فكانت معركة ليبانت، وأرسلوه إلى البحر بحثًا عن الأسطول النصراني الذي بلغ من سوء النظام حدًّا لم يجرؤ معه على الخروج من مكمنه.

وشجعت الدول المتحالفة البندقية على استئناف الحرب، لكن أحدًا منها لم يمد لها يد المساعدة، وفي الوقت نفسه هاجم الأسطول العثماني، في أواخر ٩٨٠هـ/ شتاء ١٥٧٣م، سواحل إيطاليا فدمَّر كثيرًا من القلاع التي تسيطر عليها البندقية، ونتيجة لهذا الضغط العسكري، وموت العصبة بفعل تنازع المصالح، ووفاة البابا بيوس الخامس، مالت البندقية على الصلح.

وفعلاً، عُقد الصلح بين الطرفين، العثماني والبندقي، في ٣ ذي القعدة ٩٨٠ هـ/ ٧ آذار ١٥٧٣م، في أستنبول، تنازلت البندقية بمقتضاه للسلطان العثماني عن جزيرة قبرص، ودفعت للعثمانيين تعويضًا يغطي ما تكبَّدوه من خسائر في فتح الجزيرة، ويُقدَّر هذا المبلغ بثلاثمئة ألف دوكا، وأضحى العثمانيون بذلك أسياد البحر من جديد. لقد خسر العثمانيون المعركة لكنهم كسبوا الحرب.

وحاول دون جوان، في العام اللاحق، إحياء مجده **بالاستيلاء على تونس** لحساب إسبانيا التي رأت أن تعمل بمفردها بمعزل عن **العصبة المقدسة**، ونجحت في إعادة الحسن الحفصي، الذي كان قد التجأ إليها عند فتح العثمانيين لبلاده. **لكن العثمانيين تمكَّنوا خلال ثمانية أشهر من استعادة تونس وطردوا الإسبان منها، وسيطروا على حلق الوادي.**

وفي صفر ٩٨٢ هـ/حزيران ١٥٧٤م، تمكَّنت الدولة العثمانية من إخماد الحركة الانفصالية التي قامت في البغدان، وفي٢٧ شعبان/١٢ كانون الأول، من العام المذكور توفي السلطان سليم الثاني عن عمر يناهز الثانية والخمسين عامًا.



موقع معركة ليبانتو(ليبانت)

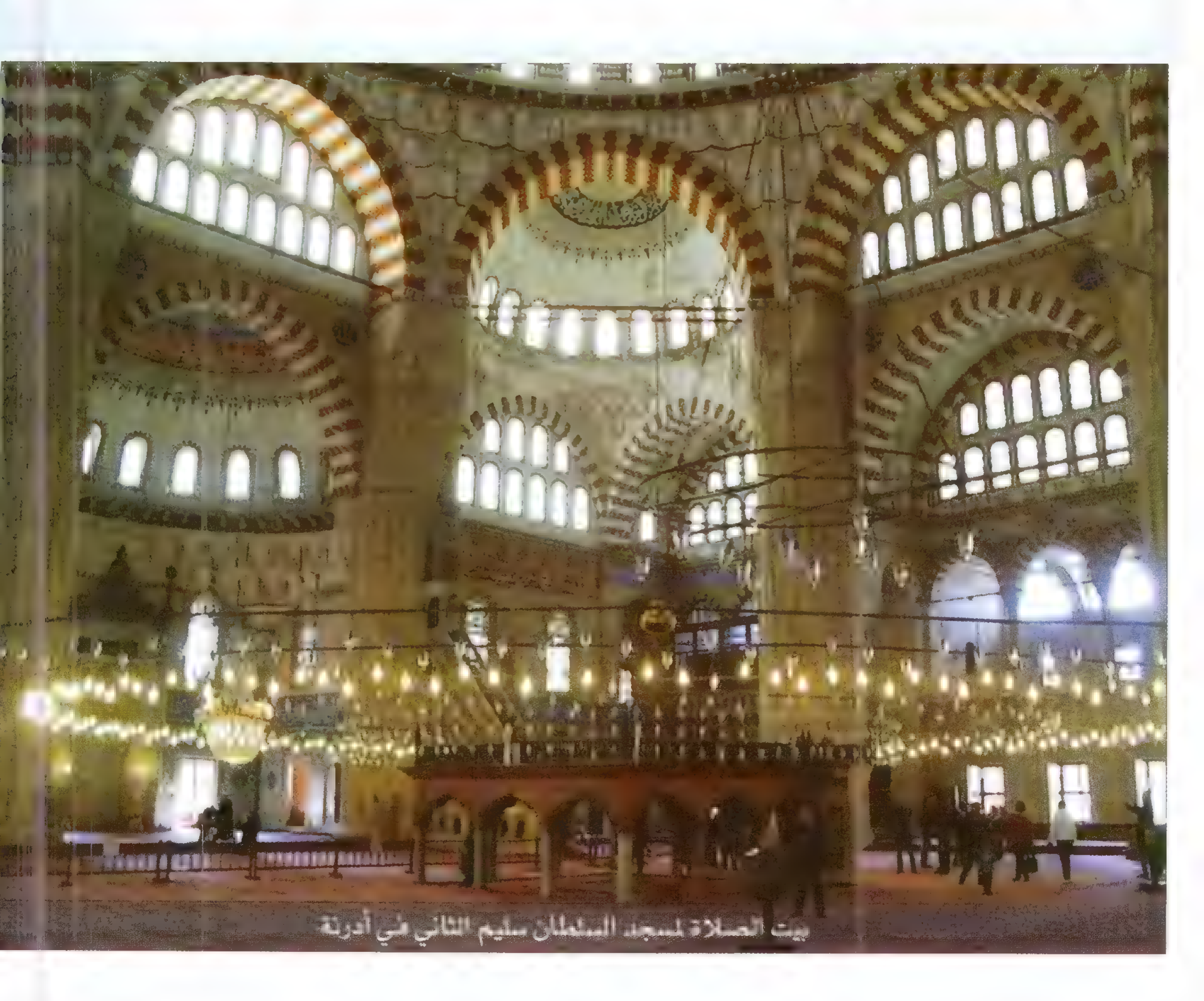


لقد تحولت سياسة الدولة العثمانية بعد معركة ليبانتو ٩٧٩هـ/١٥٧١م، إلى أن تكون الأولوية للمحافظة على الأماكن المقدسة الإسلامية أولاً، ثم البحر الأحمر والخليج العربي كحزام أمني حول هذه الأماكن وتطلب ذلك منها أسطولاً قادرًا على أن يقاوم البرتغاليين (جهود العثمانيين، ص٤٨٤).

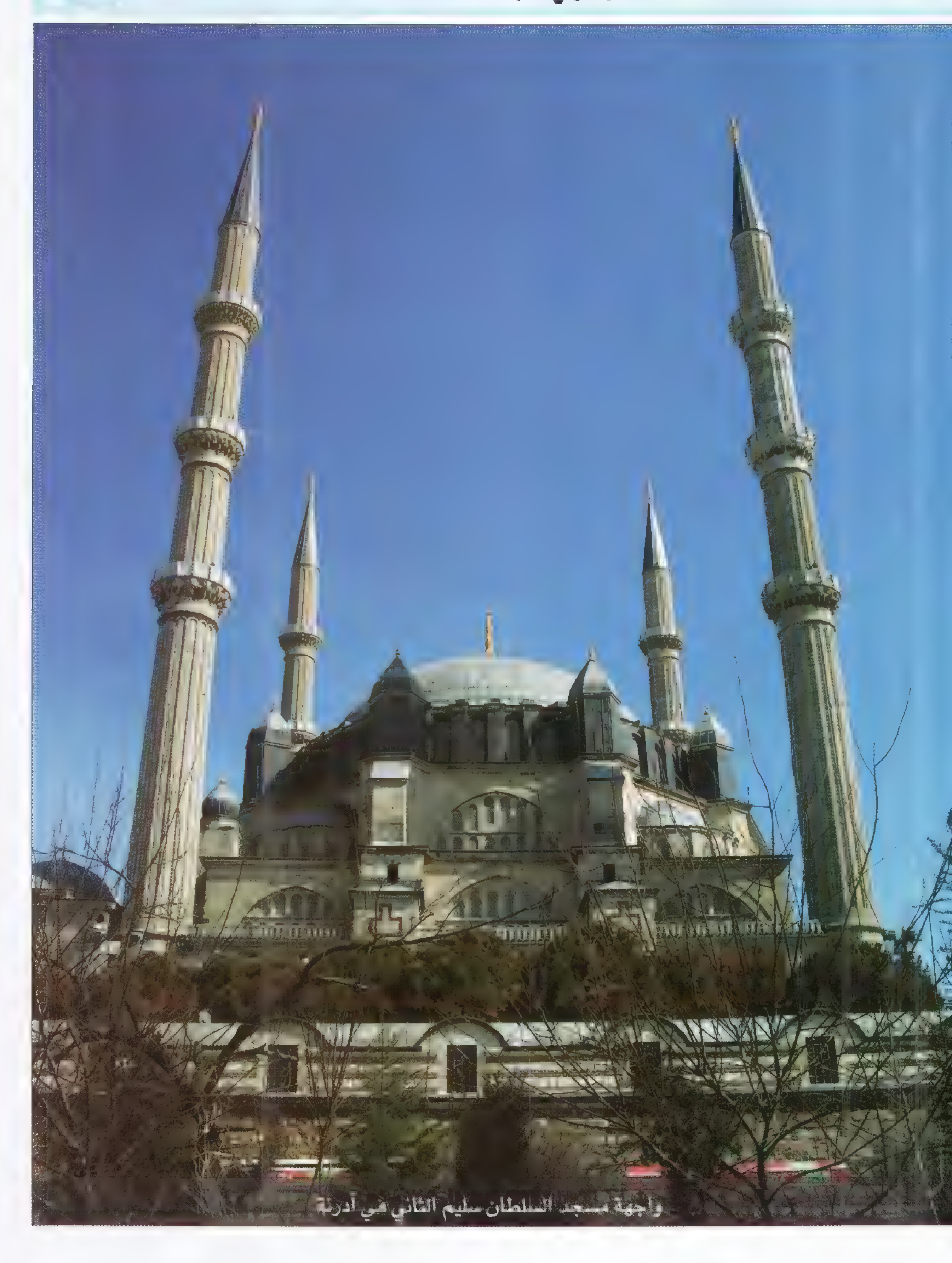
لوحة زيتية لمعركة ليبانتو (ليبانت) في أحد المتاحف الأوروبية.

جامع السليمية ومجمعه الاجتماعي - تركيا

بُني هذا الجامع في مدينة **أدرنة العثمانية** على شكل مربع تعلوه قبة كبيرة وتحيط به أربع مآذن رفيعة. واعتبر المعمار سِنان آغا الذي كان أشهر المعماريين العثمانيين في القرن السادس عشر الميلادي، أن هذا المجمع الذي يتألف من مدارس إسلامية وسوق مغطى وساعة كبيرة وساحة خارجية ومكتبة هو أهم أعماله على الاطلاق. ويشهد داخل الجامع المزين بقطع من فخار إزنيق تعود إلى فترة ازدهار هذه الصناعة الفخارية على فن لا نظير له حتى اليوم في استخدام هذه المادة. ويجسد المجمع التعبير الأكثر تناسقًا لمفهوم "الكلية"، وهو مصطلح في فن العمارة العثمانية يدل على مجموعة مباني تحيط بالجامع وتتم إدارتها كمنشأة واحدة.



بيت الصلاة لمسجد السلطان سليم الثاني في أدرنة



واجهة مسجد السلطان سليم الثاني في أدرنة

دفاع عن السلطان سليم الثاني ووفاته رحمه الله[١]:

وصف المستشرق " كارل بروكلمان "السلطان سليم الثاني بأنه اشتهر ب**اسم السكّير**، وبارتكابه المعاصي والذنوب والكبائر وبمصاحبته صحبة السوء والفسق والعصيان، وتأثر بهذه التهم الدكتور عبدالعزيز الشناوي- رحمه الله- **وردَّ الدكتور جمال عبدالهادي على هذه الإتهامات فقال:**

١- شهادة الكافر على المسلم مردودة، فكيف يسمح الكتاب من أبناء المسلمين لأنفسهم بترديد مثل هذه الشهادات والافتراءات على الحكام المسلمين بدون دليل، ألم يتعلموا في مدرسة الإسلام قوله تعالى: ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا ﴾ (سورة النور، آية:١٢) وقوله سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ... ﴾ (سورة الحجر، آية: ٦).

٢- إن المستشرقين ومن سار على نهجهم، دأبوا على تصوير الحكام المسلمين المجاهدين بصورة السكارى الذين لايتورعون عن ارتكاب المحرمات، بل دأبوا على النيل من دين الله، والأنبياء والرسل - عليهم السلام -، فكيف نأخذ عنهم مع علمنا بأنهم غير أمناء.

ثم ذكر أهم **أعمال السلطان سليم الثاني** التي تدل على نفي التهم التي ألصقت به، وتقدم بنصيحة إلى أساتذة التاريخ الذين لايتحرون الصدق والأمانة العلمية، فقال:

" نصيحة إلى أولئك الذين لايتحرون الحقيقة، ويرمون الناس في دينهم وخلقهم دون بينة أو دليل، أن يتبينوا وليضعوا في الاعتبار أن القذف جريمة، وعليه تقام الحدود، آمل أن ينتبه أساتذة التاريخ ويتورعوا على إيراد أي شبهة أو تهمة تتصل بأي شخص دون دليل أو بينة.

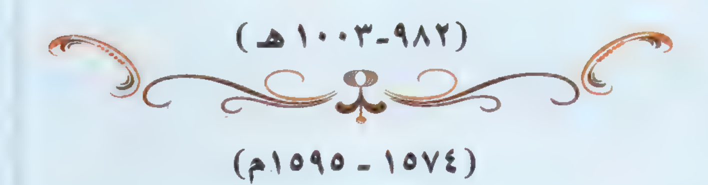
وليضعوا في الاعتبار أن الله يزن الحسنات، ويزن السيئات، ولايزن السيئات فقط دون الحسنات، والمؤرخ يجب أن يستشعر هذا، ويدرك أن الكلمة أمانة وهي شهادة أمام الله عزوجل - ومن هنا يلزمه التأكد من الخبر قبل أن يورده في كتابه ".

وفاته:

إن مؤرخي الغرب ذكروا أن سبب وفاة السلطان سليم الثاني الإفراط الشديد في تناول الخمر، إلا أنّ المؤرخين المسلمين يذكرون أن سبب وفاته انزلاق قدمه في الحمام، فسقط سقطة عظيمة مرض منها أيام ثم توفي سنة ٩٨٢هـ.

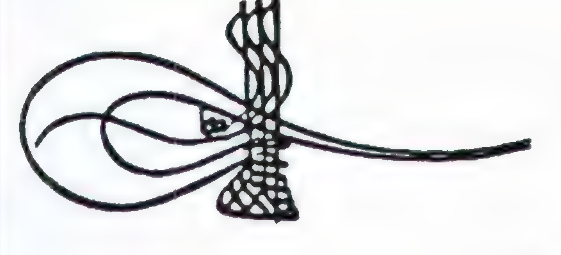
١- د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ٣١٢ - ٣١٤.





(٩٨٢-١٠٠٣هـ)

(١٥٧٤ - ١٥٩٥م)





والده: السلطان سليم الثاني

والدته: نور بانو سلطان

ولادته: سنة ٩٥٢ هـ / ١٥٤٦م

وفاته: سنة ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٥م

مدة حكمه: من ٩٨٢ - ١٠٠٣هـ/ ١٥٧٤ - ١٥٩٥م

كان السلطان **مراد الثالث** متوسط القامة، مستدير الوجه. بُنّي اللحية، كستنائي العينين، أبيض البشرة، كما كان فطنًا لبيبًا سخيًا، وقد اهتم خاصة بفقراء الحرمين الشريفين وأوقف عليهم أوقافًا كثيرة، وكان محبًا لجمع الكتب، واقتناء الجواري ومنهن بافو ذات الأصل البندقي التي تدخلت كثيرًا في شؤون الدولة وقراراتها، وساعدت بني وطنها في الحصول على العديد من الامتيازات. كما كان مراد الثالث شاعرًا مجيدًا يكتب بالعربية والتركية والفارسية. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون،تعريب محمد جان، ص ٥٦.

الأعلام الذين عاصروه:

سنان أفندي محشي تفسير البيضاوي، عريان محمد ده ده، لطفي مصطفى أفندي الذي كتب ذيلًا على كتاب (الشقائق النعمانية). محرم أفندي، شارح كتاب (الفوائد الضيائية) والمشهور بـ(ملا جامي). شمعي أفندي، شارح كتاب (كلستان). محمد وأني أفندي، مؤلف قاموس (وان قولو) أي (الأزهار البيضاء).

أبناؤه:

محمد الثالث، سليم، بايزيد، مصطفى، عثمان، جهانكير، عبدالله، عبدالرحمن، حسن، أحمد، يعقوب، عالم شاه، يوسف، حسين، قورقود، علي، إسحاق، عمر، علاء الدين، داود.

بناته:

عائشة سلطان، فاطمة سلطان، مهرماه سلطان، فخرية سلطان.

السلطان مراد الثالث: كان من أول أعماله- رحمه الله - أن أصدر أمرًا بمنع **شرب الخمور** بعد ما شاعت بين الناس، وأفرط فيها الجنود وخصوصًا الإنكشارية، فثار الإنكشاريون واضطروه لرفع أمره بالمنع، وهذا يدل على ظهور **علامات ضعف الدولة** بحيث السلطان لايستطيع منع الخمور وإقامة أحكام الشرع عليهم، وكذلك يدل على انحراف الإنكشارية عن خطها الإسلامي الأصيل من التربية الرفيعة، وحبها للجهاد وشوقها للشهادة. أ. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية العثمانية، ص٢٥٩.


خلف السلطان مراد الثالث أباه السلطان سليم الثاني، وتجلت في أوائل عهده، أبرز الأعمال الرئيسة التي قام بها، مثل:
١
العلاقة مع فرنسا
حدد للدول الأوروبية (فرنسا والبندقية) امتيازاتها، وجعل سفير فرنسا مقدمًا على سائر السفراء.
٢
ضم بولونيا
أدخل بولونيا (بولندا حاليًا) تحت حماية الدولة العثمانية عام ٩٨٣ هـ.
٣
العلاقة مع الصفويين
بعد الاضطرابات في إيران رأى العثمانيون استغلال هذه الفرصة السانحة لفتح بلاد الكرج والأذربيجان
٤
ثورة الإنكشارية
ثار الإنكشارية في أستنبول وفي الولايات الأخرى؛ نظرًا لهبوط قيمة اجورهم.
٥
العلاقة مع اليهود
نزوح اليهود في هجرات متقطعة ومتقاربة إلى "سيناء" لاستيطانها مما أثار حفيظة العثمانيين.
٦
الحركات الانفصالية
بروز الحركات الانفصالية في الأفلاق والبغدان وترانسلفانيا، بمساعدة وتشجيع رودلف الثاني ملك النمسا وإمبراطور ألمانيا

١ - العلاقة مع فرنسا[١]

خلف السلطان **مراد الثالث** أباه السلطان سليم الثاني، وتجلّت، في أوائل عهده، سياسة الصدر الأعظم محمد باشا صوقللي السلمية، وتدخُّله في الشؤون الأوروبية عن طريق تجديد المعاهدات وإقامة التحالفات.

ففي سنة ٩٨٣هـ / ١٥٧٥م، ترك هنري دي فالوَا ملك بولندا البلاد، وعاد إلى فرنسا، حيث آل إليه الملك تحت اسم هنري الثالث، فأضحى عرش **بولندا** شاغرًا، فتدخلت الدولة العثمانية في انتخاب حليفها أتيين باتوري أمير ترانسلفانيا ملكًا على بولندا، ورفضت طلب الملك الفرنسي اعتراف السلطان به ملكًا على هذه البلاد، مما أدّى إلى فتور العلاقة بين الجانبين، وتراخت روابط التحالف بينهما.

اغتنمت إنكلترا هذا الفرصة، وعقدت اتفاقًا مع الدولة العثمانية، في سنة ٩٨٧ هـ/١٥٧٩م، حصلت بموجبه على امتياز رفع العلم البريطاني على سفنها الداخلة إلى الموانئ التابعة للدولة، وكانت قبل ذلك تدخل في ظل العلم الفرنسي، كما حظيت بامتيازات تجارية في الشرق توازي بسعتها الامتيازات المعطاة سابقًا للتجارة الفرنسية.

أثار هذه الأمر حفيظة الملك الفرنسي هنري الثالث، وتبين له وجه الخطأ في سياسته الشرقية وخشي مغبة النشاط الانكليزي، فأرسل أحد رجاله الموثوقين إلى أستنبول يطلب تجديد المعاهدة السابقة بين الدولتين، وفي ١٣ جمادى الآخرة ٩٨٩هـ/١٥٨١م، أرسل السلطان إلى الملك الفرنسي رسالة يؤكد له فيها الامتيازات السابقة الممنوحة للفرنسيين، ويضمِّنها ثلاثة أمور تُميز فرنسا عن غيرها من الدول الأوروبية، **وهذه الأمور هي:**

- **يخضع جميع الأجانب**، باستثناء البنادقة، لراية الفرنسيين بمن فيهم البريطانيين، وإذا ما أرادت إنجلترا كسب صداقة الدولة العثمانية فيجب أن يتم ذلك عن طريق فرنسا.
- **يكون لسفراء فرنسا حق التقدم** في السير والجلوس على جميع سفراء الملوك والأمراء النصارى.
- **يُعفى الفرنسيون من جميع** الضرائب الشخصية، حتى ولو كانوا متزوجين.

اما العلاقة العثمانية مع **البندقية** فقد كانت حسنة، حيث أسرعت هذه الجمهورية إلى تقديم التهنئة للسلطان مراد الثالث باعتلائه العرش، وحمل المبعوث العثماني إليها، الذي أعلمها بتسلُّم السلطان مقاليد الأمور، معاهدة هي تجديد للمعاهدات السابقة.

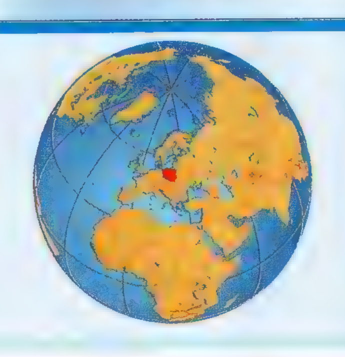
ووقَّعت الدولة مع **النمسا** هدنة لمدة ثماني سنوات، تبتدئ من شوال ٩٨٤هـ/كانون الثاني ١٥٧٧م، كما وقَّعت مع **أسبانيا** عقد صلح.

١- د. محمد بن سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٢٤٠ - ٢٤١.

بحر البلطيق
جون جدانسك
روسيا
ليتوانيا
روسيا البيضاء
ألمانيا
جمهورية التشيك
سلوفاكيا
أوكرانيا
الشمال
جدينيا
جدانسك
سلوبسك
كوشالين
شفينيويشي
إيلبلاغ
تشيف
أولشتين
سوفالكي
كوينيتسه
شتيستين
ستار غارد شتشيتسنيسكي
بيلا
بيدغوشتش
غرودزياز
تورنيه
لومجا
أوستروف
بياليستوك
ناريف
غور جوف فيلكوبولسكي
الفيستول
فلوتسلافيك
بلوتسك
بوزنان
كونين
وارسو
شيدلتسه
بوغ
بيالا بودلاسكا
فارتا
جيلونا غورا
لشنو
كاليش
لوج
سوكاشيف
ن. أودرا
ن. نيسه
لوبين
سيرادتش
بيوتركوف تريبونالسكي
توماجوف ماجوفيكي
رادوم
بولافي
لوبلين
كلم
ليغنيتسا
فروتسلاف
يلينيا غورا
فالبجيك
أوبولي
تشنستوكوفا
كيلك
أستروفش سفيتوكرجيكسي
زاموشتش
سالوفا فولا
تارنوج
بيتوم
كاتوفيتسه
أوشفيتز
كراكوف
تارنوف
رجيشوف
بجيميشل
بيلكسو - بيالا
نوفي سونتش
كرونسو

بولندا
العاصمة
عاصمة المحافظة
مدينة ثانوية
الطريق الرئيسي
سكة حديدية
الحدود الداخلية
الحدود الدولية
الخريطة
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ كم

٢ - ضم بولونيا (بولندا)[١]



عمل السلطان **مراد الثالث** على تنفيذ السياسة التي انتهجها والده من قبل، ففي عهده قام بعدة حروب في أماكن مختلفة. ففي سنة ٩٨٢هـ/١٥٧٤م، هرب ملك بولونيا هنري دي فالوا وذهب إلى فرنسا، فأوصى الخليفة العثماني أعيان بولونيا بانتخاب أمير ترانسلفانيا ملكًا عليهم، ففعلوا، **وصارت بولونيا (بولندا) فعلاً تحت حماية العثمانيين** سنة ٩٨٣هـ/١٥٧٥م، واعترفت النمسا بذلك في معاهدة الصلح التي أبرمتها مع الدولة العثمانية سنة ٩٨٤هـ/١٥٧٦م، ومدتها ثماني سنوات، وهاجم التتار على حدود بولونيا سنة ٩٨٤هـ/١٥٧٦م، فاستنجدت بالسلطان العثماني فأعلن حمايتها بمعاهدة رسمية. وجدد السلطان مراد الامتيازات مع فرنسا والبندقية وزاد بعض الامتيازات القنصلية والتجارية مع زيادة بعض البنود في صالحهما أهمها، أن يكون سفير فرنسا مقدماً على كافة سفراء الدول الأخرى في الاحتفالات الرسمية والمقابلات الحكومية، لقد كثر توارد السفراء على الباب العالي للسعي في إبرام معاهدات تجارية أصبحت ذريعة فيما بعد للتدخل الفعلي في شئون الدولة، وفي زمن السلطان مراد تحصلت إيزابلا ملكة إنجلترا على امتياز خصوصي لتجار بلادها وأصبحت السفن الإنجليزية تحمل العلم البريطاني وتدخل الشواطئ والموانئ العثمانية.

١- د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ٣١٢ - ٣١٤.

٣ - العلاقة مع الصفويين[1]

الواقع أن أهم حدث حصل في عهد السلطان **مراد الثالث هو التوسع العثماني في الشرق**، على **حساب الدولة الصفوية**، وقد حصل من الاضطرابات في إيران ما دفع الصدر الأعظم محمد باشا صوقللي، إلى استغلالها لصالح الدولة العثمانية.

ففي شهر ربيع الآخر ٩٨٤ هـ/ تموز ١٥٧٦م، توفي الشاه طهماسب من غير أن يُسمّي من يخلفه، فتنازع أبناؤه على السلطة، **ودخلت إيران في فوضى النزاعات الأسرية**، فأرسل الصدر الأعظم حملة عسكرية إلى إيران بقيادة لالا مصطفى باشا لفتح ما تيسَّر من مدنها.

تقدَّم الجيش العثماني حتى وصل إلى مناطق الحدود واصطدم بقوة صفوية بجوار قلعة جلدير وتغلَّب عليها، ثم واصل تقدُّمه حتى وصل إلى **بلاد الكرج**، وفتح هذا الإقليم ودخل عاصمته **تفليس** وذلك في سنة ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م.

وقسَّمت الدولة العثمانية **بلاد الكرج** إلى أربعة أقسام إدارية هي: شروان وتفليس، ويُشكِّل القسمان الثالث والرابع بلاد الكرج الأصلية، وعيّنت على كل قسم حاكمًا، كما حصَّنت مدينة **قارص** نظرًا لمكانتها الاستراتيجية.

وحاول الصفويون، في غمرة انقساماتهم، وقف التمدُّد العثماني، فأرسلوا أربع فرق عسكرية، بإمرة حمزة ميرزا، هاجمت شروان، فاضطر واليها عثمان باشا إلى إخلائها واحتمى بمدينة دربند، ثم حاولت القوات الصفوية دخول مدينة تفليس بعد أن حاصرتها، لكنها ارتدت عنها بفعل ثبات حاميتها.

وتعرضت الدولة، في غضون ذلك، لخضَّة سياسية عنيفة، عندما تقلَّص نفوذ الصدر الأعظم محمد باشا صوقللي، ومن ثم قُتل في سنة ٩٨٧ هـ/١٥٧٩م، وقد حافظ هذا الصدر الأعظم بقوة على نفوذ الدولة، وأدار سياسة بنجاح في وجه العواصف السياسية التي واجهتها.

وعمَّت الفوضى، بعد مقتل صوقللي، بفعل ضعف خلفائه وتمرُّد الإنكشارية، وراح الولاة يتنافسون فيما بينهم على منصب الصدارة العظمى، وحتى يُثبت جدارته أمام منافسيه، تابع عثمان باشا أعماله التوسعية، فسار على رأس جيش، مؤلف من مائتين وستين ألف جندي، **قاصدًا أذربيجان فاخترقتها**، ثم قصد مدينة **تبريز** فدخلها في ٢٩ رمضان ٩٩٣ هـ/٢٥ ايلول ١٥٨٥م، بعد أن انتصر على حمزة ميرزا، وترك فيها حامية عسكرية ثم عاد إلى بلاده.

١- د. محمد بن سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٢٤٠ - ٢٤١.



٣ تضمنت الاتفاقية بين العثمانيين والصفويين **بعدم قيام الصفويين الشيعة بسب الخلفاء الراشدين - أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم-** في ديارهم، وللتأكيد على ذلك بعث الشاه عباس الصفوي بابن عم له يدعى حيدر ميرزا رهينة إلى أستنبول لضمان تنفيذ ما اتفقا عليه. د. علي الصلابي، الدولة العثمانية، ص ٣١٦.

١ في سنة (٩٨٥هـ/١٥٧٧م) ونتيجة لحدوث اضطرابات في بلاد فارس بعد وفاة طهماسب، **أرسل العثمانيون حملة عسكرية**، تمكنت من قطع مفازات شاسعة في بلاد القوقاز وفتحت مدينة **تفليس** عاصمة أقليم كرجستان (الكرج). ودخل العثمانيون بعدها **تبريز** سنة (٩٩٣هـ/١٥٨٥م) وتمكنت فيها جيوش **مراد الثالث** من السيطرة على **أذربيجان والكرج (جورجيا) وشيروان ولوزستان.** فلما تولى الشاه عباس الكبير حكم فارس، **سعى إلى إقامة صلح مع العثمانيين**، تنازل بمقتضاه عن تلك الأماكن التي أصبحت بيد العثمانيين. د. علي الصلابي، الدولة العثمانية، ص ٣١٦.

استمرت الحرب بين الدولتين العثمانية والصفوية ست سنوات توفي خلالها عثمان باشا، وانتهت بصلح، سنة ٩٩٨ هـ/١٥٩٠م، تنازل الصفويون بمقتضاه للدولة العثمانية عن **إقليم الكرج وشروان ولورستان وجزء من أذربيجان ومدينة تبريز**، ونصت المعاهدة على عدم قيام الصفويين بالاستفزازات العقائدية وعلى أن **يبقى حيدر ميرزا**، شقيق الشاه، رهينة في أستنبول حتى لا ينكث الشاه بتعهداته. د. طقوش، المرجع السابق، ص ٢٤٢.

٤ - ثورة الإنكشـــارية[1]

اعتـاد **جنود الإنكشــارية** الاسـتمرار في الحــروب نظرًا لما تدرُّه عليهم مـن مغانم، وكانوا لا يتورعون عن الثورة فـي أوقات السلم بفعل ضعف مداخيلهم، فكان ديدنهم إما الحرب أوالثورة.

وحدث فـي عهد السـلطان **مراد الثالث** أن اسـتتب الأمن على حدود الدولة، إن فـي الشـرق أو في الغـرب، فثار الإنكشـارية فـي أسـتنبول وفـي الولايـات نظرًا لهبـوط قيمة أجورهم، وقتلـوا الدفتردار ومحمـد باشـا حاكم الروملّي، بعد أن اتهموها بتسـليمهم نقدًا رديئًا، أما فــي الولايات فقد قتلوا والي بودين، كما ثاروا فـي تبريز والقاهرة، فـي سـنة ١٠٠١ هـ/١٥٩٣م، ما دفع الصــدر الأعظم سنان باشا إلى شغلهم بالحرب مع المجر.

٥ - اليهود والسلطان مراد الثالث[2]

ظن اليهود أن الفرصــة سـانحة لهم لتحقيق حلم راودهم طويلًا، فنزحوا فـي **هجرات متقطعة** ومتقاربة إلى "**سـيناء**" لاسـتيطانها، وكانت خطتهم تقوم فـي المراحل الأولى على تركيز إقامتهم في **مدينـة الطـور**، وكان اختيارهــم لهذه المدينة اختيــارًا هادفًا، فهــذه المدينة وهي تقع على الشــاطئ الشــرقي لخليج السـويس لها ميناء يصلـح لرسو السـفن التجارية، وكانت تأتيه سفن من جدة، وينبع، وسواكن، والعقبة، والقلزم، كما كانت المدينة ترتبط برًا بخط قوافل مع "القاهرة" و" الفرما ".

وبذلك كان يسهل علـى اليهود إيجاد اتصالات خارجية فلا يصبحون في عزلة عن العالم بل تستطيع السفن أن ترسو فـي ميناء "الطور" تحمل أفواجًا من اليهود الجدد.

وقد تزعم حركة التهجير **رجل يهودي اسـمه (إبراهام)**، اسـتوطن "**الطور**" مع أولاده وســائر أفـراد أسـرته، **ولما أقام اليهود بالطور تعرضـوا بـالأذى لرهبان "ديرسـانت كاترين"** مما دفعهم إلى إرسـال شـكاوى مكتوبة إلى **سـلاطين الدولة العثمانية وولاتها يشـتكون من إيذاء اليهود** لهم مذكرين ب**عهد العثمانيين لحمايتهم**، ومنع اليهود اسـتيطان "سـيناء" ومحذرين من تروح اليهود إلـى "سيناء" - وخاصة مدينة " الطور " - فـي جماعات كثيرة بقصد إيقاع الفتن.

ولمـا كانـت الدولة الإسـلامية مسـؤولة بحكم الشـرع عن حماية أهـل الذمة، فقد سـارع على الفور المسـؤولون العثمانيون إلى إصـدار **ثلاثة فرمانات** ديوانية فـي عهد السلطان (مراد الثالث)، فأمروا بإخراج "إبراهام" اليهودي وزوجته وأولاده وسـائر اليهود من " سـيناء " ومنعهم فـي قابل الأيام منعًا باتًا من العودة إليها بما فيها مدينة " الطور " والإقامة بها أو السكنى.

١- د. محمد بن سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

٢- د. جمال عبدالهادي، الدولة العثمانية، ص٦٨.

أطماع اليهود في أراضي الطور في عهد السلطان مراد الثالث

ش
طرابلس
بيروت
صيدا
صور
عكا
حيفا
حطين
دمشق
بلاد الشام
البحر العثماني (البحر الأبيض المتوسط)
يافا
الأردن
القدس
عسقلان
فلسطين
الكرك
الإسكندرية
دمياط
المنصورة
العثمانية
مصر
القاهرة
السويس
العقبة
سيناء
الطور
الدولة
تبوك
الصعيد
نهر النيل
البحر الأحمر (القلزُم)
جزيرة العرب
١٠٠ كم ٥٠ ٠

طور سيناء: قريب من بحر القلزم يخرج إليه من قرية تسمى الأمن، وهو الموضع الذي خرج فيه موسى وبنو إسرائيل. المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، إقليم مصر.

قال بعض أهل اللغة: كل جبل طور وقال آخرون: الطور كل جبل أجرد لا ينبت شجرًا ولا خلاف أن في الشام جبلًا يسمى الطور وهو طور سيناء، قيل إنه الذي أقسم الله به لفضله على الجبال، إذ روي أن الله تعالى أوحى إلى الجبال إنّي مهبط على أحدكم أمري يريد رسالة موسى عليه السلام، فتطاولت كلها إلا الطور فإنه استكان لأمر الله عز وجل وقال: حسبي الله، فأهبط الله الأمر عليه، ويقال إنه بمدين. الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٧.



مرتسم ليهود من العصور الوسطى بزيهم الديني المعروف. ←

صورة لدير سانت كاترين المجاور لجبل الطور في أرض سيناء المصرية. ←



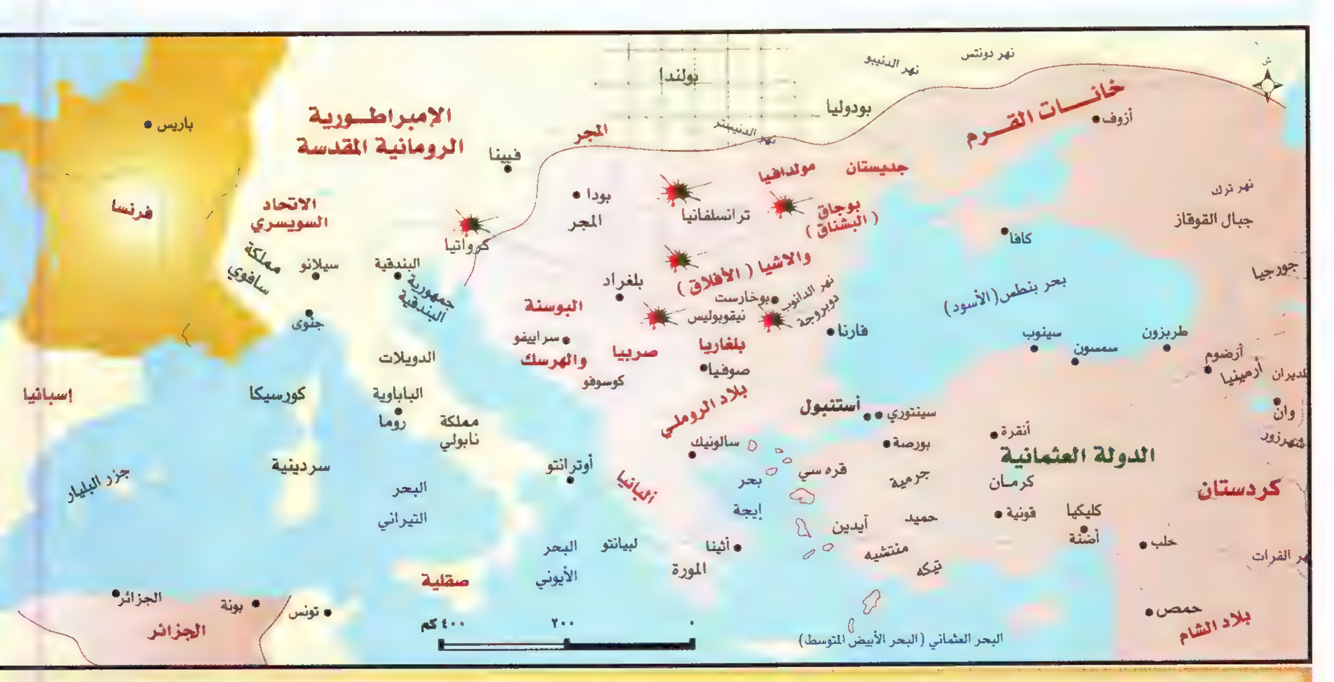
٦ - بروز الحركات الانفصالية [١]

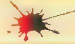
ازدادت أوضاع **السلطنة العثمانية** سوءًا بفعل بروز الحركات الانفصالية في **الأفلاق والبغدان وترانسلفانيا**، بمساعدة وتشجيع رودلف الثاني ملك النمسا وإمبراطور ألمانيا، وتمكَّنت قوة نمساوية من التغلُّب على قوة عثمانية بقيادة حسن باشا في كرواتيا، في ٢٠ رمضان ١٠٠١ هـ/ ٢٠ حزيران ١٥٩٣م، وقُتل القائد العثماني في المعركة.

إلا أن الصدر الأعظم سنان باشا تمكَّن من التصدي لهذه الحركات ودخل مدينة بخارست عاصمة الفلاق سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٥م. ودخل ميخائيل هذا **مدينة ترجوفيتس** وقتل حاميتها العثمانية. انسحب العثمانيون، بعد هذه الهزيمة، باتجاه الجنوب على ما وراء نهر الدانوب، فطاردهم ميخائيل واصطدم بهم عند جورجيو، جنوبي بُخارست، وتغلَّب عليهم واستولى على هذه المدينة، واكتسح مدنًا أخرى، أهمها **نيقوبوليس**.

وكَثُر، في غمرة هذه الأحداث، عزل وتنصيب الصدور العظام في الدولة، ما تسبَّب في تضعضع الأوضاع الداخلية، بفعل منافسة الصدور العظام بعضهم البعض، هذا في الوقت الذي كانت فيه الدولة بحاجة إلى تضافر الجهود لمواجهة المشكلات الخارجية. ومما زاد الأوضاع تفاقمًا، تدخُّل زوجة السلطان مراد الثالث، وتدعى صفية، في الأمور السياسية، وبخاصة في عزل وتنصيب الصدور العظام، وتوفي عن عمر يناهز الخمسين عامًا.

١- د. محمد بن سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.



 أبرز الحركات المتمردة على سلطان الدولة العثمانية في أواخر عهد السلطان مراد الثالث

المسجد النبوي من الداخل حيث يرى صورة المنبر على يمين الصورة وفي عمق الصورة المحراب

في سنة ٩٩٨ هـ: أرسل السلطان العثماني **مراد الثالث** منبرًا مصنوعًا من الرخام جاء في غاية الإبداع، ودقة صناعته، وروعة زخرفته ونقوشه، وطلي بماء الذهب، فنقل منبر قايتباي إلى مسجد قباء، ووضع **منبر السلطان مراد مكانه**. وهو الموجود في المسجد النبوي في وقتنا الحاضر.



عملة ذهبية من الوجه والخلف تعود إلى عهد السلطان العثماني مراد الثالث

الأشـــــراف السعديون في العصر العثماني

تـولى **مملكـة مراكش** فـي أوائل القرن السادس عشـر الميلادي الشرفاء السعديون من آل زيدان، كان يقيم أسلاف السعديين بدرعة إلى أن نشأ منهم أبو عبد الله محمد القائـم بأمـر الله، فنشـأ على عفـاف وصلاح، وحج البيـت الحرام ولقـي جماعة من العلماء في وفادته على الحرمين.

وفي سنة ٩١٧هـ- ١٥١١م بايعه بعض **قبائل السوس** التي كانت في أمر مريج ولم يكن هناك أمير تجتمع عليه الكلمة.

وكان هـؤلاء الأشـراف في أول أمرهم داعين إلى الجهـاد وطلبوا من عامل مراكش ناصـر بوشتنوف أن يظاهرهم على جهـاد العدو فأسعفهم وقدمـوا مراكش فدخلوها وأحسن إليهم ثم صفا للأشراف **مراكش** وأعمالها.

ولمـا تم للأشـراف أمر **درعة والسـوس ومراكش**، حاربـوا الوطاسيين وانتصروا عليهم واستولوا على **تافيلالت وأغادير وأسفى وآزمور**، ثم حاصروا **فاس** وقبض على الوطاسيين وغربوهم إلى درعة.

ولمـا استتب الأمر لأبي عبـد الله القائم ندب النـاس إلى مقارعة **البرتغال** والجهاد فيهـم ورد جموعهـم عن ثغور المغرب وبلاده، فجمع أبـو عبد الله الجموع من المسلمين وحاربهـم وانتصـر عليهم، ولما رأى النـاس ذلك خضعـوا لسلطانه وتفاءلوا به خيرًا، ثم خلفـه خلفاء قضوا أكثر أيامهم فـي الحروب والغـارات ومحاربة الأعداء من برتغاليين وإسبان ثم حروب مع العثمانيين وغيرهم وأقوام من بني جلدتهم من الشمال الإفريقي حتى انقرضت دولتهم سنة ١٠٦٩ هـ- ١٦٥٩م. بتصرف عن الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى - للسلاوي.

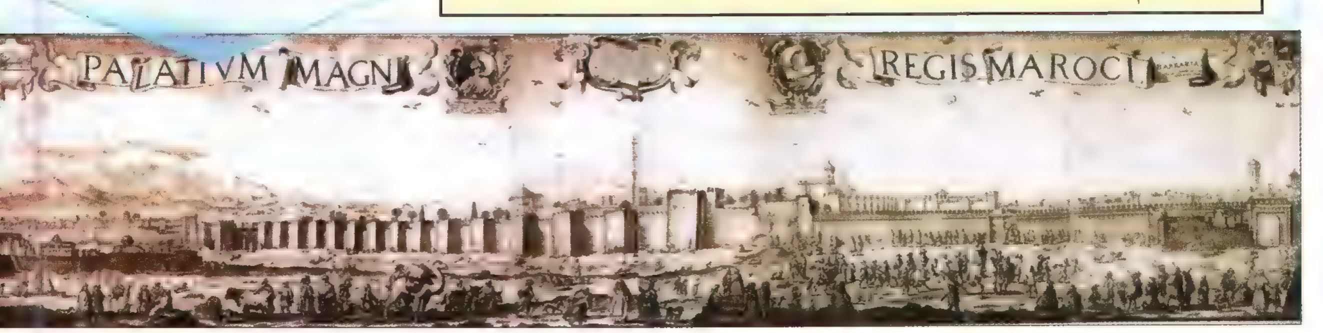
كانت **بلاد المغرب الأقصى** تنقسم إلى **إقليمين منفصلين هما:**
مملكة فاس، ومملكة مراكش، وكان يحد المملكتين نهر أم الربيع.

تُعـد **الإمبراطوريـة البرتغالية** هي أول وأكثر إمبراطورية تاريخًا من ضمن الإمبراطوريات الأوروبية الحديثـة، بعـد المعركة أصبحت البرتغـال الشريك الأصغـر لأسبانيا في الاتحاد الأيبيري لتـاج الدولتين (بين ١٥٨٠ و١٦٤٠م).



بلغـت دولة الأشـراف السعديين أوجها السـياسي في عهد **أحمد المنصـــور (الذهبي)** (١٥٧٨م-١٦٠٣م) والـذي أمَّـن رخـاء البـلاد مـن خـلال تحكمـه فـي اقتصـاد الدولة كما استُحدِث في عهـده نظـام إدارة جديد، والذي أطلق عليه اسم "المخزن".

مرتسـم تاريخي **لمراكش وقصر البديع** في سنـة ١٦٤٠م، من طـرف أدريان ماثام، في الأعلـى كتابة باللغـة اللاتينية: «القصر العظيـم - المملكـة المغربيـة»، بخـط صغير: «في الساحل البربري»





معركة وادي المخازن (الملوك الثلاثة) سنة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م

تربع **سبستيان** سنة ١٥٥٧م على عرش الإمبراطورية البرتغالية التي يمتد نفوذها على سواحل إفريقيا وآسيا والأمريكيتين (العالم الجديد)، فاتصل بخاله ملك أسبانيا فيليب الثاني ملك أسبانيا يدعوه للمشاركة في حملة صليبية جديدة على المغرب كي لا تعيد **الدولة السعدية بمعاونة العثمانيين الكرَّة على الأندلس.**

وكان من حكامهم محمد المتوكل على الله والذي رأى عمه أبو مروان عبد الملك أنه أولى بالملك من ابن أخيه، فأضمر المتوكل الفتك بعميه عبد الملك وأحمد ففرا منه مستنجدين **بالدولة العثمانية**، الذين كتبوا إلى واليهم على الجزائر ليبعث مع عبد الملك خمسة آلاف من **عسكر الترك** يدخلون معه أرض المغرب الأقصى ليعيدوا له الحكم الذي سلبه منه المتوكل. وعندما دخل أبو مروان عبد الملك الغازي المغرب مع الأتراك، انتصر في معركة قرب مدينة فاس، وفر المتوكل من المعركة، ودخل عبد الملك فاس سنة ٩٨٣ هـ، وولّى عليها أخاه أحمد، ثم ضم مراكش، ففر المتوكل إلى جبال سوس، فلاحقته جيوش عمه حتى فر إلى سبتة، ثم دخل طنجة مستنجدًا بملك البرتغال الملك سبستيان الأول ملك البرتغال، بعد أن رفض ملك أسبانيا مساعدته.

أراد ملك البرتغال الشاب محو ما وصم به عرش البرتغال خلال مدة حكم أبيه من الضعف، كما أراد أن يعلي شأنه بين ملوك أوروبا بالقيام بمساعدة المتوكل، ربما مقابل أن يتنازل له عن جميع شواطئ المغرب.

استعان **سبستيان بخاله ملك** أسبانيا فوعده أن يمده بالمراكب والعساكر وأمده بعشرين ألفًا من عسكر الأسبان، وكان سبستيان قد عبأ معه اثني عشر ألفًا من البرتغال، كما أرسل إليه الإيطاليون ثلاثة آلاف ومثلها من الألمان وغيرهم، وبعث إليه البابا بأربعة آلاف أخرى، وبألف وخمس مئة من الخيل، واثني عشر مدفعًا، وجمع سبستيان نحو ألف مركب ليحمل هذه الجموع إلى الأراضي المغربية. وقد حذر ملك أسبانيا ابن أخته عاقبة التوغل داخل أراضي المغرب ولكنه لم يلتفت لذلك.



٣ **خسائر الطرفين: الجيش البرتغالي: ١٢،٠٠٠ قتيل بالإضافة إلى ١٦،٠٠٠ أسير.**
الجيش المغربي: ١،٥٠٠ شهيد بأذن الله.

مكان المعركة — الخريطة

الأشراف السعديون	مملكة أسبانيا
إيالة الجزائر	مملكة البرتغال

لوحة تمثل معركة وادي المخازن، متحف فورت دا بونتا دا بانديرا، لاغوس، البرتغال

انهارت **البرتغال** عسكريًا، وسياسيًا واقتصاديًا بعد موت سبستيان ملك البرتغال وجل النبلاء البرتغاليين وقادتهم، ومن ثم ضم الإسبان البرتغال لبلادهم بعد انهزام بقايا السلالة البرتغالية الحاكمة في معركة القنطارة قرب لشبونة، وبدأ **البرتغاليون** يقولون: إن **سبستيان** لم يمت وسيعود للحكم وستستقل البرتغال، وتحول أمل عودته لظاهرة مرضية (السبستيانيزم)، ومع مر السنين بدأ العديد يأتون للبرتغال والكل يقول: أنا سبستيان.

من النتائج الأخرى التأكيد على الوجود السياسي والعسكري القوي للمغرب في الساحة الدولية آنذاك **واكتمال سيطرة العثمانيين على البحر المتوسط مع تراجع للنفوذ الأوروبي لعدة قرون في المقابل.**



واد لوكوس، موقع تقريبي لمعركة وادي المخازن، صورة من القصر الكبير سنة ١٩٠٠م

لقد حالت أسباب عدة دون ضم المغرب الأقصى للدولة العثمانية منها:

١- ظهور شخصية قوية حاكمة في المغرب، ونعني به المنصور السعدي.

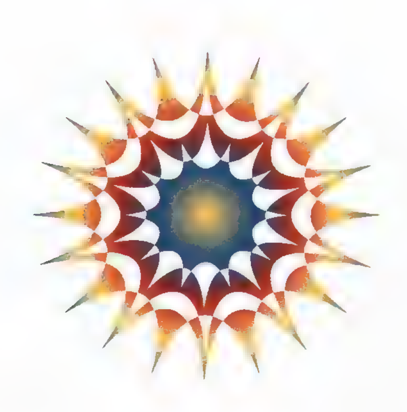
٢- وفاة قلج علي في ٩٨٦ هـ/١٥٨٧م، ومن بعده أدخل الشمال الإفريقي في نظام الولايات.

٣- كان النصر الذي أحرزه المغاربة على البرتغاليين في **معركة وادي المخازن** سببًا في تقدير السلطات العثمانية للسعديين واحترامهم، لقد كانت الدولة العثمانية في جهودها البحرية في البحر المتوسط أكثر توفيقًا من البحر الأحمر والمحيطات لأسباب عدّة منها:

١- قرب الشمال الإفريقي من كل من أستنبول ومصر يجعل الإمدادات متلاحقة ويجعل صورة الأحداث واضحة، والتطورات العسكرية مفهومة، بعكس الحال في المحيطات حيث كانت تطورات الأمور لا تصل إلا بعد وقت طويل وبشكل غير واضح.

٢- كانت للعثمانيين قواعد قوية في شمال إفريقيا تستند إلى خلفية إسلامية واسعة وخبرة عملية في محاربة النصارى وكانوا على استعداد للتعاون مع العثمانيين والدخول تحت نفوذهم.

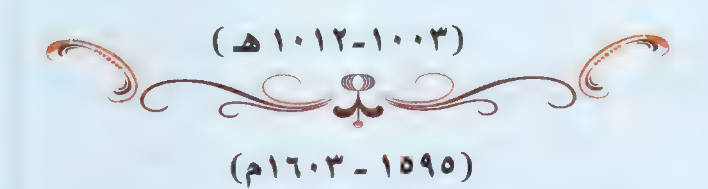
٣- لم تكن هناك مقاومة مذهبية عنيفة في شمالي إفريقيا بل كانت **الهيمنة للمذهب السُّنّي** الذي استطاع أن يقف أمام المذاهب المنحرفة ويجتثها من جذورها[1].



١- د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ٢٩١.



(١٠٠٣-١٠١٢هـ)



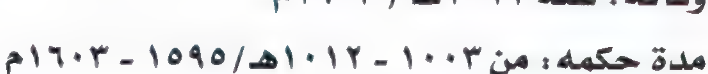
(١٥٩٥ - ١٦٠٣م)

والده: السلطان مراد الثالث

والدته: صفية خاتون

ولادته: سنة ٩٧٣هـ / ١٥٦٦م

وفاته: سنة ١٠١٢هـ / ١٦٠٣م



مدة حكمه: من ١٠٠٣ - ١٠١٢هـ/١٥٩٥ - ١٦٠٣م

ولد السلطان **محمد الثالث** في مدينة (مانصا)، وقد سماه جده سليمان القانوني محمدًا تيمنًا باسم السلطان محمد الفاتح، وقد اكتسب تحصيلًا علميًا جيدًا، مما جعله ماجدًا أديبًا، سريع البديهة. كما كان من جهة أخرى متوسط القامة، أشقر الشعر، جميل الوجه، وكان متدينًا.

الأعلام الذين عاصروه:

محمد خاجكي أمكنكي، وهو من شيوخ النقشبندية، وقد توفي سنة ١٠٠٨ هـ/ ١٦٠٠م، محمد باقي بالله، المتوفى سنة ١٠١٣هـ/١٦٠٥م، هاشمي عثمان أفندي، المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ / ١٦٠٠م، حسن جلبي أفندي صاحب كتاب (التذكرة) والمتوفى سنة ١٠١٣هـ/١٦٠٥م.

أبناؤه:

أحمد الأول، مصطفى الأول، سليم، محمود.

بناته:

لاتعرف أسماء بناته. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون،تعريب محمد جان، ص ٥٨.

السلطان محمد الثالث: نشأ السلطان محمد خان الثالث في أسرة حملت لواء الجهاد في سبيل الله قرونًا عديدة، ولم يَسلم محمد خان الثالث من الاتهامات التي وجهت إليه كما وجهت إلى من تولى قبله؛ **فقد اتهم بقتل تسعة عشر من إخوته، وقتل عشرة من نساء أبيه كلهن حبالى؟!** ولعمر الله، كيف يُقدِم رجل على فعل هذه الأعمال الشنيعة، ثم يُنزِل الله عليه النصر؟! ولقد اتهم محمد الفاتح بمثل هذا الاتهام من قبل، ونال بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح القسطنطينية، فكيف يرتكب هذه الكبيرة، ثم ينزل الله عليه النصر؟!

إنها روايات ملفقة عن هؤلاء العظام؛ حتى لا يعرف الناس حقيقة جهادهم، وما فعلوه لأجل الإسلام والمسلمين. موقع د. راغب السرجاني (قصة الإسلام).

وبالرغم من حالة الضعف والتدهور التي كانت قد بدأت تعتري الدولة العثمانية إلا أن راية الجهاد **ضد الصليبيين** ظلت مرفوعة شامخة، ومما يذكر لهذا السلطان(محمد خان الثالث)؛ أنه لما تحقق له أن ضعف الدولة في حروبها بسبب **عدم خروج السلاطين وقيادة الجيوش بأنفسهم**، برز بنفسه وتقلد المركز الذي تركه سليم الثاني، ومراد الثالث، ألا وهو قيادة عموم الجيوش، فسار إلى **بلغراد** ومنها إلى ميادين الوغى والجهاد، وبمجرد خروجه دبت في الجيوش الحمية الدينية والغيرة العسكرية، ففتح قلعة (أرلو الحصينة) التي عجز السلطان سليمان الأول عن فتحها في سنة ٩٦٣ هـ/ ١٥٥٦م، **ودمر جيوش المجر والنمسا في سهل كرزت** بالقرب من هذه القلعة في ٢٦ أكتوبر سنة ١٥٩٦م حتى شبهت هذه الموقعة بواقعة(موهاكز) التي انتصر فيها السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٢٦م، وبعد هذه المعركة استمرت الحروب دون أن تقع معركة حاسمة[1]. ١- د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ٢١٩.

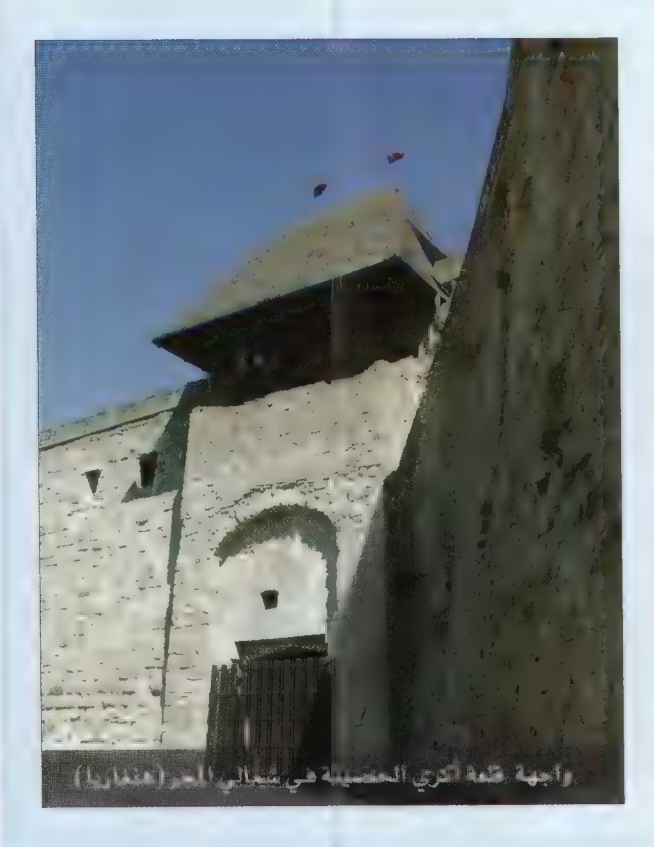
وتعرضت الدولة في زمنه **لثورات داخلية** عنيفة قادها **قره يازيجي**، وأخرى قام بها الخيالة إلا أن السلطان استطاع القضاء عليهما بصعوبة، ومن تلك الأحداث الداخلية يظهر للباحث المدقق اختلال النظام العسكري وعدم صلاحيته لحفظ اسم الدولة وشرفها من أعدائها.

من أبرز الشخصيات الكبيرة في عهده:

الشيخ سعد الدين أفندي[2]

كان من شيوخ السلطان محمد الثالث وممن شجعه على الخروج بنفسه لقيادة الجيوش، وقال للسلطان: (أنا معك أسير حتى أخلص وجودي من الذنوب، فإنني بها أسير).

وفي إحدى المعارك كاد أن يؤسر فيها السلطان، وفرّ من حوله الجنود والأعوان، قال الشيخ سعد الدين أفندي: (أثبت أيها الملك فإنك منصور بعون مولاك، الذي أعطاك، وبالنعم أولاك)، فركب السلطان جواده، وحمل سيفه وتضرع إلى القوي العزيز، فما مضت ساعة حتى نزل نصر الواحد القهار، وكانت تلك المعركة بعد **فتح قلعة أكري المجرية**. ٢- المرجع السابق، ص ٣٢٠.



واجهة قلعة أكري الحصينة في شمالي المجر (هنغاريا)

تميز السلطان **محمد خان الثالث** بذائقة أدبية خاصة، وكان شاعرًا مجيدًا، وكان على نصيب عالٍ من التعليم والثقافة والأدب، وكان شديد التدين ويميل إلى التصوف، ومن أشعاره ذات المعاني السامية:

لانرضى بالظلم بل نرغب في العدل

نحن نعمل لحب الله، ونصغى بدقة لأوامره

نريد الحصول على رضى الله

نحن عارفون وقلوبنا مرآة العالم.

قلوبنا محروقة بنار العشق في الأزل

نحن بعيدون من الغش والخديعة وقلوبنا نظيفة[1] . ١- د. علي الصلابي: الدولة العثمانية، ص ٣٢٠

توفي السلطان محمد الثالث بعد أن أخمد الحركات التمردية، والثورات العنيفة، وقاد الجيوش بنفسه وكانت وفاته في نهار الأحد الثامن عشر من رجب سنة اثنتي عشرة وألف، ومده حكمه تسع سنين، وشهران ، ويومان، وله من العمر ثمان وثلاثون سنة.

وكان هذا السلطان عندما يسمع اسم **النبي محمد صلى الله عليه وسلم**: يقوم إجلالاً واحترامًا لسيد الكائنات[2] . ٢- المرجع السابق، ص ٣٢٠.

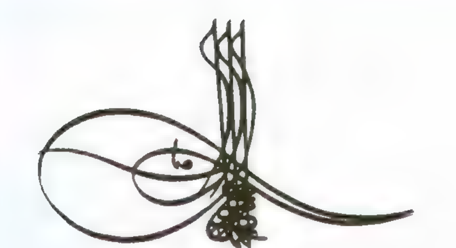


مرتسم تقريبي لقلعة (أكري - Egri) في شمالي المجر (هنغاريا) حيث فتحها السلطان محمد الثالث بعد انتصاره على الأوروبيين في موقعة [illegible]



(١٠١٢-١٠٢٦هـ)

(١٦٠٣ - ١٦١٧م)



والده: السلطان محمد الثالث

والدته: خاندان سلطان

ولادته: سنة ٩٩٨ هـ / ١٥٩٠م

وفاته: سنة ١٠٢٦ هـ / ١٦١٧م

مدة حكمه: من ١٠١٢ - ١٠٢٦هـ / ١٦٠٣ - ١٦١٧م

كان السلطان **أحمد الأول** ورِعًا حتى عد من الأولياء الصالحين، كما كان مثابرًا يباشر إدارة الدولة بنفسه، وكان أشجع السلاطين العثمانيين في تدبير أمور الرعية. من جهة أخرى تلقى السلطان أحمد الأول تحصيلًا علميًا جيدًا وكان يكتب الشعر باسم (بختي). عبدالقادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون، ص ٦٠.

في عهد السلطان أحمد الأول **بُدِئَ بإرسال ستائر الكعبة من أستنبول** بعدما كانت ترسل من مصر، كما كسا جميع سكان البقاع المقدسة، وبنى جامعًا ذا ست مآذن بأستنبول وهو من أجمل الجوامع العثمانية.

الأعلام الذين عاصروه:

علي القاري، مؤلف كتاب (تصانيف) وقد توفي سنة ١٠١٤ هـ/١٦٠٦م. الشيخ أبو عبدالله محمد، شارح كتاب (مغني اللبيب) وقد توفي سنة ١٠١٨ هـ/١٦١٠م. الخطاط حسن جلبي الأسكوداري، المتوفى سنة ١٠٢٣هـ/١٦١٤م. قره جه أحمد، المتوفى سنة ١٠٢٤ هـ/١٦١٥م.

أبناؤه:

عثمان الثاني، مراد الرابع، إبراهيم، بايزيد، سليمان، قاسم، محمد، حسن، سليم، خان زاده، عبيده.

بناته:

كوهر خان سلطان، عائشة سلطان، فاطمة سلطان، عاتكة سلطان.

السلطان أحمد الأول: تولى الحكم بعد وفاة والده وعمره ١٤ سنة، ولم يجلس أحد قبله من سلاطين العثمانيين في هذه السن على العرش، وكانت أحوال الدولة مرتبكة جدًا؛ لانشغالها بحروب النمسا في أوروبا، وحرب الصفويين في إيران والثورات الداخلية في آسيا. فأتم ما بدأ به أبوه من تجهيزات حربية.

أهم الأحداث الكبرى في عهد السلطان أحمد الأول

١ الحـــرب مع النمسا والدول الأوروبيـــة

٢ تجديد الامتيازات

٣ الحـــرب مع الشـــيعة الصـــفوية (الفرس)

٤ الحركات الانفصالية

٥ حركة فخر الدين المعنـــي الثاني الـدرزي

١ الحرب مع النمسا والدول الأوروبية

عين **السلطان أحمد** لالا محمد باشا صدراً أعظم خليفة للصدر الأعظم يمشجي حسن باشا، حيث كان سردارًا عامًا للجيوش التي **جاهدت في النمسا** وهو من خيرة قادة الجيوش، فاهتم بتقوية الجيوش العثمانية وحاصر **قلعة استراغون وفتحها**. كما حارب إمارات الأفلاق والبغدان والأردل وعقد صلحًا معهم. ولما مات لالا باشا خلفه قبوجي مراد باشا صدرًا أعظم وكان قائدًا لإحدى فرق الجيش، **وقد نجحت الجيـــوش العثمانية في هزيمة النمسا واسترداد القلاع الحصينة** من مدن **يانق واســتراغون وبلغراد** وغيرها كما نجحت الجيوش العثمانية في **جهادها بالمجر** وهزمت النمسا هناك. ونجم عن ذلك، قبول النمسا بطلب الصلح ودفع جزية للدولة العثمانية مقدارها مائتا ألف دوكة من الذهب، وبقيت بلاد المجـر بموجب هذه المعاهدة تابعة للدولة العثمانية[١].

وجرت حروب بحرية بين السفن العثمانية وسفن أسبانيا، **ورهبان القديس يوحنا في مالطة**، والإمارات الإيطالية، وتراوح النصر بين الجانبين[٢].

١، ٢- الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي، ص١٠٥.





خارطة أوروبا في العصر الحديث ليسهل من خلالها توضيح بعض الأحداث التاريخية المعاصرة للسلطان العثماني أحمد الأول

٢ تجديد الامتيازات[1]

جددت **الدولة العثمانية امتيازات فرنسا، وانجلترا**، على مثلها، كما جددت الاتفاقية مع **بولونيا** بحيث تمنع الدولة العثمانية تتار القرم من التعدي على بولونيا، وتمنع بولونيا القازاق، من التعدي على الدولة العثمانية.

وتحصلت **هولندا** على امتيازات، واستغلت ذلك في **نشر الدخان داخل ديار الإسلام**، وبدأ تعاطيه من قبل الجنود، **فأصدر المفتي فتوى بمنعه فهاج الجند**، وأيدهم الموظفون، فاضطر العلماء إلى السكوت عنه.

وهكذا أصبح الجند ينقادون خلف شهواتهم ويعترضون على العلماء.

- إن القوى الأجنبية الكافرة تهتم بنشر كل محرم في أوساط المسلمين.
- إن الله تعالى أحل لنا الطيبات النافعة وحرم علينا الخبائث الضارة لأجسامنا وعقولنا وأموالنا ولذلك **أفتى العلماء - رحمهم الله تعالى - بتحريم شرب الدخان** وبيعه وشرائه لما فيه من الأضرار الدينية والدنيوية والاجتماعية والصحية، وهي:

١- أنه دخان لايسمن ولايغني من جوع.

٢- أنه مضر بالصحة الغالية وما كان كذلك يحرم استعماله.

٣- أنه من الخبائث المحرمة، قال تعالى: ﴿ يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ (الأعراف، آية: ١٥٧).

٤- إن رائحة الدخان تؤذي الناس الذين لايستعملونه بل وتؤذي الملائكة الكرام لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، وقد حرم الله تعالى أذية المسلم، قال تعالى: ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ (النور، آية: ١٥٧).

وغير ذلك من الأدلة التي ذكرها العلماء ولكن لضعف الوازع التربوي، وضعف سلطان الدولة التي تشرف على تنفيذ الأحكام يحدث التمرد من قبل الجنود والأفراد.

التدخين: عملية يتم فيها حرق مادة، غالبًا ما تكون هذه المادة هي التبغ، حيث يتم تذوق الدخان أو استنشاقه. وتتم هذه العملية في المقام الأول بوصفها ممارسة لترويح النفس عن طريق استخدام المخدر، حيث يَصدر عن احتراق المادة الفاعلة في المخدر، مثل: النيكوتين مما يجعلها متاحة للامتصاص من خلال الرئة.

١- د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ٣٢٢؛ نقلًا عن د. جمال عبد الهادي.

يرجع تاريخ التدخين إلى عام ٥٠٠٠ قبل الميلاد، حيث وُجد في العديد من الثقافات المختلفة حول العالم. وقد لازم التدخين قديمًا الاحتفالات الدينية، مثل: تقديم القرابين للآلهة، طقوس التطهير، أو لتمكين الشامان والكهنة من تغيير عقولهم لأغراض التكهن والتنوير الروحي حسب بعض المعتقدات.

وحينما جاءت حركة الكشوف الجغرافية والغزو الأوروبي للأمريكتين، لينتشر تدخين التبغ في كل أنحاء العالم انتشارًا سريعًا. وفي مناطق مثل الهند وجنوبي الصحراء الكبرى بإفريقيا، اندمج تدخين التبغ مع عمليات التدخين الشائعة في هذه الدول والتي يعد الحشيش أكثرها شيوعًا.

أما في أوروبا فقد قدم التدخين نشاطًا اجتماعيًا جديدًا وشكلاً من أشكال تعاطي المخدرات لم يكن معروفًا من قبل.



بعض نساء من الشعب الأزتكي يتسلمن الزهور وأنابيب التدخين قبل تناول الطعام في المأدبة، كتب Florentine Codex، القرن السادس عشر الميلادي.



صورة زيتية مرسومة على قطعة خشبية رسمها أدريان فان أوستادي سنة [illegible]

٣ الحـــرب مع الشـــيعة الصـــفوية (الفرس)[١]

شاب العلاقة بين **الدولة العثمانية والدولة الصفوية** التوتر خلال القرن السابع عشر الميلادي، وظهر في إيران الشاه **عباس الكبير** (٩٩٥ – ١٠٣٨هـ / ١٥٨٧ – ١٦٢٩م) كقائد ورجل دولة أخذ على عاتقه استعادة ما فقدته الدولة الصفوية من أراضٍ على الجانب الغربي من حدودها، بالقوة العسكرية.

والواقع أن هذه العلاقة بين الدولتين في عهد **الشاه عباس** مرّت **بثلاث مراحل متميزة.**

المرحلة الأولى: منذ تولي الشاه عباس الحكم وحتى سنة ١٠١١هـ/١٦٠٢م، واتسمت بالتقدم العثماني والتراجع الصفوي واستسلام الصفويين.

أما المرحلة الثانية: فكانت مرحلة الصراع المرير، اتسمت بالحروب داخل الأراضي الصفوية، حرص الشاه خلالها على استعادة الأراضي التي كسبتها الدولة العثمانية، واستمرت هذه المرحلة بين عامي (١٠١١ – ١٠٢٣هـ / ١٦٠٢ – ١٦٢٣م).

المرحلة الثالثة: وبدأت **بالتراجع العثماني** الواضح والهجوم الإيـــــراني البارز، حيث تمكّن الصفويين خلالها من احتلال أجزاء واسعة من الأراضي العراقية، واقتطاعها من السيطرة العثمانية واستمرت بين عامي (١٠٣٢ – ١٠٣٨هـ/١٦٢٣ – ١٦٢٩م).

واجه **الشاه عباس**، في مستهل حياته الســـياسية، خصمين، هما: **الأوزبك في الشرق، والعثمانيون في الغرب.** ولما كان لا يستطيع أن يحارب على جبهتين في وقت واحد، فقد **عقد صلحًا ذليلًا مع العثمانيين** في أوائل سنة ٩٩٨هـ/١٥٩٠م، **تنازل بموجبه عن أذربيجـــان والكـــرج، وجزء من لورستان، وتعهّد بالكف عن شتم الخلفاء الثلاثة الأوائل والسيدة عائشة (أم المؤمنين)، في أراضي مملكته، وبأن يرســل ابن أخيه حيدر ميـــرزا رهينـة إلى أستنبول، كما اتفق الطرفان على الإفراج عن الأســرى من كلا الجانبين.**

ويبدو أن العثمانيين قبلوا بهذا الصلح، حيث كان باستطاعتهم تحقيق المزيد من التوسع والتوغل في الأراضي الإيرانية، لأنهم حقّقوا بهذه المعاهدة **هدفين إستراتيجيين:**

أولهما: يتمثل في تأمين جبهتهم الشرقية حتى يتفرغوا لمشكلاتهم في أوروبا.

وثانيهما: يتمثل في إيقاف الحملات العدائية التي كانت الدولة الصفوية الشيعية المذهب تُذكّيها ضد المذهب السُّنّي، وضد الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

١- د. محمد بن سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٢٤٢ – ٢٤٣.

الدولة الصفوية في عهد الشاه عباس الكبير (٩٩٥ - ١٠٣٨هـ / ١٥٨٧ - ١٦٢٩م)



(١) كان **الأوزبكيون السُّنّة** دخلوا خراسان وفتحوا مدينتي **مشهد وسبزوار** سنة ١٠٠٢هـ، ولكن مات ملك الأوزبك عبد الله خان، وقتل أخوه عبد المؤمن فهاجمهم **الصفويون** في مدينة **هراة** وطردوهم من المنطقة سنة ١٠٠٦هـ.

(٢) اتصل **الشاه عباس ببريطانيا لترسل له خبراء أسلحة ورحبت ذلك بريطانيا** فأرسلت له السير "أنطوني شيرلي" وأخوه السير "روبرت سيرلي"، واتفقوا على تكوين جيش جديد من حملة البنادق بدل الرماح والسيوف، كما أدخل المدفعية وبنى مصانع، كما إنه كون قبيلة سماها "شاهسون" أي أصدقاء الملك وهو تجمع على أساس الولاء للملك لا على أساس القربى والنسب.

كما أنه **ساعد الإنجليز في إضعاف النفوذ الهولندي في الخليج العربي، وإبداله بالنفوذ الإنجليزي**، واشتركا معًا بجيوش لتنفيذ هذه المهمة واستمرت حروبهم حتى سنة١٠٣٤هـ.

(٣) أما **حروب الشاه عباس الصفوي ضد العثمانيين** فبدأت عندما شعر الشاه بقوته، شرع بإرجاع ما أعطاه لهم في معاهدته مثل مدينة "**تبريز**" كما أنه حاول احتلال "شروان وديار بكر"، ثم توجه أخيرًا إلى **بغداد**، وأحدث من المنكرات العقدية عند العتبات المقدسة بالشيعة ما يشيب له العاقل.

وبعد نجاحه في القضاء على خطر الأوزبك، التفت **الشاه عباس نحو العثمانيين**، وبذل جهدًا كبيرًا في إعادة تكوين جيشه، استعدادًا للاصطدام المرتقب وتزويده بمقومات جيوش العصر، حتى أضحى الجيش الإيراني على مستوى عالٍ من الكفاءة القتالية، ويضارع الجيش العثماني في التجهيز والتسليح، لكن فاقه في القدرة على نقد الذات وإصلاح العيوب بفعل حالة الاستعلاء المزمنة التي أصابت الجيش العثماني وقادته، وجعلتهم يتجنَّبون الاستعانة بالخبراء الأجانب لتطوير قدراتهم القتالية، في حين انتهز الشاه عباس وجود أحد الضباط البريطانيين في بلاده، ويدعى أنطوني شيرلي، واستفاد من خبرته في تجديد قدرات الجيش الإيراني.

ولما آنس من نفسه القوة، راح يهاجم **معاقل العثمانيين** في الولايات الإيرانية، مستغلاً انهماك الدولة العثمانية في حربها المستمرة مع النمسا، وفي إخماد الثورة التي قام بها أصحاب الطريقة الجلالية في آسيا الصغرى، **واستردَّ تبريز** في سنة ١٠١٢هـ/١٦٠٣م، ثم **فان وشروان وقارص**، وتطلع **نحو العراق** الواقع تحت السيطرة العثمانية، وقد تأثر هذا البلد بمظاهر ضعف الدولة وبخاصة من حيث ظهور الحركات الاستقلالية.

ونظرًا **لتقهقر الجيوش العثمانية في هذه الحروب** التي استمرت سنوات متتالية ووفاة أشهر قادتهم، مالت الدولة إلى الصلح، وجرت مفاوضات بين الجانبين، العثماني والصفوي، نتج عنها توقيع اتفاقية سلام بينهما في سنة ١٠٢١هـ/١٦١٢م، **اتفقا فيها على أن تتخلى الدولة العثمانية عن القلاع والحصون التي فتحتها منذ عهد السلطان سليمان الأول، ويسترد الصفويون أذربيجان. وهذه أول معاهدة تتخلَّى فيها الدولة العثمانية عن بعض فتوحها، كما أنها كانت فاتحة الانحطاط الذي أخذ يدب في جسمها.**

وشجَّعت التقلبات الداخلية السريعة التي شهدتها الدولة العثمانية، في عهد السلطان عثمان الثاني، الشاه عباس للقيام بمحاولة أخرى لاسترداد ما فقدته الدولة الصفوية من أراض ، أمام العثمانيين منذ أيام السلطان سليم الأول، هذه المرَّة، لكن النتيجة جاءت على غير ما توقع، فقد تصدت القوات العثمانية للتقدم الصفوي، وتمكَّنت من استرداد الأراضي التي فقدها العثمانيون حديثًا وبخاصة مدينة تبريز، واضطر الشاه عباس إلى قبول تجديد معاهدة سنة ١٠٢١هـ/ ١٦١٢م، إلا أنه ظل يتحين الفرص للانقضاض على المناطق التابعة للعثمانيين.

بالغ الشاه عباس الصفوي في عدائه **للمذهب السُّنّي واتصل بملوك النصارى**، وإمعانًا في ضرب **الدولة العثمانية حامية المذهب السُّنّي** فقد عقد اتفاقات تعاون مشترك معهم من أجل تقويض أركان الدولة العثمانية السُّنّية، ولم يكن يعبأ حتى إذا **قدم العديد من التنازلات للدول الأوروبية** تأكيداً لتعاونه معهم انطلاقاً من عدائه للدولة العثمانية.

اتصال الشاه عباس الصفوي بالدول المسيحية

(... من اليوم يسمح لمواطني الدولة المسيحية ومن يدينون بدينهم بالحضور إلى أي بقعة من وطننا ولايسمح لأي شخص بأي حال من الأحوال إهانتهم، ونظرًا لما بيننا وبين الملوك المسيحيين من علاقات ود ومحبة فيسمح للتجار المسيحيين بالتجول في جميع أنحاء إيران، ومزاولة نشاطهم التجاري في أي بقعة من الوطن، دون أن يتعرض لهم بالإيذاء من أي شخص سواء كان حاكمًا أو أميرًا أو خانًا أو موظفًا أو تابعًا للدولة كما تعفى جميع أموال تجارتهم التي يحضرونها معهم من ضرائب المال وليس لأي شخص مهما بلغت مكانته أن يزاحمهم أو يكلفهم المشاق، وليس من حق رجال الدين مهما كانت طوائفهم التجرؤ على الإضرار بهم أو التحدث معهم بخصوص العقائد المذهبية). د. محمد نصر مهنا، الإسلام في آسيا، ص ٢٥١.

كان الشاه **عباس الصفوي** طائفيًا بشكل جلي، وأشنع ما أراد فعله أنه حاول أن يقنع الإيرانيين **بالتخلي عن الذهاب إلى مكة المكرمة -شرفها الله تعالى- لأداء فريضة الحج والاكتفاء بزيارة قبر الإمام الثامن علي بن موسى الرضا في مدينة مشهد، لأن الواجب القومي يحتم عدم السفر عبر الأراضي العثمانية ودفع رسم العبور**، وكان يحث رجال الدين لتعظيم زيارة الرضا، كما أنه تردد مرارًا لزيارته ومشى مرة على الأقدام إلى مدينة **مشهد** ويقال: إنه مشى أكثر من (١٣٠٠كم). عبد العزيز بن صالح المحمود، شبكة الدفاع عن أهل السنة.

٤ الحـــركات الإنفصالية

ظهرت إلى حيز الوجود في عصر السلطان **أحمد الأول** حركات داخلية تهدف إلى تقويض كيان الدولة وبنيانها مثل حـركة "**جان بولاد**" **الكردي**، وحركة والي أنقرة " **قلندر أوغلي** "، وحـــركة فخر الدين الدرزي المعني الثاني حفيد " فخر الدين المعني الأول " الذي انضم إلى السلطان سليم الأول عندما دخل الشام سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م.

وسبب تلك الحركات اضطرابات داخلية حتى هيّأ الله للدولة وزيرًا محنكًا أكسبه تقدم السن مزيدًا من الخبرات والتجارب فعين صدرًا أعظم فكان عونًا للسلطان الفتي، وانتصر على الثائرين، وخاصة ثائر الأناضول قلندر أوغلي الذي كان قد عين واليًا على أنقرة فقد نكلت به الدولة، وتمكن الصدر الأعظم قبوجي مراد باشا من تطهير الأناضول من أولئك الثائرين[(١)].

٥ حركة فخر الدين بن المعني الثاني الـدرزي

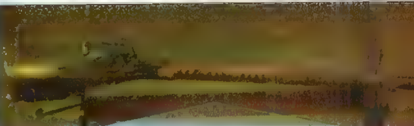
اعتلى **فخر الدين بن المعني الثاني السلطة في لبنان** سنة ٩٩٩هـ/١٥٩٠م، وكان **درزيًا** وصوليًا كبيرًا واستطاع أن يجمع المعادين للإسلام من **نصارى ونصيرية، ودروز**، وأمثالهم.

أظهر تقربه من **الخليفة العثماني السلطان أحمد**، وأعلن طاعته له حتى تمكن من جبال لبنان، والسواحل وفلسطين، وأجزاء من سورية، ولما قوي أمره فاوض **الطليان** فدعموه بالمال وبني القلاع والحصون، وكون لنفسه جيشًا زاد على الأربعين ألفًا، ثم أعلن الخروج على الدولة العثمانية سنة ١٠٢٢ م/١٦١٣م، غير أنه هزم وفرّ الى "إيطاليا"، وكان قد تلقى الدعم من إمارة "فلورنسا" الإيطالية، ومن البابا، ورهبان جزيرة مالطة (فرسان القديس يوحنا).

وقد عاد فخر الدين إلى لبنان سنة ١٠٢٧هـ/١٦١٨م، بعد أن أصدر السلطان فرمانًا بالعفو عنه، واندفع لتغريب البلاد، ثم أعلن التمرد من جديد **مستغلًا الحرب العثمانية الصفوية الشيعية** ولكنه فشل وأســر وسيق إلى أستنبول ثم اندلعت الثورة سنة ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م، ولكنه هذه المرَّة أُسِــر وشنق، وفشلت الحركة المسلحة التي قادها ابن أخيه ملحم للأخذ بثأره[(٢)].

١-٢، د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ٣٢٤ - ٣٢٦ .

قصر فخر الدين في دير القمر (لبنان) كما يبدو اليوم [illegible] اليوم متحفًا للتماثيل الشمعية



بندقية ذات قداحة، من النوع الذي كان شائعًا في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي، والذي تاجر به دوق توسكانا مع فخر الدين المعني.



الأمير فخر الدين المعني وهو يدخن الغليون في توسكانا





قلعة فخر الدين المعني في تدمر ويُرى في أسفل الصورة آثار مدينة تدمر

من هم الدروز[1]؟

فرقة باطنية تؤلِّه الخليفة العبيدي(الفاطمي) الحاكم بأمر الله، أخذت جل عقائدها عن الإسماعيلية، وهي تنتسب إلى نشتكين الدرزي. نشأت في مصر لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام. عقائدها خليط من أديان وأفكار عدة، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس، ولا تعلمها لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

- محور العقيدة الدرزية هو **الخليفة العبيدي: أبو علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله** العبيدي الملقب بالحاكم بأمر الله ولد سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م وقتل سنة ٤١١هـ/١٠٢١م. كان شاذًّا في فكره وسلوكه وتصرفاته، شديد القسوة والتناقض والحقد على الناس، أكثر من القتل والتعذيب دون أسباب تدعو إلى ذلك.
- المؤسس الفعلي لهذه العقيدة هو: حمزة بن علي بن محمد الزوزني ٣٧٥هـ/٤٣٠هـ: وهو الذي أعلن سنة ٤٠٨هـ أن روح الإله قد حلت في الحاكم العبيدي ودعا إلى ذلك وألف كتب العقائد الدرزية.
- محمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بنشتكين، كان مع حمزة في تأسيس عقائد الدروز إلا أنه تسرع في إعلان ألوهية الحاكم سنة ٤٠٧ هـ؛ مما أغضب حمزة عليه وأثار الناس ضده حيث فرّ إلى الشام وهناك دعا إلى مذهبه وظهرت الفرقة الدرزية التي ارتبطت باسمه على الرغم من أنهم يلعنونه لأنه خرج عن تعاليم حمزة الذي دبّر لقتله سنة ٤١١ هـ.
- الحسين بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم أو الأجدع: وهو المبشر بدعوة حمزة بين الناس.
- بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموقي المعروف بالضيف: كان له أكبر الأثر في انتشار المذهب وقت غياب حمزة سنة ٤١١هـ. وقد ألَّف كثيرًا من نشراتهم مثل: رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ ورسالة التعنيف والتهجين وغيرها. وهو الذي أغلق باب الاجتهاد في المذهب حرصًا على بقاء الأصول التي وضعها هو وحمزة والتميمي.
- أبو إبراهيم إسماعيل بن حامد التميمي: صهر حمزة وساعده الأيمن في الدعوة، وهو الذي يليه في المرتبة.
- الناس في الدرزية على درجات ثلاث:

ـ العقل: وهم طبقة رجال الدين الدارسين له والحفاظ عليه. وهم ثلاثة أقسام: رؤساء أو عقلاء أو أجاويد، ويُسمَّى رئيسهم شيخ العقل.

ـ الأجاويد: وهم الذين اطلعوا على تعاليم الدين والتزموا بها.

ـ الجهال: وهم عامة الناس.

من أهم معتقداتها وأفكارها:

- يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله العبيدي، ولما مات قالوا بغيبته وأنه سيرجع.
- ينكرون الأنبياء والرسل جميعًا ويلقبونهم بالأبالسة.
- يعتقدون بأن المسيح هو داعيتهم حمزة.
- يبغضون جميع أهل الديانات الأخرى والمسلمين منهم بخاصة، ويستبيحون دماءهم وأموالهم وغشهم عند المقدرة.

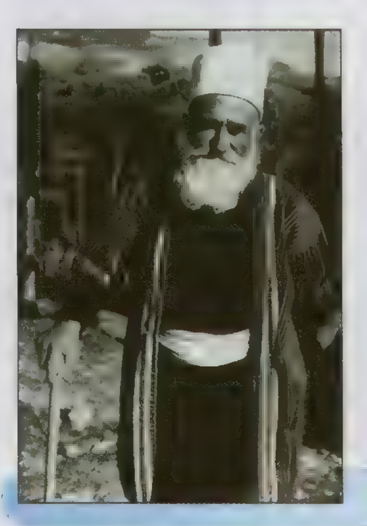
١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والعقائد، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

- يعتقدون بأن ديانتهم نسخت ما قبلها وينكرون جميع أحكام وعبادات الإسلام وأصوله كلها.
- ولا يكون الإنسان درزيًا إلا إذا كتب أو تلا الميثاق الخاص.
- يقولون بتناسخ الأرواح وأن الثواب والعقاب يكون بانتقال الروح من جسد صاحبها الى جسد أسعد أو أشقى.
- ينكرون الجنة والنار والثواب والعقاب الأخرويين.
- ينكرون القرآن الكريم ويقولون إنه من وضع سلمان الفارسي، ولهم مصحف خاص بهم يمس المنفرد بذاته.
- يرجعون عقائدهم إلى عصور متقدمة جدًا، يفتخرون بالانتساب إلى الفرعـــــونية القديمة وإلى حكماء الهند القدامى.
- يبدأ التاريخ عندهم من سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م، وهي السنة التي أعلن فيها حمزة ألوهية الحاكم.
- يعتقدون أن القيامة **هي رجوع الحاكم الذي سيقودهم إلى هدم الكعبة وسحق المسلمين والنصارى** في جميع أنحاء الأرض، وأنهم سيحكمون العالم إلى الأبد، ويفرضون الجزية والذل على المسلمين.
- يعتقدون أن الحاكم العبيدي أرسل خمسة أنبياء هم (حمزة وإسماعيل ومحمد الكلمة وأبوالخير وبهاء).
- يحرمون التزاوج مع غيرهم والصدقة عليهم ومساعدتهم، كما يمنعون التعدد وإرجاع المطلقة.
- يحرمون البنات من الميراث.
- لا يعترفون بحرمة الأخ والأخت من الرضاعة.
- يقولون في الصحابة أقوالاً منكرة، منها قولهم: الفحشاء والمنكر هما (أبوبكر وعمر) رضي الله عنهما.
- لايصومون في رمضان، ولا يحجون إلى بيت الله الحرام، وإنما يحجون إلى خلوة البياضة في بلدة حاصبية في لبنان.
- إن الجذور الفكرية والعقائدية للدروز ترجع إلى المذهب الباطني، وخاصة الباطنية اليونانية متمثلة في أرسطو وأفلاطون وأتباع فيثاغورس، واعتبروهم أسيادهم الروحانيين، وأخذوا جُلّ معتقداتهم عن الطائفة الإسماعيلية، وتأثروا بالدهريين في قولهم بالحياة الأبدية، وبالبوذيين في كثير من الأفكار والمعتقدات، كما تأثروا ببعض الفلاسفة الفرس والهند والفراعنة القدامى.


خلوات البياضة

شُيّد مقام **خلوات البيّاضة في لبنان** منذ أكثر من ثلاثة قرون ونصف قرن، أسسها الشيخ سيف الدين شعيب على تلة تقع جنوب غربي حاصبيا في موقع يسمى البيّاضة. ومع مرور الزمن تحوّلت هذه الخلوة إلى مجموعة خلوات اقتداء بالشيخ سيف الدين الناسك.

يبلغ مجموع الخلوات القائمة اليوم نحو ٥٠ خلوة، تقتصر الإقامة فيها على رجال الدين وطلاب العلم والزهد. وعلى الطالب أن ينفق على إقامته من ماله الخاص لا من مال الوقف. عساف أبو رحال، جريدة المستقبل، سنة ٢٠٠٤م.


الملابس التقليدية لرجل الدين الدرزي، وإهتمامهم الخاص بإطالة الشوارب

جامع السلطان أحمد الأول في أستنبول

جامع **السلطان أحمد أو الجامع الأزرق** يقع في مدينة أستنبول ويقع تحديدًا في ميدان السلطان أحمد ويمكن الوصول إليه عن طريق المترو. وهو جامع مذهل في عمارته وأنواره بالليل يعد أحد أهم وأضخم المساجد في تركيا والعالم الإسلامي، ويقع مقابل لمتحف آيا صوفيا.

بُني المسجد بين عامي ١٠١٨ ـ ١٠٢٥ هـ حسب أحد النوقشات على أحد أبوابه. **مهندسه:** محمد آغا أشهر المعماريين الأتراك بعد سنان باشا وداوود أغا. يقع المسجد جنوبي آيا صوفيا وشرقي ميدان السباق البيزنطي القديم. وله سور مرتفع يحيط به من ثلاث جهات، وفي السور خمسة أبواب، ثلاثة منها تؤدي إلى صحن المسجد واثنان إلى قاعة الصلاة.

يتكون الصحن من فناء كبير، ويتوسط الصحن ميضأة سداسية محمولة على ستة أعمدة، أكبر الأبواب التي تؤدي إلى الصحن يظهر فيه التأثر بالفن السلجوقي.

داخل المسجد على شكل مستطيل طولي ضلعيه ٦٤م و ٧٢ م وتتوسطه قبة كبيره يحفها أربعة أنصاف قبة، كما أن كل ركن من أركان المسجد مغطى بقبب صغيرة ،بها عدد كبير من النوافذ المنفذة للضوء.

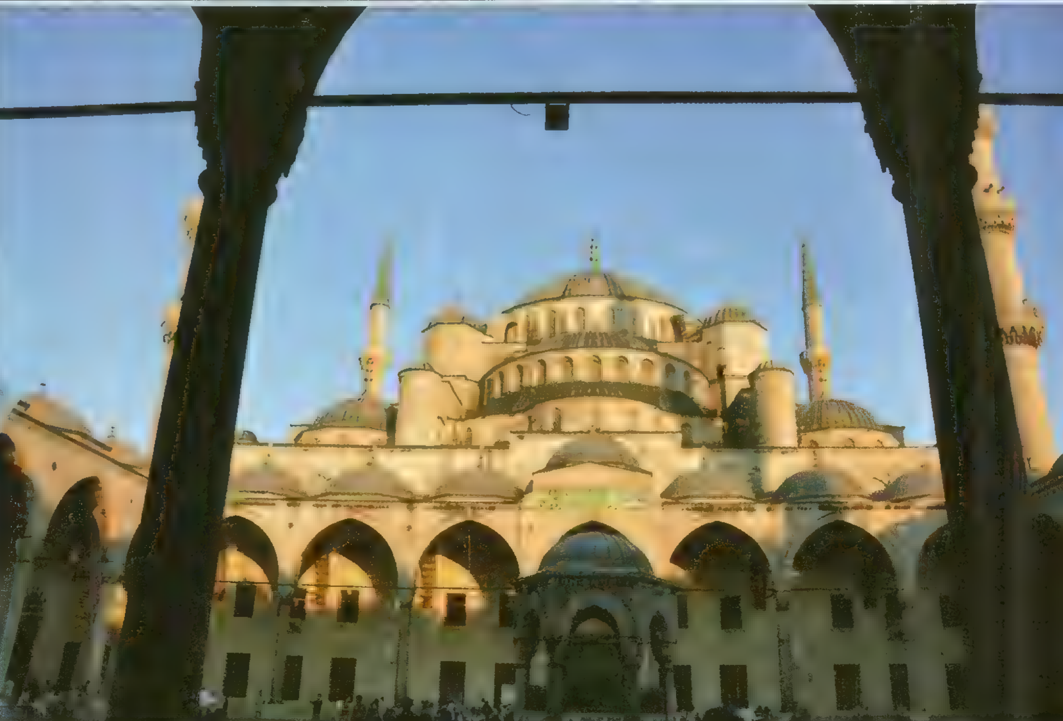
وجامع السلطان أحمد يعد أحد أضخم الأعمال المعمارية، حيث تم البدء في بنائه سنة ١٠١٧هـ/١٦٠٩م، وانتهى العمل فيه سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٧م، ويُعد من المساجد السلطانية العظيمة، وله ست مآذن. وترتكز قبته على أربع دعائم أسطوانية، يبلغ قطر الواحدة منها ٥ أمتار، ويطلق على الدعائم اسم أرجل الفيل، وتشغل بالزخارف المدهونة باللون الأزرق من الداخل، وهو سبب تسميته بالجامع الأزرق.

أما سماته الهندسية والجمالية فهي غاية في الروعة، زُيِّن بعشرين ألف قطعة خزف من (أزنيق) تكسو جدرانه من الداخل، ويتخللها اللون الأصفر للزهور التقليدية. وتطل ٢٦٠ نافذة على باحة المسجد الخارجية، ويبرز به فن الخط الإسلامي الذي نسخه وشبكه سيد قاسم غوباري، أعظم الخطاطين الأتراك آنذاك، وهو يعطي لمسات روحانية للمصلين.

إذا كان **المسجد الحرام** يحتوي على ست مآذن؛ فقد لاقى السلطان أحمد نقدًا كبيرًا على فكرة المآذن الست في جامعه؛ لكنه تغلب على هذه المشكلة **بتمويل بناء المئذنة السابعة في المسجد الحرام** ليكون مسجده المسجد الوحيد في تركيا الذي يحوي ست مآذن.

صورة قديمة للمسجد أُلتقطت قبل سنة ١٨٩٥م

واجهة جامع السلطان العثماني أحمد الأول (رحمه الله) بمآذنه الست، ويعرف بالجامع الأزرق



جامع السلطان أحمد الأول من المساجد السلطانية.. له ست مآذن، وقطر قبته ٢٣,٥ مترًا وارتفاعها ٤٣ مترًا.



أحد المداخل الرئيسة لجامع السلطان أحمد

تحيط بصحن الجامع البوائك المحمولة على ستة وعشرين عموداً من الغرانيت، والمسقوفة بقباب نصف كروية يبلغ عددها ثلاثين قبة



بيت الصلاة ويزدان بالزخارف الإسلامية



صحن الجامع من الداخل



ثرية المسجد تحت القباب المزخرفة بالزخارف الإسلامية الأصيلة في داخل مسجد السلطان أحمد

كان **السلطان أحمد** -رحمه الله- في غاية التقوى، وكان رجلًا مثابرًا في الطاعات، ويباشر أمور الدولة بنفسه، وكان متواضعًا في ملابسه، وكان كثير الاستشارة لأهل العلم والمعرفة، والقيادة، وكان شديد الحب للنبي صلى الله عليه وسلم، وفي عهده بدأ إرسال ستائر الكعبة الشريفة من أستنبول، وقبل ذلك كانت ترسل من مصر، توفي -رحمه الله- في سنة ١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م ودفن عند جامع السلطان أحمد.

وكان يحمل هذه الأبيات الشعرية واضعًا إياها تحت عمامته:

أرغب دومًا في حمل صورة انطباع أقدام النبي عالي المقام

من هو سيد الأنبياء فوردة الحديقة الأنبياء ملكة هذه الأقدام الشريفة

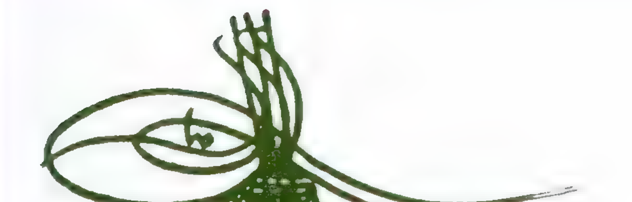
فيا أحمدي لاتتردد ولو للحظة ومرغ وجهك بأقدام الوردة الرفيعة الشريفة.



(١٠٢٦-١٠٢٧ هـ)



(١٦١٧ - ١٦١٨م)



والده: السلطان محمد الثالث

والدته: خاندان سلطان

ولادته: سنة ١٠٠١ هـ / ١٥٩٢م

وفاته: سنة ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٩م

مدة حكمه: **الأولى** ١٠٢٦ - ١٠٢٧هـ / ١٦١٧ - ١٦١٨م. **الثانية** ١٠٣٢ هـ - ١٦٢٣م

تولى **مصطفى الأول** العرش في يوم ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٦١٧م. أي بعد وفاة أخيه أحمد الأول. غير أنه عزل بعد ثلاثة أشهر، وذلك بموافقة كبار رجال الدولة، وهم أسعد أفندي المفتي، ومصطفى آغا، ومحمد باشا الصوفي القائم مقام، الذين فسروا عدم أهليته للسلطنه بوصفه مختل المدارك العقلية. وقد رحب هو نفسه بقرار أعضاء الديوان بعزله، وتنصيب عثمان الثاني خلفًا له. لكن بعد وفاة هذا السلطان **أعيد مصطفى الأول إلى العرش** رغم ما في عقله من خلل.

وفي عهده تمرد الفرسان من جيش قابي قولو، وأعدم داود باشا المتهم بقتل السلطان **عثمان الثاني** في ٨ كانون الثاني/جانفي ١٦٢٣م. اجتمع أركان الدولة وقرروا للمرة الثانية عزل مصطفى الأول، ونصبوا عوضًا عنه **مراد الرابع**، وقد أفتى شيخ الإسلام أسعد أفندي في ذلك بأنه : "لايجوز خلافة مختل العقل".

توفي مصطفى الأول بعد عزله بستة عشر عامًا عن عمر يناهز السابعة والأربعين ، **ودفن في جامع أيا صوفيا.**


جامع أيا صوفيا - استنبول



(١٠٢٧-١٠٣٢هـ)

(١٦١٨ - ١٦٢٣م)



والده: السلطان أحمد الأول

والدته: ماه فيروز خاسكي سلطان

ولادته: سنة ١٠١٢هـ / ١٦٠٤م

وفاته: سنة ١٠٣٢هـ / ١٦٢٣م

مدة حكمه: من ١٠٢٧ - ١٠٣٢هـ / ١٦١٨ - ١٦٢٣م

ولد **عثمان الثاني** في أستنبول، وقد اعتنت والدته بتربيته، وحرصت على أن يبلغ مستوى تعليميًّا جيدًا، فأحسن فنون الخط وكتابة الشعر. من جهة أخرى، كان هذا السلطان وسيمًا وذكيًّا ونشيطًا، قد قال فيه الشاعر والمؤرخ عبدالرحمن الملاح مايلي:

الإمام العادل الملك الذي   هو ذو النورين عثمان المؤيد
ملك فوق السماكين سما   وله في هامة الجوزاء مقعد
آل عثمان لهم فخر به   وهو في الأحكام بالحق مسدد
عن أبيه قد بدا بدر الهدى   ولقد أحيا لنا السلطان أحمد
من تولى الملك في عام الصفا   أرخوه شاه عثمان مؤيد

أما السفير الإنجليزي توماس رو فقد قال عنه: "كان **عثمان** سلطانًا مغرورًا، وكان شابًا شجاعًا".

تولى الحكم بعد عزل عمه مصطفى الأول، وكان صغيرًا لم يزد عمره على الثالثة عشرة، **أعلن الجهاد على بولونيا لتدخلها في شؤون إمارة البغدان، وتم الصلح بين الطرفين سنة ١٠٢٩ هـ/ ١٦٢٠م بناء على طلب بولونيا، وطلب الإنكشارية**، الذين تعبوا من مواصلة القتال، فغضب الخليفة عليهم من طلبهم الراحة وخلودهم إلى الكسل وإلزامه على الصلح مع بولونيا، فعزم على التخلص من هذه الفئة الباغية، ولأجل الاستعداد لتنفيذ هذا الأمر الخطير أمر بحشد جيوش جديدة في ولايات آسيا، واهتم بتدريبها وتنظيمها، وشرع فعلًا في تنفيذ هدفه، وعلمت الإنكشارية بذلك فهاجوا وماجوا، وتذمروا واتفقوا على عزل السلطان، وتم لهم ذلك في ٩ رجب سنة ١٠٣١هـ/ ٢٠ مايو سنة ١٦٢٢م، وأعادوا مكانه السلطان مصطفى، وقتلوا السلطان عثمان الثاني.

ترك لنا بعض الأشعار منها:

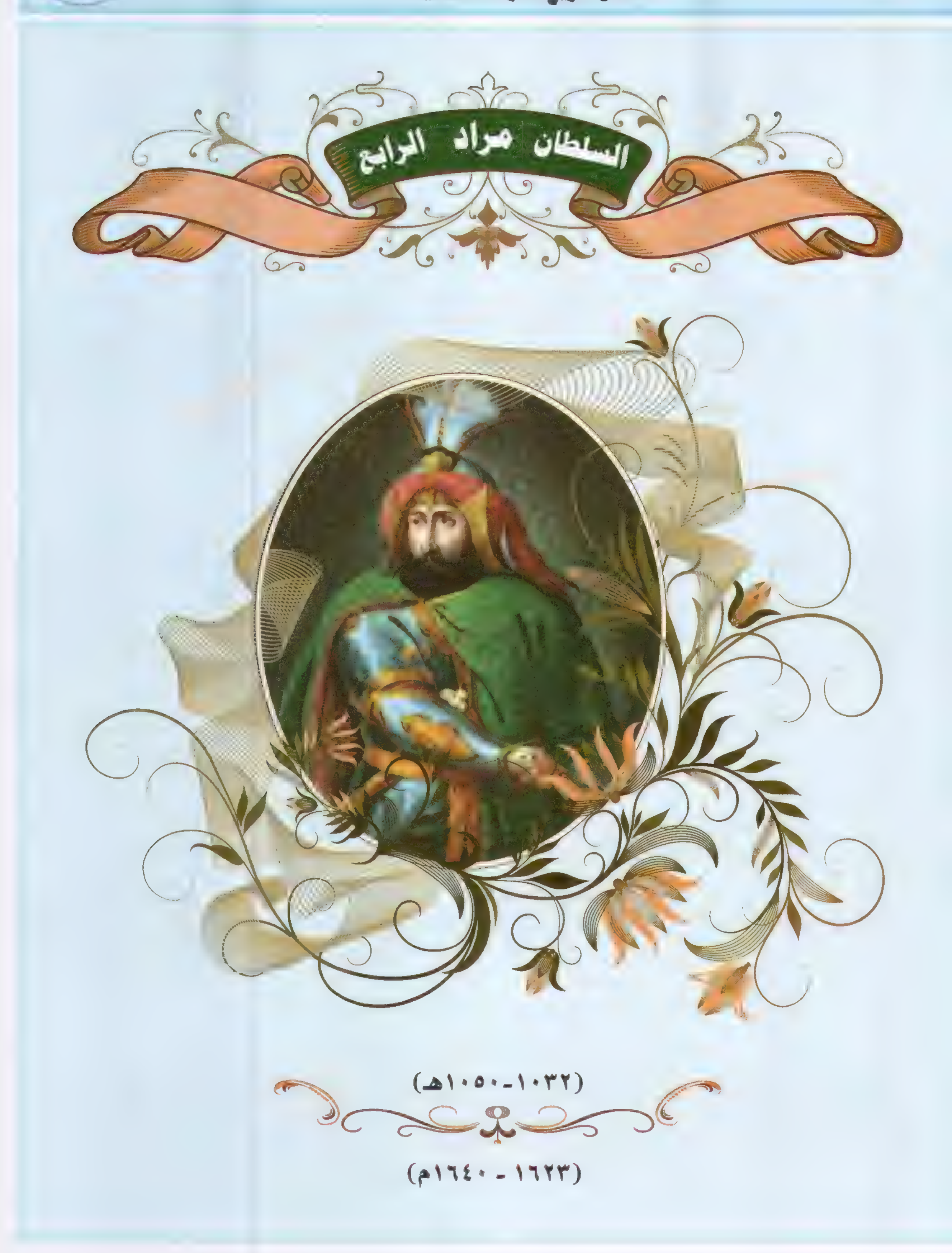
كانت نيتي الخدمة لحكومتي ودولتي
وللعجب أن الحسود يعمل لنكبتي

الأعلام الذين عاصروه:

ملا غنيم البغدادي، الشيخ أبو الغيث القشاش

أبناؤه: عمر ومصطفى.   **بناته:** زينب سلطان.

عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون،تعريب محمد جان، ص ٦٣.



(١٠٣٢-١٠٥٠هـ)

(١٦٢٣ - ١٦٤٠م)



والده: السلطان أحمد الأول

والدته: كوسم سلطان

ولادته: سنة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢م

وفاته: سنة ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠م

مدة حكمه: من ١٠٣٢ - ١٠٥٠هـ/١٦٢٣ - ١٦٤٠م

كان **مراد الرابع** قوي البنية ومتدينًا إلى درجة كبيرة، كما كان شاعرًا مجيدًا يكتب باسم" مرادي" و"شاه مراد".

تولى أمر السلطنة بعد عزل عمه مصطفى سنة ١٠٣٢هـ/١٦٢٢م وهو أخو عثمان الثاني، ولصغر سنه فقد سيطر الإنكشارية عليه. وكانت أحوال الدولة سيئة للغاية، فقام بإصلاح الأحوال الداخلية أولًا، حتى يتسنى له التفرغ للأحوال الخارجية، ولذلك بدأ بالقضاء على طغاة العسكر الذي قتلوا أخاه السلطان عثمان، وأعدم جميع المتأسدين في أستنبول وفي جميع أنحاء الدولة، وأسس تشيكلات قوية للمخابرات، وثبت من خلالها أسماء جميع المستبدين في الدولة، وكان إذا صادف بلدًا في أسفاره كان يدعو مستبديها باسمهم ويعدمهم. شدد في منع الخمر والتدخين، وأعدم كل مرتد عن الإسلام.

الأعلام الذين عاصروه:

الإمام أحمد فاروق السرهندي، وهو من شيوخ النقشبندية، وقد توفي سنة١٠٣٤هـ/١٦٢٩م.آلتي بارماق، محمد أفندي، غاني زاده، نادر أفندي، يس أفندي، الشيخ عزيز محمود خداتي المتوفى سنة ١٠٣٤هـ/١٦٢٩م، الشيخ عبدالرحمن قره باش، الشيخ إسماعيل الأنقروي.

أبناؤه:

سليمان، محمد، علاء الدين، أحمد.(وفي بعض الروايات تقول : أنه لم يعقب ذكورًا).

بناته:

صفية سلطان، كوهرخان سلطان، قايا اسمي خان سلطان ، رقية سلطان، زينب سلطان.

وفاته:

مرض السلطان مراد الرابع سنة ١٦٤٠م وكان يخشى عليه من الموت، ولكن شفي -بأمر الله تعالى- ثم مرض من جديد وتوفي -رحمه الله- في ٨ شباط ١٦٤٠م؛ بسبب مرض النقرس، وامتد حكمه ١٦ سنة و١١ شهرًا، استلم الخزينة عند ارتقائه العرش فارغة، وتركها مملؤة عند وفاته، لقد كان هذا السلطان عاقلًا شجاعًا ثاقب الرأي ، استأصل الفساد وقمع العصاة، **ولقب بمؤسس الدولة الثاني، لأنه أحياها بعد السقوط وأصلح حال ماليتها**.تاريخ الدولة العثمانية، ص١٣٦.

العلاقات الصفوية العثمانية في عهد مراد الرابع

سنحت الفرصة في سنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م، في أثناء حصول اضطرابات داخلية في الدولة العثمانية على إثر اغتيال السلطان **عثمان الثاني**، إذ نجح **أحد كبار القادة العسكريين في بغداد**، ويدعى **بكر الصوباشي**، في قتل حاكم المدينة يوسف باشا، والاستيلاء على مقاليد الأمور فيها معلنًا تحديه للحكومة المركزية في أستنبول.

لم يسكت **الباب العالي** عن هذه الحادثة، **لأن بغداد** كانت لها أهميتها الخاصة بالنسبة للعثمانيين، لذلك أمر السلطان والي ديار بكر (حافظ باشا)، **بتأديب بكر** والإطاحة به.

وأدرك **بكر** أنه أضعف من أن يواجه القوات العثمانية، فاستنجد **بالشاه عباس الصفوي**، ووعده بتسليمه بغداد، وكانت فرصة ذهبية استغلها الشاه وبعث بجيش إلى العراق.

وقف حافظ باشا عاجزًا أمام المدينة الحصينة، فعمد إلى اتباع أسلوب التحايل لطرد الصفويين وإبعادهم عنها، فعقد صلحًا مع بكر وعيَّنه واليًا عثمانيًا عليها، وترك المنطقة عائدًا إلى بلاده. قَبِلَ بكر قرار تعيينه، لأنه أدرك أنه لن يحتفظ بمكانته في ظل الحكم الصفوي في حين أنه باستطاعته التفاهم مع العثمانيين، لكن **عباسًا** لم يعترف بما حدث، وواصلت جيوشه زحفها باتجاه **بغداد**، وحاصرتها مدة ثلاثة أشهر، ثم **اغتصبتها بمساعدة محمد الصوباشي**، ابن بكر، الذي كان يتولى حماية القلعة، إذ طمع في أن يعينه الشاه حاكمًا على بغداد بعد إقصاء أبيه عنها، لكن **الشاه إسماعيل الصفوي قتل الأب**، في حين أن ابنه سيطر على بغداد في سنة ١٠٣٢هـ/١٦٢٣م.

ثم حدث أن توفي الشاه عباس في سنة ١٠٣٨هـ/١٦٢٣م، فخلفه ابنه شاه صفي، وكان صغير السن، **فاستغلت الدولة العثمانية هذا الوضع، وعمدت إلى استعادة العراق من السيطرة الصفوية** بالإضافة إلى الأراضي التي خسرتها مؤخرًا، فأرسل السلطان **مراد الرابع** جيشًا بقيادة الصدر الأعظم خسرو باشا، دخل مدينة **همذان** في سنة ١٠٣٩هـ/١٦٣٠م، إلا أنه ارتد عن مدينة بغداد بعد أن حاصرها بفعل حلول فصل الشتاء، وأعاد الكرة في الربيع، لكنه فشل أيضًا بفعل تمرد الإنكشارية.

ويبدو أن السلطان **مراد الرابع** أصرَّ على إعادة بسط سيطرته على العراق والأراضي التي كانت تابعة للدولة العثمانية منذ أيام السلطان سليمان الأول، لذلك خرج على رأس جيش كبير متوجهًا إلى بغداد، ولما وصل إليها حاصرها ثم اقتحمها في ١٧ شعبان ١٠٤٨هـ/ ٢٤ كانون الأول ١٦٣٨م.

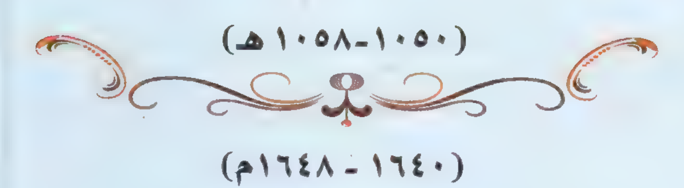
واضطر الصفويون إلى عقد **معاهدة (قصر شيرين)** في ١٤ محرم ١٠٤٩هـ/ ١٧ أيار ١٦٣٩م، التي تُعدُّ من الأسس التي قامت عليها **معاهدات الحدود بين الطرفين فيما بعد**، فتنازل الصفويون عن مدينة بغداد للعثمانيين، في حين تخلَّت الدولة العثمانية عن مدينة روان للصفويين.



اندلعت الحرب بين العثمانيين السُّنَّة مع الشيعة الصفوية في العراق سنة ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م، فقاد السلطان مراد الرابع الجيوش بنفسه واتجه إلى **بغداد**، وكان الشاه عباس الصفوي قد استولى عليها وقتل واليها العثماني وأذلَّ أهل السُّنَّة بها وعمل بهم الأفاعيل، فحاصر مراد بغداد وهدم جزءًا كبيرًا من أسوارها بالمدفعية ودخلها سنة ١٠٤٨هـ/١٦٤٨م، وقتل من جنود الشيعة المحاربين عشرين ألفًا، ثم أقام بها مدة جدد عمارتها، وأصلح ما تهدم من أسوارها، وعين لها وزيرًا، وكان مراد الرابع يباشر الحروب بنفسه، ويخالط جنوده، وينام أحيانًا في الغزوات على حصانه. د. علي الصلابي، الدولة العثمانية، ص٣٢٩.



(١٠٥٠-١٠٥٨هـ)



(١٦٤٠ - ١٦٤٨م)



والده: السلطان أحمد الأول

والدته: كوسم سلطان

ولادته: سنة ١٠٢٧ هـ / ١٦١٦م

وفاته: سنة ١٠٥٨ هـ / ١٦٤٨م

مدة حكمه: من ١٠٥٠ - ١٠٥٨ هـ/ ١٦٤٠ - ١٦٤٨م

كان **إبراهيم الأول** طويل القامة، قوي البنية، أشقر اللحية، وقد بذلت أمه قصارى جهدها في سبيـل تربيتـه وتعليمه، إلا أنه كان مخبـولًا وكان أكثر انشغالًا برغباته الشخصيـة من اهتمامه بشؤون الدولة. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون، تعريب محمد جان، ص ٦٦.

تـولى الحكـم بعد أخيه مراد الذي لم يعقب ذكوراً، ولم يبق بعد موت السلطان مراد الرابع من نسل آل عثمان سوى أخيه السلطان إبراهيم، الذي كان مسجوناً مدة سلطنة أخيه، ولما توفي أخوه أسرع كبار المملكـة إلى مـكان الحبس ليخبروه بذلـك، فعندما قدموا ظـن أنهم قادمون لقتلـه، فخاف وذعر ولم يصدق ماقالوه له، ولذلك لم يفتح لهم باب السجن، فكسروه ودخلوا عليه يهنئونه، فظن أنهم يحتالون عليـه للاطلاع على ضميره، فرفض قبول الملك بقولـه: إنه يفضل الوحدة التي هو بها على ملك الدنيا، ولـما أن عجـزوا عن إقناعه، حضرت إليه والدتـه وأحضرت له جثة أخيه دليـلاً على وفاته، وحين ذلك جلس على سرير السلطنة، ثم أمر بدفن جثة أخيه باحتفال وافر، وساق أمامها ثلاثة أفراس من جياد الخيـل التـي كان يركبهـا فـي حرب بغـداد، ثم مضـى إلى جامع أبي أيـوب الانصـاري، وهناك قلدوه بالسيف، ونادوا له بالخلافة. يوسف آصاف، تاريخ سلاطين آل عثمان، ص١٠٥.

الأعلام الذين عاصروه:

الشاعر روحي البغدادي، عبد الله السينوبي، شارح كتاب (فصوص الحكم). المؤرخان بحوي وأوليا جلبي.

أبناؤه:

محمد الرابع، سليمان الثاني، أحمد الثاني، أورخان، بايزيد، جهانكير، سليم، مراد.

بناته:

أم كلثوم سلطان، بيكان سلطان، عاتكة سلطان، عائشة سلطان، كوهرخان سلطان.

دافع صاحب كتاب "السلاطين العثمانيون" عن **السلطان إبراهيم**، وقال: إن الافتراءات الكاذبة التي قيلت في حقه أكاذيب مختلقة من قبل الذين أرادوا عزله ثم قتلوه بعد ذلك. ولقد كانت الأحوال الداخلية شبه مستقرة بسبب إصلاحات أخيه نحو الإنكشارية، وتجديد الجيش، فاتجه إلى الاقتصاد في نفقات الجيش والأسطول وإصلاح النقد وإقامة النظام الضرائبي على أسس جديدة.

(٢) في أثناء الاشتباكات في جزيرة كريت قامت دولة البندقية بالرد على العثمانيين بالإغارة على عدد من ثغور المورة (اليونان)، وذكر المستشرقون في كتبهم أن الخليفة إبراهيم هاج لهذا الأمر واعتزم قتل جميع المسيحيين في أستنبول، لولا أن وقف في وجهه "أسعد زاده" أبو "سعيد أفندي" شيخ الإسلام، وحذره من الإقدام على مثل هذا العمل.

(١) قررت الدولة فتح جزيرة كريت، فأعلنت الحرب على البنادقة واعتقل كل البنادقة في البلاد، ودأب السلطان إبراهيم على زيارة الترسانة البحرية، والإشراف على الاستعدادات، وأعطى القيادة العليا لمشير البحر الوزير يوسف باشا، وتحركت الحملة باحتفال كبير في ٥ من ربيع الأول ١٠٥٥ هـ/٣٠ إبريل ١٦٤٥م، وكانت تضم ١٠٦ سفينة و٣٠٠ ناقلة جنود، وما يزيد على ٧٠ ألف جندي، وفي الطريق توقفت في نافارين، ثم وصلت الحملة إلى كريت، وضربت حصارًا حول قلعة "كانية"، واستسلمت القلعة على الرغم من تحصينها وقوة دفاعاتها وذلك لعدم وصول أسطول البندقية في الوقت المناسب، غير أن الحملة لم تتمكن من السيطرة على الجزيرة كلها، وتركت قوة تعدادها ١٢٠٠٠ جندي للمحافظة على كانية وحمايتها، ومواصلة فتح الأجزاء المتبقية في الجزيرة، وفي السنة اللاحقة فرض العثمانيون حصارًا حول "كنديا" عاصمة الجزيرة، لكن حال دون فتحها تمرد الجنود الإنكشارية.

مسار القوات العثمانية إلى جزيرة أقريطش (كريت)

الفتح العثماني لجزيرة كريت في عهد السلطان إبراهيم ابن السلطان أحمد

٠ ٢٠٠ ٤٠٠ كم

ظلت **جزيرة كريت** تابعة للإمبراطورية البيزنطينية حتى فتحها أبو حفص عمر البلوطي الأندلسي الذي أقام إمارة فيها، ثم ما لبث أن استعادها منه الإمبراطور البيزنطي نقفور الثاني سنة ٣٤٨ هـ/٩٦٠م، ثم سقطت بيد البنادقة سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م خلال الحملة الصليبية الرابعة، ضمت الجزيرة إلى اليونان سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م **بعد قرون من الحكم العثماني.**

أطلق عليها العرب (أقريطش)، وعرفت عند الأتراك باسم (جزيت) وحديثًا باسم جزيرة كريت، وتتبع حاليًا اليونان وهي أكبر الجزر اليونانية، وتوجد ضمن الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وفي أقصى جنوبي بحر إيجة، وعاصمتها كانديا (أوالخندق)، وهو اسم أطلقه الأندلسيون عندما حكموا كريت، واستبدل حديثًا (هرقليون).



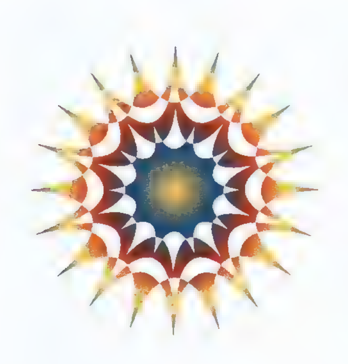
مسجد الباشا العثماني في جزيرة كريت

وفاة السلطان إبراهيم[١]:

ازدادت **أحوال الدولة العثمانية** سوءًا، واضطربت ماليتها، ونزع الإنكشارية إلى التكتل والتدخل في شئون الدولة، وحاول السلطان إبراهيم أن يقمع الفتنة، ويتخلص من زعماء الإنكشارية بعد أن علا صوتهم، وازداد تدخلهم في شؤون الدولة، وتركوا مهمتهم الأصلية في الدفاع عنها ومهاجمة أعدائها إلى التذمر وانتقاص أعمال السلطان، والقيام بالسلب والنهب.

وعندما علم زعماء الإنكشارية بعزم السلطان، تحركوا سريعًا وأعلنوا ثورتهم، وعاونهم فيها شيخ الإسلام "عبد الرحيم أفندي" وبعض العلماء، وكانت السلطانة الوالدة "كوسم سلطان" تقف وراء الثورة، واتفق الجميع على عزل السلطان وتولية ابنه "محمد الرابع"، ولم يكن قد أتم السابعة من عمره، ووقعت هذه الثورة في ١٨ من رجب ١٠٥٨ هـ/ ٨ أغسطس ١٦٤٨م، وتحقق لها خلع سلطان غير قدير إلى حد كبير، ولا يصلح لتولي مسؤولية دولة عظيمة كالدولة العثمانية، غير أن وجوده كان سيمنع -على الأقل- كثيرًا من التصرفات السيئة إذا ما قورن بالنتائج السيئة التي ستترتب على جلوس طفل صغير على عرش دولة كبيرة.

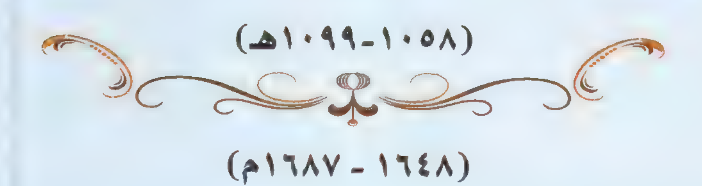
وبعد عشرة أيام من عزله قرر العصاة -الذين قاموا بهذه الفتنة- قتله حين تنادى بعض رجال الدولة بضرورة عودته، لكن ذلك لم يكن في صالحهم، وكان عمر السلطان حين قتل خنقًا قد بلغ الثالثة والثلاثين، ودُفن في قبره الموجود في رواق جامع "آيا صوفيا" إلى جانب عمه "مصطفى الأول".



١- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٢٨٨ .



(١٠٥٨-١٠٩٩هـ)



(١٦٤٨ - ١٦٨٧م)



والده: السلطان إبراهيم

والدته: طورخان سلطان

ولادته: سنة ١٠٥١ هـ / ١٦٤٢م

وفاته: سنة ١٠٩٩ هـ / ١٦٨٧م

مدة حكمه: من ١٠٥٨ - ١٠٩٩هـ/١٦٤٨- ١٦٨٧م

ولد السلطان **محمد الرابع** في أستنبول، وقد اهتمت والدته بتعليمه، فنشأ محبًا للأدب، كما كان مولعًا بالصيد، حتى لقب بعوجي أي الصياد. وقد ارتقى العرش في حقبة تميزت بالاضطراب السياسي ولم يكن عمره آنذاك يتجاوز الست سنوات، وكان النفوذ الفعلي بيدي والدته.

الأعلام الذين توفوا في عهده:

محمد معصوم، وهو من شيوخ النقشبندية، وقد توفي سنة ١٠٧٩هـ / ١٦٦٩م. الشيخ جوري إبراهيم جلبي، الشيخ صاري عبدالله أفندي، الشيخ محمد واني أفندي.

أبناؤه:

مصطفى الثاني، أحمد الثالث، أحمد، بايزيد.

بناته:

خديجة سلطان، صفية سلطان، أم كلثوم سلطان، فاطمة سلطان.

كان السلطان **محمد الرابع** حين جلس على عرش الدولة في السابعة من عمره، فقد ولد في ٢٩ رمضان ١٠٥١ هـ/١ يناير ١٦٤٢م، ولما كان صغيرًا فقد تولت جدته "كوسم مهبيكر" نيابة السلطنة، وأصبحت مقاليد الأمور في يديها، واستمرت مدة نيابتها ثلاث سنوات، ساءت فيها أحوال الدولة وازدادت سوءًا على سوء، واستبد الإنكشارية بالحكم، وسيطروا على شئون الدولة، وتدخلوا في تصريف أمورها، ولم يعد لمؤسسات الدولة معهم حول ولا قوة، وقد أطلق المؤرخون على هذه المدة "سلطنة الأغوات".

وبعد وفاة السلطانة الجدة سنة ١٠٦٢ هـ/١٦٥١م، لم يكن محمد الرابع قد بلغ السن التي تمكنه من مباشرة سلطاته وتولي زمام الأمور، فتولت أمه السلطانة خديجة تاريخان نيابة السلطنة، وكانت شابة في الرابعة والعشرين، اتصفت على صغرها برجاحة العقل واتزان الرأي، ذات رأي وتدبير، تحرص على مصالح الدولة العليا التي أصبحت تعصف بها أهواء الإنكشارية، ولذا شغلت نفسها بالبحث عن الرجال الأكفاء الذين يأخذون بيد الدولة، ويعيدون إليها هيبتها، وكانت تأمل في أن تجد صدرًا أعظم قديرًا يعتمد عليه السلطان في جلائل الأعمال، حيث توالى على هذا المنصب كثير من رجال الدولة الذين عجزوا عن الخروج بدولتهم من محنتها الأليمة.

وجدت السلطانة الشابة ضالتها المنشودة بعد خمس سنوات من البحث الدؤوب في **محمد باشا كوبريللي**، وهو من أصل ألباني، قوي الشكيمة، ورجل دولة من الطراز الأول، فاشترط لنفسه قبل أن يتولى هذا المنصب الرفيع أن يكون مطلق اليد في مباشرة سلطاته وألا تُغلّ يده، فقبلت السلطانة هذا الشرط؛ حرصًا على مصالح الدولة.

أســــرة آل كوبريللي:

من الأسر الشهيرة التي كان لها فضل كبير-بعد الله تعالى- في حفظ الدولة العثمانية من الانهيار، في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي). أصبح كوبريللي محمد باشا صدرًا أعظم سنة ١٠٦٧هـ، ١٦٥٦م، حينما جعل حصار البنادقة للدردنيل الدولة العثمانية في وضع حرج للغاية، فأراد القصر بزعامة السلطانة والدة السلطان محمد الرابع البحث عن رجل قوي محنك، يخرج البلاد من محنتها، فتم اختياره لتولي الصدارة. ينتمي إلى قرية روجنك قرب بيرات في ألبانيا.

عمل وتدرب **كوبريللي محمد علي** في القصر، ثم أصبح حاكمًا عامًا لمقاطعة طرابزون سنة ١٠٥٥هـ/١٦٤٥م حتى سنة ١٠٦١هـ/١٦٥٠م حيث عين في المجلس السلطاني، ثم أعفي بعد أسبوع من تعيينه، فرجع إلى كوبرو، تلك المدينة الصغيرة شمالي الأناضول التي اكتسب منها لقبه.

أما كوبريللي فاضل أحمد بن كوبريللي محمد الأكبر فقد ولد سنة ١٠٤٦هـ/١٦٣٦م، وأصبح معلمًا في سن السادسة عشرة، ودخل في الخدمة المدنية عندما أصبح والده صدرًا أعظمًا، وتولّى حكم ولايتي أرضروم ودمشق سنة ١٠٧١هـ/١٦٦٠م، قبل أن يصبح نائبًا عن أبيه في أثناء مرضه. وتولى الصدارة سنة ١٠٧٢هـ/١٦٦١م، ولم يقل عن والده كفاءة في الإدارة. فقد استطاع إحراز نصر حربي كبير للعثمانيين على النمساويين سنة ١٠٧٤هـ/١٦٦٣م، **استفز أوروبا**، فدعا البابا إلى حلف مقدس كان أبرز أعضائه من فرنسا، التقى مع العثمانيين في **معركة سان جوتار** التي انتهت دون نصر حاسم لأحد الطرفين، ثم أعقبتها معاهدة **فاسفار مع النمسا**، التي كانت في مجموعها في صالح الدولة العثمانية. **وإليه ينسب إنشاء المكتبة المشهورة، مكتبة كوبريللي بإسلامبول (أستنبول)**. وكان ينوب عنه صهره وزوج أخته قرة مصطفى في أثناء غيابه. اتبع سياسة والده في إنقاص عدد الإنكشارية والسباه، وجعلهم أكثر فعالية، بفرض روح الانضباط بينهم، واسترجع جزءًا مما فقدته الدولة في أثناء ضعفها.

أغار على **الروس** سنة ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م لتدخلهم في إقليم **أوكرانيا**. وتوفي في ذلك العام نفسه. وخلفه في الصدارة العظمى صهره قره مصطفى، فأعيد بناء القوة العثمانية في عهده، وحارب الروس، وحاصر فيينا سنة ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م. ولكن فشله خارجها وظهور التحالف النَّصراني تسبب في تدمير ما عمره سلفاه. وفقدت العائلة نفوذها إثر ذلك.

برز من هذه الأسرة أشخاص آخرون تقلدوا مناصب رفيعة، مثل: نعمان باشا، فاضل مصطفى، وأخيه عبدالله باشا، وحافظ أحمد بن نعمان باشا، وعبدالرحمن الابن الأكبر لعبدالله.



قلعة نوهزل شرقي فيينا

تحرك الصدر الأعظم (أحمد كوبريللي) من **أدرنة** على رأس جيش هائل يبلغ نحو ١٢٠ ألف جندي، مزودين بالمدافع والذخائر والعتاد، حتى وصل إلى **قلعة نوهزل الشهيرة**، وكانت تقع شمال غربي بودابست، على الشرق من فيينا بنحو ١١٠ كم، ومن ترانسلفانيا بنحو ٨٠ كم، وكانت بالغة التحصين، فائقة الاستحكامات حتى أصبحت من أقوى القلاع في أوروبا، وما إن وصل كوبريللي إلى القلعة حتى ضرب عليها حصارًا قويًا دام سبعة وثلاثين يومًا، اضطرت القلعة بعدها إلى طلب الصلح والاستسلام، فوافق الصدر الأعظم، شريطة جلاء الحامية عن القلعة بغير سلاح ولا ذخيرة، فدخلها في ٢٥ صفر ١٠٧٤هـ/٢٨ سبتمبر ١٦٦٣م، وبعد استسلام هذه القلعة العظيمة **استسلمت حوالي ٣٠ قلعة نمساوية**، **واضطرت النمسا إلى طلب الصلح**، ودفعت للدولة العثمانية غرامات حرب رزمية قدرها ٢٠٠ ألف سكة ذهبية، وأن تبقى كافة القلاع التي فتحتها الجيوش العثمانية تحت سيادتها، وعاد كوبريللي إلى أدرنة مكللًا بالنصر في ٢ رمضان ١٠٧٥هـ/ ١٧ مارس ١٦٦٥م.



مسكوكة نقدية إسلامية موجودة في متحف كريت

موقع جزيرة كريت من الفضاء الخارجي . م.ص. وكالة ناسا للفضاء

لم يكد يمضي سنتان على نصر فتح قلعة نوهزل النمساوية حتى كلف السلطان **محمد الرابع** قائده المظفر أحمد باشا كوبريللي باستكمال **فتح جزيرة كريت**، التي فتحها السلطان **إبراهيم الأول**، لكن ظلت قلعة "كانديه" وبعض القلاع بالجزيرة تقاوم العثمانيين بسبب المساعدات التي تتلقاها من بلاد أوروبا.

تحرك **كوبريللي على رأس أسطول بحري إلى جزيرة كريت**، وضرب حصارًا حول **كانديه** في رمضان ١٠٧٧ هـ/مارس ١٦٦٧م، ودام الحصار **نحو سبعة أشهر** صمدت خلالها القلعة، ثم عاود الحصار مرة أخرى في ٨ محرم ١٠٧٩هـ/١٨ يونيو ١٦٦٨م، لكنه طال هذه المرَّة، حتى تجاوز العامين، وفي النهاية تنازلت البندقية عن كانديه بما فيها من مدافع وأسلحة للدولة العثمانية، **وأصبحت كريت تابعة للدولة العثمانية**، وقضى كوبريللي وقتًا بعد الفتح في إصلاح القلاع والأسوار والأبنية، ثم غادر الجزيرة في ١٤ من ذي الحجة ١٠٨٠هـ/٥ مايو١٦٧٠م بعد أن ظل بها ثلاث سنوات ونصف السنة.

في أثناء تولي كوبريللي الصدارة العظمى دخلت بلاد القوقاز جنوبي روسيا في حماية الدولة العثمانية، فلما حاولت بولونيا الاعتداء على بلاد القوقاز استنجدت بالدولة العثمانية التي تحركت على الفور لنجدتها، وأجبرت ملك بولونيا على طلب الصلح.



الصراع العثماني الروسي حول أوكرانيا - موقع أوكرانيا في شرقي أوروبا



نشبت الحرب العثمانية مع روسيا بسبب الصراع حول أوكرانيا فغادر السلطان محمد الرابع وقرة مصطفى باشا الصدر الأعظم الذي تولى المنصب بعد وفاة كوبريللي في ٢٤ رمضان ١٠٨٧هـ/ ٣٠ أكتوبر ١٦٧٦م أستنبول على رأس حملة هائلة هي **الحملة الأولى لسلطان عثماني على روسيا** في ٨ ربيع الأول ١٠٨٩هـ/ ٣٠ مارس ١٦٧٨م، حتى بلغت قلعة جهرين في أوكرانيا، فضربت حولها حصارًا، وكانت قلعة محصنة، وكان يدافع عنها جيش روسي ضخم يقدر بمئتي ألف جندي، لكن القلعة سقطت بعد اثنين وثلاثين يومًا، وقُتل من الجيش الروسي ٢٠ ألف جندي، ثم عاود السلطان **محمد الرابع** حملة ثانية على روسيا بعد عامين من حملته الأولى، لكنها انتهت بعقد **معاهدة أدرنة** بين الدولتين في ٢٢ محرم ١٠٩٢هـ/ ١١ فبراير ١٦٨١م، **واتفق الطرفان على أن تقسم أوكرانيا بين العثمانيين والروس**، على أن يكون القسم الأكبر من البلاد تحت الحكم العثماني، وأن تستمر روسيا في تقديم الضريبة السنوية إلى **بلاد القرم** التابعة للعثمانيين، وأن تدفع المبالغ المتراكمة عليها خلال سنوات الحرب مرَّة واحدة.



في سنة ١٠٦٧- ١٠٩٧هـ/١٦٥٧-١٦٨٦م، قامت حرب مدمرة دامت ثلاثين عامًا بين **روسيا وبولندا والعثمانيين والقوزاق** من أجل السيطرة على **أوكرانيا**. سيطرت جيوش خملنتسكي لثلاث سنوات على غربي ووسط أوكرانيا الحالية، ولكن حلفاءه التتار تخلوا عنه، ليتعرض لهزيمة ساحقة في بيريستيشكو، مما دفعه لطلب العون من القيصر الروسي. في ١٦٥٤م، وقع خملنتسكي معاهدة بيرياسلاف، وتم تشكيل تحالف عسكري وسياسي مع روسيا التي أعلنت الولاء للقيصر. تصاعدت وتيرة الحروب بمقتل مئات الآلاف. جاءت الهزيمة في سنة ١٠٩٧هـ/١٦٨٦م ونجم عن "السـلام الدائم" بين روسـيا وبولندا ضم أراضي **كييف والقوزاق شرقي دنيبر** إلى الحكم الروسي والأراضي الأوكرانية غربي دنيبر لبولندا.

جزر سفالبارد (النرويج)
المحيط المتجمد الشمالي
الدانمارك
السويد
فلندا
نيوزامبل
موسكو
نهر فولغا
أوكرانيا
روسيا
بحر أوكوتسك
اليابان
كازاخستان
أوزبكستان
منغوليا
إيران
أفغانستان
الصين
٣٠٠ كم ٢٠٠ ١٠٠



رد قوزاق زابوريزهيان إلى السلطان محمد الرابع، بريشة: إليا ريبين (١٨٨٠-١٨٩١م).

حصار فيينا للمرة الثانية سنة ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م[1]

تجدّدت الحرب بين **العثمانيين والنمساويين** وأحلافهم في سنة ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م، إذ إن الخصومة التقليدية بين فيينا وباريس كانت أحد الظروف التي ساهمت في تجدُّدِها.

والحقيقة أن **أوروبا** كانت تعيش آنذاك في حالة سياسية واقتصادية واجتماعية مضطربة، فيما سمي بأزمة القرن، كما كانت الحركة الوطنية في **المجر** في تصاعد مستمر، بفعل النزعة المعادية **للكاثوليك وللهابسبورغ**، وحاول الزعماء الوطنيون، بدعم من فرنسا التي باتت في نزاع مع آل هابسبورغ، **توجيه أنظار العثمانيين نحو النمسا للاصطدام بها.**

وتسارعت الأحداث السياسية باتجاه الصدام حين تأجّج الوضع الداخلي في المجر بفعل الثورة التي اندلعت ضد آل هابسبورغ، **ما دفع السلطان العثماني، محمد الرابع**، إلى التدخل وتنصيب توكلي، أحد أعيان البلاد، ملكًا عليها، ولبّى رغبته في طلب المساعدة لإخراج النمساويين مقابل دفع الجزية.

وجهَّز السلطان جيشًا جرارًا، بلغ تعداده مئتين وأربعين ألف جندي، بقيادة الصدر الأعظم قره مصطفى باشا، انضم إليهم سبعون ألف مجري بقيادة توكلي، وتحركت هذه الجحافل باتجاه **فيينا** في ١ ربيع الآخر ١٠٩٤هـ/٣١ آذار ١٦٨٣م، على ثلاثة محاور، على أن تلتقي عند أسوار المدينة. وعلم العثمانيون في أثناء تقدمهم بأن ائتلافًا أوروبيًا جديدًا قد ظهر على الساحة الأوروبية لمواجهة تهديداتهم، فقد تحالف جان سوبييسكي، ملك بولندا، مع ليوبولد، إمبراطور النمسا، على الرغم من سعي فرنسا ضمان حياد بولندا، **وسعي البابا من جهته إلى دعوة ملوك أوروبا وأمرائها لتشكيل حملة صليبية ضد العثمانيين.**

كان **الجيش النمساوي** يتوقع الحصول على إمدادات من أسبانيا والبرتغال، بالإضافة إلى بولندا، فتراجع متمهلًا إلى فيينا، وكانت أنباء الزحف العثماني تصل إلى مسامع الإمبرطور ليوبولد، لذلك غادر العاصمة إلى تولن، حيث انتظر **وصول البولنديين** ثم فرَّ إلى باساو، ويدل ذلك على عدم ثقته بقدرة عاصمته على الصمود، ووضع جنوده البالغ عددهم أربعين ألفًا تحت إمرة شارل الخامس دوق اللورين، وترك حامية من ثلاثة عشر ألفًا للدفاع عن العاصمة. وفي ٢٢ رجب/١٧ تموز **ظهر العثمانيون أمام المدينة وضربوا الحصار عليها**، واستولوا على قلاعها الأمامية، ثم ضربوها بالقنابل بشكل كثيف، ما ضايق المحاصَرين حتى انهارت معنوياتهم، ومالوا إلى اتخاذ قرار يرضي الوزير العثماني الذي أصرَّ على استسلام المدينة من دون قيد أو شرط، رغم موافقة أركان حربه على وجهة النظر النمساوية، **وأضاع العثمانيون كثيرًا من الوقت في المناقشات**، ولم يدركوا أن الوقت كان يمضي في غير صالحهم، وأن جيوشًا أوروبية كانت في طريقها إليهم لتخليص فيينا من محنتها.

١- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٢٧٩-٢٨٠.



مرتسم تقريبي لأحداث معركة حصار فيينا للمرة الثانية

السلطان محمد الرابع

الحصار العثماني لفيينا النمساوية للمرة الثانية في عهد محمد الرابع سنة ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م

والواقع أن **جيشًا إمبراطوريًا جاء من ألمانيا**، كما دفعت **بولندا** بفرقتها العسكرية للدفاع عن فيينا، وقدَّم الأمراء الألمان جنودًا انخرطوا في قوات التحالف التي بلغ تعدادها ستين ألف جندي، وصلت في ٢٦ رمضان/١٨ أيلول، **إلى قاهلنبرغ، إحدى ضواحي فيينا، وطوقت القوات العثمانية التي أضحى موقفها حرجًا.**

ورفض مصطفى باشا، في تلك الظروف، نصيحة أركانه بالجلاء، إذ إنه وجد نفسه قويًا ليخوض القتال على جبهتين. ودارت بين القوات العثمانية وقوات التحالف **رحى معركة طاحنة** أدت إلى تضعضع القوات العثمانية وتفرقها، عندئذ قرر مصطفى باشا التراجع، لكن بعد فوات الأوان، إذ تفرقت قواته، وأخذت تهرب لا تلوي على شيء، **تاركة في أرض المعركة المدافع والذخائر والمؤن**. وتقهقر مصطفى باشا الذي اتصف بأنه قائد غير كفئ، عائدًا إلى مدينة بودين، وطارده الملك سوبييسكي مسترجعًا المدن والقلاع، واستولى على مدينة غران بسهولة. **ولما وصلت أنباء الهزيمة إلى مسامع السلطان محمد الرابع أمر بقتل مصطفى باشا**، الذي عدّه مسؤولاً عن الهزيمة، وعيَّن مكانه إبراهيم باشا.

نتائج فشل المعركة:

- الواقع أن خطة عسكرية نمساوية – بولندية مشتركة قد وُضعت، بفضل **تدخل البابا أنوسنت الحادي عشر**، تهدف إلى **تخليص المجر بكاملها من الدولة العثمانية**، وانضمت البندقية إلى هذا الحلف المقدس بفعل توافق المصالح، كما انضم إليه فرسان القديس يوحنا.

- إن حصار العاصمة النمساوية، وما سبَّبه من مخاوف لأوروبا، جعل الأوروبيين ينتبهون إلى أوضاعهم المتردية، وأخذ حكامها يتلقون في توجهاتهم المتباينة، فخفَّت حدة صراعاتهم، وتوحَّدت جهودهم خلال ساعات الصراع الحاسمة، حتى إن لويس الرابع عشر، الذي كان ساخطًا على آل هابسبورغ، قد أُجبر، في مقابل تنازلات دبلوماسية مهمة، على الموافقة على تأجيل مهاجمة الحدود الغربية للإمبراطورية الرومانية المقدسة.

- أدى فشل الحصار إلى إعلان كل من **الأفلاق والبغدان الثورة ضد الوجود العثماني**، وانحاز هذان الإقليمان إلى المجر.

- قويت شوكة الدول الأوروبية إثر هذه النكسة المريرة، وطالبت الباب العالي بحقوق لها في أراضٍ عثمانية في أوروبا.

- انضمّت **روسيا إلى التحالف الأوروبي** بهدف المشاركة في تقطيع أوصال الدولة العثمانية، لكن محاولتها الاستيلاء على شبه جزيرة القرم باءت بالفشل.

- عاد الإمبراطور ليوبولد إلى عاصمته منتصرًا، وتلقى في بلاطه التهاني، كان من بينها تهنئة غير متوقعة من لويس الرابع عشر أوجزها بكلمة (لقد حدثت المعجزة).

- كشفت **معركة فيينا عن ضعف الدولة العثمانية**، فطمع فيها أعداؤها، وكانت مؤذنًا بمرحلة جديدة في علاقات الدولة مع دول أوروبا التي اتجهت إلى اتخاذ سياسة هجومية بعد أن أدركت مدى الضعف الذي وصلت إليه، فهاجمت سفن البنادقة سواحل بلاد اليونان والمورة، ونجحت في احتلال معظم مدنهما، لا سيما كورنثة وأثينا، كما استأنفت النمسا حملاتها على الدولة العثمانية، فاستولت قواتها على بودين وليبا وأرلو وسمندرية وقلومباز، وشنَّت هجومًا على بلغراد في سنة ١٠ ذي القعدة ١٠٩٩ هـ/ ٦ أيلول ١٦٨٨م، كما سقطت نيش وودين في قبضتها في سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٩م.

- يُعد الحصار، الذي نفَّذه مصطفى باشا لمدينة فيينا سنة ١٠٩٤ هـ/١٦٨٣م، آخر حلقات الهجوم العثماني في عمق القارة الأوروبية.

- تضايق العثمانيون فعلاً من هذا الضغط العسكري عليهم، ولم ينقذهم سوى حصول حادثين، الأول خارجي والثاني داخلي: **يتمثل الأول** بمهاجمة فرنسا للأراضي النمساوية في ألمانيا ما أعطى العثمانيين فرصة لالتقاط أنفاسهم. **ويتمثل الثاني** في تعيين **فاضل مصطفى باشا كوبريللي** صدرًا أعظم، الذي اتخذ التدابير العسكرية والمالية الضرورية لإعادة تقوية القوات العسكرية، ثم قادها في سنة ١١٠١ هـ/١٦٩٠م، باتجاه **النمسا**، فاستعاد نيش وسمندرية وبلغراد وودين، وطارد النمساويين حتى أبعدهم عن الضفة الأخرى لنهر الدانوب، كما تخلّى البنادقة، تحت الضغط العسكري، عن فتوحهم في ألبانيا.

النمسا

العاصمة
عاصمة المنطقة
مدينة كبيرة
الطريق الرئيس
سكة حديد
الحدود الإدارية
الحدود الدولية

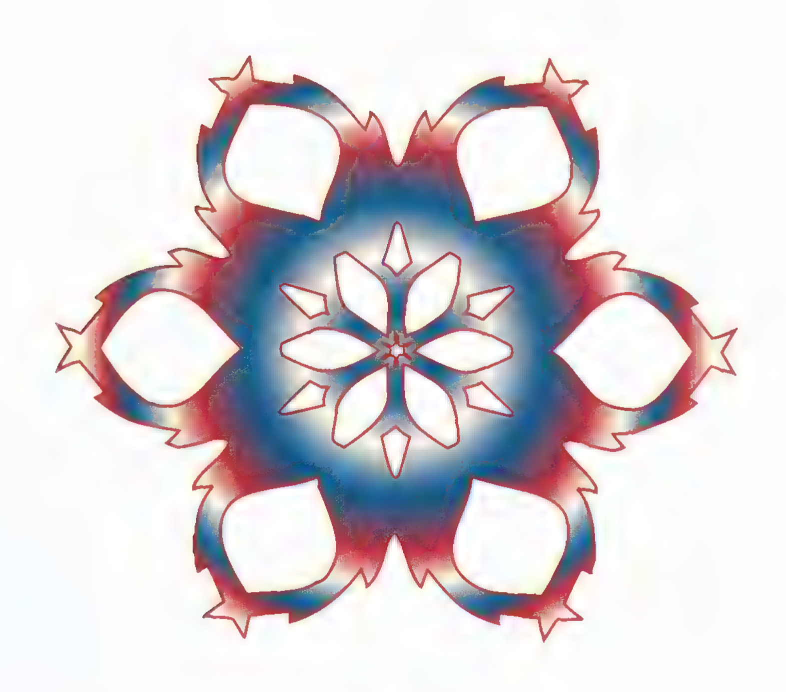
جمهورية التشيك
ألمانيا
سلوفاكيا
هنغاريا
كرواتيا
سلوفينيا
إيطاليا
سويسرا

فيينا
غموند
كرمس
سان بولتن
لينز
فيلس
ستير
بادن
إيزنشتات
فينر نويشتات
سالزبورغ
كوفشتاين
رادشتات
إيزينرتس
بروك
غراتس
إنسبروك
أرلبرغ
بريغينتس
فيلدكيرش
لينس
فيلاتش
كلاغنفورت

أحدى القلاع العتيدة في فيينا عاصمة النمسا

تلقى السلطان العثماني **محمد الرابع** أنباء **حصار فيينا الثاني** ولم يفعل شيئًا سوى أن بعث بمن قتل الصدر الأعظم الكفء قرة مصطفى باشا تحت تأثير بعض الوشاة والكارهين للصدر الأعظم وذلك في ٦ محرم ١٠٩٥هـ/٢٥ ديسمبر ١٦٨٣م، وبدأ ر وأن يسترد بعض ما فقدته الدولة في المجر، لكنه لم ينجح، وتلقى صدره الأعظم سليمان باشا هزيمة منكرة في **سهل موهاكس** أمام التحالف المقدس في ٣ شوال ١٠٩٨ هـ/١٢ أغسطس ١٦٨٧م.

كانت من نتائج الهزائم المتتابعة التي لحقت بالدولة العثمانية في أواخر عهد محمد الرابع أن ثار الجيش في وجهه، وقام بخلعه في ٣ محرم ١٠٩٩هـ/٨ نوفمبر ١٦٨٧م بعد أن دامت سلطنته نحو أربعين سنة، **وكانت الدولة في تاريخ خلعه قد فقدت كثيرًا من أراضيها للبنادقة والنمساويين، وتولى بعده أخوه سليمان الثاني، ودخلت الدولة العثمانية في عصر توقف الفتوح.**




السلطان سليمان الثاني
(١٠٩٩-١١٠٢هـ)
(١٦٨٧ - ١٦٩١م)



والده: السلطان إبراهيم

والدته: صالحة دولا شوب سلطان

ولادته: سنة ١٠٥١ هـ / ١٦٤٢م

وفاته: سنة ١١٠٢ هـ / ١٦٩١م



مدة حكمه: من ١٠٩٩ - ١١٠٢هـ/١٦٨٧ - ١٦٩١م

تولى السلطان **سليمان الثاني** السلطة وكانت الدولة تعيش آنذاك ظروفًا صعبة؛ فقام بتصفيات عديدة في صفوف الجيش مما بث شيئًا من الأمن والنظام، وقد دعم السلطان سليمان الثاني سياسته تلك بتعيينه كوبريللي فاضل مصطفى باشا صدرًا أعظم. وقد استطاع مصطفى باشا أن يضع حدًّا للفوضى ويستميل المسيحيين في العاصمة، إذ سمح لهم ببناء ما تهدم من كنائسهم، وممارسة طقوسهم الدينية بحرية. وعلى مستوى آخر قام الصدر الأعظم بالرد على الأعداء الخارجين للدولة، وتمكن من استعادة ما فقدته من أراض. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون،تعريب محمد جان، ص ٦٨.

الأعلام الذين عاصروه:

دباغ زاده، محمد أفندي، الحاج فيض الله أفندي، الخطاط حافظ عثمان أفندي، عطري أفندي ، الشيخ سيف الدين عارف وهو من شيوخ النقشبندية وقد توفي سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م. آتبا ظارلي الشيخ عثمان فضلي، المتوفى سنة ١١٠٢هـ/١٦٩١م.

الأبناء:

توفي رحمه الله ولم ينجب. ودفن في تربة جده السلطان سليمان الأول.

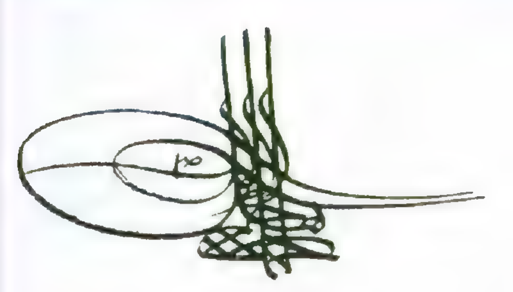
استمر التدهور في **الدولة العثمانية** في عهده، وازدادت شراسة الأعداء على عهده، فاغتصبت **النمسا** كثيرًا من المواقع والمدن ومنها **بلغراد** سنة ١٠٩٩هـ، كما احتلت **البندقية** وسواحل دلماسيا السواحل الشرقية لبحر الأدرياتيك وبعض الأماكن في اليونان، وتوالت الهزائم على الدولة، وقيض الله لها رجلاً لهذه المدة هو الصدر الأعظم (مصطفى بن محمد كوبريللي) الذي سار على نهج أبيه، وسمح للنصارى في أستنبول ببناء ما تهدم من كنائسهم، وأحسن إليهم وعاقب بأشد العقاب كل من عرض لهم في إقامة شعائر دينهم حتى استمال جميع مسيحي الدولة، وكانت نتيجة معاملة المسيحيين بالعدل أن ثار أهالي موره الأروام على البنادقة الكاثوليك، وطردوا جيشها من بلادهم بسبب اضطهادهم وإجبارهم على المذهب الكاثوليكي. ودخلوا في حماية الدولة العثمانية مختارين طائعين لعدم تعرضها لديانتهم مطلقًا. د. جمال عبد الهادي، الدولة العثمانية، ص ٧٤ - ٧٥.

السلطان أحمد الثاني



(١١٠٢-١١٠٦هـ)

(١٦٩١ - ١٦٩٥م)



والده: السلطان إبراهيم

والدته: خديجة معزز السلطان

ولادته: سنة ١٠٥٢ هـ/١٦٤٣م

وفاته: سنة ١١٠٦ هـ/١٦٩٥م

مدة حكمه: من ١١٠٢- ١١٠٦هـ/١٦٩١ - ١٦٩٥م

تولى السلطان **أحمد الثاني** السلطنة في شهر حزيران / جوان ١٦٩١م. خلفًا لأخيه سليمان الثاني، وقد أبقى على الصدر الأعظم **فاضل مصطفى باشا** في منصبه نظرًا لكفاءته وخبرته، غير أن هذا الصدر الأعظم توفي بعيد ذلك في ساحة القتال بالمجر.

من جهة أخرى، كان السلطان أحمد الثاني حريصًا على مباشرة أمور الدولة بنفسه، وكان يحضر اجتماعات الديوان حتى وإن كان مريضًا. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون، تعريب محمد جان، ص ٦٩.

الأعلام الذين عاصروه:

الشيخ سلامي علي أفندي، والشيخ نيازي المصري المتوفى سنة ١١٠٥ هـ.

أبناؤه:

إبراهيم وسليم

بناته:

عاتكة سلطان، خديجة سلطان، آسية سلطان.

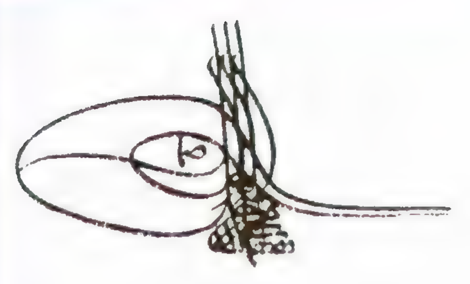
تولى الحكم سنة ١١٠٢هـ بعد وفاة أخيه سليمان الثاني، واستشهد في زمنه الصدر الأعظم **مصطفى كوبر يللي** الذي كان عظيم النفع للدولة العثمانية، وتولى بعده الصدر الأعظم **جي علي باشا عريجي** وكان ضعيفًا، واحتلت **البندقية بعض جزر بحر إيجة**، ولم تطل أيام السلطان وتوفي سنة ١١٠٦هـ/١٦٩٤م وكان القتال في أيامه القصيرة عبارة عن مناوشات، وتولى الحكم بعده ابن أخيه وهو مصطفى الثاني بن محمد الرابع. د. جمال عبد الهادي، الدولة العثمانية، ص ١١٥.

السلطان مصطفى الثاني



(١١٠٦-١١١٥هـ)

(١٦٩٥ - ١٧٠٣م)



والده: السلطان محمد الرابع

والدته: أمة الله رابعة كول نيش سلطان

ولادته: سنة ١٠٥٣ هـ/١٦٤٤م

وفاته: سنة ١١١٥ هـ/١٧٠٣م

مدة حكمه: من ١١٠٦ - ١١١٥هـ/١٦٩٥ - ١٧٠٣م

كان السلطان **مصطفى الثاني** متوسط القامة، أشقر اللحية، وكان مهيبًا، شجاعًا، وقد أعلن بعد ثلاثة أيام من توليته عن رغبته في قيادة الجيش بنفسه، واستطاع في بداية عهده أن يتحكم في شؤون البلاد، لكنه تخلى فيما بعد عنها لوزرائه وانعزل في قصره. ومن جهة أخرى كان مصطفى الثاني يحب الأدب والشعر، وكان شاعرًا وخطاطًا ماهرًا.

وصل هذا السلطان إلى العرش بمساعدة رئيس الخزانة العامرة نافير آغا الذي استطاع إبعاد أعداء السلطان الجديد، يقضي معظم أوقاته بمدينة أدرنة، وكانت له الثقة الكاملة في شيخ الإسلام فيضل الله أفندي. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون،تعريب محمد جان، ص ٧٠.

الأعلام الذين عاصروه:

الخطاط الحافظ عثمان أفندي المتوفى في ١١١٠هـ/١٦٩٩م. شيخ الأمراء السيد محمد أفندي.

أبناؤه:

محمود الأول، عثمان الثالث، أحمد الثالث، أحمد الصغير، حسين، سليم، محمد، مراد، عثمان.

بناته:

أم كلثوم، عائشة، أمة الله، أمينة، رقية، صفية، زاهدة، عاتكة، فاطمة، زينب.

في عهده، **بدأ تراجع المد الاسلامي عن ديار أوروبا الشرقية** بسبب ضعف الإيمان، وضعف روح الجهاد، وتسرب أسباب الهزيمة في كيان الأمة، وقسوة الهجمات الصليبية على ديار الدولة العثمانية، وفي عهده تم توقيع معاهدة **كارلوفتس** جنوب غربي زغرب على نهر الدانوب سنة ١١١٠هـ/١٦٩٩م، مع روسيا وطبقًا لشروط هذه المعاهدة؛ انسحب العثمانيون من بلاد المجر، وإقليم ترانسلفانيا، وهذا مؤشر سيء في تاريخ بعض حكام الدولة العثمانية، وهو انسحابهم في المعارك تاركين المسلمين بين يدي عدو نزعت من قلبه الشفقة والرحمة، وأصبحت كل الدول التي كانت تدفع الجزية عن يد وهي صاغرة ممتنعة من دفعها، وكانت الدول النصرانية تقف في وجه العثمانيين، وكانت متفقة فيما بينها للوقوف في وجه تقدم الدولة العثمانية، والعمل على تقسيمها وذلك خوفًا من انتشار المد الإسلامي.

كان **تنازل العثمانيين** عن أراضيها بداية الانسحاب العثماني من أوروبا، كما أنه يسجل الانتقال إلى عصر التفكك والاضمحلال السريع. وعلى إثر تدخل الإنكشارية ومطالبتهم بعزل الصدر ورفض السلطان.

توفي مصطفى الثاني بعد أربعة أشهر من عزله، وهو في الثامنة والثلاثين من عمره. د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ٣٣٤.

معاهدة كارلوفيتس (كارلوفيتز) سنة ١٦٩٩م[1]

استمر الصراع على **المجر بين الدولة العثمانية والنمسا**، وأُضيف إليه، في أواخر القرن السابع عشر، صراع آخر مع كل من **روسيا**، التي دخلت المسرح الدولي بقوة، رغبة منها في الحصول على منفذ بحري لها يوصلها إلى الشرق، **أما بولندا** فقد توغل العثمانيون في أراضيها في عهد السلطان **مصطفى الثاني** (١١٠٦ - ١١١٥ هـ/١٦٩٥ - ١٧٠٣م)، ووصلوا إلى مدينة **لمبرج**. وخاض العثمانيون سلسلة من المعارك في بلاد **المجر وفي البوسنة** كانت معظمها في غير صالحهم، كما حقَّق **بطرس الأكبر** حلمه بالاستيلاء على **قلعة آزوف**.

ولم تنته سلسلة هذه الحروب، إلاّ بتوقيع **معاهدة كارلوفيتز** في (رجب ١١١٠هـ/ كانون الثاني ١٦٩٩م)، بعد توسط **بريطانيا وهولندا بين كل من الدولة العثمانية من جانب، وكل من النمسا وروسيا والبندقية وبولندا من جانب آخر**، **تنازل العثمانيون بمقتضاها للنمسا عن كامل بلاد المجر وترانسلفانيا، وبولندا عن كامل بودوليا وأوكرانيا، وأهم ما جاء فيها:**

- تتخلَّى الدولة العثمانية عن كامل بلاد المجر وإقليم ترانسلفانيا للنمسا.
- تتنازل الدولة العثمانية عن مدينة آزوف لروسيا.
- تتنازل الدولة العثمانية عن شبه جزيرة المورة إلى نهر هكساميلون وإقليم دلماسيا على البحر الأدرياتيكي، للبندقية.
- تُعيد الدولة العثمانية مدينة كامينج وإقليمي بودوليا وأوكرانيا إلى بولندا.
- تتوقف الدول الأوروبية عن دفع أي مبلغ إلى الدولة العثمانية على سبيل الجزية أو لمجرد الهدية.
- تستمر الهدنة مدة عشرين عامًا.

الواضح أن الدولة العثمانية فقدت، بموجب هذه المعاهدة، قسمًا واسعًا جدًا من الأراضي، وازدادت أطماع الدول الأوروبية فيها بعد أن لمست ضعف العثمانيين، وحقَّقت **روسيا** هدفها بتأمين مرفأ لها على البحر الأسود كمنفذ للتدخل في المستقبل في أمور الشرق.

والحقيقة أن **هذه المعاهدة شكّلت أول طعنة في جسم الدولة العثمانية**، **وأول عامل لتقطيع أوصالها**، لأن هذا العمل الذي بدأ في كارلوفيتز قد عملت معظم الدول الأوروبية على استكمال فصوله في غالبية المعاهدات التي فرضتها على الدولة، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وكان اعتراف العثمانيين بالتنازل عن أراض، تشكل جزءًا لا يتجزأ من أملاكهم، بداية الانسحاب العثماني من أوروبا، كما أنه يسجل الانتقال إلى عصرٍ التفكُّك والاضمحلال السريع.

انسحب **السلطان مصطفى الثاني**، بعد هذا الصلح غير المشرَّف، إلى **أدرنة** تاركًا شؤون الحكم للمفتي فيض الله أفندي يتصرف وفق ما يراه مناسبًا لمصلحة الدولة.

١-د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٢٨٣-٢٨٤.



خريطة معاصرة لشرقي أوروبا

الصراع العثماني النمساوي حول المجر (هنغاريا) ومعاهدة كارلوفيتس سنة ١٦٩٩م


السلطان أحمد الثالث
(١١١٥-١١٤٣ هـ)
(١٧٠٣ - ١٧٣٠م)



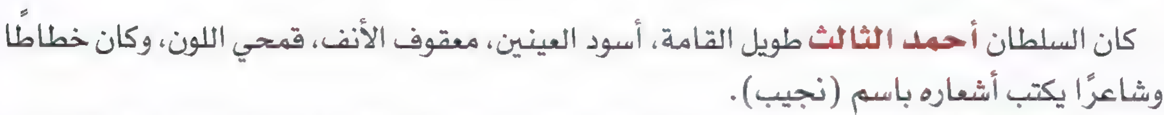
والده: السلطان محمد الرابع

والدته: أمة الله رابعة كول نيش سلطان

ولادته: سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٣م

وفاته: سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م

مدة حكمه: من ١١١٥ - ١١٤٣هـ/١٧٠٣ - ١٧٣٠م



كان السلطان **أحمد الثالث** طويل القامة، أسود العينين، معقوف الأنف، قمحي اللون، وكان خطاطًا وشاعرًا يكتب أشعاره باسم (نجيب).

تولى **الخلافة** عام ١١١٥ هـ وكان عمره آنذاك اثنين وثلاثين سنة. وزع على الإنكشارية الأعطيات الكثيرة في بداية حكمه، وسار مع آرائهم حتى إذا تمكن اقتص من قادتهم. لم يفطن وزراؤه لإصلاحات بطرس الأكبر ملك روسيا وخطته للتوسع على حساب مملكتي السويد وبولندا والسلطنة العثمانية.

الأعلام الذين عاصروه:

الشيخ محمد نور البدواني وهو من شيوخ النقشبندية، الشيخ محمد نصوحي أفندي الأسكوداري. الشيخ إسماعيل حقي جلوتي البورصوي مؤلف تفسير (روح البيان).

أبناؤه:

عبد الحميد الأول، مصطفى الثالث، سليمان، بايزيد، محمد، إبراهيم، نعمان، سليم، علي، عيسى، مراد، سيف الدين، عبد المجيد، عبد الملك.

بناته:

أمينة، رابعة، حبيبة، زينب، زبيدة، أسماء، خديجة، رقية، صالحة، عاتكة، آسمة، فردانة، نظيفة، نائلة، عائشة، فاطمة، أمة الله، أم سلمة، أمينة، رقية، زينب، صبيحة. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون، ص ٧١.

في عهده، **ظلت راية الجهاد مرفوعة**، واستطاعت الدولة أن تعيد المورة وآزاق، وواصلت جهادها ضد **روسيا**، وأنزل بها ضربة كادت أن تكون قاصمة، حينما حاصر **المجاهدون العثمانيون قيصر روسيا وخليلته** ومعهما ٢٠٠,٠٠٠ مجاهد كادوا يقعون في الأسر، ولكن الخيانة تحت فتنة المال والنساء دفعت الصدر الأعظم إلى رفع الحصار، وخيانة الدولة، ووقع **معاهدة (فلكزن)** في جمادى الآخرة سنة ١١٢٣هـ مع الروس، ترتب عليها إخلاء **مدينة آزوف** للصليبيين الروس، وتعهد بعدم التدخل في شؤون القوزاق، ولهذا السبب عزل السلطان أحمد الثالث الصدر الأعظم بلطه جي باشا، واستمر الجهاد ضد الروس، وفي أيلول/سبتمبر ١٧٣٠م، تنازل السلطان أحمد الثالث عن الحكم لصالح ابن أخيه محمود الأول -بضغط من الإنكشارية- وبعد مدة توفي عن عمر يناهز اثنين وتسعين عامًا. • د. علي الصلابي، الدولة العثمانية، ص ٣٢٤-٣٢٥. والسلاطين العثمانيون.

العلاقات مع مملكتي السويد وروسيا[١]:

مُني الملك السويدي شارل الثاني عشر بهزيمة قاسية على يد العساكر الروسية في موقعة بولتاوا، أجبرته على اللجوء إلى مدينة بندر العثمانية، وأخذ بتحريض السلطان على محاربة مملكة روسيا، ولكن وزراء أحمد الثالث آثروا السلم، ولم يفطنوا إلى خطر بطرس الأكبر وخطته التوسعية الطموحة.

بعد مدة من الزمن تم تولية **بلطه جي محمد** باشا أمور الوزارة، وكان **ميالًا لقتال الروس**، وفعلًا أعلن الحرب عليهم وقاد الجيوش بنفسه، وقد كان تعداد جيشه حوالي مئتي ألف مقاتل، وبعد مجموعة من المناورات العسكرية استطاع أن يحاصر الجيش الروسي الذي يقوده **بطرس الأكبر** بنفسه، ولو استمر الحصار لمدة أطول لأخذ بطرس الأكبر وقادته أسرى وانفرط عقد مملكته، ولكن وقع الطرفان **معاهدة فلكزن**، وبموجبها تنازلت روسيا عن بعض الأراضي، ويقال إن كاترينا (خليلة بطرس الأكبر وزوجته فيما بعد) قدمت رشوة إلى بلطه جي محمد باشا وكانت عبارة عن مجوهراتها وحليها في سبيل فك الحصار عن القيصر، ولقي هذا الرأي انتشارًا في الأوساط العثمانية مما جعل **السلطان أحمد الثالث** يعزله، ويُعيِّن مكانه **يوسف باشا** الذي مال للسلم ووقع معاهدة جديدة مع روسيا بتدخل هولندا وبريطانيا، اللتان تضررت تجارتهما بسبب الحرب الروسية العثمانية، وعرفت تلك المعاهدة **بمعاهدة أدرنة**، وفيها تنازلت روسيا عن كل أراضيها على البحر الأسود، مقابل إبطال الجزية السنوية التي تدفعها لأمراء القرم، حتى لا يتعدوا على قوافلها التجارية.

ويرى الدكتور إحسان حقي رأيًا مغايرًا لما كتبه عدد من المؤرخين عن حادثة بلطه جي محمد باشا، حيث إنه لو كان بمقدوره أسر بطرس الأكبر لغنم مجوهرات خليلته لا بل كاترينا نفسها كسبية بعد النصر، فإما أنه كان يرى أن وضعه العسكري الحالي قد يتسبب بخسارته للفتوحات التي أحرزها إذا استمر بمحصارة القيصر الروسي، أو أنه اجتهد فأخطأ، كما أن الجند ما كانت لتتركه يهنأ برشوة من دون أن يثوروا وهم لهم اليد الطولى في تعيين الوزراء والتسلط على السلاطين.

توالت الأحداث والمعاهدات بين الطرفين حتى خرجت روسيا من كل الثغور والموانئ الموجودة على البحر الأسود، كما صرح السلطان للتجار الروس بالمرور في أراضي الدولة العثمانية دون دفع أي شيء.

١- موسوعة المعرفة على الشبكة العنكبوتية.

الحرب مع النمسا والبندقية ١١٢٨ هـ / ١٧١٦ م

أراد **العثمانيون** استعادة شبه جزيرة المورة (اليونان)، فدارت حرب بين العثمانيين وجمهورية البندقية، انتهت بانتزاع الجيوش العثمانية لأغلبية أراضي المورة، **ولكن البنادقة** ما لبثوا أن استعانوا **بإمبراطورية النمسا** وقائدها العسكري الشهير آنذاك أوجين السافوياني. دارت رحى الحرب بين العثمانيين والنمسا فانتصرت النمسا، وعقدت **معاهدة بساروفتيز سنة ١١٣٠هـ / ١٧١٨م**، (انظر بنود المعاهدة داخل الخريطة).



النمساويون يقتحمون بلغراد سنة ١٧١٧م بقيادة الأمير يوجين الساڤويوي



خريطة أوروبا السياسية المعاصرة

العلاقات العثمانية الصفوية في القــرن الثامن عشــر الميلادي

عانـت **إيـران**، فـي أوائل القـرن الثامن عشر، من غزو مدمر قـام بها الأفغان. والواقـع أن إيران قد انهـارت فـي عهد الشـاه حسين بـن سليمـان الصفـوي، (١١٠٦ – ١١٣٥هـ/ ١٦٩٤–١٧٢٢م)، نتيجة الصراعـات بـين القوى المتنافسة على العرش، كما نفَّذ هذا الشاه **سياسة مذهبيـة متعسفة** ما أثار عـداء الأفغان السنيـين الذين كانوا يحتفظون بقندهار باسم شاه إيران، ومـن ثم أعلن أويس، والي تلك المنطقـة، استقلاله في سنـة ١١٢١هـ/١٧٠٩م، وفي سنة ١١٣٥هـ/١٧٢٢م، غزا محمود بن أويس بلاد إيـران وحاصر أصفهـان، وأجبر الشاه حسين علـى التنازل عن العرش. وقامت فـي هذا الوقت حركات استقلاليـة فـي أجزاء أخرى من المملكة، كان منشؤهـا **الأكراد والأوزبك**، فـي حين استولى **عرب مسقط على البحرين.**

أثارت أوضاع إيران الداخلية اهتمامات القيصر الروسي **بطرس الأكبر** (١١٠٠ – ١١٣٧هـ/ ١٦٨٩ – ١٧٢٥م)، الـذي كانـت لديه تطلعات توسعية عبر ولايات **الكرج وإيـران** القوقازية، وتحويل **بحر قزويـن** إلى **بحـيرة روسية**، لذلك وقف إلى جانب الشاه حسين فـي صراعه مع الأفغان، فاستغل هذه الأوضـاع القلقـة، واستـولى على **داغستـان وقلاع دربنـد وباكو الغربيـة**، وعقد اتفاقًـا مع الشاه طهماسـب ابن الشاه حسين، الذي استقل بحكم ولايات قزويـن، تعهد له بطرد الأفغان من إيران، مقابل تنازل الصفويين عن ولايات قزوين وكيلان ومازندران وأستراباد.

واستغلـت **الدولـة العثمانيـة** هـذه الفوضى لتشـارك في **تقطيـع أوصال المملكـة الصفوية**، فاستولت جيوشها على **أرمينيا وبلاد الكرج** المتاخمة لحدودها.

ويبـدو أن توغـل القـوات الروسيـة بعيدًا في عمق الأراضـي الصفوية هدَّد النفـوذ العثماني في تلك المناطق التي استولى عليها العثمانيون، **فأرسل السلطان أحمد الثالث مبعوثًا إلى بطرس الأكبر** يعلمه أن استمرار الزحف الروسـي على حساب الدولة الصفوية لا يعني إلا الحرب على الدولة العثمانية. والواضـح أن **بطـرس الأكبر** لم يكن راغبًا، فـي تلك المرحلة، الدخول في صراع مسلح مع العثمانيين مـن أجـل التوسـع في أراضـ إيرانية، لذلـك آثـر أن يتوقف عن الزحـف، **ودخل فـي مفاوضات مع العثمانيـين**، بواسطـة السفـير الفرنسي فـي أستنبـول، لتسوية الخلافـات والوصـول إلى حل يرضي الطرفين على حساب إيران.

خريطة عثمانية للكارتوجرافي العثماني إبراهيم ميوتيفرك رسمت سنة ١٧٢٩م، من ضمن مقتنيات المكتبة الكبرى بالسويد



ظهرت مدرسة المنمنمات الصفوية الثانية في القرن السابع عشر الميلادي حين نقل الصفويون عاصمتهم إلى أصفهان، ويعد رضا عباسي من أعلامها، إضافة إلى زين العابدين ومحمد زمان ومحمد يوسف وحيدر نقاش ومحمد تبريزي ومعين مظفر.

شرع فنانو هذه المدرسة يتأثرون بالأساليب الفنية الغربية، ويتخلون عن كثير من تقاليدهم الفنية، ولاسيما حين قلّ الاهتمام برسم المخطوطات المنمنمة، وظهر الاهتمام بالصور الكبيرة التي تُعلق على الجدران، وانتشار رسم الصور الشخصية. الموسوعة العربية، ص مج ١٩، ص ٧٤٧.

وفعلاً اتفق الطرفان **بموجب معاهدة** وُقِّعت بينهما في ٢ شوال ١١٣٦ هـ/ ٢٤ حزيران ١٧٢٤م، قضت بأن تحتفظ كل من الدولتين بما استولت عليه من أراض إيرانية، وبقيام تحالف بينهما ضد أي محاولة يقوم بها طهماسب لاسترداد ما يسيطر عليه الطرفان.

لم يلبث **بطرس الأكبر** أن توفي في سنة ١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م، فتعرضت روسيا بعد وفاته إلى أزمات عدة، انتهت باعتلاء **كاترين الثانية** العرش الروسي، فعادت روسيا في عهدها إلى نشاطها العسكري الكبير ضد الدولة العثمانية. ومن أجل تقوية موقفها الأوروبي، عقدت القيصرة الروسية محالفة مع النمسا، فاضطرت الدولة العثمانية إلى تقوية تحصيناتها على الحدود الشرقية تحسبًا من هجوم روسي.

ويبدو أن **الصفويين** لم يكونوا آنذاك في وضع يمكِّنهم من **مقاومة العثمانيين**، على الرغم من محاولاتهم المتكررة لإخراجهم من الأراضي التي يسيطرون عليها، **ما أعطى القوات العثمانية فرصة** التقدم والسيطرة على قلاع ومدن عدة، أهمها **همذان وروان وتبريز**.

ونتيجة للصراعات الداخلية، اضطر الشاه أشرف، الذي قتل مير محمود واستولى على مقاليد الحكم في سنة ١١٣٧هـ/١٧٢٥م، أن يتحالف مع العثمانيين لمقاومة أطماع الشاه طهماسب، مقابل تنازله عن جميع الأراضي التي امتلكها هؤلاء من مملكة إيران، وعندما مات الشاه أشرف، انفرد طهماسب بالحكم، وعزم على إعادة إحياء الدولة الصفوية، لذلك طلب من الدولة العثمانية أن ترد إلى إيران كل ما استولت عليه أراضٍ ومناطق كانت تابعة سابقًا للصفويين، وإذ أظهر السلطان أحمد الثالث ترددًا في إعلان الحرب ثار عليه الإنكشارية وخلعوه عن العرش في سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م، ونادوا بابن أخيه محمود الأول سلطانًا (١١٤٣ – ١١٦٧هـ / ١٧٣٠ – ١٧٥٤م).

وعانى **العثمانيون** خلال هذه المدة من مشكلات سياسية داخلية وعسكرية خارجية، لذلك انحسر دور السلطة المركزية قليلًا، باعتمادها على الزعماء الإقليميين لمواجهة **الخطر الصفوي**.

في هذه الظروف الحرجة، هاجم الشاه طهماسب ممتلكات العثمانيين في إيران، واستعاد تبريز وهمذان وكرمنشاه، كما **سيطر نادر شاه**، وهو أحد أكبر ولاة الفرس، على أذربيجان وأجزاء من العراق، لكن العثمانيين تصدُّوا له وأخرجوه من المنطقة، حيث تراجع إلى همذان.



احتـل **بطرس الأكبر** بـلاد داغستان وسواحل بحر الخـرز الغربية بسبب ضعـف الدولة الصفوية، وكادت الحرب أن تقع بين الطرفين لولا وساطة فرنسا بنــاءً علـى طلب روسيا، وبقـي كل فريق فـي المناطق التي دخلهـا دون معارضة الآخـر. غير إن الصفويين هبّوا وقاتلوا العثمانيين، ولكنهم هزموا وفقدوا تبريز وهمدان وعددًا من القلاع، ثم جرى الصلح سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٨م.

الامبراطور الروسي بطرس الاكبر

نــادى عــدد قليل من العثمانيين بالإصلاح للوصــول إلى الوسائل التي حققت بها أوروبا قوتها، خاصة في التنظيم العسكري والأسلحة الحديثة. وكان **الداماد إبراهيم باشا** الذي تولى الصدارة العظمى فــي عهــد السلطان أحمد الثالث هــو أول مسؤول عثماني يعترف بأهمية التعرف علــى أوروبا، لذا فإنه أقــام اتصــالات منتظمة بالسفــراء الأوروبيــين المقيمــين بالآستانة، وأرســل السفــراء العثمانيين إلى العواصــم الأوروبيــة، وبخاصة فيينا وباريس للمرة الأولى. وكانت مهمــة هؤلاء السفراء لا تقتصر على توقيــع الاتفاقــات التجاريــة والدبلوماسية الخاصة بالمعاهــدات التي سبق توقيعها، بــل إنه طلب منهم تزويد الدولة بمعلومات عن الدبلوماسية الأوروبية وقوة أوروبا العسكرية. وكان معنى ذلك فتح ثغرة في الستــار الحديــدي العثماني والاعــتراف بالأمر الواقع الخاصــ بأنه لم يعد بإمــكان العثمانيين تجاهل التطورات الداخلية التي كانت تحدث في أوروبا[١].

١ - د. أحمد عبد الرحيم مصطفى. في أصول التاريخ العثماني، ص١٥٩.

وقد بدأ التأثر بأوروبا في مجال بناء القصور والإسراف والبذخ اللذين شارك فيهما السلطان أحمد ذاتــه بنصيب كبــير، مما جعل الأغنيــاء وعلية القوم يسعــون إلى اقتباس العــادات الأوروبية الخاصة بالأثاث وتزيين الدور وبناء القصور وإنشاء الحدائق[٢].

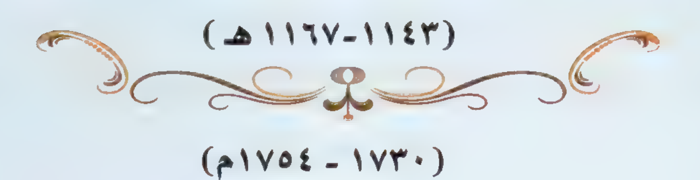
٢ - د. إسماعيل ياغي. الدولة العثمانية، ص١١٩.



[illegible] للحريم في عهد [illegible] من ألبوم [illegible] القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر الميلاديين، متحف المستشرقين، الدوحة - قطر



(١١٤٣-١١٦٧ هـ)



(١٧٣٠ - ١٧٥٤م)



والده: السلطان مصطفى الثاني

والدته: صالحة والدة سلطان

ولادته: سنة ١١٠٨هـ/١٦٩٦م

وفاته: سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٤م

مدة حكمه: من ١١٤٣ - ١١٦٧هـ/ ١٧٣٠- ١٧٥٤م

كان السلطان **محمود الأول** ضعيف الجسم قصير القامة، خيرًا وحنونًا ورفيقًا في معاملته للآخرين، وكان يهتم بشكاوى الناس والمظلومين، كما كان يحب الفروسية والسباحة إضافة إلى الشعر، إذ كان هو نفسه شاعرًا يكتب باسم (سبقتي) وكان يكرم أهل الأدب وكان مولعًا بالشطرنج.

أما من حيث تكوينه، فقد تلقى محمود الأول تعليمه على كبار شيوخ العصر ومن أبرزهم شيخ الإسلام فيض الله أفندي. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون، تعريب محمد جان، ص ٧٢.

الأعلام الذين عاصروه:

مستقيم زاده، سليمان سعد أفندي مترجم كتاب (المكتوبات)، أمين أفندي التوقادي، الرسام لوني، الشيخ عبد الغني النابلسي، الخطاط السيد عبد الله أفندي، يوسف أفندي زاده.

أبناؤه:

لم تذكره المصادر

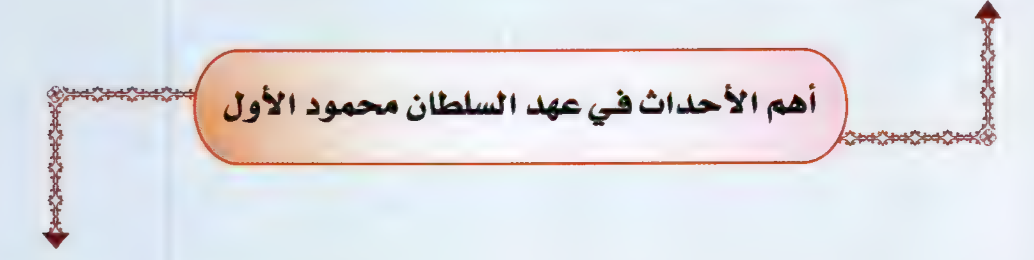
بناته:

لم تذكرها المصادر

تولى الحكم بعد أن هدأت الأحوال بسبب اضطرابات الإنكشارية، فقرر السلطان محمود الأول استقدام مستشار أوروبي فرنسي للشؤون العسكرية، واسمه الكسندر الكونت دي بونفال، وقد عهد إليه بإحياء فرقة المدفعية، وأدخلت أنظمة جديدة للخدمة العسكرية على أسس فرنسية ونمسوية بهدف جعل الخدمة العسكرية من جديد مهنة حقيقية، وذلك بتوفير المرتبات والمعونات. واقترح توزيع فرق الإنكشارية إلى وحدات صغيرة يقودها ضابط شاب، غير أن الإنكشارية عارضوا تنفيذ هذه الخطة وأوقفوها، مما أدى إلى تركيز بونفال على فرقة المدفعية واهتم كذلك بصناعة المدافع والبارود والبنادق والألغام وعربات المدافع، وافتتح مدرسة للهندسة العسكرية، إلا أن الإنكشارية عارضوا كل المشروعات، وعلاوة على ذلك أنشأ مصنعًا للورق، لكن هذه الاصلاحات سرعان ما اندثرت. د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص١٦٢-١٦٣.

خريطة قارة آسيا السياسية ليسهل على القارئ الكريم تحديد مواقع الدول ذات العلاقة بالأحداث فيها

أولًا.. مواجهة الصفويين الشيعة



ثانيًا.. الحرب مع الدول الأوروبية

أولًا.. المواجهة مع الصفويين الشيعة[1]:

حدث أن جدَّد **الشاه طهماسب** هجماته على الممتلكات العثمانية في عهد السلطان محمود الأول، لكنه مني بهزيمة قاسية، في سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٢م، في صحراء توريجان أمام الجيش العثماني، بقيادة أحمد باشا والي بغداد. حيث اضطر إلى شراء سكوت العثمانيين، بطلب الصلح، وفق **معاهدة** تنازل بموجبها عن الكثير من الأراضي الإيرانية، وأهم ما جاء فيها:

- **يُعدُّ نهر الرَّس حدًا فاصلاً بين الممتلكات العثمانية والإيرانية.**
- **تنازل الشاه عن مدن جامجا وتفليس ونخشاوند وهمذان ولورستان، وبمعنى آخر عن معظم الولايات الغربية الإيرانية، التي كانت الدولة العثمانية تطمع في ضمِّها إليها.**
- **تسهيل التجارة وتبادل السفارات بين أستنبول وأصفهان.**

ويبدو أن نادر شاه عارض معاهدة الصلح هذه، وخرج على مولاه فعزله، وأقام ابنه الرضيع عباسًا مكانه، ونصّب نفسه وصيًّا عليه، وتسمى باسم طهماسب قولي، وأعلن أنه سيسير على رأس جيشه، للمطالبة بحق له في أراضي العراق، وحتى يتفرغ لذلك عقد صلحًا مع روسيا.

وفعلًا **زحف نادر شاه نحو العراق**، وسيطر على مدنه الكبرى، وحاصر **بغداد** في ٣ شوال ١١٤٥هـ / ١٩ آذار ١٧٣٣م، وطلب والي المدينة أحمد باشا نجدة من أستنبول، فخرج جيش عثماني، بقيادة عثمان طوبال باشا، باتجاه بغداد، واصطدم بجيش نادر شاه، وتغلب عليه ودخل بغداد منتصرًا. لكن نادر شاه استطاع خلال أسابيع أن يحشد جيشًا كبيرًا زحف به على العراق مرة أخرى، والتقى بالجيش العثماني **قرب كركوك**، في ١٧ جمادى الأولى ١١٤٦هـ/ ٢٦ تشرين الأول ١٧٣٣م، وانتصر عليه وخرَّ عثمان باشا صريعًا خلال القتال.

بعد هذه الحرب المظفرة، كان **نادر شاه** مستعدًا لإطالة أمد الحرب في العراق لو لم يتلقَّ أنباء عن ثورة قامت ضده في إقليم فارس لصالح الصفويين، فاضطر أن يعقد معاهدة تفليس مع أحمد باشا، في سنة ١١٤٨هـ/١٧٣٦م، على أساس إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل التوسع العثماني في إيران. وتنازلت الدولة العثمانية عن جميع مكاسبها السابقة حتى بغداد، فعادت بذلك جميع المقاطعات، التي استولى عليها العثمانيون من إيران، إلى الإيرانيين ثانية، ووجد نادر قولي نفسه قويًا ومنتصرًا، فعرض على العثمانيين شروطًا مذهبية وإستراتيجية تعجيزية، ثم عاد ليحتفل في شهر ذي القعدة/آذار من العام المذكور، بإعلان نفسه إمبراطورًا إيرانيًا بعد أن عزل الشاه عباس ميرزا، وتسمى باسم نادر شاه.

١- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٢٧٣ – ٢٧٤.



وبذلك يكون هذا **الزعيم الأفشاري-نادر شاه- قد أنهى دور الدولة الصفوية السياسي في المنطقة**، ليحمل مهمة التطاحن المذهبي، من أجل تحقيق أهداف إستراتيجية في الذهنية الإيرانية ذات النزعات الشيعية، ضد المذهب السُّنّي الذي يحمل لواءه العثمانيون في مناطق أرمينيا وأذربيجان والعراق. ورأى نادر شاه أنه يملك القدرة على إحداث تغييرات جذرية في البلاد من الناحية المذهبية، بفعل أنه لم يكن مرتبطًا بسياسة الأسرة الصفوية.

وأدرك **أن المذهب الشيعي** كان مسؤولاً إلى حدٍّ كبير عن تدهور البلاد وعن عزلتها عن جيرانها، لكن التغيير السريع والمفاجئ والانتقال نحو المذهب السُّنِّي هو أمر عسير، لأنه سيثير عليه الشيعة في إيران والعراق، بالإضافة إلى أنه سيضعه في مصاف الزعامات السُّنّية الأخرى، مع ما نتج عن ذلك من صراعات على زعامة العالم الإسلامي السُّنّي، لذلك تبنّى حلاً وسطًا **وهو إعلان المذهب الجعفري مذهبًا سنيًا خامسًا**، فتبناه وتمسَّك به، **وطلب من الدولة العثمانية الاعتراف به.**

لم يلتفت السلطان العثماني محمود الأول إلى طلب نادر شاه، ورفض الشروط التي قدَّمها، بوصفها أمورًا يراد بها إذكاء الحرب من جديد، وأصدر مجلس العلماء فتوى شرعية بوصف أتباع المذهب الجعفري خارجين عن الدين، وقد أُعلم نادر شاه بالرفض العثماني.

نتيجة لهذا الرفض، قرر **نادر شاه** أن يشن حربًا كبرى على الدولة العثمانية، حتى يصل إلى أستنبول قلب الدولة، فهاجم الممتلكات العثمانية في الجزيرة الفراتية، وحاصر مدينة بغداد، واستولى على كركوك، وتقدم نحو الموصل التي كانت الهدف المرحلي الرئيس لحملته، بفعل أنه يستطيع من خلال سيطرته عليها تأمين جميع مسالك الشرق نحو كل من الأناضول وبلاد الشام، وفشلت الدولة العثمانية في إيقاف تقدمه على الرغم من أنها جرَّدت عليه ثلاث حملات عسكرية.

وتقدَّم نادر شاه إلى نواحي أرضروم، وطلب من الدولة العثمانية تسليمه إيالات فان والموصل وبغداد والبصرة، لكن والي بغداد أحمد باشا استطاع أن يقنعه بالكفَّ عما اعتزم عليه، وبخاصة أنه علم بزحف جيوش عثمانية أخرى، أعدتها الدولة لوضع حد لطموحه. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبدو أن الاضطرابات التي حصلت داخل إمبراطوريته أعاقته عن استمرار القتال، حتى إذا كان سنة ١١٥٩هـ/١٧٤٦م، وجَّه إليه السلطان محمود الأول جيشًا آخر بقيادة يكن محمد باشا، اقتنع، على الرغم من انتصاره في روان، بوجوب إجراء تعديل على حدود بلاده مع العثمانيين، لتعود كما كانت في عهد السلطان مراد الرابع، على أساس معاهدة سنة ١١٥٢هـ/١٧٣٩م، وكفَّ عن مطالبته بإقرار مذهبه الجديد، **معلنًا اعترافه بالسلطان العثماني خليفة على المسلمين**، وبذلك يكون نادر شاه قد أخفق في تحقيق غاياته، ورجع منحدرًا وقد تكبَّد خسائر جسيمة.

ودب الانحطاط في جسد الدولة الإيرانية بعد وفاته، سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٧م، ما أتاح للعثمانيين التنعم طويلاً بمناخ يسوده السلم والاستقرار.

ثانيًا.. الحرب مع الدول الأوروبية

أعلنت روسيا والنمسا الحرب على بولندا، واحتلتها روسيا، ورغبت فرنسا في التحالف مع الدولة العثمانية لإنقاذ بولندا من كل من النمسا وروسيا، وأرضت النمسا فرنسا بمعاهدة فيينا، واتفقت من جهة ثانية لقتال الدولة العثمانية، وبدأت روسيا القتال مع الدولة العثمانية، **فتمكن العثمانيون** من وقف تقدم الروس في إقليم البغدان، كما أوقفوا تقدم النمسا في البوسنة والصرب والأفلاق، وانتصرت على الصرب، وعلى جيوش النمسا التي انسحبت من الحرب، وطلبت الصلح عن طريق فرنسا، وتم توقيع معاهدة الصلح في **بلغراد** سنة ١١٥٢هـ/١٧٣٩م، تنازلت فيه النمسا عن مدينة بلغراد وعن بلاد الصرب والأفلاق، وتعهدت روسيا بعدم بناء سفن في البحر الأسود وهدم قلاع ميناء آزوف.



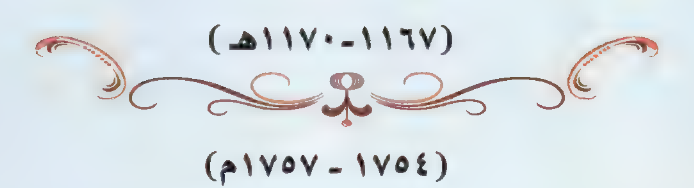
قامت حروب بين الدولة العثمانية وروسيا في عهد محمود الأول، على إثرها احتلت روسيا بعض مناطق الدولة العثمانية، وفي عهده أيضًا، انتصرت الدولة العثمانية على الصرب والنمسا، واستردت **بلغراد والأفلاق وعددًا من الأراضي**، وتعهدت روسيا بعدم بناء السفن في البحر الأسود. الإنجازات العسكرية السالفة **جعلت العثمانيين يستعيدون شيئًا من هيبتهم بعد معاهدة كارلوفتز** التي وقعت في عهد مصطفى الثاني. كما تم عقد اتفاق في عهده مع **السويد** ضد روسيا عام ١١٥٣ هـ بوساطة السفير الفرنسي في الآستانة.

حدثت حرب طاحنة بين فرنسا والنمسا، كان سببها موت ملك النمسا شارل السادس. تولت بعده ماريا تيريزا مقاليد الحكم. حاولت فرنسا عبر سفيرها في أستنبول إقحام الدولة العثمانية في حلف عسكري معها في هذه الحرب، بحيث يضرب العثمانيون شرقًا والفرنسيون غربًا مشتتين القوة النمساوية، وأبرز الفرنسيون أن نجاح هذا الحلف سيعني عودة أغلب الأراضي التي فقدت منذ عهد السلطان سليمان القانوني بما فيها هنغاريا. لم توافق الخلافة العثمانية على هذا الحلف لعدم تبصر وزرائها بالسياسة الدولية من جهة، وللرغبة في حقن دماء المسلمين من جهة، والانشغال بعجلة الإصلاحات الداخلية.



خريطة عثمانية لقارة آسيا قمنا باقتصاص جزءٍ منها، وأبقينا الجزء الخاص بوسط وشرقي القارة، وهذه الخريطة تعود إلى أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، ومصدرها كتاب الخرائط العثمانية ص ٢٠٢-٢٠٣.


السلطان عثمان الثالث


(١١٦٧-١١٧٠هـ)
(١٧٥٤ - ١٧٥٧م)



والده: السلطان مصطفى الثاني

والدته: شهسوار والدة سلطان

ولادته: سنة ١١١٠هـ/١٦٩٩م

وفاته: سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٧م



مدتة حكمه: من ١١٦٧ - ١١٧٠هـ/ ١٧٥٤ - ١٧٥٧م

قضى عثمان الثالث معظم حياته داخل القصر مما جعل منه شخصًا عصبيًا، مهتز الشخصية، مترددًا، وقد وصفه البارون دي طوت بما يلي: (كان السلطان عثمان عصبيًا لا يثبت على قرار، وكان لجوجًا كثير الحساسية وكان يبغض الموسيقى، حتى إنه أبعد كل الموسيقيين الذين كانوا في القصر في عهد أخيه محمود الأول).

حدث حريق في أستنبول تضرر منه أكثر من نصف المدينة، وبعد سنة حدث حريق ثان أصاب حوالي أربعة آلاف منزل. من جهة أخرى كان عثمان الثالث لا يحبذ رؤية الجواري في أثناء تجواله بالقصر، لذلك كان ينتعل حذاء يحدث صوتًا حتى ينتبهن إلى قدومه فيركضن نحو غرفهن. كما كان يحبذ التجول في أحياء أستنبول، وكان يمنع النساء من إبداء زينتهن ولباس حللهن وجواهرهن.

توفي عثمان الثالث عن عمر يناهز ٦١ عامًا بعد أن قضى ثلاث سنوات في السلطة، وقد دفن إلى جوار السلطان محمود الأول بجامع (يني جامع). عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون، تعريب محمد جان، ص ٧٣.

الأعلام الذين عاصروه:

فيض الله زاده، مرتضى أفندي، صاف عبد الله أفندي، داماد زاده، فيض الله أفندي، دري زاده، مصطفى أفندي، محمد راسم أفندي، رئيس الخطاطين، وقد توفي سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٦م. الشيخ أكيجي محمد أفندي.

ذريته:

لم تكن له ذرية.

تولى الحكم وعمره ٥٨ سنة، وبويع في جامع أبي أيوب الأنصاري، وهنأه سفراء أوروبا، وحكم ثلاث سنوات فقط، لم يحدث فيها حروبًا ولا نزاعات خارجية، واهتم بالإصلاحات الداخلية، وأصدر أوامر بمنع كل ما يخالف الشرع الشريف، وقضى على الثورات والانتفاضات التي قامت في أنحاء الدولة، **وخاصة ثورات الأكراد**، ويذكر عنه أنه كان يتحسس أحوال الرعية ليلًا متنكرًا.

د. علي الصلابي، الدولة العثمانية، ص ٣٣٨.



(١١٧٠-١١٨٧هـ)

(١٧٥٧ - ١٧٧٤م)



والده: السلطان أحمد الثالث

والدته: مهرماه سلطان

ولادته: سنة ١١٢٩هـ/١٧١٧م

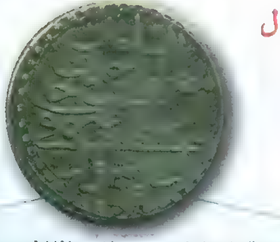
وفاته: سنة ١١٨٧هـ/١٧٧٤م

مدة حكمه: من ١١٧٠ - ١١٨٧هـ/١٧٥٧ - ١٧٧٤م

كان **السلطان مصطفى الثالث** متوسط القامة، قوي البنية، واسع المنخرين، أسود اللحية، وقد اشتهر بالسخاء والحزم، إذ كان شديد الصرامة في محاسبة المتصرفين في خزينة الدولة، كما كان ذكيًّا وصاحب إدراك وانتباه شديدين.

ومن ناحية أخرى، اهتم مصطفى الثالث بالتاريخ الإسلامي وخاصة التاريخ العثماني، كما شغف بالتنجيم - **قلت: وهو أمر يتنافى مع كمال التوحيد الواجب** - حتى إنه طلب من ملك بروسيا فريدريك الثاني ثلاثة منجمين للتكهن بأحوال الإمبراطورية. وإضافة إلى ذلك اهتم بالشعر والشعراء إذ كان هو نفسه شاعرًا ومن بين ما كتبه:

إن الدنيا منهدمة لا تظن أنها تستقيم لنا
جميع مراتب الدولة بقيت في أيدي الأراذل
وإن السعداء اليوم كلهم أدنياء



عملة السلطان مصطفى الثالث بن أحمد الثالث ضرب أسلامبول سنة ١١٧١هـ.

أبناؤه:

سليم الثالث، محمد

بناته:

شاه سلطان، فاطمة سلطان، بكخان سلطان، هبة الله سلطان.

تولى الحكم وعمره اثنتان وأربعون سنة، وكان على دراية واسعة بإدارة الدولة، فعين الوزير قوجه راغب صدرًا أعظم لسعة اطلاعه وخبرته بشؤون البلاد. وقد استطاع محمد راغب باشا من إخماد **ثورة عرب الشام الذين اعتدوا على قوافل الحجاج**. كان السلطان مصطفى يرى أن الخطر الداهم على الدولة العثمانية يتمثل في ظهور القوة الروسية الجديدة، ويبدو أنه اطلع على المخطط الأسود الروسي لتفتيت الدولة العثمانية، الذي وضعه بطرس الأكبر في وصيته، ولذلك أعد السلطان مصطفى الثالث لحرب روسيا، فبدأ يعد التنظيمات المزمع تنفيذها بالجيش العثماني، حتى يصبح قادراً على مواجهة الجيوش الأوروبية. د. علي الصلابي، الدولة العثمانية، ص ٣٢٨-٣٢٩.

الحرب العثمانية الروسية المدمِّرة

خاضت **الدولة العثمانية حربًا مع روسيا** بسبب اعتداءات القوزاق على مناطق الحدود، ونجح خان القرم على قارته وهدم عددًا من الضياع، وذلك سنة ١١٨٩هـ /١٧٦٨م، كما سار الصدر الأعظم بفك الحصار عن بعض المواقع التي يحاصرها الروس، ولكنه فشل فكان جزاؤه القتل، وهزم الصدر الذي أتى بعده، واحتل الروس إقليمي **الأفلاق والبغدان**. وأخذ الروس يثيرون النصارى من الروم الأرثوذكس للقيام بثورات ضد الدولة. فأثاروا نصارى شبه **جزيرة المورة** فقاموا بثورة، غير أن الثورة قد أخمدت.

كما هاجم الروس مدينة **طرابزون** وفشلوا في احتلالها، ولكنها (روسيا) نجحت في اقتحام **بلاد القرم** والسيطرة عليها وذلك سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م. ثم جرت مفاوضات الصلح، ولكنها فشلت بسبب مطالب روسيا التعسفية، وعادت الحرب وانتصر العثمانيون.

كما حاولت **روسيا** إثارة بعض الولاة العثمانيين مثل **علي بك الكبير** والي مصر لمحاربة العثمانيين ومد نفوذه في بلاد الشام، وقيام روسيا بمده بالسلاح والذخائر، من أجل إحداث الفوضى في داخل الدولة العثمانية وطعنها من الخلف، **وإمكانية قهرها في الجهة الروسية**، وحرك علي بك الكبير الجيوش نحو بلاد الشام واحتلها، ثم توجه إلى بلاد الأناضول لمقابلة الروس الزاحفين من الشمال. غير أن نائب علي بك الكبير وهو **محمد أبو الذهب** قد قام بثورة ضده فعاد إلى مصر وقاتل أبا الذهب لكنه هزم أمامه. فالتجأ إلى **ظاهر العمر** والي صفد واتفقا على محاربة العثمانيين، ودعمتهما روسيا، وحاربا الدولة العثمانية بمساعدة الأسطول الروسي، الذي خرَّب مدينة بيروت. ثم عاد إلى محاربة محمد أبو الذهب غير أن علي بك وقع أسيرًا بيد أبي الذهب وقتل هو وأعوانه. وتوفي الخليفة سنة ١١٨٧ هـ وتولى مكانه أخوه عبد الحميد الأول. د. إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، ص ١٢٢ - ١٢٣.

في ٨ / ١٠ / ١٧٦٨م. **نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا**، وذلك أنه لما توفي أوغست الثالث ملك بولونيا، سعت كاترينا الثانية إمبراطورة روسيا التي تولت عقب قتل بطرس الثالث، في تعيين عاشقها ستانسلاس بونياتوكسي ملكًا عليها. باستعمال نفوذها في مجلس الأمة عند الانتخاب، خلافًا لما تعهدت به للدولة العثمانية، وما ذلك إلا إنفاذًا لسياسة بطرس الأكبر، القاضية بإزالة الحواجز الثلاثة الحائلة بينها وبين أوروبا الغربية، وهي **السويد وبولونيا والدولة العثمانية**. وقد أُزيل الحاجز الأول باستيلاء روسيا على جميع الولايات السويدية الفاصلة بينها وبين ألمانيا، بحيث لم يبق للسويد أملاك خارجة عن بلادها الأصلية بمقتضى معاهدة ني ستاد المُبرمة بينهما في١٦٧٢م، وأزيل الثاني تقريبًا، بتعيين أحد أتباع الإمبراطورة كاترينا ملكًا على بولونيا.

ولذلك تنبهت الدولة العثمانية إلى نتيجة هذه السياسة، وعَلمت أنها إن لم تَضع حدًا لتَقدم نفوذ روسيا، أو بتجزئتها بينها وبين مُجاوريها، ولكن جاء هذا التنبه، فقد كان يجبُ عليها مُساعدة السويد، بكل طاقتها من أجل حفظ ولايتها الواقعة على بلطيق، من الوقوع في أيدي روسيا، التي تطمع في الاستمرار في تنفيذ وصية بطرس الأكبر الجهنمية. الصاوي محمد الصاوي، الدولة العثمانية، ج ١، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.



ثارت الحرب من جديد بسبب **اجتياح روسيا لبولندا** سنة (١١٨٣ هـ = ١٧٦٩ هـ)، وقيام **الرهبان الروس بإثارة الفتنة في الصرب وبلغاريا والجبل الأسود**، وكانت تلك البلاد خاضعة للدولة العثمانية فأرسلت الدولة العثمانية إنذارًا إلى روسيا بأن تُخلي بولندا، فلم تستجب، **واشتعلت الحرب بين الدولتين**، ولم يكن قادة العثمانيين خلال هذه المدة كسابقيهم من حيث القوة والهيبة، فلحقت بهم الهزائم المتلاحقة، **واستولى الروس على بعض الأراضي التابعة للدولة العثمانية**.

وكان الأسطول الروسي في بحر البلطيق، بسبب **كون البحر الأسود بحيرة عثمانية** مغلقة تفرض الدولة العثمانية سيطرتها عليه، فأبحر الأسطول الروسي إلى المحيط الأطلسي، واجتازه إلى البحر المتوسط، وحين أخبر السفير الفرنسي "الباب العالي" بتحرك الأسطول الروسي، لم يتحرك أحد من القادة والوزراء، ولم يصدقوا أن يقوم أسطول العدو باجتياز تلك البحار إلى المياه العثمانية، وتقابل الأسطولان في شمالي جزيرة **"ساقيز"** ببحر إيجة، واستمر القتال أربع ساعات انتصر بعدها العثمانيون.

ورجع العثمانيون بعد إحراز النصر إلى ميناء **جشمة بالقرب من أزمير**، وتبعتهم سفينتان صغيرتان من مراكب الروس، وظن العثمانيون أنهما فارتان وترغبان في الانضمام إليهم، فلم يتعرضوا لهما، وما إن دخلا الميناء حتى ألقيا النيران على السفن العثمانية التي كانت ترسو متراصة بعضها إلى بعض فاشتعلت فيها النيران بسرعة، وانفجرت المعدات الموجودة بالسفن، وسرعان ما احترق الأسطول العثماني برمته في (١١ ربيع الأول ١١٨٤ هـ/ ٥ يوليو ١٧٧٠م)، وأحدث هذا الانتصار دويًا هائلاً في أوروبا.

وواصل الروس انتصاراتهم فاستولوا على بلاد القرم، وأعلنوا انفصالها عن الدولة العثمانية واستقلالها تحت حماية روسيا، وأقاموا حاكمًا عليها باسم كاترين الثانية إمبراطورة روسيا. **واضطرت الدولة العثمانية إلى عقد هدنة مع روسيا في (٩ ربيع الأول ١١٨٦ هـ = ١٠ يونيو ١٧٧٢م)** غير أن روسيا تعسفت في مطالبها لإمضاء الهدنة؛ إذ اشترطت اعتراف الدولة العثمانية باستقلال تتار القرم، وطالبت بحرية الملاحة لسفن روسيا التجارية في البحر الأسود وجميع بحار الدولة العثمانية، ولما لم تقبل الدولة هذه الشروط انفض المؤتمر الذي عُقد بين الدولتين لهذا الغرض.



خريطة أوروبا السياسية المعاصرة

القائد المملوكي علي بك الكبير

هو علي بك الكبير (علي بك بلاط هذا هو الاسم الحقيقي له) ١١٤٠هـ / ١٧٢٨م - ٢٥ صفر ١١٨٧ هـ / ٨ مايو ١٧٧٣م) مملوكي حكم القاهرة كشيخ البلد **أيام العثمانيين**.

ويذكر المؤرخ الأوروبي ستافرو لانسبان وكان معاصرًا لعلي بك الكبير وملاصقًا له، أنه ابن قسيس رومي أرثوذكسي من قرية أماسيا في الأناضول، وأنه ولد في سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٨م، ثم خطفه في الثالثة عشر من عمره، وبيع في القاهرة للأمير إبراهيم كتخدا، وبدأت معه رحلة التعليم والتدريب التي يمر بها المماليك.

وفي تلك المرحلة ظهرت ملامح شخصيته وكفاءته العسكرية، فتفوق على أقرانه في ركوب الخيل، والضرب بالسيف والطعن بالرمح، واستخدام الأسلحة النارية، وهو ما جعل سيده يعتقه وهو لم يتجاوز العشرين، وولاه بعض المهام الإدارية، وأصبح كاشفًا (أميرًا) سنة ١١٦٣هـ/١٧٤٩م، وله من العمر اثنان وعشرون عامًا، ولما توفي أستاذه إبراهيم كتخدا سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٤م، خلفه في منصبه شيخ البلد.

تطلع **علي بك الكبير** إلى منصب شيخ البلد، وكان شاغله هو صاحب الحول والقوة في مصر والحاكم الفعلي لها، ولم يكن الوصول إلى هذا المنصب سهلًا ميسورًا، بل كان دائمًا مفروشًا بالصعاب والعقبات وممتلئًا بالخصوم والمنافسين، فبدأ علي بك بشراء المماليك والإكثار منهم وتدريبهم على فنون الحرب والقتال، والاستعداد للساعة الحاسمة التي يفوز فيها بالمنصب الكبير، وجاءت هذه الساعة في سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م، حيث **اعتلى كرسي مشيخة البلد بالقاهرة**، لكنه لم ينجح في الاحتفاظ بمنصبه، وأجبره خصومه على الفرار من القاهرة إلى الصعيد تارة وإلى الحجاز تارة وإلى الشام تارة أخرى.

ولم يثنه ذلك عن التطلع إلى منصب شيخ البلد مرة ثانية، فلم يقعد به اليأس عن العمل أو يشله عن التفكير، حتى استطاع العودة إلى منصبه الأثير سنة ١١٨١هـ/١٧٦٧م، وهو أعظم قوة وأكثر عددًا، ولما استتب له الأمر التفت إلى من بقي من خصومه فصادر أموالهم، وقتل بعضهم أو نفاهم، حتى خلا له الجو وبسط سيطرته على البلاد، ولم يسلم من هذه الإجراءات من قدموا له العون والمساعدة فبطش ببعضهم ونفاهم إلى خارج البلاد. اتسمت إجراءات علي بك الكبير مع خصومه بالقسوة، حتى وصفه الجبرتي بأنه هو الذي ابتدع المصادرات وسلب الأموال من مبدأ ظهوره، واقتدى به غيره، وكانت أداته في هذا الشأن عددًا من أتباعه، أشهرهم محمد بك أبو الدهب وأحمد الجزار ومراد بك وإبراهيم بك.



استغل علي بك الكبير فرصة انشغال الدولة العثمانية في حربها مع روسيا، ولم تكن نتائجها في صالح العثمانيين الذين منوا بخسائر فادحة، فاستصدر أمرًا من الديوان بعزل الوالي العثماني، وتولى هو منصب القائمقام بدلًا من الوالي المخلوع، وذلك في غرة شعبان ١١٨٢هـ/ ١١ ديسمبر ١٧٦٨م.

وأتبع ذلك بمنعه قدوم الولاة الأتراك إلى القاهرة، فلم ترسل الدولة أحدًا منهم على مدى أربع سنوات، كما أوقف إرسال الأموال المقررة سنويًا على مصر إلى الدولة العثمانية ابتداءً من سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م.

السلاطين العثمانيون في عصر الانحطاط والتراجع

التاريخ	الخليفة (السلطان)	أهم الأحداث الكبرى في عهده
١١٧١ هـ - ١١٨٧ هـ	مصطفى الثالث	١- ثورة علي بك الكبير في مصر. ٢- ثورة ظاهر العمر في الشام.
١١٨٧ هـ - ١٢٠٣ هـ	عبد الحميد الأول	١- معاهدة كوتشيك قنارجيه. ٢- استيلاء روسيا على بلاد القرم.
١٢٠٣ هـ - ١٢٢٢ هـ	سليم الثالث	١- معاهدة ياسي. ٢- احتلال روسيا بلاد القرم وقوبان وبسارابيا. ٣- حملة نابليون على مصر ووصول محمد علي لحكمها.
١٢٢٢ هـ - ١٢٢٣ هـ	مصطفى الرابع	
١٢٢٣ هـ - ١٢٥٥ هـ	محمود الثاني	١- قتال الدولة السعودية. ٢- ثورة اليونان. ٣- إلغاء الإنكشارية. ٤- الحرب مع روسيا ومعاهدة أدرنة. ٥- احتلال فرنسا للجزائر. ٦- دخول محمد علي بلاد الشام. ٧- خط شريف كولخانه. ٨- انسحاب جيوش محمد علي من الشام. ٩- لبنان والحرب الطائفية.
١٢٥٥ هـ - ١٢٧٧ هـ	عبد المجيد	١- حرب القرم. ٢- الفتنة الطائفية في بلاد الشام. ٣- الخط الهمايوني.
١٢٧٧ هـ - ١٢٩٣ هـ	عبد العزيز	١- ثورة كريت. ٢- مجلة الأحكام العدلية. ٣- فتح قناة السويس.
١٢٩٣ هـ - ١٢٩٣ هـ	مراد الخامس	
١٢٩٣ هـ - ١٣٢٣ هـ	عبد الحميد الثاني	١- الحرب مع روسيا ومعاهدة سان استيفانس. ٢- احتلال الأنجليز لجزيرة قبرص. ٣- مؤتمر برلين. ٤- سيطرة الاتحاد والترقي على جهاز الدولة.


السلطان عبد الحميد الأول
(١١٨٧-١٢٠٣هـ)
(١٧٧٤ - ١٧٨٩م)



والده: السلطان أحمد الثالث

والدته: رابعة شرعي سلطان

ولادته: سنة ١١٣٧هـ/١٧٢٥م

وفاته: سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م

مدة حكمه: من ١١٨٧ - ١٢٠٣ هـ/ ١٧٧٤ - ١٧٨٩م

قضى السلطان **عبد الحميد الأول** معظم حياته في القصر، وبعدما اعتلى العرش لم يهتم بمباشرة السلطة بنفسه، إذ كان سلطانًا خاملاً برغم ما كان يبدو عليه من مظاهر الهيبة. كما كان فائق الإنسانية.

تولى الحكم سنة ١١٨٧هـ/١٧٧٤م بعد وفاة أخيه مصطفى الثالث، وكان محجوزًا في قصره مدة حكم أخيه مصطفى الثالث، استطاعت روسيا أن تحقق نصرًا على العثمانيين في مدينة فارنا في بلغاريا على البحر الأسود، وطلب الصدر الأعظم الصلح والمفاوضة، وتم ذلك في مدينة قينارجيه في بلغاريا سنة ١١٨٧هـ/١٧٧٤م.

أبناؤه:

مصطفى الرابع، محمود الثاني، مراد، نصرت، محمد، أحمد، سليمان.

بناته:

أسماء، أمينة، رابعة، صالحة، عليم شاه، در الشهوار، فاطمة، ملك شاه، هبة الله، زكية.



عملة من الذهب (سلطاني عثماني) اسلامبول سنة ١١٨٧ هـ

السلطان عبد الحميد الأول بن أحمد

القطر ٢,٣ سم

م. ص. ك. الدينار عبر العصور الإسلامية



موقع مدينة كوتشك قينارجيه من خلال خريطة تاريخية عثمانية لبلغارستان (بلغاريا).

بنود معاهدة كوتشك قينارجيه[1] ١١٨٧هـ/ ١٧٧٤م

- إزالة العداوة بين الدولة العثمانية وروسيا، وحلول الصلح وصيانة الاتفاقات من التغيير، والعفو عن الجرائم التي اقترفها رعايا الطرفين.
- عدم حماية الرعايا الملتجئين أوالفارين أوالخونة ضمن شروط.
- اعتراف الطرفين بحرية **بلاد القرم** بلا استثناء واستقلالها، ولهم الحرية التامة بانتخاب خان لهم دون تدخل ولايؤدون ضريبة. وبوصفهم مسلمين، فإن أمورهم المذهبية تنظم من قبل السلطان بمقتضى الشريعة الإسلامية.
- سحب القوات العثمانية من القرم وتسليم القلاع وعدم إرسال جنود أومحافظ عسكري.
- حرية كل دولة في بناء القلاع والأبنية والتحصينات وإصلاح مايلزم منها.
- تعيين سفير روسي في الآستانة من الدرجة الثانية، والاعتذار له رسميًا عمَّا يحدث من خلل.
- تتعهد الدولة العثمانية بصيانة الحقوق والكنائس النصرانية في أراضيها ومنح الرخصة من الخلل.
- حرية زيارة رهبان روسيا للقدس والأماكن الأخرى التي تستحق الزيارة مرخص بها دون دفع جزية أو خراج ويعطون التسهيلات والحماية في أثناء ذلك.
- حرية الملاحة للروس في كافة الموانئ العثمانية في البحرين الأبيض المتوسط والأسود مضمونة، وكذلك حرية اتجار الرعايا الروس في البلاد العثمانية برًا وبحرًا مكفولة، وللتجار الروس حريةالاستيراد منها والتصدير إليها والإقامة فيها. ويحق لروسيا تعيين القناصل في كافة المواقع التي تراها مناسبة.
- يجب على الدولة العثمانية التعهد ببذل جهدها في كفالة حكومات الولايات الإفريقية إذا ما رغب الروس بعقد معاهدات تجارية فيها.
- يحق للروس بناء كنيسة على الطريق العام في محلة (بكل أوغلي) في (غلطة) بأستنبول غير الكنيسة المخصصة، وتكون تحت صيانة سفير روسيا، وتؤمن الصيانة الكاملة لها والحراسة التامة خوفًا من التدخل.
- إعادة بعض المناطق للدولة العثمانية من روسيا بشروط منها العفو العام عن أهاليها وحرية النصارى منهم من كافة الوجوه وبناء كنائس جديدة ومنح امتيازات للرهبان وحرية الهجرة للأعيان وعدم التعرض لهم وإعفائهم من تكاليف الحرب والجزية.

---

١ – د. علي حسون، العثمانيون والروس، ص٨٣ – ٨٤ .

• يرد الروس جزائر البحر الأبيض المتوسط التي هي تحت حكمهم للدولة العثمانية، التي يجب أن تعفو عن أهلها، وتعفيهم من الرسوم السنوية، وتمنحهم الحرية الدينية وترخص لمن يريد منهم ترك وطنهم.

• كما ذكرت بنودًا أخرى تتعلق ببعض المناطق في القرم وبتدابير الانسحاب وإخلاء الأفلاق والبوجاق والبغدان وبتسريح الأسرى وتعيين السفراء من أجل المصالحة، وتعهدت الدولة العثمانية بتأدية خمسة عشر ألف كيسًا لروسيا في مدة ثلاث سنين، يدفع منها في كل سنة قسط وهو خمسة آلاف كيس.

خرقت **روسيا** معاهدة قينارجيه باحتلالها **لبلاد القرم**، فجن جنون العثمانيين، وأرادوا إعلان الحرب على روسيا لاسترجاع بلاد القرم، لكن **فرنسا** نصحت السلطان عبد الحميد بعدم الإقبال على إعلان الحرب، بسبب استعداد روسيا المسبق لحرب العثمانيين ولعلم الفرنسيين عن معاهدة عسكرية سرية بين **الملكة الروسية وإمبراطور النمسا** لقتال العثمانيين في نفس الوقت في حال اندلاع أي حرب روسية عثمانية جديدة، لكن الملكة الروسية كاترينا استفزت مشاعر الخلافة مجددًا في سنة ١٧٨٧م بزيارتها لأراضي القرم، حيث كانت قد نصبت لها أقواس النصر المكتوب عليها **(الطريق بيزنطة)**، والمقصود هنا هو طموح روسيا باستعادة **ممتلكات الحضارة البيزنطية، وإعادة السيطرة الأرثوذكسية على القسطنطينية، فأعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا.**

ارتبكت القيادة العسكرية الروسية الغير مستعدة للحرب، إلا أن ملكة روسيا كتبت إلى بوتمكين القائد الروسي للإسراع باحتلال إقليم أوزي المتاخم لبلاد القرم، قبيل وصول جيش الخلافة، وبالفعل دخلتها القوات الروسية، **أما النمسا** فقد أعدت العدة وأرسل الإمبراطور جوزيف الثاني جيشًا لانتزاع **بلغراد** فمني الجيش النمساوي بشر هزيمة وتعقبته العساكر العثمانية.

وفاة السلطان عبدالحميد الأول وأثرها على الأحداث[1]:

في هذه الآونة توفي السلطان عبدالحميد الأول، ووهنت عزيمة الجند، ودخل اليأس قلوبهم، واستغل الأعداء ماحدث، وتضافرت جهودهم لإضعاف العثمانيين، وتمكنوا من النصر في ٣١ تموز وفي ٢٢ أيلول سنة ١٧٨٩م، واستولى الروس على مدينة بندر الحصينة، واحتلوا معظم الفلاخ والبغدان وبسارابيا، ودخل النمساويون بلغراد وبلاد الصرب، التي ردت بعد ذلك بمقتضى معاهدة زشتوي.

١ – د. علي حسون، العثمانيون والروس، ص٨٦ – ٨٧ .



الوضع السياسي العام بعد سنة ١٧٨٧م

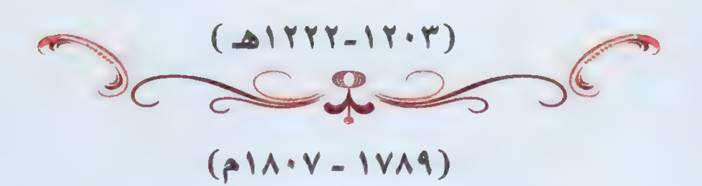


لقطة لمخطوطة من القرن السادس عشر تبين معسكراً عثمانياً. يبين هذا القسم الصغير من مخطوطة كبيرة معسكراً يتضمن سوقاً يوزع فيها طعام ساخن.

كما هو موضح في أعلى الصفحة لهذه المخطوطة أنها تعود إلى القرن ١٦م وتتحدث عن معسكر يضم سوقًا يوزع فيه طعام ساخن. م. ص.ك. ألف اختراع واختراع. البروفيسور سليم الحسني.



(١٢٠٣-١٢٢٢هـ)



(١٧٨٩ - ١٨٠٧م)



والده: السلطان مصطفى الثالث

والدته: مهرشاه سلطان

ولادته: سنة ١١٧٥هـ/١٧٦١م

وفاته: سنة ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م

مدة حكمه: من ١٢٠٣ - ١٢٢٢ هـ/ ١٧٨٩ - ١٨٠٧م

كان السلطان **سليم الثالث** قوي الإرادة شجاعًا، كما كان حليمًا ورحيمًا برعيته؛ أما من حيث تكوينه فقد كان يتقن العربية، والفارسية، ووصل إلى درجة النبوغ في الفنون الجميلة، إذ كان شاعرًا وخطاطًا، كما أنه كان ميالًا إلى التجديد والاصلاح وكان معجبًا بالحضارة الأوروبية.

متفرقات:

- سليم الثالث هو أول سلطان اعتمد سفراء دائمين بالعواصم الأوروبية الكبرى.
- احتفل سليم الثالث بعيد ميلاده لمدة سبعة أيام بلياليها.
- تزوج سليم الثالث في تواريخ متعددة **بست عشرة امرأة لكنه لم يخلف أولادًا**.





سلطاني عثماني اسلامبول ١٢٠٣ هـ

سليم الثالث بن مصطفى

م.ص. الدينار عبر العصور الإسلامية

أولاً: إصراره على الجهاد في سبيل الله

ثانياً: هزيمة الجيوش العثمانية أمام القوات الروسية والنمساوية

ثالثاً: موقف الدول الأوروبية من هذه المعاهدات

رابعاً: الإصلاح الداخلي والمعارضة

خامساً: الغزو الفرنسي الصليبي على الدولة العثمانية في مصر

سادسًا: العلاقة مع الدولة السعودية الأولى

أهم الأحداث الكبرى في عهد السلطان سليم الثالث



السلطان سليم الثالث يستقبل الأعيان في قصر طوب قابي

هذه الآمال العظيمة عند السلطان العثماني **سليم الثالث** في إصراره على المضي قدمًا في **شأن الجهاد** في سبيل الله. جعلته يرفض مساعي الصلح التي قام بها سفراء إسبانيا وفرنسا وبروسيا، وطلب من الصدر الاعظم يوسف باشا اتخاذ الترتيبات اللازمة للتصدي لأعداء الدولة.

لقد أدرك السلطان المأساة التي يعيشها شعبه من جراء الهزائم المتلاحقة على الدولة العثمانية، ولكي يخفف من حدة الغضب والنفور، رفض السلطان مساعي الصلح وقرر التوجه بنفسه على رأس جيش نحو الدانوب.

وقام بزيادة مرتبات الجند وصرف مكافآت إضافية تزيد عما كانت عليه في عهد سلفه. ورأى السلطان العثماني ضرورة تقوية مركزه بتعيين صديقه القديم حسين باشا الكريدلي قائدًا للأسطول العثماني ونقل خدمات القائد السابق حسن باشا إلى قيادة الجيش البرية في مُولدافيا، وتعيينه حاكماً على مدينة "إسماعيل" وتكليفه في الوقت نفسه بإعادة أوزي والتوجه بطريق البر نحو القرم. د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ٣٤٥ .



هزيمة الجيوش العثمانية أمام القوات الروسية والنمساوية

اتحدت **الجيوش الروسية والنمساوية** فتمكّنت روســـيا من الاستيلاء على الأفلاق، والبغدان، وبسارابيا، واستطاعت النمسا احتلال بلاد الصرب، ودخلت بلغراد.

غير أن اتفاق الروس والنمساويين لم يطل إذ انصرف إمبراطور النمسا ليوبولد الثانـــي الذي خلف جوزيف الثاني في هذا الوقت إلى **الثورة الفرنســية** وما حدث نتيجة ذلك من قتل الملك لويـــس السادس عشر ملك فرنسا، وخاف إمبراطور النمسا من امتداد الثورة نحو بلاده، وقد حـــرص على مصالحة الدولة العثمانية لذلك، ونتيجة الصلح أعيد للدولة بلاد الصرب وبلغراد. وكان هذا لا شك في صالح العثمانيين، وتمّ سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م.

أما **روسيا** فقد استمرت بالحرب، واستولت على بعض المدن فارتكبت من الجرائم ما لا يوصف. ثم توسطت أنجلتـــرا، وهولنـــدا، وبروســـيا للصلح بين الطرفين خوفًا على مصالحهم فكانت **معاهدة (ياسي)** ســـنة ١٢٠٦هـ/١٧٩١م، أخذت روسيا بموجبها بلاد القرم نهائيًا، وبســـارابيا، وجزءًا من بلاد الشراكسة، والمنطقة الواقعة بين نهري (بوغ) و(دينستر)، وأصبح هذا النهر الأخير فاصلًا بين الدولتين، كما تنازلت الدول العثمانية عن مدينة (أوزي). محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)، ص ١٥٦.

الثورة الفرنسية ١٧٨٩ - ١٧٩٩م

اندلعت هذه **الثورة** في سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م وامتدت حتى سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٩م، كانت حقبة من الاضطرابات الاجتماعية والسياسية في فرنسا، التي أثّرت بشكل بالغ العمق على فرنسا وجميع أوروبا. انهار خلالها النظام الملكي المطلق، الذي كان قد حكم فرنسا قرونًا عدّة في غضون ثلاث سنوات. وخضع المجتمع الفرنسي لعملية تحوّل مع إلغاء الامتيازات الإقطاعية والأرستقراطية والدينية، وبروز الجماعات السياسيّة اليساريّة الراديكالية، إلى جانب بروز دور عموم الجماهير وفلاحي الريف في تحديد مصير المجتمع. كما تم خلالها رفع ما عرف باسم مبادئ التنوير، وهي المساواة في الحقوق والمواطنة والحرية ومحو الأفكار السائدة عن التقاليد والتسلسل الهرمي والطبقة الأرستقراطية والسلطتين الملكية والدينية.

دامت الثورة الفرنسية عشر سنوات، ومرت عبر ثلاث مراحل أساسية:

المرحلة الأولى (يوليو ١٧٨٩ - أغسطس ١٧٩٢): مدة الملكية الدستورية: تميزت هذه المرحلة بقيام ممثلي الهيئة الثالثة بتأسيس الجمعية الوطنية واحتلال سجن الباستيل، وإلغاء الحقوق الفيودالية، وإصدار بيان حقوق الإنسان ووضع أول دستور للبلاد.

المرحلة الثانية (أغسطس ١٧٩٢ - يوليو ١٧٩٤): مدة بداية النظام الجمهوري وتصاعد التيار الثوري، حيث تم إعدام الملك وإقامة نظام جمهوري متشدد.

المرحلة الثالثة (يوليو ١٧٩٤ – نوفمبر ١٧٩٩): مدة تراجع التيار الثوري، وعودة البورجوازية المعتدلة، التي سيطرت على الحكم، ووضعت دستورًا جديدًا، وتحالفت مع الجيش، كما شجعت الضابط **نابليون بونابارت** للقيام بانقلاب عسكري ووضعت حدًا للثورة وأقامت نظامًا ديكتاتوريًا توسعيًا.

النتائج السياسية: عوَّض النظام الجمهوري الملكية المطلقة، وأقر فصل السلطات، وفصل الدين عن الدولة والمساواة وحرية التعبير.

نتائج الثورة الفرنسية:

النتائج الاقتصادية: تم القضاء على النظام القديم، وفتح المجال لتطور النظام الرأسمالي، وتحرير الاقتصاد من رقابة الدولة، وحذف الحواجز الجمركية الداخلية، واعتماد المكاييل الجديدة والمقاييس الموحدة.

النتائج الاجتماعية: تم إلغاء الحقوق الفيودالية، وامتيازات النبلاء ورجال الدين، ومصادرة أملاك الكنيسة، كما أقرت الثورة مبدأ مجانية التعليم وإجباريته، والعدالة الاجتماعية وتوحيد اللغة الفرنسية وتعميمها.

فرنسا

بريطانيا
بلجيكا
هولندا
ألمانيا
لوكسمبورغ
سويسرا
إيطاليا
موناكو
إسبانيا
أندروة
بحر المانش
المحيط الأطلسي
خليج غاسكونيه
خليج ليون
البحر المتوسط
جزر أنغلو- نورماند (بريطانيا)

كاليه
ليل
آراس
أميان
شيربورغ
لوهافر
روان
كان
رمس
متس
نانسي
ستراسبورغ
باريس
برست
رين
النسون
لومان
أورليان
تروا
مولهاوس
بلفور
أنجيه
نانت
تور
ديجون
بورج
نيفير
بواتييه
لاروشيل
كليرمون فيران
ليموج
ليون
سانت اتيان
برجيراك
غرونوبل
بوردو
روديز
أفينيون
نيس
بايون
تولوز
بيزيه
ناربون
مرسيليا
طولون
بريينيان

العاصمة
مدينة مهمة
الحدود الدولية
حدود المنطقة
قسم الحدود
الطرق الرئيسة
السكك الحديدية
الخريطة
٠ ٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ كم



اقتحام سجن الباستيل في يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩م

الثورة الفرنسية



الملك الفرنسي لويس السادس عشر الذي سقطت المملكة في عهده.

الحملة الفرنسية[1] على مصر وبلاد الشام ١٧٩٨ - ١٨٠١م

تعرضت **مصر** على مر تاريخها لحملتين صليبيتين في عهد الدولة الأيوبية،- **انظر كتابنا أطلس الحمــلات الصليبية ص ١٤٨ وما بعدهــــا، وص ١٧٠-١٧٧** - وكانت الحملتان **تقودهما فرنسا**، أما الأولى فقد عرفت بالحملة الصليبية الخامسة، وكانت بقيادة جان دي برس. وأما الأخرى فقد عرفت بالحملة الصليبية السابعة، وكانت بقيادة الملك لويس التاسع، ومنيت الحملتان بهزيمة مدوية عامي (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) و(٦٤٨هـ/١٢٥٠م) وخرجتا من مصر.

بيد أن احتلال مصر كانت رغبة قوية **لدى فرنسا**، وبقيت أملًا لساستها وقادتها، ينتظرون الفرصة السانحة لتحقيقها متى سنحت الفرصة، وفي سبيل ذلك يبعثون رجالهم إلى مصر على هيئة تجــار أو سياح أو طلاب ودارسين، ويسجلون دقائق حياتها في تقارير يرسلونها إلى قادتهم.

ولما بدأ الضعف يتسرب إلى **الدولة العثمانية** أخذت فرنسا تتطلع إلى المشرق العربي مرة أخرى، وكانت تقارير رجالهم تحرضهم بأن اللحظة المناسبة قد حان أوانها ولا بد من انتهازها.

ففي سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٩م، دخلت **فرنسا مصر** بجيشها الذي يقوده **نابليون بونابرت** دون إعلان الحرب على الدولة العثمانية، وكان قوام الجيش الفرنسي ٣٦٠٠٠ عسكري من العساكر التي تمرست في المعارك المختلفة بعد خبراتها في الحملة الفرنسية في إيطاليا، بالإضافة إلى ١٢٢ عالمًا في مختلف المجالات لدراسة الأرض المصرية، وكان الهدف الرئيس من هذه الحملة السيطرة على طريق التجارة الإنجليزي، الذي كان يستغل الأراضي المصرية لإرسال البضائع الإنجليزية والمؤن والمواد الخام من وإلى الهند والسند.

حاول **نابليون** أن يخدع الشعب المصري، فأعلن بأنه صديق **للخليفة العثماني**، وأنه جاء لطرد المماليك، الذين عاثوا في الأرض الخراب، ولم يلبث المماليك أن خسروا أمام بونابرت في معركة الأهرام، ولم يقووا على الوقوف أمام المدفعية الفرنسية الحديثة. هاجم الأدميرال نلسون الإنجليزي الأسطول الفرنسي، وأغرقه في معركة أبي قير، مما قطع طرق الإمداد على الحملة الفرنسية، كما أن انتشار الطاعون وقدوم فصل الشتاء أجبر نابليون على العدول عن توغله والتوقف على أســوار عكّا والعودة إلى مصر. **تعاونت الدولة العثمانية مع إنجلترا وروسيا لإخراج فرنسا من مصر**، وأرسل العثمانيون وحلفاؤهم حملات عدّة حتى تمكنوا من إجبار الفرنسيين على الجلاء التام. راسل نابليون دار الخلافة عبر السفير العثماني في فرنسا لإعادة المودة بين البلدين كما كانت قبيل الحرب، فوافق السلطان سليم الثالث لما كان يرى في ذلك ضمانًا لعدم بقاء الإنجليز في مصر.

---

١ - موسوعة المعرفة على الشبكة العنكبوتية.



الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام

عندما سمع نابليون أن العثمانيين يعدون جيشًا لاستعادة مصر صمم على مواجهة التحدي، فأعدَّ ثلاثة عشر ألفًا من رجاله إلى بلاد الشام، وانطلق في ١٠ فبراير سنة ١٧٩٩م واستولى على العريش، وأتم عبور صحراء سيناء، ويبين لنا خطاب كتبه نابليون في ٢٧ فبراير بعض جوانب هذه المحنة: حرارة وعطش "وماء غير عذب تعتريه ملوحة، وأحيانًا لا ماء أبدًا، لقد أكلنا الكلاب والحمير والجمال" ووجدوا في غزة – ويا لسعادتهم – بعد معركة قاسية – خضراوات طازجة وبساتين ذوات فواكه لا مثيل لها.

بعد قيام نابليون بقتل الأسرى في يافا واصل الغزاة مسيرتهم، وفي ١٨ مارس وصلوا إلى مدينة عكَّا شديدة التحصين، وكان يقود المقاومة الجزار أحمد باشا يساعده أنطوان دي فيليبو – الذي كان زميلًا لنابليون في الدراسة في بريين، وحاصر الفرنسيون المدينة دون مدافع حصار ذلك أن مدافع الحصار التي كان قد تمَّ إرسالها من الإسكندرية بحرًا استولى عليها أسطول إنجليزي بقيادة سيروليم سدني، وسلمها إلى حصن المدينة (عكَّا) وراح يزود حاميتها بالطعام والمواد اللازمة في أثناء الحصار.

وفي ٢٠ مايو بعد أن قضى الفرنسيون شهرين أمام أسوار المدينة وتكبدوا خسائر فادحة أمر نابليون بالعودة إلى مصر، وقد ذكر نابليون بعد ذلك متفجعًا: **"إن فيليبو جعلني أتراجع عن عكَّا، فلولاه لأصبحت سيد مفتاح الشرق، ولأمكنني الذهاب إلى القسطنطينية واستعادة الإمبراطورية الشرقية"**.

كانت **العودة إلى مصر** على طول الساحل في أيام نحسات متلاحقة، وفي ١٤ يونيو دخل الجيش الفرنسي المنهك **مدينة القاهرة** دخول المنتصر، وعرض سبعة عشر علمًا من أعلام الأعداء وستة عشر أسيرًا تركيًا، كدليل أن الحملة قد حققت نصرًا يدعو للفخر، وكان دخولهم القاهرة بعد رحلة شاقة قطعوا فيها ٣٠٠ ميل في ستة وعشرين يومًا.

من نتائج الحملة الفرنسية على مصر:

النتائج الاجتماعية:

١- تعرف المصريون على الحضارة الغربية بمزاياها ومساوئها.

٢- عرف المصريون بعض الأنظمة الإدارية عن الفرنسيين، ومن بينها سجلات المواليد والوفيات، وكذلك نظام المحاكمات الفرنسي، وبرز ذلك في قضية سليمان الحلبي. أن الحملة الفرنسية هي التي قام بها محمد علي.

النتائج العلمية:

١- كتاب وصف مصر: رافقت الحملة الفرنسية مجموعة من العلماء في شتى مجال العلم في وقتها أكثر من ١٥٠ عالمًا وأكثر من ٢٠٠٠ متخصص من خيرة الفنانين والرسامين والتقنيين الذين رافقوا القائد الفرنسي **نابليون بونابرت** في مصر خلال أعوام ١٧٩٨/١٨٠١م. من كيميائيين وأطباء وفلكيين إلخ ...، وكانت نتيجة لمجهودهم هو كتاب وصف مصر، وهو عبارة عن المجموعة الموثقة تضم ١١ مجلدًا من الصور واللوحات مملوكة لمكتبة الإسكندرية و٩ مجلدات من النصوص من بينها مجلد خاص **بالأطالس والخرائط،** أسهم بها المجمع العلمي المصري، وقام هؤلاء العلماء بعمل مجهود غطى جميع أرض مصر من شمالها إلى جنوبها خلال سنوات تواجدهم، وقاموا برصد وتسجيل كل أمور الحياة في مصر آنذاك وكل ما يتعلق بالحضارة المصرية القديمة ليخرجوا إلى العالم ٢٠ جزءًا لكتاب وصف مصر، وتميز الكتاب بصور ولوحـــات شديدة الدقة والتفاصيل. ويعد هذا الكتاب الآن أكبر وأشمل موسوعة للأراضي والآثار المصرية كونها أكبر مخطوطة يدوية مكتوبة ومرسومة برسوم توضيحية فتميزت بالدراسة العميقة الدارسين والأكاديميين الذين رافقوا نابليون فيما نشر الكتاب بين عامي ١٨٠٩/١٨٢٩م. كما تشتمل هذه المجموعة على صور ولوحات لأوجه نشاط المصري القديم للآثار المصرية، وأيام الحملة نفسها التاريخ الطبيعي المصري؛ بالإضافة إلى توثيق كل مظاهر الحياة والكنوز التاريخية والفنية والدينية المصرية، وتسجيل جميع جوانب الحياة النباتية والحيوانية والثروة المعدنية آنذاك. وقد أصدرت مكتبة الإسكندرية مؤخرًا (نسخة رقمية) من هذا الكتاب (وصف مصر) على أقراص مضغوطة.

٢- فكرة حفر قناة السويس: حيث اقترح علماء الحملة توصيل البحرين الأحمر والمتوسط فيما يعرف الآن باسم **"قناة السويس"**، ولكن الفكرة لم تنفذ وذلك بسبب اعتقاد خاطئ بأن البحر الأحمر أعلى في المستوى من البحر المتوسط.

٣- **فك رموز حجر رشيد:** حيث استطاع شامبليون فك رموز حجر رشيد واكتشاف أسرار اللغة المصرية القديمة، وقد ساعد فك رموز اللغات المصرية القديمة (الهيروغليفية - الهيراطيقية - الديموطيقية) من معرفة أسرار الحضارة الفرعونية.

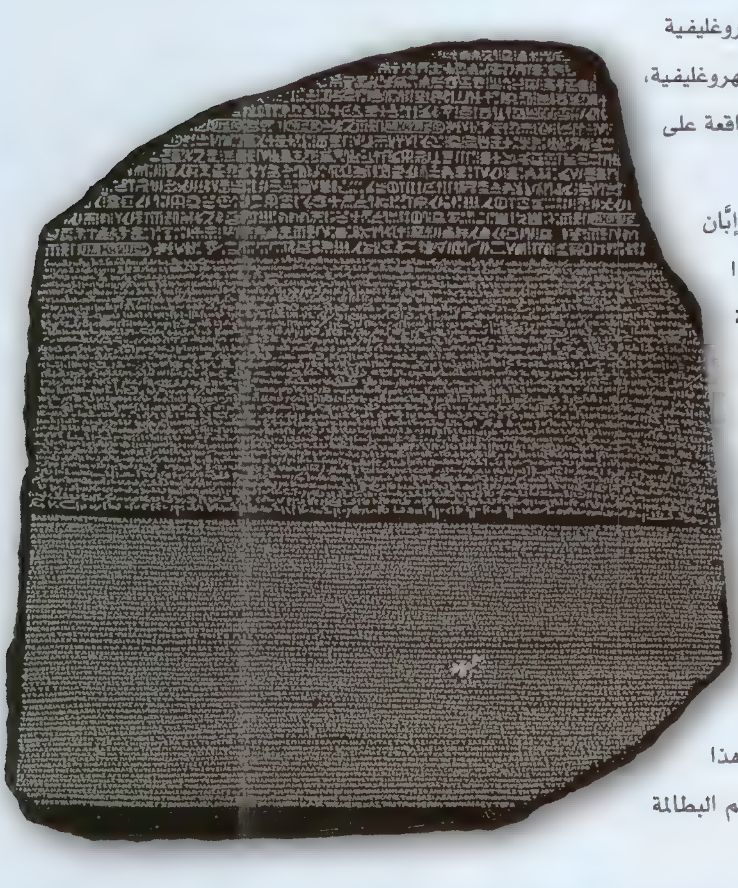
٤- **اكتشاف الحضارة المصرية القديمة** وقيام العلماء الفرنسيين بتأليف كتاب وصف مصر الذي يصف مصر منذ قيام الحضارة الفرعونية إلى خروج الحملة من مصر.

٥- **خريطة القطر المصري:** حيث قامت الحملة برسم أول خريطة دقيقة للقطر المصري.

النتائج السياسية:

١- لفتت الحملة الفرنسية على مصر أنظار العالم الغربي لمصر وموقعها الإستراتيجي وخاصة إنجلترا، مما كان لهذه النتيجة محاولة غزو مصر في **حملة فريزر** ١٩ سبتمبر ١٨٠٧م الفاشلة على رشيد بعد أن تصدى لها المصريون، بعد ذلك بسنوات قلائل.

٢- إثارة الوعي القومي لدى المصريين، ولفت انتباههم إلى وحدة أهداف المحتل على اختلاف مشاربهم، ألا وهو امتصاص خيرات البلاد.



حجر رشيد هو حجر نقش عليه نصوص هيروغليفية وديموطقية ويونانية، كان مفتاح حل لغز الكتابة الهروغليفية، سمي بحجر رشيد، لأنه اكتشف بمدينة رشيد الواقعة على مصب فرع نهر النيل في البحر المتوسط.

اكتشفه ضابط فرنسي في ١٩ يوليو سنة ١٧٩٩م إبَّان الحملة الفرنسية، وقد نقش سنة ١٩٦ ق.م. وهذا الحجر مرسوم ملكي صدر في مدينة منف سنة ١٩٦ق.م. وقد أصدره الكُهّان تخليدًا لذكرى بطليموس الخامس. وعليه ثلاث لغات الهيروغليفية والديموطقية (القبطية ويقصد بها اللغة الحديثة لقدماء المصريين) والإغريقية. وكان وقت اكتشافه لغزًا لغويًا لا يفسر منذ مئات السنين؛ لأن اللغات الثلاثة كانت وقتها من اللغات الميتة. حتى جاء العالم الفرنسي جيان فرانسوا شامبليون وفسَّر هذه اللغات بعد مضاهاتها بالنص اليوناني ونصوص هيروغليفية أخرى. وهذا يدل على أن هذه اللغات كانت سائدة إبَّان حكم البطالمة الإغريق لمصر لأكثر من ١٥٠ عامًا.

محمد علي باشا ١٨٠٥ - ١٨٤٨م[1]

بعد فشل **الحملة الفرنسية** على مصر، وانسحابها سنة ١٢١٥هـ/١٨٠١م، تحت ضغط الهجوم الإنجليزي على الثغور المصرية، الذي تواكب مع الزحف العثماني على بلاد الشام، إضافة إلى اضطراب الأوضاع في أوروبا في ذلك الوقت. شجع ذلك **المماليك** على العودة إلى ساحة الأحداث في مصر، إلا أنهم انقسموا إلى فريقين: أحدهما، إلى جانب القوات العثمانية العائدة لمصر بقيادة **إبراهيم بك الكبير**، والآخر، إلى جانب الإنجليز بقيادة **محمد بك الألفي**. ولم يمض وقت طويل حتى انسحب الإنجليز من مصر وفق معاهدة أميان. أفضى ذلك إلى مدة من الفوضى نتيجة الصراع بين العثمانيين الراغبين في أن يكون لهم سلطة فعلية لا شكلية على مصر، وعدم العودة للحالة التي كان عليها حكم مصر في أيدي المماليك، وبين المماليك الذين رأوا في ذلك سلبًا لحق أصيل من حقوقهم. شمل ذلك الصراع مجموعة من المؤامرات والاغتيالات في صفوف الطرفين، راح ضحيتها أكثر من والٍ من الولاة العثمانيين. خلال هذه المدة من الفوضى، استخدم **محمد علي قواته الألبانية للوقيعة بين الطرفين**، وإيجاد مكان له على مسرح الأحداث، كما أظهر محمد علي التودد إلى كبار رجالات المصريين وعلمائهم ومجالستهم والصلاة ورائهم، وإظهار العطف والرعاية لمتاعب الشعب المصري وآلامه، مما أكسبه أيضًا ود المصريين. وفي مارس ١٨٠٤م، تم تعيين والٍ عثماني جديد يدعى "أحمد خورشيد باشا"، الذي استشعر خطورة محمد علي وفرقته الألبانية، الذي استطاع أن يستفيد من الأحداث الجارية **والصراع العثماني المملوكي**، فتمكن من إجلاء المماليك إلى خارج القاهرة، فطلب من **محمد علي بالتوجه إلى الصعيد لقتال المماليك**، وأرسل إلى الآستانة طالبًا بأن تمده بجيش. وما أن وصل هذا الجيش حتى عاث في القاهرة فسادًا مستوليًا على الأموال والأمتعة ومعتديًا على الأعراض، مما أثار تذمر الشعب، وطالب زعماؤه الوالي خورشيد باشا بكبح جماح تلك القوات، إلا أنه فشل في ذلك، مما أشعل ثورة الشعب التي أدت إلى عزل الوالي، واختار زعماء الشعب بقيادة **عمر مكرم** -نقيب الأشراف- محمد علي ليجلس محله. وفي ٩ يوليو ١٨٠٥م، وأمام حكم الأمر الواقع، **أصدر السلطان العثماني سليم الثالث فرمانًا سلطانيًا بعزل خورشيد باشا من ولاية مصر، وتولية محمد علي على مصر.**

ولـد **محمـد علي** فـي مدينة قولة الساحلية في جنوبي مقدونيا سنة ١٧٦٩م لعائلة ألبانية، وكان أبوه إبراهيم أغا رئيس الحرس المنوط بخفارة الطويف في البلدة وكان له سبعة عشر ولدًا، لم يعش منهم سوى محمد علي الذي مات عنه أبوه وهو صغير السن، ثم لم تلبث أمه أن ماتت؛ فصار يتيم الأبوين وهو في الرابعة عشرة من عمره فكفله عمه طوسون الذي مات أيضًا فكفله الشوربجي (صديق والده) الذي أدرجه في سلك الجندية؛ فأبدى شجاعة وبسالة وحسن نظير وتصرف، فقربه الحاكم وزوجه من أمينة هانم وهي امرأة ثرية، أنجبت له إبراهيم وطوسون وإسماعيل (وهي أسماء أبوه وعمه وراعيه) وأنجبت له أيضًا ابنتين.

وحـين قـررت **الدولـة العثمانية** إرسال جيش إلى مصر لانتزاعها من أيدي الفرنسيين كان هو نائب رئيس الكتيبة الألبانيـة، والتي كان قوامها ثلاث مئة جندي، وكان رئيس الكتيبة (ابن حاكم قولة) الذي لم يكد يصل إلى مصر حتى قرر أن يعود إلى بلده فأصبح **محمد علي** هو قائد الكتيبة.

---

١ - موسوعة المعرفة على الشبكة العنكبوتية.


١ محمد علي باشا
٤ سعيد
١٨٥٤ - ١٨٦٣م
حسين
٢ إبراهيم
١٨٤٨م
إسماعيل
طوسون
عبد الحليم
٣ عباس الأول
١٨٤٨ - ١٨٥٤م
حليم
سعيد حليم
أحمد
٥ إسماعيل الخديوي
١٨٦٣ - ١٨٧٩م
مصطفى كامل
٨ حسين كامل
١٩١٤ - ١٩١٧م
٧ أحمد فؤاد
سلطان ثم ملك
١٩١٧ - ١٩٣٦م
٦ توفيق الخديوي
١٨٧٩ - ١٨٩٢م
١٠ الملك فاروق الأول
١٩٣٦ - ١٩٥٢م
محمد علي
٩ الخديوي عباس حلمي
١٨٩٢ - ١٩١٤م



١
في إطار **الحرب الإنجليزية العثمانية**، وجهت إنجلترا حملة من ٥,٠٠٠ جندي بقيادة الفريق **أول فريزر**، لاحتلال **الإسكندرية** لتأمين قاعدة عمليات ضد الدولة العثمانية في البحر المتوسط، كجزء من إستراتيجية أكبر **ضد التحالف الفرنسي العثماني**.

٣
في ٣١ مارس، أرسل **فريزر** ١,٥٠٠ جندي بقيادة اللواء "باتريك ويشوب" **لاحتلال رشيد**، فاتّفقت حامية المدينة بقيادة "علي بك السلانكلي" والأهالي على **استدراج الإنجليز لدخول المدينة دون مقاومة**، حتى ما أن دخلوا شوارعها الضيقة، حتى انهالت النار عليهم من الشبابيك وأسقف المنازل، وانسحب من نجا منهم إلى **(أبو قير) والإسكندرية**، بعد أن خسر الإنجليز في تلك الواقعة نحو ١٨٥ قتيلًا و ٣٠٠ جريحًا، إضافة إلى عدد من الأسرى. أرسلت الحامية الأسرى ورؤوس القتلى إلى القاهرة، وهو ما قوبل باحتفال كبير في القاهرة.

٤
نظرًا لأهمية المدينة، أرسل **فريزر** في ٣ أبريل جيشًا آخر قوامه ٢,٥٠٠ جندي بقيادة الفريق **أول ويليام ستيوارت**، ليستأنف الزحف على المدينة، فضرب عليها في ٧ أبريل حصارًا وضربها بالمدافع، وأرسل ستيوارت قوة فاحتلت قرية "الحمّاد" لتطويق رشيد، ومنع وصول الإمدادات للمدينة.

حملة فريزر الإنجليزي على الإسكندرية

٢
أنزلت الحملة جنودها في **شاطئ العجمي** في ١٧ مارس سنة ١٨٠٧م، ثم زحفت القوات لاحتلال **الإسكندرية**، التي سلمها محافظ المدينة "أمين أغا" إلى القوات البريطانية دون مقاومة، فدخلوها في ٢١ مارس. وهناك بلغتهم أنباء وفاة حليفهم **الألفي**، فأرسل **فريزر** إلى خلفاء الألفي في قيادة المماليك ليوافوه بقواتهم إلى الإسكندرية. وفي الوقت ذاته، راسلهم محمد علي ليهادنهم، إلا أنهم خشوا أن يتهموا بالخيانة، فقرروا الانضمام لقوات محمد علي، وإن كانوا يضمرون أن يسوّفوا حتى تتضح نتائج الحملة ليقرروا مع من ينضموا. قرر **فريزر احتلال رشيد والرحمانية**، لقطع طريق التعزيزات التي قد تأتي إلى المدينة عبر نهر النيل.

٥
في ١٢ أبريل، عاد **محمد علي** من **الصعيد**، واطلع على الأخبار وقرر إرسال جيش من ٤,٠٠٠ من المشاة و١,٥٠٠ من الفرسان بقيادة نائبه "طبوز أوغلي"، لقتال الإنجليز. صمدت المدينة لمدة ١٣ يومًا، حتى وصل **الجيش المصري** في ٢٠ أبريل، مما اضطر **ستيوارت** إلى الانسحاب. كما أرسل رسولاً إلى النقيب "**ماكلويد**" قائد القوة التي احتلّت **الحمّاد** يأمره بالانسحاب، إلا أنه لم يتمكن من الوصول. وفي اليوم اللاحق، حوصرت القوة المؤلفة من ٧٣٣ جنديًا في الحمّاد. بعد مقاومة عنيفة، وقعت القوة بين قتيل وأسير. فعاد **ستيوارت إلى الإسكندرية ببقية قواته، بعد أن فقد أكثر من ٩٠٠ من رجاله بين قتيل وجريح وأسير.**



ميناء الإسكندرية من الفضاء الخارجي - م. ص . قوقل إرث



مرتسم لمعركة أبي قير البحرية

توجد في **مدينة (أبو قير)** قلعة تعود إلى عهد محمد علي باشا، وتستعمل القلعة الآن كمنطقة عسكرية وهي على طراز **قلعة قايتباي نفسه** في غربي الإسكندرية مكان منار الإسكندرية القديمة.

وقلعة (أبو قير) تقع في ميناء (أبو قير) البحري، وهي حامية عسكرية حتى الآن، وتعد قلعتها من أهم القلاع المصرية في عهد **محمد علي باشا**. ولكن وجودها في منطقة عسكرية أدى إلى إهمالها من الناحية الأثرية.

تعد أبو قير من المناطق التاريخية، فهي شاهدة على تحطم **أسطول نابليون بونابرت أمام شواطئها على يد الأسطول الإنجليزي**.

الدعوة السلفية (دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية)

لم يخل الله -تعالى- قرنًا من القرون التي كثرت فيها الشركيات والبدع من علماء ربّانيين، ودعاة مصلحين، يُجدّدون لهذه الأمة أمر دينها على رأس كل قرن، وذلك مصداقًا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "**إن اللّه يبعث لهذه الأمة على رأس كُل مئة سـنة من يجدد لها دينها**".

وكان من الأئمة المجددين الإمام أحمد بن حنبل، وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وغيرهم من الأئمة الأعلام رحمهم الله.

وقد نشأ صاحب هذه الدعوة المباركة الإمام المجدِّد شيخ الإسلام **محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي**، في القرن الثاني عشر الهجري، في زمنٍ اشتدت فيه غربة الإسلام، وغلب على أهله الجهل والبدع والخرافات، وعبادة الأنبياء والصالحين، والأشجار والأحجار، وقلّ فيه مَنْ يصدع بالحقِّ، ويشرح للناس حقيقة التوحيد الذي بعث الله به الأنبياء والرسل، وأنزل به الكتب، ويحذِّرهم من أنواع الشرك المنافية لكمال التوحيد الواجب.

لقد قام هذا الشيخ المجدد - رحمه الله - داعيًا إلى توحيد الله -تعالى- وإفراده بالعبادة، والعودة إلى ما كان عليه السلف الصالح، وتجريد المتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال، ولم يزل - رحمه الله - مجاهدًا بقلمه ولسانه، صابرًا على ما يلقاه من أذى، داعيًا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، مستمرًا في الدعوة والبيان، وإيضاح الحق بأنواع الأدلة من الكتاب والسنة، وشرح حال سلف الأمة، وبذل كل غالٍ ونفيس لتجديد أمر الدين وإعادة الإسلام إلى صفائه ونقائه، وكان له ما أراد حينما اتحدت دعوته مع السلطان العادل.

لذا يحاول شانئوا هذه **الدعوة السلفية النجدية** برميها زورًا وبهتانًا **بالوهابية**، بقصد التنفير منها وادعاء أنها دعوة مبتدعة، وأنها مذهب خامس، لكنها في حقيقة الأمر هي دعوة إصلاحية قائمة على تصحيح العقيدة الإسلامية التي انحرفت عن المنهج الحق بفعل الاتجاهات الصوفية والبدعية، التي راجت في أواخر العصور العثمانية بعد أن سقطت البلاد الإسلامية في حضيض الضعف والتخلف.

هو الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** بن سليمان آل مشرّف التميمي ١١١٥هـ - ١٧٠٣م/١٢٠٨هـ - ١٧٩١م، ولد في بلدة العيينة في أسـرة معروفة بالعلم والصلاح والخيرية، تعلم القـرآن الكريم وحفظه عند سن العاشرة، وكان حاد الفهم، قوي الذاكرة، سريع البديهة، قرأ على أبيه الفقه ورحل إلى ما يليه من الأقطار، فأتى البصرة والأحساء والحجاز وغيرها (انظر خريطة رحلاته). وله مؤلفات عدة منها كتاب التوحيد، ومختصر السيرة، وغيرهما من المؤلفات النافعة.



كان من **أبرز ثمرات هذه الدعوة السلفية المباركة** ظهور **الدولة السعـودية بأدوارها الثلاثة المتتابعة**، وأضحت هذه الدعوة المباركة التي انطلقت من الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري؛ مصدرًا من مصادر النهضة الإسلامية المعاصرة، على الرغم من العقبات الكـأداء التي وقفت أمامها مثل ما فعل (محمد علي باشا والي مصر)، حينما اجتاحت جيوشه الجزيرة العربية لوقفها لأسباب سياسية بحتة، إلا أنها تركت بصماتها وآثارها الإيجابية على كل الحـركات الإسلامية فيما بعد في جل ديار الإسلام، عودة إلى الله واعتزازًا بالإسلام منهاج حياة، مما أسهم في بزوغ ما اصطلح عليه بالصحوة الإسلامية. وهذه الصحوة شملت شتى مناحي الحياة في العالم الإسلامي.

نشأة الدولة السعودية[1]

في سنة ٨٥٠ هـ /١٤٤٦م، انتقل **جد آل سعود**، مانع المريدي بأسرته من شرقي الجزيرة العربية إلى العارض في نجد بدعوة من ابن عمه "ابن درع" صاحب حجر والجزعة "الذي منحهم موضعي "المليبيد" و"غصيبة" فاستقر فيهما مانع وأسرته، وأصبحتا بعد ذلك مناطق عامرة بالسكان والزراعة. وأنشأ مانع في هذين المكانين **بلدة قوية سميت بالدرعية** نسبة إلى الدروع، وأخذت مكانها في قلب الجزيرة العربية حتى أصبحت إمارة معروفة.

استمرت أسرة ربيعة بن مانع في إمارة الدرعية منذ ذلك العام إلى أن تولى **سعود بن محمد بن مقرن** سنة ١١٣٢هـ وبعد وفاته ليلة عيد الفطر سنة ١١٣٧هـ تولى "زيد بن مرخان" وهو من أسرة آل ربيعة مدة تقل عن السنتين، حيث تولى بعده الأمير "محمد بن سعود" الذي أصبح يلقب فيما بعد بالإمام، وذلك سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٥م وقاد البلاد إلى مرحلة جديدة في تاريخ المنطقة، حيث نجح في تأسيس دولة واسعة النفوذ.

ومن هذا يتبين أن حكم آل سعود ممتد بجذوره إلى زمن بعيد في قلب الجزيرة العربية، ومرتبط بتاريخ عريق وماض يتمثل في عراقة الأسرة الحاكمة وقدم تاريخها.

الدولة السعودية الأولى (١١٥٧-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٤-١٨١٨م) :

كانت منطقة الجزيرة العربية في أوائل القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) تعيش في حالة من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي، إضافة إلى ضعف الوازع الديني بسبب انتشار البدع والخرافات فقد وصف المؤرخون الحالة السياسية والاجتماعية في منطقة الجزيرة العربية في تلك المدة بالتفكك وانعدام الأمن وكثرة الإمارات المتناثرة والمتناحرة.

وفي سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م،**تأسست الدولة السعودية الأولى عندما تم اللقاء التاريخي في الدرعية بين أميرها الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب**، وتبايعا على أن يعملا في سبيل الدعوة الإصلاحية ونشرها القائمة على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأصبح ذلك هو الأساس الذي قامت عليه الدولة السعودية، وعاصمتها **الدرعية** في قلب الجزيرة العربية. وتمكن أئمة الدولة السعودية الأولى من توحيد معظم مناطق شبه الجزيرة العربية ونقلها إلى عهد جديد اتسم بالاستقرار وانتشار الأمن، وتطبيق الشريعة الإسلامية في نواحي الحياة كافة. ونتيجة لقيام الدولة السعودية الأولى ظهر الكثير من العلماء، وازدهرت المعارف والنواحي العلمية والاقتصادية، وأنشئ العديد من المؤسسات والنظم الإدارية. وأصبحت الدولة السعودية الأولى تتمتع

---

١ - موقع دارة الملك عبد العزيز على الشبكة العنكبوتية.

خادم الحرمين الشريفين
عبدالله بن عبدالعزيز
يحفظه الله
١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

فهد بن عبد العزيز
١٤٠٢ - ١٤٢٦هـ
١٩٨٢ - ٢٠٠٥م

خالد بن عبدالعزيز
١٣٩٥ - ١٤٠٢هـ
١٩٧٥ - ١٩٨٢م

فيصل بن عبدالعزيز
١٣٨٤ - ١٣٩٥هـ
١٩٦٤ - ١٩٧٥م

سعود بن عبدالعزيز
١٣٧٣ - ١٣٨٤هـ
١٩٥٣ - ١٩٦٤م

عبدالعزيز بن عبدالرحمن
١٣١٩ - ١٣٧٢هـ
١٩٠٢ - ١٩٥٣م

عبدالله بن فيصل
١٢٨٢ - ١٢٨٨ ثم ١٢٩٢ - ١٣٠٥هـ
١٨٦٥ - ١٨٧١ ثم ١٨٧٦ - ١٨٨٧م

سعود بن فيصل
١٢٨٨ - ١٢٩١هـ
١٨٧١ - ١٨٧٥م

عبدالرحمن بن فيصل
١٢٩١ - ١٢٩٣ ثم ١٣٠٧ - ١٣٠٩هـ
١٨٧٥ - ١٨٧٦ ثم ١٨٨٩ - ١٨٩٢م

فيصل بن تركي
١٢٥٠ - ١٢٥٤ ثم ١٢٥٩ - ١٢٨٢هـ
١٨٣٤ - ١٨٣٨ ثم ١٨٤٣ - ١٨٦٥م

عبدالله بن سعود
١٢٢٩ - ١٢٣٣هـ
١٨١٤ - ١٨١٨م

مشاري بن سعود
١٢٣٥هـ
١٨٢٠م

خالد بن عبدالله
١٢٥٤ - ١٢٥٧هـ
١٨٣٨ - ١٨٤١م

تركي بن عبدالله
١٢٤٠ - ١٢٤٩هـ
١٨٢٤ - ١٨٣٤م

سعود بن عبدالعزيز
١٢١٨ - ١٢٢٩هـ
١٨٠٢ - ١٨١٤م

عبدالله بن ثنيان
١٢٥٧ - ١٢٥٩هـ
١٨٤١ - ١٨٤٣م

عبد الله بن محمد

عبدالعزيز بن محمد
١١٧٩ - ١٢١٨هـ
١٧٦٥ - ١٨٠٢م

ثنيان بن ابراهيم

ابراهيم بن ثنيان

محمد بن سعود
١١٥٧ - ١١٧٩هـ
١٧٤٤ - ١٧٦٥م

فرحان بن سعود

مشاري بن سعود

ثنيان بن سعود

سعود بن محمد بن مقرن

حكام الدولة السعودية الأولى
حكام الدولة السعودية الثانية
حكام الدولة السعودية الثالثة
لم يتولى الحكم
المشجرة

حكام الدولة السعودية في الأدوار الثلاثة

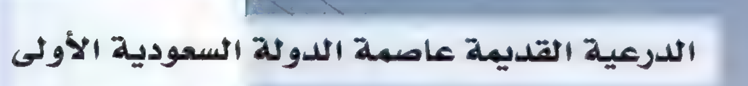


بمكانة سياسية عظيمة نتيجة لقوتها ومبادئها الإسلامية، واتساع رقعتها الجغرافية، وسياسة حكامها المتزنة والمعتمدة على نصرة الدين الإسلامي، وخدمة المجتمع والرقي بمستواه الحضاري. **وكان انتهاء الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م، نتيجة للحملات التي أرسلتها الدولة العثمانية عن طريق واليها في مصر**، كان آخرها حملة إبراهيم باشا التي تمكنت من هدم الدرعية وتدمير العديد من البلدان في مناطق الدولة السعودية الأولى في أنحاء الجزيرة العربية.



اتفاق الدرعية

.... فسار إليه محمد فدخل عليه في بيت ابن سويلم
ورحب به وقال أبشر ببلاد خير من بلادك وأبشر بالعز والمنعة فقال له الشيخ
وأنا أبشرك بالعز والتمكين وهذه كلمة لا إله إلا الله من تمسك بها وعمل بها ونصرها
ملك بها البلاد والعباد وهي كلمة التوحيد وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم
ثم أخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دعا إليه وما عليه
أصحابه رضي الله عنهم من بعده وما أمروا به وما نهوا عنه وأن كل بدعة بعدهم ضلالة
وما أعزهم الله به بالجهاد في سبيل الله وأغناهم به وجعلهم إخوانا ثم أخبره بما عليه
أهل نجد اليوم من مخالفتهم بالشرك بالله تعالى والبدع والاختلاف والجور والظلم
فلما تحقق محمد معرفة التوحيد وعلم ما فيه من المصالح الدينية والدنيوية
قال له يا شيخ إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه فأبشر بالنصرة لك
ولما أمرت به والجهاد لمن خالف التوحيد ....
ثم إن محمدا بسط يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله
وإقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.



اتفاق الدرعية التاريخي بين الإمامين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود

الدرعية القديمة عاصمة الدولة السعودية الأولى



شرط الأمير محمد بن سعود على محمد بن عبد الوهاب **شرطين:**

- أن لا يرجع عنه إن نصرهم الله ومكنهم.
- أن لا يمنع الأمير من الخراج الذي ضربه على أهل الدرعية وقت الثمار. فقال محمد بن عبد الوهاب: «أما الأول الدم بالدم والهدم بالهدم. وأما الثاني فلعل الله يفتح عليك الفتوحات وتنال من الغنائم ما يغنيك عن الخراج.



لقد كان ظهور **أسرة آل سعود**، على مسرح الحياة السياسية في نجد، في أواسط القرن الثاني عشر الهجري. عاملًا مهمًا في بروز هذه المنطقة، لتشارك في صنع التاريخ من حولها. فإن منطقة الجزيرة العربية، وبخاصة وسطها، واجهت إهمالًا، لا مثيل له، من قبل الدول الحاكمة، منذ العصر العباسي. ومرت مراحل التاريخ، من دون أن تلحق هذه البقعة أي آثار للحضارة والعمران والتعليم.

وتوافق ظهور أسرة آل سعود، مع قيام الدعوة الإصلاحية السلفية، التي نادى بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وكانت هذه الدعوة، في الأساس، ردة فعل قوية على الإهمال، العلمي والديني والحضاري، لهذه المنطقة، التي حُرمت كل ما تمتعت به الحواضر الإسلامية الأخرى. واجتمعت الدعوة الدينية المجددة، والقوة السياسية الناشئة، لتكونا دولة قوية، استمرت خمسة وسبعين عامًا، شغلت فيها الدولة العثمانية الحاكمة، واستنزفت قواها. ويمكن القول، إن تاريخ شبه الجزيرة العربية الحديث، يبدأ بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد، وقيام الدولة السعودية الأولى.

توفي مفتي الدولة العثمانية الذي كان من أشد المعضدين للإصلاح، فخلفه رجل كان على عكسه تمامًا، فاتحد مع مجموعة من العلماء والجهال والمنتفعين من رجال الدولة لعزل السلطان، فراحوا يحرضون من انخرط من شبان الإنكشارية في السلك العسكري الجديد متذرعين أن الملابس النظامية الجديدة هي أزياء خاصة بالنصارى مخالفة للقرآن الكريم والسنة الشريفة، ولقت أفكارهم رواجًا عند الجهال والمنتفعين، وحصلت فتن عديدة في كثير من قلاع الدولة، لم يدر **سليم الثالث** عنها إلا متأخرًا بسبب قيام القائم مقام بتعتيم الصورة عليه. ابتهل المتآمرون لنجاحهم الجزئي، وتشجعوا على المضي قدمًا في مخططهم، مستغلين سفر الجيوش مع الصدر الأعظم وانشغالها بحرب روسيا، فاجتمعت الجنود الإنكشارية مع إخوانهم غير المنتظمين بتدبير المفتي الجديد ومن عاضده من بعض الرجالات في الدولة في منطقة خارج الأستانة، حتى إذا استعدوا دخلوا الأستانة، وقتلوا كل الوزراء والأعيان المؤيدين للإصلاح العسكري والنظام الجديد.

سارع السلطان **سليم الثالث** بعزل وزرائه وتعيين من قد يحاذي رأي الثائرين لإسكاتهم، ولكنه لم يسلم من شرهم، حيث إنهم كانوا يخشون أن يعود لتنفيذ مشاريعه العسكرية الإصلاحية، فأفتى مفتي الدولة العثمانية الجديد بأن أي خليفة يدخل أنظمة الغرب وطرقهم في الدولة، ويجبر رعاياه على اتباعها غير صالح للولاية، فعزلوه وأسروه، وولي من بعد **مصطفى الرابع**.

حدث في عهد **مصطفى الرابع** هدنة مؤقتة مع روسيا فسار مصطفى باشا البيرقدار على رأس ١٦ ألف عسكري إلى الأستانة **لإعادة السلطان سليم لحكم البلاد**، ولكن رجال مصطفى الرابع قتلوا السلطان سليم الثالث ظنًا منهم أن ذلك قد يخمد الثورة، إلا أن الثائرين اشتعلوا غضبًا، وانتهى الأمر بعزل وقتل مصطفى الرابع، وتولية محمود الثاني.

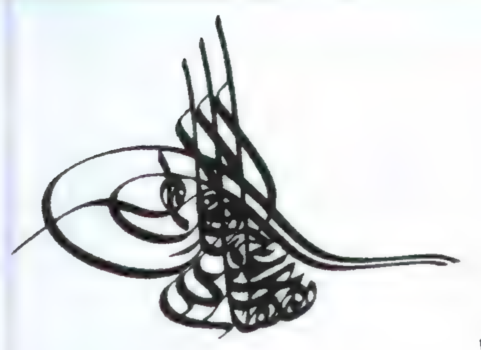




(١٢٢٢-١٢٢٣هـ)



(١٨٠٧ - ١٨٠٨م)



والده: السلطان عبد الحميد الأول

والدته: عائشة سانية بزور سلطان

ولادته: سنة ١١٩٢هـ/١٧٧٩م

وفاته: سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٨م

مدة حكمه: من ١٢٢٢ - ١٢٢٣هـ/١٨٠٧ - ١٨٠٨م

يعد السلطان **مصطفى الرابع** هو الابن الأكبر للسلطان عبد الحميد الأول، وقد ولد بأستنبول واعتنت والدته بدراسته واهتم كسائر السلاطين بفن الخط وله خطوط جميلة جدًا، ومن ناحية أخرى كان مصطفى الرابع ضعيف الشخصية والإرادة ولم يكن مكترثًا بقضايا الدولة.

توليه الحكم:

على إثر الانقلاب الذي دبره أعضاء الديوان ضد سليم الثالث تولى مصطفى الرابع العرش العثماني غير أن سلطته كانت صورية، حيث كان الانقلابيون هم المسيرين الفعليين لشؤون الدولة، واقتسموا أموال الخزينة بينهم، وقربوا من دوائر القرار أتباعهم وأصدقاءهم، من ذلك أن قباقجي مصطفى عيَّن أرناؤوط علي ناظرًا على قلاع الأناضول، كما عيَّن صديقه بايربوتلو سليمًا أميرًا لا على ترسانة العامرة.

أبناؤه:

لم يخلف هذا السلطان ذكورًا، وإنما كانت له بنت واحدة تسمى: أمينة سلطان.



سلطاني عثماني ضرب في قسطنطينية ١٢٢٢ هـ
مصطفى الرابع بن عبد الحميد الأول

م . ص . كتاب الدينار عبر العصور الإسلامية

في سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٧م، تلقّى **محمد علي باشا** الوالي العثماني على **مصر** أمرًا سلطانيًا من **السلطان العثماني مصطفى الرابع**، بتجريد حملة **لمحاربة الوهابيين** الذين سيطروا على الحجاز، مما أفقد العثمانيين السيطرة على **الحرمين الشريفين**، ومن ثم هدد السلطة الدينية للعثمانيين - خصوصًا بعد تذمر الحجاج والمعتمرين والأهالي من تردي الأوضاع بسبب سوء الإدارة العثمانية- إلا أن محمد علي ظل يتحجج بعدم استقرار الأوضاع الداخلية في مصر، بسبب حروبه المستمرة مع المماليك.

لكن بعد تظاهره بالمصالحة مع المماليك، لم يبق أمام محمد علي ما يمنعه من تجريد تلك الحملة، لذا قرر محمد علي أن يجرّد حملة بقيادة ابنه **أحمد طوسون** لقتال الوهابيين. كان في تجريد تلك الحملة ورحيل جزء كبير من قوات محمد علي خطر كبير على استقرار أوضاعه في مصر، **فوجود المماليك بالقرب من القاهرة**، قد يشجعهم على استغلال الفرصة لينقضوا على محمد علي وقواته. لذا لجأ محمد علي إلى الحيلة، فأعلن محمد علي عن احتفال في القلعة بمناسبة إلباس ابنه طوسون خلعة قيادة الحملة على الوهابيين، وحدد له الأول من مارس سنة ١٢٢٥هـ/١٨١١م، وأرسل يدعو الأعيان والعلماء والمماليك لحضور الاحتفال.

لبى المماليك الدعوة، وما أن انتهى الاحتفال حتى دعاهم محمد علي إلى السير في موكب ابنه. تم الترتيب لجعل مكانهم في وسط الركب، **وما أن وصل المماليك إلى طريق صخري منحدر يؤدي إلى باب العزب المقرر أن تخرج منه الحملة، حتى أغلق الباب فتكدست خيولهم بفعل الانحدار**، ثم فوجئوا بسيل من الرصاص انطلق من الصخور على جانبي الطريق ومن خلفهم يستهدفهم. راح ضحية تلك المذبحة المعروفة بمذبحة القلعة كل من حضر من المماليك، وعددهم ٤٧٠ مملوكًا، ولم ينج من المذبحة سوى مملوك واحد يدعى "أمين بك"، الذي استطاع أن يقفز من فوق سور القلعة. **بعد ذلك أسرع الجنود بمهاجمة بيوت المماليك**، والإجهاز على من بقي منهم، وسلب ونهب بيوتهم، بل امتد السلب والنهب إلى البيوت المجاورة، **ولم تتوقف تلك الأعمال إلا بنزول محمد علي وكبار رجاله وأولاده في اليوم اللاحق**، وقد قُدّر عدد من قتلوا في تلك الأحداث نحو ١٠٠٠ مملوك.

تعرض **محمد علي** للعديد من الانتقادات من المؤرخين الغربيين **بسبب غدره بالمماليك في تلك المذبحة**، بينما عدها البعض مثل محمد فريد إحدى أفعال محمد علي الحسنة -وهذا غير صائب- حيث يرى محمد فريد أنه خلّص بها مصر من شر المماليك. وبتخلص محمد علي من معظم المماليك، **انسحب المماليك** الذين بقوا في الصعيد إلى **دنقلة**، وبذلك أصبح لمحمد علي كامل السيطرة على مصر.

ردود الأفعال:

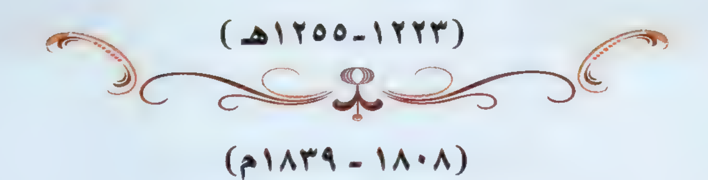
اختلف الثائرون الذين كانوا قد أطاحوا بحكومة السلطان سليم الثالث في الأستانة. وفي سنة ١٢٢٣ هـ/ ١٨٠٨م، انطلق جيش بقيادة **مصطفى باشا البيرقدار** إلى **أستنبول** لإعادة سليم الثالث للحكم، وإعدام الثائرين، مؤيدًا من قبل الصدر الأعظم الجديد وغالبية الوزراء، وبالفعل نجح باختراق الأستانة، ومعاقبة رؤوس الثورة، ولم يكاشف البيرقدار أحدًا برغبته في إعادة السلطان سليم للحكم، وتظاهر باستعداده للرحيل إلى بلاده روستجق في بلغاريا بعدما تم له ما كان قد أعلنه. عندما استمر جند البيرقدار بالتقدم، أمر **مصطفى** إعدام **سليم الثالث وأخ آخر له هو محمود**. الأمر الذي سيجعل من مصطفى الذكر الوحيد المتبقي من السلالة الحاكمة، ومنحيًا بذلك أي منافس قانوني على العرش كما اعتقد. وقتل سليم وألقيت جثته أمام المنشقين، ولكن تم الإطاحة بمصطفى واستبداله بمحمود، الذي نجا من الإعدام بالاختباء. وتم إعدام مصطفى في العام ذاته بعد أن حكم ثلاثة عشر شهرًا. بتصرف عن محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٣٩٧.

اجتمع **القيصر الروسي ألكسندر الأول مع نابليون الأول بعد المعركة**، واتفقا على الصلح، وأنّ على روسيا التوقف عن محاربة العثمانيين، وقبول الفرنسيين كوسيط بين الطرفين، مع إخلاء ولايتي **الأفلاق والبغدان** من قبل الروس.

يذكر المؤرخ الفرنسي لافاليه: أن الروس والفرنسيين اتفقوا سرًا على **تقسيم الولايات العثمانية الأوروبية** بينهما في حال عدم قبول العثمانيين بالوساطة الفرنسية، بحيث تحصل **فرنسا** على **اليونان وألبانيا والبوسنة ومقدونيا**، **وروسيا** على **بلغاريا والأفلاق والبغدان**، بينما يتم ترضية **النمسا** بإقليم **صربيا**. **ويظهر جليًا غدر نابليون بالعثمانيين**، بعد أن كانت وعوده لسليم الثالث بالدعم بكافة أشكاله السبب الرئيس لدخول الدولة حربًا **برية مع روسيا وبحرية مع إنجلترا**. قبل العثمانيون بالتوسط الفرنسي، وحصلت هدنة مؤقتة بين الطرفين.



(١٢٢٣-١٢٥٥هـ)



(١٨٠٨ - ١٨٣٩م)



والده: السلطان عبد الحميد الأول

والدته: نقش ديل والدة سلطان

ولادته: سنة ١١٩٩هـ/١٧٨٥م

وفاته: سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م

مدة حكمه: من ١٢٢٣ - ١٢٥٥هـ/١٨٠٨ - ١٨٣٩م

تلقى **محمود الثاني** منذ صغره تحصيلاً علميًا حسب أصول تعليم وتربية الأمراء وأبناء السلاطين، حيث قرأ الأدب وتعلم اللغة العربية والعقائد الإسلامية، وقد تأثر كثيرًا بإصلاحات سليم الثالث وخاصة العسكرية منها؛ بل إن الانطلاقة الحقيقية للإصلاحات العثمانية تعود إلى محمود الثاني، إذ رغم الصعوبات الداخلية والأخطار الخارجية انتهج سياسة ترمي إلى تجديد النظام الإداري والعسكري للدولة. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون، تعريب محمد جان، ص ٧٨.

أبناؤه:

عبد المجيد، عبد العزيز، أربعة أبناء باسم أحمد، بايزيد، عبد الحميد، سليمان، محمد، مراد، نظام الدين، عبدالله، عثمان.

بناته:

أمينة سلطان، حامده سلطان، خيرية سلطان، شاه سلطان، صالحة سلطان، عائشة سلطان، عاتكة سلطان، فاطمة سلطان، منيرة سلطان، مهرماه سلطان.



قروش عثماني ضرب في مصر ١٢٢٣ هـ
محمود الثاني بن عبد الحميد الأول

م. ص. كتاب الدينار عبر العصور الإسلامية

القضاء على الإنكشارية

حاول **الصدر الأعظم** أن يقوم بالمهمة التي كلفه بها **السلطان محمود الثاني**؛ فقُوبِل باعتراض من الإنكشـارية، وثاروا في العاصـمة ثورة عارمة في رمضـان ١٢٢٣ هـ/١٨٠٨م، وحاولوا إرجاع السـلطان السـابق "**مصطفى الرابع**" ليكون ألعوبة في أيديهم، وأضـرموا النيران في السرايا الحكومية، ومات الصـدر الأعظم في هذه الفتنة محترقًا، وهو يحاول أن يقضـي على تلك الفتنة، واضـطر السـلطان أن يخضع لهم بعد أن أضرموا النار في العاصمة، وكادت النيران تقضي عليها، مؤجلا فكرة التخلّص منهم إلى وقت آخر.

لم تنجح محاولة السـلطان الأولى **محمود الثاني** في فرض النظام الجديد على الإنكشـارية، وصـبر علـى عنادهـم، وإن كانت فكرة الإصـلاح لم تـزل تـراوده، وازداد اقتناعًا بها **بعـد أن رأى انتصارات محمـد علـي المتتابعة**، ومـا أحدثته النظم الجديدة والتسـليح الحديث والتدريب المنظم في جيشـه، وطال صـبر السلطان ثمانية عشر عامًا حتى عزم مرة أخرى على **ضرورة إصلاح نظام الإنكشارية**؛ فعقد اجتماعًا في ١٩شـوال ١٢٤١هـ/٢٧ أيار- مايو ١٨٢٦م، في دار شـيخ الإسلام، حضره قادة أسلحة الجيش بما فيهم كبار ضباط فيالق الإنكشارية، ورجال الهيئة الدينية وكبار الموظفين، ونوقش في هذا


لوحة زيتية تصور دورية إنكشارية تجوب الشوارع بريشة ألكسندر - جبرائيل ديكامب في ١٨٢٨م

الاجتماع **ضرورة الأخذ بالنظم العسكرية الحديثة في الفيالق الإنكشارية**، ووافق المجتمعون على ذلك، وتلي مشروع بإعادة تنظيم القوات الإنكشارية، وأصدر شيخ الإسلام فتوى بوجوب تنفيذ التعديلات الجديدة، ومعاقبة كل شخص تسول له نفسه الاعتراض عليها.

غير أن الإنكشارية لم يلتزموا بما وافق عليه الحاضرون في هذا الاجتماع؛ فأعلنوا تمردهم وانطلقوا في شوارع أستنبول يشعلون النار في مبانيها، ويهاجمون المنازل ويحطمون المحلات التجارية، وحين سمع السلطان بخبر هذا التمرد عزم على وأده بأي ثمن والقضاء على فيالق الإنكشارية، **فاستدعى السلطان فرقًا عسكرية عدّة من بينها سلاح المدفعية، الذي كان قد أعيد تنظيمه وتدريبه، ودعا السلطان الشعب إلى قتال الإنكشارية.**

وفي صباح يوم ٩ من ذي القعدة ١٢٤١هـ/١٥ حزيران-يونيو ١٨٢٦م خرجت قوات السلطان إلى ميدان الخيل بأستنبول، وكانت تطل عليه ثكنات الإنكشارية، وتحتشد فيه الفيالق الإنكشارية المتمردة، ولم يمض وقت طويل حتى أحاط رجال المدفعية الميدان، وسلطوا مدافعهم على الإنكشارية من كل الجهات، فحصدتهم، بعد أن عجزوا عن المقاومة، **وسقط منهم ستة آلاف جندي إنكشاري.**

وفي اليوم الثاني من هذه المعركة التي سميت **بـ"الواقعة الخيرية"** أصدر السلطان **محمود الثاني قرارًا بإلغاء الفيالق الإنكشارية إلغاءً تامًا، شمل تنظيماتهم العسكرية وأسماء فيالقهم وشاراتهم**، وانتهى بذلك تاريخ هذه الفرقة التي كانت في بدء أمرها شوكة في حلوق أعداء الدولة العثمانية. الموسوعة الحرّة على الشبكة العنكبوتية. وموسوعة المعرفة.



لوحة مائية لفرقة صبايحية للخيالة خلال تمارين الفروسية - الصبايحية: كانت فئة خيالة من سلاح الفرسان العثماني.

برثالاميوس شاهمان ١٥٥٩ - ١٦١٤م

المصدر كتاب - فن الترحال

وجّه السلطان **محمود الثاني** عنايته إلى **بناء فرق عسكرية** تأخذ بالنظم الحديثة؛ فأنشأ قوة من **سلاح المدفعية** على يد ضباط أوروبيين، وأحيا السلطان محمود الثاني ما أقامه مصطفى الثالث من مدارس للطوبجية والبحرية والهندسة، وأنشأ **مدرسة حربية لتخريج الضباط** على غرار المدارس الحربية الأوروبية، ومدارس لتعليم الجند وتدريبهم على نَسَق مدارس الجيش في إنجلترا.

واهتم بالبحرية العثمانية وإعادة بنائها ولا سيما بعد الهزيمة القاسية للأسطول العثماني في **معركة نافارين** أمام الأساطيل الأوروبية المتحالفة، حيث أدخل أول سفينة حربية تعمل بالبخار في سنة ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٨م، كما أمر نخبة مهندسيه ببناء سفينة المحمودية، كما أعاد فتح المدرسة الهندسية البحرية التي كانت قد أنشئت في قبل في سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م، وكلما انتهى العمل في بناء قطعة بحرية؛ أُنزلت للبحر في احتفال عظيم، وكان السلطان يُسرّ لإنشاء السفن الجديدة سرورًا عظيمًا ويخلع على طاقمها هباته وهداياه الثمينة.



سفينة المحمودية كما تظهر في هذه الصورة، هي أكبر سفينة حربية في العالم لسنوات عديدة يديرها ١٢٨٠ بحارًا، و تحمل ١٢٨ مدفعًا موزعين على ثلاثة طوابق، و اعتبرت هذه السفينة فخر البحرية العثمانية في تلك الحقب و شاركت في حرب القرم، وظلت صامدة -بحمد الله تعالى- حتى يومنا هذا. هناك مجسم معروض لهذه السفينة في المتحف البحري العسكري في أستنبول.



١ عقد السلطان **محمود الثاني** صلحًا مع **الإنجليز** سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م، وحاول أيضًا عقد اتفاق مماثل مع **روسيا ولكنه فشل**، واشتعلت نار الحرب بينهما، **وهُزِم العثمانيون واستولى الروس على بعض المواقع** وعزل الصدر الأعظم ضياء يوسف باشا، وتولى مكانه أحمد باشا **الذي انتصر على الروس**، وأجلاهم عن المواقع التي دخلوها وساءت العلاقات بين فرنسا وروسيا، وكادت تقع الحرب بينهما، **فطلبت روسيا الصلح مع الدولة العثمانية**، وعقدت بين الطرفين معاهدة **بوخارست** سنة ١٢٢٧هـ/١٨١٢م التي نصت على بقاء **الأفلاق والبغدان وبلاد الصرب تابعة للدولة العثمانية**. وقد مكَّن الصلح السلطان محمود الثاني من القيام ببعض الإصلاحات والقضاء على الثورات والتمردات في الدولة.

الحركات الانفصالية.. ثانيًا: الثورة اليونانية



٢ امتدت شبكات الجمعية السرية في **بلاد المورة** وخارجها، وعملت المكائد للتخلص من العوائق الداخلية، وأعلنت تمردها **عام ١٨٢١م** وفي هذا التمرد، قام جرمانوس أسقف باتراس -رئيس تنظيم الجمعية السرية في المورة- بحمل علم عليه صورة مريم بزعمه وأخذ يصيح: **(يا أيتها الأمة اليونانية! هيا أفيقي واقتلي الأتراك)** ويدعو كل الروم للحرب ضد العثمانيين، وفي هذا الوقت أيضًا كان التمرد قد بدأ يتسع نطاقه وانتشاره.

بدأ هذا التمرد عام **١٨٢١م**، مكتسبًا شخصية وطنية ودينية وقادة رجال الدين.

٣ في مدة قليلة - حوالي ثلاثة أسابيع - استطاع المتمردون خلالها السيطرة على **المورة كلها**، باستثناء المقاومة الشديدة التي أبداها العثمانيون في قلعة (تريبوليجة) -وهي مركز ولاية المورة-، وحيث استمرت هذه المقاومة شهورًا عديدة. وقد **قتل الروم -بوحشية منقطعة النظير- العثمانيين** الذين وقعوا في الأسر - في أثناء هذا التمرد- وسلبوا أموالهم.

١ كانت **أوروبا** حريصة على تمزيق **الدولة العثمانية**، واتخذت لذلك الهدف وسائل متعددة منها: إثارت الفتن الطائفية والدينية، وتفجير الثورات الداخلية بدعمها المادي والمعنوي، كانت بلاد اليونان تشكل جزءًا من ديار الاسلام، ويؤذَّن في مدنها وأريافها للصلوات الخمس في اليوم والليلة لقرون عديدة، وكانت تحكم بشريعة الإسلام، وكان ذلك لا يروق لزعماء النصارى، سواء من اليونان أو غيرهم من الدول الأوروبية، ولذلك **شرعوا في تأسيس جمعيات سرية في داخل بلاد اليونان وفي روسيا وغيرها**، هدفها **إحياء الإمبراطورية البيزنطية القديمة**، على أن تكون تحت إدارة **البطريركية الأرثوذكسية الرومية** في أستنبول، ولو أصبح كثير من البطارقة والقساوسة ورجال الدين أعضاء أصليين في هذه الجمعيات السرية المناهضة للدولة العثمانية.

لقد كان **البطريك "جريجوريوس"** بطريك أستنبول عضوًا فاعلاً في خدمة الجمعية، وكان يستخدم كل موظفيه وكل نفوذه لتنفيذ **أوامر الجمعية السرية**، التي تسعى **لقيام دولة اليونان الكبرى** وكان خطوات الجمعية كالآتي:

١- إنشاء جمعيات سرية في كل مكان في الدولة العثمانية، والقيام بتسجيل أغنياء الروم -وأكثرهم نفوذًا- في هذه الجمعيات، كان هذا من أجل ضمان المساعدات المادية والمعنوية.

٢- تعيين المشهورين من الهيلينيين من رجال الكنيسة، رؤساء للجمعية.

٣- تأسيس شركات تجارية لتأمين مصدر مالي للجمعية السرية.

٤- الإفادة من الشباب الهيليني الذي يدرس في أوروبا.

٥- العمل على تأمين مساعدة الدول الكبرى. د. علي الصلابي، الدولة العثمانية.



أراد السلطان **محمود الثاني** أن يخفف عن جيوشه العبء من جهة، و أن يضعف قوة **محمد علي باشا** (الوالي العثماني في مصر آنذاك)، فأصدر أمرًا لمحمد علي باشا بالتوجه فورًا لدعم الحامية العثمانية المتمركزة في اليونان.

اضطر **محمد علي** للانصياع لأوامر خليفته، فسير ١٧ ألف عسكري مصري إلى بلاد اليونان، بالإضافة إلى الأسطول البحري المصري. اجتمع الأسطولان المصري والعثماني عند السواحل اليونانية، وقاد **إبراهيم باشا** جنوده عبر ميناء مودون إلى البر اليوناني و بدأ باسترجاع كل المدن المفقودة حتى حرر **أثينا**.

بعد مشاورات و مناوشات سياسية طويلة بين الدولة العلية و الدول العالمية، رفضت الدولة العثمانية تدخل أي دولة في شأن اليونان، كما رفضت أي اقتراح لحل الأزمة، مما سبب **ظهور حلف روسي فرنسي إنجليزي** كان هدفه فصل اليونان عن جسد الدولة العلية. **فتجمعت أساطيل الدول الثلاثة في ميناء نافارين وقامت بتدمير الأسطولين المصري والعثماني فجأة ودون إنذار مسبق في معركة نافارين**، كما جهزت **فرنسا** جيشًا بريًا كبيرًا عمل على إعادة احتلال اليونان من قوات محمد علي باشا، التي تقهقرت بناء على أوامر والي مصر، وانتهى الأمر باستقلال اليونان.

الأسطول العثماني المنطلق من الأستانة

الأسطول العثماني المصري المنطلق من الأسكندرية

الحلف الروسي الفرنسي الأنجليزي

الخريطة



خريطة اليونان السياسية

موقع ميناء نافارين

الأسطول المصري في معركة نافارين للرسام الروسي إيفان إيفازوفسكي



مـن نتائـج **حـرب الاستقـلال اليونانية** وقوع الحرب بين روسـيا و الدولـة العثمانية، فحدثت مناوشـات كبيرة بين الطرفـين انتهت **بتقـدم الروس ببطء في الأراضي العثمانية**، و كان سـبب ذلك اسـتخدام العثمانيين للتنظيمات العسكرية الجديدة بدلًا من الإنكشارية، لكن هذه الحرب لم تكن قد أمهلت العثمانيين الوقت الكافي لإعداد عدد أكبر من الجيوش النظامية الحديثة وانتهت القصة بهزيمة العثمانيين وسيطرة الروس على مدن عديدة في بلغاريا ورومانيا.

تدخلت الدول الكبرى من جديد، و جرت المناقشـات السياسـية التي انتهت **بانسحاب روسيا** من المناطق التي احتلتها **مقابل دفع الدولة العثمانية لغرامة حربية** كبيرة على ثلاث دفعات، بالإضـافة إلى **استقلال اليونان** وإضـعاف سلطة الدولة على ولاياتها الأوروبية، و كان الهدف من هذا كله **إثقال كاهل الدولة العثمانية** فلا تستطيع توفير المال لتحديـث جيشـها وإعادة بناء أسـاطيلها البحرية، والتأكد من حـدوث **القلاقل في البلقان** حتى تبقـى الدولة العثمانية مستنزفة ماليًا و عسكريًا، ولإبقاء نافذة للدول الكبرى للتدخل في شؤون الدولة العثمانية مستقبلًا.



ميادين القتال التي خاضها الإمام عبد العزيز بن محمد

البدايات الأولى لاحتكاك الدولة السعودية بالدولة العثمانية

حقّقت **الدعوة السلفية** نجاحًا في نجد، واحتضنها أمير الدرعية محمد بن سعود بن محمد آل مقرن، وتجاوزتها إلى بعض أنحاء الحجاز واليمن وعسير وأطراف العراق والشام في عهد الأمراء من بعده، وقد بدأ أول احتكاك مباشر بين الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية، **عندما تمكن السعوديون من بسط نفوذهم على مكة المكرمة، ومنعوا الدعاء للسلطان العثماني على منابر المساجد في خطب يوم الجمعة**. ولمّا كانت **الدولة العثمانية مشغولة بمشكلاتها الداخلية والخارجية**، فقد أوعزت إلى ولاتها في العراق والشام بالقضاء على نفوذ الدولة السعودية في الحجاز وإعادته إلى سيادة الدولة العثمانية.

رأت **الدولـة العثمانيـة في خروج الحجاز** عن دائرة نفوذها ضـربة معنويـة هزَّت هيبتها في العالم الإسـلامي؛ لذا صـممت على محاربة الدولة السعودية والقضاء عليها. وكانت محاولة العثمانيين ضـرب الدولة السـعودية عن طريق والي بغداد، ووالي دمشق قد فشلت. ولذلك كلَّفت واليها على مصر **محمد علي باشا** بالقيام بهذه المهمة.

فأصـدر السـلطان العثماني (مصـطفى الرابع) أمره لمحمد علي باشا سـنة ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م. وقد اعتـذر محمد علي باشـا بحجة أن بلاده تتعرض لمشـكلات داخلية وخارجية تعيقـه عن تنفيذ الحملة. وعندما كرر السـلطان تكليفه لمحمد علي باشـا، كتب إلى السـلطان يخبره أن إنفاذ هذه المهمة يتطلب حشد قوات عسكرية كبيرة تأتي من ولايات الشام والعراق بالإضافة إلى القوات المصرية. كما طلب من السلطان أن يمده بالمدافع واللوازم لتجهيز السفن، كما يمده بالأموال اللازمة.

لم يتمكن **والي مصر** من تنفيذ حملته إلا بعد أربع سنوات تمكن خلالها من تجهيز السفن اللازمة لنقل الجنود والعتاد عن طريق البحر، وبناء المسـتودعات في السويس، والقضاء على المشاكل الداخلية في بلاده. وقد بلغ تعداد الحملة ثمانية آلاف مقاتل، خمسـة آلاف وصلوا عن طريق البحر مبحرين من ميناء السويس، وثلاثة آلاف عن طريق البر من العقبة إلى ينبع حيث تجمع القوات، وأسندت قيادة هذه القوات لابنه طوسون باشا (انظر الخريطة المقابلة).

نتيجة للهزائم التي حلّت بالقوات المصـرية قرر محمد علي باشـا أن يخوض الحرب بنفسـه لإنقاذ قواته، ورفع سمعته لدى **السلطان العثماني**، فلما وصل إلى الحجاز، كان أول عمل قام به القبض على الشـريف غالب ومصادرة أمواله، ونفيه إلى خارج البلاد، وعيَّن محله ابن أخيه يحيى بن سرور، وأعد قواته إعدادًا جيدًا وأرسـلها إلى تربة، فاعترضـتها القوات السـعودية مما أدى إلى فشلها وعودتها إلى الطائـف، كمـا منيت قـوات أخرى أرسـلها محمد علي باشـا إلى القنفذة؛ حيث تصـدت لهـا القوات السـعودية بقيـادة طامي بن شـعيب، زعيم عسـير، وأنزلت بهـا هزيمة كبيرة وغنمـت كل ما معها من الأمتعة. وقد أدت وفاة الإمام سـعود -رحمه الله تعالى- سـنة ١٢٢٩هـ إلى تغير الوضـع لصالح محمد علي باشـا؛ حيث أضـعفت وفاته الجبهة السـعودية، فخسرت القوات السـعودية أمام قوات محمد علي باشـا في معركة بسل سنة ١٢٣٠هـ، وفتح ذلك الانتصـار للقوات المصرية الطريق فاستولت على رنية وتربة وبيشة، كما استولت على مناطق أخرى في عسير وتهامة. ولمّا اطمأن محمد علي باشا على موقف قواته في جزيرة العرب عاد إلى مصر.

هذه المرحلة من تطوّر المشـكلة السـعودية، اضـطر محمد علي باشـا أن يغادر شـبه الجزيرة العربية ويعود إلى مصر للقضاء على حركة تمرد استهدفت حكمه، وبعد القضاء على هذه الحركة استأنف حربه



ضد السعوديين، فأرسل حملة عسكرية أخرى إلى شبه الجزيرة بقيادة ابنه **إبراهيم باشا** في ١٢ شوّال سنة ١٢٣١هـ/ ٥ سبتمبر سنة ١٨١٦م. تمكّن إبراهيم باشا، بعد اصطدامات ضارية مع **السعوديين**، من الوصول إلى **الدرعية** وحاصرها، فاضطر **عبد الله بن سعود** إلى فتح باب المفاوضات، واتفق الطرفان على تسليم الدرعية إلى الجيش المصري، شرط عدم تعرضه للأهالي، وأن يُسافر عبد الله بن سعود إلى الآستانة لتقديم الولاء للسلطان،

وعمد **إبراهيم باشا**، **بعد تسلمه الدرعية**، إلى **هدمها**. وهكذا انتهت الحرب السعودية التي خاضها الجيش العثماني المصري في شبه الجزيرة العربية، وعاد إبراهيم باشا إلى مصر.



من آثار حي الطريف في الدرعية - بعد تخريبها على يد القائد التركي إبراهيم بن محمد علي باشا. مصدر الصورة: منظمة اليونسكو العالمية

أدرك الإمام **عبد الله بن سعود** ضعف موقفه، وخاف من مداهمة الغزاة الدرعية، فاضطر أن يخرج إلى إبراهيم باشا ليفاوضه حول إنهاء الحرب. **واتفق الطرفان على:**

- **تسلّم الدرعية لإبراهيم باشا.**
- **يسافر الإمام عبد الله إلى مصر ومنها إلى عاصمة الدولة العثمانية؛ ليقرر السلطان العثماني مصيره.**
- **يتعهد إبراهيم باشا بأن لا يهدم الدرعية، وألا يوقع الضرر بأحد من سكانها.**

وهكذا ضرب الإمام عبد الله مثلاً في البطولة والفداء عندما خرج وسلم نفسه ؛ ليفدي بها شعبه وبلده ، وبذلك انتهت آخر حلقة من حلقات الدفاع البطولي الذي قام به السعوديون ، وسقطت الدولة السعودية الأولى في الثامن من ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ ، وقد أُرسل الإمام عبد الله إلى مصر حيث قابل **محمد علي باشا**، فأعجب بشجاعته ورباطة جأشه، ثم أرسل إلى العاصمة العثمانية حيث قُتل. رحمه الله تعالى . هناك في أوائل سنة ١٢٣٤هـ .

أمّا **إبراهيم باشا** فإنه لم يفِ بشروط الصلح، فأمر **بهدم أسوار الدرعية وحصونها** وإحراق منازلها وقطّع نخيلها وأشجارها وتشتيت سكانها. وأخذ معه في طريق عودته إلى مصر كل من قدر عليه من آل سعود، وأبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب.



عملة تعود إلى عهد محمد علي

كانت الحملة اللاحقة في حملات محمد علي هي الحملة التي جردها لضمّ السودان. كانت أهداف محمد علي غير المعلنة من تلك الحملة السعي وراء الذهب والماس الذي تناقل الناس أنه موجود في أصقاع السودان **وخاصة سنار**، ولاتخاذ جنود سودانيين في الجيش النظامي المصري لما عرف عنهم من صبر وشجاعة وطاعة، والتخلص من بقية جنود الفرق غير النظامية في الجيش المصري التي كانت تثير القلاقل ومصدر متاعب لمحمد علي. أما السبب الظاهري لتلك الحملة، فكان القضاء على البقية الباقية من المماليك الذين فروا إلى دنقلة.

انطلقت الحملة المؤلفة من ٤,٠٠٠ جندي في مراكب نيلية في ٢٠ يوليو سنة ١٨٢٠م، بقيادة إسماعيل باشا ثالث أبناء محمد علي. سارت الحملة جنوبًا، فانحدرت من أسوان إلى وادي حلفا إلى دنقلة، حيث واجهت المماليك وهزمتهم دون مقاومة تذكر. وفي ٤ نوفمبر من العام نفسه، واجهت جمعًا من السودانيين بأسلحة بدائية وهزمهم في كورتي. ثم واصل الجيش المصري الزحف، فاستولى على بربر في ١٠ مارس سنة ١٨٢١م، ثم شندي الذي أعلن ملكها نمر استسلامه أمام الجيش الزاحف، ثم استولوا بعد ذلك على أم درمان، فاجتازوها وبالقرب منها أسسوا **مدينة الخرطوم** لتكون قاعدة عسكرية للقوات المصرية.

وجه **إسماعيل باشا** نسيبه **محمد بك الدفتردار** في حملة لضم **كردفان**. وفي شهر أبريل من عام ١٨٢١م، اشتبكت قوات الدفتردار مع قوات محمد الفضل سلطان كردفان في بارا، فانتصر الدفتردار ودخل **مدينة الأبيض**، ليضم بذلك كردفان للأراضي الخاضعة للسلطة المصرية. سار إسماعيل ببقية جيشه لضم مملكة سنار، فاستولى على مدينة ود مدني، فقدم ملكها الملك "بادي" ولاءه للجيش المصري، فدخل المصريون سنار في ١٢ يونيو ١٨٢١م.



٢ كان محمد علي باشا يطمح إلى ضمّ بلاد الشام منذ سنة ١٨١٠م، ويأمل أن يصل إلى حكمها بموافقة السلطان محمود الثاني؛ فطلب من السلطان سنة ١٨١٣م، في أثناء الحرب مع السعوديين ذلك وواعده السلطان خيرًا، وبعد انتهاء الحرب لم يلب السلطان مطلبه؛ فقام محمد علي بتقوية علاقاته بأقوى شخصيتين في المنطقة وهما: عبد الله باشا والي عكا، وبشير الثاني الشهابي أمير لبنان، وكلاهما مدين لمحمد علي بالبقاء في منصبه.

الأمير بشير الثاني الشهابي "الكبير"، أمير لبنان منذ سنة ١٧٨٨م حتى سنة ١٨٤٠م. كان حليفًا أساسيًا وصديقًا مقربًا من محمد علي باشا.الأمير بشير الثاني الشهابي "الكبير"، أمير لبنان منذ سنة ١٧٨٨م حتى سنة ١٨٤٠م. كان حليفًا أساسيًا وصديقًا مقربًا من محمد علي باشا.

١ خرج محمد علي باشا من الحرب اليونانية من دون أن يظفر بفتوح جديدة، ولم يُحقق أي استفادة من الاشتراك فيها، في حين انتهت الحرب مع السعوديين ببسط نفوذه على شبه الجزيرة العربية، وأتاح له دخول السودان ضم الجزء المتمم للأراضي المصرية.

٣ مرّت الحروب في بلاد الشام بمرحلتين، انتهت المرحلة الأولى باتفاقية كوتاهية، عام ١٨٣٣م، ورسّخت السيطرة المصرية على الشام، في حين انتهت المرحلة الثانية باتفاقية لندن عام ١٨٤٠م، وقضت بانسحاب الجيش المصري.

حملتا محمد علي على بلاد الشام في عهد محمود الثاني

٤ **الحملة الأولى:** زحف **الجيش المصري باتجاه فلسطين** في ١٤ أكتوبر/تشرين الأول سنة ١٨٣١م، الموافق ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٤٧هـ، تحت قيادة **إبراهيم باشا** بن محمد علي، وسيطر على مدنها من دون مقاومة تُذكر، باستثناء **عكا** التي ضرب عليها حصارًا مركزًا برًا وبحرًا حتى لا يأتيها المدد بحرًا فلا يقوى على فتحها، **اضطربت الدولة العثمانية أمام زحف الجيش المصري،** وعدّت ذلك عصيانًا وقامت للتصدي له. واصطدم جيش عثماني، بقيادة عثمان باشا والي حلب، بالجيش المصري في سهل الزرّاعة جنوبي حمص، إلا أنه انهزم أمامه. ثم عاد إبراهيم باشا إلى عكا لمواصلة حصارها، فدخلها عنوة في ٢٨ مايو/أيار سنة ١٨٣٢م، الموافق فيه ٢٧ ذي الحجة سنة ١٢٤٧هـ، وأسر عبد الله باشا وأرسله إلى مصر. **جزع الباب العالي لسقوط عكا ودمشق وسيطرة المصريين على جنوبي الشام،** وخشي السلطان أن يتزعزع مركزه أمام انتصاراتهم، فحشد جيشًا آخر بقيادة السرعسكر حسين باشا ودفعه لوقف الجيش المصري، وإجبار المصريين على الانسحاب من بلاد الشام، **وأصدر في الوقت نفسه فرمانًا أعلن فيه خيانة محمد علي باشا وابنه إبراهيم للسلطة الشرعيّة.** اصطدم إبراهيم باشا بالجيش العثماني الجديد في **معركة حمص** وتغلّب عليه سنة ١٨٣٢م، الموافق ١٠ صفر سنة ١٢٤٨هـ، وسيطر على **حماة** ودخل إثر ذلك مدينة **حلب**، وتأهب لاستئناف الزحف باتجاه الشمال. انسحب حسين باشا شمالاً، بعد خسارته، وتمركز في ممر بيلان وهو أحد الممرات الفاصلة بين بلاد الشام والأناضول، فلحقه إبراهيم باشا واصطدم به وتغلّب عليه، وطارد من بقي من جيشه حتى اضطرهم إلى مغادرة المنطقة عن طريق ميناء **الإسكندرونة** وسيطر على الممر، كما احتل ميناء إياس، شمالي الإسكندرونة، ودخل ولاية **أضنة وطرسوس**. وشجعت هزيمة العثمانيين إبراهيم باشا على مواصلة طريقه، فتقدم في داخل بلاد الأناضول حتى بلغ **مدينة قونية**، وكان العثمانيون قد تجمعوا ليدافعوا عن قلب السلطنة، ولكن القائد المصري تغلّب عليهم في ٢٠ ديسمبر/كانون الأول سنة ١٨٣٢م، الموافق ٢٧ رجب سنة ١٢٤٨هـ، **وأسر قائدهم الصدر الأعظم محمد رشيد باشا.** وبهذه الغلبة انفتحت الطريق أمامه إلى **الأستانة**، حتى خُيّل للعالم في ذلك الوقت أن نهاية السلطنة العثمانية أصبحت قريبة. عقب هزيمة قونية ساد القلق عاصمة الخلافة، وارتعدت فرائص السلطان الذي خشي من تقدم إبراهيم باشا نحو العاصمة، فاستنجد بالدول الأوروبية للوقوف في وجه الخطر المداهم، فلم ينجده إلا **روسيا** (انظر معاهدة كوتاهية في الصفحة المقابلة).

الحملة الثانية: لم تكن التسوية، التي تمّت في **كوتاهية**، إلا تسوية مؤقتة، إذ إن محمد علي باشا لم يوافق على عقدها إلا خشية من تهديد الدول الأوروبية بحرمانه من فتوحه، ومن جهته وافق السلطان **محمود الثاني** على عقدها مكرهًا تحت ضغط الأحداث العسكرية والسياسية، وهو عازم على استئناف القتال في ظروف أفضل لاستعادة نفوذه في بلاد الشام ومصر ودفع بجيش في ربيع عام ١٨٣٩م، بقيادة حافظ باشا إلى بلاد الشام، وكان ظهوره عند الحدود كافيًا لإيصال الأزمة إلى ذروتها، أما إبراهيم باشا فقد كان يترقب، تنفيذًا لرغبة أبيه في اجتناب كل ما يُظهره بمظهر المعتدي. وبعد أن احتشد الجمعان، أصدر السلطان أمره إلى حافظ باشا بمهاجمة إبراهيم باشا المتحصن في **حلب**. ويبدو أن محمد علي تملّكه الفرح لتحمّل السلطان وقائده مسؤولية البدء بالعمليات العسكرية المعادية، لذلك أمر ابنه بمهاجمة الجيش العثماني، وكان ذلك في سنة ١٨٣٩م/ سنة ١٢٥٥هـ. وفي معركة نسيب (الواقعة شرقي عنتاب في الجزيرة الفراتية)، **مُني الجيش العثماني بخسارة فادحة وكارثة حقيقية**، إذ كاد الجيش أن يُفنى عن بكرة أبيه، وأسر المصريون نحوًا من خمسة عشر ألف جندي، وغنموا كميات هائلة من الأسلحة والمؤن. وتوفي السلطان **محمود الثاني قبل أن يبلغه نبأ الهزيمة.**

صلح كوتاهية في (١٨ من ذي القعدة ١٢٤٩هـ / ٨ أبريل ١٨٣٣م)

يقضي **اتفاق كوتاهية** بأن يتخلى السلطان **محمود الثاني** لمحمد علي عن سوريا وإقليم أضنة مع تثبيته على مصر وجزيرة كريت والحجاز، في مقابل جلاء الجيش المصري عن باقي بلاد الأناضول. بفحوى هذه التوجيهات، وفيها إسناد ولاية سورية إليه وإلحاقها بولاية مصر وكريت.

لكن هذه التوجيهات كان ينقصها **إقليم أضنة**، فبان من ذلك أن الباب العالي أراد الرجوع عن اتفاق كوتاهية بالنسبة لهذا الإقليم، وقد بقيت المسألة موضع خلاف بين الطرفين وأوقف إبراهيم باشا جلاء الجيش حتى ينفذ الباب العالي ما تم الاتفاق عليه. فلم يسع السلطان إلا أن يسلم بالتنازل عن أضنة، وأصدر فرمانًا في ٦ مايو ١٨٣٣م بمضمون الاتفاق بتمامه، أعلن فيه تثبيت **محمد علي باشا** على **مصر وكريت** وإسناد **ولايات سورية** إليه، وتجديد **ولاية إبراهيم باشا على جدة مع مشيخة الحرم المكي**، أي إسناد إدارة الحجاز إلى عهدته، وتخويله إدارة إقليم أضنة.

وبمقتضى اتفاق كوتاهية صارت حدود مصر الشمالية تنتهي عند مضيق كولك بجبال طوروس، ويسمى بالتركية بوغاز كولك.

وبذلك انتهت الحرب السورية بتوسيع نطاق الدولة المصرية وبسط نفوذها على سورية وأضنة وتأييد سلطتها على كريت وجزيرة العرب.

ولا يغيب عن البال أن **السلطان** لم يقبل اتفاق كوتاهية إلا مرغماً، وكان يضمر السعي لنقضه إذا تهيأت الفرصة في المستقبل. ودليل ذلك أنه لم يكد يقر صلح كوتاهية حتى عقد **سراً مع روسيا** معاهدة **أنكيار أسكله سي** في ٨ يوليو ١٨٣٣م وهي معاهدة دفاعية هجومية التزمت كل دولة بمقتضاها أن تساعد الدولة الأخرى إذا استهدفت بخطر خارجي أو داخلي.

وتعهدت **الدولة العثمانية** بأن تأذن للأسطول الروسي بالمرور من البحر الأسود إلى البحر المتوسط، وتسد البواغيز في وجه جميع السفن التابعة للدول الأخرى. ومؤدى هذه المعاهدة تخويل روسيا مد يدها في شؤون الدولة العثمانية وبسط حمايتها الفعلية عليها. وهذه المعاهدة لم يبرمها السلطان على ما فيها من مهانة للدولة إلا ليسعى في نقض اتفاق كوتاهية، لأن الدولة لم تكن مهددة في ذلك الوقت بخطر خارجي أو داخلي إلا من ناحية مصر. فإبرام معاهدة هنكار إسكله سي معناه أن الدولة العثمانية لم تكن خالصة النية في إبرام هذا الاتفاق ولا في إقراره.



نشأة الاســـــتعمار

تزامنت **بدايات حركة الاستعمار الأوروبي الحديث** مع انطلاق الاكتشافات الجغرافية الكبرى في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي. حيث افتتح الغرب الصليبي هجومه على الوجود الإسلامي في **الأندلس** ثم مهاجمة بلدان **المغرب العربي** إلى أن تفاقم المد الاستعماري في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي بعد **الانقلاب الصناعي** في غربي أوروبا ١٧٨٠م، غير أن استقلال الولايات المتحدة الأمريكية ١٧٨٣م أدى إلى انحسار الاستعمار عن العالم الجديد واستفحاله في قارتي **إفريقيا وآسيا** (انظر الخريطة في الصفحة المقابلة).

دوافع الاستعمار

الدافع الاقتصادي: أدت الثورة الصناعية في أوروبا سنة ١٧٨٠م إلى ازدياد حمى التنافس الأوروبي في الحصول على المواد الخام (الزراعية والمعدنية) وكذلك الحصول على أيدي عاملة رخيصة من المستعمرات فازدهرت بذلك **تجارة الرقيق** من إفريقيا ونقلها إلى أمريكا للعمل في النشاط الزراعي؛ خدمة لمصالح الأوروبيين الطامعة في السيطرة على الأسواق التجارية العالمية لاستثمار رؤوس الأموال فيها ولجني الأرباح الطائلة بعد تصريف بضائعها ومصنوعاتها فيها.

الدافع الديني: يعد **التنصير** من أقوى العوامل المؤدية إلى قيام حركة الكشوف الجغرافية، حيث زعم الأوروبيون من خلال إرسالياتهم التنصيرية في البلاد المُستعمرة أنهم يمارسون أدوارًا أخلاقية لرفع مستوى الأمم المتخلفة حضاريًا، فاستغلوا نشاط الأطباء والمعلمين وغيرهم في تحقيق هذه المهمة؛ لنشر الفكر النصراني بين الشعوب المستعمرة.

الانقلاب الصناعي

بدأ الانقلاب الصناعي في **بريطانيا** سنة ١٧٨٠م ثم انتشر في بقية دول غربي أوروبا منذ عام ١٨٣٠م **كفرنسا** والبلاد المجاورة لها واستطاع أن يصل إلى وسط المجتمع الجديد في **الولايات المتحدة الأمريكية**، وقد مهد لها اختراع العالم **الاسكتلندي واط** بعد أن اخترع المحرك البخاري فأدى ذلك إلى انتشارها لتحل محل الآلات التقليدية مما أدى إلى تطوير وسائل النقل البحري والبري. فتطورت صناعات كثيرة كالنسيج وصهر الحديد وظهر القطار البخاري والسفينة البخارية. وقد سهل ذلك سهولة انتقال السلع بين دول العالم. فشهدت التجارة ميلاد فجر جديد.

الاستعمار الأوروبي للعالم الإسلامي

الاستعمار: إخضاع جماعة من الناس لحكم أجنبيّ، ويُسمَّى سكان البلاد المستَعْمَرين، وتُسمَّى الأراضي الواقعة تحت الاحتلال البلاد المُستعمَرة. ومعظم المستعمَرات مفصولةٌ عن الدولة المستعمِرة (بكسر الميم الثانية) ببحارٍ ومحيطات. وغالبًا ما ترسل الدولة الأجنبية سكانًا للعيش في المستعمرات وحكمها واستغلالها مصادر الثروة. وهذا ما يجعل حكّام المستعمرات منفصلين عرقيًا عن المحكومين.

برزت على الساحة السياسية الأوروبية خلال عصر النهضة دول حديثة كدولة **الإسبان والبرتغال وإنجلترا وفرنسا وهولندا** وغيرها، حيث أخذت هذه الدول تفكر جديًا في نشر نفوذها السياسي خارج بلادها؛ رغبة في السيطرة على الشعوب الضعيفة في العالم لنشر **مذهبها الديني** وثقافتها الحضارية ولغتها القومية تمهيدًا لاستعمارها وبسط هيمنتها عليها، ومع انطلاق حركة الكشوف الجغرافية حققت هذه الدول ما ترمي إليه من أهداف.

صدرت أول عملة لشركة الهند الشرقية الإنجليزية للاستخدام سنة ١٨٣٥م وكانت تتكون من فئة الروبية ونصف الروبية وربع الروبية من الفضة والتي كانت تحمل صورة الملك وليام الرابع على وجهها الأول واسم شركة الهند الشرقية على وجهها الآخر.

العملة الإنجليزية

بعد سقوط **الإمبراطوريتين الاستعماريتين (البرتغال وإسبانيا)** انتقلت السيادة التجارية منهما إلى **(هولندا وبريطانيا)** في مياه المحيط الهندي في أواسط القرن السابع عشر الميلادي، حيث قام الهولنديون باحتلال **جاكرتا** وأنشأوا فيها مركزًا للشركة الهولندية المتحدة للتجارة، واستطاعوا بعد ذلك من تحويل **جزائر الهند الشرقية** إلى مستعمرة **هولندية**، في وقت تسلل فيه **الإنجليز إلى الخليج العربي** عن طريق شركة الهند الشرقية البريطانية في أواخر القرن السابع عشر الميلادي، على الرغم من مزاحمة الهولنديين لهم مابين عامي ١٦٥٠- ١٦٧٠م لمنافسة التجارة الإنجليزية في المنطقة إلا أن الحروب قد أنهكت هولندا كثيرًا فسلمت نفوذها مكرهة إلى **بريطانيا**، التي أسرعت بدورها بالتوقيع على **المعاهدات غير المتكافئة مع الأمراء والشيوخ في الخليج العربي** لتضمن لنفسها حق السيطرة على المنطقة، بعد أن تكون قد ربطتها **بالتاج البريطاني**.

عملة لشركة الهند الشرقية الهولندية من جزيرة سومطرة الإندونيسية سنة ١٨٠٥م /١٢١٩هـ.

الدافع السكاني: أصبح السكان في أوروبا في تزايد مطرد بعد **الثورة الصناعية** ما أدى إلى تهجير العديد من السكان إلى الأقاليم التي بها أعداد محدودة، وليكون هؤلاء أدوات فاعلة في اقتصاد البلد الأم، فقامت **بريطانيا** بإرسال فائض سكانها لمستعمراتها الآتية:

كندا – الولايات المتحدة – أستراليا - نيوزيلاندا – إفريقيا، بينما أرسلت **فرنسا** فائض سكانها إلى الجزائر، **وإيطاليا** إلى ليبيا.

الدافع الإستراتيجي (العسكري): اهتمت الدول الأوروبية إلى تأمين طرقها التجارية فقامت بالسيطرة على البلاد ذات المواقع الجغرافية المتميزة من ممرات وموانئ لتوفير خدمات لسفنها التجارية وحماية لخطوطها الملاحية في البحار والمحيطات.

احتلال الجـــــــزائر

استغل **الفرنسيون ضعف الدولة العثمانية**، ولا سيما في الجانب البحري بعد تدمير جزء كبير من أسطولها البحري في **معركة نافارين**، فقاموا باحتلال ولاية الجزائر التابعة اسميًا للدولة العثمانية. ولم تقو الدولة العثمانية على فعل شيء؛ فبدأت المقاومة الجزائرية بقيادة عبد القادر الجزائري. **حيث كانت أبرز الأسباب الغيرمباشرة:**

- سعي **فرنسا** في عهد الملك شارل العاشر إلى إلهاء الشعب الفرنسي المتحفز للثورة بسبب تزايد المشكلات الداخلية، وتوجيه أنظاره نحو الخارج.
- تطلع فرنسا إلى استغلال ثروات الجزائر الاقتصادية الهائلة.
- الرغبة في السيطرة على موقع الجزائر الإستراتيجي المهم.
- التخطيط للقضاء على الأسطول الجزائري المدعم من العثمانيين للتخلص من منافسته.

أما الأسباب المباشرة: فتمثل بادعاء فرنسا أن داي الجزائر **(الداي حسين)** أهان قنصلها **ديفال**، حين طالبه بأن تدفع فرنسا ثمن الحبوب والقروض المادية، التي ماطلت فرنسا في دفعها، ومضى على زمن استحقاقها خمس وثلاثون سنة.

ردت فرنسا على هذه الإهانة المزعومة بتحريك الأسطول الفرنسي، وفرض الحصار على الشواطئ الجزائرية، واستمر الحصار ثلاث سنوات (١٨٢٧ – ١٨٣٠م)، ثم قامت بضرب **مدينة الجزائر**، فاضطر الداي برغم المقاومة الباسلة إلى الاستسلام في ٥ يوليو ١٨٣٠م.

المقاومة الإسلامية الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي:

قاد المقاومة الإسلامية الأمير **عبد القادر الجزائري**، ومر جهاده عبر مرحلتين :

١- **المرحلة الأولى** (مرحلة الانتصار) ١٨٣٢ – ١٨٣٩م التف حول شخصية الأمير عبد القادر الجزائري رؤساء القبائل في غربي الجزائر، وبايعوه **بالإمارة** في **وهران** ١٨٣٢م، وقد تمت البيعة على الجهاد في سبيل الله.

أعلن الأمير عن قيام **إمارة مستقلة في غربي الجزائر**، واتخذ من مدينة (معسكر) عاصمة له، والتف حوله عدد من المجاهدين الجزائريين ، فاستولى على (تلمسان) وفرض حصارًا بريًا على الفرنسيين في وهران، ومنع الفرنسيين من التوغل في الداخل، فاضطر حاكم وهران (ديميشيل) أن يوقع مع الأمير معاهدة سنة ١٨٣٤م، اعترف فيها للأمير بحكم غربي الجزائر. فاضطر الفرنسيون أن يوقعوا مع الأمير اتفاقية (tefna) سنة ١٨٣٧م، التي جعلت الأمير **يسيطر بموجبها على ما يقرب من ثلثي الجزائر.**

الاستعمار الأوروبي في الشمال الإفريقي

استعمار فرنسي
استعمار إيطالي
استعمار إسباني
مناطق تحت الاحتلال الإسباني
الخريطة

البرتغال
لشبونة
إسبانيا
مدريد
كورسيكا
إيطاليا
روما
سردينيا
البحر المتوسط
صقلية
سبتة
مليلة
الجزائر
تونس
المحيط الأطلسي
الرباط
المغرب ١٩٠٨ ١٩٥٦م
تونس ١٨٨١ ١٩٥٦م
طرابلس
الجزائر ١٨٣٠ ١٩٦٢م
ليبيا ١٩١١ ١٩٥١م
العيون
١٨٥٤ ١٩٧٥م
الصحراء الغربية
موريتانيا ١٨٩٣ ١٩٦٠م
نواكشوط
عملة فرنسية تعود إلى سنة ١٨٤٥م
بداية الاحتلال ١٨٣٠ ١٩٦٢م نهاية الاحتلال
٠ ٢٥٠ ٥٠٠كم

٢- المرحلة الثانية (مرحلة القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر) ١٨٣٩ - ١٨٤٧م:

نقض **الفرنسيون الاتفاقية**، وشنوا حرب إبادة على الأمير وأتباعه مما اضطره إلى الالتجاء إلى مراكش طلبًا للنجدة من سلطانها (مولاي عبد الرحمن) الذي عرف بتأييده ودعمه للأمير، ونقل الفرنسيون الحرب إلى الأراضي المغربية، فاضطر الأمير عبد القادر إلى العودة إلى الجزائر واستئناف المقاومة وسط ظروف غاية في الصعوبة، مما اضطره أخيرًا إلى الاستسلام عام ١٨٤٧م، فاعتقلته فرنسا، وفي سنة ١٨٥٢م سمحت له بالسفر إلى دمشق، فأقام فيها حتى وفاته ١٨٨٣م.



الأمير عبد القادر بن محيي الدين المعروف بـ عبد القادر الجزائري، هو **مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة** ورمز للمقاومة الجزائرية ضد الاستعمار والاضطهاد الفرنسي. اعتبره الفرنسيون "يوغرطة الحديث". خاض معارك ضد الاحتلال الفرنسي للدفاع عن الوطن، وبعدها نفي إلى دمشق وتوفي فيها. كان عالمًا بالدين، وشاعرًا جزلًا، وقياديًا حكيم. اشتهر بمناهضته للاحتلال الفرنسي للجزائر. توفي يوم ٢٦ مايو ١٨٨٣م بدمشق.



A L G E R   E T   S A   R É G I O N

مجموعة من الصــور المنتقاة عن الجزائر من كتاب يتناول الحقبة من ١٨٥٠ - ١٩١٠م. في أثناء مدة الاحتلال الفرنسي.



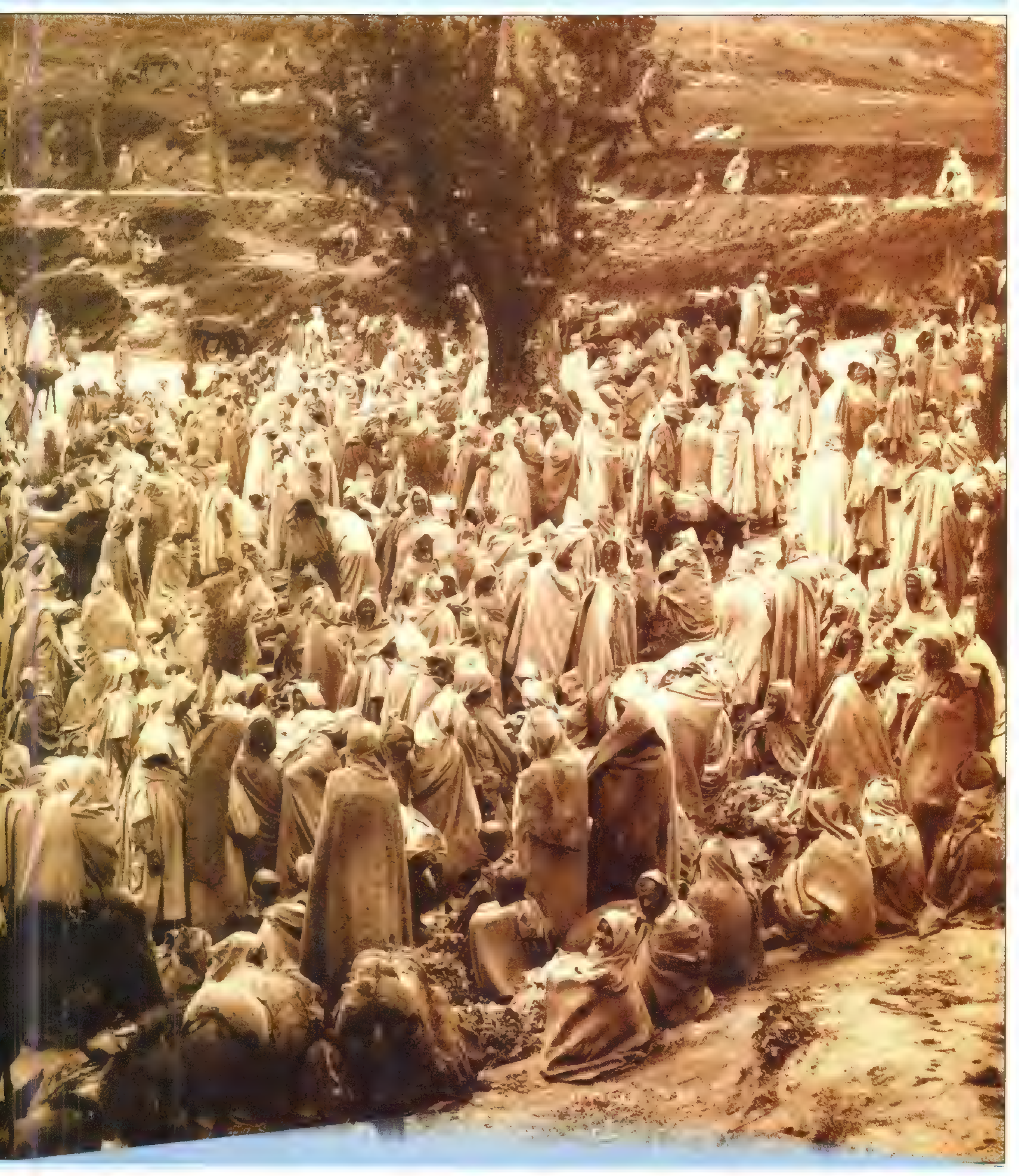
FELIX-ANTOINE MOULIN, *fontaine aux ablutions, grande mosquée d'Alger, 1856.*

لقد أحدث **المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر** جروحًا عميقة في بناء المجتمع الجزائري، حيث عملت فرنسا على إيقاف النمو الحضاري والمجتمعي للجزائر مئة واثنتين وثلاثين سنة، وحاولت طمس هوية الجزائريين الوطنية، وتصفية الأسس المادية والمعنوية التي يقوم عليها هذا المجتمع، بضرب وحدته القبلية والأسرية، واتباع سياسة **تنصيرية** تهدف إلى القضاء على دينه ومعتقده الإسلامي، وإحياء كنيسة إفريقيا الرومانية التي أخذت بمقولة "إن العرب لا يطيعون فرنسا إلا إذا أصبحوا فرنسيين، ولن يصبحوا فرنسيين إلا إذا أصبحوا مسيحيين".

A. LEROUX, *fontaine aux ablutions, grande mosquée d'Alger, vers 1880.*



من مآرب الاحتلال الفرنسي القضاء على قيم المجتمع النسائي الجزائري المسلم حتى قال المحافظ (Costa) قولته الشهيرة "... ما نوعية هذا المجتمع حين تكون نسائه من هذه النوعية
ومن خلال هذه الصورة التي تعود إلى سنة ١٨٧٠م، تؤكد لنا الكيفية التي استطاعت معها المرأة الجزائرية الحفاظ على هويتها الإسلامية من خلال ملابس الاحتشام اللاتي تميزن بهن
خلال مرحلة الاستعمار البغيض



سعى الفرنسيون إلى عزل بعض المناطق بالجزائر والحيلولة دون اتصالها أو تفاعلها مع باقي المناطق الأخرى. وكان تركيزهم على منطقة القبائل، ورعوا نزعاتها الإقليمية التي تتنافى مع وحدة الشعب الجزائري، وذلك بالاهتمام بالأعراف والتقاليد واللهجات والفولكلور على حساب الثقافة العربية الإسلامية، وصدرت تعليمات واضحة لموظفي الإدارة الاستعمارية الجزائرية تتلخص في ضرورة حماية القبائل وتفضيلهم في كل الظروف على العرب، ولولا المواقف الشجاعة والتضحيات التي قدمها أبناء القبائل لأمكن للمخطط الاستعماري تدمير البنية الاجتماعية للشعب الجزائري في تلك المناطق.



لوحة للفنان هوراس فيرني تبيّن معركة الزمالة، تحت قيادة الأمير عبد القادر الجزائري يوم: ١٦ مايو ١٨٤٣م

بينما كانت جيوش **محمد علي باشا** تمكن النصارى في بلاد الشام، وتضعف شوكة المسلمين بها، كانت **جيوش فرنسا في سنة ١٨٣٠م تغتصب الجزائر** بعد ما ضعفت **الخلافة العثمانية**، وأدخلت القوات الفرنسية بما يعادل ٢٨ ألف مقاتل، وأسطولاً يضم مئة سفينة، وثلاث سفن تحمل ٢٧ ألف جندي بحري، وكانت الدول الأوروبية مؤيدة لهذا الاغتصاب السافر، **فقد حان توزيع تركت الرجل المريض، وحل المسألة الشرقية بالطريقة الأوروبية.**

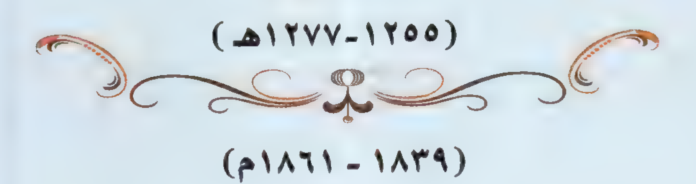
لقد كان محمد علي مخلبًا وخنجرًا مسمومًا، استعمله الأعداء في تنفيذ مخططاتهم، ولذلك وقفوا معه في نهضته العلمية، والاقتصادية والعسكرية بعد أن أيقنوا بضعف الجانب العقدي والإسلامي لديه ولدى أعوانه وجنوده. حيث ترتب على دوره في المنطقة بأسرها أن تنبهت الدول الأوروبية إلى مدى الضعف الذي أصبحت عليه **الدولة العثمانية**، ومن ثم استعدادها لتقسيم أراضيها حينما تتهيأ الظروف السياسية. د. جمال عبدالهادي،الدولة العثمانية ، ص١٠٣-١٠٢.

وفي أعقاب هزيمة الجيوش العثمانية أمام جيوش محمد علي في الشام والأناضول اضطرت الدولة العثمانية للاستنجاد بروسيا بعد أن لمست أن "محمد علي" يحظى بتأييد بريطانيا وفرنسا، وعقدت معاهدة **"أنكيار أسكله سي" سنة ١٨٣٣م** في أعقاب هدنة **كوتاهيه**، وكانت المعاهدة بمثابة تحالف دفاعي بين روسيا والعثمانيين، مما أدى إلى مسارعة كل من بريطانيا وفرنسا بالتصدي لمحمد علي خشية المزيد من التدخل الروسي، وفرضت عليه **اتفاقية لندن سنة ١٨٤٠م**. وقد ترتب على هذه الأحداث إجهاض محاولة الإصلاح التي حاول **السلطان محمود الثاني** أن يقوم بها في الدولة العثمانية واضطرت الدولة العثمانية لقبول وصاية الدول الأوروبية في مقابل حمايتها من أطماع محمد علي. وهكذا كانت سياسة محمد علي خطوة مدروسة من قبل أعداء الإسلام **لتهيئة المنطقة بأكملها لمرحلة استعمارية، ما زالت آثارها تعاني منها الأمة حتى اليوم.** د. علي الصلابي، الدولة العثمانية، ص٣٩٤-٣٩٦.

وبعد أن **حققت الدول الأوروبية أهدافها بواسطة عميلها محمد علي** حان الوقت لإضعاف قوات محمد علي وتحجيمها، فقد تحققت أهدافهم، ووصلوا إلى مقاصدهم، فلابد من إضعاف قوات محمد علي، ودخل الإنجليز في صراع سافر مع قوات محمد علي واستطاعت بمساندة أهل الشام من هزيمة قوات محمد علي، والاستحواذ على الثغور الشامية وقتل في هذه المعارك ثلاثة أرباع قوات محمد علي .. من شعب مصر وبلاد الشام، وأجبر محمد علي تحت ضغوط الإنجليز على **توقيع المعاهدة المذلة**.

خلال هذه المدة تعرض **السلطان محمد الثاني** للإصابة بعدوى السل، ولما اشتد به المرض نُقل إلى إحدى ضواحي أستنبول للاستشفاء بهوائها النقي، ثم لم يلبث أن عاجلته المنية في ١٩ ربيع الآخر ١٢٥٥هـ/ ٢ يوليو ١٨٣٩م، وخلفه السلطان عبد المجيد الأول.


السلطان عبد المجيد الأول


(١٢٥٥-١٢٧٧هـ)
(١٨٣٩ - ١٨٦١م)



والده: السلطان محمود الثاني

والدته: بزمي عالم والدة سلطان

ولادته: سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٣م

وفاته: سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦١م

مدة حكمه: من ١٢٥٥ - ١٢٧٧هـ/١٨٣٩ - ١٨٦١م

كان السلطان **عبدالمجيد الأول**، ضعيف البنية شديد الذكاء، واقعيًا ورحيمًا، وهو من أجلّ سلاطين آل عثمان قدرًا، أحب الاصلاح، وأدخل التنظيمات الحديثة، ورغب في تطبيقها في الحال. كما أدخل إصلاحات جمة في الجيوش العثمانية. وترقت في أيامه العلوم والمعارف، واتسعت دائرة التجارة، وشيدت الكثير من المباني الفاخرة، ومدّت في عهده **أسلاك الهاتف وقضبان السكك الحديدية**.

تولى الحكم بعد وفاة والده السلطان محمود الثاني، وكان عمره في السادسة عشرة، ونظرًا لصغر سنه وجدها فرصة بعض الوزراء التغريبيين لإكمال مابدأه والده الراحل من إصلاحات على الطريقة الأوروبية، والتمادي في استحداث الوسائل الغربية، ومن هؤلاء الوزراء الذين ظهروا في ثياب المصلحين ومسوح الصادقين (مصطفى رشيد باشا) الذي كان سفيرًا للدولة في (لندن) و(باريس)، ووصل إلى منصب وزير الخارجية في أواخر عهد السلطان (محمود الثاني)، وكانت باكورة إصلاحاته استصدار مرسوم من السلطان عرف (بخط شريف كلخانة) أي المرسوم المتوج بخط السلطان (انظر الصفحة المقابلة). د.علي الصلابي، الدولة العثمانية، ص ٤٠٠ - ٤٠١؛ نقلًا عن د. علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، ص ١٩٨ - ١٨٤.

أبناؤه:

أحمد، محمد برهان الدين، بهاء الدين، رشيدي محمد، سيف الدين ضياء الدين محمد، عابد محمد، عبد الصمد محمد، فؤاد محمد، نور الدين، وامق محمد، عبد الحميد، محمد وحيد الدين، سليمان، كمال الدين، نظام الدين، محمد رشاد.

بناته:

بديهة، بهيجة، سامية، مديحة، رفيعة، شهيمة، صبيحة، علية، فاطمة، جميلة، سنيحة، فهمية، مقبلة، منيرة، ناعمة، نيرة، بهية.

الإصلاحات الداخلية

تمت الإصلاحات على مرحلتين، عرفت **المرحلة الأولى** باسم **التنظيمات**، بدأت في سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م واستمرت طوال عهد السلطان **عبد المجيد الأول** و**السلطان عبد العزيز**، أي حتى ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، وعرفت بهذا الاسم لأنها امتازت بتنظيم أمور الدولة على أسس جديدة في جميع الحقول الإدارية والمالية والقضائية والتعليمية.

وعرفت **المرحلة الثانية** باسم **المشروطية**، وبدأت في عهد السلطان **عبد الحميد الثاني**، وقد وصفت بهذا الاسم لأنها حاولت أن تقضي على نظام الحكم المطلق الذي كان نافذًا، وأن تجعل حكم السلطان مشروطًا بمراعاة القيود المقررة في القانون الأساسي.

وتستند **التنظيمات الإصلاحية** إلى مرسومين سلطانيين، عرف الأول باسم (منشور الكلخانة) وعرف الثاني باسم (منشور التنظيمات الخيرية).

خط شريف كلخانة: وثيقة الدستور التي ألقيت في قصر كلخانة أمام ممثلي سكان العاصمة في ٢٦ شعبان ١٢٥٥هـ/ ٣ تشرين الثاني ١٨٣٩م.

١- صيانة حياة وشرف وممتلكات الرعايا بصورة كلية بغض النظر عن المعتقدات الدينية.

٢- ضمان طريقة صحيحة لتوزيع وجباية الضرائب.

٣- توخي العدل والإنصاف في فرض الجندية وتحديد أمدها.

٤- المساواة في الحقوق والواجبات بين المسلم وغير المسلم.

وبدأ عهد جديد يسمى عهد التنظيمات الخيرية العثمانية التي كان من بينها احترام الحريات العامة والممتلكات والأشخاص بصرف النظر عن معتقداتهم الدينية، ونص فيه على مساواة جميع الأديان أمام القانون.

(ولم يلق الخط الشريف أو الدستور الذي سانده "مصطفى رشيد" وقلة من المحيطين به ترحيبًا أو تأييدًا من الرأي العام العثماني المسلم؛ فأعلن العلماء استنكارهم وتكفيرهم لـ"رشيد باشا"، واعتبروا الخط الشريف منافيًا للقرآن الكريم في مجمله وبخاصة في مساواته المسيحيين بالمسلمين، ورأوا أن ذلك -وبغض النظر عن النواحي الدينية- سيؤدي الى إثارة القلاقل بين رعايا السلطان.

وكان الهدف بالفعل هو ما خططت له **الحركة الماسونية**، وهو إثارة الشعور القومي لدى الشعوب المسيحية ضد الدولة).

خط شريف همايون: مرسوم إصلاحي آخر صدر سنة ١٢٧٢هـ - ١٨٥٦م، بضغط من الدول الأوروبية، وبخاصة إنجلترا وفرنسا بعد حرب القرم حيث طالبت بإصلاح أوضاع النصارى في الدولة وقد سمي خط الهمايون (منشورات الإصلاحات الخيرية). وكان أكثر جرأة من الأول وأكثر اندفاعًا نحو الاقتباس من الغرب وقد تضمن مايلي:

١. إلغاء نظام الالتزام والقضاء على الرشوة والفساد.

٢. المساواة في التجنيد بين المسلمين وغير المسلمين.

٣. معاملة جميع رعايا الدولة معاملة متساوية مهما كانت أديانهم ومذاهبهم.

٤. المحافظة على الحقوق والامتيازات التي تمتع بها رؤساء الملل غير الإسلامية.

٥. القضاء على حواجز نظام الملل، ليتمتع كل مواطني الخلافة بمواطنة عثمانية متساوية.

٦. أن تصبح المسائل المدنية الخاصة بالرعايا المسيحيين من اختصاص مجلس مختلط من الأهالي ورجال الدين المسيحيين يقوم الشعب بانتخابه بنفسه.

٧. فتح معاهد التعليم أمام المسيحيين، لتفتح أمامهم وظائف الدولة.

٨. السماح للأجانب بامتلاك الأراضي في الدولة كما وعد السلطان بالاستعانة برأس المال والخبرات الأوروبية بهدف تطوير اقتصاد الدولة.

المواقف الأوروبية بعد انتصارات الدولة المصرية

إن انتصار **الجيش المصري** في **معركة نصيبين** وضع المسألة المصرية والمسألة الشرقية ومسألة التوازن الأوروبية عامة موضع البحث والنظر، وهذه هي المرة الثانية التي استرعت فيها انتصارات مصر أنظار الدول الأوروبية وأوقعتهن في الحيرة والارتباك، **فالمرة الأولى:** بُعيد انتصارات حمص وبيلان وقونية، **والمرة الثانية:** بعد معركة نصيبين، وهذا يدل على مدى تأثير تلك الانتصارات القوية، وحسبك دليلًا على قوتها أنها هزت كيان التوازن الأوروبي هزًا، وكادت أن تتداعى أركان السلطنة العثمانية، حتى فتحت باب المسألة الشرقية، فتجددت أطماع الدول المختلفة بشأنها، مما جعل السلام مهددًا في قارة أوروبا.

كانت **الخلافة العثمانية** خلال هذه الحقبة في وضع عسكري وسياسي لا تحسد عليه !؟ بسبب الهزائم العسكرية التي لقيتها جيوشها البرية على يد إبراهيم باشا قائد الجيوش المصرية، ومما عمق في جراح الدولة أن **قائد عام البحرية العثمانية أبحر بجميع مراكبه البحرية إلى الإسكندرية وسلمها إلى محمد علي باشا**، فكانت الحرب بين مصر والدولة العثمانية كارثة على الخلافة العثمانية التي خسرت جيوشها البرية والبحرية ولم تتمكن من أخذ الوقت الكافي لتحديث دوائرها وعسكرها كما فتحت باب تدخل الدول الأجنبية على مصراعيه.

عندها **قررت بعض الدولة الأوروبية تحجيم محمد علي للأبد** بعد أن أدى دوره على أكمل وجه، وشتت أمر الخلافة وأضاع هيبتها، وجاء التحجيم في شكل توقيع **معاهدة لندن** في ١٥ جمادى الأولى ١٢٥٦هـ/١٥ يوليو ١٨٤١م التي تنص على:

(١) أن يكون حكم مصر وراثيًا في أسرة محمد علي، وولاية عكّا مدى حياته فقط، وقد أعطوه مهلة عشرة أيام للتوقيع، فإن لم يعط الجواب بعدها سلخت منه ولاية عكّا، وإن انقضت عشرة أيام أخرى ولم يبد رأيه أخذت منه ولاية مصر، وإن مضى عشرون يومًا ولم يعط الجواب ضربه الأسطول الإنجليزي المرابط في الشام.

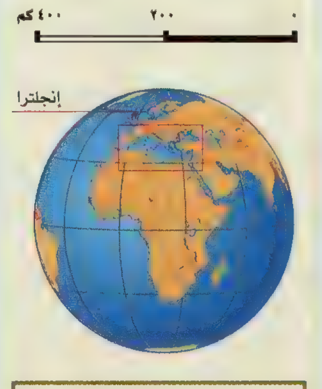
(٢) ألا يزيد الجيش المصري عن ثمانية عشر ألفًا من الجنود، ولا يكون له قوة بحرية، وألا يعين محمد علي في الجيش ضابطًا أعلى من رتبة ملازم، ودفع جزية سنوية للدولة العثمانية ثمانين ألف كيس، وقد وافق محمد علي مرغمًا على هذه المعاهدة، وذاق مرارة وحصاد خدمة أعداء الإسلام.

(٣) الموقف **الروسي** قائم على استغلال الفرصة السانحة له لبسط الحماية الفعلية على الدولة العثمانية بحجة الدفاع عنها.

(١) موقف **إنجلترا** وهو المحافظة على كيان **السلطنة العثمانية**، من أجل إضعاف الدولة المصرية للسيطرة المستقبلية على البحر الأبيض المتوسط.

وهذا الأمر يجعل لها الإشراف على طريق الهند من ناحية الفرات والعراق، فضلاً عن طريق البحر الأحمر وبرزخ السويس.

(٢) الموقف **الفرنسي** كان ميالاً إلى إقرار محمد علي باشا على سوريا وجزيرة العرب طبقًا **لاتفاق كوتاهية** ولما آلت إليه معركة نصيبين من نتائج إيجابية للمصريين.



مواقف الدول الأوروبية من الخلافة العثمانية بعد انتصارات محمد علي باشا.

الموقفان **النمساوي والبروسياوي (ألمانيا)**:

(٤) كان الوزير النمساوي المشهور **مترنيخ** يميل إلى تعزيز مركز العثمانيين لغرضين:

الأول: ألا يجعل للروس ذريعة للتدخل في شؤون الدولة العثمانية و من ثم بسط حمايتها عليها، فإن في ذلك خطرًا على النمسا.

الثاني: أنه كان ينظر إلى قيام محمد علي ضد الخلافة العثمانية، كثورة على الحاكم الرسمي، ومبدأ مترنيخ مقاومة الثورات القومية، التي يراد منها الخروج على سلطة الحكومات الرسمية.

أما **بروسيا** فلم يكن لها أطماع خاصة في هذه الأزمة، بل كانت ترمي إلى المحافظة على السلم اتقاء الأخطار، التي قد تنجم عنها حرب أوروبية، وكان **ملكها يكره فرنسا** كرهًا عجيبًا، ومن ناحية أخرى هناك أسباب قومية تعود إلى السياسة المناقضة لسياسة فرنسا.

الأوروبيون وتغذية الصراع الطائفي في لبنان

بدأت الصراعات المريرة بين **المسيحيين والدروز**، التي كان قد تصاعدت حدتها بالخفاء تحت حكم **إبراهيم باشا**، بالظهور تحت سلطة الأمير الجديد. وعلى إثرها قام **السلطان العثماني عبد المجيد الأول** بخلع **بشير الثالث** يوم ١٣ يناير ١٨٤٢م، وعُيِّن عمر باشا **كحاكم لجبل لبنان**. بيد أن هذا التعيين، خلق مشكلات أكثر مما حل. فاقترح ممثلو الدول الأوروبية إلى السلطان تقسيم لبنان إلى مقاطعتين للمسيحيين والدروز. وفي ٧ ديسمبر ١٨٤٢م، اعتمد الاقتراح السلطان وطلب من أسعد باشا، **حاكم دمشق**، تقسيم المنطقة، إلى منطقتين: منطقة شمالية تحت حاكم نائب مسيحي وجنوبية تحت سلطة نائب درزي. وعرف هذا الترتيب باسم **"القائمقامية المزدوجة"**. وتبع كلا المسؤولين **حاكم صيدا**، الذي بدأ يقيم في **بيروت**. واعتبر طريق بيروت-دمشق الخط الفاصل بين هاتين المقاطعتين.

لكن سرعان ما ظهرت ضحالة تجزئة لبنان. حيث زادت العداوات بين الطوائف الدينية، التي كانت تغذيها قوى خارجية. **فالفرنسيون** على سبيل المثال، دعموا **المسيحيين**، في حين أيد **البريطانيون الدروز**، وأدت هذه التوترات إلى صراع بين المسيحيين والدروز.

بدأت الحرب بين الطائفتين بحسب رواية تقليدية بعد نزاع بين طفلين درزي وماروني من دير القمر، فتدخلت عائلتيهما ومن ثم طائفتيهما. وأشعلت هذه الخلافات سيلًا من أعمال العنف اجتاحت لبنان. دمرت خلالها ٦٠ قرية بالقرب من بيروت في ثلاثة أيام، من ٢٩ إلى ٣١ أيار، ١٨٦٠م. قتل خلالها ٣٣ مسيحيًا و-٤٨ درزيًا. وبحلول حزيران امتدت الاضطرابات إلى الأحياء "مختلطة" من جنوبي لبنان، وجبال لبنان الشرقية، وحتى صيدا وحاصبيا وراشيا و دير القمر وزحلة. أقام خلالها الفلاحون الدروز حصارًا حول الأديرة الكاثوليكية والبعثات وحرقوها وقتلوا رهبانها. وقام بعض المسلمين بإنقاذ العديد من المسيحيين من أبرزهم **عبد القادر الجزائري** الذي آواهم في مقر إقامته.

تضع معظم المصادر عدد القتلى في لبنان خلال هذه المدة المحزنة بين ٧،٠٠٠ إلى ١١،٠٠٠ بينما تصل أخرى إلى ٢٠،٠٠٠ أو أكثر. وفي نهاية المطاف فقد عيّن السلطان **عبد المجيد الأول**، **فؤاد باشا** حاكمًا على **الشام** مخولاً بصلاحيات استثنائية، لرأب الصدع الذي حصل في المجتمع، ولتفادي أي تدخل أوروبي، وقد قاد فؤاد باشا حملة اعتقالات بحق المتورطين بالمذابح.



بالرغم من كثرة الدول التي **احتلت لبنان**، **كاليونان والبيزنطيين**، أو التي جاءت **لتحرره** من المحتلين **كالجيوش الإسلامية**؛ **فإن كتب التاريخ الحديث تركز دومًا على المرحلة الأخيرة من الخلافة العثمانية** التي حكمت جبل لبنان منذ سنة ١٥١٦م، وذلك في محاولة **لذكر المساوئ ونسيان المحاسن**، مع أن العثمانيين لم يحكموا جبل لبنان بشكل مباشر إلا لمدة قصيرة لم تتجاوز العشرين عامًا (١٨٤١-١٨٦١م). أما قبل هذه المدة فكانت مناطق **"جبل لبنان"** تخضع لحكم أمراء الطوائف الرئيسة فيه وهم الدروز، الذين تمثل حكمهم بالأمراء المعنيين (١٥١٦-١٦٩٧م) ومن بعدهم الأمراء الشهابيين (١٦٩٧-١٨٤١م)، ومن ثم انتقل الحكم إلى النصارى إثر المجازر التي وقعت بينهم وبين الدروز في المدة من ١٨٤٠-١٨٦٠م، ونتج عنها تحول "جبل لبنان" إلى نظام المتصرفية. د. نهى قاطرجي،

طوائف لبنان.. والمشي فوق الألغام.

حرب القرم بين الإمبراطورية الروسية والدولة العثمانية ١٨٥٣-١٨٥٦م

اتسمت العلاقات بين **الدولة العثمانية وروسيا القيصرية** بقدر كبير من العداء والدموية، فمنذ سيطرة القياصرة على الحكم في روسيا، امتلك الروس حزمة من الأطماع التوسعية في أن تكون روسيا دولة كبرى على مسرح السياسة الأوروبية والدولية، واختلطت هذه الأطماع في بعض الأحيان بعواطف دينية متعصبة، متمثلة في **حماية الأرثوذكس** في العالم، والسيطرة على **القسطنطينية** التي فتحها السلطان **محمد الفاتح**، وكذلك السيطرة على الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين.

وأدرك **الروس** أن تحقيق هذه الأطماع المتشابكة لن يتم إلا بالقضاء على الدولة العثمانية، خاصة في منطقتي **آسيا الوسطى والبلقان**، والسعي إلى تقسيم الأملاك العثمانية بين الدول الكبرى، تمهيدًا لوصول روسيا إلى **المياه الدافئة**، وهو الحلم الذي ظل يراود الروس مدة طويلة من الزمن، وأدرك الروس أن ذلك لن يتحقق إلا بوجود قدر من التوافق بين روسيا والدول الأوروبية الكبرى.

وبسبب هذه الأطماع الروسية فضلًا عن حالة الضعف العثمانية التي كانت تغري الدول الكبرى بالتدخل في شؤونها. وقعت أكثر من عشرات الحروب بين العثمانيين والروس، استغرقت أكثر من ثلاثة قرون.

ورأت فرنسا وبريطانيا في هذه الحروب الطويلة والعنيفة بين الجانبين تحقيقًا لمصالحهما، من حيث إضعاف روسيا وردعها عن التدخل الفاعل والنشط في السياسة الأوروبية، وإبعادها عن المنافسة في المجال الاستعماري، وكذلك إضعاف الدولة العثمانية التي تتمدد أملاكها في ٣ قارات تمهيدًا لتقسيمها بطريقة لا تؤثر على التوازن في السياسة الدولية.

والمعروف أن **الدولة التي كانت تقف حائلًا دون تقسيم الدولة العثمانية والقضاء عليها في ذلك الوقت هي بريطانيا**، التي رأت أن القضاء على "رجل أوروبا المريض" (المصطلح الذي كان يطلق على الدولة العثمانية آنذاك) فيه تهديد لمصالحها وأمن مستعمراتها في الهند، ويعني أيضًا هدم دولة تقف سدًا منيعًا أمام الأطماع الروسية، والحيلولة دون وصول الروس إلى المياه الدافئة ومن ثم مزاحمة بريطانيا في أماكن نفوذها.

أما فرنسا فقد كانت ذات سياسة متغيرة، ولم تكن يتملكها نفس الخوف من الدور الروسي مثلما هو الحال في بريطانيا، ولعل هذا ما حصر النفوذ الفرنسي (نسبيًا) في الحصول على بعض الامتيازات من العثمانيين لحماية مصالحها ورعاياها.



١ قام حوالي ٣٥ ألف جندي روسي باحتلال رومانيا (الأفلاق - البغدان) التي كانت تابعة آنذاك للدولة العثمانية، وأبلغت روسيا الدول الأوروبية أنها لن تدخل في حرب شاملة ضد الدولة العثمانية، وأن مافعلته إجراء وقائي لحين اعتراف السلطان العثماني بحقوق الأرثوذكس في كنيسة القيامة في القدس، وأنها سوف تنسحب فور هذا الاعتراف.

٢ قامت الدولة العثمانية وروسيا بحشد قوات ضخمة على جبهات القتال، وعلى جبهتي الدانوب والقوقاز، واستطاع القائد العثماني **عمر باشا** أن يلحق **هزيمة كبيرة بالروس** على نهر الدانوب، وأن يدخل رومانيا.

وفي جبهة **القوقاز** ساند الزعيم الشيشاني الإمام **شامل** القوات العثمانية أثناء القتال ضد الروس.

٣ أعلنت **فرنسا وبريطانيا** الحرب على روسيا في ٢٨ جمادى الآخرة ١٢٧٠هـ ٢٧ مارس ١٨٥٤م، ونشبت معارك ضخمة في عدة جبهات في أثناء **حرب القرم**، إلا أن أهم هذه المعارك كانت **معركة سيفاستوبول** التي خاضتها الدول الثلاث للقضاء على القوة البحرية الروسية في البحر الأسود، حيث كانت القاعدة البحرية لروسيا في شبه جزيرة القرم (حاليًا في أوكرانيا) واستمرت المعركة قرابة العام، قُتل خلالها حوالي ٣٥ ألف قتيل، وعدد من القادة الكبار من كلا الجانبين، حتى انتهى الأمر بسيطرة الدول الثلاث على الميناء في ٢٢ من شعبان ١٢٧١هـ ٩ مايو ١٨٥٥م.

في هذه الأثناء توفي القيصر الروسي نيقولا الأول، وخلفه في الحكم ابنه ألكسندر الثاني الذي شعر بعدم قدرة بلاده على مواصلة الحرب، فقرر التفاوض للسلام، **خاصة بعد المذكرة التي تقدمت بها النمسا لروسيا** وحذرتها فيها من أن دولًا أوروبية أخرى قد تدخل الحرب ضدها.

استمرت الحرب أكثر من عامين ونصف، حاربت فيها **الدولة العثمانية** منفردة في السنة الأولى منها، وتميزت هذه الحرب بمتابعة الصحافة لها، من خلال إرسال مراسلين عسكريين على جبهات القتال.

بعد توقف حرب القرم **نشر السلطان العثماني عبد المجيد** في ١٢ جمادى الآخرة ١٢٧٢هـ ١٨ /فبراير ١٨٥٦م، فرمانًا عُرف باسم المرسوم الهمايوني للإصلاحات (انظر ص ٥٧٩ من هذا الأطلس)، الذي اعترف بمجموعة من الحقوق للأقليات الدينية في الدولة العثمانية، وكان هدفه الحقيقي محاولة الدولة العثمانية كسب الرأي العام الأوروبي إلى جانبها في أثناء المفاوضات لتوقيع معاهدة باريس.

افتتح **مؤتمر باريس في ١٩ جمادى الآخرة ١٢٧٢هـ ٢٥ فبراير ١٨٥٦م**، وتم توقيع **معاهدة باريس** بعد ٣٤ يومًا من افتتاح المؤتمر في ٢٣ رجب ١٢٧٢هـ ٣٠ مارس ١٨٥٦م، وتضمنت نقاطًا عدة مهمة، منها:

١- حرية الملاحة في نهر الدانوب.

٢- تشكيل لجنة دولية للإشراف على ذلك.

٣- إعلان حياد البحر الأسود: وكانت هذه المادة كارثة بالنسبة لروسيا، حيث أجبر هذا النص روسيا على سحب سفنها الحربية من هذا البحر ونقلها إلى بحر البلطيق، ومن ثم أصبح البحر الأسود بحيرة عثمانية من الناحية الفعلية وليس القانونية.

٤- اعترفت المعاهدة بالاستقلال الذاتي لكل من ولايتي الأفلاق وبغدان (رومانيا حاليًا) ضمن الدولة العثمانية، وأن يتم احترام استقلال الدولة العثمانية وعدم التدخل في شؤونها الداخلية مقابل تعهدها بتحسين أحوال الرعايا المسيحيين في البلقان، واعترف السلطان العثماني بالمساواة التامة بين جميع رعاياه على اختلاف مذاهبهم وأديانهم. وأعلنت الدولة العثمانية قبول مبدأ التحكيم في حالة وقوع خلاف بينها وبين غيرها من الدول، وكان هذا النص مهمًا في القانون الدولي الناشئ.

٥- قررت المعاهدة إعادة ميناء سيواستوبول لروسيا، كما احتفظ العثمانيون بحق حماية الأراضي الصربية، ووعدت الدول الكبرى بالعمل على حل أي خلاف ينشأ بين الصرب والعثمانيين.

٦- ثبتت معاهدة باريس امتيازات فرنسا في الأماكن المقدسة المسيحية دون غيرها من الدول، وأضفت عليها الطابع الحقوقي الدولي، حيث إن الامتيازات في السابق كانت نابعة من التعاقد الثنائي بين الدولة العثمانية ذات السيادة على هذه الأماكن وبين فرنسا منفردة.

كانت **لهذه المعاهدة آثارها على الدولة العثمانية**، حيث وقعت بعض المصادمات الطائفية في بعض المناطق في الدولة كما أن هذه المعاهدة عطلت الوجود الروسي في البحر الأسود قرابة ١٥ عامًا، حتى تمكن القيصر ألكسندر الثاني من إنهاء معاهدة باريس سنة ١٢٨٧هـ ١٨٧٠م، في أثناء الحرب البروسية- الفرنسية.



خريطة تاريخية تبين المنطقة المتأثرة بالمؤتمر. المنطقة باللون الأخضر الفاتح إلى اليسار هي المنطقة التي يجب على روسيا تسليمها بين نهر الدانوب ومولدافيا

كان **لمعاهدة باريس** التي عقدتها **الدولة العثمانية بعد حرب القرم** التي استمرت حوالي ٣ سنوات أهمية خاصة في التوازن على الساحة الدولية بين الدول الكبرى، فهي من المعاهدات التي صاغت الوجه السياسي لأوروبا خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت مدخلًا مهمًا لتطوير القانون الدولي حيث كانت بداية الفصل بين العقائد الدينية والعلاقات الخارجية، وانتقلت بالقانون الدولي من الحيز الأوروبي الذي كان يعبر في الأساس عن مجموعة من الأعراف غير الملزمة لغير الأوروبيين إلى إشراك الدولة العثمانية في هذا القانون الدولي.

وتكمن أهمية هذه المعاهدة في أنها كشفت بجلاء أن المصالح هي التي تصنع الأحداث ومن ثم تصنع التاريخ، فالتحالفات لم تعد تصاغ وفق العقائد الدينية؛ بل أصبحت تصاغ وفق المصالح التي تحققها تلك العقائد - وهذا أمر فيه نظر لأن العقيدة الإسلامية عقيدة شاملة كاملة - ولذا كانت أطر التحالفات واسعة ومرنة وقابلة للتحرك مع تغير المصلحة، وتلك قصة طويلة دامية كشفتها بجلاء معاهدة باريس.

١- يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية - منشورات مؤسسة فيصل للتمويل- تركيا- الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٢- أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، بيروت- دار الشروق، ١٩٨٦م.

٣- عمر عبد العزيز عمر: أوروبا ١٨١٥ - ١٩١٩م - بيروت- دار المعرفة الجامعية- ١٩٩٥م.

قصر دولما باهتشة

هـو قصـرٌ فاخرٌ بنـاه **السلطان عبد المجيد** ليكـون مقر حكمه الجديد. بدأ البناء سـنة ١٨٤٣م، وانتهى منه سنة ١٨٥٦م، استعمل فيه فنون البناء الغربي الشائع في ذلك العصر، حيث تعاقد السلطان مع فنانين ورسامين من إيطاليا وفرنسا لإتمام العمل، وملأ قصره بتحف من كل بقاع الدنيا كعاج الفيلة واللوحـات والمنحوتات الإيطالية والفرنسـية بالإضـافة إلى سـجاد من فرو الدببة الرمادية الروسـية، واسـتعمل عشـرات الأطنان من الذهب لتزيينه. ومنذ انتهاء تشـييدها أصبحت هذه السرايا مقر حكم الخلافة العثمانية حتى نهايتها سنة ١٩٢٢م.

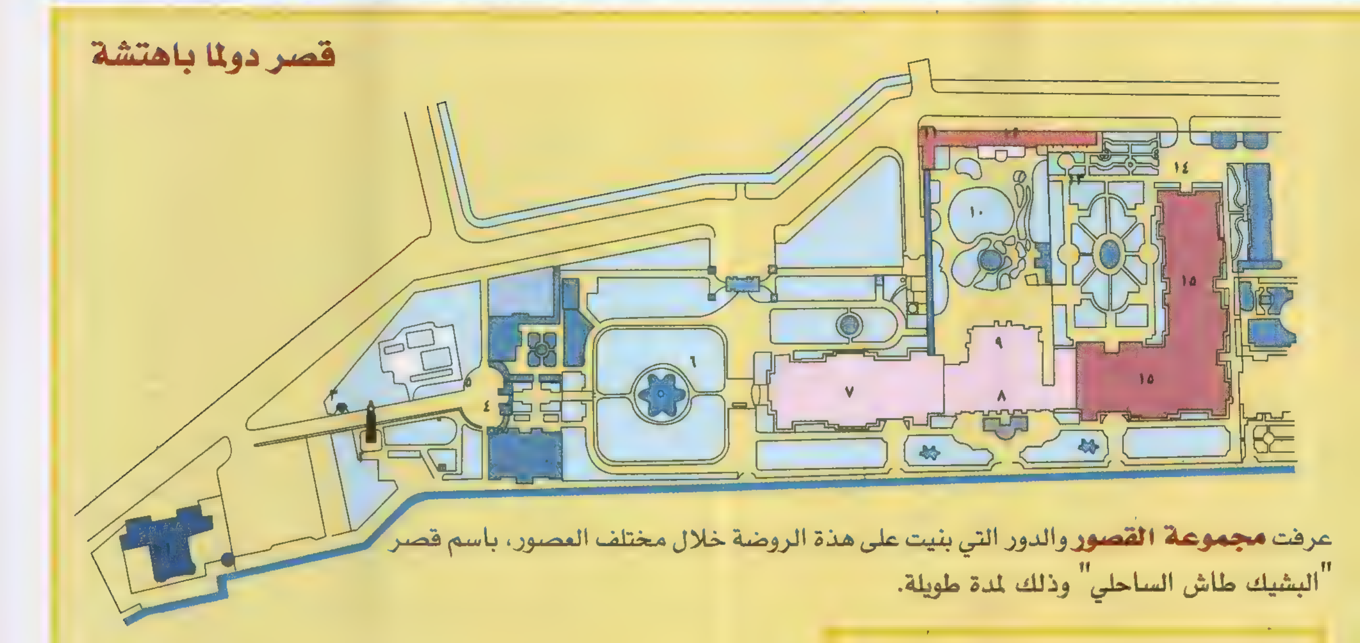
يعـد نقـل مركز الحكم إلى هذه السـرايا علامة فـي التاريخ العثماني على انتقـال الدولةإلى مرحلة الانفتاح الشبه كامل على الغرب، ومحاولة نسخ أنظمته والاستفادة من خبراته. وقد حظي هذا القصر باهتمام العالم حيث تم بنائه على أفضـل المواقع في أراضـي أسـتنبول و لاسـيما على سـاحل مضـيق البوسفور الذى يربط البحر الأسود ببحر مرمرة، ويعد مع مضيق الدردنيل الحدود الجنوبية بين قارتي آسـيا وأوروبا، و الذي صنفت مياهه ضـمن مجال الملاحة الدولية، حيث يعد أحد أهم النقاط البحرية في العالم.

تمتد واجهة القصـر على مدى سـت مئة متر على الساحل الأوروبي لمضيق البوسفور. وقد أقيم حفل افتتاح رسـمي لقصـر الدولما باهتشـة بعد إتمامه بالكامل سـنة ١٨٥٥م، أي بعد معاهـدة باريس التي أبرمتها مع روسيا في الثلاثين من مارس سنة ١٨٥٦م.

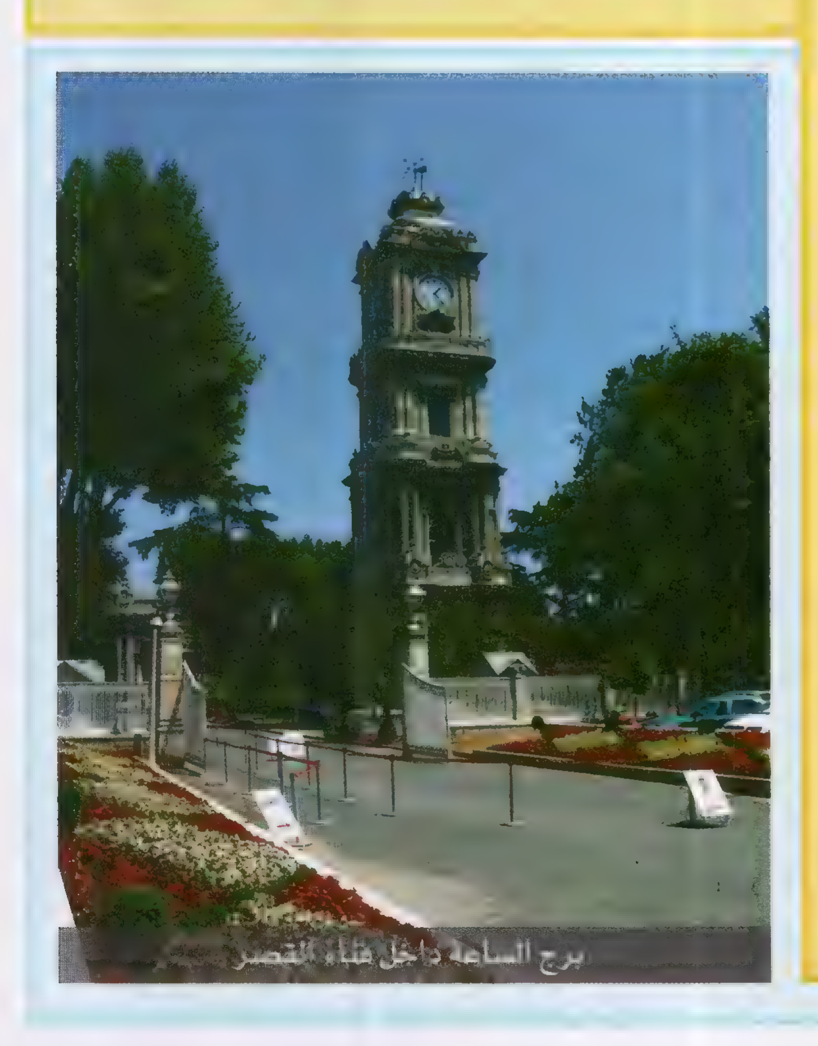


واجهة قصر دولما باهتشة المطلة على مضيق البوسفور

قصر دولما باهتشة



عرفت **مجموعة القصور** والدور التي بنيت على هذة الروضة خلال مختلف العصور، باسم قصر "البشيك طاش الساحلي" وذلك لمدة طويلة.


برج الساعة داخل فناء القصر

الخريطة

١. جامع الوالدة سلطان.
٢. برج الساعة.
٣. بداية مدخل.
٤. باب الخزينة.
٥. زاوية .
٦. الحديقة الخاصة.
٧. القصر الصيني.
٨. المبنى الرئيس (القصر الكبير)
٩. صالون المابين.
١٠. حديقة منزل الطير.
١١. متحف الساعات.
١٢. بونابيارتنو.
١٣. الحديقة الخلفية.
١٤. أحد مداخل قصر العمدان.
١٥. قصر العمدان الرخامية.

عمارة السلطان عبدالمجيد للمسجد النبوي[1]:

بعد نهاية حكم المماليك لمصر سنة ٩٢٣هـ خضعت المدينة المنورة **لحكم العثمانيين**، الذين قاموا بترميم المسجد النبوي وإصلاحه بين حين وآخر دون توسعة أو زيادة. وبقي المسجد النبوي الشريف على بناء الأشرف قايتباي الذي تم سنة ٨٨٨ هـ واستمر على هذه العمارة ٣٧٧ سنة، حتى ظهر بعض التصدّع في أجزاء المسجد وبلغ الخراب بعض سقوفه وأعمدته، ففي سنة ١٢٦٥هـ كتب شيخ الحرم النبوي آنذاك إلى **السلطان عبدالمجيد** يبلغه بحاجة المسجد للإعمار. واهتم السلطان بالأمر فأرسل بعض كبار المسؤولين لتحديد حاجة المسجد، فأبلغوا السلطان بحاجة المسجد العاجلة إلى العمارة والتجديد، فأرسل بعثة من الخبراء والفنيين والعمال ومعهم ما يلزم من آلات وأموال.

البدء بالمشروع الضخم

وبدأ المشروع بالبحث عن الحجارة المناسبة لبناء المسجد، وبعد بحث في نواحي المدينة توصلوا إلى جبل قريب من ذي الحليفة تميل حجارته إلى اللون الأحمر، فأقاموا عنده معامل لنحت الحجارة والأساطين وصقلها.. وكان البناء في هذه التوسعة على مراحل، فكانوا يهدمون جزءًا ويبنونه تجنبًا لتعطل الصلاة في المسجد. وبنيت أسطوانات المسجد من الحجر الأحمر لسهولة نحته وجمال لونه، كما بنيت الجدران الأربعة بالحجر المنحوت الأسود الحراري لأنه أصلب من الأحمر، وجاءت بعض الأساطين على قطعة واحدة وبعضها على قطعتين.

وبني على الأساطين عقود نصف دائرية تقوم عليها قباب بأحجام وتصاميم مختلفة، لكنها متشابهة، ووضعت في القباب نوافذ، وزيّنت بالزخارف، وكُلف الخطاط عبدالله زهدي أفندي بكتابة الآيات والأحاديث في القباب وجدار المسجد القبلي بخط جميل، واستغرق في كتابتها ثلاث سنوات.

وفرشت أرض المسجد كلها بالرخام، وصقلت الأسطوانات ودهنت بلون يشبه لون الحجر، مع تذهيب رؤوسها، كما رخمت أسطوانات الروضة الشريفة بالرخام الأبيض والأحمر لتمييزها عن بقية المسجد. وخرجت العمارة المجيدية في صورة رائعة لم يشهدها المسجد النبوي قبل ذلك التاريخ، ولا يزال قسم من العمارة المجيدية قائمًا حتى اليوم بعد التوسعة السعودية، وبعد أن تبيّن أنها قوية ومتماسكة وقادرة على البقاء والاستمرار. وزادت العمارة المجيدية في المسجد النبوي من الشمال زيادة كبيرة، ومن الشرق زيادة يسيرة بعرض مترين ونصف عند المئذنة الرئيسية.

ويقدّر مجموع هذه العمارة بـ١٢٩٣ مترًا مربعًا، واستغرق العمل في التوسعة المجيدية ١٣ سنة ولم يكتمل إلا سنة ١٢٧٧هـ، وبلغت تكلفتها سبع مئة ألف جنيه، وبلغ عدد العمال ٣٥٠ عاملًا فضلًا عن الموظفين والمهندسين.

١- أحمد الأمين- جريدة المدينة المنورة، الخميس ٢٠١٢/١٠/٠٤م

توسعة المسجد النبوي عبر التاريخ الإسلامي

الشمال

٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠م

الخريطة

- مساحة المسجد في عهد الرسول ﷺ
- توسعة الرسول بعد السنة السابعة للهجرة
- توسعة عمر بن الخطاب
- توسعة عثمان بن عفان رضي الله عنه
- توسعة الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموي
- توسعة الخليفة محمد المهدي العباسي
- **توسعة السلطان عبد المجيد الأول**
- التوسعة السعودية الأولى عام ١٣٧٢ هـ
- التوسعة السعودية الثانية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز

المدينة النبوية من جهة باب الشامي في أوائل القرن الهجري الماضي



في توسعة السلطان العثماني عبد المجيد الأول (١٢٦٥-١٢٧٧هـ) للمسجد النبوي عملت الأعمدة من الحجر الأحمر بعضها من قطعة واحدة، وغطيت بطبقة من الرخام المزخرف المزين بماء الذهب، عليها عقود تحمل أعلاها قبابًا؛ بلغ مجموع الأعمدة في هذه التوسعة (٣٢٧) عمودًا.

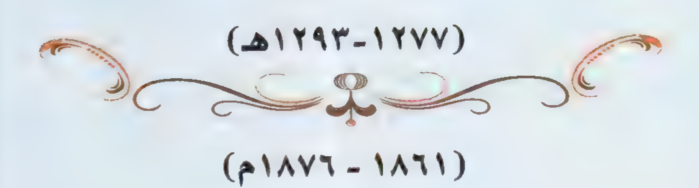
مرتسم قديم يعود إلى (القرن السابع عشر الميلادي) يُظهر وضعية **المسجد النبوي** في العهد العثماني.



مرتسم **للمسجد النبوي** سنة ١٨٥٧م، خلال مدة حكم السلطان العثماني الخليفة عبد المجيد الأول.



(١٢٧٧-١٢٩٣هـ)



(١٨٦١ - ١٨٧٦م)



والده: السلطان محمود الثاني

والدته: برتونيال والدة سلطان

ولادته: سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٣٠م

وفاته: سنة ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦م

مدة حكمه: من ١٢٧٧ - ٢٩٣ هـ / ١٨٦١ - ١٨٧٦م

كان **السلطان عبد العزيز** طويل القامة، عريض الكتفين، بدينًا، مستدير الوجه، أشقر اللحية. تلقى تحصيلًا علميًا جيدًا فقد كان واسع الثقافة شاعرًا ورسامًا. غير أنه لم يكن محبوبًا من قبل شعبه نظرًا لانشغاله بأشياء ليس لها منافع. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون، تعريب محمد جان، ص ٨١.

قام السلطان عبد العزيز بزيادة عدد الجيش النظامي من ٥٠ إلى ١٥٠ ألفًا. كما أصلح البحرية حيث قام بشراء سفن جديدة وأسس ترسانة جديدة في أستنبول.

وفي هذا العهد **دخلت السكة الحديدية للإمبراطورية العثمانية** لأول مرة، **كما طبعت الأوراق النقدية** عوض النقود الذهبية. وفي سنة ١٨٦٣م، قام السلطان عبد العزيز بزيارة مصر، فكان أول سلطان عثماني يقوم بمثل هذه الزيارة منذ فتح مصر سنة ١٥١٧م، كما قام سنة ١٨٦٧م. بزيارة بريطانيا، وفي سنة ١٨٦٨م أسس مجلس شورى الدولة.

وفي سنة ١٨٦٩م فتحت **قناة السويس** التي ربطت بين البحرين الأحمر والأبيض المتوسط وزادت في الأهمية الإستراتيجية للمنطقة، وفي سنة ١٨٧١م عين مدحت باشا صدرًا أعظم غير أنه عزل في السنة الموالية، وفي سنة ١٨٧٤م، عين حسين عوني صدرًا وعزل هو الآخر بعد سنة، وفي هذا العهد **ظهرت جمعية (تركيا الفتاة)** التي طالبت بإدخال إصلاحات سياسية من شأنها أن تقلص من صلاحيات السلطان.

أبناؤه:

سليم، محمد، جلال الدين، محمد شوكت، سيف الدين، شيخ زاده، يوسف، عز الدين، صلاح الدين، عبد المجيد.

بناته:

صالحة سلطان، أمينة سلطان، ناظمة سلطان، أسماء سلطان، أمينة سلطان، فاطمة سلطان، منيرة سلطان.

المسألة الشرقية

هي **مسألة وجود العثمانيين المسلمين في أوروبا** وطردهم منها واستعادة القسطنطينية منهم بعد سقوطها سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م وتهديد مصالح الدول الأوروبية في هذه المنطقة. **كما يدل المصطلح على تصفية أملاك رجل أوروبا المريض في البلقان من طرف الدول الأوروبية.**

المرحلة الأولى ١٤٥٣-١٥٣٥م:
قامت هذه المرحلة على تعميق الحقد والكراهية للرأي العام الأوروبي ضد الدولة العثمانية عبر **حملات تجسسية** من طرف الدول والجماعات الدينية والكنائس النصرانية بتبيان الإجرام العثماني في حق أوروبا من خلال احتلال أوروبا ونشر الإسلام في نظر النصارى، لكن الممارسة والتطبيق أصعب من الكلام حيث جعلت القوة العثمانية من الرغبة الأوروبية في طردها أمرًا مستحيلًا وبعيد المدى.

كانت الرغبة الدفينة في منأى عن علم العثمانيين بها؛ فقد كان الوجه الظاهر هو الترحاب والموافقة على نقيض الوجه الآخر، والذي كان يتحين الفرص السانحة متى ما دعت الحاجة والضرورة لذلك.

المرحلة الثانية (التمهيد) ١٥٣٥-١٨٣٠م
اعتبرت المرحلة تاريخيًا تمهيدًا للمرحلة الثالثة ألا وهي التنفيذ، فكانت غنية بالامتيازات العثمانية للأوروبيين والبعثات النصرانية التنصيرية والثقافية والتجارية مما وسع مناطق النفوذ الأوروبي في الدولة العثمانية؛ كان التناسق والتكامل بين مختلف المجالات مدروس بعناية. لقد بدأت هذه المرحلة عمليًا بعد **الامتياز** الذي حصلت عليه فرنسا من السلطان العثماني سليمان القانوني سنة ١٥٣٥م بإعطائها الحق في حماية النصارى الكاثوليك والأماكن المقدسة لهم ككنيستي القيامة والمهد. لم تقف كل من بريطانيا وروسيا ساكتتين بل فعلتا نفس الشيء، فتطورت الامتيازات الدينية إلى تجارية فاقتصادية استعدادًا للإجهاز على الدولة العثمانية في الوقت المناسب وسلب الامتيازات بناءً على المواثيق والعقود الموقّعة.

المرحلة الثالثة (التنفيذ) ١٨٣٠-١٨٧٠م:
مرحلة التصفية والاقتسام في البلقان بالاستقلال أو الحكم الذاتي بضغط سياسي أو تدخل عسكري عند الضرورة (كحرب اليونان وحرب القرم) بإجبار الدولة العثمانية على **منح الاستقلال للدويلات البلقانية بهدف الانفصال لاحقًا حيث طُبِّقت سياسة القومية**، مثل احتلال الأراضي العثمانية الممتدة في الوطن العربي وشمالي إفريقيا. لكن عملية التنفيذ لم تنته بعد في ظل الضعف والتدهور المستمر للدولة العثمانية وتفاقم الهجمات الاستعمارية الأوروبية عليها.

تنامي الشعور القومي في شرقي أوروبا (البلقان)

القومية: إيدلوجية تقوم على أساس وحدة اللغة: وهي نظرية ألمانية بسبب المفكرين الألمان الذين كانوا أول من أشار إليها. ويستند أنصار الوحدة اللغوية إلى مثل: الوحدة الألمانية والإيطالية واستقلال بولونيا. وفي المقابل قامت اللغة بدور أساسي في انهيار **الدولة العثمانية والإمبراطورية النمساوية**، فانفصلت عن الأولى كل الشعوب التي لا تتكلم التركية، وعن الثانية كل الشعوب التي لا تتكلم الألمانية.

وفي خلال القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين ارتبطت النزعة القومية سياسيًا بحركة التحرير والوحدة في البلدان الغربية التي كانت مقسمة مثل: إيطاليا وألمانيا وبولندا، ومثل شعوب ودول أوروبا التي كانت خاضعة للفتح العثماني التركي أو للاحتلال الروسي أو النمساوي في شرقي ووسط أوروبا.

وحينما بدأت التشكيلات القومية في شرقي أوروبا ووسطها أخذت طابعًا أكثر تطرفًا في صيغتها السلافية والجرمانية، حيث طرحت الفكرة القومية كانتماء عضوي يكاد يكون بيولوجيًّا. وقد تمت الثورة القومية في الغرب تحت راية الطبقة المتوسطة وقيمها، وبخاصة الملكية الفردية والعقد الاجتماعي، وتركز على أهمية ومركزية الغرب في العالم، وأهمية ومركزية كل ذات قومية. فمجَّد البريطانيون الذات البريطانية ومجد الألمان الذات الألمانية.

ويصل هذا الاتجاه إلى ذروته (أو هوته) في الأسطورة النازية ثم بعد ذلك في الأسطورة الصهيونية، إذ إن كليهما مجَّد الذات القومية واستبعد الآخر تمامًا.

بتصرف عن د. عبد الوهاب المسيرى: الإنسان والحضارة، ص ١٩٤ : ١٩٦، كتاب الهلال، أكتوبر ٢٠٠٢م. و أ. سامي خشبة: مصطلحات الفكر الحديث، ج٢، ص ١٥٦، ط مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٦م.

القومية السلافية

هي حركة فكرية نشأت في أوروبا الشرقية، وظهرت بشكل قوي في أثناء القرن التاسع عشر الميلادي، وأكدت على وحدة الشعوب السلافية عبر ثقافتها المشتركة، ولغاتها المشتقة من أصل واحد، نشطت هذه الحركة في روسيا حيث دعمت مسعى البلاد التاريخي للاستيلاء على القسطنطينية (أستنبول) وتحرير السلاف الجنوبيين من الحكم النمساوي والعثماني.

بلغت الحركة أوجها بين ستينيات وثمانينيات القرن التاسع عشر الميلادي وأعيد إحياؤها في أثناء حروب البلقان والحرب العالمية الأولى ولكن بشكل مختلف.



ثورات البلقان في عهد السلطان العثماني عبد العزيز وتأثرها بالمد القومي الذي اجتاح أوروبا أواخر، ق ١٨م وطوال، ق ١٩م

■ طالبت روسيا بإقامة كنيسة سلافية وزعيم ديني يكون بلغاريًا للاستقلال عن البطريرك اليوناني في أستنبول، وفعلًا أصدر السلطان عبد العزيز فرمانًا بذلك في ١٢٨٦هـ/ ١٨٧٠م اعترف بموجبه السلطان باستقلال السلاف الديني كأمة قائمة بذاتها ذات رئيس ديني مستقل عن البطريرك اليوناني وأطلق عليه **لقب إكسارك**؛ وقد أيقظ إنشاء الإكساركية السلافية **الشعور السلافي** في البلقان، وحاولوا التمرد على الدولة بتشجيع من روسيا والنمسا، واندفع الثوار في قتل المسلمين وإيقاد النار في مدن أدرنة وفيليبة وبازارجق، كما حصلت مذابح في كثير من القرى. وصورت الأزمة على غير هيئتها الصحيحة في المجتمع الأوروبي لتأليب الرأي العام النصراني على العثمانيين، **وتزعم ذلك فيكتور هيجو وغلادستون**، ولم تهدأ الأوضاع إلا بمجموعة من المطالب قدمتها بريطانيا للدولة العثمانية تصب في مصالح نصارى بلغاريا. د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص٤١٦ - ٤١٧.

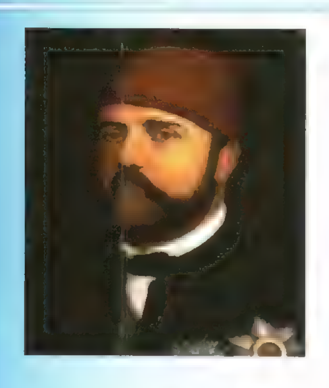
قناة السويس

بعد قيام الرحالة فاسكو دا جاما باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح لم تعد السفن القادمة تمر على مصر بل تدور حول قارة إفريقيا. وبعد ضمّ بريطانيا العظمى الهند إلى ممتلكاتها أصبح طريق رأس الرجاء الصالح حكرًا على بريطانيا وحدها. لذلك فقد كان على فرنسا أن تفعل شيئًا يعيد لها مجدها وهيبتها لذا ظهرت الحاجة لحفر قناة السويس. ولكن معظم تلك المحاولات باءت بالفشل بسبب وجود اعتقاد خاطئ بأن منسوب مياه البحر الأحمر أعلى من مياه البحر المتوسط.

ففي عهد نابليون بونابرت في أثناء وجود الحملة الفرنسية بمصر، وتحديدًا في ١٤ نوفمبر ١٧٩٩م، كُلِّف أحد المهندسين الفرنسيين ويدعى لوبيير بتشكيل لجنة لدراسة منطقة برزخ السويس لبيان جدوى حفر قناة اتصال بين البحرين. إلا أن التقرير الصادر عن لجنة لوبيير كان خاطئًا وذكر أن منسوب مياه البحر الأحمر أعلى من منسوب مياه البحر المتوسط بمقدار ٣٠ قدم و ٦ بوصات، بالإضافة لوجود رواسب وطمي النيل وما يمكن أن يسببه من سد لمدخل القناة مما أدى لتجاهل تلك الفكرة. وقد توفي فيها من العمال ٣٤١٠٨٠ مصري نتيجة أعمال السخرة.

ثمّ في أثناء حكم محمد علي باشا لمصر كان قنصل فرنسا بمصر هو مسيو ميمو ونائبه مسيو فرديناند دي لسبس وكان في ذلك الوقت سنة ١٨٣٣م جاء أصحاب سان سيمون الفرنسي الاشتراكي إلى مصر لإنشاء قناة السويس ولاقا حفاوة بالغة من مسيو دى لسبس وعرضا الفكرة على الخديوي إسماعيل.

الخديوي إسماعيل



صدر خلال عهد السلطان عبد العزيز ثلاثة فرمانات متعلقة بمصر

الأول: سنة ١٨٦٦م حصرت خلالها وراثة البلاد بأكبر أولاد إسماعيل باشا.

الثاني: في ٧ يوليو ١٨٦٧م منح السلطان العثماني حاكم مصر لقب "خديوي" المشتق من اللغة الفارسية بمعنى "أمير" إلا أنه لم يستعمل في الدولة العثمانية إلا لحاكم مصر كدلالة على رفعة موقعه.

الثالث: صدر فرمان شامل في ١٠ يونيو ١٨٧٣م، نظم مختلف نواحي الامتيازات، فأعاد التأكيد أن أكبر أولاد خديوي مصر هو من يرث العرش، فإن لم يوجد فأكبر إخوته الذكور ثم أكبر أولاد إخوته، ليعاد حصر المنصب من جديد بأكبر أولاد الخديوي الجديد.



فكر **المصريون القدماء** في ربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر، وكان السبب الرئيس لهذا التفكير هو موقع مصر المتوسط بين قارات العالم القديم. ولكن كان التنفيذ الأول يربط النيل بالبحر الأحمر وقام به الملك سيتي الأول سنة ١٣١٠ ق.م، وأعيد بناؤها من سنوسرت الثالث، وفي عهد الملكة حتشبسوت.

قناة سيتي الأول سنة ١٣١٠ ق.م

قناة نخاو سنة ٦١٠ ق.م

قناة دارا الأول سنة ٥١٠ ق.م

قناة بطليموس سنة ٢٨٥ ق.م

وقناة الإسكندر الأكبر (٣٣٥ ق.م)

قناة الرومان (تراجان) سنة ١١٧ ق.م

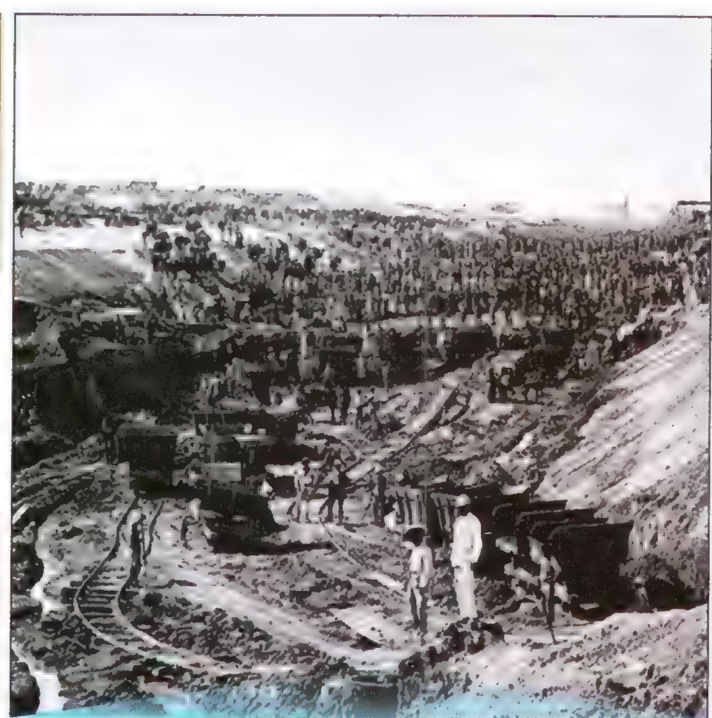
قناة أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** (رضي الله عنه) سنة ٦٤٠م.

دلتا النيل: تكونت في شمالي مصر (الوجه البحري) حيث خرج النيل عن مساره على هيئة فرعين إلى البحر المتوسط. فرع دمياط في الشرق وينتهي بمدينة دمياط. وفرع رشيد في الغرب وينتهي عند مدينة رشيد. وهي واحدة من أكبر الدلتا في العالم - تمتد من بورسعيد في الشرق حتى الإسكندرية في الغرب. وتتميز الدلتا بالأراضي الزراعية الخصبة الصالحة للزراعة في أي وقت.

بعد أن تولى **محمد سعيد باشا** حكم مصر في ١٤ يوليو ١٨٥٤م تمكن **مسيو دي لسبس** - الذي كان مقربًا من سعيد باشا - من الحصول **على فرمان عقد امتياز قناة السويس الأول** وكان مكونًا من ١٢ بندًا كان من أهمها **حفر قناة تصل بين البحرين**، ومدة الامتياز ٩٩ عامًا من تاريخ فتح القناة، واعترضت إنجلترا بشدة على هذا المشروع خوفًا على مصالحها في الهند.

في ٢٥ أبريل ١٨٥٩م أقيم حفل بسيط ببورسعيد للبدء بحفر قناة السويس وضرب مسيو دى لسبس بيده أول معول في الأرض إيذانًا ببدء الحفر وكان معه ١٠٠ عامل حضروا من **دمياط** ولم يتمكن العمال بعدها من استكمال حفرهم بسبب **معارضة إنجلترا والسلطان العثماني (الباب العالي)** لذلك، واستكمل الحفر في ٣٠ نوفمبر ١٨٥٩م، وذلك بعد تدخل الإمبراطورة أوجيني لدى السلطان العثماني ووصل عدد العمال المصريين إلى ٣٣٠ عامل والاجانب ٨٠ عامل، وتم الاستغناء عن فكرة الاستعانة بعمال أجانب لعدة أسباب من ضمنها ارتفاع أجورهم واختلاف المناخ، واختلاف عاداتهم عن العمال المصريين.

دعا **الخديوى إسماعيل** أباطرة وملوك العالم وقريناتهم لحضور حفل الافتتاح، الذي تم في ١٦ نوفمبر ١٨٦٩م، وقد كان حفلًا أسطوريًا.



قناة السويس أثناء الحفر حوالي سنة ١٨٦٤م قبل افتتاحها سنة ١٨٦٩م



في حفل افتتاح القناة أقيمت ٣ منصات خضراء مكسوة بالحرير خصصت الكبرى للملوك والأمراء، والثانية إلى اليمين للعلماء المسلمين، والثالثة إلى اليسار وخصصت لرجال الدين المسيحي، وجلس بالمنصة الكبرى الخديوي إسماعيل ومسيو دي لسبس والإمبراطورة أوجيني إمبراطورة فرنسا وفرنسوا جوزيف إمبراطور النمسا وملك المجر وولي عهد بروسيا والأمير هنري شقيق ملك هولندا وسفيرا إنجلترا وروسيا بالآستانة، والأمير عبد القادر الجزائري، وقد بلغ عدد المدعوين من ذوى الحيثيات الرفيعة زهاء ستة آلاف مدعوًا.





قناة السويس: هي ممر مائي صناعي بطول ١٩٣ كم بين بورسعيد على البحر الأبيض المتوسط والسويس على البحر الأحمر. وتقسم القناة إلى قسمين، شمال وجنوب البحيرات المرة. تسمح القناة بعبور السفن القادمة من دول المتوسط وأوروبا وأمريكا الوصول إلى آسيا دون سلوك الطريق الطويل - طريق رأس الرجاء الصالح. استغرق حفر قناة السويس ١٠ سنوات (١٨٥٩ - ١٨٦٩م).

الماسونية (البناؤون الأحرار)[1]

الماسونية أو البناؤون الأحرار (Freemasons): هي أقدم جمعية سرية في العالم وأعمقها تأثيرًا في مجرى أحداث التاريخ. ولقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ نشأتها، فمنهم من قال بإنها لا ترجع إلى ما وراء القرن الثامن عشر الميلادي، ومنهم من ردها إلى عهد بناء هيكل سليمان. والمؤرخون الذين قالوا: إنها لا ترجع إلى ما وراء القرن الثامن عشر أكدّوا بأن الماسونية تكونت مع بداية القرن الثامن عشر من مجموعة من كبار المفكرين والعلماء الذين كفروا بتعاليم المسيحية، فجاءت حركتهم كردة فعل على سلطان الكنيسة الواسع آنذاك. فلقد كانوا يجاهرون بحرية الإنسان التامة واستقلاله من كل سلطة عليا (كسلطة الكنيسة). وكانوا يبغضون كل البغض الشرائع وكل النظم للهيئة الاجتماعية وعلى الأخص القوانين الكنسية.

لقد حافظت الحركة الماسونية على سريتها منذ إنشائها؛ فكانت تحرص على ألا تكشف سرها إلا للذين اختبرتهم زمناً طويلاً. وكانت تعمل بالخفاء جاهدة، مستغلة بعض الفلاسفة الملحدين أمثال فلتير وروسو ودلمار وفريدريك ملك بروسيا، الذين وجدت فيهم أنصارًا تكاتفوا في هدم أركان الدين وتخريب الممالك والعروش. وهكذا استمرت بعملها المنظم موجهة أغلب اهتمامها لإضعاف سلطة الكنيسة حتى تمكنت من ضرب وحدتها سنة ١٧١٧م وظهور البروتستنتين. عندئذ أعاد الماسون تنظيم حركتهم وغيروا فيها لتناسب الجو البروتستانتي، الذى قرروا أن يؤيدوه ضد الكاثوليكية، تكملة لمخططهم الذي وضعوه لضرب المسيحيين. فأسسوا في ذلك العام محفل بريطانيا الأعظم، وأطلقوا على أنفسهم البنائين الأحرار بعد أن كانوا فيما سبق يحملون اسم (القوة المستورة).

وجعلوا من أهداف الماسونية الجديدة أو شعارها: الحرية، الإخاء، المساواة.. ومن بريطانيا، انتشرت الماسونية، فتأسس بإشراف محفل بريطانيا الأعظم.

الماسونيون العرب

دخلت الماسونية العالم الإسلامي قبل دخول الاستعمار البريطاني العسكري، من خلال الجهود الذي بذلها الإفرنج وأعوانهم من السياسيين ومن أبرزهم: حاكم مصر محمد علي باشا، ثم أبناؤه من بعده، ومن أبرزهم خديوي إسماعيل، ومن العاملين على نشرها شاهين مكاريوس أحد أصحاب مجلة المقطم وصاحب أمتياز مجلة اللطائف التي أنشئت عام ١٨٨٦م لتكون أعلى أبواق الدعاية للماسونية والإلحاد في مصر. وعملت الماسونية على تمييع فعل الدين في النفوس، وقتل آثاره في نفوس أتباعه، يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "فلم يكن لها من ثمرة إلا إعداد النفوس لفصل السياسة والحكومة من الدين، والاستغناء عن الشرع بالقوانين، والمؤاخاة بين المسلمين وغيرهم، وموالاتهم لهم"[1].

مجلة المنار ١٥/٣٣.

١- مازن عبد الله، حركات سرية هدامة (الماسونية) مجلة البيان، العدد ٣٣، ص ٤٤.

معاني رموز الشعار الماسوني:

- الهرم: يرمز إلى المؤامرة الهادفة إلى تحطيم الكنيسة الكاثوليكية (كممثلة للمسيحية العالمية) وإقامة حكم ديكتاتوري تتولاه حكومة عالمية على نمط الأمم المتحدة.

العين: التي في أعلى الهرم ترسل الإشعاعات في جميع الجهات: ترمز إلى وكالة تجسس وإرهاب أسسها وايزهاوبت على نمط الغستابو تحت شعار الأخوة لحراسة أسرار المنظمة وإجبار الأعضاء على الخضوع لقوانينها.

- الكلمتان المحفورتان في أعلى الشعار (Annuit Coeptis) تعنيان: مهمتنا قد تكللت بالنجاح.

- الكلمات المحفورة في أعلى الشعار (Novus Ordo Seclorum) معناها: النظام الجديد.

وأخيرًا تجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الشعار لم يتبن من قبل الماسونية إلا بعد دمج أنظمتها بالأنظمة النورانية إبان مؤتمر فلمسباد سنة ١٧٨٢م.



ملاحظة: هذا الشعار هو الذي تبناه وايزهاوبت عندما أسس منظمة في أيار ١٧٧٦م وهو نفسه الذي يظهر على أحد وجهي الدولار الأمريكي. والتاريخ الذي تعنيه الأرقام المحفورة على قاعدته بالحرف الروماني (MOCCLXXVI) تعني ١٧٧٦م تاريخ إعلان إنشاء المنظمة وليس تاريخ إعلان وثيقة الاستقلال الأمريكي.

جاء في قرار المؤتمر الماسوني المنعقد سنة ١٩٠٠م في باريس: أن غاية المؤتمر الماسوني تأسيس جمهوريات علمانية (تتخذ الوصولية والنفعية) أساسًا للاتحاد الماسوني.

نصت مضابط المحفل الماسوني الأكبر سنة ١٨٩٧م (ص ٥٤): لا يقبل المتدينون في المحافل الماسونية؛ لأن الذي ينخرط في المحافل يجب أن يكون حرًا والماسوني الحقيقي لا يكون متدينًا وعلى الماسونية أن تتفق مع كل أولئك الذين لا يدعون إلى الدين أمثال الإشتراكيين والديمقراطيين ودعاة حقوق الإنسان والجمعيات المتحررة، وعليها أن تشترك في المجالات الأخرى للعمل كالجامعات الشعبية والمدارس السياسية والمؤسسات الأخرى.

واليهودية العالمية تمد الجمعيات الماسونية برجال الفكر والدهاء والمكر ويلبسون لكل عصر لبوسه الملائم بل يلبسون لكل أمة وشعب وبلد لبوسها الملائم، بل يدخلون إلى كل رجل من مداخله وأذواقه الخاصة حتى يستطيعوا فتنته، وقد حصلت اعترافات كثيرة في أوقات متفرقة على أن الماسونية أوجدت لخدمة أهداف اليهود الشريرة وتسهيل عملية استيلائهم على عقول القادة وتحطيم نفوسهم وتحويلهم إلى عبيد يؤمنون بالماسونية ويكفرون بالله ويخونون أوطانهم ويبيعون أمتهم لصالح اليهود.

بتصرف عن كتاب الشيخ/ عبد الرحمن الدوسري، الماسونية، النسخة الرقمية.

في مساء الاثنين ٢٩ مايو ١٨٧٦م توجه سليمان باشا رئيس المدرسة الحربية في الآستانة ومعه رديف باشا إلى ثكنات الجيش في كموش صوي وطاش قشلة، كما توجه أحمد باشا إلى الأسطول العثماني، وأصدر سليمان باشا أمر احتلال طريق بشكطاش المؤدية والحدائق المحيطة بقصر دولمة بهجة، وفي الوقت نفسه أغلق الأسطول حركة القوارب في البحر قطعًا للمواصلات بين القصر والبحر، وبعد اشتباكات خفيفة مع مخافر الحرس السلطاني سلّم هؤلاء سلاحهم، وربما كان التهديد بقصف القصر من البحر عاملاً أساسيًا في ذلك. وعلى هذه الشاكلة غدا السلطان محاصرًا، ويذكر أن طلاب المدرسة الحربية الذين احتلوا الطريق إلى القصر وحدائقه لم يكونوا يعرفون ما يقومون بفعله إلى أن خطب فيهم سليمان باشا وبرر الفعل بتبذير السلطان وإطلاقه يد روسيا في شؤون الدولة.

وعند الساعة الثالثة من فجر الثلاثاء، دخل سليمان باشا ومعه ثلة من الضباط إلى قصر جراغان حيث كان يقيم الأمير مراد ليخبروه بارتقائه العرش، ونقلوه إلى مبنى وزارة الحربية حيث كان الوزراء في انتظار "الخليفة الجديد"، وبعد وصوله وأمام الوزراء وكبار الضباط ونقيب الأشراف وشريف مكة قرأ شيخ الإسلام فتوى خلع السلطان، وبعد أن تمت قراءة الفتوى أطلقت المدفعية ئة طلقة وطلقة معروفة باسم "مدافع الجلوس" وسار المنادون في شوارع الآستانة يخبرون بحادثتي الخلع والارتقاء، وقيل: إن سكان الآستانة قد ابتهجوا بهذا الانقلاب، ولم يأسف أحد على خلع السلطان لا في الداخل ولا في الخارج عدا قيصر روسيا وسفيره في الآستانة، وعمومًا فإن القول مبالغ فيه، إذ كان للسلطان أنصاره في الدولة.

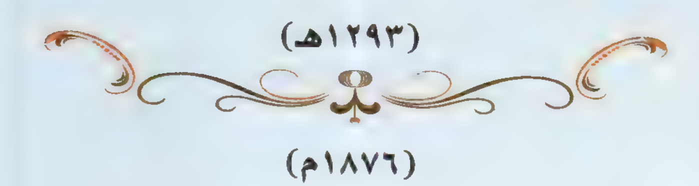


الرواية الأولى: لموت السلطان عبد العزيز: يقول الكونت دي كيراتيري في كتابه "تاريخ السلطان مراد الخامس" أن السلطان قد منع من التجول خارج القصر الذي أحيط بثلاث صفوف من الجند، ولم يستطع النوم طوال الليلة الرابعة من بعد خلعه، فتلاشت قواه مع الفجر فأخذ يطيل التأمل والتفكير مع إطلاق شتائم بحق حسين عوني باشا، ثم غرق في النوم ولدى استيقاظه بدت علائم الارتياح على وجهه، وقد طلب قراءة الصحف التركية ثم طلب مقصًا ومرآة ليشذب لحيته كما كانت عادته، ثم طلب من الخدم ووالدته مغادرة الغرفة. وبحسب الرواية الأولى فإن السلطان إذ ذاك قطع بالمقص عروق يده اليمنى فنزف الدم لمدة لا تقل عن عشرين دقيقة قبل أن يخرّ السلطان على الأرض، فأحدث انقلاب جسمه صوتًا سمعه من كان في الطابق السفلي، وعندما قدم الخدم وأمناء القصر شاهدوا السلطان يتخبط ولم يكن قد لفظ أنفاسه بعد، ولكن وقبل وصول الأطباء كان قد مات. ترأس حسين عوني باشا التحقيق، وعاونه تسعة عشر طبيبًا بينهم أطباء السلطان وأطباء السفراء والقناصل، وبعد ساعتين من التحقيق أصدروا بيانًا جاء فيه أن سبب الموت هو الانتحار.

الرواية الثانية: تقول: إن حسين عوني باشا ورديف باشا تخوفا من عودة السلطان المخلوع، فأرسلا أربع رجال إلى القصر، وهو نائم فثبتوه في مكانه، ثم قام أحدهم بأخذ مقص كان بالقرب منه وقطع عروق السلطان، ثم اتهم مدحت باشا خلال عهد عبد الحميد الثاني بذلك، وأمر السلطان بقتله فقتل في الطائف سنة ١٨٨٣م. على أن حسين عوني باشا ومحمد رشدي باشا قد لقيا مصرعهما في ١٦ يونيو على يد أحد مرافقي الأمير يوسف عز الدين ابن السلطان المخلوع، بسبب تداول اسميهما في صحف الآستانة على أنهما متورطان في قتله، وقد دفن قرب والده السلطان محمود الثاني.



(١٢٩٣هـ)



(١٨٧٦م)



والده: السلطان عبد المجيد

والدته: شوكت زاده قادن أفندي

ولادته: سنة ١٢٥٥هـ/١٨٤٠م

وفاته: سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م

مدة حكمه: من ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م

كان **مراد الخامس** متعلمًا، مهذبًا، ميالًا للإصلاح، محبًا للمساواة، كما أنه كان **ماسونيًا** مرتبطًا بالمحفل الإيطالي، وكان يتقن اللغة الفرنسية مما مكنه من الاطلاع على مبادئ ثورة ١٧٨٩م والتعلق بها، كما كان متأثرًا بصديقه الشاعر **نامق كمال**، وكان هو نفسه يكتب الشعر، هذا وقد كان ميالًا للخمر ولحياة اللهو والمجون[١].

كان السلطان على جانب كبير من الذكاء والثقافة التركية والغربية، كما أبدى اهتمامًا بالأدب والعلوم والشؤون الأوروبية، وزار أوروبا والتقى ببعض الأوروبيين، **وانخرط في سلك الماسونية**، وكان على اتصال **بنامق كامل** أحد أعضاء الحركة وغيره، وكان ميالاً إلى الدستور والليبرالية والعلمانية. وكانت الحركة الماسونية هي التي دفعت به إلى السلطنة، ولكنه أصيب باضطراب عقلي بعد أن أصابته الدهشة والفزع عند إيقاظه بعد منتصف الليل عند خلع السلطان عبدالعزيز، ولمّا بلغه مقتل حسن الجركسي ظهرت عليه اضطرابات عصبية أثّرت على جهازه الهضمي. وكانت صحته في تدهور مستمر في الوقت الذي كان **مدحت باشا** يحاول إعلان الدستور الوضعي بدلاً من الشرع في أثناء مرضه ويدرس القوانين والنظم الغربية ويتصل بأعوانه حتى استطاع إعداده بشكل جاهز، وقد قيل: إنَّ جنون السلطان ظهر للناس بشكل واضح فكان لابد من خلعه وأعلن ذلك من قبل شيخ الإسلام سنة ١٨٧٦م، وكان نص الفتوى: " إذا جنَّ إمام المسلمين جنونًا مطبقًا ففات المقصود من الإمامة فهل يصح حل الإمامة من عهدته؟ الجواب: يصح والله أعلم: كتبه الفقير حسن خير الله عفي عنه "[٢].

وبعد عزله تعافى من مرضه العقلي، وأمضى باقي حياته في قصر "جراغان" حتى توفي عن عمر يناهز الرابعة والستين، لقد أثَّر الشباب من أعضاء **جمعية الاتحاد والترقي** على مراد الخامس، فانتسب إلى المحفل الماسوني، وأدمن شرب الخمر وتشبع بالأفكار العلمانية[٣].

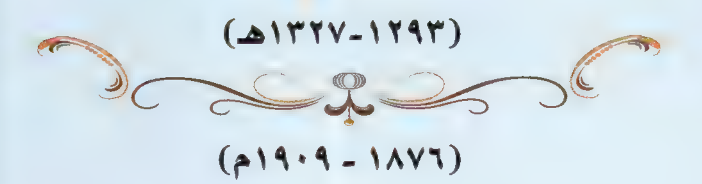
---

١ - د. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون، تعريب محمد جان، ص ٨٣.

٢ - ٣. د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ٤٢٢ - ٤٢٣.



(١٢٩٣-١٣٢٧هـ)



(١٨٧٦ - ١٩٠٩م)



والده: السلطان عبد المجيد

والدته: تيري مور كان قادن أفندي

ولادته: سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤٢م

وفاته: سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٨م

مدة حكمه: من ١٢٩٣ - ١٣٢٧هـ/١٨٧٦ - ١٩٠٩م

كان السلطان **عبد الحميد الثاني** متوسط القامة، قمحي البشرة، أسود الشعر، معقوف الأنف، ذا عينين خضراوين واسعتين ونافذتين. وكان صوته عميقًا ورخيمًا، وكان يتحدث بأناة وهدوء، وكان وقورًا، قوي الشخصية مهيبًا، مسيطرًا على أحاسيسه فلا تنعكس انفعالاته ومشاعره على ملامح وجهه. وقد وصفه السفير الأمريكي كوكاس بما يلي: (هو متوسط القامة له سمة تركية أصيلة، شعره أسود ولحيته سوداء، حركته وتصرفاته رقيقة جدًا بل وحتى خجولة، وتعبر جبهته الواسعة عن مقدرته الشخصية، وهو أكثر الحكام الموجودين في العالم عملاً وجدًا واهتمامًا واستقامة ويقظة وأنظفهم وجدانًا، يتعامل بصدق ويعدل مع الجميع. وتقول عنه ابنته عائشة إنه: (كان صبورًا، ذا أخلاق عالية، متدينًا، وكان يؤدي الصلوات الخمس، وفي شبابه سلك مذهب الشاذلية، وكان كثير التردد على الجوامع وكان يكره الإسراف). ولعل أهم صفة في خلقه هي الرحمة برغم ما أشاع عنه أعداؤه من **الأرمن والاتحاديين** من أنه (السلطان السفاح) و (السلطان الأحمر)، فقد كان كثيرًا ما يعفو عن المحكوم عليها بالإعدام، وأتقن السلطان عبد الحميد لغات عدة إذ درس التركية على أستاذه عمر أفندي، والفارسية على أستاذه محمود أفندي، والعربية والعلوم الإسلامية على يد فريد أفندي، والفرنسية على أدهم باشا وكمال باشا، وكان مولعًا بقراءة التاريخ كما كان يكتب الشعر[(١)] .

أبناؤه:

محمد، سليم، عبد القادر، أحمد نوري، محمد برهان الدين، عبد الرحيم، أحمد نور الدين، محمد عابد، أحمد.

بناته:

علوية سلطان، زكية سلطان، ناعمة سلطان، نائلة ، عائشة سلطان، رفيعة سلطان، شادية سلطان.

١- عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون، تعريب محمد جان، ص ٨٤.



خريطة مواقع الدول الاستعمارية الأوروبية (روسيا، النمسا - المجر، فرنسا، إنجلترا، إيطاليا)، التي تريد اقتسام أراضي الدولة العثمانية

(١) لقد عاصر السلطان **عبد الحميد الثاني** الزحف الاستعماري الأوروبي في أشد مراحله على ما تبقَّى من أقاليم لم يكن قد وصل إليها الاستعمار في آسيا وإفريقيا؛ فاتفقت الدول الاستعمارية الأوروبية **روسيا، النمسا - المجر، فرنسا، إنجلترا، إيطاليا**، على الإجهاز على الدولة العثمانية التي أسموها "**تركة الرجل المريض**"، ومن ثم تقاسم أجزائها، هذا بالإضافة إلى تمرد **البوسنة والهرسك**، الذين هزموا الجيش العثماني وحاصروه في الجبل الأسود، وإعلان **الصرب** الحرب على الدولة بقوات منظمة وخطرة، وانفجار الحرب الروسية المدمرة التي قامت سنة ١٢٩٤هـ/ سنة ١٨٧٧م، وضغط دول الغرب المسيحي على الدولة لإعلان الدستور وتحقيق الإصلاحات في البلاد، بالإضافة إلى قيام الثورات في **بلغاريا** بتحريض ومساعدة من روسيا والنمسا.



الاضطرابات والثورات في البلقان في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني والتصدي لها

- قامت **ثورة البلغار** في الوقت نفسه الذي قام فيه **نصارى البوسنة والهرسك** بثورتهم **بدعم من النمسا والدول الأوروبية وخاصة روسيا**، فقد تأسست جمعيات في **بلاد البلغار لنشر النفوذ الروسي بين النصارى الأرثوذكس والصقالبة**، وكانت تدعمها **روسيا** وتمدها بالسلاح، وتبذل هذه الجمعيات بدورها جهدها لإثارة سكان الصرب والبوسنة والهرسك، وتحرضهم على الثورة ضد العثمانيين. وعندما أنزلت الدولة العثمانية بعض الأسر الشركسية احتج **البلغار** على ذلك، فقاموا بثورة وساعدتهم **روسيا والنمسا** بالسلاح والأموال؛ **فتمكنت الدولة العثمانية من القضاء على الثورة**، فأخذت الدول الأوروبية تثير الشائعات عن المجازر التي ارتكبها العثمانيون ضد النصارى والعكس هو الصحيح **وبهذه الشائعات أثير الرأي العام الأوروبي ضد الدولة العثمانية**، وطالبت الحكومات الأوروبية باتخاذ إجراءات صارمة ضد العثمانيين، ومنها حصول البلغار على استقلال ذاتي، وتعيين حاكم نصراني لهم. د. علي الصلّابي، الدولة العثمانية، ص٤٣٣ - ٤٣٤.



خريطة تركيا الأوروبية، التغييرات ١٨٥٦-١٨٧٨م من أطلس آداب وتاريخ أوروبا، من برثولاوس، ١٩١٢م

الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧-١٨٧٨م

أدرك **السلطان "عبد الحميد"** رغبة الدول الأوربية في التدخل في الشؤون الداخلية للدولة، فأراد قطع الطريق عليهم، وأدخل عددًا من الإصلاحات الداخلية؛ فأصدر قرارًا بفصل القضاء عن السلطة التنفيذية، وتعيين القضاة بالانتخاب عن طريق الأهالي، والمساواة في الضرائب بين المسلمين والنصارى.

غير أن هذه الإصلاحات لم ترق **للصرب** وغيرهم؛ فعادوا إلى الثورة من جديد، ولكن في ظل مساعدات خارجية من بعض الدول الأوربية، مثل **النمسا** التي كانت ترغب في ضم منطقة **"البوسنة والهرسك"** إليها، كما قامت **ست دول أوربية كبرى بسحب سفرائها من أستنبول** ووقعت **"بروتوكول لندن"** في (١٧ ربيع الأول ١٢٩٤ هـ/٣١ مارس ١٨٧٧م) الذي يعرض تأمين حدود الدولة العثمانية مقابل قيامها بإجراء بعض الإصلاحات في الممتلكات العثمانية في البلقان لصالح الرعايا المسيحيين.

لكن **الدولة العثمانية** رفضت مطالب هذا البرتوكول، وقامت بعقد صلح منفرد مع **الصرب**، سحبت على إثره جيوشها من بلاد الصرب، واشترطت أن يرفع العلم العثماني بجوار العلم الصربي؛ كدليل على استمرار السيادة العثمانية.

وكان القيصر الروسي "ألكسندر الثاني" قد أبلغ العثمانيين أنه لا يريد الحرب؛ وأن ما يطلبه هو إعطاء منطقة معينة إلى **البلغار**، وبهذا فقط يمكن إرضاء الوطنيين السلاف الموجودين في روسيا الذين يريدون الحرب. يقول المؤرخ التركي "يلماز أوزتونا": "صار رفض الباب العالي لهذا الاقتراح الأخير فاجعة في التاريخ العثماني"، فنشبت الحرب الروسية- العثمانية، المعروفة **بـ"حرب ٩٣"** التي بدأت في (١١ ربيع الآخر ١٢٩٤ هـ/ ٢٤ إبريل ١٨٧٧م)، وكانت أكبر حرب عالمية جرت في تلك الحقبة.

وقد حاربت الدولة العثمانية في هذه الحرب كلًا من روسيا، ورومانيا التي أمدت الروس بمئة ألف مقاتل؛ رغم العداء المعروف بين الجانبين، **وحقق الروس انتصارات في البلقان** برغم الدفاع البطولي الذي أبداه العثمانيون، وفتحت هذه الانتصارات شهية الروس لمحاولة القضاء على الدولة العثمانية؛ فتحركت القوات الروسية صوب العاصمة "أستنبول"، ووقفت على بعد خمسين كيلومترًا منها، ووقعت معارك بين الروس والعثمانيين في آسيا، واستطاع الروس الوصول إلى الأناضول. وأمام تلك الهزائم الكبيرة والمتلاحقة اضطر العثمانيون لتوقيع معاهدة **"سان استيفانو"** التي وقعها عن الجانب العثماني "صفوت باشا" **وهو يبكي**، واحتوت شروطًا مجحفة بالدولة العثمانية.



مرتسم (كاريكاتيري) من مجلة اللكمة البريطانية يعود لتاريخ ١٧ يونيو سنة ١٨٧٦م، يصوّر الإمبراطورية الروسية بهيئة رجل على وشك أن تطلق "كلاب الحرب" البلقانية على الدولة العثمانية، بينما بريطانيا، ممثلة بهيئة شرطي، تحذرها من مغبة عملها.

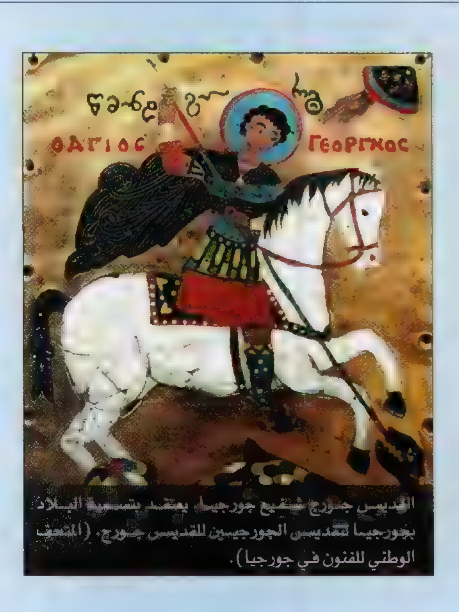


رأت **بريطانيا** أن الخطر المنبعث من **أرمينيا** هو الذي يجب الاحتراس منه، ويجب أن يقابل اقتراح **روسيا** الحصول على **باطوم وأردهان وقارص**، باحتلال جزيرة أو موقع على شاطئ آسيا الصغرى يوازي وجود روسيا في أرمينيا، بالإضافة إلى جزيرة قبرص مفتاح غربي آسيا، وهي ملائمة كنقطة للوثوب إلى الديار المصرية.

روسيا
جمهورية جورجيا
جمهورية جورجيا
البحر الأسود
باطوم
تبليسي
أرمينيا
أذربيجان
الجمهورية التركية
٢٥ ٥٠ كم

حدود جمهورية جورجيا بعد استقلالها

حصلت **الإمارات الجورجية الغربية** منغريليا وغوريا على الحماية الروسية في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي. وبعد حرب قصيرة خضعت مملكة ايميريتي والحقت من قبل القيصر الروسي الكسندر الأول سنة ١٨١٠. نتيجة للحروب العديدة التي خاضتها روسيا ضد الدولة العثمانية وإيران بين عامي ١٨٠٣-١٨٧٨م، تم ضم العديد من المناطق لأراضي جورجيا. هذه المناطق (باطوم «باتومي»، أخالتسيخه، بوتي، أبخازيا) تمثل الآن جزءًا كبيرًا من أراضي جورجيا. ألغيت إمارة غوريا في سنة ١٨٢٨م، وتلك في ساميغريلو (منغريليا) في ١٨٥٧م. ضمت منطقة سفانيتي تدريجياً في ١٨٥٧-١٨٥٩م.



القديس جورج شفيع جورجيا. يعتقد بتسمية البلاد بجورجيا لتقديس الجورجيين للقديس جورج. (المتحف الوطني للفنون في جورجيا).

معاهدة سان ستيفانو (٢٩ صفر ١٢٩٥هـ= ٣ مارس ١٨٧٨م)

استمرت "حرب ٩٣" حوالي تسعة أشهر خسرت الدولة العثمانية غالبية أراضيها في أوروبا، ولم يتبق لها إلا القليل من الممتلكات، وأمام هذه المأساة اضطر **السلطان "عبد الحميد"** أن يطلب من ملكة بريطانيا "فيكتوريا" التوسط لعقد هدنة، إلا أن الروس رفضوا في البداية وصمموا على استمرار القتال، فقرر العثمانيون الدفاع المستميت عن أستنبول، ومن ناحية ثانية تكتلت الدول الأوربية ضد روسيا التي بدت أطماعها في الوصول إلى المياه الدافئة تتحقق في هذه الحرب. وألقى الأسطول الإنجليزي بمراسيه في مياه أستنبول، وكانت هذه الرسالة التحذيرية من بريطانيا عاملًا مهمًا في دفع الروس للتفكير في الهدنة ووقف الحرب.

أرادت **روسيا المنتصرة** أن تملي شروطها على الدولة العثمانية المغلوبة في معاهدة **"سان استيفانو"** (وهي ضاحية من ضواحي أستنبول على الضفة الأوروبية من بحر مرمرة)، وتكونت هذه المعاهدة التي لم يُعمل بأي نص من نصوصها، من ٢٩ مادة، حيث إن هذه المعاهدة المجحفة تم تعديلها بعد ٤ أشهر و١١ يومًا بمعاهدة أخرى هي **معاهدة برلين** التي محت كثيرًا مما جاء في "سان استيفانو"[(١)].

تعيين حدود للجبل الأسود لإنهاء الصراع، مع حصولها على الاستقلال.

حصول إمارة الصرب على استقلالها، مع إضافة بعض الأراضي الجديدة إليها.

حصول بلغاريا على استقلال ذاتي إداري، مع دفع بلغاريا مبلغا من المال سنويًا للدولة العثمانية، ويكون موظفو الدولة في بلغاريا والجند من النصارى فقط، ويخلي العثمانيون جنودهم منها نهائيًا.

حصول رومانيا على استقلالها التام.

يتعهد الباب العالي بحماية الأرمن والنصارى من الأكراد والشركس.

يقوم الباب العالي بإصلاح أوضاع النصارى في جزيرة كريت.

تدفع الدولة العثمانية غرامة حربية قدرها ٢٥٠ مليون ليرة ذهبية لروسيا، ويمكن لروسيا أن تتسلم أراضي بدلًا من هذه الغرامة.

تبقى مضايق البوسفور والدردنيل مفتوحة لروسيا وقت السلم والحرب.

يمكن لمسلمي بلغاريا أن يهاجروا حيث يريدون في الدولة العثمانية.

وقد حال السلطان **"عبد الحميد"** دون إعطاء روسيا ستة بوارج بحرية من أحدث سفن الأسطول العثماني كجزء من الغرامات لروسيا.

١-د. علي الصلاّبي، الدولة العثمانية، ص ٤٣٨-٤٣٩.



حدود الدولة العثمانية في البلقان بعد معاهدة سان ستيفانو (٢٩ صفر ١٢٩٥هـ/٣ مارس ١٨٧٨م)

أدرك **السلطان "عبد الحميد"** بدهائه السياسي حجم وطبيعة التناقض في المصالح بين الدول الغربية، وسعى من خلال هذا التناقض إلى العمل على **هدم معاهدة "سان استيفانو"**؛ اعتمادًا على اللجوء إلى أقل الضررين، وبنى موقفه السياسي وتحركه على أن **بريطانيا** هي أقرب الدول إليه في هذه المرحلة؛ ولذا سعى لتنسيق أموره معها؛ **ومن ثم أعطى بريطانيا لواء قبرص**، مقابل دعمها له، وكانت **قبرص** مهمة لبريطانيا في تدعيم وجودها في غربي ووسط البحر المتوسط.

وانعقد **مؤتمر في برلين** برئاسة المستشار الألماني "بسمارك" في **(١٣ رجب ١٢٩٥ هـ/١٣ يوليو ١٨٧٨م)** حضرته الدول الأوربية الكبرى، **ولم يعط المؤتمر روسيا إلا النزر اليسير مما نصت عليه معاهدة "سان استيفانو"**، ويُعد مؤتمر برلين من آخر الاتفاقيات التي عدّلت الحدود الجغرافية السياسية لأوروبا في القرن التاسع عشر الميلادي، وأطال عمر الدولة العثمانية ٣٥ عامًا؛ بدلًا من "سان استيفانو" التي كانت تسعى لوضع نهاية سريعة للخلافة العثمانية.

واستمر **مؤتمر برلين ٣١ يومًا** عقدت خلاله ٢٠ جلسة، واحتوى على ٦٤ مادة، أجبرت الدولة العثمانية على إجراء إصلاحات في الأناضول الشرقية **لصالح الأرمن**، وفي عدد من المناطق في البلقان، غير أن السلطان **"عبد الحميد"** كان يجيد الحبكة السياسية على التناقضات والمصالح المتضادة بين الدول الكبرى وفي منطقة البلقان.

كانت **معاهدة برلين** هي المرحلة الثانية بعد **"معاهدة كارلوفيتس"** ١٦٩٩م، في تصفية الدولة العثمانية.





جامع لالا مصطفى باشا (قبرص)

شهد حوض البحر الأبيض المتوسط، بموجب ترتيبات **مؤتمر برلين**، تعديلاً جوهريًا نتيجة ضربة دزرائيلي المتعلقة بقبرص. ففي مقابل حماية غير أكيدة للأملاك العثمانية الآسيوية **اقتنصت بريطانيا قبرص، وحتى ترضي فرنسا لفتت نظرها إلى تونس**، فعندما أكدت روسيا عزمها على الاحتفاظ بقارص وأردهان وباطوم في شرقي البحر الأسود، كشف دزرائيلي النقاب عن اتفاقية قبرص، وأصدر الأوامر إلى الأسطول البريطاني بالتوجه إلى هذه الجزيرة. **وباحتلالها لقبرص، تكون بريطانيا قد حقّقت توسعًا استعماريًا على حساب الدولة العثمانية**، وسيطرت على البحر الأبيض المتوسط، وستتخذ من هذه الجزيرة في المستقبل نقطة **للوثوب إلى مصر** لتكون النتيجة النهائية **تأمينها طريق الهند**، وهو الهدف الاستراتيجي الذي سعت إليه منذ التوسع الاستعماري.

وقرر **المؤتمرون** أن تتنازل الدولة العثمانية لروسيا عن أراضي **أردهان وقارص وباطوم**، على أن يكون الميناء الأخير حرًا. وهكذا امتد النفوذ الروسي إلى آسيا، واتسع بعد إخضاع الروس لبلاد القوقاز كلها، وأضحت حدود روسيا متاخمة لحدود أرمينيا العثمانية، وأصبح باستطاعة الروس الهبوط إلى آسيا الصغرى وإلى شمالي الشام والعراق.



الاحتلال النمساوي-المجري (هنغاريا) للبوسنة والهرسك سنة ١٨٧٨-١٩١٨م

قررت القوى العظمى في أوروبا خلال اجتماعها في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨م أن تصبح البوسنة والهرسك تحت احتلال وإدارة الإمبراطورية (النمساوية - المجرية) على الرغم من أنها ما زالت نظريًا تحت سيادة وسلطان العثمانيين. ولقد بدأت عملية الاحتلال النمساوي للبوسنة، وتمت خلال ثلاثة أشهر، ولقد كانت هناك مقاومة شرسة وهجمات ثوار متكررة، ولكن لم تزد خسائر النمساويين عن ٩٤٦ قتيلًا و٣،٩٨٠ جريحًا.

بعد أربعة قرون من العيش **للبوسنة والهرسك**؛ كولاية عثمانية تطبق فيها الشريعة الإسلامية والفرمانات والتنظيمات السلطانية، انتقلت لتعيش مرحلة مختلفة مع الاحتلال النمساوي المجري الصليبي، بعد أن تخلى **العثمانيون** مجبرين عنهم في **معاهدة برلين** السيئة الذكر، وقد ظلت مقاطعتا البوسنة والهرسك تحت الاحتلال لمدة ٤٠ عامًا.

المصدر (مجلة العربي الكويتية) العدد ٥٦٣ - السبت ١ أكتوبر ٢٠٠٥ = ١٤٢٦/٨/٢٧هـ.

Germans
Magyars
Rumanians
Croats and Servians
Ruthenians
Czechs
Slovaks
Poles
Slovenes
Italians
Slavs

GERMAN EMPIRE
RUSSIA
BOHEMIA
MORAVIA
GALICIA
BUKOWINA
UPPER AUSTRIA
LOWER AUSTRIA
SALZBURG
STYRIA
TYROL
CARINTHIA
CARNIOLA
HUNGARY
TRANSYLVANIA
CROATIA-SLAVONIA
BOSNIA
HERZEGOVINA
DALMATIA
SERVIA
BULGARIA
RUMANIA
MONTENEGRO
ITALY
SWITZERLAND
ADRIATIC SEA

خريطة لـ "توزيع الأجناس في النمسا والمجر" أيام احتلالهما للبوسنة والهرسك من الأطلس التاريخي لأوروبا للكارتوجرافي ويليام ر. شيفرد ١٩١١م



سبيل ماء أعلاه نقش إسلامي عثماني



أحد المساجد المنتشرة في (سراييفو) العاصمة البوسنية، بني على النمط التركي العثماني



خريطة حديثة للبوسنة والهرسك بعد استقلالها من يوغسلافيا

تُعد **البوسنة** موطنًا لثلاث "عرقيات أساسية": البوشناق وهم أكبر المجموعات العرقية الثلاث، يليها الصرب ثم الكروات. بغض النظر عن العرقية فإن مواطني تلك الجمهورية يسمون باسم البوسنيين. والفارق ما بين البوسنيين والهرسكيين هو فارق جغرافي وليس فارقًا عرقيًا. ثم إن البلد ليست له مركزية سياسية، فهو يضم كيانين يحكمانه، هما: اتحاد البوسنة والهرسك والجمهورية الصربية، بالإضافة إلى مقاطعة بريتشكو بوصفها كيان ثالث.



خريطة أوروبا الشرقية حيث تم وضع الدوائر المرقمة على كل من النمسا والمجر والبوسنة والهرسك

الاحتلال الفرنسي لتونس ٢٤ جمادى الأولى ١٢٩٨ هـ / ٢٤ نيسان ١٨٨١ م[(١)]

ظلت الاتفاقية التي عقدتها **بريطانيا مع الدولة العثمانية** طي الكتمان، ولم يعلم بها سوى المستشار الألماني بسمارك والكونت أندراسي، إلاّ أنّهما لم يعترضا عليها لأنها تتوافق مع مصالح بلادهما من جهة، ولتعهد سالزبوري بالوقوف إلى جانبيهما في مؤتمر السلام من جهة أخرى، ولم ينتشر خبر المعاهدة إلا في (٧ رجب/٧ تموز) عندما أشرفت أعمال المؤتمر على الانتهاء.

وثارت ثائرة **فرنسا** عندما علمت بخبر هذه الاتفاقية، لكن سالزبوري وبسمارك كانا مستعدين لاسترضائها، وتقديم عرض مقابل لها وهو **احتلال تونس**. كان هدف سالزبوري عدم إثارة شكوكها ومخاوفها في بريطانيا حتى لا تنضم إلى المعسكر الروسي، أما بسمارك فقد أراد أن تتلهى فرنسا بتونس، كي لا تُوجه نشاطها السياسي والعسكري خارج القارة الأوروبية، ولا تفكر في استعادة الألزاس واللورين من جهة، وإبعادها عن إيطاليا، ثم خلق التنافس بينهما لأنه كان يعلم أن هذه الأخيرة تتطلع أيضًا إلى تونس، من جهة أخرى.

وكانت **فرنسا تتطلع دائمًا إلى تونس** لضمها إلى الممتلكات الفرنسية في إفريقيا، أو لفرض الحماية الفرنسية عليها تمهيدًا لهذا الضمّ، كما أن وجود دولة إسلامية مستقلة في غربي الجزائر، وهي **مراكَش**، ونيابة إسلامية في شرقها، وهي تونس، أثار قلق ومخاوف العسكريين الفرنسيين والمستوطنين في الجزائر، لذلك **كان هؤلاء متحمسين لقيام فرنسا بغزو تونس.**

وهكذا جعلت **اتفاقية قبرص** من تونس موضوعًا للمناقشة بحجة المحافظة على التوازن الدولي في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط.

آثار مؤتمر برلين تتحقق

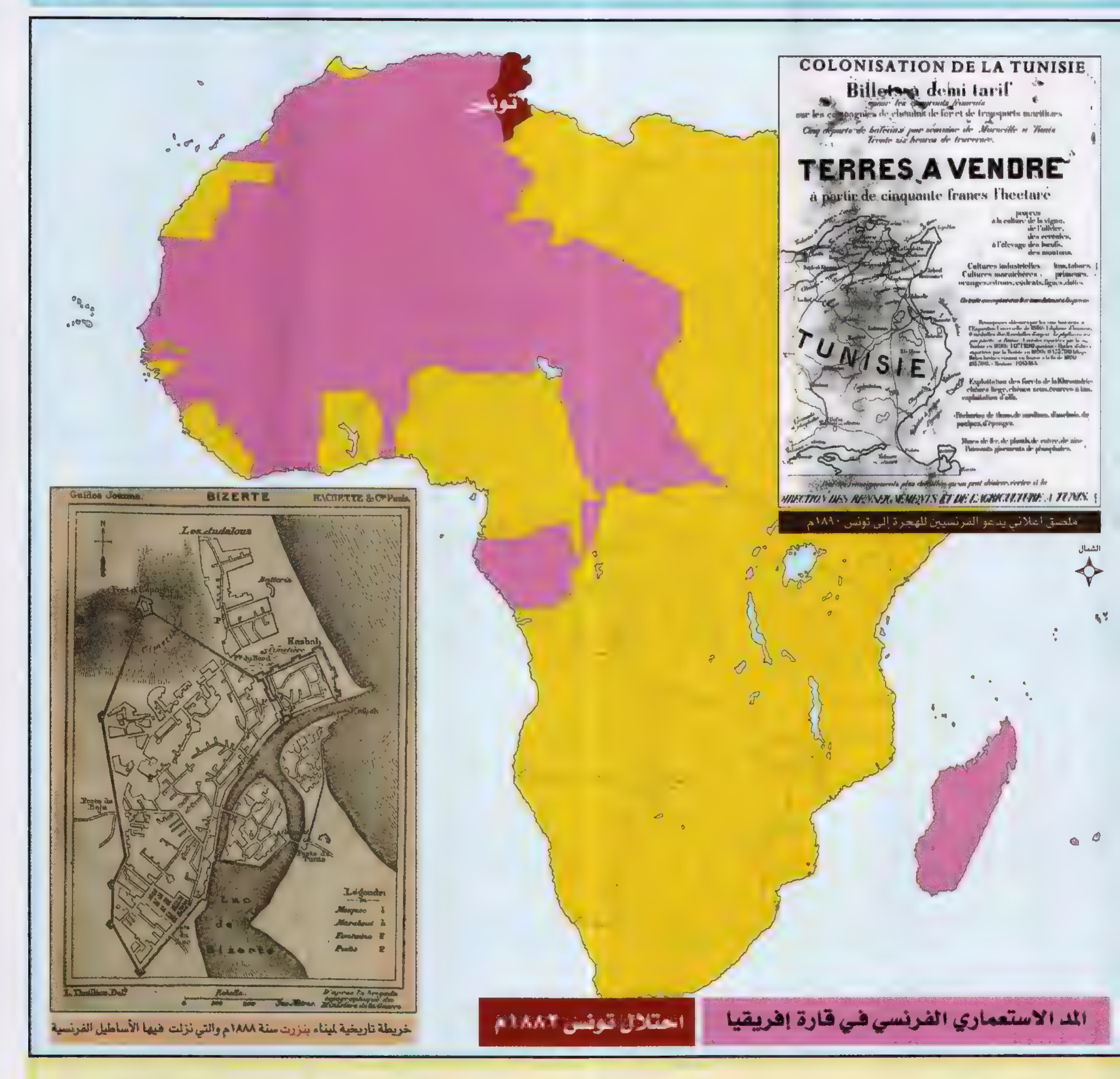
أراد المستشار الألماني بسمارك تسوية المشكلات الأوروبية على دائرة المفاوضات في مؤتمر **برلين السابق** الذكر على حساب الرجل المريض وفي المؤتمر.

١- اقتنصت **بريطانيا قبرص** من **الدولة العثمانية** مقابل الدفاع عنها.

٢- غضبت **فرنسا** فوافقتها بريطانيا على الانفراد **بتونس** مقابل سكوت فرنسا لموضوع قبرص.

٣- خرجت **إيطاليا** صفر اليدين بالنسبة لتونس فانضمت للحلف المعادي لفرنسا مع **ألمانيا والنمسا والمجر** ١٨٨٢م وردت عليها فرنسا بالتحالف مع روسيا ١٨٩٣م.

١- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٤٤٨-٤٤٩.



ملصق إعلاني يدعو الفرنسيين للهجرة إلى تونس ١٨٩٠م

خريطة تاريخية لميناء بنزرت سنة ١٨٨٨م والتي نزلت فيها الأساطيل الفرنسية

المد الاستعماري الفرنسي في قارة إفريقيا

احتلال تونس ١٨٨٢م

بـدأت **فرنسـا** فـي تأسـيس مسـتعمرات فـي أمريـكا الشـمالية والكاريبـي والهنـد، مقتفيـةً نجاحات الإمبراطوريتين الأسـبانية و الإمبراطورية البرتغالية في أثناء عصر الاستكشافات، في تنافس مع بريطانيا للسـيادة. وقد أدت سلسـلة من الحروب مع بريطانيا في القرن الثامن عشـر ومطلع التاسع عشر الميلاديين، التـي خسـرتها فرنسـا، إلى انتهـاء طموحاتها الاسـتعمارية في تلك القـارات، ومعها انتهت ما سـماه بعض المؤرخين الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية "الأولى".

وفي القرن التاسـع عشر الميلادي، أسست فرنسـا **إمبراطورية جديدة في إفريقيا وجنوب شرقي آسيا**، التي ظلت متماسكة بالرغم من غزو فرنسا من قِبل ألمانيا النازية في أثناء الحرب العالمية الثانية.

ودارت المباحثات بين الدولتين **البريطانية والفرنسية** على مرحلتين، تمَّت المرحلة الأولى في أثناء انعقاد **مؤتمر برلين، في حين تمَّت الثانية في لندن بعد انتهاء المؤتمر وعودة الوفد البريطاني**، واتفق الطرفان على خطة اقتسام مناطق النفوذ في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط.

وسرعان **ما غضَّت فرنسا الطرف عن احتلال بريطانيا لقبرص**، وقبلت العرض البريطاني **باحتلال تونس** بوصفها ولاية عثمانية لا تستطيع الدولة العثمانية الدفاع عنها، كما تشجعت بالتأييد الألماني لها، وهدأت ثائرة الرأي العام الفرنسي.

وما أيسر من إيجاد المبررات لتنفيذ عملية الغزو، وقد توصل جيل فري، رئيس الوزراء الفرنسي، إلى **ثلاثة أنواع من المبررات:**

الأول: يتعلق بحوادث الحدود، وتتمثل في تحركات قبائل الكرومير التي تسكن شمال غربي تونس.

الثاني: يتعلق بالأوضاع الدولية، وتتمثل في ازدياد النفوذ الإيطالي في تونس.

الثالث: يتعلق بتقرب التونسيين من **حركة الجامعة الإسلامية** التي كان يتزعمها السلطان عبد الحميد الثاني.

وحرص **الفرنسيون** على إعطاء الحملة الطابع التأديبي.

وفي (٢٤ جمادى الأولى ١٢٩٨هـ / ٢٤ نيسان ١٨٨١م) **اجتازت القوات الفرنسية حدود تونس**، في حين نزلت قوات أخرى في **ميناء بنزرت**، في الأول من (جمادى الآخرة / أيار)، ووصلت في الحادي عشر منه إلى **قصر الباي محمد الصادق**، المعروف بقصر البارود، وقدَّمت إليه فرنسا نص المعاهدة التي نظمها جيل فري لتنظيم العلاقات بين تونس وفرنسا التي وصفت الاحتلال بأنه مؤقت.

احتجت **الدولة العثمانية** على ذلك، لأن تونس هي جزء من أملاكها، وأن الاعتداء عليها يُعدُّ اعتداء على الدولة، وأرسلت مذكرة بهذا المعنى إلى فرنسا وإلى الدول الأوروبية لكن لم يؤخذ باحتجاجها.

وثبَّتت **فرنسا** أقدامها في البلاد، ومنذ سنة (١٣٠٠ هـ/١٨٨٣م) استخدمت لفظة الحماية لتحديد علاقتها بتونس، وأضحى الباي لا يملك إلا سلطة وهمية.

عرض قائد الجيش الفرنسي الجنرال "بريار" والقنصل روسطان على **محمد الصادق باي** نص معاهدة باردو التي فرضت بمقتضاها الحماية على تونس.


صقلية
نزول الأسطول الفرنسي
البحر الأبيض المتوسط
الشمال
بنزرت
منزل بورقيبه
رأس الطيب
طبرقة
خليج تونس
أريانة
تونس
بن عروس
بنتيلاريا (إيطاليا)
باجة
جندوبي
زغوان
نابل
الكاف
سيليانة
خليج الحمامات
سوسة
المنستير
المكنين
القيروان
تالا
المهدية
جزر تابعة لإيطاليا
الجم
القصرين
سيدي بوزيد
الجزائر
صفاقس
قرقنة
محرس
قفصة
الصخيرة
البحر الأبيض المتوسط
خليج قابس
شط الغراسة
شط الفجاج
نفطة
توزر
الخامة
قابس
حومة السوق
ج. جربة
قبلي
شط الجريد
مطماطة
جرجيس
مدنين
سبخة المياه
تطاوين
تونس
رمادة
ليبيا
الذهيبات
البورمة
برج الخضرة
تونـــــس
العاصمة
عاصمة المحافظة
مدينة مهمة
الحدود الدولية
حدود المحافظات
الطريق الرئيس
سكة حديد
المحافظات لها نفس الاسم مثل عواصمها
الخريطة
١٠٠
٢٠٠
٣٠٠كم

الاحتلال البريطاني لمصر ١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م[1]

لم يكن **ضياع تونس** من الدولة العثمانية هو النتيجة الوحيدة لاتفاق بريطانيا وفرنسا وبروسيا (ألمانيا)، في أثناء انعقاد **مؤتمر برلين** وبعده، وقد أكَّدت كل من بريطانيا وفرنسا، في المحادثات التي جرت بينهما، تساوي نفوذهما في مصر دون اعتبار لسلطة الخديوي إسماعيل. ولما حاول هذا الخديوي التصدي لهذه المؤامرة **ثارت الدولتان عليه وطلبتا من السلطان عبد الحميد الثاني خلعه**، وفعلاً أصدر السلطان عبد الحميد الثاني إرادة سَنيَة **خلع فيها إسماعيل وعيّن ابنه توفيق خديويًا لمصر**، وذلك في ٦ رجب ١٢٩٦ هـ/٢٦ حزيران ١٨٧٩م.

كان هذا التصرف **إحدى أخطاء السلطان عبد الحميد الثاني**، وقد كشف عن ضعف خطأه أمام الدول الأوروبية، كما اتسمت سياسته، تجاه المسألة المصرية، بالاضطراب وقصر النظر والتخبط والتردد، **مما سهَّل لبريطانيا تحقيق هدفها الرئيس والأمثل في نظرها وهو انفرادها باحتلال مصر في نهاية المطاف.**

وفقدت الحكومة المصرية هيبتها نهائيًا، إذ لم يكن توفيق إلا مجرد دُمية، **وأصبح لبريطانيا وفرنسا من الناحية العلمية سيطرة مشتركة وحق خلع وتولية حكام مصر**. وعمدت بريطانيا بدءًا من سنة (١٢٩٧هـ/١٨٨٠م)، إلى زيادة تدخلها في الشؤون الداخلية لمصر، بحجة إعادة تنظيم ماليتها التي أشرفت يومئذ على الإفلاس، ولجأت إلى بسط حماية مقنَّعة، مارست في ظلالها سلطات واسعة لا حد لها، **وقد أدى استسلام توفيق إلى نمو الشعور القومي وغليانه واندلاع الثورة العرابية.**

ثم ظفرت بريطانيا وباقي أجزاء إمبراطوريتها، وغدا الاحتفاظ بنفوذها في مصر ركنًا رئيسًا في سياستها الخارجية، واحتلت مصر في سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م، **بعد أن قضت منفردة على ثورة أحمد عرابي بعد إحجام فرنسا**، مدعية بأنها فعلت ذلك باسم الخديوي توفيق ونيابة عنه وتأييدًا لسلطته.

وهكذا أصيبت **الخلافة العثمانية** بضربتين قاسيتين نتيجة **فقدانها ولايتين عربيتين في إفريقيا، (تونس ومصر) وقبل ذلك الجزائر**، ولم يبقَ لها في شمالي هذه القارة سوى ولايتي **برقة وطرابلس.**

١-د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٤٤٩-٤٥٠.

الثورة العرابية سنة ١٨٨١م

ظهرت بوادر ثورة أحمد عرابي في فبراير ١٨٨١م أثر سجنه مع عبد العال حلمي، وعلي فهمي وقد قام الجيش بها أولًا لتنفيذ مطالبه، وهي عزل وزير الحربية عثمان رفقي؛ الذي ظلم الضباط المصريين. ونتج عنها:

١- موافقة الخديوي توفيق وهو مرغم على عزل عثمان رفقي وتعيين محمود سامي البارودي بدلًا منه.

٢-ارتفاع شأن أحمد عرابي كزعيم وطني يمكن الاعتماد عليه في تحقيق طلبات الشعب في الحرية والتحرر من النفوذ الأجنبي. ففي ٩ سبتمبر ١٨٨١م **اندلعت الثورة العرابية**. وهذه المرَّة لم تكن في نطاق عسكري فقط بل شملت أيضًا المدنيين من جميع فئات الشعب نظرًا لسوء الأحوال الاقتصادية؛ إضافة إلى التدخل الأجنبي في شؤون مصر، ومعاملة رياض باشا القاسية للمصريين، **وتنامي ظاهرة نمو الوعي الوطني:**

شارك الشعب المصري بكامل طوائفه مع الجيش بقيادة أحمد عرابي الذي أعلن مطالب الشعب للخديوي توفيق، وكانت:

١.زيادة عدد الجيش إلى ١٨٠٠٠ جندي.

٢.تشكيل مجلس شورى النواب على النسق الأوروبي.

٣.عزل وزارة رياض باشا.

فردَّ الخديوي قائلًا: كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي وأجدادي، وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا!؟

إلا أن أحمد عرابي رد عليه بجرأته المعروفة قائلًا: لقد خلقنا الله أحرارًا ولم يخلقنا تراثًا أو عِقارًا فوالله الذي لا إله إلا هو؛ لن نورث ولن نستعبد بعد اليوم..!؟

ولد أحمد عرابي في ٣١ مارس ١٨٤١م في قرية هرية رزنة بمحافظة الشرقية. وعندما شب عن الطوق، أرسله والده الذي كان عمدة القرية إلى التعليم الديني ثم التحق بالمدرسة الحربية.

ارتقى أحمد عرابي سلم الرتب العسكرية بسرعة حيث أصبح نقيبًا في سن العشرين. قاد الثورة العرابية ضد الخديوي توفيق. ووصل إلى منصب ناظر الجهادية (وزارة الدفاع حاليًا). نُفي إلى سرنديب.



أمام هذا الإصرار القوي استجاب الخديوي لمطالب الأمة، وعزل رياض باشا من رئاسة الوزارة، وعهد إلى شريف باشا بتشكيل الوزارة، وكان رجلًا كريمًا مشهودًا له بالوطنية والاستقامة، فألَّف وزارته في (١٩ شوال ١٢٩٨ هـ/ ١٤ سبتمبر ١٨٨١م)، وكان محمود سامي البارودي وزيرًا للحربية بها، وسعى لوضع دستور للبلاد، ونجح في الانتهاء منه وعرضه على مجلس النواب الذي أقر معظم مواده، ثم عصف بهذا الجهد تدخل إنجلترا وفرنسا في شؤون البلاد بإرسال المذكرة المشتركة الأولى في ٧ يناير ١٨٨٢م، التي أعلنتا فيها مساندتهم للخديوي، وتأزمت الأمور، وتقدم "شريف باشا" باستقالته في (٢ من ربيع الآخر ١٢٩٩ هـ / ٢ فبراير ١٨٨٢م) بسبب قبول الخديوي تلك المذكرة.

وتشكلت حكومة جديدة برئاسة **محمود سامي البارودي**، وشغل عرابي فيها منصب وزير الحربية، وقوبلت وزارة البارودي بالارتياح والقبول من مختلف الدوائر العسكرية والمدنية؛ لأنها كانت تحقيقًا لرغبة الأمة، ومعقد الآمال، وكانت عند حسن الظن، فأعلنت الدستور، وصدر المرسوم الخديوي به في (١٨ ربيع الأول ١٢٩٩هـ/٧ فبراير ١٨٨٢م). وسميت هذه الوزارة باسم وزارة الثورة لأنها حققت رضا الشعب والجيش كليهما.

خلال هذه المرحلة: ظهرت شخصيتان، **الأولى**: السلطان العثمانى **عبد الحميد الثاني** الذي أخذ يتصل بأحمد عرابي سرًا ويشجعه على الوقوف بوجه التدخل الأوروبي وبوجه الخديوي. **الثانية** : شخصية **الخديوي توفيق** الذي **يعد أسوأ ملوك أسرة محمد علي باشا** على مدى تاريخها الطويل. كان توفيق يكره عرابي كرهًا شديدًا، ومع ذلك كان دائمًا ما يتظاهر بتأييد عرابي؛ بينما يتصل سرًا **ببريطانيا وفرنسا** ليؤلبهما عليه.

أخذ الخديوي توفيق المبالغة في تصوير الموقف للأوروبيين بأنه شديد الخطورة على مصالحهم، حيث إن عرابي حسب وصفه كان وطنيًا متطرفًا يكره كل ما هو أجنبي، ويهدف إلى طرد كل الأجانب من مصر، تحمست بريطانيا بالذات لفكرة التدخل العسكري في مصر لقلقها من ناحية فرنسا، التي كانت **قد استولت لتوها على تونس**. كذلك **شعرت بريطانيا** أن طريق مواصلاتها إلى الهند الذي يمر عبر **قناة السويس** قد بات مهددًا، وأنه أصبح يتعين عليها سرعة التحرك قبل أن تتجه فرنسا شرقًا أو حتى روسيا جنوبًا، التي كانت تنتظر بترقب انحدار **الدولة العثمانية**، وتحلم بالتوسع جنوبًا للتحكم في مضايق البحر الأسود.

بداية اتفقت بريطانيا وفرنسا على التحرك سويًا بالرغم من توجس كل منهما من الأخرى

اعتبار أنه من الناحية القانونية كانت مصر ما تزال جزءًا من الدولة العثمانية المحتضرة. سرعان ما عدلت القوتان الاستعماريتان عن تلك الفكرة، لعدم ثقتهما في السلطان **عبد الحميد الثاني**، ولرغبتهما في الاحتفاظ بزمام المبادرة. تم إرسال أسطول **بريطاني فرنسي** مشترك إلى الإسكندرية على سبيل الإنذار للحكومة المصرية، إلا أن هذا الإنذار جاء بنتيجة عكسيه تمامًا، حيث إنه أدى إلى ازدياد شعبية عرابي في مصر والتفاف الناس من حوله من كل الطبقات. استمر كل من السلطان عبد الحميد الثاني والخديوي توفيق في سياستهما المعتادة في اللعب مع كل الأطراف.

لم يكد يحضر **الأسطولان الإنجليزي والفرنسي** إلى مياه الإسكندرية حتى أخذت الدولتان تخاطبان الحكومة المصرية بلغة التهديد والبلاغات الرسمية، ثم تقدم قنصلا الدولتين إلى البارودي بمذكرة مشتركة في ٧ رجب ١٢٩٩ هـ/٢٥ مايو ١٨٨٢م، يطلبان فيها استقالة الوزارة، وإبعاد عرابي وزير الجهادية عن القطر المصري مؤقتًا مع احتفاظه برتبه ومرتباته، وإقامة "علي باشا فهمي" و"عبد العال باشا حلمي" -وهما من زملاء عرابي وكبار قادة الجيش- في الريف مع احتفاظهما برتبتيهما ومرتبيهما.

كان رد وزارة البارودي رفض هذه المذكرة بوصفها تدخلًا مهينًا في شؤون البلاد الداخلية، وطلبت من الخديوي توفيق التضامن معها في الرفض؛ إلا أنه أعلن قبوله لمطالب الدولتين، وإزاء هذا الموقف قدم البارودي استقالته من الوزارة، فقبلها الخديوي.

غير أن عرابي بقي في منصبه بعد أن أعلنت حامية الإسكندرية أنها لا تقبل بغير عرابي ناظرًا للجهادية، فاضطر الخديوي إلى إبقائه في منصبه، وتكليفه بحفظ الأمن في البلاد، بيد أن الأمور في البلاد ازدادت سوءًا بعد حدوث مذبحة الإسكندرية في ٢٤ رجب ١٢٩٩ هـ/١١ يونيو ١٨٨٢م، وكان سببها قيام مكاري (مرافق لحمار نقل) من مالطة من رعايا بريطانيا بقتل أحد المصريين، فشب نزاع وسرعان ما تطورت تلك المشاجرة البسيطة إلى أحداث عنف ضد الأوربيين المقيمين في الإسكندرية وقتل فيها حوالي الخمسين أوربيًا وأصيب خلالها أيضًا أحد ضباط الأسطول البريطاني.

تطورت الأحداث بسرعة في صيف سنة ١٨٨٢م ومع ظهور الأسطول البريطاني الفرنسي المشترك في مياه الإسكندرية ازدادت سخونة الأحداث. وجدت إنجلترا وفرنسا في أحداث الإسكندرية فرصة سانحة للتدخل، واتهمتا "عرابي" في التسبب في حدوث هذه الأحداث، حيث

وصفتاه المسؤول عن تحريض المصريين ضد الأجانب، -ومن الغريب بمكان- أن ذريعة البريطانيين لغزو مصر كانت الإرهاب. تزعمت بريطانيا جهود القضاء على عرابي بينما تراجع الدور الفرنسي (المنافس التقليدي للدور البريطاني) إلى الاكتفاء بالمشاهدة وسحبت فرنسا أسطولها إلى بورسعيد. انتظرت بريطانيا أي فرصة لبدء العدوان على مصر حيث أنها لم تكن مرتاحة لفكرة التدخل العثماني لحل الأزمة. في السابع من يوليو وجدت بريطانيا الذريعة التي كانت في انتظارها. كانت الحكومة المصرية قد نصبت بعض المدافع على قلعة الإسكندرية فاعتبرت بريطانيا أن هذا عملٌ عدائيٌ ضد حكومة صاحبة الجلالة. في ٢٤ شعبان ١٢٩٩ هـ/ ١٠ يوليو ١٨٨٢ م، وجه قائد الأسطول البريطاني، إنذارًا للحكومة المصرية: إما تسليم القلعة للأسطول البريطاني وإلا سوف تضرب الإسكندرية من البحر. مارس الخديوي توفيق لعبته المعتادة حين قابل "عرابي"، وشجعه على مقاومة المعتدين، بينما كان قد اتصل سرًا بقائد الأسطول البريطاني ودعاه إلى الهجوم على عرابي. لم يقبل "عرابي" الإنذار البريطاني وانتظر تنفيذ البريطانيين لتهديدهم. بدأ الإنجليز في ضرب الإسكندرية يوم ١٢ يوليو ١٨٨٢م ونزلت قواتهم إليها في اليوم اللاحق بعد أن قرر "عرابي" أن يسحب قواته منها، وأن يتحصن عند **كفر الدوار**.

حين سمع الخديوي توفيق بانسحاب "عرابي" أمام البريطانيين تشجع وظهر على حقيقته، حيث أعلن "عرابي" متمردًا في الرابع والعشرين من يوليو. وبدلاً من أن يقاوم الخديوي المحتلين، استقبل في قصر الرمل بالإسكندرية الأميرال بوشامب سيمور قائد الأسطول البريطاني، وانحاز إلى الإنجليز، وجعل نفسه وسلطته الحكومية رهن تصرفهم حتى قبل أن يحتلوا الإسكندرية. ففي أثناء القتال أرسل البريطانيون ثلة من جنودهم ذوي الجاكتات الزرقاء لحماية الخديوي في أثناء انتقاله من قصر الرمل إلى قصر التين عبر شوارع الإسكندرية المشتعلة. ثم أرسل الخديوي إلى "أحمد عرابي" في كفر الدوار يأمره بالكف عن الاستعدادات الحربية، ويحمّله تبعة ضرب الإسكندرية، ويأمره بالمثول لديه في قصر رأس التين؛ ليتلقى منه تعليماته. صارت المواجهة مكشوفه بين كل الأطراف منذ ذلك التاريخ.

قررت الحكومة البريطانية أن تكون المواجهة شاملة وأن تكون الحرب كاملة، فجلبت المزيد من قواتها إلى الحرب. تم تحريك ١٥،٠٠٠ جندي من **مالطة وقبرص** بالإضافة إلى ٥،٠٠٠ من **الهند** باتجاه مصر مما رفع تعداد قوة الهجوم على مصر إلى ٣٠،٠٠٠ جندي ووضعت تحت قيادة السير جارنيت ولسلي. الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط ترجمة عنان علي الشهاوي مراجعة وتقديم عاصم الدسوقي (القاهرة: المجلس الثقافة الأعلى، ٢٠٠١)



١ انتصار قوات أحمد عرابي في معركة **كفر الدوار** ضد البريطانيين، فأرسل عرابي إلى يعقوب سامي يدعوه إلى عقد اجتماع للجمعية العمومية للنظر في قرار عزله من قِبل الخديوي.

في (٦ رمضان ١٢٩٩هـ/٢٢ يوليو ١٨٨٢م) عُقِد اجتماع في وزارة الداخلية، حضره نحو خمس مئة من الأعضاء، يتقدمهم **شيخ الأزهر** وقاضي قضاة مصر ومُفتيها، ونقيب الأشراف، وبطريرك الأقباط، وحاخام اليهود والنواب والقضاة والمفتشون، ومديرو المديريات، وكبار الأعيان وكثير من العمد، فضلًا عن ثلاثة من أمراء الأسرة الحاكمة.

في الاجتماع أفتى ثلاثة من كبار شيوخ الأزهر، وهم "محمد عليش" و"حسن العدوي"، و"الخلفاوي" **بمروق الخديوي عن الدين**؛ لانحيازه إلى الجيش المحارب لبلاده، وبعد مداولة الرأي أصدرت الجمعية قرارها بعدم عزل عرابي عن منصبه، ووقف أوامر الخديوي ونظّاره وعدم تنفيذها؛ لخروجه عن الشرع الحنيف والقانون المنيف.

الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢م

٢ **معركة القصاصين** في ٢٨ أغسطس ١٨٨٢م في أثناء تقدم الجيش البريطاني غربًا في الإسماعيلية بقيادة الجنرال جراهام، حوصر من قبل الأهالي العزُل، فطلب الإمداد بمزيد من الذخيرة في الساعة ٤:٣٠ عصرًا فوصلته الساعة ٨:٤٥ مساءً مما مكنه من القيام بمذبحة كبيرة بين الأهالي. بعد أن جاء الجيش البريطاني من الإسماعيلية اشتبك مع الجيش المصري في معركة حامية عند **القصاصين**، وكاد ينتصر الجيش المصري لولا إصابة القائد راشد حسني.

٣ في ١٣ سبتمبر ١٨٨٢م / ٢٩ شوال ١٢٩٩هـ وعند الساعة ١:٣٠ صباحًا اندلعت الحرب بين الطرفين استغرقت أقل من ٣٠ دقيقة. حيث فاجأ البريطانيون المصريين في مواقعهم، في أثناء خلودهم للنوم وقت الهجوم. وألقي القبض على **أحمد عرابي** قبل أن يُكمل ارتداء حذائه العسكري.


إحدى البوارج الحربية البريطانية التي شاركت في الهجوم على مصر


جامع الفتح بالزقازيق، م. ص . منتديات الزقازيق

واصلت **القوات البريطانية** تقدمها السريع إلى **الزقازيق** حيث أعادت تجمعها ظهر ذلك اليوم، ثم انتقلت إلى القاهرة التي استسلمت حاميتها بالقلعة عصر اليوم. وكان ذلك بداية **الاحتلال البريطاني لمصر**.

احتجز أحمد عرابي في ثكنات العباسية مع نائبه طلبة باشا حتى انعقدت محاكمته في ٣ ديسمبر ١٨٨٢م التي قضت بإعدامه. تم تخفيف الحكم بعد ذلك مباشرة (بناءً على اتفاق مسبق بين سلطة الاحتلال البريطاني والقضاة المصريين) إلى النفي مدى الحياة إلى سرنديب (سيلان). انتقل السفير البريطاني لدى الباب العالي، لورد دوفرن، إلى القاهرة كأول مندوب سامي - حيث أشرف على محاكمة أحمد عرابي وعلى عدم إعدامه.


صورتان للقاهرة تعودان إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي




قبرص
لبنان
سوريا
البحر الأبيض المتوسط
فلسطين
الأردن
ليبيا
المملكة العربية السعودية
البحر الأحمر
السودان
السلوم
مطروح
الإسكندرية
دمنهور
كفر الشيخ
دمياط
المحلة الكبرى
طنطا
شبين الكوم
بنها
الزقازيق
بور سعيد
الإسماعيلية
العريش
شمال سيناء
القاهرة
شوبرا الخيمة
حلوان
السويس
منخفض القطارة
سيوة
الفيوم
الجيزة
بني سويف
جنوب سيناء
البويطي
رأس غارب
ألمنيا
شرم الشيخ
أسيوط
الغردقة
سفاجة
النيل
سوهاج
قنا
القصير
الأقصر
موط
الخارجة
باريس
الوادي
السد العالي
أسوان
رأس بناس
بئر شلاتين
مصر
الحدود الخارجية
الحدود الداخلية
العاصمة
المحافظة
مدن كبيرة
سكة حديدية
الطريق الرئيس
الخريطة
24°
28°
32°
36°



ضم الروملِي الشرقية إلى بلغاريا في (ذي الحجة ١٣٠٢هـ/أيلول ١٨٨٥م)

أجرى وزير **خارجية بلغاريا** ستامبولوف بمباحثات مع الباب العالي، بشأن هذه القضية، أسفرت عن توقيع اتفاق بين الجانبين أُبرم في **(١٨ جمادى الآخرة ١٣٠٣هـ/ ٢٤ آذار ١٨٨٦م)** وتقرر بموجبه أن:

١- يُعهد إلى الأمير إسكندر باتنبرج بحكومة **الروملِي الشرقية**، طالما بقيت السلطة في يد الحكام الحاليين.

٢ - يُعدَّل الدور المناط بالدولة العثمانية بحيث يحق للباب العالي أن يحكم البوماق.

٣ - تُشكَّل لجنة خاصة مهمتها إعادة النظر في القانون الأساسي للروملِي الشرقية، تمهيدًا لضمها إلى بلغاريا.

٤ - تعترف بلغاريا بالسيادة العثمانية عليها وعلى الروملِي الشرقية، ويؤدي الإقليمان جزية سنوية للسلطان العثماني.



مسجد بنيا باشي في صوفيا – بناه في سنة ١٥٧٦م المعماري العثماني "سنان" وهو المسجد الوحيد الباقي في صوفيا شاهدًا على سيطرة العثمانيين على العاصمة البلغارية لما يزيد عن ٥٠٠ سنة ثم حي المسلمين في بلغاريا.

الحرب العثمانية-اليونانية[1]

كان التوسع الإقليمي للكيانات السياسية في البلقان على حساب الدولة العثمانية، وتطلع بعضها إلى الانفصال النهائي عن الدولة، ظاهرة توضَّحت بشكل ملفت في أثناء انعقاد **مؤتمر برلين** وفي خلال السنوات التي أعقبته.

وقد أزعج الشعوب البلقانية أن المعاهدة التي انبثقت عن المؤتمر لم تُحقق كامل أمانيها القومية، فحين عرضت على هذا المؤتمر **قضية تدويل حدود بلاد اليونان لزيادة مساحتها**، أعلنت حكومتها بأنها تقنع، بصورة مؤقتة، **بأن تضمَ جزيرة كريت والولايات العثمانية المتاخمة لحدودها الشمالية**.

ويبدو أن المؤتمر وافق، من حيث المبدأ، على هذا الاقتراح اليوناني، ودعا إلى إجراء مفاوضات ثنائية بين الجانبين العثماني واليوناني لتعديل الحدود، مع احتفاظ الدول الكبرى الحق في التدخل للتوسط بين الجانبين في حال تعذر الاتفاق بينهما.

وبعد انتهاء أعمال المؤتمر، اجتمع مندوبو الدولتين في **بريفيزا** في ألبانيا، وفي صفر ١٢٩٦هـ/ شباط ١٨٧٩م، فتمسَّكت الدولة العثمانية بمصالحها الحيوية، **فرفضت التنازل عنها لليونان**، وذلك بفعل صعوبة الدفاع عن الحدود التي تطالب بها اليونان من جهة، ولأن الأقاليم التي تنوي اليونان ضمها إليها تسكنها أكثرية سكانية مسلمة من جهة أخرى، وأبدت الدولة استعدادها للتنازل عن ثلث خليج فولو، الواقع في بحر إيجة، وانتهت المباحثات بالفشل، عندئذ تدخلت الدول الأوروبية لتسوية مسألة الحدود بين الدولتين، وتعاونت بريطانيا وفرنسا لعقد **مؤتمر في برلين، في رجب ١٢٩٧هـ / حزيران ١٨٨٠م** تحضره الدول الكبرى، وقرر المؤتمر إعطاء اليونان جزءًا من **تساليا وأبيروس مع يانينا ومتزوفو ولاريسا**.

وافقت **الحكومة اليونانية** على قرارات المؤتمر برغم معارضة الشعب اليوناني، في حين رفضتها الحكومة العثمانية، لأن استيلاء اليونان على هذه المناطق يعطيها ميزة التفوق والاستعداد لتنفيذ اعتداءات على الأراضي العثمانية، بالإضافة إلى أن سكانها ذات أغلبية مسلمة.

١- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٤٥٣- ٤٥٥.


الإمبراطورية النمساوية المجرية
البغدان
١٨٧٨م
بساربيا
تابعة لروسيا ١٨٧٨م
غلاطي
إسماعيل
البوسنة
ميتروفيتشا
بلغراد
رومانيا
الأفلاق
بوخارست
والاشيا
كرايوفا
دوبرجة
هرسك
البحر الأسود
إيالة الصرب ١٨٧٨م
بلفنا
بلغاريا
فارنا
نيش
بورغاس
إيالة الجبل الأسود ١٨٧٨م
تابعة للصرب ١٨٧٨م
صوفيا
يمبولي
كتارو
عوسنجه
بريزرن
إدرنة
سكودر
سكوبي
أستنبول
الدولة العثمانية
تديغاش
دورس
مقدونيا
ثاثوس
غاليبولي
بورصة
ألبانيا
سالونيك
فالونا
مسار الجيش العثماني
لمنوس
لاريسا
إيبيروس
بحر إيجه
تساليا
ج . كورفو
لسبوس
تابعة لليونان ١٨٨١م
إزمير
خيوس
البحر الأيوني
اليونان
ساموس
أثينا
كورنثيا
نافارينو
رودوس
سريغو
تابعة لليونان ١٨٦٣م
بعد خسارة اليونان الحرب مع العثمانيين، نظمت الدول الأوروبية اتفاق سلام منحت بموجبه كريت حكمًا ذاتيًا في سنة ١٨٩٨م.
كريت
البحر الأبيض المتوسط
الأطماع اليونانية التوسعية في الأراضي العثمانية
٠
١٠٠
٢٠٠ كم

نتيجة للرفض العثماني، أعلنت اليونان التعبئة العامة، وراحت تستعد للحرب، وخشيت الدول الأوروبية من اندلاع حرب أخرى في البلقان، فتدخَّلت مجددًا للفصل بين الحكومتين، واقترحت الحكومة العثمانية عقد مؤتمر دولي في **أستنبول** لحل القضية، على أن تُستبعد اليونان من الاشتراك فيه.

وبعد مفاوضات مضنية، أمكن التوصل إلى اتفاق، في ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٩٨هـ/ ٢٤ أيار ١٨٨١م ، نصَّ على:

١ - ضم إقليم تساليا كله على اليونان، وجزء من إقليم أبيروس حتى نهر آرتا.

٢ - ضم قلعة بونتا ومنطقتها إلى اليونان.

٣ - هدم قلاع بريفيزا.

٤ - المحافظة على عقارات الأوقاف الإسلامية في الأقاليم التي ضُمت إلى اليونان، والحرية الدينية للمسلمين القاطنين فيها.

٥ - تتعهد الحكومة اليونانية بدفع جزء من الدين العثماني يتناسب مع إيرادات الأقاليم التي استولت عليها، بوصفها أراضٍ زراعية خصبة كانت تدر مداخيل مرتفعة للحكومة العثمانية.

ارتاحت معظم الدول السياسية في أوروبا بحل الأزمة العثمانية – اليونانية، الخاصة بتعديل الحدود الشمالية لليونان، لكن هذا الارتياح لم يستمر سوى بضعة أعوام، إذ أخذت اليونان تعمل على ضمِّ **كريت وأبيروس ومقدونيا** إليها لمواجهة **ضمِّ ولاية الروملِي الشرقية إلى بلغاريا**، كما راودت الحكومة اليونانية أحلام التوسع وإنشاء إمبراطورية يونانية – بيزنطية على حساب الدولة العثمانية تشمل مساحات واسعة من البلقان في أوروبا، بالإضافة إلى القسم الغربي من الأناضول في آسيا، والسيطرة على المضائق، والاستيلاء على أستنبول. واستقر رأي هذه الحكومة على أن الوسيلة الفضلى لتحقيق التوسع الإقليمي الجديد تقضي خوض غمار حرب ضد الدولة العثمانية، ما دفع هذه الأخيرة إلى إعلان الحرب على اليونان دفاعًا عن نفسها.

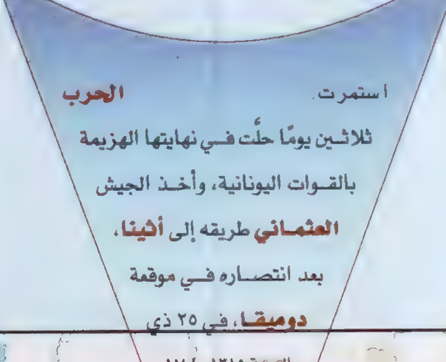
ابتدأت الحرب في سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٧م، وجرت حوادث عدة في جزيرة كريت قمعها العثمانيون

وقد امتدت **ألسنة النيران إلى الدولتين، فاجتازت القوات اليونانية الحدود العثمانية في شهر (ذي القعدة / نيسان).**

تولى السلطان **عبد الحميد الثاني** إدارة الحرب بنفسه، وخطَّط لتنفيذ ضربة سريعة وخاطفة تضع الدول الكبرى، التي لم تدعه ينفرد بحل هذه القضية، أمام الأمر الواقع، والجدير ذكره أن الدول الأوروبية الكبرى كانت على يقين من أن الجيش العثماني يستطيع إنزال هزائم ساحقة بالجيش اليوناني بعد الإصلاحات التي أدخلت عليه بفضل جهود البعثات الألمانية.

نتيجة للهزيمة التي حلَّت بالقوات اليونانية، استنجدت اليونان بالدول الأوروبية لإنقاذها **وحماية أثينا من العثمانيين**، فأرسل القيصر نيقولا الثالث برقية إلى السلطان يهنئه بالانتصار، ويستملحه ألاّ تتقدم القوات العثمانية في اليونان إلى أبعد من ذلك، وأيدته الدول الأوروبية، فاضطر السلطان، تحت هذا الضغط الأوروبي، إلى الاستجابة، **بشرط الحصول على إقليم تساليا**، وعلى تعويضات حرب، لكن معارضة سالزبوري لهذا الشرط حرم الدولة العثمانية من الحصول على هذا الإقليم، كما تكتلت الدول الأوروبية ضد دفع التعويضات.

وهكذا لم تُسفر هذه الحرب، التي أشعلتها اليونان، عن توسعات على الأرض لكلا الطرفين، إنَّما كان للانتصار العثماني تأثيره المعنوي الكبير في العالم الإسلامي.






شيدت أثينا حول التلال الصخرية للأكروبوليس مركز الحضارة الهيلينية

الأزمة الأرمنية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني [1]

لم يؤد الحكم العثماني إلى **صهر الأرمن** في المجتمع العثماني، بفعل تمسك هؤلاء **بالديانة النصرانية**، والحقيقة أن الثورة الأرمنية كانت **من نتائج مؤتمر برلين** غير المباشرة، بفعل أن الأرمن لم يظفروا من هذا المؤتمر إلا بوعدين من الباب العالي، هما إدخال الإصلاحات التي تستلزمها حالة إرمينيا، ومنحهم الأمن والاستقرار، وبتعهد من الدول الأوروبية بمراقبة تنفيذ الباب العالي لوعديه.

كان الإصلاح دائمًا نقطة البداية في الطريق المؤدية إلى إنهاء الحكم العثماني، أما الحكم الذاتي فكان هو المؤدي إلى الانفصال ثم الاستقلال عن الدولة العثمانية، وأهم مراحل ذلك الأسلوب المتبع هي الحصول على مساندة الدول الكبرى وكسب الرأي العام الأوروبي، وكان يتحقق ذلك بممارسة **الأساليب الارهابية** وسفك الدماء حتى ولو كان على حساب قتل الأهالي منهم ثم إلقاء التبعية على الطرف الآخر، وكانت الممارسة لا تتغيَّر في اللعبة هي القيام، عقب هجماتهم الوحشية **باستفزاز جيرانهم المسلمين ودفعهم للرد، ثم عرض القتال بين الطرفين على أوروبا على أنه مجازر تستهدف النصارى، وطلب تدخل الأوروبيين الفوري وضمان مساعداتهم.**

كانت النتيجة العملية لهذا الغموض الذي شكَّل صدمة عنيفة للأرمن، عصفت بآمالهم التي علَّقوها على هذا المؤتمر، أن قامت في أرمينيا العثمانية انتفاضات شعبية، وأنشأ الأرمن جمعيات إرهابية راحت ترتكب المذابح بين المسلمين والأرمن بهدف إثارة الرأي العام في أوروبا، فاضطرب حبل الأمن، وشوّهت صورة الدولة العثمانية في الخارج؛ لأن أنباء الأحداث كانت تصل بشكل مشوَّه ومعكوس، وزاد من عمق الصدمة أن شعوبًا، مثل البلغار والصرب، حصلت على استقلالها في المؤتمر المذكور، ما كان دافعًا للأرمن للمطالبة بالاستقلال أسوة بهم.

تطرق السلطان عبدالحميد الثاني في مذكراته إلى المشكلة الأرمنية فقال:

(لم تكن المشكلة الأرمنية مشكلة الأرمن أنفسهم، واستطيع القول، وأنا مرتاح القلب: إن الأرمن أفضل من يتبنُّون العثمانية وأفضل من يُمثلونها، لقد خدموا حضارتنا وعملوا على الحفاظ على دولتنا، وظهر فيهم عثمانيون ممتازون بخدماتهم وحسن صداقاتهم، ولم تكن للأرمن منّا شكوى قط).

كانت أرمينيا مقسمة سياسيًا بين ثلاث دول هي: إيران وروسيا والدولة العثمانية، فيما كان القسم التابع للدولة العثمانية مقسمًا بدوره إلى ست ولايات هي:

بدليس، أرضروم، معمورة العزيز، فان، جزء من ديار بكر، وسيواس.

١-د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٤٥٦-٤٦٣.



لكن الواقع أن العثمانيين عدُّوا **القضية الأرمينية** مسألة حياة أو موت، لأن الأرمن كانوا يطالبون بالقسم الشرقي من الأناضول، **ليقيموا عليه دولة أرمينية، والأناضول هو الموطن الأصلي للعثمانيين وقلب دولتهم، وأن أي انسحاب من هذا الإقليم، معناه سلخ قسم كبير من الوطن العثماني وضربة قاصمة تؤدي إلى ضياع الدولة**، بالإضافة إلى ذلك، إن هذه القضية تختلف اختلافًا كليًا عن قضايا الشعوب البلقانية، لأن الأرمن كانوا يقيمون في قلب الدولة العثمانية.

وتدخلت الدول الأوروبية في هذه القضية تبعًا لمصالحها، **فسلَّحت بريطانيا الأرمن البروتستانت**، وشجَّعتهم على القيام باعتداءات ضد الرعايا العثمانيين المسلمين، ووعدتهم بالمساعدة على تأسيس **مملكة أرمنية مستقلة**، وقد هدفت بريطانيا إلى :

١ - إيجاد بلبلة، وزعزعة الاستقرار، داخل الدولة العثمانية، لإجبار السلطان عبد الحميد الثاني على الخضوع لرغبتها.

٢ - صرف نظر السلطان وباقي الدول الأوروبية عن تدخلها في مصر.

٣ - السيطرة على منطقة آسيا الصغرى، للوقوف في وجه روسيا المتوثبة نحو الخليج العربي عبر العراق وبلاد الشام.

٤ - إضعاف كل من روسيا وفرنسا بإحداث خلاف بينهما ودفعهما للاصطدام، وذلك عن طريق تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية التي كانت تشكل بتماسكها توازنًا بين الدول الأوروبية.

وساندت **روسيا انتفاضة الأرمن في بادئ الأمر**، إذ راودتها فكرة استبدال مشروع بلغاريا، الذي تبدَّدت آمالها في إنشائه، بهذا المشروع، لإثارة المتاعب في وجه الدولة بهدف تفتيتها وإضعافها، واقتطاع ما يمكن اقتطاعه من ممتلكاتها، ويتمثل هذا المشروع الجديد في تشجيع الأرمن على المطالبة بالاستقلال أو تطبيق نظام الحكم الذاتي، إلا أن القيصر إسكندر الثالث أدرك بعد ذلك أن وسائله في إضعاف الدولة العثمانية بهذا الأسلوب كان يصحبها نشر مبادئ ثورية في بلاده يمكن أن تؤدي إلى قيام ثورات بين رعاياه الروس، ورأى، بعد التدخل البريطاني القوي في القضية الأرمنية، أن مصلحة بلاده تخالف المصلحة البريطانية الهادفة إلى إنشاء دولة أرمنية في آسيا الصغرى تسير في ركابها، وتتخذها مطية لتحقيق أهدافها، خشية قيام الأرمن الخاضعين لسيطرته، التنادي بالانضمام إليها، لذلك كفَّ عن تأييده للقضية الأرمنية.

وقفت **ألمانيا ضد سياسة بريطانيا وضد الثورة الأرمنية**، وساندت الدولة العثمانية، وقد أدى امتناع الإمبراطور الألماني ولهلم الثاني عن الانضمام إلى بريطانيا إلى عرقلة جهودها، وسرعان ما انتهت سياسة بريطانيا في آسيا الصغرى إلى لا شيء، وقد ثبت أن ذهاب المبعوثين البريطانيين إلى أرمينيا لترتيب الدفاع عنها وتحريض السكان على الثورة، أدّى إلى ازدياد تفاقم الوضع.

ولما رأى **الأرمن** أن الدول الكبرى، باستثناء بريطانيا، لم تُعِر قضيتهم اهتمامًا جديًا، صعدوا عملياتهم الإرهابية ضد المسلمين، ووسعوا نشاطهم إلى خارج الأراضي العثمانية، تأسَّست الأولى في جنيف سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م، وقد نقلت نشاطها إلى أثينا ثم إلى لندن، وتأسَّست الثانية في روسيا سنة ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م.

هدفت **الجمعيتان** إلى إنشاء حكومة وطنية مستقلة في أرمينيا، والحصول على الحرية السياسية، أما الوسائل فهي مهاجمة القرى الإسلامية وتدبير مذابح جماعية لفرض نظرية عدم إمكان عيش الأرمن جنبًا إلى جنب مع المسلمين، ولحمل الدول الأوروبية على التدخل لصالحهم.

استمرت **العمليات الإرهابية من جانب الأرمن** على مدى سنوات عديدة، ابتداء من سنة ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م، وتميزت أحيانًا بالشدة، وشكّلت خطرًا مؤكِّدًا على سلامة الدولة، كان أشهرها **مذبحة ساسون ضد الأكراد في ولاية بدليس**، في أوائل سنة ١٣١٢هـ/أواخر صيف ١٨٩٤م، وقد دارت فيها الدائرة على الأرمن.

واجهت الدولة العثمانية هذه العمليات الإرهابية والمذابح التي أحدثها الأرمن بعنف، فعمدت إلى تدمير ساسون والقرى الأرمنية الأخرى، واستمرت هذه العمليات من الجانبين ثلاثة أسابيع استطاعت الدولة في نهايتها القضاء على الفتنة.

ونشطت **وسائل الإعلام الأرمنية** في إذاعة أنباء هذه الأعمال، التي قام بها الجيش العثماني، بشكل مضخَّم، **بهدف تأليب الرأي العام الأوروبي والدول الأوروبية ضد الدولة** وفعلاً، تحركت كل من **بريطانيا وفرنسا وروسيا باتجاه الباب العالي**، وطلبت منه تشكيل لجنة دولية لتقصِّي الحقائق في **مقتلة ساسون**.

استجاب الباب العالي لهذا الطلب، وشكَّل لجنة دولية انتهت إلى وضع تقرير يهتم الأرمن بأنهم البادئون في إشعال نار الاضطرابات، وأن السلطات العثمانية تصرفت بمقتضى ما يخوّله لها القانون.

لم يرضَ الأرمن عن التقرير الذي وضعته اللجنة الدولية، كما ظلَّ الرأي العام في أوروبا متعاطفًا معهم، وفي ١٦ ذي القعدة ١٣١٢هـ/١١ أيار ١٨٩٥م، قدمت الدول الثلاث مشروع مصالحة بين الجانبين تضمَّن:

نصح سفيرا فرنسا وروسيا في أستنبول السلطان بقبول المشروع، فوافق عليه موافقة جزئية، إذ رفض تنفيذ البند الثالث، وقد هدف السلطان من وراء موافقته الجزئية هذه تبريد القضية، وتهدئة الرأي العام الأوروبي والدول الأوروبية. وفعلاً أحجمت هذه الدول الأوروبية عن التدخل بانتظار تنفيذ وعود السلطان من جهة، وبفعل تضارب سياستها العامة، خلال التسعينيات من القرن التاسع عشر، من جهة ثانية، ما جعل القضية الأرمنية تتضاءل من وجهات نظرها أمام أحداث جسام طرأت في أوروبا.

وعندما رأى الأرمن تراجع الدول الأوروبية عن تأييد قضيتهم، وأن حركتهم القومية تمر بأزمة عميقة، ونظروا، في الوقت نفسه، إلى وعود السلطان على أنها غير مجدية، قرروا نقل نشاطهم الإرهابي إلى العاصمة أستنبول، فأحدثوا الاضطرابات فيها، ووقعت مقتلة عظيمة بين المسلمين

والأرمن، وهاجموا، في أوائل ١٣١٤هـ/ صيف ١٨٩٦م، البنك المركزي العثماني، ومقر الباب العالي، والسوق القديم.

نتيجة لهذه الاستفزازت، **عمدت السلطات العثمانية** إلى تنفيذ عمليات انتقامية واسعة ورهيبة ضد جميع الأرمن القاطنين في أستنبول، يومي ٢٧ و٢٨ من شهر آب عام ١٨٩٦م.

وتعرَّض في النهاية السلطان عبد الحميد الثاني نفسه لعملية إرهابية لاغتياله، في أثناء موكب صلاة الجمعة، لم ينج منها إلا بفضل لحظات تأخُّر جرت على غير العادة، واستمرت دقائق عدة في حديث مع شيخ الإسلام عند خروجه من الجامع وذلك في ١٨ جمادى الأولى ١٣٢٣هـ/٢١ تموز ١٩٠٥م.

استغل **الأرمن** هذه الأحداث وقدَّموا مذكرة إلى سفراء الدول الأوروبية في أستنبول ضمَّنوها مطالبهم، وهي:

١. تشكيل لجنة دولية للتحقيق في أحداث المذابح التي وقعت في الولايات الأرمنية.

٢. تعيين ولاة نصارى لحكم الولايات الأرمنية.

٣. تشكيل قوات نصرانية تحل محل القوات العثمانية.

٤. إعفاء جميع الأرمن من دفع الضرائب لمدة خمس سنوات، ثم تخفيضها بعد ذلك.

٥. إصدار عفو عام عن الإرهابيين الأرمن.

٦. زيادة الاعتمادات المخصصة للمناطق الأرمنية.

لم يكن بمقدور السلطات الاستجابة الكلية لهذه المطالب، إلا إنه وحتى يخفف من حدة التوتر، أخذ يُعين موظفين إداريين من الأرمن في الولايات الواقعة في شرقي الأناضول، على الرغم من أن سكانها يشكلون أغلبية عددية مسلمة كما أصدر عفوًا عامًا.

ولا شك أن التدابير اتخذتها **الحكومة العثمانية** تجاه العمليات الإرهابية وتضمن الدامية ومساعيها للقيام ببعض الأمور التي تحقق الأمن والاستقرار وتضمن سلامة الأرواح ثم عرض الأرمن ذلك بخاصة وأبرزها دائمًا على أنهم الفئة المظلومة والبريئة وأن المسلمين هم المعتدون، والتغافل عن الأعداد الكبيرة التي تتعرض للقتل من المسلمين، ثم قبول خسائر النصارى المبالغ فيها وكأنها حقائق لا تقبل النقاش، وكانت كلها أمورًا شكّلت لمدة طويلة لب المشكلة الأرمنية.

في وسط هذه الظروف رأى فريق من **المعتدلين الأرمن** انتهاج العمل السياسي من واقع استغلال الجمعية السياسية العثمانية، التي أسسها في باريس سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م صباح الدين، أحد أولئك الذين اندفعوا في معارضة الحكم الفردي، الذي كان يمارسه السلطان عبد الحميد وهو ابن الداماد محمد، التي تسمى أعضاؤها بالأحرار، كل عمل مشترك يهدف إلى تغيير الأوضاع القائمة، فاشتركوا

في مؤتمر باريس، إلا أنهم فشلوا في ترويج فكرتهم التي عرضوها على المؤتمر والقاضية بإقامة حكومة محلية في كل ولاية عثمانية، تكون مستقلة إداريًا عن الإدارة المركزية في أستنبول ومن ثم فإنهم فشلوا في تحقيق أمانيهم القومية في الاستقلال أو الحصول على الحكم الذاتي.

لم ييأس **الأرمن في تحقيق أمانيهم القومية فتعاونوا مع جمعية تركيا الفتاة** واستطاعوا انتزاع قرار من مؤتمر باريس الثاني الذي انعقد في ذي القعدة ١٣٢٥هـ/كانون الأول ١٩٠٧م تركز على إسقاط النظام وقيام حكومة دستورية نيابية، ومع ذلك لم يخدم هذا القرار القضية الأرمنية بشكل مباشر.

وشارك **الأرمن** في الحياة السياسية إثر الانقلاب في سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م لكن على نحو ضئيل يتناسب مع تعدادهم، واستغلوا وجود ممثلين لهم في (مجلس المبعوثان) لإحداث بلبلة، يحدوهم الأمل في أن الفوضى السياسية سوف تساعدهم على تحقيق مطالبهم.

لكن الواضح أن **السلطات العثمانية** لم تكن مستعدة لمنحهم الاستقلال، لذلك كانت ردت الفعل من الجانبين تتسم بالعنف أحيانًا، وجددوا انتفاضاتهم عقب الانقلاب المضاد الذي قام به أنصار السلطان عبد الحميد الثاني في سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، وكانت النتيجة إحداث مذابح عنيفة عمَّت منطقة قيليقيا وامتدات إلى أضنة وطوروس.



كاتدرائية إجميادسين - أقدم كنيسة بنيت في أرمينيا في القرن الرابع الميلادي

السلطان عبد الحميد الثاني واليهود [١]

استطاع زعيم **الحركة اليهودية الصهيونية العالمية** (تيودر هرتزل) أن يتحصل على تأييد أوروبي للمسألة اليهودية من الدول (ألمانيا وبريطانيا وفرنسا)، وجعل من هذه الدول قوة ضغط على الدولة العثمانية تمهيدًا لمقابلة **السلطان عبدالحميد**، وطلب **فلسطين** منه، وكانت الدولة العثمانية تعاني من مشكلات مالية متعددة، إذ كانت الأحوال الاقتصادية في البلاد على درجة من السوء، بحيث فرضت الدول الأوروبية الدائنة وجود بعثة مالية أوروبية في تركيا العثمانية للإشراف على أوضاعها الاقتصادية ضمانًا لديونها، الأمر الذي دفع عبدالحميد الثاني أن يجد حلاً لهذه المعضلة.

كانت هذه الثغرة هي السبيل الوحيد أمام **هرتزل**، كي يؤثر على سياسة عبدالحميد الثاني تجاه اليهود. وفي هذا الصدد يقول هرتزل في مذكراته: (علينا أن ننفق عشرين مليون ليرة تركية لإصلاح الأوضاع المالية في تركيا ... مليونان منها ثمنًا لفلسطين والباقي لتحرير تركيا العثمانية بتسديد ديونها تمهيدًا للتخلص من البعثة الأوروبية ... ومن ثم نقوم بتمويل السلطان بعد ذلك بأي قروض جديدة يطلبها).

لقد أجرى هرتزل اتصالات مكثفة في ألمانيا والنمسا وروسيا وإيطاليا وإنكلترا لإجراء حوار مع **عبدالحميد الثاني**. وفي هذا الصدد فقد نصح لاندو منذ ٢١ شباط ١٨٩٦م الصديق اليهودي لهرتزل أن يقوم بواسطة صديقه نيولنسكي رئيس تحرير (بريد الشرق). وفي هذا المجال يقول هرتزل: (إن نحن حصلنا على فلسطين، سندفع لتركيا كثيرًا أو سنقدم عطايا كثيرة لمن يتوسط لنا. ومقابل هذا نحن مستعدون أن نسوي أوضاع تركيا المالية. سنأخذ الأراضي التي يمتلكها السلطان **ضمن القانون المدني**، مع أنه ربما لم يكن هناك فرق بين السلطة الملكية والممتلكات الخاصة).

١-د. محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية، ص ٤٦٩-٤٧٠.

يهود الدونمة



ساباتاي زيفي

هناك مفاهيم عديدة لكلمة الدونمة، إذ إن الكلمة من الناحية اللغوية مشتقة من الكلمة التركية (دونمك) التي تعني الرجوع أو العودة أوالارتداد. أما المفهوم الاجتماعي لهذه الكلمة فإنه يعني المرتد أو المتذبذب، بينما تعني هذه الكلمة من الناحية الدينية مذهبًا دينيًا جديدًا، دعا إليه الحاخام **ساباتاي زيفي**، في عهد السلطان العثماني محمد الرابع؛ أما المفهوم السياسي لهذه الكلمة فإنه يعني اليهود المسلمين الذين لهم كيانهم الخاص فتبعه قسم من اليهود الذين عرفوا لاحقًا بالسبتيين أوالدونمة.

وقد أطلق المعنى الخاص بالدونمة منذ القرن السابع عشر الميلادي على اليهود الذين يعيشون في المدن الإسلامية وخاصة في ولاية سلانيك وأطلق العثمانيون اسم الدونمة على اليهود لغرض بيان وتوضيح العودة من اليهودية إلى الإسلام ثم أصبح علمًا على فئة من يهود الأندلس الذين لجؤوا إلى الدولة العثمانية وتظاهروا باعتناق العقيدة الإسلامية [١].

د. موفق ابن المرجة: صحوة الرجل المريض، ص٢٤٢.

وقام هرتزل بزيارة إلى القسطنطينية وذلك في حزيران سنة ١٨٩٦م، ورافقه في هذه الزيارة نيولنسكي، الذي كانت له علاقة ودية مع السلطان عبدالحميد، ونتيجة لذلك فقد نقل بيولنسكي آراء هرتزل إلى قصر يلدز، وقد دارت محاورة بين نيولنسكي والسلطان عبدالحميد إذ قال السلطان له: هل بإمكان اليهود أن يستقروا في مقاطعة أخرى غير فلسطين؟ أجاب نيولنسكي قائلاً:

(تعتبر فلسطين هي المهد الأول لليهود، فعليه فإن اليهود لهم الرغبة في العودة إليها)، ورد السلطان قائلاً: (إن فلسطين لا تعتبر مهدًا لليهود فقط، وإنما تعتبر مهدًا لكافة الأديان الأخرى). أجاب نيولنسكي قائلاً: (في حالة عدم استرجاع فلسطين من قبل اليهود فإنهم سوف يحاولون الذهاب وبكل بساطة إلى الأرجنتين).

وقام السلطان **عبدالحميد** بإرسال رسالة إلى **هرتزل** بواسطة صديقه نيولنسكي جاء فيها:

(انصح صديقك هرتزل، أن لايتخذ خطوات جديدة حول هذا الموضوع، لأني لا استطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدسة، لأنها ليست ملكي، بل هي ملك شعبي. وقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض، ورووها بدمائهم؛ فليحتفظ اليهود بملايينهم. إذا مزقت دولتي، من الممكن الحصول على فلسطين بدون مقابل، ولكن لزم أن يبدأ التمزيق أولاً في جثتنا ولكن لا أوافق على تشريح جثتي وأنا على قيد الحياة).

وتواصلت مساعي **هرتزل** من خلال اتصاله بالجهات الأوروبية أو بالرجوع مرة ثانية إلى السلطان عبد الحميد الثاني لإقناعه بتسهيل مهام اليهود في هجرتهم إلى فلسطين، لكنه وقف سدًّا منيعًا ضد آراء هرتزل. وعلى الرغم، من إخفاق جهود هرتزل عند السلطان عبدالحميد، كتب هرتزل قائلاً: (يجب تملك الأرض بواسطة اليهود بطريقة تدريجية دون ماحاجة إلى استخدام العنف، سنحاول أن نشجع الفقراء من السكان الأصليين على التروح إلى البلدان المجاورة بتأمين أعمال لهم هناك مع خطر تشغيلهم في بلدنا إن الاستيلاء على الأرض سيتم بواسطة العملاء السريين للشركة اليهودية، التي تتولى بعد ذلك بيع الأرض لليهود؛ علاوة على ذلك تقوم الشركة اليهودية بالإشراف على التجارة في بيع العقارات وشرائها، على أن يقتصر بيعها على اليهود وحدهم).

وكتب هرتزل قائلاً: (أقر على ضوء حديثي مع السلطان **عبدالحميد الثاني** أنه لايمكن الاستفادة من تركيا إلا إذا تغيرت حالتها السياسية أو عن طريق **الزج بها في حروب تهزم فيها**، إو عن طريق الزج بها في مشكلات دولية أو بالطريقتين معًا في آن واحد).

Figure 2. The Second Zionist Congress in Basle, 1898. Theodor Herzl is speaking. Courtesy Central Zionist Archives, Jerusalem.

DER

JUDENSTAAT.

VERSUCH

EINER

MODERNEN LÖSUNG DER JUDENFRAGE

VON

THEODOR HERZL

DOCTOR DER RECHTE.



LEIPZIG und WIEN 1896.

M. BREITENSTEIN'S VERLAGS-BUCHHANDLUNG

WIEN, IX., WÄHRINGERSTRASSE 5.

د. ثيودور هرتزل ١٨٦٠ - ٣ يوليو ١٩٠٤م، صحفي يهودي نمساوي مَجَري، مؤسس الصهيونية السياسية المعاصرة. ولد في بودبست وتوفي في إدلاخ بالنمسا. تلقى تعليمًا حتى سنة ١٨٧٨م. في نفس السنة انتقلت عائلته إلى فيينا. التحق هرتزل بكلية القانون حتى حصل على **الدكتوراه سنة ١٨٨٤م**، ثم اشتغل بعدها ولمدة قصيرة في محاكم فيينا وسالزبورغ ثم توجه إلى الأدب والتأليف. بداية من سنة ١٨٨٥م نشر مجموعة من القصص الفلسفية. اشتغل هرتزل أيضًا بالصحافة ومن ١٨٩١ إلى ١٨٩٦م، هنا بدأت تتشكل أفكار هرتزل الصهيونية بعد أن عايش مسألة دريفوس ورغبة اليهود في إثبات وجودهم كشعب – كما يرى هرتزل – يدعو إلى البحث عن بديل.

الإجابة كانت في الكتيب الذي انتهى من تأليفه يوم ١٧ يونيو ١٨٩٥م، والذي نشر سنة ١٨٩٦م، تحت عنوان "Der Judenstaat"، **دولة اليهود**. وإن لم يجد الكتاب صدًى واسعًا في البداية إلا أنه وضع فعلًا حجر الأساس لظهور الصهيونية السياسية وتأسيس الحركة الصهيونية بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية بين ٢٩ و٣١ أغسطس ١٨٩٧م، وانتخاب هرتزل رئيسًا للمنظمة الصهيونية العالمية. بعد ذلك بدأ هرتزل محادثات عادة مع شخصيات عديدة من دول مختلفة، مثل القيصر الألماني فيلهلم الثاني الذي التقى به سنة ١٨٩٨م مرتين في ألمانيا وفي القدس أو السلطان **العثماني عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠١م**، بحثًا عن مؤيدين للمشروع الصهيوني، لكن جهوده فشلت وتركت المجال مفتوحًا لمواصلة العمل على تأسيس الدولة.

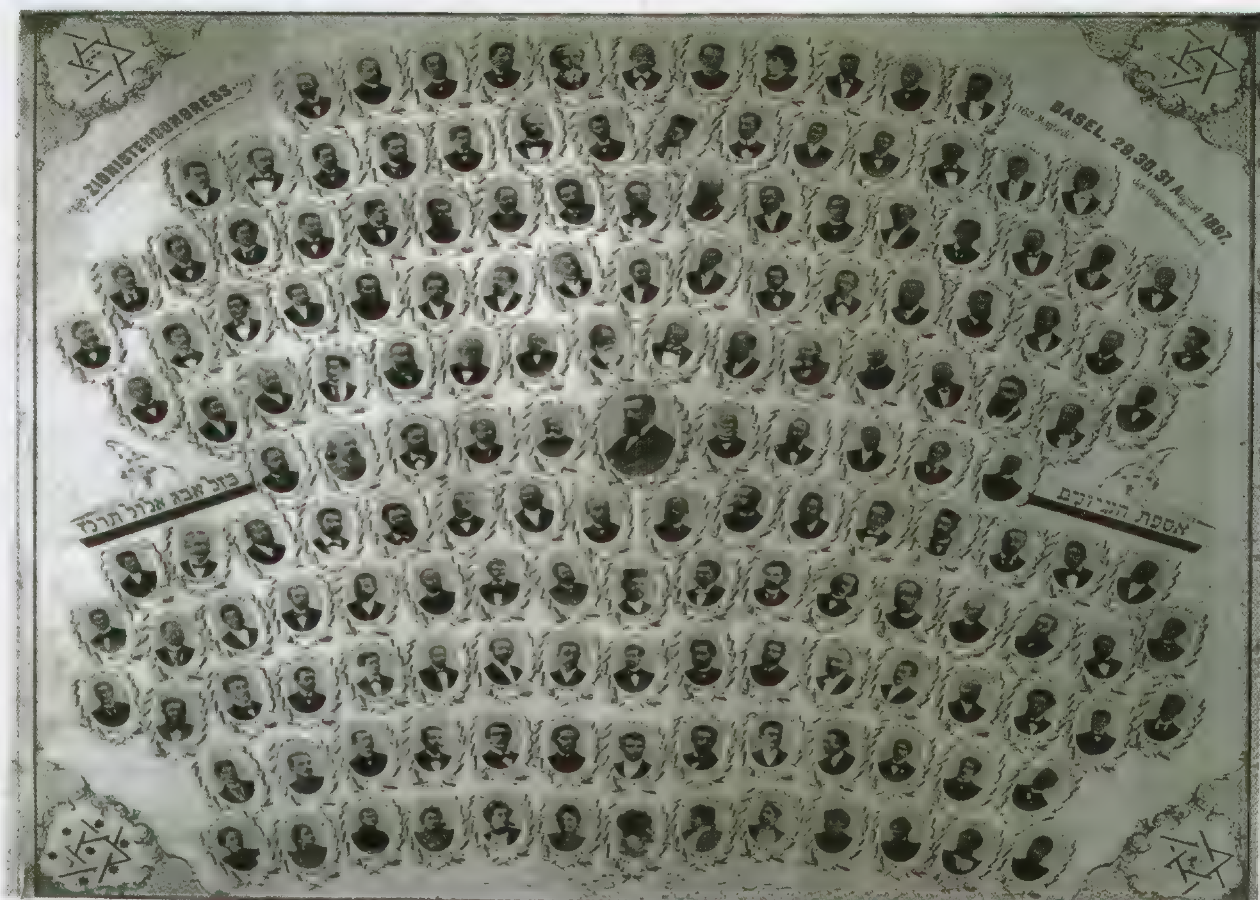


Figure 1. Delegates to the First Zionist Congress in Basle, 1897. TOP ROW: Michael Berkowitz, Vienna, A. Perlis Jr., Vilna, A. Ludvipol, Paris, Nahum Sokolow, Warsaw, Tobias Marcus, Merano, Karpel Lippe, Jassy, Solomon Mandelkern, Leipzig, Israel Zangwill, London, Ephraim Ish-Kishor, London, Samuel Poznański, Warsaw, Albert Donreich, Vienna. SECOND ROW: Leon Horodischz, Brest-Litovsk, A. Sachs, Daugavpils, Z. Bychowsky, Warsaw, A. M. Neuschul, Vilna, Fabius Schach, Cologne ... v, David Farbstein, Zurich, Armand Kaminka, Osijek, S. R. Landau, Vienna, Boris Barbasch, Brussels, Pincas ... eph Mohilewer, Bialystok, Adolf Stand, Lvov, Laser Kunin, Charlottenburg. THIRD ROW: Leopold Hupper, ... Monastyriska, S. Singer, Kolomyya, N. Klugmann, Vienna, Naum Kopelowitz, Gomel, Markus Braude, Fr ... odno, Grégoire Lourie, Pinsk, Saul P. Rabbinowitz, Warsaw, Nathan Birnbaum, Vienna, Marcus Kahan, G ... ach, Jakob L. Goitein, Frankfort, Heinrich Birkenstein, Frankfort, Karl Herbst, Sofia, S. Drujan, Basle, H. Fe ... ager, Tarnow, P. Katzenelsohn, Bobruisk. FOURTH ROW: B. Spira, Cracow, Jakob Hirschensohn, Jassy, ... S. Rosenheck, Kolomyya, Alexander S. Rabinovitz, Poltava, M. Schlaposchnikow, Kharkov, Isidor Schalit, ... Max Bodenheimer, Cologne, Zevi Hirsch Belkowsky, Sofia, D. Neumark, Rakovnik, Litmann Rosenthal, ... Liverpool, J. L. Berger, Pinsk, Leo Motzkin, Berlin, Joseph Klausner, Heidelberg, S. Schiller, Lvov. FIFTH ROW: ... acob Bernstein-Kogan, Kishinev, Jacob de Haas, London, S. J. Sachs, Daugavpils, L. Schalit, Riga, Gustav ... nann Schapira, Heidelbe ... Heinrich York-Steiner, Vienna, Moritz Kornbluht, Ka ... Nicolai Rappoport, S ... lon, Sigmund Bromberg-Bytkowsky, Tarnow. SIXTH RO ... nepropetrovsk, Max Ma ... r, Vienna, Abraham Salz, Tarnow, Max Nordau, Pari ... Samuel Pineles, Galati, D ... Ehrenpreiss, Djakovo, Alexander Mintz, Vienna, Dr. ... ROW: Leo Wilenski, K ... Kirovograd, M. S. Solowei, Vitebsk, I. Lazarus, Rijeka ... Wilhelm Gross, Jaffa, Jos ... irsh Ginsberg (Aḥad Ha-Am), Odessa, M. Rabinowicz ... ric Beer, Paris, Aaron M ... k, Vienna, Joseph Seff, Stara Constantinow, Adam Rosen... New York, ... Rosenbaum, Vienna, ... H ROW: Maximilian Pikarski, Vienna, M. Ch. Schornstein, Paris, A. S. Yahuda, Jerusalem, Leon Fri ... Welisch, J. Gleisner, Jemnice, Theodor Zlocisti, Berlin, I. L. Goldberg, Vilna, Shepsel Schaffer, Baltimor ... Reuben Brainin, Berlin, E. Davidson, Berlin, Moses Orchanski, Kharkov, L. Friedmann, Mainz, Hillel Ko ... n, Basle, Joseph Melnik, Heidelberg. NINTH ROW: Alois Munk, Vienna, M. Losinsky, Bobruisk, Leon Pic ... elberg, Alexander Hausmann, Lvov, Siegmund Kohn, Brno, Joshua H. Farbstein, Warsaw, Gustav Gitel ... we, Jaffa, J. Lury, Warsaw, H. Wertheimer, Jemnice, Abraham Lubarsky, Odessa, Isaac Schnirer, Chernov ... sk, R. Asarch, Riga, J. Eliaschoff, Berlin, Joshua Caleb, Sofia. TENTH ROW: Samuel Pevsner, Berlin, N ... Silbermann, Craiova, Davis Trietsch, New York, Joshua Buchmil, Montpelier, Joseph Mirkin, Montpeli ... Eugène Valensin, Montpelier, Moïse Padua, Paris, Yecheskiel C. Wortsmann, Zurich, J. A. Riwkin, ... e, Leo Jaffe, Heidelberg. BOTTOM ROW: Clara Hirschensohn, Jassy, Marie Sokolow, Warsaw, M. Reinus, Zurich, Sara Gitelewitz, Marijampole, Ernestine Ehrenpreis, Djakovo, Clara Schapira, Heidelberg, Rosa Sonnenschein, New York, Rachel Alkalai, Belgrade, Bertha Marcus, Merano, Wilhelmina Kornbluht, Karvina, Blanche Bahar, Paris, Fr. Dr. Schlaposchnikow, Kharkov, Hulda Thomaschewsky, Berlin. Courtesy Central Zionist Archives, Jerusalem.



שקל

הציונות שואפת לברוא בשביל עם ישראל בארץ ישראל מקלט בטוח עפ"י משפט גלוי של העמים

ציוניזם שטרעבט צו שאפען פאר דאס יודישע-פאלק אן-עפענטליך רעכטליך געזיכערטע היים אין ארץ ישראל

השנה החמש עשרה

שנת תרע"ב - אחת

מר

בעד

פלך

שקל ... את שקל

שדר

האמצעים להשיג את המטרה הזאת:

א. התקדמות רצויה של הישוב העברי בא"י ע"י עובדי אדמה, אומנים ובעלי תעשיה.

ב. אגוד העם העברי והסתדרותו ע"י מוסדות מקומיות וכלליות המתאימות לצרך זה ולחוקי הארצות.

ג. חזוק הרגש הלאומי וההכרה העצמית של העם העברי.

ד. הכנות הנחוצות, כדי לקבל את הסכמת הממשלות להשגת מטרת הציונות.

די מיטלען אויסצופיהרען דאס ציעל פונם ציוניזם:

א. ריכטיגע ענטוויקלונג פון דער קאלאניזאציאן אין ארץ ישראל דורך יודישע ערדארבייטער, בעלי מלאכות און געשעפטסמענשען.

ב. ארגאניזאציאן און צוזאמענגעבונדענקייט פון דעם יודישען פאלק דורך ארטליכע און אלגעמיינע אנשטאלטונגען ...

ג. פערשטארקען דאס יודישע פאלקס-געפיהל און זעלבסטבעוואוסטזיין.

ד. מאכען די נויטיגע שריט, כדי צו בעקומען די הסכמה פון די רעגירונגען אויף דאס ענדציעל פונם ציוניזם.

نموذج لعضوية المشاركة في بعض المؤتمرات الصهيونية الأولى

مفهـوم "**العداء للسـامية**" مفهوم يهودي صـهيوني معناه الحرفي "ضـد السـامية"، ويترجـم أحيانًا إلى العربية "بالمعاداة للسـامية"، و"اللاسـامية"، و"كراهية السـامية"؛ أما "السـاميون" فالمقصود بهم حرفيًا سلالة سـام بن نوح عليه السلام، وهو أيضا مصطلح توراتي حيث تقسم الأجناس البشرية إلى ثلاثة أقسام هي:

الساميون، وينسبون إلى سام بن نوح عليه السلام، وعادة ما يشار بهم إلى الشعوب الساكنة في شبه الجزيرة العربية، وفي بلاد النهرين (العراق القديم)، وفي المنطقة السورية (سكان سوريا ولبنان وفلسطين)، وإن كانت التوراة قد أخرجت الكنعانيين من أسرة الساميين وضمتهم إلى الحاميين كنوع من الانتقام منهم ولعنتهم.

الحاميون، وينسبون إلى حام بن نوح عليه السلام، ويقصد بهم الشعوب الساكنة في القارة الإفريقية بلونهم وملامحهم المعروفة.

اليافثيون، وينسبون إلى يافث بن نوح عليه السلام وهم أصل الشعوب الهندوأوروبية الساكنة في منطقتي الشرق الأقصى وأجزاء من الشرق الأدنى القديم (بلاد فارس) والشعوب الأوروبية. وهو تقسيم عرقي يقوم على أساس من اللون.

وهكذا يقصد بالعداء للسامية عداء الشعوب اليافثية والحامية (الهندوأوروبية والإفريقية) للشعوب السامية. وقد تم اختزال "العداء للسامية" في اليهود وإخراج بقية الساميين من حظيرة السامية، واعتبار اليهود ساميين يعيشون في مجتمعات ليست سامية هي المجتمعات الهندوأوروبية. د. محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة.

الصهيونية الحديثة: هي الحركة المنسوبة إلى د. تيودور هرتزل الصحفي اليهودي المجري، وهدفها الأساسي الواضح قيادة اليهود إلى حكم العالم بدءًا بإقامة دولة لهم في فلسطين. وقد فاوض **السلطان عبد الحميد** بهذا الخصوص في محاولتين، لكنه أخفق، عند ذلك عملت اليهودية العالمية على إزاحة السلطان وإلغاء الخلافة الإسلامية.

أقام **هرتزل** أول مؤتمر صهيوني عالمي في بال السويسرية سنة ١٨٩٧م، مستغلاً محاكمة الضابط اليهودي الفرنسي دريفوس الذي اتهم بالخيانة ١٨٩٤م لنقله أسرارًا عسكرية من فرنسا إلى ألمانيا، لكن ثبتت براءته فيما بعد، ونجح هرتزل من تصوير المأساة اليهودية في زعمه من خلال هذه الواقعة الفردية، وأصدر كتابه الشهير **الدولة اليهودية** الذي أكسبه أنصارًا لا بأس بعددهم مما شجعه على إقامة أول مؤتمر صهيوني السابق الذكر، وقد علق عليه بقوله: "لو طلب إليّ تلخيص أعمال المؤتمر فإني أقول بل أنادي على مسمع من الجميع: إنني قد أسست الدولة اليهودية"، ونجح في تجميع يهود العالم حوله كما نجح في جمع دهاة اليهود الذين صدرت عنهم أخطر مقررات في تاريخ العالم، وهي **بروتوكولات حكماء صهيون** المستمدة من تعاليم كتب اليهود المحرفة التي يقدسونها، ومن ذلك الوقت أحكم اليهود تنظيماتهم، وأصبحوا يتحركون بدقة ودهاء وخفاء، لتحقيق أهدافهم التدميرية التي أصبحت نتائجها واضحة للعيان في زماننا هذا. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب.



كلمة "صهيوني" مشتقة من الكلمة "صهيون" وهي أحد ألقاب جبل صهيون (الذي يسمى بـ "جبل داود" عند المسلمين المقدسيين)

EUROPEAN JEWISH POPULATION, 1880

63,000 Jewish population
1,000,000 Total population

NORWAY 34 1,815,000
SWEDEN 2,993 4,341,559
DENMARK 3,946 874,000
IRELAND 1,779 5,336,630
NETHERLANDS 81,693 13,992,421
BRITAIN 28,108,024 99,410
GERMANY 561,612 41,058,139
RUSSIAN POLAND 1,000,000 6,026,421
RUSSIA 2,552,145 73,113,502
BELGIUM 3,000 5,337,000
LUXEMBOURG 777 205,158
FRANCE 63,000 36,905,788
SWITZERLAND 7,373 2,669,147
AUSTRO-HUNGARY 1,643,708 36,678,796
ROMANIA 265,000 5,043,000
PORTUGAL 200 4,047,110
SPAIN 1,902 16,641,980
ITALY 40,430 26,801,154
SERBIA 3,492 1,377,068
GREECE 2,652 1,460,000
TURKEY 115,000 8,500,000
0 250 km
Mediterranean Sea

خريطة قديمة للوجود اليهودي في القارة الأوروبية في العقد الثامن من القرن التاسع عشر الميلادي

جعل **هرتزل** معاداة السامية مشكلة العالم الغربي وليست فقط مشكلة خاصة باليهود. وقد وضح هرتزل هذا الرأي في المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقد في بازل سنة ١٨٩٧م.

ويرى هرتزل أيضًا أن العنصر اليهودي في أي مجتمع من المجتمعات عنصر مثير للاضطراب والتمرد داخل المجتمع الأوروبي، وهذا أمر يتعلق بطبيعة اليهودي، فهو بطبيعته لا يستطيع الحياة مع الشعوب الأخرى، وإن عاش فلكي يكون عنصرًا مدمرًا لقوة هذه الشعوب ومحرضًا على الثورة وقلب الأوضاع.

وقد استند هرتزل إلى هذا الرأي في مراسلاته مع ملوك وحكام أوروبا، فقد صور لهم أن بقاء اليهود داخل المجتمعات التي يحكمونها ليس في صالح هذه المجتمعات ولا في صالح حكوماتها، ولهذا يجب على هذه الحكومات تشجيع فكرة الصهيونية وإنشاء الوطن اليهودي حتى تتخلص هذه الحكومات من العناصر المناهضة لها.

د. محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م.



استخراج ألواح التوراة التي دفنها اليهود في أثناء إضطهاد القيصر الروسي (الإسكندر الثالث) لهم - م. ص - اليهود الموسوعة المصورة



تجمع لليهود الصهاينة في شمالي يافا لبناء الدولة اليهودية وهذا المكان سُمّي فيما بعد (تل أبيب)

السلطان عبد الحميد الثاني والدعوة المهدية [(١)]

من أبرز **سلبيات الحركة المهدية** عدم بلورة منهج الحركة، **وادّعاء محمد أحمد المهدية**؛ وهي التي أودت بها إلى الفشل الذريع برغم حكمها للسودان ستة عشر عامًا.

فمن المعروف بمكان أن من دعائم الحركة المهدية سهولة الإسلام ويسره. ومع صحة هذا المبدأ إلا أن محمد أحمد لم يكن مدركًا لحدود هذا اليسر ومجالاته، وأخذ هذه المبدأ على إطلاقه سواء في الأمور العقائدية أو الفكرية أو الأحكام الاجتهادية.

وبناءً على هذا الفهم القاصر اعتقدَ أن **كتب المذاهب الأربعة** لا داعي لها، بل إنها عقبة في فهم الإسلام، حجبت الإسلام الصحيح عن الناس وحالت بينهم وبين الكتاب والسنة، ولذلك **أصدر حكمه ببطلان العمل بالمذاهب الأربعة** - إلا أن المهدي يشكر أصحاب هذه المذاهب على اجتهادهم وأنهم أوصلوا الإسلام إلى عصر المهدي المنتظر- ولذلك قام بإحراق كتب الفقه والأصول وغيرها ولم يبق إلا القرآن الكريم والصحيحين وإحياء علوم الدين للغزالي وغير ذلك من الكتب التي سماها له الأنصار.

يذكر المهدي اجتماعه بالنبي ﷺ في الحضرة النبوية وهو في حال اليقظة، ويدعي أخذ الأوامر منه مباشرة وأحيانًا يذكر اجتماعه بالخضر والشيوخ الأموات السابقين لعصره والملائكة كعزرائيل. وأهم الأحكام التي اشتقها من اجتماعه بالنبي ﷺ هو تكفير من لم يؤمن به وما يشير إلى عصمة التعايشي وغيرها. حيث يقول في خطابه إلى محمد الطيب البصير سنة ١٢٩٧ هـ/ ١٨٨٠م «فيأتي النبي ويجلس معي ويقول للأخ المذكور" شيخك هو المهدي" ، فيقول أني مؤمن بذلك، فيقول : **من لم يصدق بمهديته كفر بالله ورسوله** قالها ثلاث مرات» ويذكر في منشور عرف بمنشور الدعوة: «... واعلمني النبي بأني المهدي المنتظر وخلفني بالجلوس على كرسيه مرارًا بحضرة الخلفاء والأقطاب والخضر وجمع من الأولياء الميتين وبعض من الفقراء الذين لا يعبأ بهم، وقلدني سيفه وأيدني بالملائكة العشرة الكرام وأن يصحبني عزرائيل دائمًا، ففي ساحة الحرب أمام جيشي وفي غيره يكون ورائيا، وأن يصحبني الخضر دائمًا ويكون أمامنا سيد الوجود وخلفاؤه الأربعة والأقطاب الأربعة وستين ألف ولي من الأموات» وهو مما أخذه عليه علماء عصره كالشيخ الأمين الضرير. وقد بنى المهدي دولته على مثل هذه الأحكام واستحل واتباعه دماء وأعراض معارضيه بدعوى كفرهم بالمهدي ومن ثم كفرهم بالله ورسوله. **محمد إسماعيل المقدم، المهدي وقضية المهدية.**

الحركة المهدية

محمد المهدي بن عبد الله بن فحل (١٨٤٣ - ١٨٨٥م) زعيم سوداني وشخصية دينية، أعلن نفسه **المهدي المنتظر** وادعى التكليف الإلهي بنشر العدل ورفع الظلم، ثار على الحكومة المصرية في السودان وأنهى حكمها في السودان وقتل حاكمها العام غوردون باشا. اتبعه كثير من أهل السودان وسماهم بالأنصار.

توفي بحمى التيفوئيد في أم درمان سنة ١٣٠٢ هـ/يونيو ١٨٨٥م. خلفه الخليفة عبد الله ابن السيد محمد الملقب بالتعايشي. وقد حكم البلاد حتى غزاها جيش الغزو الثنائي بزعامة الجنرال الإنجليزي كتشنر وكانت معركة كرري الحاسمة في يوم الجمعة ٢ سبتمبر ١٨٩٩م، وهي المعركة التي اشتهرت لدى البريطانيين (بمعركة أم درمان). شكلت المهدية ثورة وطنية وتحررية ودينية بالغة الأثر في السودان برغم قصر مدتها في الحكم.

محمد إسماعيل المقدم، المهدي وقضية المهدية

١- د. عجيل النشمي، إعادة ترتيب أوراق سقوط الخلافة، المهدية في الميزان، موقع القسطاط .



سيطرت قبيلتا الجوابرة والغربية على المنطقة بين أسوان، وواد مدني، ونشروا سلطانهم على كثير من القبائل الصغيرة، ثم حدث نزاع بينهما فاستنجدت قبيلة الغربية بالسلطان سليم الأول الذي أرسل سرية " من البوشناق بقيادة حسن قوصي طردت الجوابرة إلى دنقلة، وامتد بهذا النفوذ العثماني، وأسس البوشناق قلاعًا وأقاموا الحاميات وحملوا لقب "كشاف" وعرفوا بالغز، ومنحهم السلطان العثماني امتيازات ورثها أبناؤهم وأحفادهم ومنها : إعفائهم من شتى الالتزامات المالية التي فرضها السلطان سليم الأول على أملاكه كلها، بل أجرى عليهم معاشًا سنويًا. وبالرغم من ذلك كان حسن قوصي يرسل ما يسمى بالميرة سنويًا إلى والي مصر وإن كان – في الواقع مستقلًا عنه.
مصر
محمد المهدي
البحر الأحمر
وادي حلفا
النوبة
دنقلة
نهر النيل
بورسودان
سواكن
عطبرة
نهر عطبرة
تشاد
معركة كرري الحاسمة في يوم الجمعة ٢ سبتمبر ١٨٩٩م
أم درمان
الخرطوم
اريترية
كسلا
دار فور
الفاشر
سنار
كردفان
واد مدني
وادي أبا
الأبيض
الحبشة
كوستي
النيل الأبيض
نيالا
الرهد
معارك فاصلة
منطقة انتشار الثورة المهدية
مواقع مهمة
حدود دولية
فاشودا
ملكال
جزيرة أبا: جزيرة على النيل الأبيض تبعد عن الخرطوم حوالي ١٨٠ كم جهة الجنوب. اشتهرت بالثورة المهدية في السودان حين اتخذها المهدي مقرًا له سنة ١٢٨٨ هـ/١٨٧١م وبنى بها مسجدًا وخلوة، وبدأ منها دعوته في سنة ١٢٩٩ هـ/١٨٨١م . أرسلت الحكومة حملة للقبض على المهدي في ١٢ أغسطس ١٨٨١م (١٧ رمضان ١٢٩٨هـ) عرفت باسم موقعة الجزيرة أبا لكنها فشلت.
دنقلة
الخرطوم
وادي أبا
بور
جمهورية السودان بعد انفصال الجنوب عن الشمال سنة ٢٠١١م
كينيا
أوغندة
١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ كم
الثورة المهدية في السودان

ولعلـه بهـذا كله كان متأثراً **بما أورده الشـيخ محيي الدين بن عربي عن الإمام المهدي بأنه سيرفع المذاهب ويعيد الدين إلى ما كان عليه أيام النبي صلى الله عليه وسلم.**

ولا شـك أن فهم هذا وإقدامه على إحراق كتب المذاهب الأربعة **جلب عليه إنكار العلماء داخل السـودان وخارجه**، وقلل من مكانته العلمية. ودخل في حرب لذلك مع الصـوفية أيضًـا بوصـفها مسـؤولة أيضًا عن حجب الناس عن الكتاب والسـنة، وجلب عليه كثيرًا من المصاعب لتأصل الصوفية في وقته. ولقد كان ذلك سببًا في عرقلته في كثير من الأماكن، التي كان يرغب أن يدخلها ويؤثر فيها لوجود الطرق الصوفية المناهضة له.

وموقفه من **الحركة السنوسية** فقد كانت الظروف التي نشأت فيها الحركة المهدية هي الظروف نفسـها التي نشـأت فيها السنوسـية والدوافع والأهداف واحدة. وكانت المنطقـة محتاجة لعمل موحد يجمع شـتات الأمة ويصـيغ منهم جبهة واحدة متراصـة أمـام المؤامرات والغـزو والظلم والجور الذي يزاوله الاستعمار الأوروبي بعد أن أجهز على ما تبقى للخلافة من قوة وتأثير.

وكان الواجـب فـي ظل تلك الظروف أن **تتوحد كلمة السنوسـي والمهدي**، إلا أن الأمر كان على عكـس ذلـك، بـل كان الخلاف بينهمـا محتدمًا –كما سـبق- ونحـن نحمّل المهدي الجـزء الأكبر من مسـؤولية هذا الموقف، فهو الذي طلب ابتداءً من السنوسـي أن ينضـم تحت لوائه وأن يحضر من ليبيا ليسـتلم منصـب الخليفة الثالث، وكان يعلم ابتداءً أن السنوسي سيرفض ذلك، والسنوسي في حقيقة الأمـر يحمـي ظهر محمد أحمد ويسـد ثغرة مهمة، فكان علـى محمد أحمد أن يعي ذلـك.. ولهذا فإن إرساله طالباً حضور السنوسي ليس له ما يبرره.

وكان من سوء التصرف أن المهدي كان عازمًا على حربه، وهو يعلم أنه مسلم لا يحل رفع السلاح في وجهه. وقد سـيّر التعايشـي الجيش –فعلاً- لحربه ولكن السلطان يوسف رد هذه الجيوش عن وجهتها كما سبق.

مثل هذا الموقف العدائي من الحركة السنوسية أضعف بلا شك كلتا الحركتين، وجعل اللقاء وتوحد القوتين صعبًا، وفي نفس الوقت جعل فرصة القضاء عليهما من قبل المستعمر قوية، وهذا ما حدث.

فموقفه من **دولة الخلافة** كان سـلبيًا فلم يكن وضـع دولة الخلافة الإسـلامية يسعد أحدًا مثل ما يسـعد الـدول الأوروبيـة، التي تعمـل جاهدة لتقويض صـرح الخلافة الـذي ظل سـياجًا حاميًا للبلاد الإسلامية قاطبة حتى في أيام الخلافة الأخيرة.

وكان **الأوروبيون** ومن معهم من **اليهود والروس** يباركون أي انفصـال لأي جزء من البلاد المسلمة، ويعملون لذلك جهدهم لأنه سيعينهم في مؤامرتهم الدنيئة لإسقاط الخلافة الإسلامية.

وكان المهدي يرسل الرسائل إلى **السلطان عبد الحميد** يعلنه فيها أنه هو المهدي، الذي ينبغي أن ينصاع له المسلمون، وأنّ دولة الخلافة ينبغي أن تنتقل إلى مكة. وحروبه التي اصطدم فيها مع إخوانه المصريين تشعر بهذا الموقف العدائي، وموقفه هذا من دولة الخلافة كان سببًا في إضعاف حركته من جهة استمرارها وشرعيتها، وعونًا للاستعمار المتربص لدولة الخلافة الدوائر.

ولقد حاول **السلطان عبد الحميد أن يخضع الحركة لسلطته** ويعيدها إلى خطها السليم، وهو معاداة الإنجليز فحسب، وتقوية دولة الخلافة في العمل باسمها في إفريقيا لتتوحد الجهود بين السنوسي في شمالي إفريقيا والمهدي في وسطها وجنوبها. وكانت **إنجلترا** تستنكر خطط السلطان عبد الحميد للتدخل، لأنه ليس من مصلحتها –حقيقة- إخماد الثورة ما دامت تؤدي إلى إضعاف مركز دولة الخلافة، وهذا ما يجعل نجاح الثورة أخف ضررًا بالنسبة لإنجلترا من إخمادها بقوة واسم دولة الخلافة الإسلامية. وذلك لا نستبعد إطلاقًا أن يكون الإنجليز وراء توسيع الثورة وتصعيدها وتهيأة سبل وصولها إلى غايات أكبر من حجمها وبسرعة فائقة، مع أننا لا نغالي كما يذهب البعض إلى أن الحركة المهدية برمّتها من عمل الإنجليز، لكن استفادة الإنجليز من خلال موقف الحركة من دولة الخلافة أمر وارد.

ولقد أشار السياسي الكبير السلطان عبد الحميد في مذكراته لهذا كله، فقال: (إن السياسة التي يتبعها اللورد كرانفيل **تجاه الدولة العثمانية** ليست مرْضية، وقد أثارت أحداث السودان (ثورة المهدي ١٨٨٣-١٨٨٤م) صدى واسعًا في الجزيرة العربية، وكان من المقرر أن نقوم بالتدخل العسكري ليعتد –أي ليعود- إلى المهدي صوابه ولنحافظ على سيادتنا في هذه البلاد. واتفقنا في هذا الشأن مع شريف (وزير شؤون مصر)، كما وافقنا الخديوي على هذا الرأي، لكن إنجلترا استنكرت هذا التدخل، مثلما فعلته سنة ١٨٨٠م عندما أزمعنا على إخماد الثورة التي قام بها عرابي باشا في مصر. أما بارتلمي سانت هيلاف فكان يخشى أن أستعمل صلاحياتي في مصر **كخليفة للمسلمين**، لأن نفوذه في شمالي إفريقيا، وفي تونس على وجه الخصوص، سيكون في خطر، ولهذا تعمد ارتكاب الخطأ الكبير في الوقوف إلى جانب إنجلترا في سياستها تجاه مصر، أما اليوم فالتاريخ يعيد نفسه في السودان. إن سياسة الإنجليز في مصر تتلخص في زيادة نفوذ المهدي كزعيم ديني على حسابنا، والحط من شأننا في الولايات العربية توطئة للقضاء على حكمنا فيها. مذكرات السلطان عبد الحميد ص ١١٩

ولا شك أن كلام السلطان عبد الحميد يدل على بعد نظر للسياسة التي ينبغي أن تسير عليها تلك الحركات الإسلامية كالحركة المهدية، التي كان عليها أن تصب في رصيد دولة الخلافة وتعمل باسمها، لترتفع هيبتها ومكانتها في نفوس الشعوب المسلمة فتستعيد تلك المكانة التي تريد إنجلترا وأعوانها القضاء عليها.

السلطان عبد الحميد الثاني وحركة الجامعة الإسلامية[1]

لقد سار **عبد الحميد الثاني** على سياسة إسلامية إبَّان حكمه. وكان الدافع لهذه السياسة الإسلامية يرمي إلى تقوية مركز عبد الحميد في داخل الدولة العثمانية وخارجها، **وذلك باستخدام الدين لمقاومة معارضيه في الداخل، ومواجهة أعدائه في الخارج**، بإبراز السمات الدينية لمنصبه وإحياء الخلافة الإسلامية وتقويتها بشخصه كزعيم لكل المسلمين، وبذلك يستغل الشعور الديني عند ملايين المسلمين في الإمبراطورية، حتى يضمن ولاءهم في مواجهة التيار الفكري عند التقدميين من رعايا الإمبراطورية المتأثرين بالثقافة الغربية، ثم **إذابة جميع القضايا القومية العربية والكردية** وغيرها وإغراق هذه القضايا في خضم العالم الإسلامي وسياسة الخلافة والجامعة الإسلامية في الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية تفقد ممتلكاتها في البلقان الواحدة تلو الأخرى.

أما من الناحية الخارجية، فإن هذه السياسة الإسلامية تعد سلاحًا للضغط على الدول الأجنبية، **بإثارة المسلمين الخاضعين لفرنسا في شمالي إفريقيا ومسلمي الهند الخاضعين لبريطانيا، والتتر الخاضعين لروسيا القيصرية**. وقد حظيت هذه السياسة بتأييد الإمبراطور فلهلم الثاني إمبراطور ألمانيا الذي أراد استغلال الأتراك في القتال ضد دول الوفاق في الحرب العالمية الأولى.

والحقيقة أن العالم الإسلامي كان يموج منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي بحركات دينية قوية جاءت كرد فعل لحركة الاستغراب في الشرق، وكرد فعل لاعتداءات الدول الأوروبية على بعض أجزاء من العالم الإسلامي. ومن هذه **الحركات الحركة السلفية (الوهابية)** في شبه الجزيرة العربية، و**الحركة السنوسية في شمالي إفريقيا، والمهدية في السودان**.

الجامعة الإسلامية

لم تظهر فكرة الجامعة الاسلامية، في معترك السياسة الدولية إلا في عهد السلطان عبد الحميد، وبالضبط بعد ارتقاء السلطان عبدالحميد عرش الدولة العثمانية سنة ١٨٧٦م. فبعد أن ألتقط السلطان عبدالحميد أنفاسه وجرد المتأثرين بالفكر الأوروبي من سلطاتهم، وتولى هو قيادة البلاد، قيادة حازمة اهتم السلطان عبدالحميد بفكرة الجامعة الاسلامية وقد تكلم في مذكراته عن ضرورة العمل على تدعيم أواصر الأخوة الإسلامية بين كل مسلمي العالم في الصين والهند وأواسط أفريقيا وغيرها، وحتى إيران وفي هذا يقول: (عدم وجود تفاهم مع إيران أمر جدير بالتأسف عليه وإذا أردنا أن نفوّت الفرصة على الإنجليز وعلى الروس فإنا نرى فائدة تقارب إسلامي في هذا الأمر) وتحدث عن علاقة الدولة العثمانية بإنجلترا التي تضع العراقيل أمام الوحدة العثمانية يقول عبدالحميد الثاني:

(الإسلام والمسيحية نظرتان مختلفتان، ولايمكن الجمع بينهما في حضارة واحدة) لذلك يرى أن (الإنجليز قد أفسدوا عقول المصريين، لأن البعض أصبح يقدم القومية على الدين. ويظن أنه يمكن مزج حضارة مصر بالحضارة الأوروبية، وإنجلترا تهدف من نشر الفكر القومي في البلاد الاسلامية إلى هز عرشي ...).

د. علي الصلابي: الدولة العثمانية، ص٤٤٢.

١- د. إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص ١٩٧ - ٢٠٣.

مجلس المبعوثان

هو البرلمان العثماني أو المجلس النيابي، أسسه السلطان عبد الحميد، فأجريت انتخابات عامة لأول مرة في التاريخ العثماني، وأسفرت عن تمثيل المسلمين في مجلس المبعوثان بـ٧١ مقعدًا، والمسيحيين بـ٤٤ مقعدًا، و٤ مقاعد لليهود. واجتمع البرلمان رسميًا في ٤ ربيع الأول ١٢٩٤هـ/١٩ مارس ١٨٧٧م في حفل كبير أقيم في قاعة الاحتفالات في قصر ضولمة باشي. بدأ المجلس عمله في جد ونشاط، وناقش بعض المشروعات، مثل: قانون الصحافة، وقانون الانتخابات، وقانون عدم مركزية الحكم، وإقرار الموازنة العامة للحكومة.

لم تطل الحياة النيابية كثيرًا، حيث لم تزد عن ١١ شهرًا من تاريخ انعقاده، أصدر بعدها السلطان عبد الحميد قرارًا بتعطيل المجلس في ١٣ صفر ١٢٩٥هـ/١٤ فبراير ١٨٧٨م، واستمر هذا التعطيل زهاء ٣٠ عامًا لم تُفتح خلالها قاعة البرلمان مرة واحدة. قبل أن يصدر السلطان عبد الحميد الثاني في ٢٣ جمادى الآخر ١٣٢٦ هـ/ ٢٣ يوليو ١٩٠٨م قرارًا بإعادة العمل بالدستور، وإعادة النشاط النيابي، فأجريت انتخابات أخرى موسعة، حيث انتخب نواب من أقاليم لم تكن ممثلة في الدورة الأولى. كان (مجلس المبعوثان) يتم اختيار أعضائه عن طريق إجراء انتخابات عامة في أنحاء الدولة والأقاليم، يمثل كل نائب ٥٠ ألف فرد من رعايا الدولة الذكور، ومدة العضوية ٤ سنوات.



السلطان عبد الحميد الثاني في مجلس النواب العثماني (مجلس المبعوثان).



ولد جمال الدين سنة ١٨٣٩م/١٢٥٤هـ، في أسد آباد إحدى مدن بلاد الأفغان، ووالده السيد صفتر الحسينية، ويرتقي نسبه إلى عمر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن هنا جاء التعريف عنه بالسيد جمال الدين الأفغاني. يؤكد العلامة مصطفى جواد أن جمال الدين الأفغاني يعد من أهم الشخصيات الأفغانية.

يقول د. علي الصلابي: إن جمال الدين الأفغاني أمره محير، فهناك من يدافع عنه وهناك من يتهمه بالعمالة والانضمام الى المحافل الماسونية، فمثلاً، كتاب دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام للمؤلف مصطفى فوزي عبد اللطيف غزال يرى أنه كان من عوامل الهدم في الأمة في تاريخها الحديث، أما كتاب جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه للدكتور محسن عبدالحميد فيراه من المصلحين. الدولة العثمانية، ص ٤٤٨.

غير أن الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، شهد تيارًا فكريًا إسلاميًا وهو (الجامعة الإسلامية) على يد ... الفيلسوف السياسي **جمال الدين الأفغاني** (١٢٥٥ – ١٣١٥هـ / ١٨٣٩ – ١٨٩٧م)، وتبعه في نفس الخط مجموعة من المفكرين منهم **عبد الرحمن الكواكبي** (١٢٦٦ – ١٣٢١هـ / ١٨٤٩ – ١٩٠٣م) و**محمد عبده** (١٢٦٦ -١٣٢٣هـ/ ١٨٤٩ – ١٩٠٥م) **ورشيد رضا** (١٢٨٢ – ١٣٥٤هـ / ١٨٦٥ – ١٩٣٥م) وغيرهم من المفكرين. وبرغم أن هذه الحركة هي امتداد للحركات الدينية السابقة، إلا أنها تعد من الحركات الفكرية التي تناولت المشكلات الدينية والدنيوية في الشرق بكل شفافية.

وكانت الدوافع التي دفعت جمال الدين الأفغاني للقيام بهذه الحركة هي الأخطار التي كانت تحيط بالعالم الإسلامي من الزحف الاستعماري الغربي في هذه الحقبة الزمنية، لذلك فإنه أخذ يدعو إلى تقوية الحكومات الإسلامية وتوحيدها في حكومة واحدة مع إدخال الأفكار والنظم الغربية التي هي سر قوة الغرب إلى الدولة الإسلامية، حتى تواجه هذه الأخطار بنفس السلاح من العلم والتقدم في النواحي الاجتماعية، والرد على دعاة الغرب الذين يرون الدين الإسلامي بأنه غير قابل لاستيعاب روح العصر. **فالأفغاني يدعو جميع المسلمين إلى الالتفاف حول الخلافة الإسلامية التي تتمثل في آل عثمان.** لذلك فإن حركة الجامعة الإسلامية تختلف عن الحركات الدينية السابقة في دعوتها بالالتفاف حول الدولة العثمانية وتقويتها في مواجهة الاستعمار الغربي.

وقد كوَّن الأفغاني جمعية سرية دخل فيها مجموعة من الأعضاء المسلمين من الدول الإسلامية والغير إسلامية، سميت (جمعية العروة الوثقى)، وقد أصدرت الجمعية في باريس صحيفة بهذا الاسم، ولم يظهر منها سوى ثمانية عشر عددًا بين (١٣ مارس ١٨٨٤م – ١٣٠٢هـ و ١٧ أكتوبر من نفس العام).

ويبدو أن الأفغاني قد مر بمراحل فكرية : أولى هذه المراحل عندما كان يرفض إعطاء أي وزن للفكر القومي والخصائص القومية، مكتفيًا بوحدة العقيدة . وفي هذه المرحلة نجد الكثير من عباراته التي ظهرت في مجلة (العروة الوثقى) مثل عبارات (غناء الإسلام عن القومية) و (لا جنسية للمسلمين إلا في دينهم). وأن رابطة المسلمين الملية أقوى من الرابطة العنصرية واللغوية.

أما المرحلة الثانية لآراء الأفغاني، فهي المرحلة التي أخذ يقدر فيها الرابطة القومية فصار يعد اللغة المشتركة والرابطة الدينية، عنصرين جوهريين من عناصر الرابطة القومية. وقد اهتم باللغة العربية بصفتها لغة الدين الإسلامي واللغة التي نزل بها القرآن، ووجه نداء إلى الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد الثاني بأن يجعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية، كما طلب من الأتراك أنفسهم أن يستعربوا فتتكون قومية واحدة من العرب والأتراك لها خصائص واحدة مشتركة، هي رابطة اللغة ورابطة الدين.

وعندما رأى الأفغاني صعوبة تكوين دولة إسلامية واحدة، لجأ إلى أسلوب جديد وهو (الحلف الإسلامي) ليتمشى مع الحركات التقدمية داخل المجتمع الإسلامي، وكان يدعو إلى هذا الحلف بزعامة أكبر وأقوى دولة إسلامية وهي **الدولة العثمانية**. فكانت خطته تتضمن تحويل الإمبراطورية إلى (مملكة الممالك) بتنظيمها على أساس لا مركزي، وذلك بتحويل الولايات إلى (خديويات) أي على نمط الخديوية المصرية. وبمعنى آخر الاعتراف بالسيادة الاسمية للخلافة العثمانية، فإذا قويت هذه الخديويات، فإن سرعان ما تنضم إيران وأفغانستان والهند، ويصبح الإسلام قوة عنيدة، يرهب الغرب جانبها، وتهدأ ثائرته على الإسلام.

وكان الأفغاني معجبًا بالنظام الدستوري، فكان يرغب بأن يكون الاتحاد الإسلامي اتحادًا دستوريًا، أي توعية الشعوب الإسلامية بمزايا النظام الدستوري، حتى ترغم حكامها على وضع الدستور، حتى لا يكون منحة من حكامها، فإن الشرق لا يحيا بدوله وإماراته إلا إذا أتاح الله لكل منها رجلًا قويًا عادلًا، لا مستبدًا عادلاً، لأن الاستبداد يتنافى مع العدالة.

ولكن هذه المفاهيم التي نادى بها جمال الدين الأفغاني لم تلق الاستجابة لدى السلطان عبد الحميد الثاني، فالاتفاق بينهما حول توحيد المسلمين أصبح أمرًا متعذرًا، ويبدو أن الأفغاني كان متأثرًا بمبادئ **الثورة الفرنسية** فمزجها بمبادئ الإسلام وهذا ما جعل السلطان عبد الحميد الثاني يختلف معه بشأن هذه التفصيلات.

أما **السلطان عبد الحميد الثاني** فقد أخذ يستغل دعوة الأفغاني في توحيد العالم الإسلامي والالتفاف حول الخلافة العثمانية من ناحية، والحج إلى بيت الله الحرام في مكة والمدينة من ناحية ثانية، لأن دعوة الأفغاني ترتكز على ثلاث دعائم هي :

١- الرابطة الإسلامية. ٢- رابطة الحج. ٣ - رابطة الخلافة.

وبخصوص الخلافة فقد أخذ السلطان عبد الحميد يعيد هيبة الخلافة في شخصه، وأخذ يضفي على حياته الخاصة الكثير من مظاهر التقوى والورع والتخلي عن كثير من الأعمال المنافية للدين التي كان يعملها أسلافه، كما أحاط نفسه برجال الدين، واستصرخ المسلمين في كافة أنحاء العالم إلى الالتفاف حوله. كما أنشأ مدرسة للوعظ لتدريب المبعوثين الذين أخذ يوفدهم إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي للدعاية لفكرته الإسلامية، كما أخذ يبذل المساعدات المالية بسخاء للمدارس الدينية في داخل الدولة وخارجها، إلى جانب تسخير الصحافة للدعاية لهذه السياسة.

أما الركن الآخر من أركان سياسة عبد الحميد الثاني الإسلامية، وهو الحج فقد دفع شريف مكة لنشر الدعوة بين الحجاج، كما اهتم بإنشاء الخط الحديدي الحجازي بين دمشق والمدينة ومكة، وذلك

لتسهيل طريق الحج. وقد عهد عبد الحميد إلى **الخبراء الألمان** في تنفيذ هذا المشروع الذي بدأ العمل به في سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م، وانتهى في سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، حيث **احتفل بوصول هذا الخط إلى المدينة المنورة** إلا أن سياسة السلطان عبد الحميد الثاني إزاء هذا المشروع كانت ذات شقين.

أولاً: الوقوف أمام الرأي العام الإسلامي بمظهر الخليفة الذي يرعى الشؤون الإسلامية، فيجذب إليه القلوب، وقد نجح عبد الحميد في كسب عطف المسلمين بتأييد هذا المشروع والذين أخذوا يتسابقون في التبرع لإنشائه.

ثانيًا: أن تنفيذ هذا المشروع ذو قيمة إستراتيجية في سياسة السلطان عبد الحميد الثاني عامة، فإن المشروع يوطد حكمه في بلاد الشام والجزيرة العربية. إذ سوف يكون هذا الخط وسيلة سريعة لنقل الجيوش وتحركها داخل ولايات الدولة العثمانية.

وفي إطار سياسته الإسلامية، اهتم السلطان عبد الحميد الثاني بالعرب، وذلك لأن بلاد العرب تضم أهم الأماكن المقدسة (مكة، المدينة، القدس)، وهم أصحاب الرسالة وبلغتهم نزل القرآن. لذلك قام بتزيين وإصلاح المساجد في مكة والمدينة والقدس، وأخذ يقرب منه بعض الشخصيات العربية، منهم أبو الهدى الصيادي، من الأشراف بحلب، وعزت باشا العابد من دمشق واللذين جعلهما مستشارين له، وكذلك الأخوين: نجيب وسليم ملحمة، **وهما مارونيان** ومن أقرب الناس للسلطان.

ومما قاله جمال الدين الأفغاني في السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان يجالسه كثيرًا ما يلي: (إن السلطان **عبد الحميد** لو وزن بأربعة من نوابغ رجال العصر لرجحهم: ذكاء ودهاء وسياسة، خصوصًا في تسخير جليسه ... ولا عجب إذا رأيناه يذلل ما يقام في ملكه من الصعاب من دول الغرب، ويخرج المناوئ له من حضرته راضيًا عنه وعن سيرته مقتنعًا بحجته، سواء في ذلك الملك والأمير والوزير والسفير).



ونظرًا لأهمية الناتج عن أداء فريضة الحج واجتماع أكبر عدد من مسلمي العالم، **واستغلاله لبث دعاية الجامعة الإسلامية بين الحجاج**، وما كانوا يقومون به في أثناء عودتهم من نشر لأفكار الجامعة الإسلامية. تنبهت السلطات الاستعمارية في ديار العالم الإسلامي إلى خطورة الحج وتأثير نتائجه على مصالحها الاستعمارية، فحاولت السلطات البريطانية تعطيل قافلة الحج، أو التقليل من عدد المشاركين فيها على الأقل، باسم الاحتياطات الصحية تارة، وبرفع الضرائب على المشاركين في الحج تارة أخرى، وعطلت السلطات الفرنسية في شمالي إفريقيا الحج في أعوام ١٨٩٩م، ١٩٠٠م، ١٩٠١م، كما منعت روسيا رعاياها من المسلمين سنة ١٩٠٢م من أداء فريضة الحج. أحمد فهد بركات الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، ص ١٨٠.



القطار البخاري في عنفوان أمجاد أيام الدولة العثمانية

المؤسس	السلطان العثماني عبد الحميد الثاني
سنة التأسيس	١ من المحرم ١٣١٨هـ ١٩٠٠م
الرحلة الأولى	انطلقت من دمشق في ٢٢ آب ١٩٠٨م
الوجهة	**الديار المقدسة لإداء فريضة الحج**
مدة الرحلة	خمسة أيام بدلاً من ٤٠ يوماً
بداية الطريق	دمشق ثم المرور على بعض المحطات لتنتهي في المدينة
طول الخط	١٣٢٠كم
المحطات الرئيسة	محطة الحجاز (دمشق) - درعا - نابلس - محطة الزرقاء - محطة عمّان - حيفا - معان - تبوك - مدائن صالح - المدينة النبوية « المنورة ».
سنوات الخدمة	تسع سنوات
أسباب التوقف	تعرضها للتخريب أواخر الحرب العالمية الأولى ١٩١٦م

خارطة مسار خدمة خط حديد الحجاز التاريخي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني



خريطة تاريخيـ
عثمانية تبين مشرو
خط سكة حديـ
الحجاز.

لم تستطع الحكومـ
العثمانية مد خـ
سكة الحديد إلى مكـ
لمعارضة بعضـ
القبائل من حرمانها
من فائدة نقل الحجاج
من المدينة إلى مكـ
عبر الجمال.

▲ بدايات العمل في مد سكة حديد الحجاز - العثماني

مجموعة من قاصدين الحج في انتظار القطار ▼

مؤلف ومصمم الأطلس أمام إحدى عربات القطار العثماني في مدائن صالح والتي تؤكد على حرص السلطان عبد الحميد الثاني على رابطة الجامعة الإسلامية

إيصال تبرع عثماني خاص بدعم خط سكة حديد الحجاز سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م في عهد السلطان العثماني عبدالحميد الثاني رحمه الله.

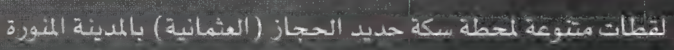




مدائن صالح إحدى المحطات التي بنيت على طريق السكة الحديدية العثمانية وتقع إلى الشمال مباشرة من مدينة العُلا







لقطات متنوعة لمحطة سكة حديد الحجاز (العثمانية) بالمدينة المنورة

صورة لحجاج بيت الله الحرام على جبل عرفة موسم حج ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م. تصوير صادق بك من مجموعة ألبومات يلديز للسلطان عبد الحميد الثاني


المحمل العثماني

استخدم **العثمانيون** تعبير (المحمل النبوي الشريف) أو (الصرّة النبوية) حيث كان السلطان يقوم في كل موسم من مواسم الحج بإرسال الهدايا والذخائر الكثيرة إلى مكة والمدينة.

وكان موكب المحمل النبوي الشريف مع قافلة الحجاج العثمانيين ينطلق نحو الأراضي المقدسة كل عام في اليوم الثاني عشر من شهر رجب. ثم يمكث المحمل الشريف والحجاج في دمشق طوال شهر رمضان المبارك ومنها يتجه إلى مكة المكرمة، وهناك يتم توزيع الهدايا والتبرعات والذخائر إلى الأهالي. وبعد إتمام الفريضة يقوم المحمل الشريف مع الحجاج بتهيئة أنفسهم للعودة إلى **أستنبول**.



مستشفى منى في المشاعر المقدسة يتسع لـ ٤٠ سريرًا أنشئ من قبل المقدم د. نوري بك تم الانتهاء من بنائه سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م

المسجد الحرام في **العهد العثماني** ويبدو في الخلف على قمة الجبل مسجد بلال، تصوير، ميرزا، حوالي سنة ١٣٠٧هـ ١٨٨٩م.

مصدر الصورة (مكة المكرمة والمدينة المنورة) صور نادرة «نماذج من مقتنيات مكتبة الملك عبد العزيز العامة» ١٤٢٧هـ

النزعتان القومية والعلمانية في الدولة العثمانية

كان **الشباب العثماني** المثقف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي قد تأثر بأفكار الثورة الفرنسية، التي حققت حكمًا ديمقراطيًا في فرنسا **وأتت بأفكار القومية والعلمانية** والتحرر من حكم الفرد، وكذلك تأثر بالحركة القومية الإيطالية التي قادها (ماتزيني) بنظمها وخلاياها، وكانت الدولة العثمانية قد تعرضت لحملات عسكرية وإعلامية، غرضها إضعاف الدولة ومن ثم العمل على تفتيتها وكانت الدول الأوروبية تتخذ من أوضاع النصارى في الدولة حجة للتدخل في شؤون الدولة العثمانية.

المرحلة الأولى:

في سنة ١٨٦٥م، خرج ستة من الشباب العثماني المثقف في ضواحي أستنبول في (غابة بلغراد) بفكرة تكوين **جمعية سرية**، على نمط جمعية (إيطاليا الفتاة) التي أسسها الزعيم الإيطالي (ماتزين) سنة ١٨٣١م، بهدف الوحدة الإيطالية تحت راية الجمهورية، أطلق هؤلاء الشباب على جمعيتهم هذه اسم (اتفاق الحميّة) ومن ضمن هؤلاء الشبان الشاعر الذي أصبح فيما بعد واسع الشهرة: **نامق كمال**. ورأوا أن العمل لابد أن يكون في شكل تعريف الشعب بحقوقه السياسية، وكان في فرنسا في تلك المدة مصطفى باشا الأمير المصري الذي نازع فؤاد باشا رغبة في تولي عرش مصر وفي فرنسا أعلن الأمير أنه ضمن التيار المنادي بالدستور في الدولة العثمانية، وقدم نفسه بعبارة ممثل حزب **تركيا الفتاة** وأعجب هذا الاسم المجتمعات الأوروبية المعنية فشاع اسم "حزب تركيا الفتاة" في أوروبا.

التحق ثلاثة من الإعلاميين الثوريين العثمانيين هم : نامق كمال، ومحمد ضياء وعلي سعاوي، بالأمير المصري مصطفى فاضل في باريس وكونوا منظمة أسموها جمعية "**العثمانيين الجدد**".

المرحلة الثانية:

في سنة ١٨٨٩م تأسست منظمة طلابية في المدرسة العسكرية الطبية في أستنبول، حيث كان بعض الأساتذة هناك يحرضون الطلاب بشكل أو بآخر للقيام بمعارضة الحكم، ونشر أفكار العثمانيين الجدد بين الطلاب، وكان المؤسس لهذه المنظمة **إبراهيم تيمو** الروماني الذي تأثر بالمحافل الماسونية الإيطالية. وأطلق على هذه المنظمة **الاتحاد العثماني** واختاروا يوم الاحتفال بذكرى الثورة الفرنسية المئوية، تاريخًا لإنشاء منظمتهم وجعلوا من أهدافهم **مقاومة حكم السلطان عبدالحميد**، وتكوين دولة مناسبة لأفكار العصر السياسية، تتخذ من الدول الغربية نموذجًا لها، مثل إنجلترا وفرنسا ألمانيا، والمناداة بالدستور والحرية والديمقراطية.

ومن المدرسة العسكرية الطبية، سرت أفكار جمعية **(الاتحاد العثماني)** إلى مختلف المدارس العليا الأخرى. وكانت خلايا جمعية الاتحاد هذه سرية على نظام جميعة (الكاربوناري) الإيطالية.

المرحلة الثالثة:

نتيجة **للمراسلات السرية** بين أعضاء جمعية الاتحاد العثماني السرية في الداخل وفي الخارج تم الاتفاق على وحدة العمل العسكري والمدني ضد السلطان عبد الحميد، وعلى اعتماد اسم **(جمعية الاتحاد والترقي)** للجناحين المعارضين، **العسكري والمدني**، اللذين يعملان في إطار الجمعية.

أخذ أحمد رضا كلمة (الترقي) استلهامًا من دستور "كانت" واحتفظ العسكريون بمسمى (الاتحاد)، واتفق الجميع أن تكون جمعيتهم باسم **(الاتحاد والترقي)**.

لقد تغلغلت خلايا (الاتحاد والترقي) في وحدات الجيش، وبين موظفي الدولة من المدنيين، واتحدوا في العمل الموحد بعد اتفاق جناحيهما العسكري والمدني في باريس، للعمل الفعلي ضد السلطان عبدالحميد. واستطاعت الجمعية بالفعل إجبار السلطان في ٢٤ يوليو ١٩٠٨م على إعلان الدستور الذي كان قد أمر سابقًا سنة ١٨٧٧م بوقف العمل به.

وكان الفكر السياسي لجمعية الاتحاد والترقي يؤكد على المفاهيم **الطورانية** على المستويين الداخلي والخارجي.

الطورانية وتطوراتها

الطورانية أو البانطورانية : حركة سياسية قومية ظهرت بين الأتراك العثمانيين أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، هدفت إلى توحيد أبناء العرق التركي الذين ينتمون إلى لغة واحدة وثقافة واحدة. واللفظ مأخوذ من «طوران»، إقليم يكتنفه الغموض في وسط آسيا، وهو عندهم مهد الشعوب التركية التي انتقلت غربًا في مرحلة تاريخية معينة واستقرت في إقليم الأناضول. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، المكتبة الشاملة، النسخة الرقمية.

ظهور الحركة : ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي الذي تميز بظهور الحركات القومية في أوروبا وقيام بعض الدول والفيدراليات على أسس قومية، وكان أول ظهورها عند **المهاجرين الأتراك** الذين قدموا من الإمبراطورية الروسية تحت وطأة سياسة التنصير التي أخذت تطبقها روسيا القيصرية عنوة بدءًا من سنة ١٨٣٠م، فكان من البدهي أن توجه هذه الشعوب أنظارها إلى أستنبول التي كانت مركز الخلافة الإسلامية.

وفي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي؛ أسس عِلْمَ الدراسات التركية مستشرقون أوربيون أشهرهم المجري **أرمينوس فامبيري**، وكانت دراسات هؤلاء المستشرقين للشعوب الطورانية تنصب على **أصل الأتراك وتاريخ لغاتهم ولهجاتهم وحضارتهم القديمة**، ولاسيما أنهم كانوا منجذبين نحو فكرة توحيد شعوبهم المضطهدة وإعادة إحياء الماضي الزاهي، وهذا ما جعل الدولة العثمانية محط أنظارهم. وفي سنة ١٨٧٩م أنشأ الصحفي التتاري **إسماعيل كاسبرينسكي** في بغجه سراي جريدة ترجمان، التي تعد **الشرارة الأولى** في مسألة بعث القفقاس وتتاريا. وبدأت المراحل الأولى لليقظة القومية بالظهور عن طريق البعث الأدبي، وكان الشيخ شهاب الدين المرجاني رائد هذه الحركة الأدبية، وتابع عمله كل من عبد القيوم الناصري وإسماعيل كاسبرينسكي وزوجته.

وفي سنة ١٨٩٥م بدأت حقبة جديدة في الأدب التتري من خلال ما عُرِفَ بأدب إيدلي، الذي يُعَدُّ الأدب الحقيقي **للحركة الطورانية**، وانطلاقًا من هذا التاريخ بدأ أدباء وشعراء عديدون يتداولون توعية الشباب قوميًا وعرقيًا، فتأسس أدب شعبي قومي تطور سريعًا، وخاصة بعد الثورة الروسية، وأدى إلى ازدهار حقيقي في العلوم والمسرحيات الوطنية والتاريخ والشعر والقصة.

وفي سنة ١٨٩٧م نشر محمد أمين قصيدته المشهورة «أنا تركي» التي بشرت بانقلاب جديد **بالتحول من العثمانية إلى التركية ثم التعظيم العرقي**، كما أدى كتاب «مدخل إلى تاريخ آسيا، الترك والمنغوليون منذ نشأتهم حتى سنة ١٤٠٥م» للفرنسي ليون كاهون دورًا كبيرًا، وهذا الكتاب رواية تمجد جنكيز خان وفتوحاته وآرائه التي تؤكد على إدخال العالم تحت سيطرة السيادة المغولية. الموسوعة العربية العالمية، مج ١١، ص ٦٣٩.

وكان لأعمال المستشرقين الأثر الكبير في إحساس الأتراك بقوميتهم. كما أوعزوا إليهم **فكرة أنهم أتراك قبل أن يكونوا عثمانيين أو مسلمين**. وسرعان ما آتت جهود المستشرقين ثمارها إذ قام أحمد وفيق باشا سنة ١٨٧٦م بإصدار قاموس يسمى لهجة عثماني تناول في مقدمته اللغة التركية وجذورها. ثم كتب سليمان باشا (تاريخ عالم) مرددًا فيه ما ذكره الباحثون الغربيون عن الأصول التركية، وبرغم ذلك لم تظهر كلمة تركي في أي من هذه المؤلفات وذلك لأن سياسة السلطان عبد الحميد لم تكن لتسمح بفصل ما هو تركي عما هو عثماني. المرجع السابق.

نشوء الفكر القومي العربي

تشكلت القومية العربية مع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين (عصر القوميات). وكان من رواد حركة القومية العربية مفكرون من أمثال: قسطنطين زريق وساطع الحصري وزكي الأرسوزي وعبد الرحمن عزام ومحمد عزة دروزة. تجلت القومية العربية في أوجها بالثورة العربية الكبرى التي قادها **الشريف حسين من مكة**، لكن الآمال المعقودة على الحصول على دولة الوحدة تقوضت بأسرها بعد عقد فرنسا وبريطانيا اتفاقية **سايكس بيكو** التي قسمت إرث الخلافة العثمانية وبخاصة المشرق العربي.

أهم الجمعيات ذات التوجه القومي حسب التسلسل التاريخي:

- الجمعية السورية: أسسها نصارى منهم: بطرس البستاني وناصيف اليازجي سنة ١٨٤٧م في دمشق.
- الجمعية السورية في بيروت: أسسها نصارى منهم: سليم البستاني ومنيف خوري سنة ١٨٦٨م.
- الجمعية العربية السرية: ظهرت سنة ١٨٧٥م ولها فروع في دمشق وطرابلس وصيدا.
- جمعية حقوق الملة العربية: ظهرت سنة ١٨٨١م ولها فروع كذلك، وهي تهدف إلى وحدة المسلمين والنصارى.
- جمعية رابطة الوطن العربي: أسسها نجيب عازوري سنة ١٩٠٤م بباريس وألف كتاب يقظة العرب.
- جمعية الوطن العربي: أسسها خير الله خير الله سنة ١٩٠٥م بباريس، وفي هذه السنة نشر أول كتاب قومي بعنوان الحركة الوطنية العربية.
- الجمعية القحطانية: ظهرت سنة ١٩٠٩م وهي جمعية سرية من مؤسسيها خليل حمادة المصري.
- جمعية (العربية الفتاة): أسسها في باريس طلاب عرب منهم محمد البعلبكي سنة ١٩١١م.
- الكتلة النيابية العربية: ظهرت سنة ١٩١١م.
- حزب اللامركزية: سنة ١٩١٢م.
- الجمعيات الإصلاحية: أواخر ١٩١٢م وقد قامت في بيروت ودمشق وحلب وبغداد والبصرة والموصل و تتكون من خليط من أعيان المسلمين والنصارى.
- المؤتمر العربي في باريس: أسسه بعض الطلاب العرب سنة ١٩١٢م.
- حزب العهد:١٩١٢م وهو سري، أنشأه ضباط عرب في الجيش العثماني.
- جمعية العلم الأخضر: سنة ١٩١٣م، من مؤسسيها الدكتور فائق شاكر.

يعد **ساطع الحصري** ١٨٨٠-١٩٦٨م داعية القومية العربية وأهم مفكريها وأشهر دعاتها، وله مؤلفات كثيرة تعد الأساس الذي تقوم عليه فكرة القومية العربية، ويأتي بعده في الأهمية **ميشيل عفلق**.

العربية الفتاة: هي جمعية سياسية قومية عربية سرية أنشأها مجموعة من الطلاب العرب في باريس سنة ١٩٠٩م. أثرت هذه الجمعية على الفكر القومي العربي ومهدت للمؤتمر العربي في باريس سنة ١٩١٣م.

كانت أهداف الجمعية في البدء هي المطالبة بالحقوق العربية في الدول تحت الحكم العثماني آنذاك ومنها حقوق اجتماعية وقومية. نشأت الجمعية كرد على جمعية الاتحاد والترقي التركية التي كانت تدعو إلى التتريك.

بعد الإعدامات التي طالت أعضاءها في سوريا على يد الوالي العثماني جمال باشا السفاح، طالبت الجمعية بالحكم الذاتي في الأقاليم العربية ثم ما لبثت أن طالبت بالاستقلال التام لكافة الأقاليم العربية.



صورة لأعضاء جمعية العربية الفتاة في بلودان



عدد ١ — يوم السبت في ٥ اب — سنة ١٨٧٦

الاهرام

(* ثمن الاهرام *)

في الاسكندرية عن سنة واحدة ثلاثة وعشرون فرنكا وعن ستة اشهر خمسة عشر فرنكا واثمانها في الخارج خالصة اجرة البوسطة بالصورة الآتية

	عن سنة فرنك	ستة اشهر فرنك
في مصر وسائر الارياف الخديوية	٢٥	١٦
في الاستانة العلية	٢٥	١٦
في سورية وسائر الممالك المحروسة	٢٥	١٦
في اوربا والجزائر وتونس	٣٠	١٧
في بمباي وكلكته	٣٠	١٧

ثمن كل نسخة من الاهرام ذات اربع صفحات نصف فرنك

(* مكاتبات الاهرام *)

جميع المكاتبات التي ترسل الينا متعلقة بالاهرام ينبغي ان تكون خالصة الاجرة باسم بشارة تقلا افندي نقلا محرر الاهرام ومحل ادارتها على شارع البورس امام بنك الرهونات

(* وكلاء الاهرام في الخارج *)

اسماء وكلاء الاهرام تذكر في احد الجرائد عند وجود محل ويمكن الحصول على الاهرام في الاماكن التي ليس بها وكلاء بارسال حوالة الى مديرنا او بارسال طوابع البوستة من اي نوع كان على قدر مدة الاشتراك

بالاسكندرية في يوم السبت ٥ اغسطس (اب) سنة ١٨٧٦ — الموافق ١٥ (رجب الفرد) سنة ١٢٩٣

هذا هو العدد الاول من السنة الاولى لجريدة الاهرام المرتية بعناية الحكومة السنية والمستعدة الاستعداد التام لان نجعل من يتصفح صفائحها واثقا بما يطالعه لانها تعاني البحث لتقف على الفوائد الصحيحة فتوفي بحقوق الجرائد وتكسب قبول الجمهور والاستقبال شاهد. فعلى اولي النبر والهمة مد المساعدة الادبية المتشبه المادية وذلك

ومتى بحثنا مدققين في الفرد الواحد عما هو في ذاته وقابلناه بالنسبة الى غيره لاح لنا من وراء الحجاب تلك الصفة الغريزية التي لا يخلو منها انسان ولا تحول عن احد فهي كقول من قال عادة في البدن لا يغيرها الا الكفن وان اردنا ان نعبر عن هذه الصفة بما يدل عليها تدعونا الافكار متسابقة الى التصريح بها بقولها حب الذات حب الذات

الى هدم الراحة ليستروا نبراس السلام بكثافة غيوم الحروب والقلاقل غير مبالين بما هنالك من تشويش الافكار وانقلاب مركبات الاعمال بتعطيلهم مسالكها التربية كانهم هم العالم وليس سواهم فترى اذ ذاك تغييرات شتى وانقلابات عديدة ومقاصد متنوعة ومذاهب مختلفة وتضعضعا مستمدا من حركات متجاذبة متدافعة فتلتزم

صورة العدد الأول من جريدة الأهرام المصرية ١٨٧٦/٨/٥م.

المؤتمر العربي الأول:

هو مؤتمر أقامه مجموعة من المفكرين والسياسيين والقوميين العرب في باريس في حزيران ١٩١٣م.

بعد الثورة التركية سنة ١٩٠٨م وزوال حكم السلطان عبد الحميد الثاني -رحمه الله- **وانتهاج مبدأ التتريك**، ازدادت الشعوب غير التركية تذمرًا وبدأت بالمطالبة باللامركزية والانفصال. كانت بعض الجمعيات والأندية العربية قد تكونت في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وكانت تطالب بالإصلاح وتدعو للقومية العربية حيث إن هذه المدة شهدت ما يسمى بالنهضة العربية.

أوضح **المؤتمرون** إدراكهم أن الإمبريالية الأوروبية تشكل خطرًا على **الولايات العربية العثمانية** حيث إن بعض الدول الأوروبية قد احتلت بالفعل عددًا من الأقطار العربية تشمل **مصر وليبيا وتونس والجزائر**، ويبدو أنها تتطلع لتقاسم البقية فيما بينها. بناءً على ذلك ترى الحركات القومية العربية أن سبيلها الأفضل هو البقاء في إطار الدولة العثمانية، لا في الخروج منها حيث إن قادة هذه الحركات كانت تعتقد أن الدولة العثمانية قوية بما يكفي لردع هذه الأطماع الإمبريالية، وأن الإمبراطورية نفسها لا تشكل خطرًا عليهم. إلا أن ذلك لم يمنعهم من تحديد بعض المشكلات في هذا الترتيب، بناءًا عليها وجد المؤتمرون أن تحقيق مطامحهم القومية يوجب إجراء إصلاحات في نظام الحكم وتحويله إلى نظام لا مركزي؛ لأن ذلك سوف يحقق مطمحين للطرفين (العرب والأتراك): المطامح العربية في التطور والازدهار والمطامح التركية في الإبقاء على الإمبراطورية.

انتهى المؤتمر بمجموعة من القرارات من أهمها المطالبة بالإصلاح وبالحكم الذاتي وباعتبار اللغة العربية لغة رسمية وغيرها من المطالبات المهمة.

خلع السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٩م

كان السلطان **عبدالحميد الثاني** شديد الحذر من جمعية الاتحاد والترقي المدعومة باليهود والمحافل الماسونية، والدول الغربية واستطاع جهاز مخابرات السلطان عبدالحميد أن يتعرف على هذه الحركة ويجمع المعلومات عنها؛ إلا أن هذه الحركة كانت قوية، وقد جاءت مراقبة عبدالحميد لأعضاء هذه الحركة في وقت متأخر، حيث دفعوا الأهالي إلى مظاهرات صاخبة في سلانيك ومناستر واسكوب وسوسن مطالبين بإعادة الدستور، بالإضافة إلى أن المتظاهرين هددوا بالزحف على القسطنطينية. الأمر الذي أدى بالسلطان إلى الرضوخ على مطالب المتظاهرين، حيث قام بإعلان الدستور وإحياء البرلمان وذلك في ٢٤ تموز ١٩٠٨م، وكانت هناك أسباب عدة جعلت من جميعة الاتحاد والترقي أن تبقي السلطان عبدالحميد الثاني في تلك المدة على العرش منها:

١- لم تكن في حوزة الاتحاد والترقي القوة الكافية بعزله في سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٨م.

٢- اتباع عبدالحميد الثاني سياسة المرونة معهم، وذلك بتنفيذ رغباتهم بإعادة الدستور.

٣- ولاء العثمانيين لشخص السلطان عبدالحميد. وهذه النقطة واضحة، حيث إن لجنة الاتحاد والترقي لم تكن لها الجرأة الكافية على نشر دعاياتها ضد السلطان عبدالحميد الثاني بين الجنود، لأن هؤلاء كانوا يبجلون السلطان.

إن الصهيونية العالمية لم تقتصر على الانقلاب الدستوري لسنة ١٩٠٨م، بل تعاونت مع جمعية الاتحاد والترقي لتحقيق مكاسب أخرى في فلسطين، وعليه كان لابد من التخلص من السلطان عبدالحميد الثاني نهائيًا، ولذلك دبرت أحداث **في ٣١ أبريل ١٩٠٩م** في أستنبول وترتب على أثرها، اضطراب كبير قتل فيه بعض عسكر جمعية الاتحاد والترقي؛ عرف الحادث في التاريخ باسم حادث ٣١ مارس.

وقد حدث هذا الاضطراب الكبير في العاصمة بتخطيط أوروبي يهودي، مع رجال الاتحاد والترقي وتحرك على إثره عسكر الاتحاد والترقي من سلانيك ودخل أستنبول، وبهذا تم عزل خليفة المسلمين السلطان عبدالحميد الثاني من كل سلطاته المدنية والدينية. ثم وجهت إليه جمعية الاتحاد والترقي التهم التالية[1]:

١- تدبير حادث ٣١ مارس. ٢- الإسراف. ٣- إحراق المصاحف. ٤- الظلم وسفك الدماء.

١- د. علي الصلابي، الدولة العثمانية،ص ٤٨٤؛ نقلًا عن (العثمانيون في التاريخ والحضارة ص ٥٠).



خريطة أوروبية معاصرة للسلطان عبد الحميد الثاني تصف تربص الدول الاستعمارية بأملاك الدولة العثمانية

وعلى الرغم من تبني جميعة الاتحاد والترقي العثمانية الأفكار الغربية المضادة للإسلام وللفكر الإسلامي؛ لكنها استغلت الدين عند مخاطبتها للناس للتأثير فيهم، وكسب أنصار لهم في معركتهم ضد السلطان عبدالحميد الثاني، وقد نجحوا في ذلك.

تقول الجمعية في بياناتها إلى العثمانيين: (أيها العثمانيون: إن مقصدنا هو سلامة الدولة والخلافة، ولم يعد أحد يجهل هذا)، (وبعون الباري وهمة الأخوان) و(أيها المسلمون: كفانا أن نقوم بدور المتفرج على سلطان جبار، عديم الإيمان، يسحق القرآن تحت أقدامه، وكذلك يسحق الضمير والإيمان) و(استيقظوا ياأمة محمد) و(الشجاعة الشجاعة يامسلمون الشجاعة منّا والعون من الله. نصر من الله وفتح قريب) و(أيها المسلم الموحد! اقرأ باسم ربك) و(انهض أيها المسلم الموحد! وانقذ دينك، وإيمانك من يد الظالمين. وانقذ بذلك نفسك! فهنا شيطان جبار يحمل فوق رأسه تاجًا. وفي يده دينك وإيمانك. فانقذ دينك منه وإيمانك أيها الموحد) و(يا أيها المسلمون: إن السلطان عبدالحميد -شرعًا- ليس بسلطان، ولا خليفة! ومن لايصدق قولنا هذا: فلينظر في الكتاب والسنة. لقد أبرزت جمعيتنا بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأوامر الله وأوامر الرسول الموجهة إلى الحكومة والأهالي. لكن السلطان عبدالحميد، أشاح بوجهه بعيدًا عن أوامر الله، وأوامر الرسول. ومن ثم: أثبت ظلمه ولم يخجل من الاعتراض على الله؛ لذلك ينبغي على شعبنا، أن يلجأ إلى السلاح ضده وإذا لم يفعل الشعب هذا، فليتحمل إذًا وزر ماعليه السلطان عبدالحميد من ظلم[١].

لقد كان الفكر الحاكم في اتجاهات جمعية (الاتحاد والترقي)، هو: الماسونية وهي لاتعترف بالأديان، والفلسفة الوضعية (العقلانية وهي تنفي الدين) والعلمانية (وهي تبعد الدين عن الحياة)، ومع ذلك استخدم الثوار الاتحاديون الدين لمحاربة السلطان عبدالحميد الثاني، وافتروا عليه باسم الدين[٢].

لجنة تبليغ عزل الخليفة عبد الحميد الثاني

عمانوئيل قرة صو	آرام أفندي	أسعد طوبطاني	عارف حكمت
يهودي إسباني من أوائل المشتركين في حركة تركيا الفتاة ومن المحرضين ضد السلطان عبدالحميد الثاني.	نصراني أرمني، وأحد أبرز أعضاء (مجلس الأعيان العثماني).	علماني ألباني، نائب في (مجلس المبعوثان) عن منطقة دراج.	كردي عراقي وقيادي عسكري فريق بحري وعضو مجلس الأعيان.

١-٢، د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني،ص ٢٨٢ – ٢٨٣.


عبد الحميد الثاني في أواخر عهده

نص فتوى خلع السلطان عبد الحميد الثاني:

(الموقع عليها من شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي

ووافق عليها مجلس المبعوثان بالإجماع

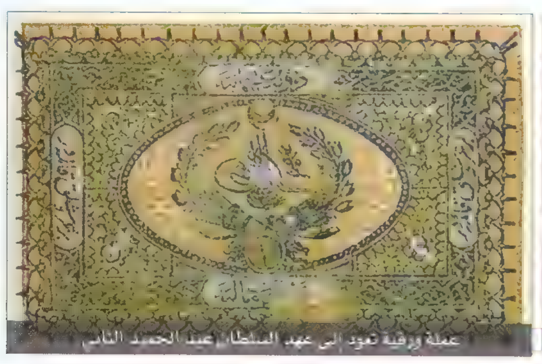
"إذا قام أمام المسلمين زيد فجعل ديدنه طي وإخراج المسائل الشرعية المهمة من الكتب الشرعية وجمع الكتب المذكورة والتبذير والإسراف من بيت المال واتفاقية خلاف المسوغات الشرعية، وقتل وحبس وتغريب الرعية بلا سبب شرعي وسائر المظالم الأخرى، ثم أقسم على الرجوع عن غيه، ثم عاد؛ فحنث وأصر على إحداث فتنة ليخل بها وضع المسلمين كافة فورد من المسلمين من كافة الأقطار الإسلامية بالتكرار مايشعر باعتبار زيد هذا مخلوعًا فلوحظ إن في بقائه ضررًا محققًا وفي زواله صلاحًا فهل يجب على أهل الحل والعقد وأولياء الأمور أن يعرضوا على زيد المذكور التنازل عن الخلافة والسلطنة أو خلعه من قبلهم. الجواب: نعم يجب")[١].

قُرِأت هذه الفتوى في الاجتماع المشترك للمجلس المِلّي **فصرخ النواب الاتحاديون نريد خلعه** وبعد مداولات تمت الموافقة على خلع السلطان عبدالحميد الثاني[٢].

وبتكليف من جمعية الاتحاد والترقي تم تكوين لجنة لإبلاغ خليفة المسلمين وسلطان الدولة العثمانية عبدالحميد الثاني بقرار خلعه.

١-٢، موفق ابن المرجة، صحوة الرجل المريض، ص ٤١٠.


السلطان عبد الحميد الثاني في أواخر حكمه


عملة ورقية تعود إلى عهد السلطان عبد الحميد الثاني

لقد كان السلطان **عبد الحميد الثاني** على وعي كامل بأن خيوط المؤامرة المحاكة ضده هي في **أيدي اليهودية العالمية لعدم استجابته لبيع القدس وفلسطين لهم**. وهو الموقف التاريخي العظيم الذي كان سببًا في تشويه صورته على نحو غير معهود في التاريخ المعاصر.

يقول الكاتب التركي حسام الدين أرتوك، وهو أحد رؤساء الأمن القومي السابقين في تركيا، في كتابه «ما وراء الأستار في عهدين» راويًا للتاريخ هذا الجزء من المشهد الدامي من حياة السلطان المتآمر عليه: «قال لي مرة صديقي ملازم أول خيالة» زنون دبره لي: «عندما كنت في حراسة السلطان عبد الحميد شكا لي السلطان المخلوع في أحد الأيام قائلًا: «إن أشد ما آلمني **هو تبليغي بقرار الخلع من قبل ذلك اليهودي الماسوني**، فأنا لا أستطيع نسيان «عمانوئيل قره صو» من بين وفد المبعوثين «النواب» الذين جاءوا إلى يلدز. لقد كان هذا إهانة لمقام الخلافة، ونحن جميعًا نعلم مدى الحقد الذي يكنه اليهود منذ زمن الرسول عليه السلام للإسلام ولمقام الخلافة، وعندما كنت على عرش السلطنة العثمانية، جاءني في أحد الأيام «تيودور هرتزل» مؤسس المنظمة اليهودية العالمية مع رئيس الحاخاميين، وذلك من أجل غاية صهيونية، وقبلت الزيارة للاستماع إليهم لمعرفة مقاصدهم، فكان طلبهم هو الحصول على وطن لليهود، وكانوا يقترحون القدس لذلك، حتى إن تيودور هرتزل قال بلا خجل: «أحب أن أعرض على جلالتكم بأننا مستعدون لتقديم الملايين التي ترونها مناسبة من الذهب حالاً من أجل القدس». عبد القادر الإدريسي، جريدة العَلم، تاريخ ٢٠١٠/٤/٦م.

هكذا خُلِع السلطان **عبدالحميد الثاني** بمؤامرة يهودية صهيونية عن طريق أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الحاكمة؛ كخطوة أساسية نحو تحقيق المخطط الذي تم في أثناء وقبل الحرب العالمية الأولى وبعدها في إسقاط الخلافة وتمزيق الصف الإسلامي واحتلال فلسطين.

لقد ضحى **السلطان عبد الحميد الثاني** بعرشه من أجل فلسطين. والذي يؤكد ذلك وثيقة تاريخية بخط السلطان تبين سبب خلعه، وهي رسالة وجهها بعد خلعه إلى شيخه الشيخ محمود أبي الشامات شيخ الطريقة الشاذلية في دمشق. وقد نشر هذه الرسالة الأستاذ سعيد الأفغاني الدمشقي في مجلة "العربي" الكويتية في عددها الصادر كانون أول سنة ١٩٧٢م ضمن مقالة بعنوان **"سبب خلع السلطان عبد الحميد"**، جاء فيها:

... إنني لم أتخل عن **الخلافة الإسلامية** لسبب ما، سوى أنني بسبب المضايقة من رؤساء **جمعية الاتحاد** المعروفة باسم "جون تورك" وتهديدهم، اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة. إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا عليَّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة فلسطين. وبرغم إصرارهم، فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، وأخيرًا وعدوا بتقديم ١٥٠ مليون ليرة إنجليزية ذهبًا فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضًا، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي: "إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبًا فضلًا عن ١٥٠ ليرة ذهبًا، فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي. لقد خدمت الملَّة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة، فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين. لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضًا. وبعد جوابي القطعي، اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيعيدونني إلى سلانيك فقبلت بهذا التكليف الأخير".

السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، ص ٣٥.


خلع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني نيسان ١٩٠٩م

بعد خلع السلطان عبد الحميد ازداد **النشاط الصهيوني** المنظم على شتى المستويات، وكانت فرحتهم ظاهرة بسبب خلع السلطان عبد الحميد. فقد كتب الصهيوني الأمريكي ريتشارد غوتهايل - رئيس الفرع الأمريكي للمنظمة الصهيونية قائلاً: "ما من أحد يخفق قلبه فرحًا وابتهاجًا مثلما يخفق قلب الصهيونيين على انقلاب تركيا الفتاة".

رفيق شاكر النتشه، السلطان عبد الحميد وفلسطين، ص ١٨٤.

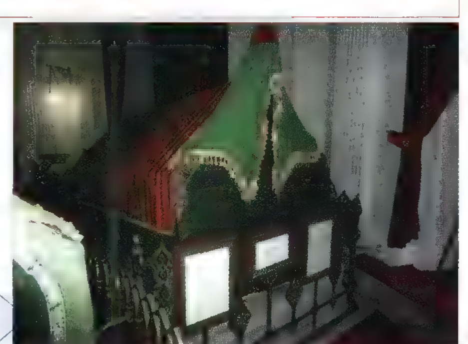
ما نحسب أن شخصية في التاريخ الإسلامي المعاصر لقيت من الغبن والظلم والإعنات ما لقيت شخصية السلطان **عبد الحميد الثاني**، ولكن هذه السحابة ما لبثت أن انجابت بعد سنوات طوال، وتكشفت حقيقة هذا الرجل واستعلن موقفه الصامد، وجهاده الباسل ومقاومته العنيدة للمؤامرة الضخمة التي حاولت أن تستغله وتخدعه أو تغريه، ولكنه رفض الوعد والإغراء، وتحمل الوعيد والتآمر صابرًا صامدًا طوال حياته وسنواته الطويلة بعد موته. وقد ظل الغموض يحيط بموقف السلطان عبد الحميد أكثر من خمسين عامًا، ثم لم يلبث أن تكشف قليلًا قليلًا. لقد تولى السلطان ١٨٧٦م، وخلع ١٩٠٩م وتوفي ١٩١٨م.

وكانت حملات الصحف المارونية قد بدأت منذ تبين صلابة موقف الرجل، وقد استمرت هذه الحملات حتى دخلت إلى كتب الأدب والتاريخ المقررة على المدارس في أغلب البلاد العربية وظلت هذه الكتابات تلح على تصوير السلطان عبد الحميد بصورة الطاغية. المتسلك مدة تزيد على خمسين عاماً، ثم بدأ ينكشف موقف السلطان عبد الحميد جزئياً بعد ترجمة بروتوكولات حكماء صهيون التي كشفت مخطط المؤامرة على الدولة العثمانية والخلافة، ثم تكشفت بصورة أوسع بعد ترجمة مذكرات هرتزل الذي روى بإفاضة وتوسع قصة الوساطة بينه وبين السلطان وعروضه ورد السلطان عليه.

أنور الجندي: السلطان عبد الحميد، صفحة ناصعة من الجهاد والإيمان والتصميم لمواجهة تحديات الاستعمار والصهيونية.

الإمبراطورية النمساوية الهنغارية
رومانيا
بوخارست
بلغراد
صربيا
البلقان
بلغاريا
صوفيا
البحر الأسود
الجبل الأسود
كتالو
البحر الأدرياتيكي
ولاية ألبانيا
الدولة العثمانية
تراقيا
أستنبول
ب. مرمره
سالونيك
مقدونيا
الأناضول
بحر إيجة
البحر الأيوني
ليفاديا
اليونان
أثينا
البحر الأبيض المتوسط
البلوبونيز
٠ ١٠٠ ٢٠٠ كم

حدود الدولة العثمانية في البلقان عند خلع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٩م

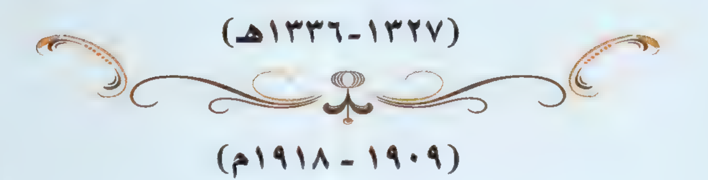


على إثر التحريض الاستفزازي من قِبل حركة الاتحاد والترقي القومية قامت بتدبير أحداث الشغب والفتن التي أدّت لخلعه في النهاية سنة ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م، ومن ثم بقي رهين قصره في أستنبول حتى مات في ٢٩ ربيع الآخر ١٣٣٦هـ الموافق ١٠ فبراير ١٩١٨م، بعد أن رأى بعينيه ما جرى للدولة على يد خلفائه الاتحاديين في الحرب العالمية الأولى.

قبر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (رحمه الله) في أستنبول



(١٣٢٧-١٣٣٦هـ)



(١٩٠٩ - ١٩١٨م)

والده: السلطان عبد المجيد

والدته: كول جمال قادن أفندي

ولادته: سنة ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٤م

وفاته: سنة ١٣٣٦ هـ / ١٩١٨م

مدة حكمه: من ١٣٢٧- ١٣٦٣هـ / ١٩٠٩ - ١٩١٨م

كان السلطان **محمد رشاد خان الخامس** طويل القامة، أزرق العينين، أبيض البشرة، وكان قوي الذاكرة، مهتمًا بالتاريخ. وقد قضى معظم أوقات حياته في قصر أنجيرلي محاطًا بالجواسيس الذين يرصدون حركاته، ويقدمون التقارير المشوهة عنه[١].

تولى السلطنة والخلافة بعد أخيه السلطان عبدالحميد الثاني إلا أنه في الحقيقة لايملك أي سلطة فعلية، وإنما السلطة **أصبحت بيد جمعية الاتحاد والترقي**، وغدت الحكومة العثمانية تركية في مضمونها، قومية في عصبيتها، بينما كانت من قبل عثمانية في مضمونها وإسلامية في رابطتها. فقد تأثرت هذه الجمعية بقوة الأفكار **القومية الطورانية** التي تدعو الى تحرير كافة الأتراك. مدعين أن الشعوب الإسلامية في الأناضول وآسيا الوسطى تشكل أمة واحدة، وهي الأفكار التي تطورت أخيرًا بمجهودات بعض كتاب الجمعية وعلى رأسها موئيز كوهين اليهودي، والكاتب التركي الشهير ضيا كوك آلب؛ فاتبعت **سياسة التتريك** وذلك بجعل اللغة التركية هي اللغة الرسمية الوحيدة أن كانت تقف اللغة العربية إلى جانبها. فتأججت **حركة الدعوة إلى القومية العربية**، في مواجهة حركة التتريك[٢].

وبعد ثلاث سنوات من جلوس محمد رشاد على العرش، احتلت إيطاليا طرابلس الغرب سنة ١٩١١ - ١٩١٢م، وأعقبت ذلك ثورة البلقان ثم أعلنت بلغاريا عن استقلالها التام، وفي سنة ١٩١٤م دخلت الدولة العثمانية **الحرب العالمية الأولى** إلى جانب دول الوسط (ألمانيا - النمسا) وخرجت منها منهزمة، كما **فقدت في أثنائها كل أراضيها العربية**. ولم يشهد محمد رشاد استسلام بلاده للحلفاء إذ توفي قبل الاستسلام ببضعة أشهر سنة ١٩١٨م ودفن بمنطقة السلطان أيوب[٣].

أبناؤه:

محمد نجم الدين، محمد ضياء الدين، عمر حلمي. ولم تكن له بنات.

---

١ -٣، أ. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون، تعريب محمد جان، ص ٨٧.

٢ - د. علي الصلابي، الدولة العثمانية، ص ٤٩٠ .

إزاء انقسام صفوف **الاتحاديين**، تشكل حزب **الائتلاف والحرية** سنة١٣٣٠هـ/١٩١١م، وضم كل المعارضين لحزب الاتحاد والترقي، مما جعل الاتحاديين يحلون البرلمان، وعقدوا انتخابات جديدة لم تحصل فيها المعارضة إلا على ست مقاعد ثم نقل الاتحاديون قاعدتهم من سلانيك إلى أستنبول. وقامت حركة تمرد بين الضباط طالبوا فيها بإسقاط الحكومة الجديدة، وإعادة البرلمان السابق، كما طالبوا بإبعاد الجيش عن التدخل في السياسة. وعلى إثر نشوب الثورة في ألبانيا جرى إسقاط حكومة الاتحاديين و**قيام حركة جديدة ذات طابع ليبرالي (حر)** فرضت على الضباط أن يقسموا على عدم الانضمام إلى أي جمعية سياسية أو التدخل في شؤون الدولة الداخلية والخارجية. وبعد أن استقال الاتحاديون تم حل برلمانهم وأقسم الضباط على عدم التدخل في السياسة[١].

وقد انشغلت الحكومة الجديدة بمقاومة **الغزو الإيطالي لليبيا**، وسرعان ما واجهت الحلف البلقاني الذي اقتربت قواته من العاصمة، مما جعل أنور باشا قائد الجيش يقوم بانقلاب عسكري أطاح بالوزارة، وشكل بنفسه وزارة اتحادية جديدة حكمت البلاد حكمًا دكتاتوريًا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وألغيت الأحزاب وزج بالناس المعارضين بالسجون ونفذت أحكام الإعدام. **وحلّت جمعية الاتحاد والترقي نفسها وهرب زعماؤها إلى الخارج**. وعاد دعاة الليبرالية من المنفى ليعملوا على تفكيك الإمبراطورية العثمانية[٢].



١ -٣، د. إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص ٢١٤ - ٢١٥.

الحرب الطرابلسية الإيطالية[١]

كانت **إيطاليا** تطمح بالسيطرة على طرابلس الغرب، وخاصة بعد أن احتلت فرنسا تونس سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، وبدأت إيطاليا تعقد الاتفاقات السياسية مع الدول الأوروبية الأخرى، مثل: إسبانيا وفرنسا وانجلترا والنمسا، ثم انصرفت إلى تهيئة الوضع داخل ليبيا فعملت على شراء الأراضي، وإنشاء المشروعات الزراعية، وإرسال البعثات النصرانية الكاثوليكية، وفتح المدارس الإيطالية، وفتح البنوك وتأسيس الشركات وغير ذلك.

وفي سنة ١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠م، **قدمت إيطاليا إنذارًا للدولة العثمانية** اتهمتها بعرقلة المساعي **لتحضير وتمدين سكان ليبيا**، ولذا قررت احتلال ليبيا، واحتج الباب العالي لدى الدول الأوروبية، وأعلنت الدولة العثمانية رفض ذلك الإنذار، غير أن إيطاليا حاصرت **سواحل طرابلس وبرقة** لمنع وصول المساعدات والإمدادات إليها، وبدأ الأسطول الإيطالي بقصف السواحل، وإنزال القوات التي احتلت مدن ليبيا (**طرابلس وبنغازي وغيرها**)، وأعلنت إيطاليا ضم هذا الجزء من شمالي إفريقيا إليها. وبدأت المقاومة تشتد حتى ألجأت المستعمرين إلى الساحل، **وتقدم العثمانيون** بقيادة عزيز المصري، والمتطوعين بقيادة أنور باشا، وأخوه فوزي، والسكان ومنهم السنوسيون، ووصلوا إلى طرابلس، وانتصروا على الإيطاليين في بنغازي[١].

هددت إيطاليا باحتلال أستنبول، واحتلت بعض الجزر، وضربت ميناء بيروت، واضطرت الدولة العثمانية إلى عقد معاهدة أوشي مع إيطاليا في سنة ١٣٢٩ / ١٩١١م، وانسحبت من ليبيا ....، واضطر أنور باشا بل أجبر على الانسحاب فتولى قيادة المجاهدين عزيز علي المصري. وبرغم ذلك، فإن الدولة العثمانية لم تعترف بالاحتلال الإيطالي، وإنما تعهدت بسحب موظفيها وجنودها، وصدر قرار سلطاني بمنح **ليبيا** الاستقلال الذاتي، وتعهدت إيطاليا بإعطاء الحرية الدينية لكافة الناس، والعفو العام، وقبول ممثل عثماني، **ولم تنفذ إيطاليا بنود الاتفاقية**، وخاصة بعد نشوب **الحرب العالمية الأولى**، فوقفت الدولتان وجهًا لوجه في موقف عدائي ذلك لأن الدولة العثمانية كانت إلى جانب ألمانيا، في حين كانت إيطاليا إلى جانب الحلفاء، **وأخذت الدولة العثمانية ترسل المؤن والمساعدات إلى المجاهدين حتى انتهت الحرب العالمية الأولى**، وخرجت الدولة مهزومة مهيضة الجناح، مفككة الأوصال، مقسمة الأجزاء. هذه الهزائم أجبرت جماعة **الاتحاد والترقي** على التخلي عن السلطة سنة ١٣٣٠/١٩١٢م **وظهور حزب الاتحاد الحر والائتلاف الحر**، وشكّل الوزارة محمد كامل باشا[٢].

---

١ –٢، د. إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص ٢١٥ – ٢١٧.

إيطاليا
أستنبول
تونس
طرابلس
مصراته
سرت
بنغازي
طبرق
الجزائر
المغرب
موريتانيا
ليبيا
سبها
مصر
السودان
سوريا
لبنان
فلسطين
الأردن
العراق
الكويت
قطر
الإمارات
المملكة العربية السعودية
سلطنة عمان
الجمهورية اليمنية
الصومال
بحر العرب
المحيط الهندي

عندما وسّعت **إيطاليا** نطاق الحرب ضد الدولة العثمانية، رأى رجال **الاتحاد والترقي** أن **ليبيا** يسهل التخلي عنها، فاستدعوا قادتهم وجنودهم منها، وعقدوا معاهدة تفاهم مع الإيطاليين، عرفت باسم معاهدة «أوشي»

الوطن العربي بعد انفصال جنوب السودان عنه

خريطة الوطن العربي في القرن العشرين

معاهدة أوشي (معاهدة لوزان الأولى):

معاهدةٌ وقعت بين مملكة **إيطاليا والسلطنة العثمانية** وتم توقيعها إثر الحرب العثمانية الإيطالية (١٩١١-١٩١٢م). عقدت في قلعة أوشي في أوشي (ضواحي لوزان) بسويسرا في ٢٢ شوال ١٣٣٠هـ/٣ أكتوبر ١٩١٢م. بموجبها انسحبت الدولة العثمانية من ليبيا.

وجهت إيطاليا إنذارًا مدته ثلاثة أيّام للعثمانيين لقبول المقترح الإيطالي للمعاهدة. وبعد مفاوضات وقعت المعاهدة في ١٨ أكتوبر ١٩١٢م. ووقعها من الجانب العثماني محمد نبيه بيك ورمبولغيون فخر الدين بيك ومن الجانب الإيطالي بييترو بورتيليني، جيودو فوسيناتو وجوزيبي فولبي.

ومن بنودها يلتزم **السلطان العثماني** بمنح الاستقلال الذّاتي لطرابلس وبرقة، وموافقة الحكومة الإيطالية أن يعين السّلطان العثماني القضاة في برقة وطرابلس، وسحب جميع الجنود والضّباط والموظفين من طرابلس وبرقة.



الوفدان **العثماني والإيطالي** الموقعان لمعاهدة لوزان الأولى.
من اليمين إلى اليسار: جوسبي فولبي، رومبي أوغلو فخر الدين، غويدو فوزيناتو، محمد نابي بك، بيترو بيرتوليني.

الحركة السنوسية

هاجر محمد بن علي **السنوسي** المولود ببلدة مستغانم في الجزائر عام ١٧٨٧م، إلى مقاطعة **برقة**، ومكث في برقة، وأسس فيها **الزاوية البيضاء** في منطقة الجبل الأخضر. ثم توجه بعد ذلك إلى **جغبوب**، وأقام فيها، وتوفي هناك عام ١٨٥٩م. وقد دعا محمد بن علي السنوسي لإصلاح الناس، وذلك بالرجوع إلى تعاليم الإسلام.

تأثرت **بدعوة التوحيد** التي أطلقها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جزيرة العرب.. وتفاعلت بالإرث الصوفي الجهادي المنتشر في الشمال الإفريقي. لقد كانت السنوسية دعوة صوفية سلفية، جمعت بين العبادة والعمل، والدعوة والتربية.

وكان تنظيمه لأتباعه يقوم في المقام الأول على أساس صوفيّ، ومع أن حركته كانت دينية في جذورها إلاّ أنها طبعت بالمظهر السياسي. اجتهد السنوسي في إقامة الزوايا الصوفية لأتباعه في الواحات البعيدة عن المنطقة الساحلية مثل: فزان وكانم وجغبوب وغيرها، وأصبحت تلك الزوايا المنتشرة في ربوع البلاد الجنوبية مراكز تعليم ديني صوفي، ومراكز عبادة وتدريب على أعمال الجهاد ضد المحتلين الأجانب. فلقد كانت السنوسية تهدف إلى إيقاظ الهمم الإسلامية وتحفيزها لمواجهة الفرنسيين والإيطاليين من الذين يطمعون في السيطرة على شمالي إفريقيا. ومن هنا برزت فكرة ضرورة التمسك بالروابط الدينية، وفكرة الوحدة الإسلامية، و**الجامعة الإسلامية** كسبيل لمقاومة العدوان الاستعماري على الوطن.

عمر المختار بن عمر

١٨٦١ - ١٩٣١م

شيخ جليل، وقائد المجاهدين، وأسد الصحراء، هو قائد أدوار السنوسية في ليبيا، وأحد أشهر المقاومين العرب والمسلمين. ينتمي إلى قبيلة منفة من بيت فرحات التي تنتقل في بادية برقة.

مجاهد ليبي حارب قوات الغزو الإيطالية منذ دخولها أرض ليبيا سنة ١٩١١م إلى سنة ١٩٣١م. حارب **الإيطاليين** وهو يبلغ من العمر ٥٣ عامًا لأكثر من عشرين عامًا في عدد كبير من المعارك، إلى أن قُبض عليه من قِبل الجنود الطليان، وأجريت له محاكمة صوريَّة انتهت بإصدار حكم بإعدامه شنقًا، فنُفذت فيه العقوبة على الرغم من أنه كان كبيرًا عليلًا، فقد بلغ في حينها ٧٣ عامًا وعانى من الحمّى. وكان الهدف من إعدام عمر المُختار إضعاف الروح المعنويَّة للمقاومين الليبيين والقضاء على الحركات المناهضة للحكم الإيطالي، لكن النتيجة جاءت عكسيَّة، فقد ارتفعت حدَّة الثورات، وانتهى الأمر بأن طُرد الطليان من البلاد.



تفاهمت **الدول الأوروبية** فيما بينها عام ١٩٠٦م في مؤتمر الجزيرة الخضراء بأسبانيا على تقسيم **شمالي إفريقيا**، وقبلت بأن تأخذ **إيطاليا البلاد الليبية من الدولة العثمانية**، التي كانت في أوج ضعفها، وأن تبسط كل من فرنسا وأسبانيا يدهما على بلاد مراكش. بدأت إيطاليا تتغلغل تدريجيًا في ليبيا. فقام المنصرون الإيطاليون الكاثوليك مدعومين من قبل الحكومة كسلطة سياسية، ومن البابا كسلطة دينية كاثوليكية، بإنشاء المدارس التنصيرية والمستشفيات والمراكز الصحية، والمصارف، ونشطوا في العمل التجاري داخل مدن ليبيا، وأقاموا بنوك التسليف الزراعي لإمداد المواطنين الليبيين بالقروض، تمهيدًا لاغتصاب أرض المدينين في حال عدم قدرتهم على تسديد ما عليهم من قروض.

حرب البلقان الأولى [1]

رفضت **البوسنة والهرسك** دعوة مندوبيها لحضور المجلس النيابي في أستنبول سنة ١٣٢٧ / ١٩٠٩م، مع أنها كانت لا تزال تتبع **الدولة العثمانية اسميًا**، واتجهت نحو **الصرب**، وهذا ما أثار النمسا واتفقت مع روسيا سرًا على أن تضم البوسنة والهرسك إليها، مقابل أن تكون مضائق البسفور والدردنيل مفتوحة دائمًا أمام حركة الملاحة الروسية، وبالفعل فقد احتلت **النمسا مقاطعة البوسنة والهرسك**، ولم تتمكن روسيا من فعل شيء لمعارضة الدول الأوروبية لأطماع روسيا في المضائق، واعترفت الدولة العثمانية بهذا الضم وتنازلت للنمسا عن البوسنة والهرسك في مقابل تنازل النمسا عن كل حقوقها في سنجق نوفي بازار. كما أمَّنت النمسا جانب **بلغاريا** بتشجيعها على إعلان استقلالها عن الدولة العثمانية.

وقد أدى ضم **النمسا للبوسنة والهرسك** إلى إغضاب **الصرب وروسيا**؛ فعملت روسيا على تنظيم اتحاد بين دول البلقان انتقامًا من النمسا خاصة. وقد أعلنت **بلغاريا استقلالها** وأعلنت **كريت** انضمامها إلى اليونان. ونتيجة لتوتر الموقف في البلقان أعلنت **إمارة الجبل الأسود الحرب على الدولة العثمانية** ٨ / ٢ / ١٩١٢م - ١٣٣٠ هـ، وتلتها **بلغاريا والصرب واليونان** وأنزلت الدول المتحالفة إلى ميدان القتال ٧١٥ ألف مقاتل في مقابل ٣٢٠,٠٠٠ جندي تركي. ولم يمض شهر على بدء القتال حتى أشرفت القوات البلغارية على مداخل أستنبول، كما احتل **اليونانيون ميناء سلانيك**، وتقدم **الصربيون** في جميع

وقفات تاريخية

بعد إسقاط ثورة تركيا الفتاة في يوليو ١٩٠٨م للسلطان عبد الحميد الثاني، ضمت الإمبراطورية النمساوية المجرية إقليم البوسنة والهرسك في أكتوبر ١٩٠٨م في ما عُرف بالأزمة البوسنية، ما دفع الحكومة الروسية في مارس ١٩١٢ م لتشجع مملكتي صربيا وبلغاريا على توقيع معاهدة ثنائية تتضمن تعاونهما المشترك في حالة اعتداء دولة أوروبية كبرى على حدودهما، واستهدفت تلك المعاهدة السرية، التي اشترك في مفاوضاتها ممثلو روسيا في العاصمتَين البلقانيتَين، بلغراد وصوفيا، مواجهة الإمبراطورية النمساوية المجرية خشية أن تتكرر مأساة ضم البوسنة والهرسك؛ والرغبة في نصيب من ميراث الإمبراطورية العثمانية المتهالكة، وقد عقدت معاهدة مشابهة بين بلغاريا واليونان، في مواجهة الدولة العثمانية.

الموسوعة الحرّة على الشبكة

---

١ - د. إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص ٢١٧ - ٢١٩.



حدود دول البلقان قبل قيام حرب البلقان الأولى سنة ١٩١٢م

الجهات، واستعملوا **الطائرات** لأول مرة في هذه الحرب، وقصفوا مدينة **أدرنة**، وفقدت **الدولة العثمانية** معظم أراضيها في أوروبا، وبعد وقف القتال جرى الاتفاق على **استقلال ألبانيا**، وقسمت الأراضي الباقية بين أعضاء التحالف البلقاني. وقد وقع **اتفاق الصلح في لندن** في أواخر مايو ١٩١٣م / ١٣٣١ هـ.

أنهت **معاهدة لندن** الحرب البلقانية الأولى في ٣٠ مايو سنة ١٩١٣م. فتم التنازل عن جميع الأراضي العثمانية التي تقع غرب خط أينوس-ميدا للاتحاد البلقاني، كما أعلنت المعاهدة أيضًا قيام دولة ألبانيا المستقلة وكانت غالب الأراضي التي كانت مخصصة لتشكل الدولة الألبانية الجديدة يشغلها آنذاك؛ إما اليونان أو صربيا، إلا أن الدولتين قامتا بسحب قواتهما على مضض.

بيد أن بلغاريا لم تحل خلافاتها مع صربيا بشأن تقسيم شمالي مقدونيا ومع اليونان على جنوبي مقدونيا الأمر الذي دفع بلغاريا لتسوية الخلافات بالقوة ومهاجمة كل من اليونان وصربيا **ونشوب حرب البلقان الثانية.**


البارجة خير الدين بارباروسا سفينة القيادة للأسطول العثماني


الطراد المدرع جيورجيوس أفيروف سفينة القيادة للأسطول اليوناني


جنود صرب سنة ١٩١٢م


جنود بلغار ينتظرون بداية الهجوم على أدرنة ١٩١٣م



فرديناند الأول (ملك بلغاريا)

جورج الأول (ملك اليونان)

جنود بلغار خلف مدافعهم في أثناء حصارهم لمدينة أدرنة التركية خلال الحرب البلقانية (١٩١٢ - ١٩١٣م)

أعلن كل من **ملك اليونان وملك البلغار** منشورًا على العالم، يذكر فيه كل واحد منهما الأسباب التي دعت النصارى إلى حمل السلاح لمقاتلة العثمانيين. وأشار إلى **مصارعة الصليب للهلال**، وغيرها من العبارات التي استعملها في ما مضى ملوك النصارى في أثناء الحروب الصليبية. ثم تبعهم **ملك الصرب**، وسرد تاريخ الصراع بين بلاده والأتراك وزعم زورًا وبهتانًا أن تركيا كانت لاتعترف بديانة الصرب (النصرانية) وتعارض حريتهم الدينية وتجبرهم على الاستسلام، وغير ذلك من العبارات المحرضة.

في حين كانت روح التعصب والحقد والكراهية ضد المسلمين تفوح من بيانات هؤلاء الملوك الدمى في يد الأجنبي، كان السلطان العثماني (**محمد الخامس**) يصدر منشورًا يحث على حفظ هوية السلطنة العثمانية وتوطيد نفوذ الحكومة ويدعو إلى الرفق بالنساء والشيوخ والأطفال والتحرج عن سفك الدماء دون موجب والمحافظة على الأموال والأرواح وأماكن العبادة. ولم يكن في بيانه أي كلمة أو إيثارة أو تهيج. د. علي حسون. العثمانيون والبلقان. ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

حرب البلقان الثانية

شهدت **دول البلقان** خلافات جوهرية فيما بينها خلال الأيام الأولى بعد **حرب البلقان الأولى**، حيث **أصرّ البلغاريون** على إرسال جنود إلى **سالونيك في اليونان**، أما **الجبل الأسود** فلم تكن راضية عن معاهدة لندن، حيث إن القُوى العُظمى منحت **شكودر لألبانيا**، وذلك عكس ما تم الاتفاق عليه سرًا قبل حرب البلقان الأولى.

وقد أدركت كل من **بلغاريا وصربيا** أن معاهدة التقسيم غدت قديمة وتحتاج تعديلاً، **وقد رغبت صربيا في مساعدة قيصر روسيا على تقسيم مقدونيا بين صربيا وبلغاريا**، غير أنه لم يكن لبلغاريا ثقة قوية بقيصر روسيا، وقد أملت **بلغاريا** بأن النمسا والمجر اللتين تخشيان تزايد قوة صربيا، سوف تقدِّمان المساعدة لها. أما **صربيا** فقد عقدت معاهدة تحالف مع اليونان في ١ يونيو ١٩١٣م.

بدأت حرب البلقان الثانية في ٢٩ - ٣٠ يونيو ١٩١٣م، حين هاجمت جيوش بلغاريا كلًا من اليونان وصربيا. لقد كانت حربًا قصيرة غير أنها كانت أكثر دموية من الحرب الأولى، وقد انضم **الأتراك في تلك الحرب إلى جانب اليونانيين والصربيين**، ولم تستطع بلغاريا الصمود أمام ذلك التحالف، ومن ثمّ طلبت ترتيب هدنة لوقف القتال، وبالفعل تم توقيع **معاهدة بوخارست** في ١٠ أغسطس سنة ١٩١٣م. **وكان من نتائج تلك الحرب أن خسرت بلغاريا معظم الأراضي التي أخذتها من تركيا.**

لقد كانت **معاهدة بوخارست** ذات مغزى عظيم بالنسبة لدول البلقان ذلك أن الحدود التي رسمتها ظلت ثابتة مع بعض التعديلات الطفيفة فضلًا عن أنها كانت تمثل بداية **طرد العثمانيين** من أوروبا باستثناء أستنبول وجزء صغير من تراقيا. وهكذا **انتهت حروب البلقان بتحقيق الهدف النهائي** الذي رسمه معظم زعماء البلقان خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ألا وهو سعي كل حكومة بلقانية لضم أراض تعيش فيها عناصر قومية خاصة بها. موقع مقاتل من الصحراء.

تأملات

في ١٠ أغسطس ١٩١٣م تم توقيع **معاهدة بوخارست** لتسوية النزاع حول تقسيم أراضي ألبانيا ومقدونيا أدت إلى تدمير بلغاريا تدميرًا تامًا، إذ تم إعادة أدريانوبل ومعظم شرقي تراقيا إلى الدولة العثمانية، وأخذت رومانيا دوبرجة الجنوبية، ومدت اليونان حدودها حوالي خمسين ميلاً إلى الشمال من سالونيك وإلى ما وراء قوله جهة الشرق. وفي الغرب ضمت اليونان إيبروس الشمالية بما فيها يانينا، وضاعفت صربيا حجمها بالاستيلاء على جزء عظيم من مقدونيا السلافية اشتمل على أراضي لم تكن ضمن دائرة مطالبها سابقًا. وتم تقسيم سنجق نوفي بازار بين صربيا والجبل الأسود فأصبحت حدودهما مشتركة. وكوفئت بلغاريا بجزء صغير من شرقي مقدونيا في وادي نهر ستروما لكنها ضمت إلى أراضيها مساحة ٨٠ ميلاً بطول ساحل بحر إيجه ضمنها ميناء إلكسندروبولي، كما نصت المعاهدة أيضًا على إيجاد دولة ألبانية مستقلة.

موسوعة المعرفة



حدود الدولة العثمانية في البلقان بعد الحرب البلقانية (١٩١٢ - ١٩١٣م)

نتائـج حـروب البلقان[١]

• كانت **الدولة العثمانية** تميل إلى **ألمانيا**، وبعد الحروب البلقانية أصبحت أشد ميلًا إليها وأكثر استعدادًا للتعاون معها، بهدف إعادة تنظيم قواتها المسلحة بواسطة خبراء ألمان، وفعلًا جرى التعاون بين الدولتين على الرغم من معارضة روسيا.

• كان النقص الذي أصاب الدولة العثمانية في المساحة وعدد السكان كبيرًا، فقد خرج نصارى البلقان عن حكمها، إلا أن ذلك لم يشكِّل خسارة فادحة لها؛ لأنه لم يكن يسمح لهم بالانخراط في الجيش العثماني، لكن **استقلال ألبانيا** حرم الدولة من مورد هائل في الجنود ورجال الإدارة.

• كانت الهزيمة في ميدان القتال كسبًا إيجابيًا، لأن العثمانيين شرعوا جديًا في إعادة تنظيم جيشهم الذي أثبت جدارته في **الحرب العالمية الأولى**. وقد أيقظ **استرداد إدرنة** الروح الوطنية فيهم، وتجلت لهم الآن حقيقة أن دولتهم في أوروبا اقتصرت على العنصر التركي فقط.

• خرجت **بلغاريا** من حروب البلقان مكسورة الجناح ولم تتحرك روسيا لمساعدتها، بل إن النمسا هي التي وقفت، إلى حد ما، إلى جانبها ما أدى إلى فتور في العلاقات بين الدولتين **الروسية والبلغارية تطور بعد ذلك إلى عداء.**

• أدت **حروب البلقان** إلى تصاعد المشكلات القومية في هذه المنطقة، ما دفع النمسا إلى زيادة الاهتمام بها، ومن ثم الاحتفاظ بجيش كبير يراقب موقف الدول البلقانية السريعة التقلب، وقد أدى ذلك إلى تشتيت قواها العسكرية، ما سيضعف موقفها العسكري في المستقبل في حال نشوب حرب بينها وبين روسيا.

• أدّت حروب البلقان إلى زيادة التقارب بين دول الوفاق الثلاثي(بريطانيا – فرنسا – روسيا).

• من أبرز نتائج الحروب البلقانية نمو **صربيا**، أرضًا وسكانًا، واشتداد الحركة الصربية داخل الصرب وبين الأقليات الصربية الواقعة تحت حكم النمسا.

• الواقع أن أيًا من المتحاربين، الخاسرين منهم والمنتصرين، لم يؤمن بأن قرارات اقتسام المناطق في البلقان سيكتب لها الدوام، كما أن الدلالات الحقيقية للتحول في ميزان القوى في أوروبا، ذلك **التحول الذي تمخض عن حروب البلقان، ما دفع أوروبا بسرعة نحو الصدام الواسع في الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م.**

---

١ – د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٥٤٠ – ٥٤١.

المدافع التي شاركت في الحرب البلقانية الثانية



الجيش العثماني سنة ١٩١٢م

وقعت **الحرب البلقانية الثانية**؛ بسبب اختلاف دول التحالف البلقاني في تقسيم **مقدونيا** بينهم، حيث أصرت بلغاريا على حقها في كل مقدونيا، بينما أرادت دول البلقان الأخرى نصيبًا من مقدونيا، فاندلعت الحرب بين بلغاريا من جهة، ودول البلقان الأخرى، **اليونان ورومانيا والصرب**، من جهة أخرى وانضمت الدولة العثمانية للتحالف ضد بلغاريا فانهزمت بلغاريا وقسمت مقدونيا بين الصرب واليونان وبلغاريا، في حين حصلت الدولة العثمانية على جزء مما فقدته في الحرب البلقانية الأولى متمثلاً في **تراقيا ومدينة إدرنه**.

الحرب العالمية الأولى والدولة العثمانية

كان لقيام **الثورة الصناعية** في أوروبا سنة ١١٩٣هـ/ ١٧٨٠م، أثره الكبير في تضخم الانتاج الاقتصادي والتبادل التجاري، وازدياد نفوذ الرأسمالية مما أدى إلى دخول الدول الصناعية في صراع مرير وتنافس مطرد من أجل الاستمرار والسيطرة على مواطن المواد الخام لصناعتها، بل إن التنافس الاستعماري بين هذه الدول جاء نتيجة حتمية لهذا التطور الصناعي المذهل، الذي قاد في النهاية إلى كثير من الأزمات الدولية التي مهدت لقيام **الحرب العالمية الأولى**:

التحالفات الدولية التي مهدت لقيام الحرب العالمية الأولى

عصبة الأباطرة الثلاثة سنة ١٨٧٣م

بعد انتصار **ألمانيا** على فرنسا سنة ١٨٧٠م وسيطرتها على **الإلزاس واللورين**، عملت ألمانيا على عزل فرنسا سياسيًا لكي لا تعود إلى قوتها وتسعى إلى استعادة ما فقدته في الصراع مع ألمانيا، فقامت بمجموعة من الاتصالات السياسية مع كل من إمبراطورية النمسا وإمبراطورية روسيا أسفرت عن إقامة تحالف بينها عرف بتحالف **عصبة الأباطرة**. إلا أن هذا التحالف لم يستمر لخروج روسيا من الحلف سنة ١٨٧٨م.

م. وزارة التربية والتعليم السعودية.

الوسط بين ألمانيا والنمسا وإيطاليا (١٨٨٢م)

بعد أن فرضت **النمسا** وصايتها على **صربيا** اصطدمت مصالحها مع مصالح روسيا في البلقان التي رغبت في إقامة اتحاد بين شعوب البلقان تحت رعايتها، ولذلك سارعت النمسا إلى عقد تحالف مع ألمانيا سنة ١٨٧٩م لتحمي تواجدها في البلقان في حال نشوب حرب مع روسيا ثم انضمت إيطاليا إلى هذا التحالف سنة ١٨٨٢م رغبة منها في الحصول على موضع قدم لها في شمالي إفريقيا دون معارضة فرنسا.

الوفاق (فرنسا وروسيا وبريطانيا ١٩٠٧م)

نشأ هذا التحالف بعد أن انسحبت روسيا من تحالف عصبة الأباطرة، ونتيجة لنشاط العلاقات بينها وبين فرنسا وبريطانيا، وكان الهدف الرئيس من هذا التحالف هو الوقوف أمام الأطماع الألمانية المتنامية في القارة الأوربية.

أراضي **الألزاس واللورين** إقليم أوجدته الإمبراطورية الألمانية سنة ١٨٧١م بعد أن ضمت غالبية منطقة الألزاس ومنطقة موزيل في اللورين بعد انتصارها في الحرب الفرنسية البروسية. يقع الجزء الألزاسي في وادي الراين على الضفة الغربية لنهر الراين وشرقي جبال الفوج. كان قطاع اللورين في وادي موزيل العلوي إلى الشمال من جبال الفوج.



التحالفات السياسية قبل الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م

١٩١٩م	١٩١٨م	١٩١٧م	١٩١٦م	١٩١٥م	١٩١٤م	١٩١٣م	١٩١٢م	١٩١١م
١١ نوفمبر الهدنة معاهدة فرساي	معركة المارن الثانية نهاية الحرب	دخول الولايات المتحدة الحرب انسحاب روسيا	معركة فردان معركة السويس	معركة المارن معركة الدردنيل	حادثة سراييفو وبداية الحرب العالمية الأولى	الحربان البلقانيتان		احتلال فرنسي للمغرب

أبرز محطات الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) حتى معاهدة فرساي سنة ١٩١٩م

التحالفات الدولية قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها

مرحلة ما قبل الحرب	مرحلة في أثناء الحرب
التحالف الثلاثي: ألمانيا- الإمبراطورية النمساوية المجرية- إيطاليا.	**دول الوسط:** ألمانيا- الإمبراطورية النمساوية المجرية- الدولة العثمانية - بلغاريا.
الوفاق الثلاثي: فرنسا - روسيا - بريطانيا.	**الحلفاء:** فرنسا - بريطانيا - الولايات المتحدة الأمريكية - إيطاليا - اليابان.

في السنوات العشر الأولى من القرن العشرين، كادت الحرب أن تنفجر بين الدول الأوروبية بسبب الشك وفقدان الثقة والأمن بينها وتنافسها على المصالح والأسواق والمواد الأولية والمستعمرات، فانقسمت الدول إلى **مجموعتين متنافستين**: تضم الأولى ألمانيا وإيطاليا والنمسا - هنغاريا. وتضم الثانية بريطانيا وفرنسا وروسيا. وكان الصراع بين روسيا والنمسا حول السيطرة على البلقان، وهناك الصراع على الألزاس واللورين، وتنافس إنجلترا وألمانيا تجاريًا وبحريًا، وخلاف النمسا والصرب وبلغاريا على البوسنة والهرسك ومقدونيا، والنزاع الألماني الفرنسي على تحديد مناطق النفوذ في شمالي إفريقيا الإسلامي. عبد الرحمن البيطار، الموسوعة العربية، مج ٨، ص ١٥٩.

وكانت أهم قضايا الخلاف **أزمة مراكش** (أزمة طنجة ١٩٠٥م، ومؤتمر الجزيرة في إسبانيا وأزمة أغادير ١٩١١م) التي انتهت بسيطرة فرنسا وإسبانيا على مراكش بعد مقايضات مع ألمانيا، وحصول إيطاليا على طرابلس الغرب.

ودارت الأزمة الثانية حول شبه جزيرة البلقان التي تصارعت الدول الأوروبية للسيطرة عليها وسلخها عن السلطنة العثمانية. فسيطرت النمسا على البوسنة والهرسك ١٩٠٨م، وشجعت ملك بلغاريا للتمرد على العثمانيين والانفصال، وشجع الروس الصرب على الثورة، واشتعلت حرب البلقان الأولى والثانية. ونتيجة لهاتين الأزمتين توترت العلاقات الدولية سنة ١٩١٣م، وقامت التحالفات، وبدأ سباق التسلح وصراع المصالح الاقتصادية، وتأجج المشاعر القومية.

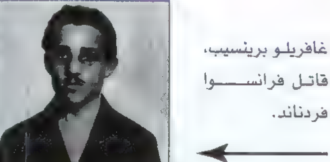
الأسباب الغيرمباشرة

١ - المنافسة الاستعمارية بين الدول الأوروبية، لا سيما في مجال طموحها لكسب المزيد من المستعمرات.

٢ - توازن القوى غير المستقر في أوروبا، وسيطرة ألمانيا على الألزاس واللورين إثر الحرب الفرنسية - البروسية (١٨٧٠م)، وانقسام أوروبا إلى معسكرين رئيسيين: التحالف الثلاثي المكوّن من ألمانيا، والنمسا - هنغاريا، وإيطاليا، والحلف الثلاثي المكوّن من فرنسا وروسيا وبريطانيا.

٣ - سباق التسلح بين القوى الأوروبية، الذي تنامى بفعل الحروب الصغرى التي نشبت في القارة الأوروبية قبيل الحرب العالمية الأولى كحرب البلقان، والاحتكاكات في المستعمرات.

٤ - نمو الروح القومية، وخاصة في إمبراطورية النمسا - هنغاريا المكوّنة من عدة قوميات، وعلى أطرافها، لا سيما في البلقان.



غافريلو برينسيب، قاتل فرانسوا فردناند.

شرارة الحرب العالمية الأولى: قام ولي عهد **النمسا** (فرانسوا فردناند) بزيارة لمنطقة البوسنة؛ لتأكيد النفوذ النمساوي على المنطقة، لكنه اغتيل من طرف طالب صربي في ٢٨ يونيو ١٩١٤م. **واستغلت النمسا** هذا الحدث لتصفية حساباتها مع **صربيا**. واشترطت عليها القضاء على كل حركة معادية للنمسا، ومشاركة هذه الأخيرة في محاكمة المعتقلين الصرب. ورفضت صربيا تلك الشروط، فأعلنت النمسا الحرب على صربيا في ٢٧ يوليوز ١٩١٤م. وتدخلت روسيا حليفة صربيا وأعلنت الحرب ضد النمسا، ثم أعلنت ألمانيا الحرب ضد روسيا وفرنسا. وهكذا اندلعت الحرب العالمية الأولى واستمرت إلى ١٩١٨م.



في ٢٨ يونيو ١٩١٤م، اغتيل وريث العرش النمساوي "فرانز فرديناند" وزوجته في أثناء زيارتهما لسراييفو في منطقة البوسنة والهرسك على يد الطالب الصربي "غافريلو برينسيب" مما أجج النقم النمساوي على الصرب وأشعل فتيل الحرب العالمية الأولى.

مراحل الحرب العالمية الأولى[١]:

المرحلة الأولى: أعلنت النمسا الحرب على صربيا في ٢٨ يوليو سنة ١٩١٤م؛ فأعلنت روسيا الحرب على النمسا وقوفًا مع صربيا فدخلت ألمانيا الحرب ضد روسيا وصربيا؛ بينما أعلنت فرنسا حربها على ألمانيا والنمسا وسارعت بريطانيا بإعلان الحرب على دولتي الوسط اللتين انضمت **إليهما الدولة العثمانية** كما أن **الصين واليابان** دخلتا الحرب مع دول الوفاق وخرجت إيطاليا من حيادها لتدخل الحرب، وخلال هذه المدة استطاع الألمان اجتياح بلجيكا وشمالي فرنسا وتمكن الإنجليز والفرنسيون من إيقاف زحفهم في معركة المارن ١٩١٤م.

المرحلة الثانية: تميزت الحرب خلال هذه الحقبة بحرب الخنادق وكان من أبرز أحداثها انتصار الإنجليز والفرنسيين على الألمان في معركة فردان سنة ١٩١٦م وقيام اتفاقيات سرية عقدها الحلفاء لاقتسام المستعمرات.

المرحلة الثالثة: شهدت هذه المرحلة انسحابًا روسيًا من أرض المعركة بعد قيام الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧م ثم دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب إلى جانب دول الوفاق مما غير موازين القوى في القتال بسبب تقدمها التقني في التسليح ثم توالت باقي الدول في دخولها الحرب حتى بلغ عددها ٣٣ دولة فأضفى على الحرب صفة العالمية.

وقام الإنجليز في ذات العام بدخول القدس بقيادة الجنرال اللنبي وأوقعت الهزيمة بالجيش العثماني فيها وأصدرت بعد ذلك وعدها المشؤوم (وعد بلفور) لإقامة وطن يهودي في أرض فلسطين. وخلال هذه المرحلة انتهت الحرب بهزيمة ألمانيا وحلفائها في معركة المارن الثانية ١٩١٨م. وفي ١١ نوفمبر أعلن رسميًا عن انتهاء الحرب العالمية الأولى بعد توقيع استسلام ألمانيا.



بحلول ديسمبر ١٩١٤م امتدت شبكة من الخنادق بطول الجهة الغربية من الساحل البلجيكي في الشمال وبحلول ١٩١٧م، أصبح خط الجبهة عبر شبكة الخنادق الملتوية.

اختيار موضع الخندق
لم يكن لأي من الأطراف المحاربة خبرة كبيرة بحفر الخنادق وقت نشوب الحرب، لكنهم سرعان ما تعلموا من أخطائهم. فقد أعدّ الألمان خنادق تمكنهم من الوضع الأمثل لمراقبة أفراد العدو وإطلاق النار عليهم وهم لا يزالون محتمين بالخندق بينما كان البريطانيون والفرنسيون يفضلون الاستيلاء على أكبر رقعة من الأرض قبل أن يشرعوا في حفر خنادقهم

١- سامي المغلوث، نموذج لتصميم وتأليف مقرارات العلوم الاجتماعية للمرحلة الثانوية سنة ١٤٢١هـ، الإدارة العامة لتقنيات التعليم - وكالة التطوير التربوي (وزارة التربية والتعليم).

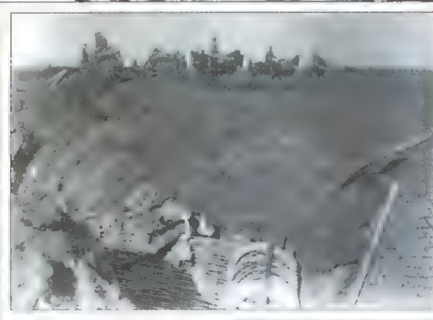


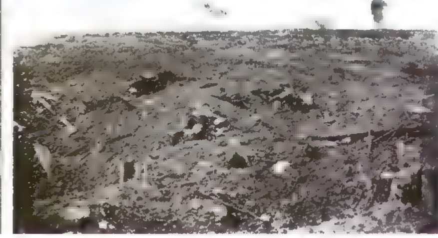
الجبهات	١٩١٤م	١٩١٥م	١٩١٦م	١٩١٧م	١٩١٨م
الجبهة الغربية	هجوم ألماني		فبراير- ديسمبر هجوم ألماني هجوم فرنسي معاكس – هجوم عام إنجليزي	أبريل الولايات المتحدة الأمريكية	تصادم دول الوسط مع دول الوفاق – هدنة ١١ نوفمبر
الجبهة الشرقية		هجوم روسي	هجوم الإمبراطوريات الرئيسة	الثورة الروسية	معاهدة بريست ليتوفسك
دول البلقان ودول المتوسط والشرق الأوسط	دخول الدولة العثمانية الحرب	إيطاليا – بلغاريا	معركة صربيا – رومانيا	هجوم الحلفاء معركة كابريتو	انتصار دول الوفاق – هدنة ٤ نوفمبر
العمليات العسكرية في البحر	حرب الغواصات الألمانية (على امتداد السنوات ١٩١٤–١٩١٧م)	مايو معركة جوتلاند (موضعها على الصفحة تحت ١٩١٥م)		مايو معركة لوزيتانيا (موضعها على الصفحة بين ١٩١٦م و١٩١٧م)	

جبهات القتال في الحرب العالمية الأولى

بداية الهجوم – هجوم مضاد – حرب المواقع – المعارك البحرية – الهدن – الثورة الروسية – الخريطة











في الصفحتين صورٌ من مآسي الحرب العالمية الأولى الذي مات فيها أكثر من ١٠ ملايين جندي نتيجة للحرب، وهو رقم يزيد عن عدد الذين ماتوا خلال المئة سنة السابقة للحرب، وجرح نحو ٢١ مليون رجل. أما الخسائر المالية فقد نجمت عن القوى التدميرية للأسلحة الجديدة خاصة المدافع الآلية. وأسهم القادة العسكريون في هذه المذابح لفشلهم في التّكيّف مع الظروف المتغيرة للحرب.

الدولة العثمانية وأحداث العالمية الأولى:

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، بإعلان ألمانيا الحرب على روسيا في (٩ رمضان ١٣٣٢هـ/ الأول من آب ١٩١٤م)، كشفت **جمعية الاتحاد والترقي** عن عقدة الإعجاب بالألمان التي أصابت حكمهم، لكن أقلية من أعضائها اعتقدت أن مستقبل الدولة مرهون بانتصار هؤلاء، انتصار الحلفاء فسوف يُسفر عن **ضياع الأراضي العربية وتقسيم أراضي الأناضول**، **وبدلاً من وقوفهم على الحياد الذي كان غاية كل من بريطانيا وفرنسا، واختيار التوجه الأنسب للدولة؛** وقعوا تحت **تأثير آلة الحرب الألمانية** ودعايتها، فهرولوا نحو الدخول في الحرب حتى لا تضيع عليهم فرصة المشاركة في النصر، الذي اعتقدوا أنه سوف يتحقَّق بعد مدة وجيزة، ولم يُعيروا اهتمامًا لجانب مهم من الرأي العام وغالبية أعضاء الجمعية بمن فيهم أحد قادتها، وهو **جمال باشا** الذي ذهب إلى حدِّ اقتراح تحالف مناسب مع فرنسا[١].

وكان **قادة الاتحاديين أنور وطلعت وجمال** قد شددوا قبضتهم لمواجهة الظروف الصعبة التي تواجه الدولة بعد حرب البلقان، وعلاوة على ذلك، فإن أنور باشا الذي تمتع بشخصية قوية، شديد الإعجاب بالعسكرية الألمانية، خاصة بعد الانتصارات الألمانية في بداية الحرب، مما ساعد على أن يحتل الضباط البحريون الألمان المراكز المهمة في الأسطول العثماني، **كما جرى تعيين ضباط ألمان للإشراف على قلاع الدردنيل. وعلاوة على ذلك تم توقيع حلف سري بين أنور باشا وبين ألمانيا دون علم السلطان والصدر الأعظم.**

ففي ٧ سبتمبر ١٩١٤م/١٣٣٣هـ، أعلن **أنور باشا** إلغاء الامتيازات الأجنبية لحمل دول الوفاق على إعلان الحرب على الدولة العثمانية، كما قررت الدولة زيادة الرسوم الجمركية التي تقررها طبقًا للامتيازات الأجنبية، وجرى الاستيلاء على دور البريد الأجنبية، وتقرر خضوع الأجانب في الإمبراطورية للقوانين العثمانية، كما تقرر محاكمتهم أمام المحاكم العثمانية. وأصدر أنور أمرًا بإغلاق البوغازين في وجه السفن الأجنبية، وذلك رغبة منه في الحيلولة دون تدخل دول الوفاق. وقدمت الدولة العثمانية معونة مادية وعسكرية للعراق، فأصدر أنور باشا أوامره للأسطول العثماني ببدء الأعمال العسكرية ضد روسيا، فقصف الأسطول العثماني موانئ أوديسا وسباستبول ونوفوردسك، وأغرق عددًا من السفن الحربية الروسية. ونتيجة لذلك أعلنت بريطانيا حمايتها على مصر وضمها لجزيرة قبرص[٢].

١- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٥٢٤؛ نقلًا عن بكديللي:ص١٣٤.

٢- د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص٢٨٧.

وبدأت **أساطيل الحلفاء في مهاجمة قلاع الدردنيل الخارجية**، كما قصفت البحرية البريطانية ميناء العقبة، ورفضت بريطانيا تسليم الطرادين – اللذين جرى بناؤها في الترسانات البريطانية – للدولة العثمانية مما أثار الرأي العام التركي الذي استشاط غضبًا للسياسة البريطانية، على حين نجد أن السياسة الألمانية قد نجحت في ضم الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا وحلفائها، حيث إن ألمانيا كانت تريد استغلال العراق والتغلغل في فارس تجاريًا وسياسيًا وتوجيه ضربة قاتلة إلى الوجود البريطاني في مصر وتهديد السيطرة البريطانية على الهند[١].

وما أن دخلت **الدولة العثمانية الحرب** حتى أرسلت بريطانيا قواتها **لاحتلال العراق**، على حين فكر الأتراك في غزو مصر، **واستعمل السلطان محمد رشاد لقب الخلافة في إعلان الجهاد ضد دول الوفاق**، وطالب المسلمين في العالم، وبخاصة مسلمي روسيا وبريطانيا، بالاشتراك في الحرب ضد الكفار، كما أوقفت صرف الأرباح المستحقة على سندات الدين العثماني العام، التي يمتلكها رعايا دول الأعداء. وقد أرغمت الحرب الأتراك على القتال في ست جبهات، في حين أن معظم العمليات العسكرية العثمانية كانت تستهدف الدفاع عن الأراضي العثمانية، وخاصة في مناطق الدردنيل والقوقاز، وجبهة عدن وقناة السويس. وقد أحرزت الجيوش العثمانية انتصارات عديدة بفعل نظام التحديث الذي نفذه حكام الدولة[٢].

وفي خلال الحرب عمل أنور على اتباع إستراتيجية تستند إلى نداءات **الجامعة الإسلامية** التي نجحت بعض الشيء في إزعاج الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين في ليبيا. وكان **قيام الثورة العربية** برعاية **الشريف حسين** ١٣٣٥هـ/١٩١٦م، ضد الأتراك أكبر ضربة وجهت للدولة العثمانية وللجامعة الإسلامية بوجه خاص. كما كان أكبر نصر أحرزه الأتراك العثمانيون هو صدهم لحملة الدردنيل، مما اضطر الحلفاء إلى الانسحاب بعد أن كلفتهم الحملة حوالي ١٢٠ ألف قتيل وجريح[٣].

> لقد تحقَّقت الخطوة الأولى التي زجَّت الدولة العثمانية في أتون الحرب معاهدة التحالف السرية التي عُقدت مع ألمانيا في (١٠ رمضان / ٢ آب)، وكان رائد هذه الخطوة كل من الصدر الأعظم، وناظر الخارجية سعيد حليم باشا، وناظر الحربية أنور باشا، وناظر الداخلية طلعت بك، ورئيس مجلس الأمة خليل بك، وقد أخفوا هذه الواقعة عن جمال باشا الذي لم يكن مؤيدًا لعقد هذا التحالف في تلك الظروف، على الرغم من موافقته المتأخرة، كما لم يُعلموا الوزراء الآخرين والسلطان **محمد الخامس** بشيء من ذلك. د. طقوش، المرجع السابق.

١- د. عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية، ص ٢٣٢ – ٢٣٤.

٢- د. إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص ٢٢١.

٣- د. عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص ٢٣٥ – ٢٤١.

كانت **دول الحلفاء** تقوم **بعقد الاتفاقات السرية** خلال الحرب بهدف **تقسيم الدولة العثمانية** وأهمها ما يلي[1]:

١- **اتفاقية الأستانة** (١٨ مارس ١٩١٥م/١٣٣٤هـ) الموقعة بين روسيا وفرنسا وبريطانيا، وقد حصلت روسيا بمقتضاها على البوغازين والآستانة بالإضافة إلى شاطئ الغربي للبسفور وبحر مرمرة والدردنيل، **وكل ما تبقى للدولة العثمانية من أرض في أوروبا**. واتفق على أن تكون الآستانة ميناءً حرًا لدول الوفاق، بحيث تسمح روسيا بحرية الملاحة في البوغازين، ووافقت روسيا بدورها على مناطق النفوذ البريطاني والفرنسي في الأناضول. كما تم الاتفاق على فصل الأراضي الإسلامية المقدسة في الحجاز وباقي شبة الجزيرة العربية، ووضعها تحت حكم عربي مستقل. ونصت الاتفاقية على استمرار تقسيم إيران بين روسيا وبريطانيا وفق ما اتفق عليه سنة ١٩٠٧م.

٢- **معاهدة لندن** (٢٦ إبريل ١٩١٥م/١٣٣٤هـ) وقد تم عقد هذه المعاهدة بين دول الوفاق وإيطاليا التي وعدت بكامل السيادة على جزر الدوديكانيز وليبيا، وبالحصول على جزء من ساحل الأناضول الواقع على البحر المتوسط (أضاليا)، وذلك في حالة تقسيم أملاك الدولة العثمانية في آسيا بعد الحرب.

٣- **اتفاق سايكس بيكو** (١٦ مايو ١٩١٦م/١٣٣٥هـ) المعقود بين بريطانيا وفرنسا وروسيا. وقد حصلت **روسيا** على ولايات أرضروم وطرابزون ووان وتفليس وشمالي كردستان. وحصلت **فرنسا** على سوريا وجنوب شرقي الأناضول، كما حصلت **بريطانيا** على جنوبي العراق ومينائي حيفا وعكا في فلسطين. كما حصلت **فرنسا** على كيليكيا وحقول نفط الموصل.

٤- **اتفاقية سان جان دي مورين** (١٧ إبريل ١٩١٧م/١٣٣٦هـ) المعقودة بين فرنسا وبريطانيا وإيطاليا، فقد استهدفت تصفية الخلافات الفرنسية الإيطالية. ولهذا قررت منح فرنسا **منطقة أضنة** على أن تضع إيطاليا يدها على ما تبقى من جنوبي الأناضول بما في ذلك **ولاية إزمير** بالإضافة إلى ولاية **قونية** ومتصرفيات **أضاليا وغربي الأناضول**.

٥- **ووعدت بريطانيا الشريف حسين بدولة عربية** في المشرق إذا ما أعلن الثورة ضد الأتراك بموجب مراسلات الحسين مكماهون ١٩١٥م/١٣٣٤هـ. كما حاول الحلفاء إغراء اليونان بدخول الحرب مقابل استيلائها على بعض أراضي الأناضول. وقد قبل رئيس الوزراء اليوناني عروض الخلفاء تحقيقًا لأطماعه في قيام بلاد اليونان الكبرى، ولكن هذه الخطة لم تنجح. على أن كل هذه الاتفاقيات لم ترسم

١- د. إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص ٢٢١، مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ.

خريطة ما بعد الحرب، **بسبب قيام الثورة في روسيا** في مارس ١٩١٧م/١٣٣٦هـ، واستيلاء البلاشفة على الحكم في أكتوبر من العام نفسه، وانسحبوا من الحرب، وأعلنوا عن تخليهم عن نصيبهم من تركة الدولة العثمانية.

وهكذا فإن الدولة العثمانية قد أضاعت كل أجزاء أوروبا في أثناء حكم الاتحاديين القصير، فقد استقلت بلغاريا، واحتلت النمسا البوسنة والهرسك، وضمت اليونان كريت، واحتلت إيطاليا ليبيا وبعض جزر البحر المتوسط. ومع هذا فقد سيطرت فكرة القومية التركية ثم الطورانية برغم رغبة الناس في الإبقاء على الرابطة العثمانية. ونتيجة لذلك نشأ رد فعل عند العرب فظهرت الحركات القومية التي تغذيها أوروبا لتفكيك أواصر الدولة العثمانية. فتأسست أحزاب عربية (تقدم الحديث عنها).

ومهما يكن من أمر، فإن هناك عددًا من الزعماء المسلمين العرب كانوا يريدون إصلاح الجهاز الإداري، وتأدية الخدمة العسكرية محليًا، والمحافظة على اللغة العربية، **ولا يريدون الانفصال عن الدولة العثمانية وتجزئتها أبدًا**، غير أنهم في شباك أصحاب الفكر القومي والتيارات المعادية للإسلام.



تحطم طائرة عسكرية بريطانية ومقتل طيارها سنة ١٩١٤م، ويُرى مجموعة من الجنود الألمان أمام هذا المشهد

أخذت **ألمانيا** على عاتقها تطوير جهازها الحربي بعد نهاية الحرب العالمية الأولى. ويرى في الصورة المؤلف أمام إحدى الطائرات التي شاركت في الحرب العالمية الثانية؛ معروضة في المتحف التقني الألماني ميونيخ - ألمانيا.

الثورة العربية الكبرى سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م

كانت **لسياسة التتريك** الدور الرئيس في اشتعال الثورة. حيث استطاع القوميون الأتراك (الطورانيون) الوصول إلى السلطة بقيادة **مصطفى كمال أتاتورك**، الذي قام بمحاربة اللغة العربية، وفرض اللغة التركية على العرب. ونظرًا لزيادة تردي الوضع الاقتصادي، والنهضة العربية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كان يلوح في الأفق فرصة الانفصال عن الدولة.

وحينما نشبت **الحرب العالمية الأولى** سنة ١٣٣٢ هـ/١٩١٤م، ونمت روح النقمة على العثمانيين في بلاد الشام والعراق والحجاز، انتهز **البريطانيون الفرصة**، بعد أن علموا بالتفاف العرب حول الشريف الحسين بن علي وهم في حرب مع الدولة العثمانية والألمان، فاتصلوا **بالشريف حسين** من مصر، وعرضوا عليه خدماتهم (من خلال ما عرف بمراسلات حسين مكماهون)، **فأعلن الثورة العربية الكبرى**، وأطلق رصاصته الأولى بالطائف في ٩ شعبان ١٣٣٤ هـ/١٩١٦م، وحاصر من كان في بلاد الحجاز من العثمانيين، وأمده حلفاؤه الإنجليز بالمال والسلاح، ونُعِتَ بالملك المنقذ ووجه ابنه فيصلًا على رأس جيش كبير إلى سوريا، فدخلها بمساعدة غير مباشرة من الجيش البريطاني.

هو **الحسين بن علي** مؤسس الدولة الحجازية الهاشمية والحاكم قبل الأخير لمكة من بني هاشم. أول من نادى من الحجاز باستقلال العرب. كان أميرًا و شريفًا لمكة إبّان حكم الدولة العثمانية. ولد في أستنبول سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م، وذلك لأن والده نفي إليها، وكان ملمًا باللغة التركية ولديه إجازات في المذهب الحنفي، عاد إلى مكة وعمره ثلاث سنوات. قاد الثورة العربية الكبرى في بلاد الحجاز وبلاد الشام والعراق من الدولة العثمانية بتحالف مع الإنجليز في ١٩١٦م **ولقب بملك العرب.**

الثورة العربية الكبرى

هي ثورة قام بها **الشريف حسين** حاكم مكة ضد **الدولة العثمانية** في يونيو سنة ١٩١٦م بدعم من بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى.

وتمكن أفراد القبائل الذين انضموا إلى الحركة من تفجير خط سكة قطارات الحجاز بمساعدة ضابط المخابرات البريطاني لورنس، ومنعوا وصول الدعم التركي إلى الحجاز، وطردوا الجيش التركي من مكة والمدينة والطائف وجدة وينبع والعقبة ومعان ودمشق وأخيرًا حلب في سنة ١٩١٩م.



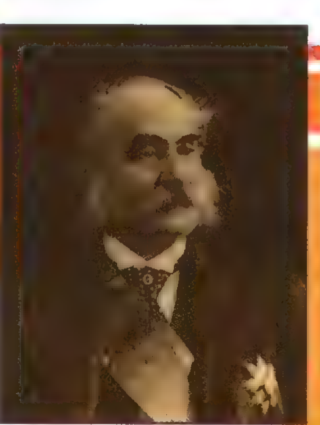
الجاسوس البريطاني لورانس المعروف بلورانس العرب

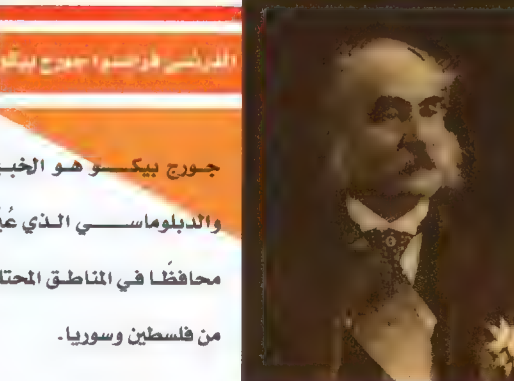

الدولة العثمانية
بلاد الأكراد
ديار بكر
إيران
بلاد الشام
الاحتلال الإنجليزي للعراق
العراق
البحر الأبيض المتوسط
القاهرة
مصر
الصعيد
نجد
المدينة المنورة
الحجاز
الاحتلال الإنجليزي لمصر والسودان
اليمن
صنعاء
دمشق
تبوك
مكة
جدة
الطائف
الليث
بغداد
في تموز ١٩١٧م سقط ميناء العقبة، وعندما احتل البريطانيون بغداد احتج الحسين ولكن بريطانيا علقت أنه تدبير عسكري مؤقت وغير مهم سياسيًا. وبين عامي ١٩١٦-١٩١٧ انضم للجيش الشريفي عدد من الضباط الوطنيين من سوريا وفلسطين ممن كانوا في الجيش العثماني وتطوع كثير من عرب المشرق فوصل الجيش الشريفي إلى ٧٠،٠٠٠ مقاتل، وبعد ذلك ضمت بيروت وحلب وحماة وطرابلس وصيدا وصور وحمص.
بدات المعارك الحربية في جدة ١٣ حزيران، وانهزمت الحامية العثمانية وضمت مكة في ٩ تموز في سنة ١٩١٦م، وبعد شهرين تقريبًا ضم ثغري "الليث" و"أومليح" على البحر الأحمر بين الحجاز واليمن.
أعلن الشريف حسين الثورة العربية الكبرى، وأطلق رصاصته الأولى بالطائف في ٩ شعبان ١٣٣٤ هـ/١٩١٦م، وحاصر من كان في بلاد الحجاز من العثمانيين.
مسار الثورة العربية
معركة فاصلة
الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦م على يد الشريف الحسين بن علي

تمكنت **الثورة العربية الكبرى من طرد القوات العثمانية من الحجاز**، ومن مناطق في شرقي الأردن، وساعدتها بريطانيا عسكريًا وسياسيًا في تحقيق ذلك. وحينما اقترب العرب من إقامة الدولة العربية الموحدة، تبين لهم أن بريطانيا عقدت اتفاقية سرية عرفت بـ(**سايكس بيكو سازانوف**) سنة ١٩١٦م، بين فرنسا والمملكة المتحدة بمصادقة من الإمبراطورية الروسية على اقتسام الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا لتحديد مناطق النفوذ في غربي آسيا بعد تهاوي الدولة العثمانية، المسيطرة على هذه المنطقة، إبَّان الحرب العالمية الأولى.

تم الوصول إلى **هذه الاتفاقية** بين نوفمبر من سنة ١٩١٥ ومايو من سنة ١٩١٦م بمفاوضات سرية بين الدبلوماسي **الفرنسي فرانسوا جورج بيكو والبريطاني مارك سايكس**، وكانت على صورة تبادل وثائق تفاهم بين وزارات خارجية فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية آنذاك. تم الكشف عن الاتفاق بوصول الشيوعيين إلى سدة الحكم في روسيا سنة ١٩١٧م، مما أثار الشعوب التي تمسها الاتفاقية وأحرج فرنسا وبريطانيا، وكانت ردة الفعل الشعبية-الرسمية العربية المباشرة قد ظهرت في مراسلات حسين مكماهون.

لقد تم تقسيم **الهلال الخصيب** بموجب هذا الاتفاق، التي حصلت فيه فرنسا على الجزء الأكبر من الجناح الغربي من الهلال (**سوريا ولبنان**) ومنطقة الموصل في العراق. أما بريطانيا فامتدت مناطق سيطرتها من طرف بلاد الشام الجنوبي متوسعة بالاتجاه شرقًا، لتضم **بغداد والبصرة** وجميع المناطق الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة الفرنسية في سوريا. كما تقرر أن تقع **فلسطين** تحت إدارة دولية يتم الاتفاق عليها بالتشاور بين بريطانيا وفرنسا وروسيا. ولكن الاتفاق نص على منح بريطانيا مينائي **حيفا وعكا** على أن يكون لفرنسا حرية استخدام ميناء حيفا، ومنحت فرنسا لبريطانيا بالمقابل استخدام ميناء الأسكندرونة الذي كان سيقع في حوزتها.





السيد مارك سايكس الخبير والرحالة البريطاني في الشرق الأوسط.

جورج بيكو هو الخبير والدبلوماسي الذي عُيِّن محافظًا في المناطق المحتلة من فلسطين وسوريا.

خريطة تقسيم بلاد الشام والعراق وفقًا لاتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦م

الخريطة	
منطقة خاضعة لفرنسا	مدن تحت سيطرة بريطانيا
منطقة خاضعة لبريطانيا	
منطقة (أ) نفوذ فرنسي	
منطقة (ب) نفوذ بريطاني	
منطقة خاضعة للنفوذ الدولي	

تعدّ اتفاقية **سايكس ـ بيكو** مثالًا صارخًا على الخداع الاستعماري والانقلاب على الوعود التي تعهد بها الحلفاء للعرب، وهي أساس تجزئة الأمة العربية وشرذمتها، وقد بقيت الاتفاقية طي الكتمان حتى قيام الثورة البلشفية في روسيا ١٩١٧م، واستيلاء الثوار على ملفات وزارة الخارجية ونشرها، فوقعت نسخة منها بيد الحكومة التركية التي سارعت إلى تقديمها للشريف حسين ليثبتوا له خيانة حلفائه و يشجعوه على العودة إلى الصف العثماني، وبالمقابل زعم الإنجليز أن هذه مكيدة من الأتراك وأكدوا له عزمهم على تنصيبه ملكًا على العرب.



نص المنشور الذي ألقته الطائرات البريطانية وموجَّه من الشريف حسين إلى الجنود والضباط العرب في الجيش التركي في فلسطين سنة ١٩١٥م.

وعد بلفور سنة ١٩١٧م

صدر **وعد بلفور** بعد مفاوضات استمرت ثلاث سنوات دارت بين **الحكومة البريطانية واليهود البريطانيين والمنظمة الصهيونية العالمية** قبل أن يخرج بشكل خطاب موجه من أرثر جيمس بلفور وزير الخارجية البريطانية موجه إلى اللورد روتشيلد (أقرأ النص في الصفحة المقابلة).

وبهذا أعطى (من لا يملك) إلى (من لا يستحق) أول حماية، يتم التصريح بها، وأول خطوة عن طريق الشرعية الزائفة، ومع ذلك اعتبرها الصهاينة تصديقًا بريطانيًا رسميًا على إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وذلك عن طريق الهجرة الجماعية وابتياع الأراضي، ووافقت على التصريح **فرنسا وإيطاليا** في فبراير سنة ١٩١٨م، وأمريكا في أكتوبر سنة ١٩١٨م. وكانت تتمة المؤامرة البريطانية - الغربية إعلان الانتداب على فلسطين، بعد ضمها مع شرقي الأردن والعراق إلى بريطانيا.. واكتشف الشريف حسين - ومن وراءه من العرب - أن فلسطين قد سلمت لليهود، وأن العرب جرى اقتسامهم بين الدول الحليفة[١].

أسباب وعد بلفور المشؤوم:

أولاً: القيمة الإستراتيجية لفلسطين بوصفها بوابة العبور إلى أسيا كما وصف هرتزل دور الدولة اليهودية في فلسطين بقوله: "سنكون بالنسبة إلى أوروبا جزءًا من حائط يحميها من آسيا، وسنكون بمنزلة حارس يقف في الطليعة ضد البربرية".

ثانيًا: محاولة بريطانيا كسب لتأييد الطوائف اليهودية في العالم لها في أثناء الحرب العالمية الأولى.

ثالثًا: التخلص من موجات الهجرة اليهودية داخل أوروبا وتوجيهها إلى أرض فلسطين.

رابعًا: اكتشاف حاييم وايزمن الصهيوني لمادة الأسيتون، وصنع المواد المتفجرة التي ساعدت بريطانيا في الحرب العالمية الأولى[٢]. وقلل بعض الباحثين من أهمية هذه النقطة لعدم دورها الحقيقي.

آرثر جيمس بلفور

سياسي بريطاني (٢٥ يوليو ١٨٤٨-١٩ مارس ١٩٣٠م). تولى رئاسة الوزارة في بريطانيا من ١١ يوليو ١٩٠٢م إلى ٥ ديسمبر ١٩٠٥م. عمل أيضاً وزيراً للخارجية من ١٩١٦م إلى ١٩١٩م في حكومة ديفيد لويد جورج. اشتهر بإعطاء وعد بلفور الذي نص على دعم بريطانيا لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

أصدر وزير الخارجية البريطاني جيمس آرثر بلفور يوم ٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٧م تصريحًا مكتوبًا وجهه باسم الحكومة البريطانية إلى اللورد ليونيل والتر روتشيلد (١٨٦٨-١٩٣٧م)، يتعهد فيه بإنشاء "وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين"، واشتهر التصريح باسم وعد بلفور.

وكان يعارض الهجرة اليهودية إلى شرقي أوروبا خوفًا من انتقالها إلى بريطانيا، وكان يؤمن بأن الأفضل لبريطانيا أن تستغل هؤلاء اليهود في دعم بريطانيا من خارج أوروبا.

١- د. علي جريشة، فلسطين مسلمة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد ٤٣، ص ٣٤٥.

٢- د. عبد الحميد الفرماوي، موقع هدي الإسلام.



وعد بلفور (تصريح بلفور) هي الرسالة التي أرسلها **آرثر جيمس بلفور** بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩١٧م إلى اللورد ليونيل ولتر دي روتشيلد يشير فيها إلى تأييد الحكومة البريطانية لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

حين صدر الوعد كان تعداد اليهود في فلسطين لا يزيد عن ٥٪ من مجموع عدد السكان، وقد أرسلت الرسالة قبل أن يحتل الجيش البريطاني فلسطين. يطلق على هذا الوعد عبارة "وعد من لا يملك لمن لا يستحق".

Foreign Office,
November 2nd, 1917.

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet.

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

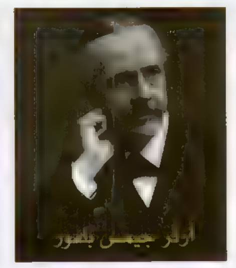
I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

Yours
Arthur James Balfour

الترجمة

وزارة الخارجية البريطانية

٢ نوفمبر ١٩١٧م



عزيزي اللورد روتشيلد

يسرني جدًا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة التصريح التالي، الذي ينطوي على العطف على أماني **اليهود والصهيونية**، وقد عرض على الوزارة وأقرته:

"إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي **للشعب اليهودي في فلسطين**، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يكون مفهومًا بشكل واضح أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى".

وسأكون ممتنًا إذا ما أحطتم اتحاد الهيئات الصهيونية علمًا بهذا التصريح.

المخلص
آرثر جيمس بلفور





أتم **البريطانيون** احتلال جنوبي فلسطين ووسطها في ديسمبر ١٩١٧م، واحتلوا القدس في ٩ ديسمبر ١٩١٧م، وخطب قائد الجيش البريطاني اللنبي في القدس محتفلًا بانتصاره قائلًا: **"والآن انتهت الحروب الصليبية"**، وكأن حملتهم على فلسطين كانت آخر حملة صليبية، وكأن الحروب الصليبية لم تتوقف منذ أن شنها الأوروبيون قبل ذلك بأكثر من ٨٠٠ سنة، وفي سبتمر ١٩١٨م احتل البريطانيون شمالي فلسطين، كما احتلوا في سبتمبر – أكتوبر ١٩١٨م شرقي الأردن وسوريا ولبنان، ومنذ ذلك الوقت فتحت بريطانيا بالقوة مشروع التهويد المنظم لأرض فلسطين، واستطاعت بريطانيا بعد ذلك إقناع **فرنسا** بالتخلي عن مشروع تدويل فلسطين كما في نصوص **سايكس بيكو**، مقابل رفع بريطانيا لدعمها للحكومة العربية التي نشأت في دمشق بزعامة **فيصل بن الشريف حسين**، حتى تتمكن **فرنسا من احتلال سوريا**، ثم وفّرت بريطانيا لنفسها غطاءً دوليًا باستصدار قرار من عصبة الأمم في ٢٤ يوليو ١٩٢٢م بانتدابها على فلسطين، وتم تضمين **وعد بلفور** في صك الانتداب، بحيث أصبح التزامًا رسميًا معتمدًا دوليًا. د. محمد [illegible] فلسطين تحت الاحتلال البريطاني ١٩١٧ – ١٩٤٨م، موقع التاريخ.

دخول القوات البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي إلى القدس سنة ١٩١٧م، بعد خداعهم للعرب في ثورتهم ضد الدولة العثمانية

خريطة عثمانية تاريخية تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي عليها مدن فلسطين في العهد العثماني، واقعة ضمن متصرفية القدس الشريف، وولاية بيروت (سنجق عكًا وسنجق نابلس).



رسم تاريخي يصور الحياة الاجتماعية في فلسطين أيام الحكم العثماني



يافا (برج الساعة) شُيد في ١٩٠٦م تخليدًا للسلطان عبد الحميد الثاني

الثورة الروسية سنة ١٩١٧م

كان **دخول العثمانيين** الحرب العالمية الأولى سببًا في قطع طرق التجارة الخارجية لروسيا **والعزل التام لها**، مما أثر على البضائع بالنقص، بل أيضًا انخفاض شامل في كمية الأسلحة.

لقد تسببت المجزرة التي حدثت في الخنادق، التي تزامنت مع أزمة اقتصادية خانقة، في آلام غير محتملة للجنود، والعمال والفلاحين في **الإمبراطورية القيصرية** في المدن كما في القرى، كان البؤس يتفاقم، في نفس الوقت الذي كان فيه الترف والفساد يسودان البلاط الإمبراطوري وبين صفوف الارستقراطية والطبقة الرأسمالية. ومع نهاية سنة ١٩١٦م، لم يعد من الممكن إيجاد اللحم في أسواق بتروغراد، وكاد الدقيق أن ينعدم، كما أن عشرات المعامل أغلقت أبوابها بسبب انعدام الوقود أو الكهرباء.

نتيجة للإحباط الذي ساد المجتمع من جراء الهزائم المتتابعة في الحرب العالمية الأولى حيث بدأ الناس في طوابير الطعام المشاركة في المظاهرات، وانضم إليهم الآلاف من عاملات النسيج اللاتي انسحبن من المصانع جزئيًا للاحتفال باليوم العالمي للمرأة، ولكن أساسًا للاحتجاج على النقص الحاد في الخبز. وقامت أعداد كبيرة من الرجال والنساء بالدعوة إلى الإضراب، وتسربت الدعوة للإضراب إلى المصانع، التي لا تزال تعمل، حيث وجهت الدعوة للعاملين لديهم للانضمام إليهم، وسار الغوغاء في الشوارع مع صرخات **"الخبز!" و"اعطونا خبزًا!"**.

وبالفعل فقد اندلعت **الثورة الروسية** بعد سلسلة من الثورات الشعبية سنة ١٩١٧م، التي قامت بها الجماهير الروسية الجائعة. والتي أنهت الحكم القيصري، وحلت مكانه حكومة مؤقتة، وأدى ذلك إلى إنشاء **الاتحاد السوفياتي** ففي ٢٣ فبراير ١٩١٧م، أصبحت العاصمة **سانت بطرسبرغ** محور الاهتمام.

أما انطلاق الثورة البلشفية: أو ثورة أكتوبر فقد كانت المرحلة الثانية من الثورة الروسية سنة ١٩١٧م، فقد قادها **البلاشفة** تحت إمرة **فلاديمير لينين وليون تروتسكي** الذي كانا قائداها، بناء على أفكار **كارل ماركس**؛ لإقامة **دولة شيوعية** وإسقاط الحكومة المؤقتة. وتعد الثورة البلشفية أول ثورة شيوعية في القرن العشرين الميلادي.

أزال البلاشفة في **الثورة الثانية** خلال شهر تشرين الأول/أكتوبر الحكومة المؤقتة واستبدلوها بحكومة اشتراكية، تلى ذلك الفصل الأخير من الثورة وهو الحرب الأهلية الروسية.

كانت **الثورة الروسية** من أكثر الأحداث جدلًا في تاريخ القرن العشرين، حيث لا يزال المؤرخون منقسمين حول رؤيتهم لأحداثها ونتائجها من نظرة إعجاب وآمال كبرى إلى نظرة أخرى يكتنفها

الخوف والتهجم على قادتها، ولا يزال إلى وقتنا هذا الانقسام دائرًا حول ما إذا كانت أحداث أكتوبر مجرد امتداد لثورة فبراير، وعما إن كانت أحداث أكتوبر ثورة نسبت إلى الحرية أو انقلاب على الشرعية، بل ويمتد الخلاف إلى أسباب العنف خلال الحرب الأهلية، وما دور كل ما سبق في نشوء الديكتاتورية في الاتحاد السوفيتي السابق، وتطور الشيوعية اللينينية إلى الستالينية سنة ١٩٣٠م.

كانت **المعركة الرئيسة الأولى** في الحرب العالمية الأولى كارثة على روسيا؛ ففي سنة ١٩١٤م وقعت معركة تاننبرغ، حيث فقدت القوات الروسية ما يزيد على ٣٠,٠٠٠ قتيل بالإضافة إلى حوالي ٩٠,٠٠٠ جريح وأسير، بينما عانت ألمانيا من إصابة حوالي ٢٠٠٠٠ جريح فقط.

وفي سنة ١٩١٥م، اتخذت الأمور منعطفًا سيئًا بكل الأشكال عندما تحول تركيز ألمانيا للهجوم على الجبهة الشرقية. وتفوق الجيش الألماني ذو التدريب والقيادة الأفضل، ومما زاد الأمر سوءًا عدم فعالية تجهيز القوات الروسية والبولندية، خلال حملة تارنوف الهجومية في أكتوبر ١٩١٦م، كانت روسيا قد خسرت ما بين ١٦٠٠٠٠٠ و١٨٠٠٠٠٠ من الجنود، بالإضافة إلى ٢,٠٠٠,٠٠٠ أسير، و١٠٠٠٠٠٠ مفقود، بحيث كان مجموع ما يقرب من ٥,٠٠٠,٠٠٠ من الرجال الروس ما بين قتيل وأسير وجريح.



الشيوعية: مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي. ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وانجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧م على يد الزعيم البلشفي لينين.


تعبئة الحشود الروسية للتظاهر في الميادين سنة ١٩١٧م

الدولة العثمانية ونهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م

كان **لخروج روسيا** من الحرب بعد نجاح **الثورة البلشفية أكتوبر ١٩١٧م** وتوقيع زعيمها **لينين** معاهدة سلام منفصلة مع ألمانيا معاهدة بريست ليتوفسك ١٩١٨م دور حاسم في دفع ألمانيا إلى شن هجوم مكثف على **فرنسا**، بغية احتلالها قبل وصول **الدعم الأمريكي** غير أن توحد القوات البريطانية والفرنسية بقيادة الجنرال الفرنسي فوش مكّن حيث **انتصرت فرنسا على ألمانيا**، وسميت **بمعركة المارن** ٦-٩ أكتوبر ١٩١٤م، مما أدى بالقوات الفرنسية إلى الانسحاب نحو الجنوب، فلحقت بهم ألمانيا، ووقعت معركة **حصن فردان** في فبراير ١٩١٦م المعركة التي أوقفت الزحف الألماني على فرنسا.

ودخلت **الولايات المتحدة الحرب** بجانب الحلفاء لهدف مكافحة الإرادة الألمانية في السيطرة والنفوذ وعدم احترام الألمان لحياد بلجيكا وغزوها، كما أدت حرب الغواصات التي شنها الألمان، التي أساءت كثيرًا للمصالح الاقتصادية الأمريكية إلى دفع الولايات المتحدة للدخول في الحرب.

وبالإضافة إلى ذلك خشية أصحاب المصارف وحكومة الولايات المتحدة من انكسار الحلفاء، وقد كانت المصارف الأمريكية قد أقرضت بريطانيا وفرنسا أموالًا طائلة، لتمكنها من شراء المواد الأولية والأغذية من الولايات المتحدة، لذلك بدأ أصحاب المصارف ورجال الأعمال الأمريكان دعوة الحكومة الأمريكية للتدخل بجانب الحلفاء.

شجع **خروج روسيا** من الحرب القيادة الألمانية على الاستفادة من ٤٠٠ ألف جندي ألماني كانوا على الجبهة الروسية، وتوجيههم لقتال الإنجليز والفرنسيين، **واستطاع الألمان تحطيم الجيش البريطاني** الخامس في مارس ١٩١٨م، وتوالت معارك الجانبين العنيفة التي تسببت في خسائر فادحة في الأرواح، والأموال، وقدرت كلفة الحرب في ذلك العام نحو عشرة ملايين دولار كل ساعة.

وبدأ **الحلفاء** يستعيدون قوتهم وشن هجمات عظيمة على **الألمان** أنهت الحرب، وقد عرفت باسم معركة **المارن الثانية** في يوليو ١٩١٨م وكان يوم ٨ أغسطس ١٩١٨م يومًا أسود في تاريخ الألمان؛ إذ تعرضوا لهزائم شنيعة أمام البريطانيين والحلفاء، وبدأت ألمانيا في الانهيار، وأسر حوالي ربع مليون ألماني في ثلاثة شهور، ودخلت القوات البريطانية كل خطوط الألمان، ووصلت إلى شمالي فرنسا، ووصلت بقية قوات الحلفاء إلى فرنسا.



الدول المتصارعة في الحرب العالمية الأولى
قوات الحلفاء
دول المحور المركزي
دول محايدة
أسفرت الحرب العالمية الأولى عن سقوط الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية-المجرية وروسيا القيصرية، ثم سقوط الخلافة العثمانية سنة ١٣٤١ هـ-١٩٢٤م وعن خسائر مادية وبشرية جسيمة وعن تراجع الدور الرائد لأوروبا في توجيه سياسة العالم.
الخريطة
إيرلندا
الدانمارك
كوبنهاجن
بحر الشمال
المملكة المتحدة
ويلز
لندن
أمستردام
لاهاي
بروكسل
بلجيكا
ألمانيا
برلين
روسيا القيصرية
بولندا
أوكرانيا
باريس
فرنسا
برن
فيينا
الإمبراطورية النمساوية المجرية
رومانيا
بوخارست
البحر الأسود
البوسنة
بلغراد
صربيا
بلغاريا
صوفيا
كورسيكا
روما
إيطاليا
دوريس
ألبانيا
أستانبول
سردينيا
الدولة العثمانية
البحر الأبيض المتوسط
اليونان
الجزائر
تونس
الاحتلال الفرنسي للجزائر
الاحتلال الفرنسي لتونس
صقلية
أثينا
نيقوسيا
٠ ٢٥٠ ٥٠٠ كم
نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م
الدول الجديدة
حدود جديدة
الدول المنتصرة
الإمبراطورية الروسية السابقة
الإمبراطورية المنهزمة السابقة
ألمانيا
النمسا - هنغاريا
الدولة العثمانية
مدن متحررة
مدن خضعت للتصويت
مناطق متنازع عليها
روسيا البلشفية
أوروبا الشرقية
أوروبا الغربية
البلقان
البحر الأسود
بلغاريا
الدولة العثمانية
إيران
الشمال الإفريقي
البحر المتوسط

واجتاحت **ألمانيا** أزمة سياسية عنيفة تصاعدت مع توالي الهزائم العسكرية في ساحات القتال، **فطلبت ألمانيا إبرام هدنة دون قيد أو شرط**، فرفض الحلفاء التفاوض مع الحكومة الإمبراطورية القائمة، وتسبب ذلك **في قيام الجمهورية في ألمانيا** بعد استقالة الإمبراطور الألماني، **ووقعت الهدنة التي أنهت الحرب** بعد أربع سنوات ونصف من القتال الذي راح ضحيته عشرة ملايين من العسكريين، وجرح ٢١ مليون آخرين. من العسكريين، ومأس تجرعها البشر آنذاك.

أنهت **هدنة مودروس** الموقعة في ٣٠ أكتوبر ١٩١٨م، العمليات القتالية في القتال في الشرق الأوسط بين الدولة العثمانية والحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى. وقد **وقعها وزير الشؤون البحرية العثماني رؤوف أورباي بك والأدميرال البريطاني "سومرست آرثر غوف"**، على متن السفينة "إتش إم إس أغاممنون" في ميناء "مودروس" في جزيرة "ليمنوس" اليونانية.

الشروط:

طبقًا لهذه المعاهدة **استسلم العثمانيون** في مواقعهم المتبقية خارج الأناضول، ووافقوا على أن يسيطر الحلفاء على مضائق **البسفور والدردنيل**، والحق في احتلال أي إقليم عثماني في حالة وجود تهديد للأمن. تم تسريح الجيش العثماني، وأصبحت الموانئ والسكك الحديدية والنقاط الإستراتيجية الأخرى متاحة لاستخدام الحلفاء. في القوقاز، تراجع العثمانيون إلى حدود ما قبل الحرب.

ومن الشروط التي أملتها بريطانيا على تركيا:

١.تسريح الجيش التركي ووضع رقابة الحلفاء على الإذاعة و التلغراف والطرق الحديدية.

٢.احتلال مضايق البوسفور و الدردنيل ومرور السفن الحربية التابعة للحلفاء من خلالها.

٣.استسلام القوات التركية في البلدان العربية (اليمن، العراق، سوريا، الحجاز).

٤.انسحاب القوات التركية من إيران ومن الأجزاء المسيطرة عليها فيما وراء القوقاز.

٥.احتلال الحلفاء باكو و باطوم مع احتفاظهم بالحق في احتلال أي مواقع إستراتيجية في داخل تركيا ذاتها في حالة ما إذا استجدت ظروف تهدد أمنهم وسلامتهم.

٦.إعادة أسرى الحرب من المواطنين التابعين لدول الحلفاء دون أي شروط وإبقاء أسرى الحرب الأتراك تحت تصرف الحلفاء.



الوضع العام بعد توقيع **هدنة** مودروس الموقعة في ٣٠ أكتوبر ١٩١٨م بين الدولة العثمانية والحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى

السفينة "إتش إم إس أغاممنون" في ميناء "مودروس" في جزيرة "ليمنوس" اليونانية.

نصت المادة (١٦) من هذه الوثيقة على **استسلام القوات التركية** المطلق **للحلفاء** ونهاية الإدارة التركية في الولايات العربية الخاضعة سابقًا **للإمبراطورية العثمانية** بما في ذلك **عسير واليمن**.

وعقب الهدنة **أُحتلت القسطنطينية وتم تقسيم الدولة العثمانية**، ثم تلى ذلك **معاهدة سيفر** في ١٠ أغسطس ١٩٢٠م، ولكن لم تسر هذه المعاهدة بسبب اندلاع حرب الاستقلال التركية.

توفي السلطان العثماني **محمد رشاد (الخامس)** قبل أشهر من انتهاء **الحرب العالمية الأولى**، وخلفه **أخوه محمد "وحيد الدين" السادس**. وبعد مرور شهر على توقيع هدنة مودروس، دخلت البحرية البريطانية والفرنسية والإيطالية ثم الأمريكية إلى **القرن الذهبي**، وأنزلت قواتها في **الأستانة (أستنبول)** التي حوّلتها إلى قاعدة لنشاط الحلفاء في المنطقة كلها.

سيطر **الحلفاء** على موانئ البحر الأسود كلها، واقتسموا الأراضي التركية، فاحتل **الفرنسيون** مرسين وأضنة، و**الإيطاليون** أنطاكيا وكوشا داسي وقونية، واحتل **اليونانيون** القسم الغربي من الأناضول، بالإضافة إلى تراقيا. كان ردّ الفعل الداخلي لاتفاق الهدنة سلبيًا، فقد **رفض الأتراك الخضوع للاحتلال والقبول بمشاريعه**، فقامت ثورة وطنية في جميع أنحاء البلاد احتضنتها الحركة الوطنية بزعامة **القائد مصطفى كمال**، وهذا ما سوف نتعرف عليه من خلال هذا الأطلس التاريخي في عهد السلطان محمد وحيد السادس.







١ - ميناء أستنبول بعد عقد معاهدة مودروس سنة ١٩١٨م.

٢ - غلطة ساري في مدينة أستنبول بعد عقد معاهدة مودروس سنة ١٩١٨م.

٣ - حي قديم داخل مدينة أستنبول سنة ١٩١٨م.



(١٣٣٦-١٣٤١هـ)

(١٩١٨ - ١٩٢٢م)



والده: السلطان عبد المجيد

والدته: كوليستو قادن أفندي

ولادته: سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦١م

وفاته: سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م

مدة حكمه: من ١٣٣٦ - ١٣٤١هـ/١٩١٨ - ١٩٢٢م

كان **محمد وحيد الدين السادس** عصبي المزاج، صبورًا وذكيًا، وكان يعامل أعضاء حكومته والمقربين منه بلطف ولباقة. أما من حيث تكوينه فإنه لم يكمل دراسته، ولم يتمكن من اللغتين العربية والفارسية[١].

استسلمت **الدولة بعد توليته بشهور** حيث هزمت في الحرب واحتل أعداؤها أكثر أجزاء الدولة باستثناء بعض المناطق، وفي سنة ١٩١٩م تم تكليف **مصطفى كمال أتاتورك** من قبله؛ بالتفتيش على الجيوش بالأناضول لتفكيكها في **إطار هدنة مودروس، إلا أن أتاتورك أعلن العصيان في الأناضول ضد فرية افتراها على السلطان برضوخه للاحتلال**، فأسس جيش المقاومة فقام وحيد الدين بتأسيس ما يعرف بجيش الخليفة وأرسله لقتال المقاومة في سنة ١٩٢٠م لتنتهي المعارك في شهور قليلة بهزيمة جيش الخليفة، وانضمام أغلب أفراده إلى **قوات مصطفى كمال أتاتورك**، فغادر وحيد الدين أستنبول هاربًا كلاجئ على متن بارجة بريطانية في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٢م ليقضي بقية حياته في الريفييرا الإيطالية إلى أن توفي في مدينة سان ريمو في ١٦ مايو ١٩٢٦م.

شيوخ الإسلام في عهده:

موسى كاظم أفندي، عمر خلوصي الداغستاني، حيدري زاده إبراهيم أفندي، مصطفى صبري أفندي، دري زاده عبد الله أفندي، محمد نور الدين أفندي المدني.

أبناؤه:

محمد أرطغرل أفندي.

بناته:

رقية سلطان، صبيحة سلطان، فاطمة علوية سلطان[٢].

---

١ - ٢. د. عبد القادر دهده أوغلو، السلاطين العثمانيون، تعريب محمد جان، ص٨٨.


مصطفى كمال سنة ١٩١٢م

من هو مصطفى كمال أتاتورك؟

ولد مصطفى كمال في مدينة ومرفأ سالونيك (تسالونيكي) العثمانية في مايو ١٨٨١م، وقد تلقّى مصطفى كمال تعليمًا عسكريًا، وتولى مناصب مهمّة في الجيش العثماني، وشارك في الحرب الليبية ضدّ الاحتلال الإيطالي، **وقاد حرب التحرير التركية ضد قوات الحلفاء في الحرب العالمية الأولى** بمنطقة جاناق قلعة مضيق الدردنيل، ثم أسهم في **الانقلاب** ضد السلطان العثماني محمد السادس وحيد الدين.

تذكر المصادر الإسلامية: أن مصطفى كمال تمت صناعته كبطل بواسطة المخابرات البريطانية بنجاح باهر، وظهر بمظهر المنقذ لشرف الدولة من الحلفاء واليونان الذين احتلوا أزمير بتمكين من بريطانيا سنة ١٣٣٨هـ/١٩١٩م، وتوغلوا في **حقد صليبي** دفين في الأناضول، فقام مصطفى كمال **باستثارة روح الجهاد في الأتراك** ورفع القرآن، ورد اليونانيين على أعقابهم، وتراجعت أمامه قوات الحلفاء دون أن يستعمل أسلحته، وأخلت أمامه المواقع، وبدأ اسم مصطفى كمال يطفو على السطح تدريجيًا، فقد ابتهج العالم الإسلامي وأطلق عليه **لقب الغازي**، ومدحه الشعراء وأشاد به الخطباء، فأحمد شوقي قرنه بخالد بن الوليد رضي الله عنه في أول بيت من قصيدة مشهورة:

الله أكبر كم في الفتح من عجب

يا خالد الترك جدد خالد العرب

ثم يجعله في مصاف صلاح الدين الأيوبي حين يقول:

حذوت حرب الصلاحيين في زمن

فيه القتال بلا شرع ولا أدب[1].

١- حاضر العالم الاسلامي (١/١١١).

تضاربت الآراء **حول مصطفى كمال أتاتورك** و حول الدور الذي قام به في تحويل تركيا الإسلامية إلى تركيا العلمناية المتغربة.

أولًا: يقول هـ. ك. آرمسترونج في كتابه الذئب الأغبر: أو الحياة الخاصة لطاغية، يقول: إن كمال أتاتورك منشئ **تركيا المدنية** من أصل يهودي وأن أجداده اليهود نزحوا من أسبانيا إلى مدينة سالونيك فرارًا من محاكم التفتيش التي كانت تحكم بإحراق اليهود أحياءً، تظاهر أجداده باعتناق الدين الإسلامي لكي يأمنوا على أنفسهم من اضطهاد سلاطين آل عثمان.

ثانيًا: كانت الدعوى العريضة التي أكسبت مصطفى كمال البطولة هي **معركة أزمير** التي أدَّعى أنه قادها وكسبها؛ وكل الوثائق تدل على أن شخصًا آخر هو الذي كان بطل هذه المعركة، ولكن أتاتورك أقصاه وأكله من فوق طاولة الشطرنج!؟

كان **كاظم قرة بكير** هو قائد الجبهة الشرقية في حرب الاستقلال وهو الذي قضى على الجيش الأرمني وجرده من سلاحه، وقد نشر عددًا من الوثائق في جريدة (مليت) في مايو سنة ١٩٣٣م نقلتها جريدة البلاغ المصرية يفهم منها، أنه هو صاحب الفكرة الأولى في تأسيس حكومة قومية في شرقي الأناضول ومقاومة الحلفاء بالسلاح، وأنه أول من باشر العمل في هذا السبيل حين كان الغازي مصطفى كمال لم يزل في أستنبول.

وكان كاظم قرة بكير، يرى إن **أتاتورك لم يذهب إلى الأناضول** باختياره ورضائه بل إن خصومه السياسيين في أستنبول هم الذين أرسلوه **بوظيفة مفتش عسكري** إبعادًا له وأن كاظم هو الذي لعب الدور الأهم و الذي نتج عنه الظفر النهائي.

ثالثًا: أشارت كتابات عديدة على الدور الذي قامت به بريطانيا لهدم الإسلام وكانت تعلم أن يهود الدونمة في سالونيك هم المعدون للعمل للقضاء على الخلافة الإسلامية وبالتالي للقضاء على الإسلام، وهو ما تم فعلًا، وكان توصيل مصطفى كمال إلى الحكم هو الثمن الذي قدمه له الإنجليز مقابل قضائه على دولة الخلافة و أحكام الإسلام في تركيا و استبدالها بالأنظمة والاحكام الغربية واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية لإبعاد الأتراك عن

الصلة بالعرب، ومن ثم إبعادهم عن الإسلام.

وقد كان **مصطفى كمال أتاتورك** آلة من آلات التدمير التي صنعها الغرب لحسابه، وكان لعبة من تلك اللعب التي تجيد الجمعيات السرية تشغيلها لحساب **الصليبية واليهودية**، وقد نشأ وعاش في أحضان **جمعية الاتحاد والترقي**، التي لعبت أخطر الأدوار لتدمير دولة الخلافة العثمانية.

رابعًا: صدرت في السنوات الأخيرة رسائل ودراسات كشفت حقيقة هذا الرجل، أهمها كتاب زميله الذي لم يذكر اسمه تحت عنوان **(الرجل الصنم)** الذي كشف حقيقة أتاتورك أمام أولئك الذين يحسنون الظن بالذئب الأغبر، الذي لم يقرأوا تاريخه جيدًا، والذي يكتبون عنه لا يعرفونه كثيرًا.

هل كان **أتاتورك** أصلًا من طائفة يهود الدونمة، أم ماسونيًا وقع في حبائل اليهودية العالمية، أم قوميًا من غلاة الطورانية التركية، وقد كانت أعماله شاهدة[1].

جاء في دائرة المعارف اليهودية: (لقد أكد الكثير من اليهود سلانيك أن كمال أتاتورك كان أصله من الدونمة، وهذا هو أيضًا رأي الإسلاميين المعارضين لكمال أتاتورك، ولكن الحكومة تنكر ذلك)[2].

ويعلق توينبي على نسب مصطفى كمال، قائلًا: (إن دمًا يهوديًا يجري في عروق الأسرة الكمالية. فقد كانت سلانيك مهبط اليهود أيام محنتهم. وقد درؤوا عقائدهم باعتناق الإسلام. ولكن طبائع مصطفى كمال ولون عينه وتكوينه الجسمي يبعده عن أن يكون متأثرًا بدماء يهودية)[3].



١- أنور الجندي، الشبهات والأخطاء في الفكر الإسلامي.

٢-٣، د. النعيمي، يهود الدونمة، ص ٨٧ - ٩٠.

الأحداث الكبرى سنة ١٩١٩م

مؤتمر باريس للسلام سنة ١٩١٩م هو اجتماع نُظم في باريس من قبل الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى للتباحث في أمور السلام بين الأطراف المنتصرة في الحرب (فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة والإمبراطورية الروسية) من جهة والخاسرة (الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية المجرية والدولة العثمانية وبلغاريا) من جهة أخرى. بدأ المؤتمر أعماله في ١٨-١-١٩١٩م واختتم في ٢١-١-١٩١٩م. تمخض المؤتمر عن **معاهدة فرساي** التي فرضت عقوبات شديدة على الدول المهزومة. موسوعة المورد، منير البعلبكي، ١٩٩١م.

معاهدة فرساي: هي معاهدة دولية عقدت في قصر فرساي في فرنسا، تم التوقيع عليها بتاريخ ٢٨ حزيران/يونيو ١٩١٩م، عقب الانتهاء من مؤتمر السلام المنعقد في باريس بحضور السبعة والعشرين دولة المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، على الأسس والمبادئ الأربعة عشر التي أعلنها الرئيس الأمريكي توماس وودرو ويلسون وحاول من خلالها أن يضع أسسًا حضارية لمجتمع عالمي جديد، يقوم على مبدأ حق تقرير المصير، لكن بعد مفاوضات شاقة وعسيرة ضاعت فيها تلك المبادئ بسبب التنافس الحاد بين الآراء والمصالح، انتهى الأمر بوضع مسودة مشروع المعاهدة، وضعه القادة المعروفون، باسم «الأربعة الكبار» وهم لويد جورج (بريطانيا)، جورج كليمنصو (فرنسا)، وودرو ويلسون (الولايات المتحدة)، فيتوريو أورلاندو (إيطاليا). أما ألمانيا فقد خضعت للأمر الذي فرض عليها، لكنها عدّت بنود هذه المعاهدة مهينة بحقها.

إن أهم ما تضمنته هذه المعاهدة هو تسوية مسألة الحدود الألمانية مع جيرانها. فقد أعيدت «الألزاس واللورين» في الغرب إلى فرنسا، ووضع إقليم «السار» تحت إشراف عصبة الأمم حتى سنة ١٩٣٥م، وجُردت الضفة اليسرى لنهر الراين من السلاح، وفي الشمال ضُمت ثلاث مناطق صغيرة إلى بلجيكا، والمناطق الشمالية والوسطى من مقاطعة «شلزفيغ» إلى الدنمارك بعد إجراء استفتاء عام.

وفي الشرق أعيد تشكيل دولة بولونيا، فأصبحت تضم معظم بروسيا الألمانية السابقة، وأعطيت ممرًا إلى بحر البلطيق بعرض ٨٦كم، وكذلك قسم من سيليزيا العليا بعد استفتاء عام. أما مدينة دانتزيغ (غدانسك) فقد أعلنت مدينة حرة.

على أن المشكلة الأهم التي **واجهت الحلفاء** تمثلت بإقليمي **مورافيا وبوهيميا** الواقعين ضمن دولة تشيكوسلوفاكيا التي تكوّنت بعد الحرب ويقطنهما ثلاثة ملايين ألماني، وكذلك **النمسا** التي يقطنها سبعة ملايين ألماني، وكانت تسعى بعد الحرب للانضمام إلى ألمانيا في دولة اتحادية، فتجاوز الحلفاء مبدأ حق تقرير المصير وأكدوا استقلال النمسا وعدم السماح لها بالاتحاد مع ألمانيا مع إصرارهم على إلحاق مقاطعتي مورافيا وبوهيميا بالدولة التشيكية، من دون النظر للاعتبارات الأخرى. أما فيما يخص المستعمرات الألمانية وراء البحار سواء كانت في الصين، أو في المحيط الهادئ، أو في إفريقيا، فقد مُنحت لبريطانيا وفرنسا وأستراليا.

وأما البند المتعلق بالتعويضات، **فقد عدَت ألمانيا دولة معتدية في الحرب** ومن ثم فهي مسؤولة ومطالبة بتعويض دول التحالف عن الأضرار التي سببتها لهم هذه الحرب، وقدرت لجنة صياغة المعاهدة هذه التعويضات بـ ٣٣ مليار دولار تسدد خلال سنتين. وقد أعلن رجال الاقتصاد في حينه استحالة دفع هذا المبلغ الضخم من دون مساعدة دولية، إلا أن الحلفاء أصروا على إجبار ألمانيا على دفعه، وخولت المعاهدة هذه الدول اتخاذ إجراءات عقابية إذا أخفقت ألمانيا في دفع تلك الأموال.

كان غرض «الأربعة الكبار» وخاصة كليمنصو التأكد من أن ألمانيا لم تعد تهديدًا عسكريًا على أوروبا، وقد تضمنت المعاهدة بنودًا عدة لتحقيق هذا الغرض، ونصت صراحة على أن لا يزيد عدد أفراد الجيش الألماني على ١٠٠ ألف رجل، منهم ٤ آلاف ضابط، مع تأكيد تسريح ضباط القيادات العليا وإلغاء نظام التجنيد واستبدال نظام التطوع به. ومنعت ألمانيا من صناعة السيارات المصفحة والدبابات والغواصات والطائرات، إلى جانب فرض مناطق منزوعة السلاح داخل الأراضي الألمانية.

وتبنت المعاهدة إقرار **مشروع ميثاق عصبة الأمم** الذي ضمن لكل طرف فيها احترام استقلاله ووحدة أراضيه من قبل الأطراف الأخرى. وقد كانت عصبة الأمم تشرف على الأقاليم المنتدبة، وحوض السار المحتل ومدينة دانتزيغ، وتقوم بوضع خطط للحد من التسلح. وأسهمت في إنشاء محكمة العدل الدولية الدائمة.

في السنوات اللاحقة لتصديق المعاهدة عُدّلت بنود عدة منها لمصلحة الألمان، إلا أن ذلك لم يمنع الألمان من مخالفة بنودها. ويُرجع بعض المؤرخين سبب ذلك إلى الشروط المجحفة للمعاهدة بحقهم، إذ خلقت فيهم شعورًا عميقًا بالإذلال، جعلت هتلر يقوم بإعادة بناء الجيش في سنة ١٩٣٦م، فمهد بذلك الطريق مرة أخرى لإشعال فتيل الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م. عماد قطان، الموسوعة العربية، ج١٤، ص٤٠٨.



قـادة الحلفاء فـي "مؤتمر باريس للسـلام" سـنة ١٩١٩م. وهم: من اليمين رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وودرو ويلسـون. رئيس وزراء فرنسـا جورج كليمنصـو. رئيـس وزراء بريطانيا ديفيـد لويد جورج. رئيس وزراء إيطاليا فيتوريو أمانويلي أورلاندو.

قـرر **مؤتمـر باريس** تفكيـك **الإمبراطوريـات الألمانية والنمسـاوية** بإجراء تعديلات على الحدود السياسية لدول أوروبا، فظهرت على الخريطة الأوروبية دول جديدة مثل: المجـر، وتشيكوسـلوفاكيا، ويوغوسـلافيا، وأجريت تغييرات جذرية في أنظمة حكـم العديد من الدول، فاعتمدت كل من **تركيـا** وألمانيـا النظـام الجمهـوري وتحولـت النمسـا إلى جمهورية صغيرة.

أما **روسـيا** فقد تحولت من النظام القيصري إلى النظام الشـيوعي. وذلـك بعد ثـورة ١٩١٧م البلشـفية التـي قادها فلاديمير لينين.

وفود الدول المنتصـرة في الحرب العالمية الأولى تحضر توقيع اتفاقية معاهدة فرساي في باريس سنة ١٩١٩م

عصبة الأمم: هي إحدى المنظمات الدولية السابقة التي تأسست عقب **مؤتمر باريس للسلام** سنة ١٩١٩م، الذي أنهى الحرب العالمية الأولى التي دمّرت أنحاء كثيرة من العالم وأوروبا خصوصًا. كانت هذه المنظمة سلفًا للأمم المتحدة، وهي أوّل منظمة أمن دولية هدفت إلى الحفاظ على السلام العالمي. وصل عدد الدول المنتمية لهذه المنظمة إلى **٥٨ دولة** في أقصاه، وذلك خلال المدة الممتدة من ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٣٤ إلى ٢٣ فبراير سنة ١٩٣٥م. كانت أهداف العصبة الرئيسة تتمثل في منع قيام الحرب عبر ضمان الأمن المشترك بين الدول، والحد من انتشار الأسلحة، وتسوية المنازعات الدولية عبر إجراء المفاوضات والتحكيم الدولي، كما ورد في ميثاقها. ومن الأهداف الأخرى التي كانت عصبة الأمم قد وضعتها نصب أعينها: تحسين أوضاع العمل بالنسبة للعمّال، معاملة سكّان الدول المنتدبة والمستعمرة بالمساواة مع السكّان والموظفين الحكوميين التابعين للدول المنتدبة، مقاومة الاتجار بالبشر والمخدرات والأسلحة، والعناية بالصحة العالمية وأسرى الحرب، وحماية الأقليّات العرقية في أوروبا.

مثّلت فلسفة الدبلوماسية التي أتت بها عصبة الأمم نقلة نوعيّة في الفكر السياسي الذي كان سائدًا في أوروبا والعالم طيلة السنوات المئة السابقة على إنشائها، وكانت العصبة تفتقد **لقوة مسلحة** خاصة بها قادرة على إحلال السلام العالمي الذي تدعو إليه، لذا كانت تعتمد على القوة العسكرية للدول العظمى لفرض قراراتها والعقوبات الاقتصادية على الدول المخالفة لقرار ما، أو لتكوين جيش تستخدمه عند الحاجة، غير أنها لم تلجأ لهذا أغلب الأحيان لأسباب مختلفة، منها أن أعضاء العصبة كان أغلبهم من الدول العظمى التي تتعارض مصالحها مع ما تقرّه الأخيرة من قرارات، فكانوا يرفضون التصديق عليها أو الخضوع لها والتجاوب معها، وغالبًا ما قام بعضهم بتحدي قراراتها عنوة وأظهر احتقارًا لها ولمن أصدرها، فعلى سبيل المثال، اتهمت العصبة جنودًا إيطاليين باستهداف وحدات من الصليب الأحمر في أثناء الحرب الإيطالية الحبشية الثانية، فجاء رد رئيس الحكومة الإيطالية بينيتو **موسوليني** بقوله: «إن العصبة لا تتصرف إلا عندما تسمع العصافير تصرخ من الألم، أما عندما ترى العقبان تسقط صريعةً، فلا تحرّك ساكنًا».

أثبتت **العصبة عجزها** عن حل المشكلات الدولية وفرض هيبتها على جميع الدول دون استثناء، عندما أخذت دول معسكر المحور تستهزئ بقراراتها ولا تأخذها بعين الاعتبار، وتستخدم العنف تجاه جيرانها من الدول والأقليات العرقية قاطنة أراضيها، خلال عقد الثلاثينيات من القرن العشرين. فعلى سبيل المثال، ادعى أحد اليهود، واسمه فرانز برينهايم، شكوى إلى العصبة يتحدث فيها عن معاملة الإدارة الألمانية العنصرية له ولأبناء دينه وشعبه في سيليزيا العليا، فما كان من الألمان إلا أن أرجأوا تنفيذ القرارات المعادية لليهود وغير الآريين حتى سنة ١٩٣٧م، عندما انتهت المدة التي تسمح بإشراف خبراء العصبة على وضع الأقليات في ألمانيا، فجددوا القوانين التي تنص على ملاحقة غير الآريين، ورفضوا تجديد إقامة الخبراء في البلاد. كانت حجة ألمانيا وغيرها من دول المحور للانسحاب من العصبة، أن بعض البنود الواردة في ميثاق الأخيرة تنتهك سيادتها، وكان نشوب الحرب العالمية الثانية بمثابة الدليل القاطع على فشل العصبة في مهمتها الرئيسية، ألا وهي منع قيام الحروب المدمّرة، وما أن وضعت الحرب أوزارها حتى تمّ حل العصبة، **وخلفتها هيئة جديدة هي هيئة الأمم المتحدة، التي ورثت عددًا من منظمات ووكالات العصبة**. الموسوعة الحرّة على الشبكة العنكبوتية.



مجلس عصبة الأمم: هيئة تنفيذية مهامها توجيه أعمال الجمعية العامة وتنفيذ قرراتها، وقد بدأ المجلس مع أربعة أعضاء دائمين هم بريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا واليابان، وأربعة أعضاء غير دائمين تنتخبهم الجمعية العامة لمدة ثلاثة أعوام؛ أول الأعضاء غير الدائمين كانوا بلجيكا والبرازيل واليونان وإسبانيا، علمًا أنه بحسب الميثاق فإن الولايات المتحدة الإمريكية كان من المفترض أن تكون خامس الأعضاء الدائمين، **بيد أنّ مجلس الشيوخ الأمريكي صوّت في ١٩ مارس ١٩٢٠م على قرار ضد التصديق على معاهدة فرساي، ومن ثم منع مشاركة الولايات المتحدة في العصبة.**

خلال مدة نشاطه، تم تغيير تركيبة المجلس مرّات عدة، في ٢٢ سبتمبر ١٩٢٢م، رفع عدد الأعضاء غير الدائمين إلى ستة، ثم في ٨ سبتمبر ١٩٢٦م رفع العدد مجددًا إلى تسعة، كذلك فقد أصبحت ألمانيا خامس الأعضاء الدائمين في المجلس سنة ١٩٢٦م، ما أدى إلى رفع عدد أعضاء المجلس إلى خمسة عشر عضوًا بختام سنة ١٩٢٦م، بعد انسحاب كل من ألمانيا واليابان من العصبة، عوّض عن انسحابهم برفع عدد المقاعد غير الدائمة من تسعة إلى أحد عشر مقعدًا.

كان المجلس يعقد خمسة اجتماعات دوريّة في العام، إضافة إلى الاجتماعات الاستثنائية عند الاقتضاء، وقد بلغ مجموع اجتماعات المجلس العلنية بين عامي ١٩٢٠ و١٩٣٩م، ١٠٧ جلسات. أما رئاسة المجلس فقد تولاها ٢٣ شخصًا.

مؤتمر سان ريمو سنة ١٩٢٠م: بعد **انتصار الحلفاء** على **ألمانيا وتركيا** في الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م، دخلت قواتهم **سورية ولبنان وفلسطين والعراق**، وعُيِّن **فيصل بن الحسين** حاكمًا على سورية بصفته ممثلًا لأبيه ملك الحجاز. وكانت فرنسا تلح على إخراج فيصل وتنفيذ انتدابها حسب اتفاقية سايكس - بيكو، وتريد إصدار قرار شرعي من **عصبة الأمم** يعطيها الحق في احتلال سورية وفرض انتدابها عليها، وانتداب بريطانيا على العراق وفلسطين، وكانت عصبة الأمم وقتها خاضعة للدول المنتصرة في الحرب، ولاسيما فرنسا وبريطانيا.

ولهذا عقد قادة الحلفاء اجتماعًا في بلدة **سان ريمو** في إيطاليا ما بين ١٩و٢٦نيسان، حضره لويد جورج عن بريطانيا ومليران رئيس وزراء فرنسا وممثلون عن إيطاليا واليابان، ومثل الولايات المتحدة سفيرها في روما. وكانت غاية الاجتماع **بحث مصير السلطنة العثمانية**، وإبرام معاهدة صلح معها بعد الحرب، **والنظر في قضايا المشرق العربي وتجزئته وفق خطة سايكس - بيكو الاستعمارية تحت اسم الانتداب**. وانتهت الاجتماعات في ٢٤ نيسان بوضع **اتفاقية سيفر**، ونصت المادة /٩٤/ التي تخص سورية ولبنان ومصيرهما على ما يأتي:

«**يوافق الطرفان الساميان على أن تكون سورية الطبيعية والعراق وفقًا للفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين (الجزء الأول من ميثاق عصبة الأمم) بلدين مستقلين معترفًا بهما اعترافًا مؤقتًا، على أن تتلقيا العون والمشورة في الإدارة من قبل دولة منتدبة، إلى الوقت الذي تجد فيه الدولتان أنهما بغنى عن مثل هذا العون والمشورة**».

وفي اليوم اللاحق **وزع الانتداب على سورية الطبيعية والعراق**، وأوصى بجعل سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، والعراق والأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني، كما تم الاتفاق على حصول فرنسا على ٢٥٪ من نفط الموصل، وتسمح فرنسا بعبور خط أنابيب عبر سورية إلى البحر المتوسط.

وبذلك تكون اتفاقية **سايكس بيكو** قد أقرّت رسميًا في مؤتمر مجلس الحلفاء الأعلى، مع بعض التعديلات على النفط، وكان الاستقلال المذكور صوريًا زائفًا، ولم يكن الانتداب سوى شكل جديد من أشكال الاستعمار.

وأبلغ **الملك فيصل بن الحسين بقرار سان ريمو**، وكان ميالًا لقبوله، لكنه رفضه تحت ضغط الوطنيين، عدا ما يخص الاستقلال فقط، وأبلغ الدولتين برفض قرارات المؤتمر لأنه مخالف لأماني الشعب، ولفصل فلسطين عن سورية ولمخالفة وعد بريطانيا لأبيه الحسين.

وبالمقابل هدد الحلفاء فيصلًا بعدم الاعتراف به ممثلًا للحجاز وإيقاف دفع المعونة له، وأطلقوا يد فرنسا لاحتلال الخط الحديدي في سورية (حمص - حلب). **وكانت هذه بداية صراع انتهت باحتلال الفرنسيين لسورية في ٢٤ تموز ١٩٢٠م بعد معركة ميسلون** ونهاية حكم فيصل العربي القصير لسورية الذي جاء بعد ٤٠٠سنة من حكم العثمانيين. علي سلطان، تاريخ سورية: حكم فيصل بن الحسين (دار طلاس، دمشق ١٩٨٧).

إتفاقية سان ريمو سنة ١٩٢٠م

الانتداب الفرنسي

الانتداب البريطاني

الخريطة

أنقرة
سيواس
آسيا الصغرى (الأناضول)
قونية
ماردين
أضنة
مرسين
الإسكندرون
حلب
إنطاكيا
اللاذقية
قبرص
حماة
حمص
طرابلس
سوريا
لبنان
البحر
المتوسط
بيروت
صيدا
دمشق
الناقورة
عكا
حيفا
فلسطين
يافا
عمان
القدس
غزة
الاردن
السويس
معان
العقبة
مصر
الموصل
كركوك
كرمنشاه
بعقوبة
بغداد
كربلاء
العراق
البصرة
الزبير
الجوف
شبة الجزيرة العربية
٠
٢٠٠
٤٠٠ كم





فيصل بن الحسين، في مؤتمر السلام في فرساي سنة ١٩١٩م. وخلفه من اليسار إلى اليمين السكرتير الخاص له رستم حيدر؛ العميد نوري، بغداد؛ الكابتن بيساني من فرنسا؛ الكولونيل ت. هاء لورنس "العرب": وحسن قادري.



الوطن العربي حوالي عام ١٩٢٠م بعد احتلاله من قبل الدول الأوروبية الكبرى

رفض **المؤتمر السوري العام** اتفاقية **سايكس بيكو** انظر ص ٧١٣ **ووعد بلفور** ص ٧١٤ – ٧١٥ (من هذا الأطلس)، وأعلن قيام **المملكة السورية** ونصَّب الأمير فيصل ملكًا عليها؛ فانعقد المجلس الأعلى للحلفاء في مدينة **سان ريمو** الإيطالية في أبريل ١٩٢٠م، **وقرر ردًا على المؤتمر السوري تطبيق اتفاقية سايكس بيكو** التي تقضي بوضع **سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي** و**العراق وفلسطين وشرقي الأردن تحت الانتداب** البريطاني، وتعهد مؤتمر **سان ريمو** كذلك بالعمل على تطبيق **وعد بلفور** كما كانت بريطانيا مرتبطة مع **الإمارات العربية الواقعة على سواحل الخليج العربي وعُمان بمعاهدات حماية**، كذلك فرضت **بريطانيا** حمايتها على **مصر والسودان**، وسيطرت **إيطاليا على ليبيا**، واحتلت **فرنسا ما تبقى من المغرب العربي**، وكرست سيطرتها على كل من **تونس والمغرب والجزائر وموريتانيا والصومال**.

نجحت **خطط الدول الأوروبية** في دفع **الحزبية** وتشكيل الأحزاب باسم الديمقراطية سواء السرية منها أو العلنية، وحققت أهدافها بشكل مدهش، فقد احتل **الإنجليز مصر** بأقل ما يمكن من الخسائر، وذلك **لأن الأحزاب** آنفة الذكر كانت قد مهدت للاحتلال بما أوجدته من فوضى فكرية شوشت فيها المفاهيم، وشتت الانتماءات، وفرقت كلمة الأمة، وأسدلت ستارًا من الغموض على الأهداف الوطنية فحجبتها عن أبناء الأمة، **مما أضعف مقاومة الأمة للغزو الأجنبي.**

أما بعد ذلك فلم تقتصر مساهمة الأحزاب والجمعيات التي أنشأتها الدول الأوروبية ودعمتها على هذا الدور في التمهيد **لاحتلال البلاد العربية** الأخرى، وإنما تعدت هذا وصارت إلى مساعدة عسكرية فعلية، فبالإضافة لكون **الإنجليز** حاربوا الدولة العثمانية **بجنود مصريين**، و**الفرنسيين بجنود تونسيين أو جزائريين**. فقد **أسهمت الأحزاب والجمعيات** هذه من خلال الحركات العربية في **دحر الدولة العثمانية** والقضاء عليها **وتسليم البلاد العربية للانجليز والفرنسيين** ليتصرفوا بها تصرف المالكين فيقسمونها كما يشاؤون ويضعون على رأسها من يشاؤون من الحكام والملوك ويهدون منها لمن يشاؤون !! ولذلك قال **لورنس** في كتابه أعمدة الحكمة السبعة: "كم أنا فخور بالمعارك الثلاثين التي خضتها والتي **لم ترق فيها نقطة دم لإنجليزي**". وفي تبرير دوره في غش العرب بوعود كاذبة لا تتحقق قال: "إنه كان متأكدًا بأن مساعدة العرب كانت ضرورية لإحراز الإنجليز النصر في الشرق رخيصًا وسريعًا". ومن ثم فإن انتصارهم -الإنكليز- ونقض عهودهم أفضل من اندحارهم! . مفيدة محمد إبراهيم، الديمقراطية : تأملات وطموحات.

كان من نتاج سقوط الخلافة بروز **النزعة القومية** في العالم الإسلامي، ولقد عمد الاحتلال إلى إذكاء وتشجيع هذه النزعة ليكون الولاء لها والتعلق بها بدل الإسلام... فكان أن نشأت خلال هذه المدة كثيرٌ من النظم والأحزاب على أساس الولاء للقَوميّة العربية ومنها القومية السورية، ومنها القوميةُ الكردية، والقومية الطورانية التركية، ومنها القومية الفرعونية. وهكذا تحقق لأعداء الإسلام ما يهدفون إليه من تحويل ولاء المسلمين عن الإسلام.

ولم يألُ الاحتلال، عبر تاريخه الطويل للبلاد العربية والإسلامية، جهدًا في تغريب المجتمع المسلم، بنزع الإسلام انتزاعًا من نفوس المسلمين؛ رغبة في ضمان التبعية السياسية والثقافية والفكرية والاقتصادية، وغيرها من مناحي الحياة، التي يراد بها أن تسير بهدي من الإسلام.

لقد هدف الاحتلال الغربي لبلاد المسلمين إلى تحقيق الأهداف اللاحقة :-

أولاً : ضرب الإسلام من الداخل عن طريق إضعاف فاعليته، وعزله عن التأثير في حياة المسلمين، وتحويله إلى دين -أشبه بدين النصارى- لا يأبه بحياة الناس التشريعية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، أي فصل الدين وعزله عن الدولة والحكم وحياة الناس العامة.

ثانيًا : وقف المد الإسلامي، وحصر الإسلام داخل حدود لا يتجاوزها، حتى لا يدخل فيه أحد من الغربيين، وحقن الشعوب الأخرى بكراهية الإسلام والمسلمين.

ثالثًا : تجزئة المسلمين أرضًا وأمة وفكرًا، وتشويه صورتهم التاريخية الغابرة والحالية، والحيلولة دون مستقبل مشرق للإسلام والمسلمين... يقول لورانس براون: "لقد كنا نخوّف بشعوب مختلفة، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبررًا لمثل هذا الخوف، لقد كنا نخوَّف من قبل بالخطر اليهودي والخطر الأصفر، وبالخطر البلشفي (الشيوعي)، إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق كما تخيلناه. إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا، أما الشعوب الصفر فإن هناك دولًا ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتها... **ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام** وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته: إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي". د. صالح حسين الرقب، واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ص ٣٧.

معاهدة سيفر[١] سنة ١٩٢٠م: وتسمى أيضًا معاهدة الصلح قبلت بها **تركيا العثمانية** في ١٠ أغسطس/آب سنة ١٩٢٠م عقب الحرب العالمية الأولى بين **الدولة العثمانية وقوات الحلفاء** لكنها لم تبرم على الإطلاق؛ بل إن الحركة القومية التركية بزعامة **مصطفى كمال أتاتورك** بعد أن تولت الحكم في تركيا في ٢٩ أكتوبر/تشرين الأول سنة ١٩٢٣م رفضت ما جاء في هذه المعاهدة، واعتبرت أن بنودها تمثل ظلمًا وإجحافًا بالدولة التركية، وذلك لأنها أجبرت على التنازل عن مساحات شاسعة من الأراضي التي كانت واقعة تحت نفوذها، **وقد نصت هذه المعاهدة على:**

١- منح تراقيا والجزر التركية الواقعة في بحر إيجه لليونان.

٢- الاعتراف بكل من سوريا والعراق كمناطق خاضعة للانتداب.

٣- الاعتراف باستقلال شبه الجزيرة العربية.

٤- الاعتراف باستقلال أرمينيا.

٥- اعتبار مضائق البسفور والدردنيل مناطق مجردة من السلاح وتحت إدارة عصبة الأمم.

وفيما يتعلق ببنود المعاهدة الخاصة بالشأن الكردي فقد نصت على:

حصول **كردستان** على الاستقلال حسب البندين ٦٢ و ٦٣ من الفقرة الثالثة، والسماح لولاية الموصل بالانضمام إلى كردستان استنادًا إلى البند ٦٢ وكان نص هذا البند:

"إذا حدث خلال سنة من تصديق هذه الاتفاقية أن تقدم الكرد القاطنون في المنطقة التي حددتها المادة (٦٢) إلى عصبة الأمم قائلين: إن غالبية سكان هذه المنطقة ينشدون الاستقلال عن تركيا، وفي حالة اعتراف عصبة الأمم بأن هؤلاء السكان أكفاء للعيش في حياة مستقلة وتوصيتها بمنح هذا الاستقلال، فإن تركيا تتعهد بقبول هذه التوصية، وتتخلى عن كل حق في هذه المنطقة. وستكون الإجراءات التفصيلية لتخلي تركيا عن هذه الحقوق موضوعًا لاتفاقية منفصلة تعقد بين كبار الحلفاء وبين تركيا".

وقد رفضت **حكومة أتاتورك** قبول هذه المعاهدة وعملت على إخراج اليونانيين من آسيا الصغرى وأصرت على تسوية جديدة تحققت لها بالفعل في **معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣م** التي تجاهلت ما أقرته **معاهدة سيفر من حقوق للكرد.**

١- عبد الوهاب الكيالي، معاهدة سيفر، موسوعة السياسة، مج ٣، ص ٤٠٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط ٢ سنة ١٩٩٣.

معاهدة سيفر في ١٠ أغسطس/آب سنة ١٩٢٠م

نفوذ يوناني	
نفوذ إيطالي	
نفوذ فرنسي	
نفوذ بريطاني	
منطقة منزوعة السلاح ١٩٢٠ - ١٩٢٢م	
النفوذ التركي حسب معاهدة سيفر ١٩٢٠م	
النفوذ العثماني (تركيا) قبل المعاهدة	



مقترح
دولة أرمنية

من الأمور الملفتة للنظر في معاهدة (سيفر) هو **حصول كردستان** على الاستقلال حسب البنود ٦٢ و٦٣ و٦٤ من الفقرة الثالثة والسماح لولاية **الموصل** بالانضمام إلى كردستان استنادًا إلى البند ٦٢ ونصه "إذا حدث، خلال سنة من تصديق هذه الاتفاقية أن تقدم الكرد القاطنون في المنطقة التي حددتها المادة (٦٢) إلى عصبة الأمم قائلين: إن غالبية سكان هذه المنطقة ينشدون الاستقلال عن تركيا، وفي حالة اعتراف عصبة الأمم أن هؤلاء السكان أكفاء للعيش في حياة مستقلة وتوصيتها بمنح هذا الاستقلال، فإن **تركيا** تتعهد بقبول هذه التوصية، وتتخلى عن كل حق في هذه المنطقة. وستكون الإجراءات التفصيلية لتخلي تركيا عن هذه الحقوق موضوعًا لاتفاقية منفصلة تعقد بين كبار الحلفاء وبين تركيا".

نتيجة **للرفض التركي** لبعض بنود وخاصة فيما يتعلق بالحدود الغربية والجنوبية الغربية (مع اليونان) والجنوبية الشرقية (مع سوريا)، تم تعديل مسار بعض الأجزاء الحدودية في معاهدة لاحقة عقدت في **لوزان السويسرية سنة ١٩٢٣م** وعرفت باسم **معاهدة لوزان**، أعادت المعاهدة الثانية أراض لتركيا في القسم الأوروبي (غربي أستنبول) من **الدولة العثمانية** وضمت الأقاليم السورية الشمالية إلى تركيا.

نهاية السلطان محمد السادس وحيد الدين[1]:

نتيجة **لمعاهدة سيفر** السابقة الذكر **لم يبق للسلطان العثماني محمد السادس إلا مدينة أستنبول والهضبة المواجهة لها**، وبعد أن جُرد من جميع صلاحياته، وأضحى خاضعًا لسيطرة القوات الأجنبية المحتلة، وأضحت **اليونان على بعد أميال من أستنبول**، كما أضحى لها موطئ قدم على ساحل آسيا الصغرى بمثابة منفذ على البحر لتنطلق منه، في حركة توسع داخلية للاستيلاء على الأناضول الغربي.

وقّع السلطان محمد السادس هذه المعاهدة في حين رفضتها الحكومة الكمالية، ووضع مصطفى كمال مخططًا إنقاذ تركيا بمعزل عن السلطان، وتمكّن، بعد جهود مضنية واصطدامات شديدة مع اليونانيين، من الانتصار، فاستعاد إزمير في ١٧ محرم ١٣٤١هـ/ ٩ أيلول ١٩٢٢م، **وطرد اليونانيين من ساحل آسيا الصغرى، كما استعاد تراقيا** في ١٩ صفر / ١١ تشرين الأول، وكان قد عقد معاهدة مع السوفييت في ٦ رجب ١٣٣٩هـ/ ١١آذار ١٩٢١م أمكن بواسطتها حكومته بالسلاح والمعدات والمساعدات المالية، وحقق انتصارًا على الجبهة الشرقية، فاسترد المناطق التي خسرتها الدولة مؤخرًا، فجلت القوات الإيطالية عن الأناضول، وانسحبت القوات الفرنسية من كليكيا، ووضع النهاية لمطامع وتطلعات الأرمن.



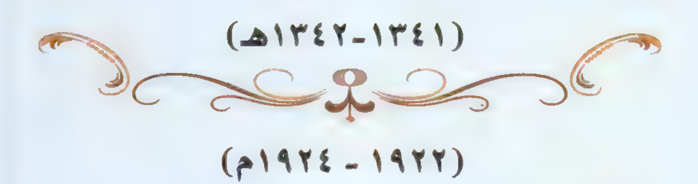
السلطان العثماني **محمد "وحيد الدين" السادس**، يغادر أراضي الدولة العثمانية إلى المنفى سنة ١٩٢٢م.

نتيجة هذه **الانتصارات التركية**، والتقارب التركي السوفيتي، دعت **دول الحلفاء إلى عقد مؤتمر صلح جديد في مودانية**، أسفر عن توقيع هدنة تخلّت اليونان بموجبها عن تراقيا حتى مريج. **وأضحى مصطفى كمال بطلًا قوميًا**، وبرز في الواجهة السياسية **في حين ظل السلطان في الظل**، فما كان منه إلا **أن تنازل عن العرش وغادر البلاد** على ظهر بارجة بريطانية نقلته إلى جزيرة مالطة، في ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٤١هـ/١٧ تشرين الثاني ١٩٢٢م، **وخلفه عبد المجيد الثاني بن عبد العزيز وهو آخر الخلفاء العثمانيين.**

١- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٥٥٢.



(١٣٤١-١٣٤٢هـ)



(١٩٢٢ - ١٩٢٤م)

السلطان عبد المجيد بن عبد العزيز (١٨٦٨ - ١٩٤٤م)، اعتلى السلطنة العثمانية، بعد تنازل ابن عمه السلطان محمد وحيد الدين (السادس) عن الحكم، حيث انتخبت الجمعية الوطنية التركية عبد المجيد الثاني للخلافة في أنقرة، ثم استقر في أستنبول في ٢٤ نوفمبر من العام نفسه.

تميز عهد السلطان عبد المجيد الثاني بسطوع نجم **مصطفى كمال أتاتورك** الذي هيمن على مقدرات الدولة، وأضحى الحاكم القوي، وبخاصة بعد إنجاز **الصلح في لوزان** في ١٠ ذي الحجة ١٣٤١هـ/٢٤تموز ١٩٢٣م الذي أتاح لتركيا بسط سلطانها من جديد على كامل آسيا الصغرى بما فيها أستنبول وتراقيا الشرقية، وتم جلاء قوات الحلفاء عن منطقة المضائق. وتخلّت تركيا في هذا الصلح عن كل حق لها في **العالم العربي وقبرص وجزر الدوديكانيز**[١].

وبعد سنة ونيف من انتهاء **مؤتمر لوزان**، الذي حقق نصرًا لتركيا، أسس مصطفى كمال حزب **الشعب الجمهوري**، وأجرى انتخابات نيابية ضمنت له الأغلبية الساحقة، وأعلن المجلس النيابي، في ١٨ ربيع الأول ١٣٤٢هـ/٢٩ تشرين الأول ١٩٢٣م، **الجمهورية التركية وعاصمتها أنقرة**، وانتُخب مصطفى كمال أول رئيس للجمهورية.

كان التوجه السائد هو الاحتفاظ **بمقام الخلافة** على الرغم **من أن السلطان لم يحاول أن يمارس السلطة شخصيًا بشكل جدي**، ولكن سرعان ما اعتقد مصطفى كمال أن بقاء زعيم ديني يلتف حوله المسلمون من الأقطار الإسلامية كافة سيشكل نقطة التقاء الأفكار الرجعية، وآمال الرجعيين، ولما كان قد عقد العزم على السير بالدولة التي أنشأها في ركب الحضارة الغربية، فإنه آثر أن يتخلى عن المنافع التي كانت الدولة جديرة بأن تجنيها فيما لو حافظت على مركز الخلافة الروحي، فاتخذ المجلس النيابي الجديد، في ١٥ رجب ١٣٤٢هـ/٣ آذار ١٩٢٤م قرارًا **بإنهاء دور الخلافة وإخراج الخليفة من البلاد**، ومن ثم أعلنت صيغة جديدة للدستور التركي في **١٥ رمضان/ ٢٠ نيسان، وبإنهاء دور الخلافة**، وسقوط آخر سلاطين بني عثمان، انتهى عهد الدولة العثمانية التي حكمت أكثر من ست مئة سنة[٢].

وبإلغاء الخلافة قضى مصطفى كمال على إمبراطورية عظيمة كانت ملء عين الزمان وسمعه، وقتل أمجادًا، وقضى على ثقافة، ونحر أقوامًا طالما أزهقوا أرواحًا بريئة صادقة في بناء هذه الإمبراطورية، وطالما أراقوا دماءً زكية في سبيل إعلاء الإسلام وكلمته[٣].

توفي في ٢٣ أغسطس ١٩٤٤م (١٣٦٣هـ) في بيته في باريس، فرنسا. ودفن في المدينة المنورة.

١-٢، د. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ٥٣٣.

٣- أ. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق د. إحسان حقي، ص٧١٨.

موقف الجمهورية التركية من معاهدة سيفر في العهد العثماني وقيام معاهدة لوزان

------	٢٢/٦/١٩٢٠م بداية تحرير الجبهة التركية انطلاقًا من أزمير
------	١٧/٧/١٩٢٠م توسيع نطاق التحرير للجبهة التركية انطلاقًا من أزمير
------	الجوانب الهجومية الكبرى ← اتجاهات الهجوم التركي
------	١٩٢٠-١٩٢١م المواجهة في الجنوب مع الاحتلال — الخريطة
— · —	١٩٢٠-١٩٢١م المواجهة في الشرق — معارك فاصلة

٠ ٢٠٠ ٤٠٠ كم

معاهدة لوزان الثانية سنة ١٩٢٣م: بعد إلغاء السلطنة بعشرين يومًا لم تكن توجد سوى حكومة تركية واحدة هي **حكومة أنقرة**؛ فدعاها الحلفاء على مؤتمر الصلح في لوزان في ٢٠ ربيع الأول ١٣٤٠هـ/ ٢٠ نوفمبر ١٩٢٢م، لإعادة النظر في **معاهدة سيفر**؛ فتشكل وفد تركي برئاسة **عصمت إينونو** وعضوية رضا نور **والحاخام ناحوم** (حاخام أستنبول الأعلى)، وحدثت منازعات حامية في بداية المفاوضات بين وزير الخارجية البريطاني اللورد كيرزون وعصمت إينونو، حيث **أصرّت بريطانيا على إلغاء السلطنة بإعلان الالتزام بالعلمانية وإلغاء الخلافة وطرد الخليفة** وأسرته من البلاد والإبقاء على الموصل بعيدة عن تركيا، وكانت هذه هي الشروط الإنجليزية لإعطاء تركيا الاستقلال.


الوفد التركي المشارك في مؤتمر لوزان الثاني برئاسة عصمت إينونو

فشلت **الجولة الأولى من المفاوضات**، ثم دعيت الوفود مرة أخرى إلى **لوزان** للبحث من جديد في بنود **معاهدة سيفر**، ووافق الأتراك على الشروط البريطانية: **فألغيت السلطنة** في ٢٠ ربيع الأول ١٣٤٢هـ/٣٠ نوفمبر ١٩٢٣م) **وأعلنت الجمهورية، واختير اتاتورك رئيسًا لها.**

استمر المؤتمر ١١ أسبوعًا. واستمع الحاضرون إلى خطب من بنيتو موسوليني من إيطاليا، وريمون بوانكاريه من فرنسا. وفي نهايته، **قبلت تركيا الشروط السياسية و"حرية المضايق"**، التي كانت همًا رئيسًا لبريطانيا. وكذلك مسألة وضع **الموصل** التي تم تأجيل البت فيها، حيث إن **كرزون** رفض التراجع عن موقف بريطانيا المصر على كونها جزءًا من العراق. إلا أن الوفد الفرنسي، لم يحقق أيًّا من أهدافه وفي ٣٠ يناير ١٩٢٣م أصدر بيانًا بأنه لا يعد مسودة المعاهدة أكثر من "أساس للحوار".

رفض **الأتراك التوقيع** على المعاهدة. وفي ٤ فبراير ١٩٢٣م، قام كرزون بزيارة أخيرة لتركيا لاقناعها بالتوقيع، وعندما رفضوا التوقيع **فض وزير الخارجية البريطاني** المفاوضات وغادر في الليلة ذاتها على قطار الشرق السريع.



المشاركون في مؤتمر لوزان سنة ١٩٢٣م

لقد نجح **مصطفى كمال** بامتياز وهو ينفذ مخططًا مرسومًا له في المعاهدات التي عقدت مع الدول الغربية، فقد أجاد حبكة الأداء التمثيلي لهذه المهمة القذرة، ففي **معاهدة لوزان** سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢٣م على تركيا قبلت حكومته شروط الصلح والمعروفة **بشروط كرزون الأربع** "وهو رئيس الوفد البريطاني في مؤتمر لوزان" وهي[١]:

١- قطع كل صلة لتركيا بالإسلام.

٢- إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاءً تامًا.

٣- **إخراج الخليفة وأنصار الخلافة والإسلام من البلاد ومصادرة أموال الخليفة.**

٤- اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم.

وعم الاستياء الشديد العالم الإسلامي، فشوقي الذي **مدحه سابقًا بكى الخلافة قائلًا:**


أحمد شوقي (أمير الشعراء)

عادت أغاني العرسِ رَجْعَ نواحِ
ونُعيتِ بين معالم الأفراحِ
كُفنتِ في ليلِ الزِفافِ بثوبِه
ودُفنتِ عند تَبَلُّجِ الإصباحِ
ضَجَّتْ عليك مآذن ومنابر
وبكيت عليك ممالكٌ ونواحِ
الهندُ والهةٌ، ومصرُ حزينةٌ
تبكي عليك بمدمع سحاحِ
والشام تسأل، والعراق وفارسٌ
أمَحا من الأرضِ الخلافة ماحِ
ياللرجالِ لحُرةٍ مؤودةٍ
قُتِلتْ بغير جريرة وَجُناحِ

مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٩٢٧م

وبذلك طُويَت صفحة **بدأت مسيرتها منذ وصل الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة المنورة، وأقام أول دولة إسلامية**؛ لتستمر بعد وفاته حاملة اسم الخلافة؛ لتكون رمز وحدة الأمة الإسلامية، وراعية شؤونها الدينية والدنيوية، فلم يكن للمسلمين جنسية إلا هي، ولا عرفوا دُولاً قومية، ولا انضَوَوا تحت رايات جاهلية، حتى احتل الغربيون معظم البلاد الإسلامية، وعملوا على إزالة هذا الرمز الذي يمثِّل قوة المسلمين، حتى في حالات الضعف التي آل إليها أمرهم في القرون المتأخِّرة[٢].

١- د. علي الصلابي، الدولة العثمانية، ص ٤٩٧ - ٤٩٨.

٢- عبد العزيز كحيل، يوم سقوط الخلافة الإسلامية، موقع الألوكة الإسلامي.

أبرز عوامل سقوط الدولة العثمانية

انتشار البدع والخرافات:

كان **السلاطين الأوائل في الدولة العثمانية ينفرون من البدع وأهلها** ويحاربونها، فهذا **السلطان محمد الفاتح في وصيته يقول لمن بعده:** "جانب البدع وأهلها وباعد الذين يحرضونك عليها" أما في العصور المتأخرة من الدولة العثمانية فإن البدع انتشرت انتشارًا ذريعًا، وأصبحت حياة رعايا الدولة ممزوجة بها، فقلما تخلو منها عبادة، أو عمل أو شأن من شؤون الحياة سواء في الجنائز والمآتم والأعراس والضيافات والولائم، وبدع الموالد عند المتصوفة المنحرفين، وهكذا أصبحت البدع ترى في كل مكان تكاد تحتل منزلة الصدارة من حياة الناس يعمل بها الجاهلون ويؤيدها العالمون، وأصبحت السُّنّة بدعة والبدعة سُنّة. د. الصلابي، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٥٣٨ - ٥٣٩.



دراويش يؤدون رقصًا تقليديًا تحت إيقاع الموسيقى في حضرة مولوية في مدينة بورصة التركية.

ويؤكد د. توفيق الطويل على حب الأتراك العثمانيين للدروشة والتصوف: "كان الأتراك يحبون التصوف ويميلون إلى تقديس أهل الإيمان بصدق ولايتهم". ثم يعطي مقارنة بين التصوف في العصرين العباسي والعثماني "لقد كانت الصوفية قد أخذت تنتشر في المجتمع العباسي، ولكنها كانت ركنًا منعزلًا عن المجتمع، أما في **ظل الدولة العثمانية**، وفي تركيا بالذات، فقد صارت هي المجتمع وصارت هي الدين، وانتشرت - في القرنين الأخيرين بصفة خاصة - تلك القولة العجيبة: من لا شيخ له فيشخه الشيطان! وأصبحت - بالنسبة للعامة بصورة عامة - هي مدخلهم إلى الدين وهي مجال ممارستهم للدين". التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ص ١٥٤.

الحروب الصليبية المتواصلة:

ظل الغرب الصليبي يواصل حربه على الإسلام طيلة هذا العهد، ويكفي التلميح إلى الحملة الفرنسية على مصر، والحملة الفرنسية على الجزائر، والتوسع الروسي في القوقاز وتهجير سكانها من الداغستان والشيشان والشركس سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥م، والحملة البريطانية على مصر وعدن واستيلاء الطليان على طرابلس الغرب.

أما المناوشات والغزوات العسكرية والحركات الانفصالية التي أشعلتها الصليبية العالمية في ممتلكات العثمانيين في أوروبا فهي من الأهمية بمكان إذ لم يخل عهد سلطان منها.

ومن الحقائق المرّة ما طرحه (غلادستون) رئيس وزراء بريطانيا على مجلس العموم البريطاني سنة ١٨٨٣م حين حمل المصحف وقال: "مادام هذا الكتاب باقيًا في الأرض فلا أمل لنا في إخضاع المسلمين، بل ونحن على خطر في أوطاننا". يُضاف إلى هذا قول الجنرال اللنبي حين دخل القدس سنة ١٩١٧م حين قال: "اليوم انتهت الحروب الصليبية".

تجدُّد الفكرة الصليبية ضد المسلمين في **العهد العُثماني** الأول؛ نظرًا لاستيلاء العثمانيين على أملاك البيزنطيين في آسيا، وتوغلهم في أوروبا وغزوهم لبعض البلدان البلقانيَّة - كانت أسبابًا مهمَّة من أسباب تجدد هذه الفكْرة التي أدت في عصر القوة الأول إلى قيام أربع حملات صليبية، فشلت الأولى في الصدام مع العثمانيين، وانتهت الجولات الأخيرة الباقية بهزيمة الصليبيين.

د. عبد الرحمن العريني، قيام الدولة العثمانية وحملات التحالف الصليبي ضدها، مجلة الدرعية - السنة الثالثة - العدد العاشر - ربيع الآخر ١٤٢١هـ.

اتساع رقعة الدولة العثمانية:

شغلت **الدولة العثمانية** في أوج قوتها وتوسعها مساحة من الأرض تزيد عن أربعة عشر مليونًا من الكيلومترات والأمر يختلف عما هو عليه في وقتنا الحاضر، إذ إن سياسة دفة الحكم في عهد كانت مواصلاته وسائلها الدواب والعربات، وبريدها يستغرق الشهور الطويلة والسنين، وقد تحصنت بالحواجز الطبيعية من أنهار وبحار وجبال وغيرها. **والظن أن إعلان الحركات المتمردة والعصابات المتكررة فيها ربما يكون في غاية السهولة**؛ كما أن إخمادها أيضًا في غاية الصعوبة!؟ ولم تحتفظ الدولة بتماسكها على الرغم مما أصابها من زلازل ونكبات طيلة ستة قرون إلا بفضل **عامل الدين ورابطة العقيدة** على الرغم من ظهور من استهان بها ورفع رأسه هنا وهنالك، ولكن لم يتجرأ على إعلان بترها أو إلغائها إذ إن رابطة العقيدة أهم عامل حاسم في كيان الأمم، وقد استطاعت تلك الرابطة أن تجمع بين **الترك والعرب والكرد والشركس والشاشان والداغستان وغيرهم** لقرون طويلة حتى قام أعداء هذا الدين وفرقوا شتات الأمة الواحدة بإثارة العصبية الإقليمية التي وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها منتنة. موقع صيد الفوائد.

الامتيازات الأجنبية:

منحت الدولة العثمانية، وهي في أوج عظمتها وسلطانها، امتيازات لدول أجنبية جعلتها شبه شريكة معها في حكم البلاد. وهي من التساهلات التي يمكن أن تعد أخطاء نظرًا لنتائجها التي ظهرت بعد حين وقد منحت تلك الحقوق للأجانب أولًا ثم لبعض السكان المحليين فيما بعد، وقد أراد السلطان **سليمان القانوني** أن يعيد الطريق التجاري إلى البحر المتوسط بعد أن تحولت إلى رأس الرجاء الصالح وذلك بإعطاء امتيازات وعقد معاهدات مع **الإيطاليين** ثم **الفرنسيين** و**البريطانيين** ليشجعهم على الإبحار عن هذه الطريق ولكن أولئك النصارى جميعًا كانوا يبدون للسلطان رغبتهم في التحول ويعملون على الكيد له في الخفاء. هذه الاتفاقيات ظنها السلطان سليمان لا قيمة لها ما دامت القوة بيده حيث يلغيها متى شاء ويمنحها متى أراد! والواقع أن الضعف الذي أصاب الدولة قد جعل من هذه الاتفاقيات قوة لهؤلاء الأجانب أولًا ولرعاياهم النصارى من سكان ومواطني الدولة العثمانية ثانيًا. وكانت الامتيازات في البدء بسيطة ولكن نجم عنها تعقيدات كثيرة فيما بعد.

لقد حولت **الامتيازات** إلى اتفاقات ثنائية فأصبح بإمكان **السفن الفرنسية** دخول الموانئ العثمانية تحت حماية العلم الفرنسي ومنح الزوار حرية زيارة الأماكن المقدسة والإشراف عليها وحرية ممارسة الطقوس الدينية هناك. ثم أصبح مع مرور الزمن وكأنها حقوق مكتسبة ثم توسعت وشملت بعض السكان المحليين كالإعفاء من الضرائب والاستثناء من سلطة المحاكم الشرعية العثمانية والتقاضي في محاكم خاصة سموها المحاكم المختلطة، وقد لعبت دورًا كبيرًا فيما بعد. وأصبح لروسيا مثلًا بموجب **معاهدة كينارجي** حق بناء كنيسة في أستنبول وحق حماية النصارى التابعين لمذهبها الأرثوذكسي من رعايا الدولة.

وفي عهد السلطان عبد المجيد تقرر منح **أهالي لبنان** حكومة مستقلة تحت سيادة الدولة العثمانية يكون حاكمها نصراني ويكون للباب العالي حماية مؤلفة من ٣٠٠ جندي فقط ترابط على الطريق الموصل بين دمشق وبيروت، وبذلك تشجعت أقليات أخرى، وطالب النصارى في البوسنة بتحريض أجنبي الحصول على امتيازات فقاومتهم الدولة ولكنهم لم يركنوا للهدوء وازدادوا من عصيانهم بدعم أوروبا لهم. لقد ساعدت هذه الامتيازات على اشعال بؤر الفتن وأربكت الدولة وشغلتها عهودًا طويلة واتخذت ذريعة لتدخل الدول بحجة حماية الرعايا ومن ثم الاحتلال والعدوان. المرجع السابق.

تحول دور الإنكشارية وتدخلاتهم في شؤون الدولة:

أجمعت المصادر الأوروبية والإسلامية على أن العسكر الجديد **(الإنكشارية)** كان قوام الجيش العثماني وعماده، وكان متفوقًا على أي جيش معروف في القرن السادس عشر الميلادي بتنظيمه الدقيق، وتمرس جنوده باستخدام جميع أنواع الأسلحة المعروفة في عصره، ومهارتهم بصفة خاصة في الرمي بالأسلحة النارية الحديثة، وصبرهم على المشاق وشجاعتهم. ثم لحق الفساد بهذا العسكر وكان هذا **عاملًا رئيسًا في ضعف الدولة العثمانية** المتدرج. وتبدى هذا الفساد في مظاهر كثيرة قد يكون من أبرزها وأخطرها **مظهران:**

الأول: طغيان جند هذا العسكر وبغيهم، وإساءاتهم إلى السكان المدنيين في العاصمة والولايات، واستغلالهم أي مناسبة للسلب والنهب، وفرض ضرائب جديدة واقتحام البيوت، وهتك الأعراض، والاستيلاء على الأرض ومحاصيلها، حتى على الأوقاف، بكل الوسائل غير المشروعة، ولاسيما في الولايات.

الثاني: تمرد هذا العسكر وثوراته المستمرة على الدولة والسلطان، في العاصمة والولايات، ومن ثم تسلطه على شؤون السلطنة. فقد عمل على خلع السلاطين وقتلهم، والإتيان بغيرهم، والتمرد على أوامرهم، وكذلك فعل بكبار رجال الدولة، كالصدر الأعظم، والمفتي، والدفتردار، والوالي وغيرهم، والمتتبع لتاريخ الدولة العثمانية منذ مطلع القرن العاشر الهجري حتى الثلث الأول من القرن الثالث عشر للهجرة أي من مطلع القرن السادس عشر الميلادي حتى الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، يرى أنه لم يخل عهد أي سلطان مهما عرف بقوته، وحزمه، من تمرد انكشاري. فهم على سبيل المثال لا الحصر، كانوا وراء خلع السلطان بايزيد الثاني وتولي السلطان سليم الأول، ومع ذلك رفضوا التقدم معه شرقًا بعد معركة جلديران التي انتصر فيها السلطان سليم على الشاه إسماعيل الصفوي (١٥٤١م) وهم الذين خلعوا السلطان عثمان الثاني وقتلوه، وكذلك فعلوا بإبراهيم الأول، وسليم الثالث ومصطفى الرابع وسليمان الثالث وأحمد الثالث وغيرهم. وهم الذين قتلوا الصدور الأعاظم في عهد مراد الرابع والأمر ذاته يلاحظ في الولايات، فتحركات الإنكشارية وفتنهم غطت كل الحياة السياسية فيها.

وأمام هذا الفساد، وما أوجده من تبلبل في حياة الدولة، وما سببه من هزائم عسكرية لها أمام القوى الأوربية، قرر السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م) **إصلاح الجيش العثماني**، والتخلص من تحكم الانكشارية بإدخال ما سمي النظام الجديد أي إعادة تنظيم الفرق العسكرية العثمانية، وتطوير أسلحتها، وتدريبها على النمط الأوروبي الحديث. وخشي الإنكشارية من هذا الإصلاح على وجودهم، فثاروا وخلعوا السلطان وقتلوه، وأتبعوه بمصطفى الرابع. ولمّا أظهر السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م) تصميمه القاطع على إدخال النظام الجديد، تصدى له الإنكشارية مرة أخرى، إلا أن السلطان استعان بالقوات العسكرية المؤمنة بالإصلاح، وبالسلطات الدينية وبالشعب ذاته، ولاسيما بعد أن أشعل الإنكشارية النار في العاصمة، وسلبوا ونهبوا، فحاصرهم في ثكناتهم في أستنبول، وضربهم بالمدفعية في «الوقعة الخيرية» كما سميت، وذلك في ١٠ ذي القعدة ١٢٤١هـ/١٦ حزيران ١٨٢٦م، فقتل منهم الكثير. وأصدر السلطان فرمانًا بإلغاء الفيالق الانكشارية إلغاءً كليًا، وإنشاء جيش جديد وفق النظم الأوروبية الحديثة وأتبعه بفرمان آخر حل به **الطريقة الصوفية البكتاشية**، وأمر بهدم تكاياها، لأنها كانت عونًا لهم. ليلى الصباغ، الموسوعة العربية العالمية، ج٤، ص٧٢.



العجمي أوغلان من فروع جيش الإنكشارية



آغا الإنكشارية

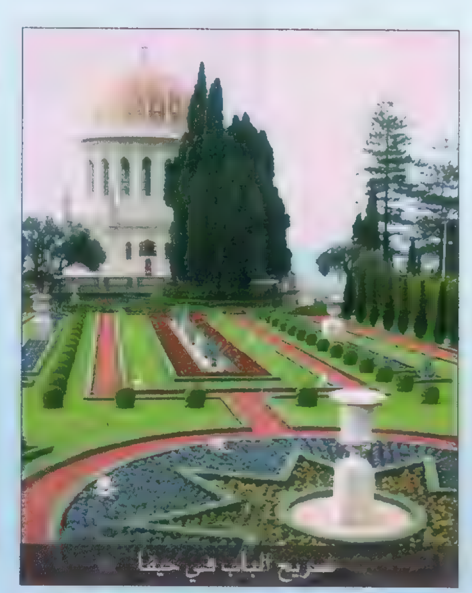
العملاء والخونة:


مصطفى كمال أتاتورك

هم الطابور الخامس الذي قام **أعداء الدولة العثمانية** بإعدادهم ودسهم في صفوف الشعب، وبعضهم تبوأ مناصب مهمة وحساسة، بل بعضهم وصل لمنصب الصدارة العظمى، أعلى منصب في الدولة العثمانية، وهؤلاء تولوا تدمير الدولة بالنيابة عن أعدائها، وخير شاهد على ذلك **علي بك الكبير، محمد علي باشا، مدحت باشا، فخر الدين المعني وأولاده، رشيد باشا، ورجال الاتحاد والترقي**، فهم نماذج متلونة من العملاء، ويعد **مصطفى كمال أتاتورك** الأبرز بين صفوف الخونة والعملاء.

نشاط الفرق المنحرفة:

معظم هذه الفرق المنحرفة تم بذرها وزرعها بأيدي خارجية، ومنها ما هو قديم أحسن أعداء الإسلام توظيفه واستخدامه مثل: الشيعة بفرقها المختلفة، وعلى رأسها الاثنا عشرية والدروز والنصيرية، ولقد كانت **الدولة الصفوية** أضر على المسلمين وعلى الدولة العثمانية من الصليبيين واليهود، وأيضًا كانت ثورات **الدروز والنصيرين** بلبنان والشام سببًا مباشرًا في إضعاف الدولة العثمانية. د. راغب السرجاني، قصة الإسلام.


ضريح الباب في حيفا

أما **البهائية** فقد نشأت عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م، حيث أسسها حسين علي النوري المعروف باسم **بهاء الله** في إيران في القرن التاسع عشر الميلادي وتحت رعاية **الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار البريطاني** بهدف إفساد العقيدة الاسلامية، وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية، وقد ادعى البهاء المهدية، ثم ادعى النبوة، ثم ادعى الربوبية والألوهية، وقيل: إن بهاء الله دخل عكًا منفيًا في عام ١٨٦٨م؛ تنفيذًا لفرمان السلطان العثماني عبد العزيز، وهذه -لعمري- كارثة لو صحت !؟

وأما **القاديانية** فهي نحلة تنسب إلى (غلام أحمد القادياني)، نسبت إلى قرية **قاديان** من إقليم البنجاب في الهند (المتوفى سنة ١٣٢٦هـ) وهي: (حركة نشأت بتخطيط من الاستعمار البريطاني في القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لايواجهوا المستعمر باسم الإسلام). وقد ادعى القادياني النبوة ثم الألوهية، وقد كان من أبرز ملامح دعوة (غلام أحمد القادياني) (ميله الشديد **للانكليز** وخدمته لأغراضهم في بلاد الهند، **وإبطال عقيدة الجهاد** لهم، وثناؤه عليهم، وحث أتباعه على نصرتهم في كل مكان...).



لقد كانت هذه الفرق مصدرًا لإثارة القلاقل والفتن وإحداث الفوضى **داخل الدولة العثمانية** وكذلك في تجمعات المسلمين كالهند وغيرها وكانت تلك الفرق لا تكل ولا تمل في تآمرها المستمر مع أعداء الاسلام وفي خيانة المسلمين في أحرج الأوقات، وأحلك الظروف، لقد اكتوت الأمة بشرور تلك الفرق عندما ضعفت عقيدة أهل السنة في كيان الدولة القائمة عليها وفي نفوس رعاياها من أهل السنة. د. علي الصلابي، الدولة العثمانية، ص ٥٤٧ - ٥٤٩.

الحركات الانفصالية والتمردات المحلية:

نتيجة **للتفوق الغربي** قام الأوروبيون بحبك المؤامرات ضد المسلمين ودفعوا الدمى المصطنعة من طلاب الزعامة وغذوا أوكار الحاقدين والجهلة وشجعوا على العصيان .

لقد أصبح سفراء الدول الغربية يتدخلون في الشؤون الداخلية والسياسة الخارجية للدولة . . . حتى وصل الأمر بهم أن هددوا الدولة العثمانية بقطع العلاقات لدولهم إذا قامت الدولة العثمانية بأي إجراء انتقامي ..خاصة لدول البلقان..

أما في جهات الشرق فكان خصوم العثمانيين التقليديين يشعلون الثورات بين الحين والآخر، ولعل أهم الحركات الانفصالية التي أضعفت الدولة **حركة محمد علي باشا** في مصر. والحركات الأخرى التي تأثرت بها. موقع صيد الفوائد

مشكلة الديون:

تراكمت **الديون المالية** التي **أقرضتها الدول الأوروبية للدولة العثمانية** بسبب كثرة الإنفاقات على الإصلاحيات وفائدتها التي أصبحت أضخم من قيمة القروض. وفخ الديون منهج أنتهجه الأوروبيون لنصبه ضد الدول الإسلامية منذ القرن التاسع عشر. وفخ الاقتراض من الدول الأوروبية (اقتراض ربوي طبعًا) وما يسببه **الربا من دمار** لهذه الدول الإسلامية.

الجمعيات والأحزاب السّرية:

منها على سبيل المثال **جماعة يهود الدونمة** الذين التجئوا للبلاد العثمانية بعد الاضطهاد في الأندلس ونظموا أنفسهم محتفظين بعقائدهم متكيفين مع الوضع الجديد بإعلانهم الإسلام ظاهريًا، فكانوا عونًا للصليبية على المسلمين وأداة تدمير في الأخلاق والدين وكانوا وراء حركات التمرد والثورات المسلحة ضد الدولة حتى انتهى بهم المطاف إلى قلب نظام الحكم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وفرض أحكام الكفر والابتعاد بالدولة شيئًا عن جادة الإسلام الصحيح .

قامت بعض الجمعيات بحركات ضد السلطان عبدالحميد تحت أسماء مختلفة أهمها حركة **تركيا الفتاة**، وحركت حزب **الاتحاد والترقي**... وعرفت باسم جمعية الاتحاد والترقي... واكتسبت هذه الجمعية السرية كثيرًا من الأنصار، وانضم إليها أعضاء جمعية تركيا الفتاة، واتخذوا من **جنيف** مركزًا لقيادة الجمعية، وأنشأوا في **باريس** جريدة تمثل أراء الجمعية أسموها الميزان. وهذا الحزب شمل بعض اليهود في عضويته فقد ورط البلاد في حروب ونزاعات **وأرغم قادته المسيطرون على الدولة على الانخراط في الحرب العالمية الأولى** بعد أن قضوا على حكم عبد الحميد الذي أراد تقويم الانحراف، وتبنوا الأفكار التي فرقت بين أبناء الدولة المسلمين وكانت **الماسونية** بالطبع من وراء تلك الجمعيات السّرية تحيك الدسائس والمؤامرات وتقيل عثراتها وتدعم قادتها، حتى استطاع صنمهم مصطفى كمال أتاتورك من تحقيق حلمهم الكبير بإسقاط الخلافة الإسلامية.

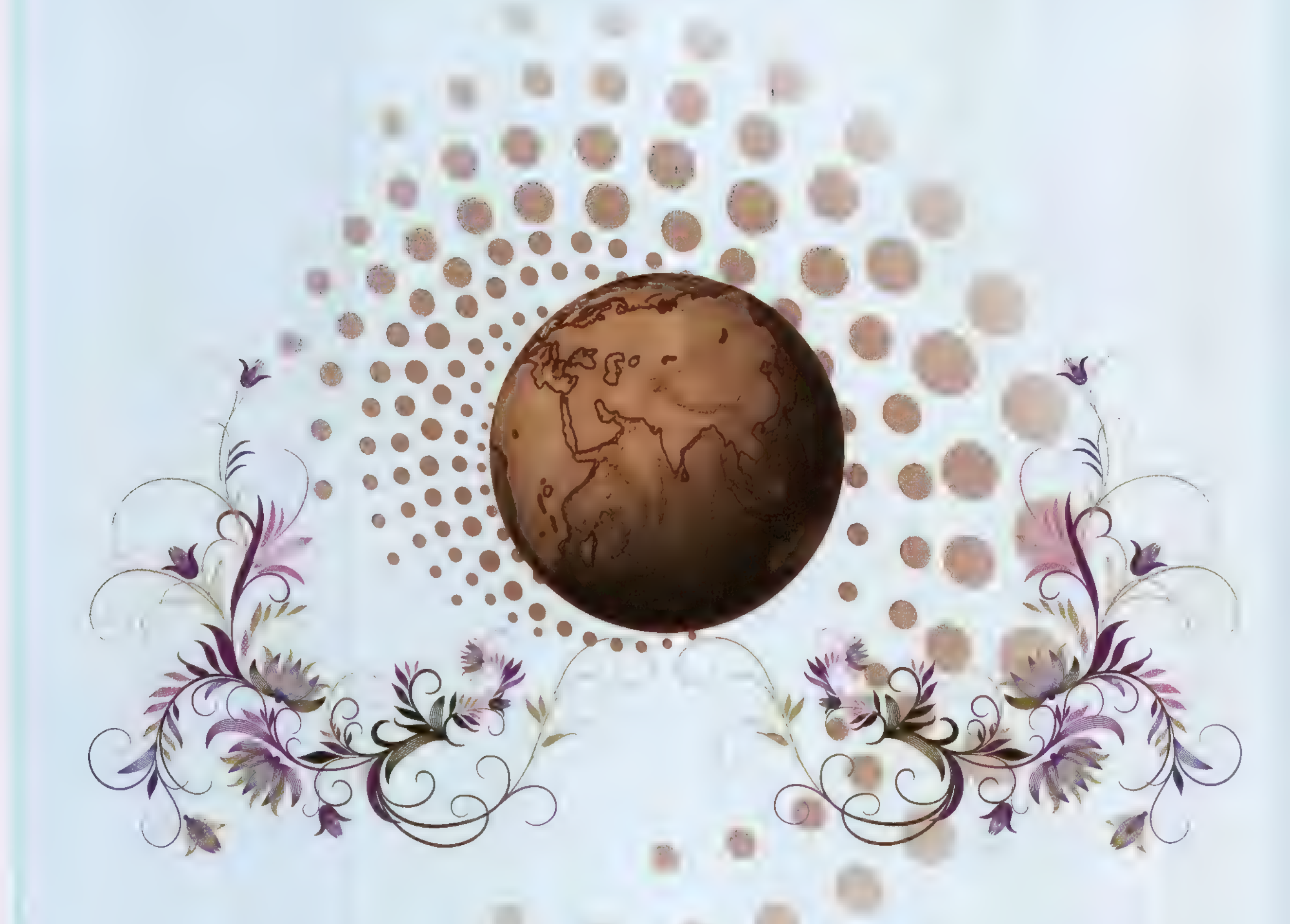
هذه بعض من الأسباب التي قضت على **الدولة العثمانية** وأنزلتها من شامخ عزها إلى حضيض المذلة والهوان. وإن من يدرس، كل سبب من هذه الأسباب المذكورة آنفًا ويرى مدى تأثيره الواسع في المحيط الدولي لا يعجب من انهيار هذه الدولة العظيمة تحت سياط هذه الضربات بل يعجب كيف استطاعت أن **تعيش ست مئة سنة** وهي تتحمل هذه الضربات القاسية ....، ولكنها عاشت بفضل اختلاف أعدائها على تقسيمها فيما بينهم وبفضل إيمان أهلها وتمسكهم بها. موقع صيد الفوائد



مجموعة من الأطفال الأتراك يشاهدون مركز بانوراما السلطان محمد الفاتح في مدينة أستنبول



الباب الخامس



خدمات الدولة العثمانية للإسلام والعروبة



أولاً: حماية الأماكن المقدسة الإسلامية من مخططات الصليبية البرتغالية:

كانت أعظمَ خدمة أسـدتها الدولة العثمانية للإسـلام، أنها وقفت في وجه الزحف الصـليبيّ الاستعماريّ البرتغاليّ للبحر الأحمر، والأماكن المقدسـة الإسـلامية، في أوائل القرن السادسَ عَشَـرَ الميلادي، فعلى الرغم من أن الدولة أخفقت في طرد الاستعمار البرتغالي من مراكزه في المحيط الهندي ومنطقة الخليج العربي، إلا أنها نجحت في منع تغلغله إلى الحجاز، حيث كان البرتغاليون يعتزمون تنفيذ مخطط صـليبي فظّ في قسـوته ووحشـيته، وهو دخول البحر الأحمر واجتياح إقليم الحجاز باحتلال ميناء جدة، ثم الزحف على مكة المكرمة، **واقتحام المسجد الحرام، وهدم الكعبة المشرّفة**، ثم موالاة الزحف منها على **المدينة المنورة؛ لنَبْش قبر الرسـول - صـلى الله عليه وسـلم -** ثم اسـتئناف الزحف على تبوك، ومنها إلى **بيت المقدس، والاسـتيلاء على المسجد الأقصى**؛ وبذلك تقع هذه المساجد الثلاثة في أيدي البرتغاليين، وكان الأسطول البرتغـاليّ قـد نجح في دخـول البحر الأحمر، وقـام بمحاولتين لاحتلال ميناء جـدة، كانت الأولى في سـنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م، والثانية في سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م؛ ولكنه أخفق في محاولتيه؛ فأرسل البرتغاليون حملة كبرى إلى ميناء السويس بوصفه قاعدةَ الأسـطول العثماني في البحر الأحمر، واسـتهدفوا تدمير هذه القاعدة، ولما بلغوا الطور علموا أن الأسـطول العثماني يقف في حالة تأهب، وارتدوا على أعقابهم دون أن يلتحموا به.

وقـررتِ الدولـة **اتخـاذ اليمن** قاعدةً حربية للدفاع عن البحر الأحمر، ومنع السـفن البرتغالية من دخوله، ثم عممت هذا المنع على جميع السـفن المسـيحية، بحيث كان على هذه السفن أن تفرغ شـحناتها في ميناء "المخا" في اليمن، وتعود أدْرَاجَهَا إلى المحيط الهندي، وكانت حجة الدولة العثمانية في هذا المنع هي أن الأماكن الإسـلامية المقدسـة في الحجاز تُطل على مياه البحـر الأحمر، ويجب ألا تُدَنِّسَ مياهه بوجود سـفن مسـيحية تَمْخُـر عَباب هذا البحر، وقـد ظل هذا الحظر معمولاً به حتى القرن الثامن عشر الميلادي. مصدر الباب الخامس: د. إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص ٢٣٥ - ٢٤٩. مكتبة العبيكان ١٤١٦هـ.

ثانيًا: الدولة العثمانية تحافظ على إسلام وعروبة شمالي إفريقيا:

حافظ العثمانيون على إسـلام وعروبة سـكان شمالي إفريقيا من أخطار الغزو الصليبي الاستعماري الأوروبي، الذي حملت لواءه البرتغال وإسـبانيا، والمنظمة الصـليبية المعروفة باسـم فرسـان القديس يوحنا، التي اتخذت من جزيرة مالطة مستقرًا ومقامًا، وكان من أهداف هذا الغزو أيضًـا إنشـاء **ممالكَ مسيحية تتناثر على الساحل الشمالي لإفريقيا كمرحلة ثالثـة**، وبذلـك يغدو البحر المتوسـط في المدى البعيد بُحيرة مسـيحية أوروبية، ويعقب ذلك تغلغل صـليبي أوروبي جنوبًا في داخل القارة الإفريقية، **ولكن تصدت الدولة العثمانية لهذه المشروعات الصليبية الاستعمارية**، فأصبحت أحلامًا، وغدت هباءً منبثًا.

بسطت **الدولة العثمانية** سيادتها على ثلاثة أقاليمَ في شمالي إفريقيا في القرن السادس عشر الميلادي، وكانت حَسَبَ ترتيب دخولها تحت السيادة العثمانية، الجزائر وطرابلس وتونس، ولم تمد الدولة نفوذها إلى مراكشَ لرفض الأسرة السعْدِية التي تنتمي إلى سلالة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الدخول في تَبَعية الحكم العثماني.

وكان سـكان تلك الأقاليم، **وبخاصـة الجزائر وطرابلس، قد اسـتنجدوا بالدولة العثمانية**، ولذلك لم يكن دخول العثمانيين إلى شـمالي إفريقيا نتيجةَ معاركَ حربيةٍ خاضـتها القوات المسلحة العثمانية ضد أهالي البلاد، أو تدخُل مباشر من حكومة أسـتنبول، على غرار ما حدث في الشـام أو مصـرَ أو العراق؛ ولكنهم فتحوها مُنْقذين للسكان من أخطار القضاء على دينهم، وطَمْس عروبتهم، وتحويل بلادهم إلى **جزء من العالم المسيحي**.

ثالثًا: إيجاد وحدة طبيعية بين الولايات العربية:

أوجدت **الدولة العثمانية** وحدة بين الولايات العربية التي دخلت تحت سيادتها، فاحتفظت هذه الولايات بمقوماتها الأساسية:

- الدين الإسلامي.
- واللغة العربية.
- والثقافة العربية الإسلامية.
- والتقاليد والعادات الموروثة عبر العصور.

وكان سكانها تجمعهم دولة إسلامية واحدة، هي الدولة العثمانية، وتضمهم رعاية واحدة بصفتهم رعايا عثمانيين، ويشتركون في تبعيتهم لحاكم واحد، هو السلطان العثماني، **ولم تلجأ الدولة العثمانية إلى إقامة حدود مغلقة** بين الولايات العربية، أو حواجزَ مصطنعة بين سكانها، فكانت حرية الانتقال والسفر أمامهم مكفولةً ومحترمةً في جميع الأوقات، وكانت فرص العمل متاحةً لهم في كلِّ الأوقات، وكان في مقدور العربي في دمشق مثلًا أن ينتقل إلى بغداد، أو مكة المكرمة، أو المدينة المنورة، أو القاهرة، أو القيروان أو غيرها من مدن الولايات العربية، ويعيش فيها ويمارس ألوانًا من النشاط الاقتصادي أو الثقافي، دون أن يحصل على إذن بالخروج أو الإقامة، وكانت هذه هي أولَ وَحْدَة تتحقق للعالم العربي إبان الحكم العثماني، بعد تفتت وَحْدَتُهُ بسقوط الدولة العباسية في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي عقب غزو المغول، وتخريب مدينة بغداد، وانسياحهم في وادي الرافدين، ثم شمالي بلاد الشام إلى جنوبي فلَسطين؛ ولذلك يرى عدد من المؤرخين والباحثين **أن الوَحْدَة التي تمت على أيدي العثمانين تعد نقطةَ البداية في تاريخ العرب الحديث.**

وفضلًا عن تلك التبَعيَة السياسية، كانت وشيجةُ الدين تربط سكان الولايات العربية بالسلطان العثماني، باستثناء أهل الذمة، وكانوا قلة عددية يعيشون على هامش المجتمعات الإسلامية في الولايات العربية.

وكانت **وشيجة الدين من أقوى الوشائج التي ربطت الجماهير العربية بالدولة العثمانية**، فأخلصوا لها واشتركوا في حروبها ضد التكتلات الصليبية التي واجهتها، وكان يزداد ولاؤهم لها، والتصاقهم بها إذا تعرضت الدولة لهزيمة عسكرية من دولة أوروبية، وكان الدين يعمل في تلك العصور في تقرير الأوضاع السياسية، والحربية لشعوب الولايات العربية.

رابعًا: إبعاد الزحف الاستعماري عن الوطن العربي:

ظلت **الولايات العربية** زهاء مدة تراوحت بين ثلاثة وأربعة قرون، من القرن السادس عشر إلى أوائل القرن العشرين، **بمنأى عن الزحف الأوروبي الاستعماري عليها ما بقيت الدولة العثمانية قوية، مَهيبَة الجانب**، فلما دخلت الدولة في دور الاضمحلال، وتبين للدول الأوروبية أن الدولة العثمانية عاجزة عن التصدي للدول الاستعمارية؛ تعرض العالم العربي للغزو الأوروبي النصرانيّ الاستعماريّ، كما تعرضت أقاليمُ أخرى، إسلاميةٌ وغير إسلامية، في قارات آسيا وإفريقيا وأستراليا:

وكانت فرنسا من أسبق الدول الأوروبية في الزحف والسيطرة على الأقاليم العربية، فنجحت في احتلال نيابة الجزائر سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م، ولا شك أن من أهم العوامل التي شجعت فرنسا على احتلال الجزائر أن الدولة العثمانية كانت قد فقدت أسطولها في معركة نفارين البحرية ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧م (١٢٤٣هـ)، ولما كان اقتطاع فرنسا للجزائر بصفة الأخيرة إقليمًا إسلاميًا عربيًا من أقاليم الدولة العثمانية سابقةً خطيرة. قد تحتذيها دولة استعمارية أخرى تجاه الوطن العربي، لم تستسلم

الدولة العثمانية لانتزاع الجزائر منها.

حاولت **الدولة العثمانية** بالطرق الدبلوماسية استرداد الجزائر، وبذلت مساعيَ مكثفةً لكنها انتهت بالفشل وحاولت استخدام القوة لاسترداد الجزائر، إلا أنها عَدَلَتْ عن ذلك بسبب عدم تمكنها من شن حرب على فرنسا؛ لضعف الأسطول العثماني، والجيش العثماني كذلك.

وأدى ذلك إلى قيام حرب باردة بين الجزائر والدولة العثمانية، ونجحت الدولة العثمانية في إنهاء حكم القرمانليين في طرابلس سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م، وإعادة هذه النيابة إلى الحكم العثماني، واستغلت الدولة هذا الوضع الجديد، فتظاهرت بإرسال قوات برية من الأناضول إلى طرابلس، ومنها إلى الجزائر عبر تونس، ولكن فرنسا هددت الدولة العثمانية بإرسال أسطولها، وخشي الأسطول العثماني من الاحتكاك بالأسطول الفرنسي، فغادر طرابلس إلى مالطة، ثم إلى أستنبول، وبذلك قنعت الدولة العثمانية بهذه الحرب الباردة، والتي انتهت عند هذا الحد وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م، توقف الزحف الأوروبي الاستعماري على الولايات العربية مدة ناهزت الخمسين عامًا؛ بسبب اشتداد حدة التنافس بين الدول الأوروبية على تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية، وتوزيعها أسلابًا فيما بينها، وما صحب هذا التنافس من حروب ومؤتمرات ومعاهدات، ازدحم بها تاريخ الدولة العثمانية في القرن التاسعَ عَشَرَ ومطلع القرن العشرين، وانتهجت هذه الدولة سياسة التعويض، وسياسة المصالحة على حساب الدولة العثمانية في مؤتمر برلين سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م، وبسطت فرنسا حمايتها على تونس سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، واحتلت بريطانيا مصر سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، وكان قد سَبَقَ فَرْضَ الحماية والاحتلال على هذين البلدين العربيين الإسلاميين، انتهاجُ سياسة التغلغل السِّلْمِيِّ، **عن طريق تقديم قروض أوروبية ضخمة**، بحيث عجزتا عن سداد القروض وفوائدها؛ مما أدى إلى التدخل في الشؤون المالية، وبعد ذلك في الشؤون السياسية، وانتهت بالغزو العسكري.

خامسًا: الدولة تضفي الهدوء والاستقرار على الولايات العربية:

أضفت **الدولة العثمانية** على ولاياتها العربية نوعًا من الهدوء والاستقرار السياسي، وكانت بلاد الشام والعراق تعانيان الكثير من المتاعب، والفوضى، والتخريب من آثار غزوات المغول المدمرة، التي نجحت مصر في صدها عندما أوقعت بالمغول هزيمة حاسمة في معركة "عين جالوت"، شتتت شملهم، وأنقذت أقاليم الشرق والمغرب العربي من شرورهم.

خضع السكان في الولايات العربية للحكم العثماني، وقد كان العثمانيون مسلمين مثلهم، ويعتنقون مذهب السُّنَّة مثلهم، ويحرصون على تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية، ويحافظون على الشعائر الدينية؛ مثل الاحتفال برؤية الهلال لشهر رمضان وغيرها، ولم تضيق السلطات العثمانية عليهم، كما أنها لم تتدخل في شؤونهم إلا في نطاق محدود؛ مثل جَمْع الضرائب، والإشراف على القضاء، وتوفير الأمن، وتركت للشعب العربي شؤون التعليم، والصحة، والمواصلات، التي تعد في الوقت الحاضر من صميم واجبات الحكومات، وعلى العموم، فقد تركت السلطات العثمانية الجماهير العربية تحيا على النحو الذي أَلِفَتْهُ من قبل، دون تغيير جوهري مسَّ حياتهم.

ومع ذلك تعرضت بعض الولايات العربية لهزات سياسية وسط الهدوء الذي كانت تعيش في ظلاله الوارفة، وكان يجتاح الولايات العربية من وقت إلى آخر نوعان من الاضطرابات:

أولاهما: انتفاضات شعبية، وكان يقوم بها سكان حي أو مدينة ضد الحكام المحليين؛ احتجاجًا على ظلم حكامهم، ورفع شكواهم للسلطان العثماني.

ثانيهما: حركات سياسية وعسكرية، يقوم بها أفراد طَمُوحون؛ مثل حركة علي بك الكبير، وحركة ظاهر العمر، والتي لم تلقَ استجابة واستحسانًا من الجماهير.

سادسًا: الدولة تمنع انتشار المذهب الشيعي في ولاياتها العربية:

من المعروف أن المذهب الرسمي للدولة العثمانية كان المذهب السُّنّي، **واعتبرت الدولة العثمانية نفسها حامية لهذا المذهب**، وتأسيسًا على هذه الحقيقة فإنها منعت انتشار المذهب الشيعيّ في **ولاياتها العربية في آسيا وإفريقيا باستثناء العراق**، الذي كانت الدولة الصّفوية قد نشرت المذهب الشيعيّ فيه قبل الدولة العثمانية، بحيث أصبح أهل السُّنة وأهل الشيعة قوتين متوازيتين تقريبًا من حيث تَعْدَادُهم، وقد أبقت الدولة العثمانية على هذا الوضع، وذهبت إلى أبعدَ من ذلك فاحترمت مشاعر أهل الشيعة، واهتمت بتعمير مناطق العتبات المقدسة -عند الشيعة- في النجف وكربلاء في العراق، ويسّرت زيارتها أمام شيعة العراق وفارس والهند وأفغانستان، ولذلك **فإن أهل السُّنَة ينظرون إلى الدولة العثمانية على أنها قدمت خدمة جليلة بحصر المذهب الشيعيّ في فارس**، بحيث لم تسمح بتَسَرُّبه إلى الأقاليم العربية التي دخلت تحت السيادة العثمانية، ولا تزال إيران هي المعقل الأول للشيعة في العالم الإسلامي.

سابعًا: الدولة العثمانية تمنع اليهود من استيطان سيناء:

لما فتح السلطان سليم الأول مصر سنة ٩٢٣ هـ/١٥١٧م، **أصدر فرمانًا بمنع اليهود من الهجرة إلى سيناء**، وواضحٌ من صدور هذا المرسوم بأن اليهود كانوا يريدون الهجرة إلى هذا الإقليم المصري واستيطانه، على أساس أنه يضم الوادي المقدس طُوى، الذي كلم الله سبحانه وتعالى فيه موسى عليه السلام تكليمًا، ومن ثَمّ أصدر السلطان سليم الأول الفَرمانَ الذي سدّ الطريق في وجوه اليهود، ولما تولى ابنه سليمان المشرع (القانوني) عرش الدولة سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م، أصدر فَرَمانًا لاحقًا، أكد فيه ما جاء في الفرمان السابق، **مما يدل على أن الخطر اليهودي كان لا يزال ماثلاً من حيث رغبتُهم في استيطان سيناء**، واستعمارهم لها، الأمر الذي كان يقلق الدولة العثمانية، واستطال حكم سليمان زهاء ستة وأربعين عامًا (٩٢٧ – ٩٧٤هـ / ١٥٢٠ – ١٥٦٦م)، ولم يجرؤ اليهود على تنفيذ ما كانوا يبيّتون.

وبعد وفاته جاء بعده ابنه السلطان سليم الثاني (٩٣٣ – ٩٨٢هـ/١٥٢٦ – ١٥٧٤م)، ومنذ حُكْمه بدأت النذُر الأولى لاضمحلال الدولة، وخَلَفَهُ سلاطينُ على شاكلته، وكان أولهم مرادٌ الثالث (٩٨٢ – ١٠٠٥ هـ/١٥٧٤ – ١٥٩٦م)، وتنفس اليهود الصعداء، وأدركوا أن الفرصة سانحة لهم لتحقيق حُلْم راودهم طويلًا فنَزَحوا في هجرات متقطعة على أوقات متقاربة إلى سيناء لاستيطانها، وتركزت إقامتهم في **مدينة الطور**؛ ليسهل على اليهودِ إيجاد اتصالات خارجية عن طريق ميناء المدينة، بحيث يتمكن اليهود من الهجرة والقدوم إلى سيناء من بلدان مجاورة، وقد تزعم حركة التهجير رجل يهودي يدعى إبراهام، استوطن الطور مع أفراد أسرته وأولاده، وكان من المحتمل أن تمر سنوات دون أن تدري بهم السلطات العثمانية، لولا أنهم تعرضوا بالأذى لرهبان دير سانت كاترين؛ مما حمل الأخيرين على إرسال شكاوى مكتوبة، كلها تؤكد على عدم أحقية اليهود للسكن في هذه المنطقة، وإيذاء رهبان الدير بأي حال من الأحوال، وصدرت أوامر الدولة العثمانية بطرد اليهود من دير سانت كاترين، ومنعهم من العودة إليه مستقبلًا، وهذا يدل على **حرص الدولة العثمانية على منع اليهود من استيطان سيناء**، وإشعارهم بقوة الدولة العثمانية ويَقَظَتها لأهدافهم وعندما احتلت بريطانيا مصر سنة (١٣٠٠ هـ/١٨٨٢م)، عاود اليهود مطالبهم في سيناء، **بعد أن رفض السلطان عبدالحميد الثاني فتح أبواب الهجرة أمامهم إلى فلسطين**، وكان تيودور هرتزل زعيم المنظمة الصهيونية العالمية قد أطلق على سيناء اسمًا مُعَبّرًا هو فلسطين المصرية؛ ليتخذ منها في المستقبل نقطة وثوب إلى فلسطين الآسيوية (فلسطين الحالية)، ولذلك دخل **هرتزل** في مفاوضات سنة (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م) مع بعض أعضاء الوزارة البريطانية، وبخاصة جوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات، ولورد لانزدون وزير الخارجية، من أجل توطين اليهود في سيناء على أساس إقامة دولة يهودية فيها، تتمتع بالحكم الذاتي في نطاق الإمبراطورية البريطانية، ووافق الوزيران على الاقتراح؛ لأنه يحقق لبريطانيا أهدافًا إستراتيجية؛ منها: ضمان حماية شرقي قناة السويس، وعزل مصر عن الولايات العربية في غربي آسيا، وإضعاف الدولة العثمانية، وإقامة دولة موالية لبريطانيا؛ غير أن هذا المشروع بعد بحثه فشل بسبب معارضة السلطان عبدالحميد الثاني له أولاً، وبسبب معارضة اللورد كرومر حاكم مصر، ومعتمَد بريطانيا لدى مصر، وتوقف بحث مشروع استيطان اليهود في سيناء.

ثامنًا: الدولة تحد من هجرة اليهود إلى فلسطين:

تطلَّع **اليهود** على مر العصور التاريخية إلى فلسطين؛ كإقليم يجمع شتاتهم، ويُنشئون فيه دولة، متذرّعين بادعاءات دينية وتاريخية؛ فقد أسس اليهود **الحركة الصهيونية**، ونجحت في استقطاب الدول الكبرى وتأييدها، وكان على **الدولة العثمانية** أن تخوض - دفاعًا عن فلسطين - صراعًا سياسيًا مريرًا ضد القوى الصهيونية، والدول الأوروبية المناصرة، ونجح الصهاينة في توقيت حركتهم ونجاحها نجاحًا باهرًا، فاختاروا حقبة عصيبة من أوقات الاضمحلال التي كانت تمر بها الدولة العثمانية، **ولكن الدولة العثمانية عملت في حدود إمكانياتها على الحدّ من الهجرة إلى فلسطين**، وقاومت بذلك الحركة الصهيونية، وقد **رفض السلطان عبدالحميد الإغراءات الصهيونية التي عرضها عليها هرتزل**، برغم الضائقة المالية التي تمر بها الدولة العثمانية، وبذلك حافظ على عروبة وإسلامية فلسطين.

دور الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا

تشغل **الدولة العثمانية** حيزًا كبيرًا للغاية في التاريخ؛ حيث امتدت **فتوحاتها إلى ثلاث قارات**، هي آسيا وأوروبا وإفريقيا، وغدت دولة آسيوية أوروبية إفريقية؛ وبذلك فإن الدولة العثمانية كانت أول دولة إسلامية في التاريخ الأوروبي تصل بقواتها الجرارة إلى هذه الأراضي الأوروبية، وكان الوجود الإسلامي العثماني، العسكري والسياسي، حقيقة لا جدال فيه.

وقامت **الدولة بدور مهم في نشر الإسلام في أصقاع شتى من الأقاليم الأوروبية**، وكان العثمانيون ينظرون إلى أنفسهم على أنهم مسلمون قبل كل شيء؛ فكان ولاؤهم يتجه إلى الدين الإسلامي أولاً، ثم إلى السلطان ثانيًا، ثم إلى الدولة ثالثًا، وكانت روح الجهاد الديني غالبة في إسلام العثمانيين، وازدادت قوةً وصلابةً عندما استقروا في الأناضول على حدود أو على مقربة من الكيانات المسيحية المتناثرة وقتذاك في هذا الإقليم واحتفظوا بهذه الروح في مسيراتهم الحربية في أوروبا؛ فالإسلام عند العثمانيين دين محاربين، وازدادت هذه الروح الدينية الحربية تَأَجُّجًا في نفوس العثمانيين بعد ما **واجهوا تكتلات صليبية** متعاقبة واسعة النطاق، ضمت العديد من الدول الأوروبية، **وكانت البابوية في روما** تدعم وتؤيد هذه التكتلات؛ بل تنادي بالانضمام إليها، وكأن الحركة الصليبية التي شهدها الشرق الإسلامي في الماضي قد انتقلت ميادينها إلى أوروبا، ولكن شتان ما بين الحركتين؛ فالصليبيون في أوروبا واجهوا قوات إسلامية عثمانية مسلحة، وقفت في وجه الصليبية الأوروبية صفًا واحدًا؛ كأنه بنيان مرصوص، يشد بعضه بعضًا، **ولم تجد الحركة الصليبية في أوروبا ثغرة تنفذ منها لتفتيت وحدة الصف الإسلامي العثماني**، فكان النصر حليفَ القوات العثمانية في معظم المعارك الضارية التي نشبت بين الفريقين.

وحولت الدولة العثمانية دار الحرب إلى دار الإسلام، وأسهم الجميع في غرس بذور الإسلام في الأقاليم المفتوحة؛ مما ساعد على نشر الإسلام في أوروبا، وبذلك اقترنت حركة الفتوح الإسلامية في كل من الأناضول وأوروبا بنشر الإسلام، وقد انتشر انتشارًا سريعًا واسعًا في بعض الأقاليم، وانتشر انتشارًا وئيدًا في أقاليم أوروبية أخرى، وغدت العواصم التي اتخذتها الدولة العثمانية تباعًا وهي قونية، بورصة، أدرنة، وأستنبول، مدنًا إسلامية عثمانية، ومراكز للدراسات الإسلامية والحياة الإسلامية.

ونظر **الأوروبيون إلى الفتوح العثمانية في أوروبا على أنها فتوح إسلامية**، وباسم الإسلام فتح السلطان محمد الفاتح (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، واتخذها عاصمة لدولته، واستبدل اسمًا جديدًا هو أستنبول، ومعناها دار الإسلام، وباسم الإسلام استولى السلطان محمد الفاتح على **روما مقر البابوية**، وباسم الإسلام استولى السلطان **سليمان القانوني** على **بلغراد**، **وجزيرة رودس وبودابست**. وباسم الإسلام تقدم العثمانيون لمساعدة عرب شمالي إفريقيا في الصراع الصليبي، الذي احتدم بينهم وبين الإسبانيين والبرتغاليين، الذين أرادوا احتلال هذه الأقاليم، وتحويل سكانها إلى المسيحية؛

وبذلك حفظت **الدولة العثمانية** لشمالي إفريقيا إسلامه وعروبته، وأوغلت الجيوش العثمانية في زحفها على قلب أوروبا حتى بلغت مشارف فيينا، وكانت الأساطيل العثمانية تحقق انتصارات كاسحة ضد التكتلات الصليبية، الأمر الذي أدى إلى تصاعد العداء بين أوروبا المسيحية والدولة العثمانية.



البـاب الســـــــادس



أبرز الجوانب الحضارية فــي العهد العثماني



الدولـــــة العثمانيـــــة في أقصى أتساع لها

غرست **الحضارة الإسلامية** في أعماق الإنسان مفاهيم جديدة في العقيدة، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، وبذلك بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الحضارة، انعكس أثرها على الأمة الإسلامية، وحينما قامت **الدولة العثمانية** واصلت مسيرتها الحضارية تفاعلًا مع العصور التي وجدت فيها، والمناطق التي ضمتها، فقد **تغلغل العثمانيون** في **البر الأوروبي** منذ فتح مدينة غاليبولي المطلة على مضيق الدردنيل في عهد السلطان أورخان بن عثمان حتى وصلت بعد ذلك إلى أبواب **فيينا** عاصمة النمسا.

من هذا المنطلق **وجد العثمانيون** أنفسهم وجهًا لوجه مع الحضارة الغربية بمبادئها المادية في هذا الصراع الحضاري مع الحضارة الإسلامية ذات المبادئ القويمة الجامعة للروح والمادة معًا، وعلى الرغم، من التراجع الحضاري للمسلمين في المشرق؛ إلا أن العثمانيين سجلوا حضورًا قويًا لابأس به قياسًا على حجم الحروب التي خاضها العثمانيون مع الدول الأوروبية التي وقفت لهم بكل قوة وشراسة.

١- النظام السياسي:

اتبع **العثمانيون** تنظيمًا بسيطًا لدولتهم، حيث ابتكروا جهازين إداريين للحكم: **جهاز إداري مركزي وجهاز إداري محلي**، وكان يتم اتباع هرميّة معينة في كل جهاز منها، وكان **السلطان بوصفه حاكم البلاد، وخليفة المسلمين**، يقبع على قمّة هذا الهرم. أخذ العثمانيون بالكثير من العادات العربية والفارسية والبيزنطية في تنظيمهم للأجهزة الإدارية، ودمجوا معها بعض العادات التركية القديمة، وصهروها كلها في بوتقة واحدة مميزة، مما جعل الدولة العثمانية تظهر بمظهر الوريث الشرعي لجميع تلك الحضارات التي سبقتها.

كان الجهاز الإداري المركزي يتكوّن من **السلطان وحاشيته**. وهؤلاء جميعًا يُعرفون باسم "آل عثمان"، ويُعاونهم في الحكم ما يُعرف باسم "الديوان"، وهو جهاز إداري مضمّن يتكوّن من الصدر الأعظم وأفراد الطبقة الحاكمة. ومنصب **الصدر الأعظم** هو أعلى مناصب الدولة بعد منصب السلطان، وكان من يتبوأ هذا المنصب يلعب دور رئيس الوزراء ورئيس الديوان، ومن صلاحياته تعيين قادة الجيش وجميع أصحاب المناصب الإدارية المركزية أو الإقليمية. أما **الطبقة الحاكمة** فكان يُشار إلى أفرادها باسم "العساكرة" أو "العسكر"، ومفردها "عسكري"، وهي تشمل: **الدفتردار**، أي الشخص المُكلف بالشؤون المالية وحساب موارد الدولة ومصاريفها؛ **الكاهية باشا**، وهو الموظف العسكري الذي يتكلف بتسيير الشؤون العسكرية للدولة؛ **الشاويش باشا** (بالتركية العثمانية: چاويش پاشا؛ نقحرة: تشاويش پاشا) وهو موظف ينفذ الأحكام القضائية التي يصدرها القضاة؛ رئيس الكتّاب، وشيخ الإسلام وطبقة العلماء.

كان **السلطان العثماني** هو صاحب القرار النهائي الفاصل في أغلب الأحيان، وقد استمر الأمر على هذا المنوال حتى عهد السلطان مراد الرابع، عندما ازداد نفوذ الديوان وأخذ السلاطين لا يشاركون في جلساته أكثر فأكثر. **جرت العادة منذ العهد العثماني على إطلاق تسمية "الباب العالي" على الحكومة العثمانية**، وهي تسمية تعني في الأصل قصر السلطان، ومع مرور الوقت أصبح المقصود بالباب العالي: أعلى سلطة تتجسد في قوة السلطان العثماني المستمدة من قوة جيشه.

الدولة العثمانية، الموسوعة الحرّة على الشبكة العنكبوتية.

السلطان أحمد الثالث يستقبل السفير الفرنسي "شارل آل فريول" في الديوان السلطاني سنة ١٦٩٩م، بريشة "جان بابتيست ڤامور".

ونظرًا **لاتساع رقعة الدولة العثمانية** فقد قسمها العثمانيون إلى **ولايات أو "إيالات"**، ثم قسموا كل ولاية إلى **سناجق أو مقاطعات**، وكلّ سنجق إلى نواح، وكل ناحية إلى أحياء وحارات. وكان حاكم الولاية، أو الوالي ولقبه **"الباشا"**، تبعًا للحكومة المركزية في أستنبول **(الأستانة)**، في حين كان حاكم السنجق، أو "الحكمدار" ولقبه **"البك"**، تابعًا للباشا، ويساعده ديوان و**"صوباشي"**، أي ضابط أمن؛ وكان حاكم الناحية، ولقبه **"الآغا"** تابعًا للبك، وكان على رأس كل حي أو حارة **"مختار"** تابع للآغا.

وكان الوالي يُعيد شراء منصبه من الصدر الأعظم كل سنة، فكان طبيعيًا أن يعمد إلى ابتزاز ما دُفع من الضرائب الباهظة التي كان يفرضها على الرعيّة ومن الموظفين الخاضعين لسلطته، كما كان طبيعيًا أن يعمد هؤلاء الموظفون بدورهم إلى ابتزاز المال بمختلف الوسائل من أفراد الشعب، وعُرف هذا النظام، أي جباية الضرائب السنوية عن مساحة من الأرض من أهلها من الفلاحين، باسم **"نظام الالتزام"**. كان والي الشام متميزًا عن غيره من الولاة بإضافة منصب **إمارة الحج عليه**، وكانت مهمة "أمير الحج" الإشراف على قافلة الحج الشامي التي تضم حجاجًا من أنحاء بلاد الشام والأناضول والبلقان، وتأمين ما يلزم لسلامة الحجاج، من ماء وجنود **ودليل خبير بالطريق** أو أكثر من دليل، وغير ذلك من الأمور. كان عدد ولايات الدولة يتفاوت بين الحين والآخر، وفق ما تكسبه أو تفقده من البلدان، أو بسبب دمج بعض الولايات ببعض. وفي حالة متصرفية جبل لبنان، أو لحماية بعض المناطق المقدسة عند أهل الكتاب عمومًا، مثل متصرفية القدس. وكان يُعين على رأس المتصرفية موظف عثماني يُعرف باسم "المتصرّف"، وفي حالة متصرفية جبل لبنان، فقد كان يجب أن يكون مسيحيًا عثمانيًا غير لبناني أو تركي.

شفيق جحا، منير البعلبكي، بهيج عثمان، المصور في التاريخ، الجزء السادس. دار العلم للملايين، صفحة ١٥٧.



٢- النظم والقوانين:

إن القوانين والممارسات التي كانت سائدة حتى عهد **السلطان محمد الفاتح** في شكل تقاليد وأعراف، أصبحت مجموعة ومدوّنة اعتبارًا من هذا العصر. **والدستور (قانون نامه) العثماني** في عهد السلطان **سليمان القانوني** الذي يحوي "دستور التشكيلات" من عهد الفاتح والأحكام الحقوقية بشكل أعم وأكثر انتظامًا، كان واحدًا من أهم الدساتير العامة. لم تصدر الدساتير العثمانية من مجلس واحد كما هو الحال اليوم، غير أن إعدادها كان يتم بصورة أشمل من خلال إجراءات قانونية معينة. فمشاريع القوانين التي يعدها مسؤول الفرمانات (نيشانجي) يعرضها على **الديوان الهمايوني** الذي يعد مجلس الشورى -وهو بالطبع عضو فيه- وبعد النظر فيها والتشاور تُقدّم للصدر الأعظم، فيعرضها بدوره على السلطان، وبعد التصديق عليها تأخذ اسم القانون والفرمان. وقد تحدّث كاتب هولندي من غير المسلمين عن صلاحيات السلطان وسيادة القانون في الدولة العثمانية فقال: "إن القوانين الإسلامية في الفكر الأوروبي، هي عبارة عن أوامر كيفية مزاجية. فالشريعة المحمدية بحسب الأفكار الشائعة في أوروبا، أعطت لشخص السلطان التفرد فيما يشاء من الأفعال والتصرفات، أي الصلاحية المطلقة، وجعلت إرادة السلطان الكيفيةُ بديلة عن القانون، فهو يَسُنُّ القوانين كما يشاء... غير أن ذلك كله بهتان عظيم إذا ما قورن بالحقيقة".

إن الدستور العالي العثماني الذي تم **تدوين محتواه وإقراره كقانون للتشكيلات في عهد الفاتح**، بقي -بتعديلات يسيرة- مُطبّقًا حتى عهد التنظيمات. هذا الدستور الذي يبدأ بهذه العبارة: "هذا الدستور هو قانوني كما كان قانون آبائي وأجدادي، وقد عمل به الأبناء الكرام جيلاً بعد جيل"؛ يتناول مراتب الأعيان الكبار وأصولَ وقواعد التشريفات "الألقاب" وتشكيلات رجال الدولة، ومهامّ الموظفين من رجال القصر، وأحكامَ وعقوبات المخالفات والجرائم التي يرتكبها أركان الدولة. ويؤكد على أهمية عدم الاكتفاء بإصدار القوانين، بل ينبغي أن تكون أيضًا موضع التطبيق الجاد، وأن تشيع ثقافة القانون والثقة به بين الناس. وقد أكد كل من "مصطفى لي" في القرن السادس عشر الميلادي، و"كوبي بك" في القرن السابع عشر الميلادي -وكان لكل منهما موقعه المهم في الترتيب البيروقراطي- بعد بيانهما متانة القوانين القديمة وكمالها؛ أنه عندما يُظهر جميعُ الناس خضوعهم للقانون، يمكن للحكومة أن تقوم بكل خدماتها على أكمل وجه.

وهذا يعني أن **نظام الدولة العثمانية** ليس نابعًا من الممارسات المزاجية والعلاقات الشخصية، بل من بنية بيروقراطية مشكلة في إطار احترام القوانين. ويعزز هذا الطرح ما ذهب إليه خليل إينالْجِك -الباحث المحلل في النمط السياسي العثماني- حيث يقول: "إضافة إلى أن مشهد الجهاز البيروقراطي العثماني في القرن السادس عشر، يسمح لنا أن نصوّب -ولو جزئيًا- الصورة التي يعرضها "ويبر". فالجهاز البيروقراطي في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م)، لا يمكن النظر إليه كمجرد جزء مُلْحَقٍ بباب الحاكم فقط، والدواوين لم تكن خاضعة للعلاقات الشخصية والتبعية المطلقة للحاكم.

واكتسب **السلاطين العثمانيون** مشروعيتهم من خلال تطبيقهم أحكام القرآن والسنة، والعدالة واحدة من القواعد الأساسية الأربعة للقرآن، ولذلك وضع السلاطين أنفسهم في منزلة "الأفراد" وتمسكوا بسيادة القانون. ورأوا في "الرعايا" أمانة وضعها الله في أعناقهم، وأن وظيفة السلطان تكمن في حماية هؤلاء الرعايا ورفع الظلم عنهم. ووظيفة (الحَلِّ والعَقْدِ) التي أنيطت بالحاكم تتمثل في تأمين جميع العلاقات بين الرعايا على أساس العدل بينهم. وقد قام قضاة الدولة العثمانية بتجسيد هذه الوظيفة من خلال نظام قضائيّ يشمل الإمبراطورية كلها. ومارسوا عملهم كقضاةِ محكمة عليا إلى جانب وظائفهم الأخرى في الديوان الهمايوني.

نظام سياسي تفوق على أوروبا الإقطاعية:

أثــار "ليـبر" في كتابــه، الانتباه إلى **أهمية العدالة عند العثمانيين** بهذه العبارات الموجزة: "إن الســبب الذي كان يمنح الحكم العثماني قوتَه ويحمي دولتَه من الزوال، يكمن في المحاســبة الســريعة والأكيدة للمذنبين، وتحقيقِ العدالةِ بشــكل ســريع وفعال. **فالمحاكم العثمانية يمكن القول بعدالتها**، كما يمكن التأكيد بأن السلطان سليمان القانوني لم يأمر بإعدام أحد قبل محاكمته.. وقد تأثر بعض المراقبين الغربيين بالعدالة العثمانية التي تفوق عدالتهم في بلدانهم.. تأثروا بهذه العدالة التي تشتهر في الدولة شــهرةَ النظام الصــارم في الجيش، وشــهرةَ نظامِ الترفيع في تسلســل الوظائف، والذي يستند إلى الأهلية والجدارة والخبرة في خدمات الدول العثمانية".

ولئن وقعت بعض الانتهاكات للقانون في القرون الستة من عمر الدولة العثمانية، فإنما تكون قد وقعت في الإجراءات والتطبيق، كمــا يمكن أن يحدث اليوم من المخالفات باســم القانون. غير أن الاســتثناءات لا تنقض القواعد، والقانون والعدالة أصــلان في الدولــة العثمانيــة. ومن هذا الباب يمكن القول: إن الدولة العثمانية وإن كانت ملَكيَّة من الناحية السياســية، فإنها لا تنســجم مع الملكيــة الوراثيــة كونها نظامًا سياســيًا أكــثر تطورًا من الــدول الإقطاعية التي كانت ســائدة في الغرب. فلا أحــد كان يملك -لا السلطان ولا غيره من حكام المناطق والأرياف- حق إصدار الأحكام الجزائية والمحاكمة. في المقابل، هذا الحق كان يملكه الأسياد الإقطاعيــون فــي الغرب؛ فكانوا على النقيض من مركزية وســلطان القضــاء فــي النظام العثماني، حيــث لم يكن يملك الحكام المحليون في هذا النظام -حتى في القرن الثامن عشر- صلاحية المحاكمة، وهو ما يشكل علامة فارقة له عن النظام الإقطاعي الملكي. فبينما كان الإقطاعيون واللوردات في النظام الإقطاعي الذي كان ســائدًا في أوروبا، يملكون حق التصــرف مع رعاياهم وكأنهــم قطعان من الأســرى من جملــة الممتلكات أو الحيوانات.. لم يكن الولاة وأمراء الســناجق وأمراء الإقطاعيات الســلطانية (سيباهي)، يملكون سوى إدارة رعاياهم في ظل الحقوق والقوانين، فليس لهم حق المحاكمات وإصدار العقوبات على هواهم.


قانون اساسى
قانون اساسیه دائر شرفصدور ایدن خط هایون
عدالت مشحون شاهانه‌نك صورت
منیفه‌سیدر
استانبول — مطبعهٔ احمدكامل

وكما سبق أنْ أوضحنا في هذا البحث -وهو ما أكده أوزون جارشيلي وخليــل إنالجيك- فإن الســلطات التي تعاقبت على الدولــة العثمانية، مارست حكمها بالقوانين من خلال تنظيم بيروقراطي عقلاني نسبيًا. وفي هذا الصدد، أشار أيضًا حقوقي هولندي نقلاً عن باحث أمريكي، إلى أن **الدولــة العثمانيــة** كانــت تمتلــك نظامًــا حقوقيًــا ومفهومًا للعدالــة أرقى مــن دول أخرى. وما من شــك -كما أســلفنا- في وقوع حــالات ظلم في بعض مناطــق الإمبراطورية التي امتدت لحقبة طويلة بلغت ســتة قرون على بقعة جغرافية واســعة، وضمت في بنيتها شعوبًا وأديانًــا كثــيرة، غير أنه على العموم؛ روعِيَــت القوانين التي ارتقت إلى درجــة الإيمــان بها فــي الإمبراطوريــة العثمانيــة منذ قيامهــا وحتى ســقوطها، وسادت حاكمية العدالة حتى أقصى بقاعها من خلال نظام حقوقي مركزي.

حســن أوزدمير، ســيادة القانون في الدولة العثمانيــة، ترجمه عن التركية: مصطفى حمزة. مجلة حراء، العدد ٢٦، سبتمبر - أكتوبر ٢٠١١م.

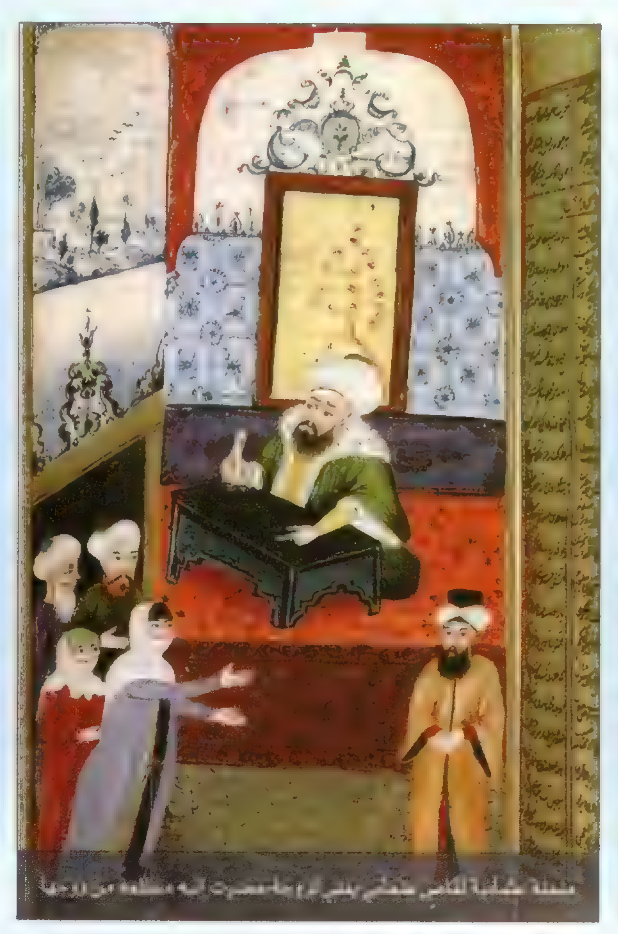
كانت **الشريعة الإسلامية** هي أساس القانون العثماني. وفي بادئ الأمر كان "**قاضي العسكر**" هو رأس الهيئة القضائية. ثم عُيِّن إلى جانبه قاضيان آخران؛ أحدهما: لإفريقيا، والثاني: لأوروبا. ولم تكن سلطة قضاة الجيش هؤلاء مقصورة على الشؤون العسكرية، بل تعدتها إلى نواحي القانون بأكمله. وكان هؤلاء القضاة هم الذين يُعينون الموظفين القضائيين والقضاة ونوابهم. وكان يتلون قضاة الجيش في الترتيب "**العلماء الكبار**" وهم قضاة العاصمة، ثم "العلماء الصغار" الذين كانوا يتولون القضاء في عشر مدن ثانوية من مدن الولايات **كبغداد وصوفيا**.

أما **قضاة الدرجة الثانية** وما دونها فكانوا ينقسمون إلى **طبقات ثلاث** وهم: المفتشون، والقضاة، ونواب القضاة. وكانت الهيئات القضائية كلها تخضع **لمفتيَ الأستانة الذي كان يحمل لقب "شيخ الإسلام"**. وكان شيخ الإسلام هذا يُفتي في ما يُرفع إليه من المسائل القضائية، وكثيرًا ما كان السلاطين يستصدرون منه الفتوى كلّما أقدموا على اتخاذ قرار مصيري يتصل بشؤون السلم أو الحرب . حسن أوزدمير؛ المرجع السابق.



جمعت السلطة القضائية في **الدولة العثمانية** في شخص واحد هو **قاضي العسكر** بحسبانه رئيس هيئة القضاء في جميع أرجاء الدولة المترامية الأطراف يقوم بالعمل على تثبيت نفوذ السلطان العثماني. **فالحكام العثمانيون** عمدوا إلى بسط العدالة على جميع
ممتازة من علماء الشرع لانعكاس ذلك على أحوال الرعية، وكذلك لارتباط الأحكام القضائية بالإسلام الذي هو ركيزة شرعية الدولة

زي قاضي القضاة (قاضي العسكر) في الدولة العثمانية



٣- النظام العسكري:

لم يكن **للإمارة العثمانية** عند قيامها جيش نظامي تعتمد عليه، وقد وقع عبء الفتوح الأولى على عاتق المجاهدين، وكانوا من الفرسان، فيجتمعون في مكان محدد عن طريق المنادين ثم يخرجون إلى الحرب، فإذا انتهت تفرّقت جموعهم وعاد كل واحد إلى عمله الرئيس.

وقد اعتمد **العثمانيون** منذ أول ظهورهم في التاريخ، نظامًا إقطاعيًا كان الهدف منه تأمين مصدر ثابت لإمداد جيوشهم بالجند، يغنيهم عن إنشاء جيش نظامي دائم ويُوفر لهم نفقاته، وكان أساس هذا النظام هو إقطاع أو منح المحاربين بعض المقاطعات الزراعية مقابل التزامهم بأن يكونوا دومًا على استعداد للسير إلى الحرب متى يُدعون إليها، مع أعداد من الفرسان من أتباعهم تتناسب ومساحة الإرض الممنوحة لكل منهم، وأن يجهزوهم بكل ما يحتاجون إليه من خيل وسلاح.

تلت هذه المرحلة مرحلة تأسيس **الجيش العثماني الحديث** بأمر السلطان **محمود الثاني** بعد الواقعة الخيرية سنة ١٨٢٦م التي آلت إلى حل قوات **الإنكشارية** ليحل محلها جيش عثماني حديث على النمط الأوروبي، فتأسس في ١٨٢٦م وأطلق على الجيش اسم العساكر المحمدية المنصورة المدربة ثم اسم "أوردوي عثماني" أي الجيش العثماني ثم أستقر على اسم "أوردوي همايون" أي **الجيش الهمايوني**.

كانت **القوات العثمانية** تتألف من سبعة جيوش يضم كل جيش عثماني وقت السلم قوة بحجم فيلق مؤلف من أربع فرق يضاف إليه وقت الحرب فيلقان من الرديف وفرقة من المستحفظة كذلك يتضمن الجيش قواته الخاصة به من المدفعية والخيالة. القيادة العسكرية بيد السرعسكر، وهو رئيس الجيش وكذلك وزير الدفاع ورئيس أركان القوة البرية، فقط القوة البحرية والأسطول ليست ضمن صلاحياته. يحمل السرعسكر رتبة مشير، في سنة ١٩٠٨م تغير هذا المسمى إلى اسم ناظر الحربية.



كتيبة مشاة عثمانية تعود إلى عهد السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٩٧م



الجيش العثماني أثناء مشاركته في فلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى

أنشأ **العثمانيون أسطولاً بحريًا كبيرًا** ساعدهم في كثير من فتوحاتهم البرية والبحرية على السواء. ولعلّ الفضل في تعزيز الأسطول العثماني يعود إلى السلطان محمد الفاتح أولاً، ولمّا تولّى العرش السلطان سليم الأول واصل تعزيز هذا السلاح، ثم جاء سليمان القانوني فزاد عدد سفنه فبلغت ثلاث مئة. وكان الأسطول العثماني يتألّف من دوارع ثقيلة وطرّادات خفيفة، وكان مزودًا بمدفعية قوية. ولكن الدولة أهملت الأسطول، في أواخر القرن السادس عشر الميلادية، فتضاءل عدد قطعه، واقتصر نشاطه على خفر السواحل تقريبًا. وفي عهد الإصلاحات والتنظيمات حاول السلطان محمود الثاني النهوض بالبحرية فبنى سفينة **"المحمودية"** التي كانت طيلة سنوات أكبر سفينة حربية في العالم، وحاول السلطان عبد العزيز الأول إحياء البحرية العثمانية من جديد وزيادة قطعها، فبنى أسطولاً كان الأكبر في العالم بعد أساطيل بريطانيا وفرنسا، واستحصل من بريطانيا على أوّل غواصة حربية من نوعها. لكن على الرغم من كل ذلك، اعتقد السلطان بأن **الأسطول العثماني** غير مؤهل ليواجه نظيره الروسي في معركة مباشرة، فأمر بإبقاء السفن داخل مضيق القرن الذهبي، فحُبست طيلة ٣٠ سنة.

أسست جمعية الاتحاد والترقي، بعد أن استلمت الحكم في البلاد، "جمعية البحرية العثمانية" الهادفة لشراء سفن حربية جديدة بغية تطوير الأسطول العثماني.

تأسس **سلاح الجو العثماني** في شهر حزيران/يونيو من سنة ١٩٠٩م، وبهذا فهو يُعد من أقدم أسلحة الجو في العالم، وقد تلقّى الطيارون العثمانيون تدريبهم في ألمانيا إجمالاً، وقاتلوا على جبهات عديدة في أثناء الحرب العالمية الأولى: من غاليسيا غربًا إلى القوقاز شرقًا، واليمن جنوبًا.



شعار سلاح الجو العثماني

طيارون أتراك خلال حرب البلقان الأولى



صورة للأسطول العثماني داخل مضيق القرن الذهبي على بطاقة بريدية ألمانية تعود للسنوات الأولى من الحرب العالمية الأولى.

واقعة سينوب البحرية في أثناء حرب القرم، وقعت بين القوات الروسية والقوات العثمانية. بريشة إيڤان آيڤازوفسكي

الجنود العثمانيون في أثناء استخدامهم لسلاح المدفعية في أثناء الحرب العالمية الأولى

٤- النظام الاقتصادي:

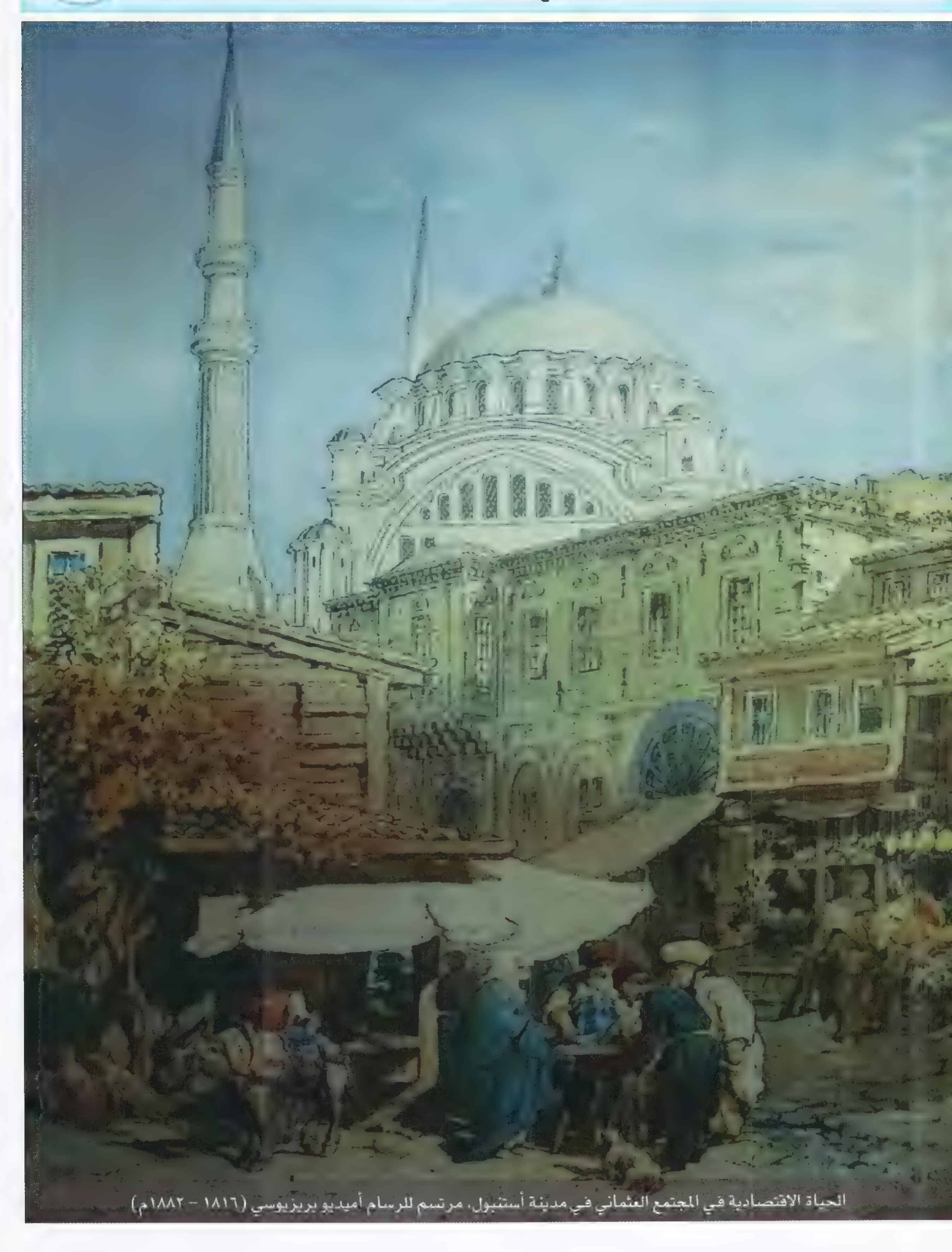
اعتنى **العثمانيون** بالعواصم المختلفة لدولتهم عناية خاصة، فجعلوا من مدن **بورصة وأدرنة وأستنبول** مراكز صناعية وتجارية مهمة في الشرق الأوسط وأوروبا الشرقية، بل في العالم عندما بلغت الدولة ذروة مجدها وقوتها، واستقطبوا إليها الصنّاع والحرفيين والتجّار المهرة من مختلف أنحاء الأراضي الخاضعة لهم. ومن أبرز السلاطين الذين عملوا على تنمية الدولة العثمانية من الناحية الاقتصادية: **محمد الفاتح وخليفته بايزيد الثاني وحفيده سليم الأول**، فخلال عهد هؤلاء السلاطين فُتحت مناطق كثيرة في أوروبا الشرقية والعالم العربي، وكان العثمانيون ينقلون معهم غالبًا أمهر الصنّاع والحرفيين إلى عاصمتهم، كما فعل السلطان سليم الأول عندما فتح تبريز ومن ثم القاهرة، وفي ذلك العهد أيضًا كان عدد من المسلمين واليهود الأندلسيين قد غادر شبه الجزيرة الأيبيرية بفعل اضطهاد الإسبان لهم بعد سقوط الأندلس، فاستقبلهم العثمانيون وقدموا لهم الكثير من التسهيلات ليستقروا في البلاد ويساهموا في نهضتها الاقتصادية.

نظّم **العثمانيون ماليّة دولتهم وخزينتها** بشكل أفضل وأكثر فعاليّة من أي دولة إسلامية سابقة، واستمر نظامهم المالي أفضل نظم عصره وفاق جميع النظم المالية لكل الدول من إمبراطوريات وجمهوريات وممالك وإمارات معاصرة حتى القرن ١٧م، عندما أخذت الدول الأوروبية الغربية تتفوق عليها في هذا المجال. يُعزى ازدهار الخزينة العثمانية خلال العصر الذهبي للدولة إلى إنشائهم لوزارة خاصة تختص بالأمور المالية للدولة من إنفاق واستدانة وإدانة، عُرفت لاحقًا باسم **"وزارة المالية"**، وكان يرأسها شخص مختص هو **"الدفتردار"**، وكان لحسن تدبير بعض وزراء المالية أثر كبير في نجاح فتوحات السلاطين وحملاتهم العسكرية، إذ استطاعوا بفضل هؤلاء وسلامة سياساتهم المالية التي رسموها للدولة، أن يصرفوا على الجيش ويزودوه بكامل المعدات اللازمة وأحدث أسلحة العصر. الدولة العثمانية، الموسوعة الحرّة على الشبكة العنكبوتية.





كانت **العملة العثمانية** في بداية عهد الدولة تُعرف باسم "الفروش" أو "القروش"، وكانت تُسك من معدن البرونز النحاس، وفي أواخر عهد الدولة أصبحت "الليرة" مرادفًا لاسم العملة العثمانية، وكان يُضاف إليها اسم السلطان الذي صدرت في عهده، فكان يُقال "ليرة مجيدية" و"ليرة رشادية" على سبيل المثال. وكانت الليرة العثمانية تساوي مئة واثنين وستين قرشًا، وأطلق عليها العرب اسم "العثمليّة". كانت الليرات العثمانية عبارة عن نقود ذهبية في بادئ الأمر، ثم أصدرت **الدولة في عهد الحرب العالمية الأولى** أوراقًا نقدية لأول مرة في تاريخ البلاد، بسبب المبالغ الطائلة التي أنفقتها على الحرب. تعامل الشوام في أواخر العهد العثماني أيضًا بالعملة المصرية، ومنها اكتسبت النقود تسمية "مصاري" و"مصريات" اللتان لا تزالان تستعملان في بلاد الشام للإشارة إلى النقود.



الحياة الاقتصادية في المجتمع العثماني في مدينة أستنبول. مرتسم للرسام أميديو بريزيوسي (١٨١٦ - ١٨٨٢م)

٥- النظام العمراني:

اعتنى **العثمانيون** بالناحية العمرانية عناية واضحة. فأقاموا شبكة واسعة من **الطرق والجسور** في طول الدولة وعرضها مستعينين على ذلك بمهرة الصنّاع البيزنطيين البلغار. ومع أن هذه الشبكة أنشئت، في المقام الأول، لأغراض عسكرية، إلا أنها سهّلت حركة المواصلات العامّة وأسدت إليها خدمة جليلة أيضًا. كذلك عُني العثمانيون بتشييد **المدارس ومعاهد التعليم** التي كانت تتسع لسكنى الأساتذة والطلاّب، وبإقامة **المستشفيات والبيمارستانات** ودور العجزة، وبإنشاء المطاعم الشعبية والتكايا للفقراء، والخانات التي كان التجّار الغرباء ينزلون فيها؛ وكذلك عنوا ببناء **الحمامات الشعبية، والمكتبات العامّة، والمتاحف والقصور، والمساجد، وبخاصة في الأستانة وعواصم الولايات.**

تأثّر النمط العمراني العثماني بالأنماط الفارسية والبيزنطية والإسلامية في بداية عهده، فجاء خليطًا بينها ومطورًا لبعضها، فعلى سبيل المثال، اقتبس العثمانيون القبّة الفارسية من الفرس الساسانيين. وأدخلوا عليها بعض التعديلات حتى أصبحت سمة بارزة في معظم آثارهم المعمارية.

ازدهرت العمارة العثمانية في عهد التوسع والفتوحات، ثم أصبح النشاط المعماري راكدًا كما الدولة في أوقات الركود، وفي أوقات لاحقة أدخل المعماريون أنماطًا معمارية من أوروبا الغربية ودمجوها مع النمط العثماني، ومن هذه الأنماط: الباروكيه، الروكوكو، والنمط الإمبراطوري. شفيق جحا، منير البعلبكي، بهيج عثمان، المصور في التاريخ، الجزء السادس، دار العلم للملايين، صفحة ١٥١-١٥٢



جسر محمد باشا في البوسنة والهرسك بُني في العهد العثماني وعدّ أخيرًا ضمن أحد مواقع التراث العالمي

خان أسعد باشا في دمشق، بني في العهد العثماني



[illegible] شا في مدينة الهفوف في إقليم الأحساء في أثناء الحكم العثماني، وهو المقر الرئيس لحامية الدولة العثمانية آنذاك



الجامع الأزرق (جامع السلطان أحمد الأول [illegible]م) يُعدّ من أكبر جوامع إستنبول، أشرف على بنائه المعماري محمد آغا تلميذ المعماري سنان

انطلق فن **عمارة المساجد العثمانية** من بورصة، العاصمة الأولى للدولة العثمانية، منتقلاً إلى مدينة أدرنة، ومن ثمّ مدينة أستنبول (الآستانة) عاصمة الدولة العثمانية، التي شهدت تطور هذا الفن المعماري الثري الذي مرّ بمراحل عدة، لتصل إلى ذروة مجدها في عهد المعماري سنان، بعد أن منحها هوية معمارية خاصة، تميزت بها من سائر أنماط العمارة الأخرى في العالم الإسلامي.

مكان الوضوء وسط فناء أحد المساجد العثمانية في حي السلطان أحمد

غـدت **القبـة المركزيـة الكبـرى** عنصـرًا مهمًـا فـي جماليـة العمـارة العثمانيـة، وكان مـن ثمـرات النهضـة المعماريـة العثمانية، تشـييد المسـاجد والجوامع والمدارس والأسواق والخانات والحمامات والقصور والدور والأضرحة وأسبلة المياه وغيرها.

بُني **المسجد (بانيا باشي)** وفقًا للطراز المعماري العثماني السائد في جميع مقاطعات الدولة العثمانية آنذاك على يد المعمار العثماني سنان، ويتضح ذلك بشـكل المنـارة المخروطي، وطراز القبة الشـبيه بمبـاني العثمانيـين في تركيا كالجامع الأزرق وآيا صوفيا، وغيرها.

مسجد بنيا باشي "الحمامات الكثيرة" في صوفيا البلغارية، تم بناؤه سنة ١٥٧٦م. يشتهر المسجد بقبته الضخمة ومنارته العالية



جامع كتشاوة يُعد من أشـهر المساجد التاريخية بالعاصمة الجزائرية. بُني في العهد العثماني سنة ١٠٢١ هـ/١٧٩٢م؛ لكنـه حول إلى **كنيسة** بعد أن قـام الجنـرال روفيغو بهدمه بعـد أن قتل فيه من المصـلين مايفوق أربعة آلاف مسـلم قد اعتصموا فيه، وكان يقول: «يلزمني أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه معبد إله المسيحيين». وبعد الاستقلال، تم استرجاعه و تحويله إلى مسجد.

طوب قابي
في الأصل مجرَّدَ باب من أبواب أستنبول، يُطِلُّ على بحر مرمرة، وسَطَ السور الذي كان يَحمي المدينة، وعند ذلك الباب كان العثمانيون الأوائل قد نصبوا مِدفعًا، ولأن المدفع في التركية يعني "طوب"؛ كان من الطبيعي أن يُطلَق على ذلك الباب اسم طوب قابي "باب المدفع".

المدخل الرئيس لقصر طوب قابي. الباب المسمى "باب همايون" أي باب السلام. والذي عرَفه العالَم كله باسم الباب العالي


المؤلف في إحدى قاعات الجلوس داخل القصر

جوقة عثمانية

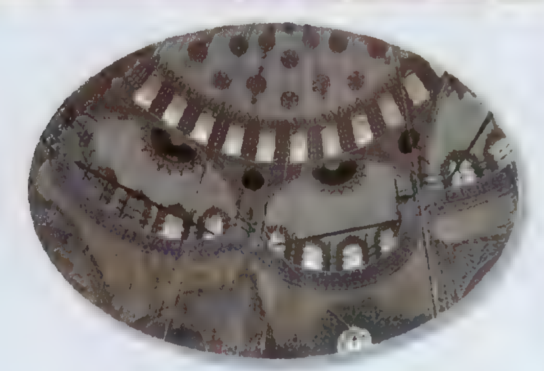

واجهة باب (الأغاوات البيض)

يُلخص **قصر طوب قابي عظمة وتاريخ سلاطين بني عثمان**، فمنذ بداية استقرار السلاطين في مدينة أستنبول بعد فتحها وحتى سنة ١٨٥٣م، قرر السلطان عبد المجيد أن ينقل مركز الحكم إلى قصر "دولمابهجة" الجديد. وتبلغ المساحة الإجمالية للقصر ٧٠ ألف م٢، وهو مُحَاط بأسوار يبلغ طولها ١٤٠٠م، بُني معظمها في سنة ١٤٧٨م حيث التقت بالأسوار البيزنطية القديمة التي كانت تحمي المدينة. وهو عبارة عن مساكن، أجنحة، مساجد، صالات استقبال، مكتبات، حمامات، مطابخ، مخازن ... وهي موزعة من حول أفناء واسعة، تَوَاصل بِنَاؤُها حتى أوساط القرن التاسع عشر الميلادي.


محاكاة لاستعراض الجيش العثماني القديم داخل قصر طوب قابي









تميزت **الزخارف العثمانية** بالغنى، وتعد الرسوم الزخرفية العثمانية الجميلة التي تزين الجوامع والمساجد ومجموعة من البيوت الخشبية القديمة على ضفاف البوسفور من الأعمال الفنية المهمة، وبرز فن المقرنصات بشكل يلفت النظر.

واعتمد الفنانون العثمانيون على فن **الخط العربي** بعد أن اكتشفوا طاقاته الجمالية، فأبدعوا أجمل اللوحات الخطية. وارتقى خط الثلث في العصر العثماني وبلغ درجة الكمال وقمة الجمال، وصارت له قواعده الفنية. وثمة كتب لا تحصى لتعليم فن الخط وقواعده.

في الصفحتين مجموعة من التحف العثمانية الرائعة والنادرة نقشت على بعضها عبارات إسلامية بخط جميل





صندوق خشبي منقوش عليه سورة النصر لوضع القرآن الكريم داخله

٦- النظام التعليمي:

سادت اللغات الكبرى في الدولة العثمانية وهي: **التركية**، وهي اللغة الأم للأتراك، وقد تكلّم بها أغلبية سكان الأناضول وتراقيا، بالإضافة إلى المسلمين البلقانيين عدا الألبان وسكان البوسنة، وبطبيعة الحال انتشرت اللغة التركية بين الأشخاص المثقفين من غير الأتراك وبشكل خاص أولئك الموظفين في الدوائر الحكومية. كذلك كان **للغة الفارسية** انتشار محدود بين المثقفين العثمانيين، أما **ثاني لغة من حيث الأهمية** فكانت **اللغة العربية**، وقد تكلمها سكان المناطق العربية الخاضعة للحكم العثماني، بالإضافة إلى الأتراك وباقي الشعوب المسلمة في الدولة، كونها لغة الدين الإسلامي، غير أن من أتقنها وتكلمها بطلاقة كما العرب كانت الطبقة المثقفة أيضًا. وظلت **اللغة التركية** هي اللغة الرسمية **للدولة العثمانية**، وتختلف اللغة التركية العثمانية عن اللغة التركية الحديثة، من ناحية أنها كانت أكثر تأثرًا باللغتين العربية والفارسية، واقتبست منهما مصطلحات عديدة اختفت اليوم من المعجم التركي.

انتشرت بعض اللغات الأخرى على نطاق ضيّق في الدولة العثمانية، ومنها: **الكردية، والصربية، واليونانية، والمجرية، والأرمنية، والبلغارية**، كذلك كان لبعض الطوائف لغاتها الطقسية الخاصة، مثل: السريانية والقبطية للمسيحيين الشوام والمصريين، والعبرية بالنسبة لليهود. اقتبس العرب، وبشكل خاص الشوام والمصريين عدد من الكلمات التركية وأصبحت تشكل جزءًا من لغة التواصل اليومية في بلادهم، ومن هذه الكلمات: بصمة، وأصلها "باصماق" وتشير إلى وطأة القدم؛ "بلكي" وتعني التوقع والاحتمال؛ "بويا" أصلها "بوياغ" وتعني الطلاء؛ "جمرك" وتعني الضريبة التي تؤخذ على البضائع، "دوغري" أصلها "دوغرو" وتعني المستقيم، وتُستخدم أيضًا للإشارة في السير إلى الأمام؛ "أوضة" أصلها "أودة" وتعني غرفة؛ "برطمان" أي إناء زجاجي، وكلمات أخرى كثيرة.



موقع قارة آسـيا

الدول والأقاليم الإسلامية في قارة آسيا

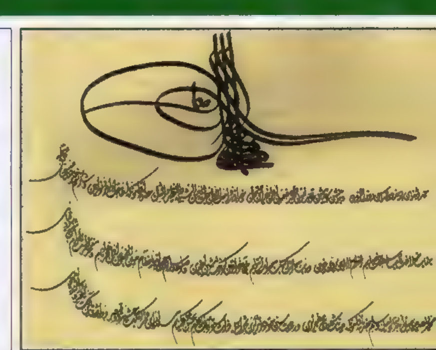
آسـيـا

أوروبا

أفريقيا

أستراليا

تبين هذه الخريطة المحيط الثقافي الإسلامي والأوروبي المؤثر في الدولة العثمانية



ذكــر، د. أكمل الدين إحسان أوغلي، أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي في محاضرة له في معرض الرياض الدولي للكتاب سنة ١٤٢٨هـ: أن العثمانيين اتخذوا من **اللغة العربية** لغة للعلم والعبادة وألفوا بها، واستشهد ببعض الأمثلة: ثم قسم الحياة الفكرية والثقافية في العهد العثماني إلى ثلاثة أحقاب:

الحقبة الأولى: تبدأ من القرون الخامس عشــر، والســادس عشر، والســابع عشر واعتبرها استمرارًا للثقافة الكلاسيكية التي كانت قبل العثمانيين.

الحقبة الثانية: تبلورت في القرن الثامن عشر وهي حقبة انتقالية وتحول من القديم إلى الجديد.

أما الحقبة الثالثة: وسطعت مع القرن التاسع عشر؛ لأنها حقبة الاحتكاك مع الغرب.

معاهدة فسفار ١٦٤٦م بين ملكية آل هبسبورغ النمساوية والدولة العثمانية كتبت باللغة العربية

وُسِم **العهد العثماني** -ظلمًا وجورًا- بسمات فيها الكثير من المغالاة والبخس، فحركة العلوم والمعارف والأدب والفكر لم تكن كما صورها معظم الباحثين الذين تناولوا هذه المدة من حيث الضعف وفقدان الإبداع وندرة النبوغ والأصالة، والدليل على ذلك أن بعض الكتب جاءت بمثابة **خزانات للعلوم والآداب** دلت على ثقافة ومعرفة بما ضمّته من فوائد شتى. وأن القسم الأكبر من إنتاج هذا العصر لم يطبع ولم يعرف به، حتى المطبوع منه لم يلق الشهرة الكافية. والحق أن بعض الدراسات تلمست مكانة العصر، وأولته بعض الاهتمام، بعد أن تيسر لها الاطلاع على الكنوز الدفينة من التراث الفكري في هذه الحقبة وقد قال بارتولد: "لا ينبغي أن يظن أن العالم الإسلامي قد مُنّيَ بعد القرن التاسع الهجري بانحطاط، وأنه لم يستطع أن يقدم للحضارة شيئًا جديدًا". هذا وتزداد المعرفة للعصر بازدياد كشف النقاب عن الإنتاج.

لقد اتخذت **الدولة العثمانية من اللغة التركية لغة رسمية** لها إلا أنها لم تحاول – وهي في أوج قوتها – فرض لغتها على البلاد العربية، بل إن التركية تأثرت باللغة العربية حتى وصفت بأن نصفها عربي حيث كتبت بحروف عربية.

وظلت **اللغة العربية** هي اللغة الدينية والعلمية التي تكتب بها **الوثائق الدولية** وتتم بها المراسلات. وكان السلاطين والأمراء يجيدون اللغة العربية، فالسلطان محمد الفاتح كان يكثر من مطالعة الكتب العربية، وكان عصره غنيًا بالمؤلفات العربية، وعُرف عن السلطان سليم الأول إجادته اللغة العربية واشتغاله بآدابها، أما السلطان مراد الثاني فكان يشجع حركة الترجمة من العربية إلى التركية. بل إن بعض المدارس المهمة في العصر العثماني اتخذت اللغة العربية، كمدارس القصر السلطاني، ومدرسة إعداد الأمراء، والمدارس العسكرية.

• برز في مجال **اللغة العربية** (مجد الدين الفيروز أبادي) صاحب القاموس المحيط، (ومرتضى الزبيدي) صاحب كتاب تاج العروس من جواهر القاموس، وكتب عددٌ من العلماء العثمانيين مؤلفاتهم بالعربية كما فعل (حاجي خليفة) صاحب كتاب **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** حيث اشتمل كتابه هذا على عيون المصادر في الفكر الإسلامي، ومثله (طاش كبرى زاده) صاحب كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية وتناول فيه سيرة أكثر من خمسمائة عالم وشيخ، أما (ابن كمال باشا) فقد امتاز بكثرة رسائله اللغوية التي زادت عن ثلاث مئة رسالة بالعربية.

• وفي **العلوم الشرعية** برز عددٌ من العلماء الذين تقلدوا منصب الفتوى وصنفوا عددًا من المؤلفات، أمثال: (الكوراني) الذي صنف في شرح صحيح البخاري، وكتب في التفسير كتابه غاية الأماني في تفسير السبع المثاني، و(الفناري) صاحب كتاب فصول البدائع في أصول الشرائع في أصول الفقه.

• ومن العلوم التي ازدهرت في العصر العثماني؛ **علم التاريخ** حيث برز فيه (سعد الدين) صاحب كتاب تاج التواريخ، و(عبد الرحمن الجبرتي) صاحب كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار، وقد عهد السلطان محمد الفاتح إلى الشاعر التركي (شهدي) أن ينظم قصيدة تستعرض التاريخ العثماني على غرار الشاهنامه للفردوسي.

توّج السلطان **عبد الحميد الثاني** جهوده في الحقل التعليمي بتطوير "مدرسة أستنبول الكبرى"، التي أنشئت في عهد السلطان **محمد الفاتح**، وأضحت **جامعة أستنبول**. وضمّت، في أول أمرها، أربع كليّات هي: العلوم الدينية، والعلوم الرياضية، والعلوم الطبيعية، والعلوم الأدبية، وعُدّت مدرستا الحقوق والطب كليتين ملحقتين بالجامعة. وتطلبت المدارس الملكية، أو المدنية، بدورها إنشاء عدد من دور المعلمين لتخريج معلمين أكفاء يتولون التدريس فيها.

محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٩م، ص ١٠٤.



مدخل جامعة أستنبول سنة ١٩٠٠م



مدرسة عثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني

حدث التغيير الجذري لنظام التعليم العثماني في عهد السلطان محمد الفاتح. وبقي هذا النظام مطبقًا حتى افتتاح المدرسة السليمانية في عهد السلطان سليمان القانوني. فهذه المدارس زودت طلابها بكافة العلوم العصرية بالإضافة إلى العلوم الدينية في العهد الكلاسيكي وكذلك في حقبة ما بعد الإصلاح الدستوري. وفي هذه الصورة نموذج لبعض المدارس الحديثة في العهد العثماني.

• وفي **علم الجغرافيا** ألَّف (**بيري رئيس**) كتابًا عن الملاحة بعنوان (بحريت) وصف فيه شواطئ البحر المتوسط، ثم قدم للسلطان سليمان القانوني خريطة تمثل اكتشافات البرتغاليين في أمريكا الجنوبية والوسطى.
وصنف (حاجي خليفة) كتاب (جهان نامه): أي منظر العالم تناول فيه كيفية **استعمال الأطلس الأوروبي**، كما نشر كتابًا في تاريخ البحرية العثمانية بعنوان (تحفة الكبار في أسرار البحار).
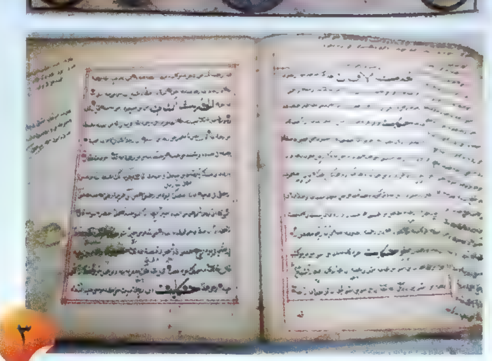
ويعد كتاب (سياحة نامه) لمؤلفه (أوليا جلبي) من أبرز الكتب الجغرافية في العصر العثماني، فقد جاب مؤلفه أرجاء الدولة العثمانية وروى قصة رحلاته وأسفاره.

• أما في **مجال الطب**؛ فقد كانت أسس نظام التعليم الطبي عند العثمانيين استمرارًا لما كانت عليه عند السلاجقة من قبل، حيث تلقى المحاضرات العلمية الطبية نظريًا ثم يجري تطبيقها عمليًا في المدارس، وقد قام عددٌ من العلماء والأطباء الذين تلقوا تعليمهم وممارستهم في البلاد العربية وإيران وتركستان بالتدريس في المدارس الطبية العثمانية، كالمدرسة الطبية (طبانه) ومدرسة الجراحين (جراحانه) في عهد السلطان محمود الثاني.

ومن بين أولئك الأطباء نذكر: (قطب الدين العجمي) و(شكر الله الشرواني) و(يعقوب الحكيم) و(الحكيم عرب زاده) وآخرون؛ لكن الانحطاط والتفسخ الذي أصاب الدولة فيما بعد؛ أدى إلى تدني مستوى الطب العثماني، فزاد عدد الأطباء الأجانب وغير المسلمين، وظهر الاعتماد على الطب الشعبي في التشخيص والمعالجة. التاريخ، وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية، ص١٣٠ - ١٣١.







١ - مخطوط عثماني في الطب ٢ - مصور جغرافي عثماني للكرة الأرضية أوائل القرن الماضي ٣ - مخطوط في الحديث النبوي الشريف



خريطة بيري ريس الذي رسمها في زمن السلطانين سليم الأول وسليمان القانوني. وكان الريس بيري قائدًا للبحرية العثمانية، وعالمًا جغرافيًا فذًا، ولد سنة ١٤٦٥م وتوفي سنة (١٥٥٤م). كان هذا العالم الجغرافي رائدًا من رواد رسم الخرائط في الأدب الجغرافي العثماني وله في هذا المضمار خريطتان مهمتان، أهمها (هذه الخريطة) لإسبانيا وغربي إفريقيا والمحيط الأطلسي والسواحل الشرقية من الأمريكتين، وهذه الخريطة قدمها إلى السلطان سليم الأول في مصر سنة ١٥١٧م، وموجودة الآن في متحف طوب قبوسراي في إستنبول (٦٠×٨٥ سم) وعليها توقيع بيري ريس.



المصادر



المراجع



١. القرآن الكريم.

٢. كتب الحديث النبوي.

٣. الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

٤. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م): "الأخبار الطوال"، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب، القاهرة، ١٩٦٠م.

٥. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: ت ٧٤٨ هـ سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٤٠٦ هـ . بيروت – لبنان

٦. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: (ت ٨٠٨ هـ/ ١٣٠٦م) "المقدمة"، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٧. الفيروز آبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم: القاموس المحيط، مكتبة مشكاة الإسلام.

٨. الحِميري، محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – مطابع دار السراج، ط . ٢ – ١٩٨٠م.

٩. المقدسي البشاري، شمس الدين أبي عبدالله محمد: أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، دار صادر، ط٢ ، ١٩٠٩م.

١٠. الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان .

١١. ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر: دار الريان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

١٢. ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الظاهري الحنفي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

١٣. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد: ت ٩١١ هـ، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان.

١٤. المقريزي، أحمد بن علي: ت ٨٤٥ هـ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ط ٢، القاهرة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

١٥. أبو شامة، شهاب الدين أبو القاسم، المقدسي: الروضتين في أخبار الدولتين الصلاحية والنورية. تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٨ هـ .

١٦. الإدريسي، الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إدريس: ت ٥٥٩هـ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. عالم الكتب، بيروت – لبنان.

١٧. الأصبهاني، محمد: تاريخ دولة آل سلجوق، القاهرة، دار الآفاق الجديدة، بيروت ط ٢، ١٩٧٨م.

١٨. المكي، قطب الدين محمد بن أحمد: البرق اليماني في الفتح العثماني، دار اليمامة، الرياض، ط ١، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

١٩. الحنفي، محمد بن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢٠. آصاف، يوسف: تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق، بسام الجابي، دار البصائر، ط ٣، ١٤٠٥ هـ.

٢١. القرماني، أحمد: تاريخ سلاطين آل عثمان، دار البصائر – دمشق- سوريا، ط ١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٢. ألب تكين، عيسى بن يوسف: قضية تركستان الشرقية، ترجمة إسماعيل حقي، ط ١، جدة.
٢٣. الزركلي، خير الدين: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٠، ١٩٩٢م.
٢٤. طقّوش، د. محمد سهيل: تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، ط ٥ ، ١٤٢٨هـ.
٢٥. طقّوش، د. محمد سهيل: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، ط ٧، ١٤٣٠هـ.
٢٦. طقّوش، د. محمد سهيل: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، ط ٢، ١٤٢٩ هـ.
٢٧. طقّوش، د. محمد سهيل: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، ط ٢، ١٤٢٩ هـ.
٢٨. السامرائي، د. رفيق: الحديث والمحدثون بسر من رأى والواردون عليها منذ تأسيسها سنة ٢٢١ هـ إلى نهاية القرن ٤ هـ. تحت الطبع.
٢٩. الصاوي، د. عزت: الدولة السلجوقية التركية، وزارة الأوقاف المصرية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
٣٠. الصاوي، د. محمد: الدولة العثمانية، مكتبة النافذة، دار طيبة ، ط ١، ٢٠١٢م.
٣١. صراي، محمد: تاريخ الجمهوريات التركية الحديثة، الشبكة العنكبوتية.
٣٢. حسون، د. علي: تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي ، ط ٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٣٣. حسون، د. علي: العثمانيون والروس، المكتب الإسلامي ، ط ٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٣٤. حسون، د. علي: العثمانيون والبلقان، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٣٥. الشناوي، د. عبد العزيز محمد: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها– مكتبة الأنجلو المصرية– القاهرة– ١٩٨٦م.
٣٦. أوزنتونا، يلماز: تاريخ الدولة العثمانية، تعريب: عدنان محمود سلمان، د. محمود الأنصاري، المجلد الأول. منشورات مؤسسة فيصل للتمويل تركيا، أستنبول، سنة ١٩٨٨م.
٣٧. فريد بك، أ. محمد (المحامي): تاريخ الدولة العلية العثمانية– تحقيق إحسان حقي– دار النفائس– بيروت– ١٩٨٣م.
٣٨. أبو غنيمة، د. زياد: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.
٣٩. الصلاّبي، د. علي: الدولة العثمانية (عوامل النهضة وأسباب السقوط)، مكتبة السلام، الرياض، ١٤٢٦ هـ.
٤٠. الصلابي، د. علي محمد: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي. دار المعرفة، ط ١، ١٤٢٧هـ، بيروت. لبنان.
٤١. الصلابي، د. علي محمد: دولة الموحدين، دار البيارق، ١٩٩٨م.
٤٢. شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، ط ٧. ١٤١١ هـ، المكتب الإسلامي.
٤٣. شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي، العهد المملوكي، ط ٧. ١٤١١ هـ، المكتب الإسلامي.
٤٤. شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، ط ٧. ١٤١١ هـ، المكتب الإسلامي.
٤٥. أبو زيدون، وديع: تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط ١، ٢٠٠٣م.
٤٦. حرب، د. محمد: العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٨٩م.
٤٧. حرب، د. محمد: السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٠م.
٤٨. نجم، د. زين العابدين شمس الدين: تاريخ الدولة العثمانية، دار المسيرة، عمّان. الأردن، ط ١، ١٤٣٠ه،.
٤٩. القطوري، د. الصفصافي: رجل من صناع التاريخ، أورخان بن غازي، مجلة حراء، العدد ١٢ سنة ٢٠٠٨م.
٥٠. كوبريللي، محمد فؤاد: قيام الدولة العثمانية– ترجمة أحمد السعيد سليمان– الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة– ١٩٩٣م.
٥١. رافق، عبد الكريم: العرب والعثمانيون ١٥١٦– ١٩١٦م، ط ٣، دمشق، ١٩٧٤م.
٥٢. الصباغ، ليلى: الجديد في العسكر الجديد، مجلة الفكر العسكري، السنة الرابعة، العددان الثالث والرابع، دمشق، ١٩٧٦م.
٥٣. كولر، إسماعيل حقي شن، قضية تركستان الشرقية، النسخة الرقمية.
٥٤. ضبيع، صلاح: العلاقات العثمانية البيزنطية، مجلة الاجتهاد، العددان ٤١و٤٢، السنة الحادية عشرة، بيروت. لبنان.
٥٥. الخصوصي، د. بدر الدين عباس: دراسات في تاريخ الخليج العربي، الكويت ١٩٨٤م.
٥٦. أنيس، محمد، حراز، محمد السيد رجب: "المشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر"، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٦م.
٥٧. الحصري، ساطع: البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت – لبنان، ١٩٦٠م.
٥٨. الأيوبي، شادي: مراسل قناة الجزيرة في (أثينا) اليونان، الآثار العثمانية في اليونان.
٥٩. الرشيدي، سالم: محمد الفاتح، مكتبة الإرشاد، جدة – السعودية، ط ٣، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
٦٠. العمري، د. عبد العزيز: الفتوح الإسلامية عبر العصور. دار إشبيلية. الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ.

٦١. الديوه جي، سعد سعيد: جذور الصراع العثماني – الصفوي وأثره على العراق، مجلة الرائد الرقمية.
٦٢. رضوان، د. نبيل عبدالحي: جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس في مطلع العصر الحديث ، مكتبة الطالب الجامعي، ط ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٦٣. الحمداني، طارق نافع: المجلة العربية للعلوم الإنسانية. الكويت.
٦٤. الرفاعي، د. محمد عبد الحميد: صراع المماليك الجراكسة مع القوى الخارجية، موقع الألوكة.
٦٥. مصطفى، د. أحمد عبد الرحيم: في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط ٢، ١٩٨٦م/١٤٠٦هـ.
٦٦. مهنّا، د. محمد نصر: الإسلام في آسيا منذ الغزو المغولي، المكتب الجامعي الحديث، ط ١، ١٩٩٠م.
٦٧. بيات، د. فاضل: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية.
٦٨. بيومي، د. زكريا سليمان: قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، عالم المعرفة، ط ١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٦٩. ابن دهيش، د. عبد اللطيف بن عبد الله: قيام الدولة العثمانية، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ط ٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٧٠. عطا، د. عثمان علي: معركة الريدانية(موقع التاريخ)؛ بإشراف د. محمد بن موسى الشريف.
٧١. أبو رحال، عساف: جريدة المستقبل، سنة ٢٠٠٤م.
٧٢. بيضون، د. جميل، الناظور، د. شحادة ، أ. عكاشة: تاريخ العرب الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٧٣. ابن خروف، د. عبد الرزاق: الحكم العثماني في الجزائر، موقع الجزائر اليوم على الشبكة العنكبوتية.
٧٤. شاهمان، بارثالاميوس: فن الترحال، متحف قطر للفن الإسلامي، ٢٠١٣م.
٧٥. الخريجي، عبد المجيد بن محمد، الشرعان، نايف بن عبد الله: الدينار عبر العصور الإسلامية، مجموعة مختارة من مجموعة عبد المجيد الخريجي، مطابع المدينة.
٧٦. قاطرجي، د. نهى: طوائف لبنان.. والمشي فوق الألغام، موقع صيد الفوائد.
٧٧. الأمين، أحمد: جريدة المدينة المنورة، الخميس ٢٠١٢/١٠/٠٤م.
٧٨. نخلة، د. محمد عرابي: تاريخ الاحساء السياسي، منشورات ذات السلاسل الكويت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٧٩. الروقي، د. عايض بن خزّام، حروب البلقان والحركة العربية في المشرق العربي العثماني ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٨٠. شاهين، د.ثريا: دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية، ترجمة د. محمد حرب، دار المنارة للنشر والتوزيع، ط ١ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٨١. خشبة، سامي: مصطلحات الفكر الحديث، ج٢، ص ١٥٦ ، ط مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٦م.
٨٢. عبد الله، مازن: حركات سرية هدامة (الماسونية) مجلة البيان، العدد ٣٣، ص ٤٤.
٨٣. حرب، د. محمد: مذكرات السلطان عبدالحميد، دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
٨٤. JOHN.F.BADDELEY : احتلال الروس للقفقاس، تعريب صادق إبراهيم عودة، إشراف د. طه سلطان مراد، الناشر مكتبة الأقصى للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن.
٨٥. الدوسري، عبد الرحمن: الماسونية، النسخة الرقمية.
٨٦. الشهاوي، عنان بن علي (ترجمة): الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط، مراجعة وتقديم عاصم الدسوقي (القاهرة: المجلس الثقافي الأعلى، ٢٠٠١).
٨٧. أطلس آداب وتاريخ أوروبا، برثولماوس، ١٩١٢م.
٨٨. أطلس تاريخ المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز، ط ١، ١٤١٩هـ.
٨٩. بني مرجة، د. موفق: صحوة الرجل المريض، دار البيارق، ط ٨ ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦.
٩٠. حسن، د. محمد خليفة: الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة.
٩١. الجهني، د. مانع: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب.
٩٢. المقدم، محمد إسماعيل: المهدي وقضية المهدية. السودان اليوم.
٩٣. الشوابكة، د. أحمد بن فهد بن بركات: حركة الجامعة الإسلامية، مكتبة المنار، الزرقا ـ الأردن، ط ١، ١٩٨٤م.
٩٤. الرمال، غسان بن علي: صراع المسلمين مع البرتغال في البحر الأحمر، جدة، دار العلم، ١٤٠٦هـ.
٩٥. إبراهيم، عبد العزيز بن عبد الغني: علاقة ساحل عمان ببريطانيا، دراسة وثائقية، الرياض، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م.
٩٦. المغلوث، سامي بن عبد الله: أطلس تاريخ العصر المملوكي، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٣٤هـ.
٩٧. المغلوث، سامي: نموذج لتصميم وتأليف مقررات العلوم الاجتماعية للمرحلة الثانوية سنة ١٤٢١هـ.

.٩٨ المغلوث، سامي بن عبد الله: أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٣٠هـ.

.٩٩ النتشة، رفيق شاكر: السلطان عبد الحميد وفلسطين، مكتبة العبيكان.

.١٠٠ الجندي، أنور: السلطان عبد الحميد، صفحة ناصعة من الجهاد والإيمان والتصميم لمواجهة تحديات الاستعمار والصهيونية. المكتبة الشاملة.

.١٠١ جريشة، د. علي: فلسطين مسلمة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المكتبة الشاملة.

.١٠٢ القطوري، د. الصفصافي: رجل من صناع التاريخ، أورخان بن غازي، مجلة حراء، العدد ١٢ سنة ٢٠٠٨م.

.١٠٣ كوبريللي، محمد فؤاد: قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

.١٠٤ عبد الهادي، د. جمال: الدولة العثمانية، مكتبة المصطفى – الإسكندرية.

.١٠٥ النعيمي، د. أحمد نوري: اليهود والدولة العثمانية، مؤسسة الرسالة دار البشير، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

.١٠٦ عبدالرحمن الدوسري، اليهودية والماسونية، دار السُّنَّة، ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، السعودية.

.١٠٧ سلطان، علي: تاريخ سورية، حكم فيصل بن الحسين، دار طلاس، دمشق ١٩٨٧م.

.١٠٨ الرقب، د. صالح حسين: واقعنا المعاصر والغزو الفكري. موقع الدكتور صالح الرقب.

.١٠٩ الكيالي، عبد الوهاب: معاهدة سيفر، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط ٢ سنة ١٩٩٣م.

.١١٠ أوغلو، أكمل الدين إحسان: الدولة العثمانية – تاريخ وحضارة.

.١١١ كحيل، عبد العزيز: يوم سقوط الخلافة الإسلامية، موقع الألوكة الإسلامي.

.١١٢ العريني، د. عبد الرحمن: قيام الدولة العثمانية وحملات التحالف الصليبي ضدها، مجلة الدرعية – السنة الثالثة – العدد ١٠ – ربيع الآخر ١٤٢١هـ.

.١١٣ جحا، شفيق، البعلبكي، منير، عثمان، بهيج: المصور في التاريخ، الجزء السادس. دار العلم للملايين.

.١١٤ أوزدمير، حسن: ترجمه عن التركية: مصطفى حمزة. مجلة حراء، العدد ٢٦، سبتمبر – أكتوبر ٢٠١١م.

.١١٥ موقع قصة الإسلام على الشبكة العنكبوتية.

.١١٦ الموسوعة العالمية، منشورات الجمهورية العربية السورية.

.١١٧ الموسوعة العربية الميسرة ـ دار نهضة لبنان.

.١١٨ موقع دارة الملك عبد العزيز.

.١١٩ البعلبكي، منير: موسوعة المورد، ١٩٩١م.

.١٢٠ الموسوعة العربية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ط ٢، الرياض ١٤١٩هـ .

.١٢١ موسوعة المعرفة على الشبكة العنكبوتية.

.١٢٢ مفكرة الإسلام.

.١٢٣ موقع جمهورية ألمانيا.

.١٢٤ موقع مجلة العربي الكويتية، العدد ٥٦٣ – السبت ١ أكتوبر ٢٠٠٥ = ١٤٢٦/٨/٢٧هـ.

.١٢٥ سامي، أ. نبيل: مجموعة صور عن اليمن.

.١٢٦ منتدى العملات والطوابع العربي.

.١٢٧ الموقع الرسمي لرئاسة الجمهورية اليمنية على الشبكة العنكبوتية.

.١٢٨ تمام، أحمد: مسمار أخير في نعش الخلافة. إسلام أون لاين.

١٢٩ • Katip celebi .cihannuma. the book of cihannuma. boyut publishing group.

١٣٠ • Selguklu saati. the art of theseljuks .sitki firat. ankara .

١٣١ • Ottoman cartography. kemal ozdemir. avea.

١٣٢ • Encyclopaedia Britannica. Encyclopædia Britannica: Armenian massacres (Turkish-Armenian history). Britannica.com .

١٣٣ • Mohamed sadek messikh lalgerie des premiers photographes editonS rais .

١٣٤ • Google Earth .


الفهرس




تم بحمد الله وتوفيقه

ســـــيرة ذاتيـــــة



سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث





محاضرة أ. سامي بن عبد الله المغلوث في مركز السيرة النبوية في أستنبول (تركيا) سنة ١٤٣٣ هـ.

- من مواليد مدينة المبرز بمحافظة الأحساء سنة ١٣٨٢ هـ.
- بكالوريوس تربية؛ تخصص رئيس تاريخ، وفرعي جغرافيا. جامعة الملك فيصل بالأحساء.
- إمام وخطيب جامع المغلوث بمدينة المبرز منذ سنة ١٤١٩هـ وحتى إعداد هذه السـيرة في ١٨ / ٢ / ١٤٣٥هـ، حفظ القرآن الكريم -بفضل الله تعالى- في سن مبكر.
- شارك في إعـداد وثيقة المشروع الشامل لتطويـر المناهـج بوزارة التربية والتعليم، سـنة ١٤٢٣هـ.
- كُلِفَ كعضو لفريق تأليف العلوم الاجتماعية للمشروع الشامل لتطوير المناهج بوزارة التربية والتعليم، وعين مشرفًا على الدعم الفني والتصميم التعليمي للمشروع.
- عضو فريق تأليف الأطالس التعليمية بدارة الملك عبد العزيز، وممثل الجانب التاريخي عن وزارة التربية والتعليم في المشروع.
- عضو فريق تأليف الأطالس المدرسية بمكتبة العبيكان بالرياض.
- كُلِفَ من قبل وزير الشـؤون الإسلامية والأوقاف بإعداد (وثيقة أطلس تاريخ الدعوة الإسلامية) سنة ١٤٢٩هـ.
- كُلِفَ من قبل الهيئة العامة للسياحة والآثار بإعداد (وثيقة تضمين المفاهيم السـياحية والأثـرية في المنتج التعليمي لمناهج التعليم بالمشروع الشامل لتطويـر المناهج) سنة ١٤٣٠ هـ، حسب مذكرة التفاهم بين الهيئة العامة للسياحة والآثار ووزارة التربية والتعليم.
- كُلِفَ من قبل وزير التربية والتعليم بإعداد ورقـة وزارة التربية والتعليم للمؤتمر الدولي للتراث العمراني بالدول الإسـلامية، وتم تقديمها في المؤتمر الدولي سنة ١٤٣١هـ.

• كُلفَ مديرًا لمشروع الأطلس المصور التربية السياحية والذي تم الانتهاء منه في ١٥ / ٨ / ١٤٣٢ هـ.

• كُلفَ في ١ / ٢ / ١٤٣٢ هـ من قبل صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة حائل بإعداد فكرة أطلس النقوش والكتابات الأثرية بمنطقة حائل، وتم تفريغه للعمل بإدارة التربية والتعليم بمنطقة حائل لإنجاز وثيقة المشروع.

• حصل على العديد من الشهادات العلمية والتربوية في مجالي تأليف وتصميم الكتاب المدرسي.

لديه اهتمام في علم السكة والنميات.

أهم مؤلفاته المطبوعة:

١- أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، طبع ونشر مكتبة العبيكان، ١٢طبعة. وترجم إلى عدة لغات عالمية وتم ترشيح هذا الكتاب من قبل معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العام الإسلامي لجائزة عالمية (مقال منشور بالمجلة العربية ١٤٢١ هـ)، ومن قِبل الأديب عبد الله الشباط لجائزة دول مجلس التعاون الخليجي، للعمل الإبداعي (مقال منشور في جريدة اليوم)، علمًا أن هذا الأطلس قد تم تحويله إلى برنامج تلفزيوني لقناة تلفزيون دولة الكويت، من ٣٠ حلقة في رمضان سنة ١٤٢٧هـ وتم استضافة المؤلف في بعض حلقاته بتقديم الشيخ عبد العزيز العويد.

٢- الأطلس التاريخي لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (٨ طبعات)، طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض، وحقق هذا الكتاب وسابقه (الأكثر مبيعًا والأوسع انتشارًا) لخمسة مواسم متتالية، وقد قام تلفزيون دولة الكويت بتحويله هو الآخر لبرنامج تلفزيوني من ٣٠ حلقة في رمضان سنة ١٤٢٨هـ. فهو أول أطلس مستقل يستعرض سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عبر الزمان والمكان، وذلك من خلال تسليط الضوء على مواقع أحداث السيرة النبوية. وتم ترجمته إلى لغات عالمية هو الآخر، منها اللغة التركية.

٣- أطلس الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، (٤ طبعات) طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض.

٤- أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (٤ طبعات) طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض. وقد تم ترجمته إلى اللغة الفارسية.

٥- أطلس الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، (٣ طبعات) طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض.

٦- أطلس الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (٣طبعات) طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض. وقد تم ترجمته إلى اللغة التركية.

٧- أطلس الأديان، (ثلاث طبعات) طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض في ٧٥١ صفحة من القطع الكبير. ويتناول هذا الأطلس: التعريف بالأديان (تاريخ - عقائد - انتشار) عبر خرائط تفصيلية على مسرح الحدث الخاص بالديانة، مع تدعيم كل معتقد بالصور والنصوص الموثقة، وتم استعراض الكتاب عبر وسائل الإعلام

٨- أطلس حروب الرِّدَّة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض، ١٤٢٩هـ.

٩- أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض.

١٠- أهم الأحداث التاريخية في عهد الخلفاء الراشدين. رضي الله عنهم. ، دار الوراق (٣ طبعات).

١١- غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم (خريطة جدارية) مقاس كبير، وخريطة أخرى لحروب الرِّدَّة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكلاهما طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض.

١٢- غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيلة تربوية معرفية، طبع ونشر الشركة العالمية للدعاية والإعلان بالرياض.

١٣- الفهد رائد التعليم الأول؛ بمناسبة عشرين عامًا على تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم، وزارة التربية والتعليم. بتقديم معالي وزير التربية والتعليم السابق د. محمد الأحمد الرشيد.

١٤- المملكة العربية السعودية؛ قيادة وريادة، برنامج حاسوبي بالوسائط المتعددة.

١٥- أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ط. الثانية ١٤٣٤هـ، مكتبة العبيكان.

١٦- أطلس الحج والعمرة " تأريخًا وفقهًا " مكتبة العبيكان، ط. الثانية ١٤٣٤هـ.

١٧- أطلس تاريخ الدولة الأموية، مكتبة العبيكان، ١٤٣٢هـ.

١٨- أطلس تاريخ العصر المملوكي، مكتبة العبيكان، ١٤٣٣ هـ.

١٩- أطلس تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة الإمام الذهبي بالكويت، ١٤٣٥ هـ.

أهم مؤلفاته المترجمة:

١- أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، دار الماهرة للطباعة والنشر بإندونيسيا، ٣ طبعات.

٢- الأطلس التاريخي لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الماهرة للطباعة والنشر بإندونيسيا، ٣طبعات باللغةالإندونيسية.

٣- الأطلس التاريخي لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، دار نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم للطباعة والنشر بتركيا، باللغة تركية ٣ طبعات.

٤- أطلس الدين الإسلامي (وهو مقتطع من أطلس الأديان) دار الماهرة للطباعة والنشر بإندونيسيا، طبعة واحدة.

٥- أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، دار الماهرة للطباعة والنشر بإندونيسيا.

٦- أطلس الأديان، دار الماهرة للطباعة والنشر بإندونيسيا، طبعة واحدة.

٧- أطلس الخليفة علي بن أبي طالب باللغة التركية (دار يوسف أوزبك للطباعة والنشر بتركيا)، طبعتان باللغة التركية.

٨- أطلس الحج والعمرة " تأريخًا وفقهًا " بالإندونيسية والتركية طبعتان .

٩- الأطالس الأولى للمؤلف قامت دار التوحيد بفرنسا بترجمتها إلى اللغة الفرنسية.

١٠-تم الاتفاق مؤخراً مع دار السلام بالرياض – بناء على رغبتها - بترجمة (١٢) أطلسًا إلى اللغة الأوردية وذلك من خلال التنسيق مع مكتبة العبيكان .

مؤلفات مشتركة :

- أطلس المملكة العربية السعودية (المرحلة الابتدائية)، طبع ونشر مكتبة العبيكان .
- أطلس المملكة العربية السعودية (المرحلة المتوسطة)، طبع ونشر مكتبة العبيكان .
- أطلس المملكة العربية السعودية (المرحلة الثانوية)، طبع ونشر مكتبة العبيكان .
- مناهـج وزارة التربية والتعليم للمشروع الشامل للمناهج للمرحلتين (الابتدائية والمتوسطة) كتاب الطالب والنشاط والمعلم عدد (٣٦) كتاب .

المشاركة في البرامج الفضائية :

- تسجيل ١٣ حلقة من إعداده وتقديمه لقناة « صفا الكويتية » عن حروب الرِّدَّة في عهد الخليفة الراشدأبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقد عرضت خلال ثلاث دورات متتالية.
- تسجيل مجموعة من الحلقات الميدانية لحركة الفتح الإسلامي، للقناة نفسها.
- المشاركة في برنامج ثقافي عن (الكتاب) لتلفزيون قطر من إعداد وتقديم د. عبد الرحمن العشماوي، حيث تم تخصيص لقاء لمدة ساعة كاملة عن الحديث عن أطلس تاريخ الأنبياء والرسل مع المؤلف.

المشاركة في بعض حلقات برنامج الميدان التربوي والذي كان يقدم عبر قناة المملكة العربية السعودية الأولى في سنة ١٤٢٠هـ، مع الإعلامي أ. ماجد الحجيلان.

- المشاركة في محاضرة عن تاريخ قبيلة طيء في الإسلام في برنامج مهرجان سلمى السياحي سنة ١٤٢٩ هـ والذي نقلته قناتي الصحراء والنايلات.
- المشاركة في برنامج صباح السعودية في دورته الجديدة في شهر شوال ١٤٣٠هـ.
- المشاركة في برنامج ساعة حوار بقناة المجد الفضائية مع مقدم البرنامج، د. فهد السنيدي، بعنوان " الحج تاريخيًا ".
- المشاركة عبر برنامج ثقافي عبر قناة الثقافية تقديم أ. محمد بودي.
- المشاركة في برنامج ثقافي على الهواء في قناة الإخبارية تقديم أ. خالد العقيلي، بمناسبة مؤتمر التراث العمراني الأولى في الدول الإسلامية، وبرامج أخرى.

- المشاركة في برنامج خير جليس بالقناة الثقافية السعودية، تقديم د . صالح المحمود.
- المشاركة في قناة الإخبارية للعام ١٤٣٢ هـ عن معرض الكتاب الدولي بالرياض.
- ألقى العديد من المحاضرات عن الأطالس التاريخية في بعض الجامعات السعودية، و بعض إدارات التربية والتعليم بالمملكة، والمشاركة في بعض الصوالين الثقافية.

مؤلفات تحت الإعداد إن شاء الله تعالى:

- أطلس تاريخ المذاهب والفرق الإسلامية، وهو مكمِّل لكتاب أطلس تاريخ الأديان «تاريخ - عقائد - انتشار» والذي صدر قبل سنوات.



١ تغطية أحداث شرق أوروبا ووسطها

٢ ٣

١ بداية تنقل المؤلف بين المدن التركية لتغطية أحداث هذا الأطلس

٢ ٣

٤

٥ معرض تاريخ الدولة العثمانية في الدوحة - قطر ١٤٣٤ هـ

